

د. خزعل الماجدي

أديان المشرق



مركز المشرق
للأبحاث والدراسات

Levant Center for Research and Studies

أديان المشرق

الكتاب: أديان المشرق
المؤلف: د. خزعل الماجدي
الموضوع: تاريخ
عدد الصفحات: 774
القياس: 17x24
تدقيق لغوي: هاني الحلبي

الطبعة الأولى، 2019
© جميع حقوق النشر والترجمة محفوظة
مركز المشرق للأبحاث والدراسات
بيت المشرق ، ساحل علما - جونية، لبنان
رقم الهاتف: 00961 9 636400
00961 81 835109

البريد الإلكتروني: levant.research.center@gmail.com

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل سواء التصويرية أم الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن من مركز المشرق للأبحاث والدراسات.

د. خزعل الماجدي

أديان المشرق



مركز المشرق
للأبحاث والدراسات

Levant Center for Research and Studies

قائمة المحتويات

13 المقدمة
19 الباب الأول:
21 السحر والدين في مشرق عصور ما قبل التاريخ
 القسم الأول:
 السحر في مشرق ما قبل التاريخ
22 الفصل الأول:
 السحر في مشرق العصر الحجري القديم (بالبوليت)
 المبحث الأول: مختصر عصور ما قبل التاريخ
25 المبحث الثاني: مظاهر السحر والدين في الباليوليت الأسفل في المشرق.....
 1. الفتيشية
 2. بايرولتري (عبادة النار)
 3. نواة الدين: نواة الخوف
30 المبحث الثالث: مظاهر السحر والدين في الباليوليت الأوسط في المشرق.....
 1. عبادة الطبيعة
 2. الإسكاتولوجيا السحرية
 3. تقديس الحيوان
 4. دائرة السحر
35 المبحث الرابع: مظاهر السحر والدين في الباليوليت الأعلى في المشرق.....
 1. الشامانية
 2. نواة الدين: الخوف والسحر
41 الفصل الثاني:
 الميزوليت/ إيباليوليت في المشرق، ثقافات ميزوليت المشرقي
 اليرموكية والخبامية والسلطانية والنطوفية والزرزية
 1. الثقافة الزرزبية
 2. ثقافة زاوي-جمي
 3. ثقافة كريم الشهر
 4. ثقافة ملفعات وكردى جاي
 مظاهر السحر والدين في ميزوليت/ إيباليوليت المشرق
 1. الأرواحية
 2. الأسلافية
 3. الوثنية (التمثيل كتمائم)
 4. الثقافة النطوفية
 5. الثقافة الهارفية (الحريفية)
 6. ثقافة جوبكلي تبه والمدافن الإسكاتولوجية
 7. الميغاليث: المعابد السحرية من الكهوف إلى العراء
 8. الدين وعالم الغيب اللامرئي
 القسم الثاني: الدين في مشرق ما قبل التاريخ
63 الفصل الثالث: أديان المشرق في العصري الحجري الحديث (نيوليت).....
 نيوليت الهلال الخصيب كمنطقة لاكتشاف الزراعة
 مظاهر السحر والدين في نيوليت المشرق
 1. الخصب والإلهة الأم والتوحيد الأنثوي

2. دين الخصوبة: من الأرض إلى المطر إلى الماء
 3. تحولات الإلهة: من الأم الكبرى إلى الخنثى إلى الذكر
 4. عنصرا التراب والماء
 5. الأنوثة والقمر
 6. الأسلاف والجماجم
 7. رموز النيوليت
 8. أفلو الأرواح وبزوغ الآلهة: الإلهة الأم وتطورها
 9. مراحل حياة المرأة منعكسة في الألوهة المؤنثة
 10. إسكاتولوجيا الجماجم
 11. المكونات الأساسية للدين
 12. انحصار السحر وتحوله إلى نواة داخل دائرة الدين
- الفصل الرابع: أديان المشرق في العصر الحجري النحاسي (كالكوليت) 117**

مقدمات عن العصر والإنسان والثقافات

مظاهر السحر والدين في الكالكوليت المشرق

1. الانقلاب الذكوري ومركزية الإله الذكر
2. عنصرا الهواء والنار
3. الذكورة والشمس
4. من الطبيعة إلى ما وراء الطبيعة
5. شعوب الكالكوليت الكبرى ودياناتهم
6. الرموز والأساطير والمثولوجيا
7. الطقوس
8. الآخرويَّات: إسكاتولوجيا الكالكوليت
9. دائرة الدين: المكونات الأساسية للدين
10. التعدين والخيمياء: حدادون وسحرة
11. سحر الأعماق: العرافة والتنجيم
12. العالم الأسفل كمكان آمن للسحر

الفصل الخامس: البروتولتريت في المشرق الكتابة المقدسة 139

مقدمات عن العصر والإنسان والثقافات

مظاهر السحر والدين في بروتولتريت المشرق

1. الكتابة المقدسة وظهورها في المعابد
2. رموز البروتولتريت
3. الأساطير والمثولوجيا
4. الطقوس
5. الآخرويَّات: إسكاتولوجيا المدافن العائليَّة والمقابر الكبيرة
6. اكتمال المكونات الأساسية والثانوية للدين

الباب الثاني: أديان المشرق القديم المبكرة 153

الفصل الأول: الديانة السومرية 155

القسم الأول: المكونات الأساسية في الديانة السومرية 156

المبحث الأول: المعتقدات الدينية السومرية 156

أولاً: المعتقدات الألوهية

ثانياً: المعتقدات (الديوية) العملية

ثالثاً: المؤسسة الدينية

- رابعاً: معتقدات الأبدية
- 169 المبحث الثاني: الأساطير والمثولوجيا السومرية
 أولاً: شجرة الآلهة السومرية
 ثانياً: الرموز الدينية
 ثالثاً: أساطير الخليفة (التكوين)
 رابعاً: أساطير العمران
 خامساً: أساطير الخراب
 سادساً: أساطير الموت
- 188 المبحث الثالث: الطقوس والشعائر السومرية
 1. الشعائر اليومية
 2. شعائر المناسبات
 3. الشعائر الدورية
- 195 المبحث الرابع: نهايات وآخريات الإنسان
- 197 القسم الثاني: المكونات الثانوية في الديانة السومرية
 المبحث الأول: الشرائع والأخلاق
 أولاً: العدالة الإلهية
 ثانياً: الأخلاق العامة والمكتوبة والتقاليد الجارية
 ثالثاً: الشرائع السومرية
- 207 المبحث الثاني: السير المقدسة
 أولاً: ملوك ما قبل الطوفان يتحولون إلى أول الآباء والأنبياء في التوراة
 ثانياً: الحكماء السبعة (أبكالو)
 ثالثاً: المعلمون الكبار بعد الطوفان
- 216 المبحث الثالث: الجماعة والطوائف والمذاهب
- 218 المبحث الرابع: الباطنيات
- 219 الفصل الثاني: الديانة المصرية
 القسم الأول: المكونات الرئيسية في الديانة المصرية
- 220 المبحث الأول: المعتقدات الدينية المصرية
 أولاً: المعتقدات الألوهية
 ثانياً: المعتقدات (الدينيوية) العملية
 ثالثاً: المؤسسة الدينية
 رابعاً: معتقدات الأبدية
- 231 المبحث الثاني: الأساطير والمثولوجيا المصرية
 أولاً: شجرة الآلهة المصرية
 ثانياً: الرموز الدينية
 ثالثاً: أساطير الخليفة (التكوين)
- 240 المبحث الثالث: الطقوس والشعائر المصرية
 1. الشعائر اليومية
 2. شعائر المناسبات
 3. الشعائر الدورية
- 245 المبحث الرابع: نهايات وآخريات الإنسان
- 248 القسم الثاني: المكونات الثانوية في الديانة المصرية
 المبحث الأول: الشرائع والأخلاق
 أولاً: العدالة الإلهية

	ثانياً: الشرائع المصرية (الأعراف والقوانين)
250	المبحث الثاني: السير المقدسة أولاً: سرديات الملوك ثانياً: حكماء مصر القديمة
255	المبحث الثالث: الجماعة والطوائف والمذاهب
257	المبحث الرابع: الباطنيات أولاً: السحر والعرافة والخيمياء ثانياً: المسارية والهرمسية والغنوصية
261	إِلْبَابُ الثَّلَاثِ:
	أَدْيَانُ الْمَشْرِقِ الْقَدِيمِ الْوَسِيطَةِ
263	الفصل الأول: الدين البابلي
	الخلاصات التاريخية
	القسم الأول: المكونات الأساسية في الديانة البابلية
266	المبحث الأول: المعتقدات الدينية البابلية أولاً: المعتقدات الألوهية ثانياً: المعتقدات (الدينوية) العملية ثالثاً: المؤسسة الدينية رابعاً: معتقدات الأبدية
271	المبحث الثاني: الأساطير والمثولوجيا البابلية أولاً: شجرة الآلهة البابلية ثانياً: الرموز الدينية ثالثاً: أساطير الخليفة (التكوين) رابعاً: أساطير العمران خامساً: أساطير الخراب سادساً: أساطير الموت
282	المبحث الثالث: الطقوس والشعائر البابلية 1. الشعائر اليومية 2. الشعائر الدورية
291	المبحث الرابع: نهايات وآخريات الإنسان القسم الثاني: المكونات الثانوية في الديانة البابلية
292	المبحث الأول: الشرائع والأخلاق
293	المبحث الثاني: السير المقدسة أولاً: سير الملوك
296	المبحث الثالث: الجماعة والطوائف والمذاهب
298	المبحث الرابع: الباطنيات
	نبذة عن الدين الآشوري واختلافه عن الدين البابلي
305	الفصل الثاني: الدين الكنعاني (دين شام)
306	المبحث الأول: المعتقدات الدينية أولاً: المعتقدات الألوهية ثانياً: المؤسسة الدينية
311	المبحث الثاني: الأساطير والمثولوجيا الكنعانية أولاً: شجرة الآلهة الكنعانية

	ثانياً: أساطير الخليفة (التكوين)
	ثالثاً: أساطير العمران
	رابعاً: أساطير الخراب
363	المبحث الثالث: الطقوس والشعائر الكنعانية
	1. الشعائر اليومية
	2. شعائر المناسبات
	3. الطقوس الدورية
	4. طقوس التضحية (القربان)
371	المبحث الرابع: نهايات وأخرويات الإنسان
	القسم الثاني: المكونات الثانوية في الديانة الكنعانية
372	المبحث الأول: الشرائع والأخلاق
	أولاً: الأخلاق الفردية
	ثانياً: الأخلاق الاجتماعية
374	المبحث الثاني: السير المقدسة
	أولاً: سير الجيل الأول من البشر (الآباء: آدم وسلالته)
	ثانياً: سير الجيل الثاني من البشر (البشر المؤلهون بعد الطوفان)
	ثالثاً: سير عصر البطولة الكنعاني (الملاحم الأوغاريتية)
	رابعاً: سير عصر البطولة الفينيقي (أبطال صيدا)
	خامساً: سير عصر البطولة القرطاجي (أبطال صور)
395	الفصل الثالث: الدين الآرامي
	القسم الأول: المكونات الأساسية في الديانة الآرامية
396	المبحث الأول: المعتقدات الدينية الآرامية
	أولاً: المعتقدات الألوهية
	ثانياً: تعدد أشكال العقائد الدينية
	ثالثاً: المؤسسة الدينية
	رابعاً: معتقدات الأبدية
404	المبحث الثاني: الأساطير والمثولوجيا الآرامية
419	المبحث الثالث: الطقوس والشعائر الآرامية
	1. الشعائر اليومية
	2. الشعائر الدورية
421	المبحث الرابع: نهايات وأخرويات الإنسان
423	الباب الرابع:
	الأديان المشرقية القديمة المتأخرة
	الفصل الأول: أديان الشام القديمة المتأخرة
425	المبحث الأول: عمّون (1000 - 600 ق.م.)
441	المبحث الثاني: مؤاب (900 - 530 ق.م.)
452	المبحث الثالث: أدوم (750 - 530 ق.م.)
461	المبحث الرابع: الديانة العبرية (1000 - 580 ق.م.)
469	المبحث الخامس: الأنباط 300 ق.م. - 106 م.)
495	المبحث السادس: تدمر 300 ق.م. - 272 م.)
507	المبحث السابع: الغساسنة (220 - 638 م.)

511 الفصل الثاني: أديان الرافدين المتأخرة
512 المبحث الأول: آمد (189 ق.م. - 638 م)
516 المبحث الثاني: الرها (132 ق.م. - 244 م)
521 المبحث الثالث: الإيزيدية (حوالي 150 ق.م. - الان)
539 المبحث الرابع: حدياب (15 - 116 م)
545 المبحث الخامس: الحض (100 - 230 م)
554 المبحث السادس: طيسفون (120 ق.م. - 637 م)
559 المبحث السابع: ميشان (127 - 222 م)
561 المبحث الثامن: الحيرة (200 - م)
571 الباب الخامس: أديان المشرق الغنوصية
573 الفصل الأول: تاريخ العصر الهيلنستي واتجاهاته الروحية والفلسفية
574 المبحث الأول: مدخل تاريخي للعصر الهيلنستي
583 المبحث الثاني: الاتجاهات الروحية الباطنية في العصر الهيلنستي
587 الفصل الثاني: المسارية (المستيريا)
593 الفصل الثالث: الهرمسية
594 المبحث الأول: الهرمسية في العصر الهيلنستي
594 المبحث الثاني: الفلسفة الدينية للهرمسية
597 المبحث الثالث: الحرانيون كمؤج هرمسي مشرق
603 الفصل الرابع: الغنوصية
621 المبحث الأول: تاريخ الغنوصية
622 المبحث الثاني: مكونات الغنوصية
627 المبحث الثالث: المندائية كنموذج مشرق للغنوصية
634 المبحث الرابع: المانوية كنموذج مشرق للغنوصية
638	
645 الباب السادس: أديان المشرق التوحيدية
647 الفصل الأول: اليهودية
648 المبحث الأول: خلاصة تطوّر الديانة اليهودية
655 المبحث الثاني: المكونات الأساسية للديانة اليهودية
 المعتقدات اليهودية
 أولاً: كتب وأسفار الديانة اليهودية
 ثانياً: المعتقدات الألوهية
 ثالثاً: المعتقدات الدنيوية
 رابعاً: المؤسسة الدينية
 الأساطير والمثولوجيا اليهودية
 أولاً: الرموز الدينية
 ثانياً: مثولوجيا البدايات (الخليقة)
 ثالثاً: مثولوجيا النهايات (إسكاتولوجيا)
 الطقوس والشعائر اليهودية
 الأعياد اليهودية
689 الفصل الثاني: المسيحية

690	المبحث الأول: خلاصة تطوّر الديانة المسيحية
702	المبحث الثاني: المكونات الأساسية للديانة المسيحية أولاً: المعتقدات المسيحية ثانياً: المؤسسة الدينية الأساطير والمثولوجيا المسيحية أولاً: الرموز الدينية ثانياً: مثولوجيا البدايات (الخليقة) ثالثاً: مثولوجيا النهايات (إسكاتولوجيا) الطقوس والشعائر المسيحية أولاً: الطقوس اليومية ثانياً: طقوس المناسبات ثالثاً: الطقوس الدورية
723	الفصل الثالث: الإسلام
724	المبحث الأول: خلاصة تطوّر الديانة الإسلامية
742	المبحث الثاني: المكونات الأساسية للديانة الإسلامية أولاً: المعتقدات الألوهية ثانياً: المؤسسة الدينية الأساطير والمثولوجيا الإسلامية أولاً: الرموز الإسلامية ثانياً: مثولوجيا البدايات (الخليقة) ثالثاً: مثولوجيا النهايات (إسكاتولوجيا) الطقوس والشعائر الإسلامية أولاً: الطقوس الأساسية ثانياً: الطقوس الدورية
755	الفهارس
757	فهرس المراجع
769	فهرس الأعمال الفكرية والإبداعية للمؤلف

مقدمة

المقدمة:

ترسّخ مصطلح المشرق، في لغتنا العربيّة، فأصبح يشير إلى موطن الحضارات الأصيلة الكبرى في الشرق الأدنى وتحديدًا في وادي الرافدين وبلاد الشام وبعض المؤرّخين أضاف إليه مصر، حيث كانت هذه المنطقة مركز الحضارات في الشرق القديم والتي انتشرت شرقاً إلى بلاد فارس والهند والصين فأنتجت حضارات عظيمة في هذه البلدان، وانتشرت منه شمالاً وغرباً نحو حوض البحر المتوسط بأكمله فظهرت الحضارات الحيثية والإغريقيّة والرومانيّة.

كان هذا المشرق هو القلب النابض للعالم في التاريخ القديم، واحتفظ بمركزيّته في التاريخ الوسيط حين ظهرت الأديان التوحيدية الثلاثة (اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام)، لكنه تعرّض في التاريخ الحديث والمعاصر بسبب غلبة التديّن والسياسة والجهل وتراجع العلم والتحصّر والمعرفة، لكن جمسته ما زالت متّقدة وقابلة للتطوير والاشتعال، من جديد، حين يُزال عنها الرماد ويُنفخ فيها من جديد.

ومثلما التبس الأمر على المشرق الحديث والمعاصر التبس مصطلحه في هذا الزمن وظهر مصطلح (الشرق الأوسط) قابلاً للتداول الإعلامي. وهو مصطلحٌ سياسيٌّ يضيف له بلداناً أخرى ويُفسد تاريخيّته، ولكن المصطلح المعاصر (الهلال الخصيب) ربما كان الأقرب له وملازمه، ورغم ذلك يبقى مصطلح (المشرق) هو الأكثر تعبيراً عنه.

هذا المشرق الغزير الحضارات والأديان كان موضع بحوثنا وكتبنا منذ أكثر من ثلاثة عقود وما زال، ويجيء هذا الكتاب الشامل عن (أديان المشرق) كثمرّة ناضجة لسعيٍّ دوّوبٍ متواصلٍ لتتبع وربط الخيط الذي يوصل عقائده وتطلعاته الروحيّة والدينيّة منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى ظهور الأديان التوحيدية فيه في حلقاتٍ متواصلةٍ مترابطةٍ.

صعد السّحر من أعماقه الحجريّة القديمة ثم صعدت الروح لتصل ذروتها في معاليات المدافن الإسكاتولوجيّة. فقد كان السّحر، أولاً، هو من تولى النهضة الروحيّة قبل الدّين وكان بمثابة النسغ الصاعد الأعظم في تشوقات الروح الإنسانيّ، وما أن حلّ العصر الحجريّ الحديث حتى ظهرت بدايات الدين، وكان التوحيد المبكر متمثلاً في ديانة الإلهة الأم ومظهراتها الخصيبية في الزرع والحيوان والإنسان وحفز خلايا الطبيعة الحيّة. ثم ظهر التعدّد الذكوريّ وتسلق الإنسان بأشواقه السماء وأعلى معابده نحوها، فانتقلت العبادة من الأرض إلى السماء وكانت مكّونات الدّين الرئيسيّة والثانويّة على وشك الاكتمال مع اختراع الكتابة وعندما دشنت سومر العصور التاريخيّة بحضارتها الخلاقة ترافقها الحضارة المصريّة التي كانت بمثابة التوأم الملازم لها، ومنهما تشكلت أول نواةٍ صلبة لأديان البشريّة كلّها.

ورّعت سومر ميراثها في المشرق القديم وانفرط عقدها وتوزّعت بذورها في أكد وإبلا وبابل وماري وآشور وأمورو وكنعان وأوغاريت، وبقيت مصر صلبةً في تكوينها الدينيّ عميقةً في أسرارها الروحيّة على مدى ثلاثة آلاف عام تقريباً.

ثم اجتمع كلّ هذا الإرث في الحضارة واللغة والديانة الآراميّة التي أصبحت مثل القارة الروحيّة واللغويّة يجتمع فيها الشرق الأدنى بأكمله ويتحدّث ويكتب بلسانها. وكان هذا مدعاةً لظهور

الأديان الغنوصية والباطنية فيها بعد أن فقد المشرق استقلاله السياسي بسبب الهيمنة الآرية المتمثلة بالفارسية والإغريقية والرومانية. وقد أصبحت الأديان السرية الباطنية هذه منبع الأديان التوحيدية التي ظهرت على السطح واجتاحت المشرق الذي كان يحبو نحو تاريخه الوسيط ولتعود بعده حضارات وأديان المشرق في هيئتها الجديدة. لقد تتبنا هذا النمو المتصاعد لأديان المشرق في سبعة أبواب من هذا الكتاب تضمنت ١٦ فصلاً توزعت كما يلي: الباب الأول: تتبع ظهور بدايت السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ في المشرق، الفصل الأول تناول السحر في عصر الباليوليت الطويل الأمد بمختلف تحولاته، والفصل الثاني تناول عصر الميزوليت المشرقي مع شروح مفصلة عن مظاهر وأشكال تطوّر السحر خلال ما يقرب من مليوني سنة من تاريخ الإنسان. أما الفصل الثالث فقد تتبع ظهور الدين في النيوليت من خلال عبادة الخصب والإلهة الأم المشرقية، في حين تتبع الفصل الرابع الدين في انقلابه الذكوري في عصر الكالكوليت وظهور عبدة الأب وأبنائه وعبادة السماء والمعابد الأولى وتعدّد الآلهة. وفي هذين الفصلين الأخيرين تمّ رصد تحفّي السحر داخل الدين وظهوره كحافز لتطوّر وانشطار الأديان. وفي الفصل الخامس عند ظهور الكتابة الصورية في المعابد يتجلى اكتمال العناصر الأساسية والثانوية للدين كتهيئة لظهور أول نظام ديني متكامل في بداية العصور التاريخية في المشرق.

الباب الثاني: قسّمنا تاريخ المشرق القديم إلى ثلاث مراحل تاريخية هي (المبكر، المتوسط، المتأخر)، حيث ضمّ المبكر ديانتين أصيلتين هما السومرية والمصرية، أما المتوسط فقد ضمّ الديانة الأساسية في وادي الرافدين وهي الديانة البابلية، والديانة الأساسية في بلاد الشام وهي الديانة الكنعانية، وقد جمعت الديانة الآرامية بلاد الرافدين وبلاد الشام في مدارٍ روحي واحد شامل وكبير، أما المتأخر فقد جمع الديانات السامية المشظاة من تلك الديانات السابقة في بلاد الرافدين وبلاد الشام، وكانت مصر ما تزال في نهايات ديانتها الطويلة الأمد. يتكوّن كلّ دين من ثمانية مكونات، أربعة منها أساسية هي (المعتقدات، الأساطير، الطقوس، الآخرويات)، وأربعة ثانوية توازيها ومائلها وهي (الأخلاق والشرائع، السير المقدسة، الجماعة، الباطنات)، ووردنا في كتابنا، قدر المستطاع، مكونات جميع الأديان، لكننا ركّزنا على المكونات الأساسية بسبب ضيق المجال.

ناقش الباب الثاني أديان المشرق المبكرة فعرض في فصله الأول لمكونات الدين السومري الأساسية والثانوية في ثمانية مباحث غنيّة بالمعلومات وتحليلها. وفي الفصل الثاني ناقش المكونات ذاتها في الدين المصري، وبذلك نكون قد وصفنا باستفاضة نواة الأصول الدينية في المشرق حيث أطلق الدين السومري شرارته وتواصلت هذه الشرارة متوهجة في الزمن الطويل للدين المصري الذي كان يقترب من نهايته قبيل العصور الميلادية بحوالي ثلاثة قرون.

الباب الثالث: ناقش أديان المشرق القديم المتوسط في حدود منتصف الألف الثالث إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد، حيث ظهرت الحضارات المشرقية الكبرى، ففي وادي الرافدين ناقش الفصل الأول الدين البابلي بمكوناته الأساسية والثانوية وهو الدين الذي مثل ذروة أديان

الرافدين في نضجه واكتنازه وتجلت امتداداته وتنوعاته في الدين الآشوري.
الباب الرابع: ناقش أديان المشرق المتوسط في بلاد الشام، حيث ناقش فصله الأول الدين الكنعاني (دين شام) الذي يمثل ذروة أديان الشام بمكوناته الثمانية. وفي الفصل الثاني ناقش الدين الآرامي في بلاد الرافدين والشام، حيث اجتمعا في هذا الدين المشترك الذي حملته اللغة والثقافة الآرامية.

الباب الخامس: رصد أديان المشرق في التاريخ القديم المتأخر، فالفصل الأول كان لأديان الشام المتأخرة في (عمون، مؤاب، أدوم، العبرية، الأنباط، تدمر، الغساسنة)، والفصل الثاني كان لأديان الرافدين المتأخرة في (آمد، الرها، طيسفون، حدياب، الحضر، ميشان، الحيرة).

الباب السادس: كان مخصصاً لأديان المشرق الباطنية التي ظهرت، بشكل خاص، في العصر المفصلي العالمي المهم (العصر الهيلنستي) حيث اختلقت أديان وحضارات الغرب بالشرق، وظهرت التيارات الباطنية الثلاثة (المسارية، الهرمسية، الغنوصية) التي رسخت التوحيد الباطني. وتناولنا فيه أديان هذه التيارات الثلاثة في المشرق، بشكل خاص، عبر ثلاثة فصول.

الباب السابع: كان مخصصاً للأديان التوحيدية الظاهرية (اليهودية، المسيحية، الإسلام) التي استثمرت التوحيد الباطني وجعلت الأديان تنزع نحو نزعة عالمية شمولية، وقد خصصنا لكل دين فصلاً، وتناولنا مقدمة تاريخية موجزة لكل دين ثم المكونات الرئيسية له وأهمنا المكونات الثانوية بسبب ضيق المجال على أننا سنتناولها في كتب موسعة مقبلة.

كل ما قدمناه أعلاه كان بمثابة هيكل وخطة الكتاب، وبذلك نكون قد وضعنا الصورة الروحية والدينية للمشرق في إضمامة واحدة مترابطة ومتسلسلة بشكل دقيق.

الشكر والتقدير لمركز المشرق للأبحاث والدراسات ومديره الأستاذ غسان الشامي الذي شرفني بالتكليف لكتابة هذا الكتاب، معذراً عما فاتني من المعلومات والتحليلات وعن الأخطاء التي قد أكون وقعت فيها سهواً، و متمنياً أن أكون قد قدمت ما ينفع في هذا الحقل الحضاري الواسع للمشرق.

الدكتور خزعل الماجدي

2019 / 7 / 21

الباب الأول

السّحر والدين في مشرق عصور ما قبل التاريخ



القسم الأول: السّحر في مشرق ما قبل التاريخ

الفصل الأول: السّحر في مشرق العصر الحجريّ القديم (بالبوليت)



إنسان نياندرتال مدفون في كهف شانيدر في شمال العراق في طقس ديني واضح

المبحث الأول: مختصر عصور ما قبل التاريخ

يقسّم المؤرخون تاريخ الإنسان إلى مرحلتين كبيرتين هما: ما قبل التاريخ والتاريخ، وتنقسم هاتان إلى عصور عدّة وكما يلي:

أولاً: عصور ما قبل التاريخ (Prehistoric Ages)

هي العصور الحجريّة التي تبدأ مع ظهور الإنسان في العصر الحجريّ العتيق (قبل 2.7 مليون سنة من الان) وتمتدّ حتى ظهور الكتابة حيث ظهرت لأول مرة في بداية العصور التاريخيّة في حدود 3200 ق.م. عندما اخترع الإنسان الكتابة في سومر جنوب العراق، ولكنها ظهرت متأخّرة في الأماكن الأخرى ولذلك يكون هناك أكثر من نهاية لهذه المرحلة حسب كل زمن ظهور لكتابة في ذلك المكان. وتشغل مرحلة ما قبل التاريخ 99% من حياة الإنسان منذ ظهوره أما العصور التاريخيّة، وهي جميع حضاراته المعروفة، فتشغل نسبة 1% فقط.

وتنقسم عصور ما قبل التاريخ إلى ثمانية عصور أساسيّة هي:

1. الأركيوليت: الحجريّ العتيق ويشكل الإيوليت (الفجر الحجريّ) آخر مراحلها.
 2. الباليوليت الأسفل: الحجريّ القديم الأسفل.
 3. الباليوليت الأوسط: الحجريّ القديم الأوسط.
 4. الباليوليت الأعلى: الحجريّ القديم الأعلى.
 5. الميزوليت: الحجريّ الوسيط ويسمى في المشرق (إبيبالوليت).
 6. النيوليت: الحجريّ الحديث.
 7. الكالكوليت: الحجريّ النحاسيّ
 8. البروتوليت (البروتوهستوري): الشبيه بالكتاني، الشبيه بالتاريخيّ.
- العصر الأخير هو عصر انتقالي بين ما قبل التاريخ والتاريخ ويدرس عادة مع عصور ما قبل التاريخ،
وفي ما يلي جدول أقسام عصور ما قبل التاريخ (بشكل عام):

العصر	الثقافة	الأدوات	الإنسان	المجتمع والعمل	الفنون	المعتقدات الدينية
أركيوليت 2. - 4.1 مليون سنة مضت	أومو أولدواي إيوليت	الصوان	الإنسان الماهر	الصيد وجمع الثمار	لا توجد	لا توجد
بالبوليت أسفل 1. 300.000 - 100.000 سنة مضت	الأولدية الأبفيلية الكلكتونية الأشولي الفلوازية	الفؤوس الحجرية	كل أنواع جنس الهومو	الصيد وجمع الثمار الفؤوس كأدوات حجرية	النحت الغفل	اكتشاف النار وتقديسها
بالبوليت أوسط 100.000 - 35.000 سنة مضت	الموستيرية العترية	النصال الحجرية	إنسان النياندرتال	الصيد النصال الحجرية	لوحات الكهوف	دفن الموتى باتجاه الشمس وظهور أول الأفكار الأخروية
بالبوليت أعلى 35.000 - 10.000 سنة مضت	البرادوستية الشاتلبيرونية البريكودية الأورغنيشية الجرافيتية السليوتيرية المجدلينية الهامبورغية الاهرينسبورغية السويديتيرية	رؤوس السهام والرماح الحجرية	الإنسان العاقل الأثري	الصيد السهم والقوس	المنحوتات الفينوسية	تقديس الحيوانات
ميزوليت (أوروبية) 10.000 - 8.000 سنة مضت	1. الازيلية 2. الأستورية 3. التاردنواسية 4. صيادو غزالة الرنة 5. الماچلموسية 6. الأرتبولية 7. المقبضية	الأدوات الحجرية الدقيقة (مايكروليث)	الإنسان العاقل	الصيد وجمع الثمار وتربية الحيوانات	فن الصخور	عقائد الموت
إيبالبوليت 20000 - 8000 ق.م. (الشرق الأدنى)	البرموكية، الخيامية، السلطانية، الزرزبة، النطوفية	الأدوات المايكروليثية	الإنسان العاقل	مجتمعات بدوية تدجين الحيوانات	منحوتات حيوانية وبشرية	المباني الإسكاتولوجية في جوبكلي تبه
نيوليت (الرافدين) 8.000 - 5.000 ق.م.	1. جرمو 2. الصوان 3. حسونة 4. سامراء	الأدوات الزراعية الحجرية والفخار	الإنسان العاقل	المجتمع الزراعي الأدوات الفخارية	دمى الإلهة الأم	عقائد الخصب وعبادة الإلهة الأم
كالكوليت (الرافدين) 5000 - 3200 ق.م.	1. حلف 2. أريدو 3. العبيد	الأدوات المعدنية	الإنسان العاقل	المجتمع المدني والحرف	النحت والتصوير والعمارة المتطورة والآلهة المتعددة	عقائد الخصب الذكورية وعبادة الإله الأب والآلهة المتعددة
بروتوليت (الرافدين) 3200 - 2900 ق.م.	1. أروك 2. جمدت نصر	الرقم الطينية والأختام الأسطوانية	الإنسان العاقل	زعامة الكاهن دويلات المدن	الفن والعمارة كحرفة متطورة	المكونات الأساسية والتأنيوية للدين السومري

ثانياً: العصور التاريخية (Historic Ages))

وهي العصور التي جاءت بعد اختراع الكتابة أو ظهورها في مكان ما وحتى يومنا الحاضر وتنقسم علمياً إلى ما يلي:

1. التاريخ القديم (3000 ق.م. - 476 م) Ancient History

1. العصر البرونزي

2. العصر الحديدي

3. العصر الكلاسيكي

2. التاريخ الوسيط (476 - 1453) Medeival History

3. التاريخ الحديث (1453 - 1945) Moderne History

4. التاريخ المعاصر (1945 - الان) Contemporary History

المبحث الثاني: مظاهر السحر والدين في الباليوليت الأسفل في المشرق

إن صناعة الأدوات الحجرية واكتشاف النار واستعمالها تُعدّ من أهم إنجازات العصر الحجريّ القديم الأسفل على المستويين المادي والروحيّ، وقد انعكست على تطوّر وعي الإنسان ونشّطت إمكاناته الروحيّة.

إن ظهور الأدوات الحجرية (أدوات النواة والشظايا والفؤوس)، هو امتداد نوعيٍّ لأدوات الحصى والعظام السابقة، ولكنها اتسعت هنا على نحو كبير لإمكانيات ظهور عمل يدوي واسع للإنسان يستثمر أدواته في الحصول على قوته سواء بجمع القوت أو عن طريق الصيد. وكان من نتائج استعمال الحجر واحتكاك قطعه ببعضها في سبيل التشظية ظهور النار من شررها واندھاش الإنسان بكيفية ظهور النار من الحجر وهو ما دعاه للتفكير بوجود طاقةٍ في الحجر يمكنها أن تنطلق في احتكاك الأحجار.

السحر والدين مشتركان في جذور بداياتهما وفي طبيعتهما، ولكن السحر سبق الدين واختلف عنه رغم أنه لم يفارقه، إذ يكاد السحر يهيمن على أغلب عصور ما قبل التاريخ الطويلة منذ عصور الباليوليت والميزوليت. وحين نشأ الدين بوضوح منذ النيوليت والكالكويت تغيّرت المعادلة وأصبح الدين مهيمناً والسحر خاضعاً للدين. أما في العصور التاريخية القديمة، بشكل خاص، فقد توارى السحر على هامش الدين، لكنه ظلّ قوياً بتأثيره وتجلي في تيارات سحرية دينية، وأصبح مسؤولاً في كل أحقاب التاريخ عن التبدلات النوعية في الدين.

السحر نشأ قبل الدين واستغرق ما يقرب من 98% من تاريخ الإنسان، فهو خزّن معرفته القديمه، وهو مادة لاشعوره الجمعي في أعماق أغوارها، نشأ مع نشوء الإنسان وكان يرتكز على قانوني السحر المعروفين، وهو لا يشكّل نمطاً خارقياً يحول الأشياء ويخترق قوانينها، بل هو طريقة تفكير بدائية لكل البشر في تلك العصور. وهذا يعني وجود السحر ولكنه لا يعني وجود الساحر الحقيقي، أي أن الناس كلهم يمارسون سحراً وهمياً لا نتيجة فيه وغير ملموس النتيجة. وهو أمر مختلف عن ظهور الساحر الحقيقي الفرد والذي يمتلك قوى خارقية لا يمتلكها أغلب من يحيطون به وهو ما نسميه الساحر ثم الشامان ونتائج عمله صحيحة وملموسة.

أما الدين وهو نوع من الخوف البدائي يجعل الإنسان يلجأ إلى التفكير بقوى حيّة خفية تساعده. فهو شعور مختلف عن السحر، لأنه يقوم على الخيال والخضوع لهذا الخيال من أجل حماية نفسه من القوى الحقيقية التي تحيط به. ثم تطوّر هذا الشعور ليعبر عن الخوف من المستقبل ومما بعد الموت.

كان السحر هو الممارسة الأكبر في عصور الباليوليت وكان الدين يكمن في نواة صغيرة داخل السحر تكبر ببطء شديد، حتى وصلت لحجم كبير ابتلع السحر في عصر النيوليت حين عبد الإنسان الإلهة الأم الزراعية الخصبة وبدأت القوى والأرواح السحرية بالتراجع نسبياً. يمكننا أن نتعرّف إلى السحر في مجموعة من المعتقدات السحرية في عصر الباليوليت الأسفل وهي:

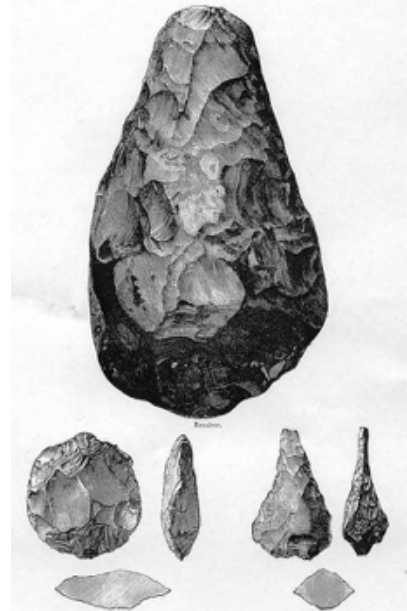
1. الفتيشية Fetishism

هي الاعتقاد بوجود طاقة فائقة في الشيء، وكأن هذا الشيء يصبح مكهرباً أو ممسوساً أو مشعاً،

وهي أقدم المعتقدات السحرية والدينية للإنسان. ويرى أوغست كونت بأن «المعتقدات الإلهية مرّت بالمراحل الثلاث الآتية: المرحلة الفيتيشية، مرحلة الديانة المتعددة الآلهة، ثم مرحلة ديانة التوحيد. وتؤكد الفلسفة الوضعيّة عند كونت أن الفيتيشية هي أصل كل الأشكال الدينيّة فقد كان كونت يعتقد أن الإنسان بدأ بالفيتيشية في صورتها البدائيّة. وهي الأصل في تفسير نشأة الآلهة، ومنها اشتق المبدأ الأساس الذي قامت عليه الديانات المتعددة الآلهة. ذلك أن كل الآلهة انحدرت من فيتيشات مادية. إن الظهور الأول للفكر الدينيّ ينبغي بالضرورة أن يمنح الحياة مباشرة لكل جسم مادي يوجد في العالم الخارجي، وذلك قبل أن يعوّض هذه الحياة المباشرة بتأثيرات مطابقة، لها وجود خيالي صرف. وهذا هو التحوّل الأهم على الإطلاق في تاريخ الأديان حسب كونت فهو يعتبرها أغنى المراحل وأكثرها غزارة بالنسبة إلى المرحلة الدينيّة عموماً. ولكن ومع تطوّر الأديان ستتراجع بالتدريج هذه القدرة الخلاقة التي تميز الفيتيشية بفعل التجريد وقوة التأمل». (أنظر 1864 Comte)

نتج عن استعمال الحجر والنار نوع من التقديس للإثنين معاً، فقد نظر الإنسان للحجر الذي ينتج الشرار كنوع من (الفيتيش) (مشتقة من *fétiche* الفرنسية؛ التي أتت من *feitico* البرتغالية، قبلهما من *facticus* اللاتينية، «مصنوع» *facere*، «لصنع») وهو الشيء الذي يُنظر إليه حاوياً على طاقةٍ خارقة للطبيعة. ونرى أن الحجر الذي يولد الشرر كان أول فيتيش عبده الإنسان.

إن الفيتيشية باعتبارها الديانة التلقائية والديانة البدائيّة عند كونت، فإن التصوّرات الساذجة والبسيطة التي تحكم هذه الحالة هي التي ستدفع الإنسان إلى تقديس الحيوانات متى ظهرت هنالك علامات غريبة عند هذه الأخيرة، كأن تظهر لديها مثلاً، قدرات تتجاوز تلك التي يملكها الإنسان مثل: القدرة على الإحساس ببعض الأشياء أو بالتقلّبات الطبيعيّة، والتي لا يستطيع الإنسان إدراكها أو الإحساس بها بل ويرى فيها قدرات خارقة تضع هذا الحيوان في موقع أقوى من الإنسان. (أنظر 1864 Comte).



الحجر ك «فيتيش»

<http://wikivisually.com/wiki/Paleolithic>

وتُعتبر الفتيشية أول أشكال السحر أو العبادات السحرية، التي هي أول بدايات الدين. «وفي ما عدا النار يمكننا التكهن بأن عصر الباليوليت الأسفل قد شهد بدايات السحر الذي هو المرحلة الأولى التي تسبق الدين، وربما شابت التصورات السحرية عن العالم والوجود أفكار دينية بدائية بسيطة لا تشكل معتقدات واضحة المعالم ولا أساطير». ففي مجتمع يؤلفه الصيادون ولاقطو الثمار الذين يعيشون في جماعات صغيرة يتمتع أفرادها بالمساواة، هناك مكان ضئيل لظهور معتقد ديني يقوم على مراتبية هرمية للآلهة بالشكل الذي نراه في المجتمعات المعقدة القائمة على تنظيم مرتبي. إنني لا أرى سبباً يمنعنا من ألا ننسب إلى الإنسان الأول أيّاً من الزمر أو المقولات الدينية الأساسية، في الوقت الذي نحاول تقييمه بوصفه (إنساناً متديناً). هنا يعترض علينا أصحاب معيار بساطة الإنسان الأول. ولكننا بالمقابل نسأل: أليس الملموس والمشخص أقرب إلى فطرية الإنسان الأول وذهنيته البسيطة من المجردات أيّاً كان نوعها؟ وإذا كان الأمر كذلك، ألا تميل مجتمعات الصيادين واللاقطين في محاولتها لتحقيق فهم أساسي للأشياء، والعمليات الجارية التي لا يرون لها تفسيراً فعلياً، إلى التفكير بالكائنات فوق الطبيعية المشخصة (= الآلهة) بدلاً من القدرات والقوى الأكثر تجريداً؟ (إدواردتسون 2007: 280).

2. بايرولتري (عبادة النار)

كان الإنسان يراقب النيران من حوله هنا وهناك وكان يتعجب من سحرها ويخاف الاقتراب منها، ولكنه عندما كان يصنع أدواته من الحجر كان يرى شر النار، وحين احترقت أعشاب يابسة بسبب هذا الشر اهتدى إلى اكتشاف النار والسيطرة عليها. «اكتشاف النار واستعمالها أمر ينطويان على الكثير من الأبعاد العملية والروحية للإنسان، فالنار بما تنطوي عليه من قدرة غريبة على جعل الإنسان يتأمل صفاتها وآثارها وشكلها انعكست إيجابياً على القوة الروحية للإنسان وهيئتها مرحلة مقبلة، ويرى بعض العلماء أن الإنسان القديم استخدم على ما يبدو الفحم المحترق أو الأغصان المشتعلة فسبب اندلاع الحرائق، لقد كانت النار تحمي كهوف الإنسان من الكواسر والبرد القارس، وكانوا يستخدمونها لشيء اللحم، كما جعلت كثيراً من المواد التي لم تكن تؤكل قبل ذلك قابلة للأكل بعد معاملتها بالنار، لقد جعلت استخدام الإنسان للنار أكثر قوة من قبل ولعب دوراً هاماً جداً في تطوره اللاحق». (مجموعة باحثين 1993: 35). دلت الآثار على أن إنسان بكين استعمل النار في كهوفه الأولى في الصين. إننا نرجح أن ظهور النار كان عاملاً نوعياً حرك في الإنسان قواه الدينية المميزة لهذا العصر، وأن فكرة الدين التي تستند إلى جوهر واحد هو (وجود المقدس) يمكن أن تكون قد بدأت من النار لأنها تحمل فطراً خاصاً يختلف عن بقية ما يراه الإنسان في عالمه.

«إن تأهيل النار بمعنى إمكانية إنتاجها والاحتفاظ بها ونقلها يمكن من القول بأنه ميّز الفصل بين إنسان العصور الحجرية عن أسلافه من الحيوانات. وأقدم الوثائق التي تدل على استعمال النار هي وثائق، تشو - كو - تين التي تعود لحوالي ستمئة ألف سنة قبل المسيح، غير أنه من المرجح أن / التأهيل / للنار كان قد وجد قبل ذلك وفي أماكن مختلفة. » (إلياد 2006: 16). من الخوف والرهبنة من النار ومن قدرة الإنسان بالسيطرة عليها نشأت بؤرة السحر الأولى

وكان المقدّس الأول في شكله البسيط. «لقد كانت النار أول مقدس احتكّ به الإنسان، لكنه مقدس غائر في البعد والقدم، كذلك، فإنه مقدس غفل لأنه لا يستدعي فصلاً بين عاملين، معروف ومجهول، إنسانيّ والهي، بل شكلت النار أول إشارة للخوف والرهبّة والدهشة والجمال والمنفعة، ولم يكن الإنسان يلمحها أو يراها عن بُعد (كالشمس والقمر)، بل كان يستعملها ويقترّب منها وكان من النادر أن تجود الطبيعة، في تلك الأزمان، بشيء يشبهها. ولعل الإنسان القوي الذي يستطيع إيقاد النار واستعمالها والسيطرة عليها كان مثل برومثيروس الذي تشير الأسطورة اليونانيّة إلى ظهوره مع ظهور الإنسان الأول، تروي الأسطورة اليونانيّة أن برومثيروس كان إلهاً مضاداً تمرد على الآلهة وأخذ النار وأعطاهها للإنسان الأول وعلمه كيف يستعملها، ويصف جوزيف كامبال في كتابه (أقنعة الله) الإنسان الأول بأنه يشبه برومثيروس بسبب حيازته للنار ومكاسبها». (Oakley 1955: 26 - 48).

عبادة النار هي أقدم العبادات البشريّة لأن النار ولدت الخوف عند الإنسان وأثار شكلها وقوة تدميرها خيال الإنسان حتى تصور أنها طاقة كامنة يمكن أن تنطلق وتدمر، ويمكن السيطرة عليها أيضاً والانتفاع بها. فهي أقرب إلى الشكل الملموس للآلهة أو لقوى الطبيعة الغامضة الخفية.

تعتبر عبادة النار أصل عبادة الشمس لأن النار هي الشكل الأرضي للشمس والذي يعطي الحرارة والضوء.

أصبحت النار، لاحقاً، أساس عبادة الشعوب الآريّة، وصارت لها طقوس خاصة. ويمكننا أن نسمي هذه العبادة أو عبادة أو تأليه النار باسم (بايرودوليا pyrodulia أو بايرولاتري pyrola-try أو بايرولاتريا pyrolatria) التي نرجّح وجود جذورها منذ العصر الحجريّ القديم الأسفل، حيث تم العثور على أقدم آثار معروفة من النار، بالإضافة للصين، في (غيشر بنوت يعقوب) في فلسطين ويرجع تاريخها إلى حوالي 790000 سنة مضت.



توليد النار من الحجر

وهكذا بعبادة (الفتيش) والنار (بايروتري) نشأت بداية السحر التي تكونت في الباليوليت الأسفل وستغتني عناصرها مع تطوّر الزمن في عصور ما قبل التاريخ. ومن البذرة الفتيشية تحديداً نشأ السحر باعتباره أول عتبة من عتبات الدين حيث يعتقد الإنسان أن هناك قوةً متفوّقة محتشدة في الشيء وهذا هو أساس السحر. ونرى أن السحر يختلف عن الدين في جوهره وطبيعته فهو يستجد بالطاقة السارية في الكون ويشخصها في أشياء وظاهر ويحاول السيطرة عليها، بينما الدين يؤمن بأن هذه القوة هي الإله أو الآلهة التي تخلق وتوجد العالم والأشياء وعبادتها هو خوف منها ورجاء لها.

3. نواة الدين: نواة الخوف

نشأت نواة الدين الأولى مندغمة في دائرة السحر التي كانت تسيطر على الباليوليت الأسفل، وكان يجمع السحر والدين نواةً قدسية واحدة هي الخوف لكن السلوك نحوها مختلف، ولم يكن هناك تصور واضح عن إلهة أم بالمعنى المعروف بل كانت هناك رهبة وخوف مما يجري للمرأة من انتفاخ البطن بعد شهور من الاتصال مع الرجل وولادتها لكائن جديد، هذه العملية دفعت بالرجل لاعتقاده بأن هناك ما يجعلها مقدّسة. كذلك ظهرت القداسة مع كائن حي آخر هو الحيوان الشرس الضخم المخيف الذي كانت تتجلى فيه القوة المقدّسة، وكان يعني الخوف منه تقديسه، أما اصطياده وأكله فكان يوحى بالالتحام مع المقدّس واكتساب قوته.

«إن المطاردة المستمرة وإماتة الفريسة قد انتهيا بإنشاء منظومة من العلاقات الخاصة *suigenris* بين الصياد والحيوانات المقتولة، وسنعود لهذه المسألة إلا أننا نعيد للذاكرة هنا بأن (التضامن الصوفي) بين الصياد وضحاياه قد تكشّف بفعل القتل ذاته، فالدم المراق هو من كل جوانبه مماثل لدم الإنسان. وفي اللحظة الأخيرة إن (التضامن الصوفي مع الفريسة يكشف القناع عن القرابة بين المجتمعات الإنسانيّة وعالم الحيوان. فقتل الحيوان المصاد أو في ما بعد، الحيوان المدجن يماثل (التضحية) وتكون الضحايا فيها قابلة للتداول ولنحدد بدقة أن كل هذه المفاهيم قد تكونت أثناء المظاهر الأخيرة من عملية التحول لبشر (*I>hominisation*) وإنها ما زالت ناشطة - محوّرة، ومقوّمة من جديد، ومموّهة - منذ أُلوف السنين بعد انقضاء حضارات العصور الحجريّة. » (إلياد 2006: 17).

المبحث الثالث: مظاهر السّحر والدين في الباليوليت الأوسط في المشرق

1. عبادة الطبيعة Nature worship

هي مجموعة متنوعة من الممارسات السّحرية والروحية والدينية التي تركز على عبادة الظواهر الطبيعية والتي توحى باستمرار الحياة وديمومتها. وقد بدأت هذه العبادة سحرية من أول تفتحات الروح عند الإنسان حيث اعتقد بأن أشياء الطبيعة (الانهار، الأشجار، الحيوانات، النجوم.. الخ) فيها طاقة توحى بالعبادة ثم اعتقد بالوهية الطبيعة حيث اعتقد أن فيها أرواحاً أو آلهة يمكن أن تكون مسؤولة عن الطبيعة ومنها تطوّرت العبادة الدينية هذه إلى نمط كامل هو (وحدة الوجود) حيث يوجد الإله أو الله في كل شيء في هذا الوجود وهو ما ظهر جلياً، فيما بعد، في ديانات الشرق الأقصى وخصوصاً في الهند، ولعل أهم أشكال عبادة الطبيعة هو التركيز الروحي في اتصال الفرد بهذه القوة أو الإله والخضوع لها أو التواصل معها. ومن هذه العبادات عبادة الحيوان، عبادة النار، الآبار القدس، الميغاليث، الجنان المقدسة، الجبال المقدسة، الأحجار المنتصبّة، الدوائر الحجرية، الرعد، البرق، الأشجار، المياه والانهار والبحار.. الخ.

2. الإسكاتولوجيا السّحرية (الدفن، الروح، الشمس)

تزداد الأدلة مع الزمن على أن النياندرتال هو الذي ابتكر المدافن والقبور، وهذا أيضاً دليل آخر من أدلة استمرار السّحر (أو ظهور الدين عند البعض) لدى هذا الإنسان، رغم أن بعض الباحثين يعزّون هذا الأمر إلى وعي اجتماعي أكثر منه ديني حيث يرى توينبي مثلاً تخلص الإنسان النياندرتال من موته بطريقة شعائرية، بدلاً من أن يعتبر جثتهم كأنها أقدار، كان يدل على أنه يرى أن للإنسان كرامة لا تنتشر بين بقية أشكال الحياة (انظر توينبي 1981: 39). والحقيقة أن مدافن النياندرتال هي واحدة من أهم علامات تطوره السّحري/ الديني، فإذا كنا نرى أن الدين مكوّن من (العقيدة والطقس والأسطورة والإسكاتولوجيا)، فلا شك في أن طقوس الدفن الشعائرية الإسكاتولوجية كانت بداية ظهور الطقوس المرافقة للعقيدة الدينية، بل ربما كانت امتداداً لها أو تفسيراً لها حيث إن الإنسان الذي كان يدفن حيوانه السيد المقدس، بدأ يرى في نفسه، وفي جسده الذي فيه من هذا المقدس ضرورة أن لا يترك في العراء بعد الموت، بل أن يدفن أيضاً وربما سيكون من الأفضل أن ترافق دفن الإنسان والحيوان والنار معاً. هكذا إذن نقل الإنسان مقدساته الثلاثة إلى عالم ما بعد الموت لإنقاذ هيتها من العبث والضياع، وربما كان في هذا الإجراء بذرة لنشوء عقائد ما بعد الموت واعتقاد الإنسان بوجود حياة أخرى لجسده أو روحه أو لهما معاً، إن ظهور المدافن وطبيعة محتوياتها تفتح الآفاق عريضة لتناول عقائد ما بعد الموت في حياة إنسان النياندرتال خصوصاً أن مدافن النياندرتال كانت تنطق بدلالات هامة. فالجسد البشري يوضع في وضعيات الجثو، أو يحمي رأسه بألواح حجرية، أو يتوسد الذراع اليمنى وتحت رأسه لكونه من شظايا الصوان، أو يوجّه رأسه نحو الشرق.

لقد دفن الإنسان معه مقدسه كي يحميه بعد الموت أيضاً، ويكون بجانبه يخفف عنه أثر الموت والزوال، وقد وجد في بعض القبور الإنسان مع حفر مليئة بالرماد دلالة على دفن النار معه أيضاً، وهناك من دفن وقرب يده مقبض فأس حجرية.

إن كل هذه المدفونات الأخرى مع الإنسان (النار، الحيوان، الفأس ماذا يعني سوى اعتقاد الإنسان باستمرار حياته بعد الموت وضمان مكانته وحمايتها من قبل هذه المقدسات التي اكتشفها بنفسه في الحياة.

لقد رأى إنسان النياندرتال أن الرأس هو مقر قوة وروح الفرد، وأنه ربما إذا تناول دماغه فإن هذه القوة أو الروح تنتقل له.

«إن التفكير بالموت لم يأخذ بعداً شمولياً ميتافيزيقياً، ولذا من الطبيعي أن يتجه تفكيره في ظل إمكانياته العقلية المحدودة، إلى أن الموت ليس إلا نتيجة لهجوم قوى معينة لا يمكن رؤيتها، وبذلك انصبّ تفكير الإنسان في تلك المرحلة من تطوّر الفكري على سبب موت شخص معين بالذات بدلاً من التفكير بسبب الموت ذاته» (حنون 1968: 32).

النياندرتال المشرقيّ في شمال العراق وفي قصر عقيل في بيروت يبدي تطوّرًا نوعياً في ما يتركه من آثار دالة على صلته بالعالم الآخر حيث «يتطوّر النياندرتال المشرقيّ أكثر في صلته بالموت ففي موقع شانيدر العراقي نراه مدفوناً وسط الزهور والبذور واللقاحات النباتية. وقد أرجع العلماء هذه اللقاحات إلى ثمانية أنواع نباتية على الأقل وهي (الأفيليا أو الخزنبل، البابونج، القنطريون أو العطرب، الزنبق، أو السوس، الايفيدرا أو عنب البحر، الخبازيات، نوعان مجهولان إلى الان» (كورهان 1969: 274 - 275).

بالإضافة للمظهر الطقسيّ الذي يبدو دفن الإنسان وسط الزهور الكثيرة ظهر لنا أنها ذات طبيعة علاجية ودوائية واضحة، وربما يكون الإنسان قد تركها مع الميت ظناً منه أنها توفر له علاجاً ناجحاً بعد الموت خصوصاً أن النياندرتال شانيدر كان مريضاً ومسنناً.

إن ظهور عناصر جديدة ذات طبيعة عقائدية دينية في مدافن وقبور النياندرتال مثل الدفن باتجاه الشرق وما له علاقة في هذا بالشمس وشروقها وتمثل حركتها، والعثور على حصة بيضاوية محززة بإثني عشر جزءاً كنوع من التقويم القمريّ في شمال وادي الرافدين، ونضيف لها طقس الأزهار، كل هذه العوامل الجديدة تدل على تفتح المشاعر الدينية للإنسان باتجاه تكوّن روحي وديني جديد للبالوليت الأوسط.

«أدى تطوّر البنية الدماغية لديهم إلى وعي ظاهرة الموت؛ لا بل أضحى مشهد موت إنسان يُدهشهم، عبر انتقاله المفاجئ من كائن مدرك وواعٍ، دافئ وممتلئ بالحيوية، إلى جثة ساكنة وباردة وشاحبة وقابلة للتعفن، مما أصابهم بالصدمة الأولى؛ وهذا ما دفعهم إلى مواراة الجثة في التراب، وإجراء الدفن المتعمّد والإرادي، لأول مرة في تاريخ الوجود البشريّ. وقد بدا أن التطوّر الروحيّ الذي بلغه إنسان النياندرتال تجاوَزَ ما بلغه في الحياة الاقتصادية». (محيسن 1991).

الإنسان العاقل الحفريّ H. sapiens archaic الذي أنتج الثقافة العظيرية Aterian، كانت له عبادته من خلال الدفن، فقد عثر في موقع مجاور ل (سخول) في جبل القفزة قرب مدينة الناصرة الفلسطينية على جثتين في خندق، صنفهما علماء الآثار على أنهما من جنس (بروتو - كرو - مانيون (Proto - Cro - Mangnons)، وهما من نوع الإنسان العاقل الحفريّ، وكانت الجثة الأولى لامرأة في العشرين من عمرها موضوعة على الجانب الأيسر بوضع الجنين في البطن، والثانية لطفل بالوضعيّة ذاتها عمره ست سنوات، ووضع حولهما وفوقهما خضاب المغرة الأحمر كجزء من طقس جنازتيّ.

«إن مؤشرات عديدة تدفع إلى التفكير بأن طريقة الدفن كانت تعبر عن الإيمان بحياة بعد الموت، أي، بعبارة أخرى، الإيمان بعالم غير مريّ، ينتقل إليه الموتى، ويواصلون فيه وجودهم. إن وضعيّة اللتواء الجنيني - وهي الوضعيّة التي نعاينها في كل المقابر القديمة، في العالم كله -

تعني، حسب الفرضية الأكثر رجحاناً، أن الموت قد اعتبر ولادةً جديدةً، وبالطريقة نفسها، نرى أن الرؤوس قد وضعت، في الغالب، متجهة نحو مشرق الشمس، فالجسد لم يطرح جانباً، ليترك وحيداً، لقد صاحبت البشرية فكرة طرح أمتعته الشخصية إلى جانبه، وما فتئت هذه الأمتعة تزداد تعقيداً، فهل كان المقصود منها مساعدة الجسد المدفون بهذه الرحلة الكبرى، نحو العالم الآخر، أم كان المقصود منها تعهده، كي لا يعود إلى عالم الأحياء ويزعج بشبهه الناس؟ من الممكن الجمع بين الفرضيتين، وهما يؤولان إلى شيء واحد هو الإيمان بخلود النفس» (لونوار 2012: 18). في المقابل هناك مَنْ يعتبر أن مواقع الدفن التي تعود إلى منتصف الباليوليت الأوسط هي من أقدم الممارسات الشعائرية الإسكاتولوجية، وأن ظهور القرابين الحيوانية قرب مواقع الدفن يشير إلى وجود شعائر التقدّمات والأضاحي لأرواح الموتى.

3. تقديس الحيوان (الحيوانية Animalisme)

«النزعة الحيوانية Animalism هي العلاقات الوثيقة بين الحيوانات والبشر، والأهمية العالية للعالم الحيواني حتى خارج وما وراء العوالم الطبيعية. إن وجهة النظر «الحيوانية» تُجسّد وتطوّر بطرق تختلف اختلافاً كبيراً في تفاصيلها غالباً. لذلك نجد غالباً مفهوم الحيوان بوصفه روحاً حارسة وأنا أعلى Alter Ego وفكرة أن الشكلين البشري والحيواني يمكن تبادلهما بسهولة، وفكرة وجود كائن أعلى يعتقد أنه يمتلك شكلاً حيوانياً أو أنه قادر على تغيير الأشكال أو دمجها، والذي يعتبر بمثابة رب الحيوانات والصيادين وأراضي الصيد، بالإضافة إلى كونه رباً لأرواح الطرائد وأرواح الغابة. هذه الكائنات العليا ذات الشكل الحيواني هي غالباً أسلاف لجماعات وأبطال ثقافيين، وتظهر أيضاً كوسطاء وأقانيم وتشخيصات لإله أعلى. باختصار، إن النزعة الحيوانية هي تمظهر موجود وسائد على نطاق واسع، وينبغي النظر إليه مع ذلك، بوصفه إطاراً أدنى أو هامشياً للدين، مختلطاً في كثير من الأحيان بعناصر أخرى بما فيها العناصر السحرية». (نار 2007: 273).

لم يكن الإنسان في الباليوليت الأسفل يتفرّج على الحيوان، بل كان يصطاده لأغراض غذائية محضة أو خوفاً من أن يفترسه، لكن تطوّر الإنسان ومو ملكاته الروحية والنفسية جعله يتطلع برهبة وخوف وربما بقصدية إلى هذه الحيوانات التي هاله تنوعها وظهورها الدائم معه في هذا العالم اللامتناهي ومنافستها له في الحصول على الغذاء بل وشراستها وقوتها التي لمح فيها تحشّد القوة وتمركزها.

«فأعمال الجيولوجيا ومعطيات الدببة في المغاور تكفي لتفسير المستودعات الشعائرية. أما بالنسبة لكثافة الدلائل لمستودعات العظام التي لا مجال للشك في هدفها الشعائري، فإن ثمة موازيات موجودة لدى صيادي القطب الشمالي المعاصرين. فالمستودع في ذاته ليس سوى تعبير عن قصيدة سحرية - دينية، وأن المعاني الخاصة لهذا التصرف تبدو مقبولة لدينا بفضل معلومات تواصلت من قبل أعضاء المجتمعات المتتالية. فيعرف حسب الظرف، ما إذا كانت الجماجم والعظام الطويلة تمثل تقدّمات لكائن أعلى أو لرب الوحوش الكاسرة، أو أنها على العكس قد حفظت بأمل أن تغدو مكسوة باللحم. وحتى إن هذه العقيدة الأخيرة هي قابلة لتفسيرات مختلفة: فالحيوان سيعاود الولادة بفضل رب الوحوش الكاسرة، أو بفضل الروح المستكنة في العظام، أو أخيراً بفضل العمل الذي أمّن فيه الصائد (قبراً). (لكي يجنب العظام مغبة افتراسها من قبل الكلاب).» (إلياد 2006: 28 - 29).

وكانت الحيوانات بين بعيدة عنه وقريبة منه، فهي بحكم وحشيتها وشراستها وأحياناً ضخامة

حجمها بعيدة عنه، فإذا ما نالها واصطادها أصبحت قريبة منه، ومن هذا الجدل، البعد والقرب، نشأ إحساس ديني جديد إزاء الحيوان، لقد اقترب الإنسان من المقدس الأول (النار) وروّضه وكان في تدجين الإنسان للنار طريقاً لعبادتها، صحيح أنّ الإنسان لم يدجن الحيوان ولكنه اقترب منه واصطاده.



جمجمة دب وجدت في كهف للنياندرتال

إن صيد الحيوان وأكل لحمه دينياً يحيلنا إلى فكرة مهمة وهي أن الإنسان بعد أن كان يرى في (المقدس) بعيداً أصبح يرى فيه جزءاً من جسده، خصوصاً إذا ارتبط الحيوان بالنار في طقوس افتراضية مشحونة بالترقب والتأمل. وقد نجد في ذلك تفسيراً منطقيّاً في الديانات الطوطميّة التي كانت في الحيوان المقدس مبدأ جمع شمل القبيلة وأن افتراضه في طقوس دينيّة جماعيّة كان يعني توزّع هذا المقدس/الحرام على أبناء القبيلة، حيث يقوم بجمعها في صفة واحدة وقوية (فرويد 1993).

لم يكن الإنسان في الباليوليت الأسفل يتفرّج على الحيوان، بل كان يصطاده لأغراض غذائيّة محضة أو خوفاً من أن يفترسه... لكن تطوّر الإنسان ومو ملكاته الروحيّة والنفسيّة جعلاه يتطلّع برهبة وخوف وربما بقدسية إلى هذا الحيوانات التي هاله تنوعها وظهورها الدائم معه في هذا العالم اللامتناهي ومنافستها له في الحصول على الغذاء بل وشراستها وقوتها التي لمح فيها تحشّد القوة ومركزها.

وكانت الحيوانات بين بعيدة عنه وقريبة منه، فهي بحكم وحشيتها وشراستها وأحياناً ضخامة حجمها بعيدة عنه، فإذا ما نالها واصطادها أصبحت قريبة منه، ومن هذا الجدل، البعد والقرب، نشأ إحساس ديني جديد إزاء الحيوان، لقد اقترب الإنسان من المقدس الأول (النار) وروّضه وكان في تدجين الإنسان للنار طريقاً لعبادتها، صحيح أنّ الإنسان لم يدجن الحيوان ولكنه اقترب منه واصطاده.

ولا يقتصر الأمر على الدب فهناك الثور والجاموس والمماوث وغيرها... وهناك آثار كثيرة تدلّ على عبادة هذه الحيوانات التي وجد فيها الإنسان النياندرتالي قوة المقدس وهي تتحرّك فيها نشطة وتبعث على الرهبة.

ويرى رينيه جيرار أن طقس التضحية والقربان كان وسيلة لتجنب العنف، لأن مصدر العنف وموضوعه هو الإنسان لذلك نرى بأن القربان يقف بين الإنسان والعنف الموجه لإنسان آخر، وبذلك يحول مجرى العنف إلى القربان الحيواني. (أنظر جيرار 1992).

لم تكن الحيوانات مقدّسة ورفيقة لمسيرة الإنسان في الحياة فقط بل رافقته في موته فقد

حفلت مقابر الباليوليت الأوسط بالعظام واللقي الحيوانية «إن المعنى المحدد لهذه اللقى غير واضح، مرة أخرى ربما كانت مجرد قرابين تركز على الأجزاء الهامة من الأضحية، وربما كان الصيادون النياندرتاليون، مثل أولئك الذين ينتمون إلى عهد لاحق، يدفنون العظام لكي يضمنوا بقاء الحيوانات وأنواعها. هذه النظرية قد تفسر السبب في أن أجزاء من الجمجمة وعظام الظهر والعظام الطويلة للثور كانت توضع تحت حجر كبير عند مدخل الكهف المذكور أعلاه في لاشابل. إن ما يمكن قوله بشكل عام هو أن إناس العصر الباليوليتي الأوسط كانوا مهتمين بظاهرة الموت والوجود في عالم آخر. كما أن بعض ممارساتهم، مثل طقوس الدفن، لا تشف عن معنى دينوي، بل تنم عن التزام ببعض التقاليد الملزمة». (نار2007: 268).

4. دائرة السحر

كانت عبادة الطبيعة تعني، ضمناً، اعتقاد الإنسان بأن كل ما في الطبيعة حي، لكن مفهوم الروح كان في بدايته ولم ينضج بعد، فموجودات الطبيعة حية بفعل روح تحركها. فالحيوانات تتحرك والنباتات والرياح والنجوم والشمس والماء وكل شيء، وهذا يمهّد الإنسان لفكرة أن السحر يمكن أن يكون وسيلة للسيطرة على هذه الموجودات، فيما كان الشعور بالخوف منها ينضج شعوره الديني.

ظهرت بصمات الكفوف، لأول مرة، في الباليوليت الأوسط ثم انتشرت بطريقة أوسع في الباليوليت الأعلى، وكانت هناك تفسيرات مختلفة لوجود مثل هذه الظاهرة أغلبها تفسيرات دينية فهي إما إشارات توضع عند مداخل الكهوف لتكون دالة على الكهف كمكان ديني أو كمعبد بدائي، أو أنها تشير لطقس العبور أو التنشئة التي تنقل الصبيان إلى مرحلة البلوغ، وربما كانت مفاتيح وعلامات دالة على الدخول إلى عالم الأرواح والتي ينفذها رجال سحرة من نمط الشامان لقدرتهم على التعامل مع هذا العالم، وخطر في بالنا، أيضاً، أن تكون تعاويذ سحرية لدرء الحسد كما ورثناه، شعبياً، عن هذا التقليد.

كان لآلاف السنوات التي استغرقتها مرحلة الباليوليت الأوسط وشغل أغلبها إنسان النياندرتال والإنسان العاقل الحفري أهمية كبرى في ظهور أول إحساس بشري بأهمية جثته وروحه، فبعد أن قامت النار بتحريك النوازع السحرية الأولى باعتبارها (المقدس الأول)، انفتحت أحاسيس الإنسان ومشاعره باتجاه تشكيل أعلى. ويمكننا أن نسميها العبادة وليس الدين باعتبار أن الدين ما زال في بدايات ظهوراته الأولى فقد «كان الدين في بدايته معتقداً بسيطاً تتركز حوله مجموعة من الطقوس والأساطير الخاصة بجماعة معينة من الناس - عشيرة أو قبيلة أو شريحة اجتماعية - مثل هذا الشكل المحدود للحياة الدينية يُدعى عادة بالعبادة - cult - ويتطابق مفهوم الدين مع مفهوم العبادة لدى جماعة صغيرة شبه منعزلة، فإذا اجتمع لشعب من الشعوب عدد من العبادات المتقاربة، والتي تختص كل منها بجماعة من جماعاته اسمينا شكل الحياة الدينية هنا ديناً، واسمينا الشكل الفرعي عبادة». (السواح 1994: 88).

المبحث الرابع مظاهر السحر والدين في الباليوليت الأعلى في المشرق

الأسس الجوهرية التي قام عليها الدين الباليوليتي في مختلف مراحلها تجلت فيه صورة (المقدس) في انتقالات متساوقة من النار إلى الحيوان، إلى شعائر الفن الكهوفي ونحت الدمى الأثوية. وإذا كان (المقدس الباليوليتي) في بداية أمره هارباً متجلباً في نيران الغابات والبراكين فإنه أصبح يقترب من الإنسان واستطاع الإنسان أن يتحسس وجوده في نار الكهوف والنار التي كان يحوزها سيد القوم أو الشامان، الذي بدا وكأنه الساحر والعراف والنبي والطبيب والحاكم لأنه كان قادراً على حيازة النار وإضرارها والسيطرة عليها واقترب المقدس أكثر من الإنسان عندما تجلى في الحيوان واستطاع الإنسان اصطیاده وحشد جسده به عن طريق الافتراس الطقوسي لسيد الحيوانات الذي كان أول شعيرة طوطمية.

وفي مرحلة لاحقة أصبح الإنسان بإمكانه أن يشكل المقدس بيديه، وأن يعيد إنتاجه عن طريق الرسم، أو النحت، وهكذا أصبح المقدس مصنوعاً منتجاً من قبل الإنسان، دالاً على عقيدة داخلية أكثر من أن يكون دالاً على وجود خارجي متوتر أو مشحون بالقوة كما كانت عليه النار، أو الحيوان الفحل.

لكن التوتر أو الشحنة المقدسة ظلت باقية في رسومه ومنحوتاته وظل الجذر الحيواني ملاحقاً لها. ولذلك لاحظنا أن جداريات الكهوف ومنحوتاتها تضمنت هذا التوتر المقدس، وتسربت لها الشحنة الحيوانية، أما الجديد في الأمر فهو تعبيرها عن معتقد داخلي استعان بالشكل الخارجي، ولكن مهيمنات الداخل ظلت هي الأساس.

إن فكرة سيد الحيوانات أو لورد الحيوانات أعطتنا في وقت من الأوقات فكرة عن الصلة المقدسة للإنسان بالحيوان، فهي ليست صلة تأليه، أو عبادة بالمعنى المعروف بل هي صلة سحرية، فالحيوان الماستر، أو العظيم من نوع حيواني معين، والذي كان الإنسان ينظر بخشوع وخوف وهيبة يشير لكل ذلك النوع، وفي إقامة الصلة مع نموذج واحد منه يتولد الإحساس عند الإنسان بإقامة صلة مع النوع كله. وهذا مبدأ سحري كما نرى بالقانون السحري الأول الذي هو (قانون التشابه) يقضي بأن الشبيه ينتج الشبيه أو أن المعلول يشبه علتها، وأن باستطاعة الساحر تحقيق الأهداف والنتائج التي يريدها عن طريق محاكاتها أو تقليدها، ولا شك في أن الشكل البدائي لهذا القانون كان يقضي أن الإنسان عندما يسيطر على نموذج متميز من نوع حيواني فهو إنما كان يسيطر على ذلك النوع بأكمله. وقد فسّر بعض الباحثين فكرة سيد الحيوانات على أساس أفلاطوني أو يونغوي، كما فعل ذلك جوزيف كامبل في (أفئعة الله) وفراس السواح في (دين الإنسان)، لكننا نجد أن التفسير السحري هو الأدق.

1. الشامانية Shamanism

دين بدائي، تعمم استخدام مصطلحه على الأديان السحرية البدائية والمقابل تاريخية، وقد ظهر في الباليوليت الأعلى، كما ترجح ذلك أغلب التقديرات.

كلمة الشامان والشامانية جاءت من أديان وسط وشمالي آسيا وقد يكون موطن الشامانية بشكلها النقي سايبيريا وآسيا الوسطى (وخصوصاً من قبائل التونغوز) ويتميز بالاعتقاد بوجود عالم لامرئي هو عالم الأرواح والشياطين وأشباح الأجداد. وهو عالم لا يستجيب إلا للشامان الذي

يستخدم السحر لمعالجة المرضى ولكشف المستور ومعرفة ما سيحدث. يقول (ميشال بيران) إن كلمة شامان أصلها «صامان» وهي كلمة من لغة التونغوز المسماة أيضاً إيفنك، وهي عرق من الجماعة اللغوية المونغولية المنتشرة في سيبيريا الشرقية إلى حدود الصين، والكلمة مشتقة من «صا» أي المعرفة.

وقد لعب الشامان دوراً أساسياً في (طقوس التنشئة أو طقوس وشعائر العبور)، حيث يخضع فيها الصبيان الذين يصلون إلى عتبة الشباب إلى طقوس وشعائر قاسية يقوم بها الشامانات ويشرفون عليها. ولا شك في أن الباليوليت الأعلى شهد ظهور (الرقص المقنع) الذي كان يقوم به الشامان أيضاً ومعه شامانات آخرون أقل منه مرتبة يتقمص فيه دور (سيد الحيوانات) ويلبس جزئه أو مجمته ويؤدي حركات تدل عليه.

كان ظهور الشامان في هذا العصر حاسماً في العبادة السحرية، وقد ارتبطت به طقوس ومثولوجيات كثيرة. ومن الممكن أنه كان يقود عمليّات الدفن الشعائري، ويوحي بالرحلة إلى العالم الآخر. وقد يأتي هذا كله ليس بسبب التقمص السحري للشامان بل بسبب القوى البراسايكولوجية التي يمتلكها رجال كانوا المؤهلين لأن يكونوا (شامان) عصورهم، ولذلك لا نستبعد أن يكون مثل هؤلاء الرجال قد تمثلوا القوى الخارقة واستعملوها باتجاهين: نافع أو مؤذ. ومن هنا لا نستطيع في هذه المراحل التمييز بين السحر والبراسايكولوجيا لأنهما ينطلقان من بداية ظهورهما من أصل واحد، فلم يكن الساحر كذاباً أو مشعوذاً، بل كان يملك قدرات حقيقية في التأثير والإخضاع والحصول على النتائج التي يريدها.

طقوس الشامان تتضمّن نوعاً من الوجد الصوفي والدروشة، كي تتاح فرصة الاتصال بالأرواح وكان يستخدم التبغ ولفافاته لهذا الغرض أيضاً وقرع الطبال أو العربة التي يقودها للسفر، والأصوات والأغاني الطقوسية التي تحقّق غرض تواصله مع العالم اللامرئي. والشامانية موجودة بأشكال عدّة في العالم، مثل وسط آسيا بالإضافة إلى السكان الأصليين للأميركتين والذين يبدون من أصول وسط آسيوية وحتى في الديانات المعاصرة كالشنتو.

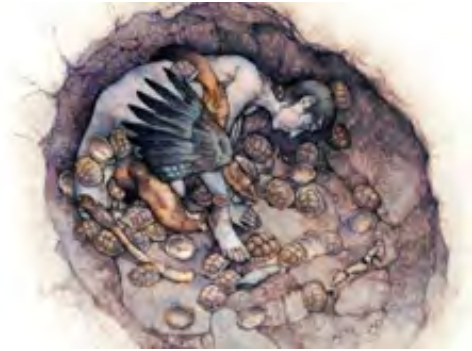
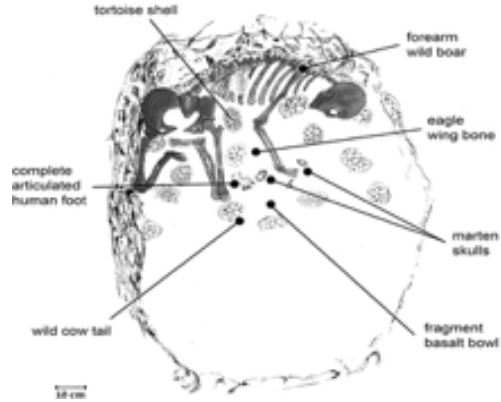
الشامان سحرة دينيون يحملون قوى فائقة تواجه النار وتتصل بالموتق وتستدعي الأرواح عن طريق جلسات تحضير الأرواح.

«ثمة أمر يكاد يكون ثابتاً هو أن رجال العصر الحجري، على مدى عشرات الآلاف من السنين، كانت تغذيهم مشاعر دينية شديدة التشابه مهما اختلفت المناطق التي كانوا يعيشون فيها. لا يتعلّق الأمر، دون شك، بديانة بالمعنى الذي نعرفه اليوم، فلم تكن توجد طقوس ولا أساطير ولا معتقد رسمي، بل وجدت مجموعة من المعتقدات قائمة على جذع مشترك: خلود النفس، ووجود أرواح (طبيعية)، وعلل غيبية للأحداث الطبيعية، وإمكانية التواصل، مع هذه القوى، تواصلت تستقر به الأمور في دنيا البشر. هذه السمات المشتركة هي التي تكوّن ما يدعى بالديانات الشمانية أو المبكرة، سواء في أفريقيا أو في أستراليا أو في أميركا أو في سيبيريا، وقد تطوّرت هذه الديانات، منزلة نسبياً، عن بعضها البعض، بل ربما كانت منفصلة تماماً عن بعضها البعض، لكنها نمت علاقة واحدة بالغيب ورؤية واحدة للعالم الآخر، واعتبر هذا العالم منبثقاً من الطبيعة، متألّفاً معها». (لونوار 2012: 24).

خضع النطوفيون في جنوب بلاد الشام (حوالي 15000 - 11000) ق.م. لتغيرات اجتماعية واقتصادية واضحة مرتبطة ببداية التحوّل من نمط حياة الصيد والرعي إلى الزراعة. كشفت الحفريات التي أجريت في موقع الكهوف النطوفية، وهي كهف هيلازون تاشيتيت في فلسطين، الذي يبلغ عمره 12.000 عاماً، عن قبر يوفر فرصة نادرة للتحقيق في التحوّلات الفكرية التي يجب أن تكون قد رافقت هذه التغيرات الاجتماعية والاقتصادية. وقد تمّ تشييد القبر وترتيبه

على وجه التحديد لامرأة صغيرة ومسننة ومعوقة، كان مصحوباً بمظاهر استثنائية مهمة. شملت 50 قشرة من دروع السلاحف الكاملة وأجزاء من جسد وعظام خنزير بري، نسر، بقرة، نمر، واثنين من حيوان الدلق، بالإضافة إلى قدم بشرية كاملة. وتكشف طقوس الاحتفال والطريقة المستخدمة لبناء وختم القبر أن هذا هو دفن لشامان أنثى، وهو واحد من أقدم ما عُرف من السجل الآثاري. وقد أصبح العديد من سمات هذا الدفن، فيما بعد، مركزية في المجالات الروحية للثقافات الإنسانية في جميع أنحاء العالم. (Grosman et al 2008: Abstract).

الدفن في كهف هيلازون تاشيت 12000 ق.م. في فلسطين
 دفن فيه 29 شخصاً، وهم من الثقافة النطوفية.
 وكان هذا القبر المتفرد، من هذه القبور، لإمرأة شامانية
 ساحرة مع وليمة قبل دفنها.
<http://www.pnas.org/content/105/46/17665>



إعادة رسم توضيحية للشكل الآثاري السابق
<https://www.ancient-origins.net/ancient-places-asia/first-feast-burial-hilazon-tachtit-cave-site-002095>

إن الشامانية (Shamanism) هي عقيدة طقوسية سحرية تتمظهر في جميع أشكال الديانات السحرية (الفتيشية، والأرواحية، والطوطمية) ويكون محورها شخصية الشامان نفسه. وقد شهدت هذه العقيدة تطوراً ملحوظاً منذ الباليوليت الأسفل، حيث كان الشامان يقوم بدور البرومثيوسي المرتبط بجلب النار والرؤى الشامانية المقدسة. ثم تطور دور الشامان في تقليد سيد الحيوانات في الباليوليت الأوسط ثم تطور في لوحات الكهوف في شكل شامان الصيد الأعظم، حيث كان يظهر بعض الرجال المؤثرين في لوحات الكهوف وهم يرقصون، أو يرمون الحيوانات بالسهام، ولا شك في أن هؤلاء كانوا هم كهنة ورجال دين الباليوليت وكانت توكل إليهم مهام عديدة.

وكانت علاقة الشامان بالحيوانات فريدة من نوعها حيث كان يتواصل معها بطريقة عميقة

للغاية «وكذلك وصفت بعلاقة مع الشامانية الرسوم المسماة (بأشعة X)، أي مظهرة الهيكل العظمي والأعضاء الداخلية للحيوان. هذه الرسوم المثبتة في فرنسا خلال الفترة الماجادالينية (6000 - 13000 Le mag dalan ق.م وفي النروج بين (6000 - 2000 ق.م وتوجد في سيبيريا الشرقية لدى الأسكيمو وفي أميركا لدى الأودجيبوا Ojibwa)، وكذلك أيضاً في الهند وماليزيا وفي غينيا الجديدة وأستراليا في الشمال الغربي. أنه فن مميّز لثقافات الصيادين، ولكن الأيديولوجيا الدينيّة التي تخمره إنما هي شامانية. وفي الواقع لا يوجد سوى (الشامان) الذي بفضل رؤاه الما فوق الطبيعة، مؤهل (لرؤية هيكله العظمي الخاص). وبعبارات أخرى، أنه مؤهل لأن يخترق برؤاه حتى منبع الحياة الحيوانية، والعنصر العظمي. وإن تعلّق هذا بتجربة أساسية لنوع من (الصوفية)، قد ثبت أمره بين أمور غيرها، بواقع متوفر أيضاً في البوذية التيبتيّة». (إلياد2006: 33).

نواة الدين: الخوف والسحر

اكتنرت نواة الدين أكثر داخل دائرة السحر وأصبحت تتفاعل بقوة مع ما يرشح من السحر من ممارسات ومفاهيم، وأصبح التماهي بين الدين والسحر واضحاً وكانت فكرة الأرواح في طريقها للظهور كي تشكل المقدمة البدائية لظهور فكرة الإله بمعناه المعروف. «شعوب الصيد والجنّي التي ما زالت تعيش بيننا. (تمثل الشامانية أحد أكبر الانساق التي تصوّرتها العقول البشرية، بمعزل عن بعضها البعض، في مناطق عديدة من العالم، واعتمدها وسيلة لمنح المعنى للأحداث والتصرّف فيها) هكذا كتب عالم الأجناس المعاصر، ميشال بيران M. Perrin الذي سخرّ أهم بحوثه للشعوب الصغيرة المعزولة في أمازونيا، وقد شاركها حياتها لفترات طويلة. فمن الأكثر معقولة أن يكون الشعور الدينيّ قد تطوّر لدى الإنسان، لينشأ عنه الدين لاحقاً، وإن تطوّر ذلك الشعور كان ردّ فعل غريزيّاً على العالم المحيط بالإنسان، وجواباً يرتكز على مفاهيم الأرواح التي كان يقيم معها علاقات مبادلة (أخذ منك هذا الحيوان لغذائيّ وأسلمك مقابله شيئاً من قوتي الحيوية كي تتغذى بها)، من دون مفاهيم الألوهية التي ستتحول لديها هذه المبادلات إلى عطايا وقربان وأضاح تقدّم إلى الإله، على أمل الحصول منه على هدية، أو ما يتعلق بالثروة أو الصحة. « (لونوار 2012: 29 - 28).

إن اغتناء وتراكم النواة الدينيّة كانت من أهم ملامح هذا العصر وهي بذلك تغتني من تجربة السحر الذي وصل إلى ذروته على يد شامانات الباليوليت الأعلى. «لقد مُنح المقدّس الأصليّ، بعد هذه المراكمة خصائص سحرية، وبذلك بدأت تنشأ على وجه التأكيد الطقوس البدائية الأولى حول هذه الأشكال الحجريّة وأمام الرسوم الصخريّة، ولم يبدأ الإنسان، آنذاك، يجسّد الآلهة، لكنه كان يسعى إلى التلطيف من غضب أرواح لا تحمل أسماء، ولم يتخذ الإنسان، آنذاك، آلهة ولا رجال دين لخدمتها، لأنه كان يعيش في عالم خالٍ من كل هرمية، يشعر فيه الجميع بالمساواة بين بعضهم البعض، وبالمساواة بين البشر والحيوان». (لونوار 2012: 31).

«ليس (المقدّس الأصليّ)، وقد أطلق عليه البعض (ساحة تاريخ الأديان)، شيئاً يمكن أن يعبر عنه أو يلقّن أو ينقل في قالب مفاهيم. بل هو يتجسّد في تجربة تمنح ما يُسمّى ب(الشعور بوضع المخلوق) وهو الشعور النقيض لما كان يغمر أسلافنا من زهو، عندما يقتلون حيواناً أكبر حجماً منهم، لإطعام العشيرة. فالشعور المتزامن بالرهبة والانبهار معاً، أمام هذا الشيء الذي لا

يمكن تفسيره، هو الذي جعل الفرد يتجه إلى (مراكمة) المقدّس الأصلي، في مكان ما، كي يصبح قادراً على تملكه، وقيم حجارة ذات أشكال غريبة وألوان مخصوصة لتحفيز قواه. وأقدم ما وجد من هذا القبيل يعود إلى حوالي نصف مليون سنة، أي عهد الإنسان في العصر الحجريّ الأدنى (Paleolithique inferieur)، فقد أقيمت معابد طبيعيّة، مثل الرّكام الصخريّ الذي تعلوه حجارة في هيئة وجه بشريّ، وقد وجد في كهف بأسبانيا، أو حوالي الأربعين حجارة العمودية التي وجدت بالنقب، ويرجع عهدها إلى 40 ألف سنة، حسب ما يبدو من تاريخ بقايا الآلات والبيوت التي وضعت بجانبها». (لنوار 2012: 30).

الفصل الثاني :
الميزوليت /الإبيبالوليت في المشرق
ثقافات الميزوليت المشرقي
اليرموكية والخيامية والسلطانية والنطوفية والزرزية



النسر والعقرب والشخص مقطوع الرأس في جوبكلي تبه (الشخص الذي لا رأس له في أسفل اليمين)

الميزوليت /الإبباليوليت في المشرق ثقافات الميزوليت المشرقيّ اليرموكية والخيامية والسلطانية والنطوفية والزرزية

عدّد أوراننش ثلاث ثقافات كبرى في أعالي وادي الرافدين هي (الزرزية، النطوفية، الترابلية)، وهو تقسيم صحيح. أما طه باقر فقد حدّد الثقافات الرافدينية الشماليّة بأربع ثقافات محلية هي كما يلي: (أنظر باقر 1973: 183).

1. **الثقافة الزرزية:** نسبة إلى كهف زرزي في السليمانية. وقد وجدت أدواته الحجريّة الخاصة في أماكن عدّة في شمال العراق، بعضها كهوف وملاجئ جبلية، وبعضها على هيئة قرى ومستوطنات في الأرض المكشوفة، ومنها كهوف زرزي وباولي كورا وشانيدر B، وفيها ظهرت البوادر الأولى للزراعة التجريبية وتدجين الحيوانات.

2. **ثقافة زاوي - جمبي:** وفيها ظهرت أقدم قرية من نوعها في العالم وتقع قرية زاوي - جمبي على ضفة الزاب الأعلى، وتتألف بقايا السكنى فيها من جدران من الطين غير المنتظم. شيّدت على أسس من حجارة الحصى الكبيرة، ووجدت كذلك معالم أكواخ مستديرة. وهذه أول إشارة في التاريخ لوجود البيوت السكنية، وعثر فيها على مواد منزليّة بدائيّة كأحجار الدق، والسحق، والهاون، وأحجار الرحى التي كانت تستعمل البذور، والأثمار، وفيها تمّ تدجين الأغنام، ويضاهي تاريخها الزمن المقدّر للدور النطوفيّ الذي سنأتي عليه.

3. **ثقافة كريم شهر:** قرب جمجمال عثر فيه على أدوات زراعيّة مثل المناجل المصنوعة من نصال الصوان، والمعازق أو الفؤوس الحجريّة للحراثة وأحجار الرحى.

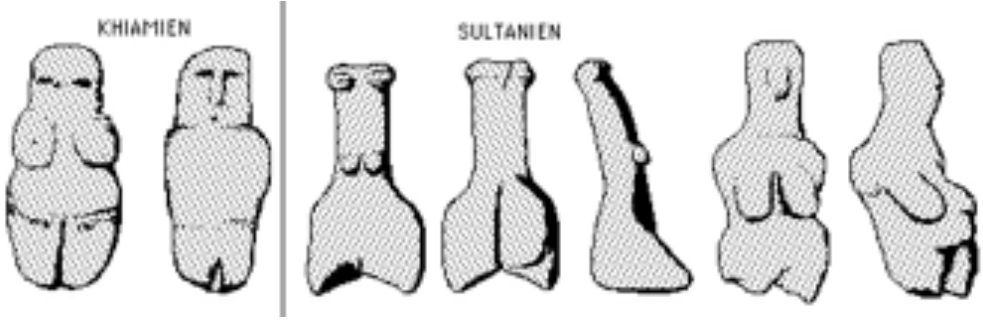
4. **ثقافة ملفعات وكردبي جاي:** تزداد يوماً بعد آخر أهميّة موقع ملفعات التي يرجّح أنها قبل جرمو كانت موقع الانقلاب النيوليتي، أو ترافعت معه وقد وجدت فيها قرية من بيوت محفورة في الأرض ذات جدران مدوّرة مشيّدّة بالحجارة غير المهندمة وذات تبايط من الحصى والحجارة.

ب. الثقافات الشامية

1. **الثقافة الكبارية:** نسبة إلى مغارة (كبارا) جنوب الجبال الفلسطينية وقد مثلته في الأردن وادي الحمة ووادي الحسا والحسمى الشماليّة ووادي المدمغ والخزانة ووادي جيلات. وتمتاز هذه الثقافة بصناعة الأدوات الصوانية، والمدبية، والمكاشط، والمخارز، والمستنات وتدجين الغزلان، والخنازير، والأرانب، والثعالب، والطيور.

2. **الثقافة النطوفية:** نسبة إلى (وادي النطوف) شمال غرب القدس في كهف اسمه شقبا، وتعتبر الثقافة النطوفية أعلى ذروة ميزوليتية. فقد استطاع الإنسان تعلّم الزراعة وتدجين الحيوان وصنع الفخار الساذج، وكذلك تطوير الديانات النطوفية بشكل واضح.

3. **الثقافة الخيامية:** نسبة إلى موقع الخيام وتميّزت بصناعة رؤوس السهام الخاصة بها وهي السهام المحززة وتطوّر تقنيات البناء. كانت الثقافة الخيامية هي ذروة الميزوليت الشرقيّ التي سبقت النيوليت.



أشكال منحوتة من الثقافتين الخيامية والسلطانية ونضيف إليها الثقافة السلطانية



رأس سهم مدبب من الثقافة
الخيامية

4. الثقافة السبيلية: وتركزت في منطقة حلوان في مصر.
5. الثقافة الإيرانية (في تبه سراپ) التي وجدت في كهف الحزم الذي يقع على السواحل الجنوبية لبحر قزوين وهي على العموم تشبه تلك التي وجدت في فلسطين والعراق.

الثقافة	زمنها التقريبي ق.م.	أهم ملامحها
الكبارية	20000 - 12000	الأدوات الحجرية الدقيقة (المايكروليثية) بأشكال هندسية واضحة مثل المثلث المنحرف والتي لها قبضة خشبية أو عظمية. أهم مواقعها مغارة كبارا في الطرف الغربي لجبل الكرمل.
الزرزية	12000 - 8000	مايكروليثية شظايا صغيرة الحجم كالللال والمعين والمثلث تصنع منها السهام، وتُستعمل لحصاد النباتات البرية.
النطوفية Natufian	12000 - 10000	نسبة إلى وادي النطوف شمال غرب القدس في فلسطين، استخدمته أول مرة الباحثة الانكليزية دوروثي غارود عام 1929 في مغارة شقبا في وادي النطوف، وانتشرت في كل المشرق القديم ودامت حتى الألف السادس ق.م.
الخيامية Khiamian	10200 - 10000	كانت أدواتها مشابهة لتلك الموجودة في النطوفية.. الأرض بشكل منهجي. الأسلحة الحجرية تغيرت: ظهرت رؤوس السهم، والتي تعكس أساليب جديدة للصيد. بالإضافة إلى ذلك، أصبحت تمثيلات الحيوانات النحتية أقل شيوعاً وحلت محلها شخصيات بشرية، خاصة الإناث. هذا النقل مهم للغاية. إنه يكشف عن تغيير في العقلية التي بدأت الاضطرابات الكبيرة في الفترات التالية وهو تدجين النباتات ثم الحيوانات.
السلطانية Sultanian	10000 - 9500	الزراعة البرية، لا تزال الحيوانات تُصطاد. في جنوب بلاد الشام، احتلت المجتمعات الزراعية بشكل رئيسي غور الأردن، وتم العثور على الصيادين المجمعين في الجبال والصحارى. ظهرت مبانٍ رباعية الزوايا إلى جانب المباني الدائرية.
الطاحونية	9500 - 8000	تمثل نيوليت ما قبل الفخار، وأهم مواقعها هو أبوغوش. الزراعة في بواكيرها الأولى في الشام.
اليرموكية	8000 - 7000	ظهرت في دلتا اليرموك ومثلتها مواقع مثل تل الإقحوانة، تماثيل مصنوعة من الطين والحجر لرؤوس نساء ودمى نسائية تشير إلى الإلهة الأم، والدمى الحيوانية ذات الصلة بالخصوبة.
السبيلية	18000 - 7000	نسبة إلى موقع السبيل في كوم اسبو حيث عثر عام 1923 من قبل فيجنارد على مجموعة من الأدوات الصوانية.

مظاهر السحر والدين في ميزوليت/ إيباليوليت المشرق

عقائد وعبادات فترة الأربعة آلاف سنة، والتي هي عمر الميزوليت، تقع بين مرحلتين الباليوليت والنيوليت. إنها خليط من الإثنين وهي خليط نوعي لأن فيها عناصر ستختيفيتدرجياً في ثقافة النيوليت.

ظهرت فيها نشاطات نوعية للشامان في صعود عقيدة الأرواحية ونشاط العقائد السحرية الأخرى وظهور دور المرأة فيها، ولا شك في أن العقائد أو الديانات السحرية ظهرت في معظمها أثناء الباليوليت إلا أن ممارستها كانت تزداد نشاطاً كلما اتجهنا نحو النيوليت، وقد شهد عصر الميزوايت نشاطاً سحرياً واسعاً بدأ بسبب بدء استقرار الإنسان في المستوطنات والقرى وحاجته للسيطرة التدريجية على عوامل الطبيعة عن طريق العلم الأول الذي هو السحر.

1. الأرواحية

الأرواحية (الانيمية) هي الاعتقاد بأن الأرواح تملأ العالم المحيط بالإنسان كله، وأنها يمكن أن تحل في أي شيء، جامد أو نباتي، أو حيواني، ولا بد من إقامة الطقوس للتعامل الحسن مع هذه الأرواح.

مصطلح الأرواحية هو من كلمة (أنيمزموس) التي وضعت من قبل العالم الألماني إدوارد بيرنت تايلور في حوالي 1720م، ثم دخل مصطلح الانيميزم في اللغة الانجليزية في عام 1819. وقد اتخذ المصطلح وتمت إعادة تعريفه من قبل ادوارد تايلور الأنثروبولوجي في كتابه الثقافة البدائية عام 1871، عرفه بـ«نظرية الحركة الكونية للطبيعة». بفضل تعريف تايلور له، ينظر الإحيائيون إلى العالم الطبيعي على أنه عالم حيوي. ويعتقد بأنه كان شائعاً عند الشعوب «البدائية» في عصور ما قبل التاريخ والتي هي مجتمعات صيد ورعي.

استخدم المصطلح من قبل العديد من علماء الأنثروبولوجيا، مثل إميل دوركايم، وكلود ليفي ستروس، وتيم أنجولد. ولكن بعض علماء الأنثروبولوجيا، مثل نوريت بيرت - ديفس قد انتقدوا مفهوم تايلور للأرواحية.

طور مارسيل موس استعمال المصطلح بطريقة خاصة وكان يرى «في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا بباريس. فقد لاحظ لدى الشعوب البدائية، مثل القبائل السيرية أو شعوب ترادجا في سيليب Toradj Celebes التي يذكرها بكثرة، وجود طقوس للهبنة تنظم بصفة ثابتة، هذه الطقوس تدعى (بوتلاتش Potlatch)، وهي تنظم المبادلات ذات الطبيعة الروحية بين الأفراد والقبائل والأرواح. تؤكد التقاليد أن المبادلة تثرى الثروة، لأنها تدفع المتقبل إلى أن يكون أكثر كرماً بدوره، لذلك كان المانحون يبذون الكثير من الكرم، فهم يدركون أنهم سيعاملون بالمثل، (فكل هبة لا بد أن تُرد إلا بما هو أعظم منها). هذه القاعدة لا تصح على الأفراد فحسب، وإنما تصح أيضاً على البشر وأرواح الطبيعة. « (لنوار 2012: 40).

«يقول موس إن أول الأطراف التي بدأ الإنسان التعامل معها والمبادلة، هي أرواح الطبيعة التي تمثل سلف الآلهة، فقد اعتبرها الإنسان المالك الحقيقي للأشياء والخيرات المنتشرة في العالم، واعتبر، تبعاً لذلك، أن أهم المعاملات وأكثرها فائدة هي تلك التي تحصل معها، لا سيما أن الإعراض عنها يتسبب له في العديد من المخاطر. ويقول «موس» أيضاً إن المعاملة مع تلك الأرواح كانت لدى الإنسان أكثر المعاملات يسراً، فالقرايين الموهوبة لا بد أن يتبعها فضل عظيم تمنحه الأرواح والآلهة للإنسان، كي لا تظهر بمظهر العاجز، ثم أن الهبة لا ترد، ورد الهبة أكبر إهانة، والإهانة لا تلحق الذي يمنح، ولكن الذي يرفض أن يقبل، فهذه القاعدة كانت تعتبر عامة تشمل المعاملات بين البشر والآلهة والأفراد والجماعات. « (لنوار 2012: 41 - 40).

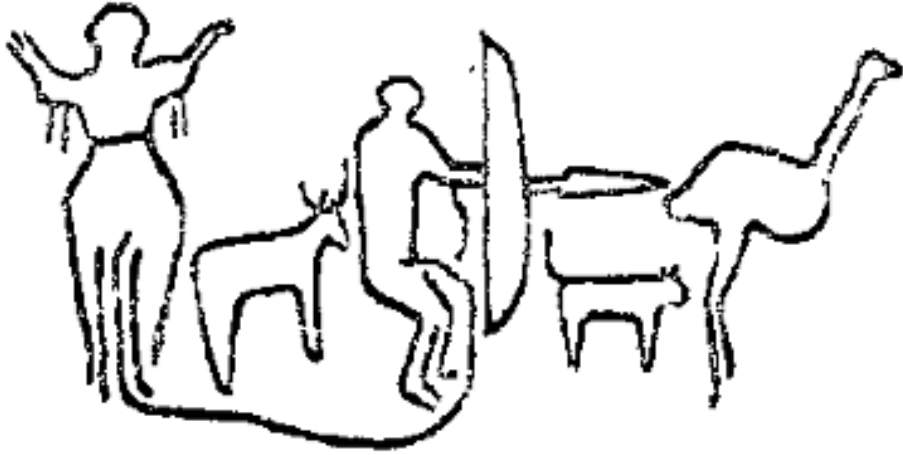
ولا شك في أن المعتقدات الشامانية التي أتينا على ذكرها في الباليوليت استمرت هنا وأصبح الأشخاص الخارقو القوة بإمكانهم الاتصال بالأرواح وتسخير هذه الأرواح لأعمال كثيرة كالصيد واستنزال المطر والشفاء من بعض الأمراض ومواجهة الكوارث وحل النزاعات، وربما أصبح الشامان في هذه الفترة الزعيم الديني، والاجتماعي للجماعة. ومن المعتقدات الشامانية ظهرت عبادة زعماء القبائل، الذين أضيفت عليهم صفات خارقة، ووجهت لهم طقوس ومراسم وشعائر زادت من قوتهم.

ولا نستبعد أن معتقدات عبادة الطبيعة وظواهرها كالشمس والقمر والنجوم والبرق والمطر وجدت في مثل هذا العصر، ولكنها لم ترتفع عن العبادة المباشرة لهذه الظواهر دون أن ترتقي

إلى مفهوم الألوهية.

وكتيجة للعبادات الشامانية والزعماء ظهرت مع الوقت عبادة الأجداد التي تنشأ عن التقديس أو الاحترام المبالغ به لأجداد القبيلة الأوائل ويأخذ هذا التقديس شكلاً صلباً كلما تقادم الوقت بسبب ازدياد التهويل والمبالغات والأساطير عن هؤلاء الأجداد ورغبة القبيلة في التماسك والتراصف حول مركز روحي لها.

وفي الممارسات السحرية يظهر دور المرأة استمراراً لبدء اكتشاف قواها الأنتوية التكاثرية الذي شهدناه في الباليوليت الأعلى، بعد أن كان السحر حكراً على الرجل، ويتجسد هذا الدور ويتعزز من خلال دور المرأة الجديد الذي حتم عليها البقاء في القرى لرعاية أبنائها، وعنايتها بالحبوب والبذور والفاكهة ودورها في تهيئة الطعام، وفي النقش على الحجر الذي يعود إلى نهايات الباليوليت وبدايات الميزوليت نرى مشهدين الأول للرجل وهو يطلق سهمه من قوسه على طرائده، والثاني للمرأة وهي تمارس طقساً سحرياً يمد الرجل بالقوة حيث تظهر المرأة رافعة ذراعها للأعلى لتطلق قوتها السحرية نحو الرجل عن طريق أعضائها الجنسية التي يربطها بأعضاء الرجل الجنسية خيط واضح، وتبدو المرأة في الشكل أكبر حجماً وأكثر هيمنة على المشهد. وهناك لوحات ميزوليتية مشابهة عثر عليها في قرية جاوه في الأردن.



ساحرة الميزوليت - شمال أفريقيا

2. الأسلافية

وهو تبجيل الأموات على أساس روحي والاعتقاد بأن المتوفي باقٍ بشكل ما ويؤثر على حظ ومصير العائلة والعشيرة، ولا بدّ من تقديم القرابين لأرواح الموتى. «كذلك نظنّ بأن عبادة الجماجم التي سنلمح امتدادها في ثقافة أريحا النيوليثية وجدت قبل ذلك في حضارة ازيلية أوروبية في أوفنت في بافاريا في مدافن وضعت في الأولى ست جماجم مقطوعة من جثتها، وفي الثانية (27) جمجمة جميعها مرتبة نحو جهة الغرب، ومغطاة بالصبغ الأحمر وفي بعض الجماجم لا تزال عظام العنق موجودة مما يدلّ على قطعها مع الرقبة» (الأحمد 1978: 117). سادت طقوس التضحية في الميزوليت وظهرت في أماكن عدّة فقد «اكتشف في المرقد الميزوليتيكي في (ستيلمور) إناء من خشب الصنوبر مع جمجمة غزال رنة موضوعة في القمة. وحسب رأي

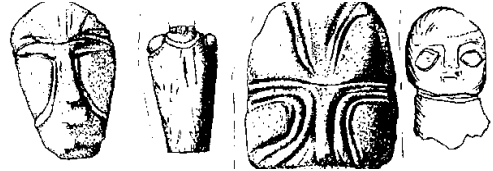
(مارينجر) فإن هذا الاناء الشعائري يدلّ على الأرجح على وجبات طعام شعائرية: كان لحم الرنة يؤكل، وكانت رؤوسها تُقدّم لكائن الهي. وغير بعيد عن (اهرنبورغ هو فنباخ)، في محطة نيوزيلتيكية تعود إلى 10.000 سنة ق.م. اكتشف (روست) في قاع المستنقع جذع شجرة صفصاف بطول 3.5 متر منحوتة بخشونة: ويُميّز فيها الرأس، وعنق متطاوّل وخطوط كبيرة مشققة، وهي حسب رأي الباحث. مكتشفها - تمثل الأيدي. وقد غرس هذا (التمثال) في المستنقع، إلا أنه لا يوجد حوله لا عظام ولا أشياء من أي نوع. إنه يتعلق بالتأكيد بصورة كائن مما فوق الطبيعة مما استحال تحديد بنيته بدقة». (إلياد 2006: 49).

3. الوثنية (التمثيل كتمائم)

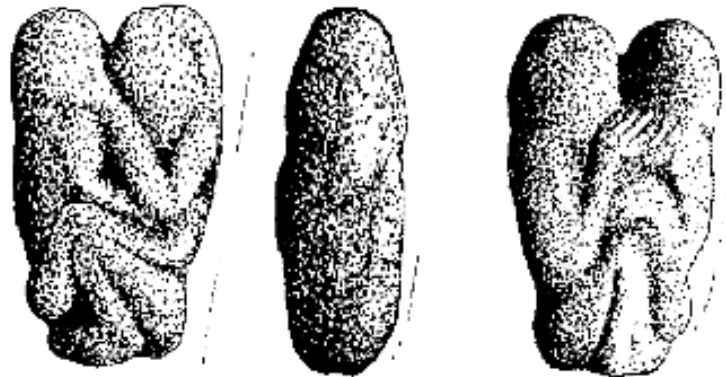
الدمى الحيوانية والبشرية: يعود النحت لأول مرّة بعد انقطاع طويل... وقد امتازات الثقافة النطوفية به في وقت مبكر فهناك تمثيل لحيوانات كالكلب أو الإيل والتي يظهر أن الإنسان قد دجنها في هذه المرحلة، وهناك أيضاً رأس الحيوان المنقوش على المنجل من الثقافة الكبارية. أما التماثيل البشرية فنجدها في أشكال شبه بشرية من عين الملاحه (وفي أشكال بشرية واضحة من عين مغارة الودّ وفي عيني ورأس الغزال، لكن التمثال الصغير ل (العاشقين من عين صخري شكل هو الأكثر إثارة وجمالاً وهو يدلّ على عبادة أو عقيدة الإنسان إزاء الجنس.



حيوانات طينية من المنحطة



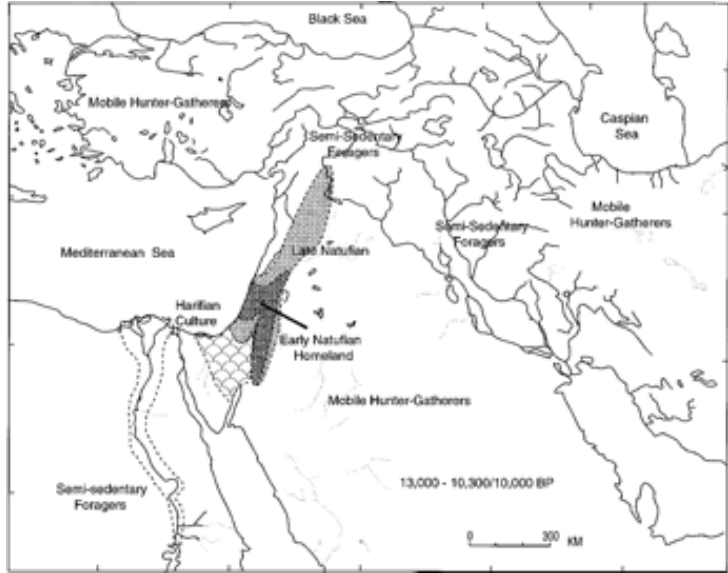
تماثيل نطوفية بشرية من عين الملاحه ومن مغارة الود



تمثال (العاشقين من عين صخري)

4. النطوفية (10. 500 - 8. 000 ق.م).

الثقافة النطوفية اسم لثقافة قديمة نسبة إلى وادي النطوف شمال غرب القدس في فلسطين، استخدمت المصطلح، لأول مرة، عالمة الآثار الانكليزية (دوروثي غارود) عام 1929 حين كانت تنقب في مغارة شقبا في وادي النطوف، وهي ترى أن هذه الثقافة مميزة سبقت اكتشاف الزراعة ومهدت لها واستمرت لزمان طويل يصل إلى الألف السادس ق.م. وقد انطلقت هذه الحضارة من الجبال المحيطة بالقدس في فلسطين وشملت أغوار الأردن ثم سواحل المتوسط ثم بلاد الشام كلها، وفي الألف العاشر ق.م. وصلت لوادي الرافدين ومصر (في حلوان)، أي أنها شملت المشرق الخصيب بأكمله وأظهرت قوة حضارية نوعية في ما يُعرف بعصر الإيباليوليت أو الميزوليت المشرقي. ولعل أهم منجزاتها هو في الأدوات المايكروليثية، وفي تدجين الحيوانات وفي ظهور الزراعة البرية، ولكنها لم تصل إلى اكتشاف الزراعة. أهم مواقع الثقافة النطوفية: ظهرت في أريحا، وادي فلاح، عين ملاحه، مريبط، أبو هريرة.



مواقع الثقافة النطوفية
بمراحلها المبكرة والمتأخرة،
وموقع الهرقية

أريحا:

أما في ما يُسمّى بعبادة الأسلاف أو الأجداد (عبادة الجماجم)، على اعتبار أن هذه العبادة تُعنى بعبادة الأسلاف القائمة على الخوف من الإنسان الحي على اعتبار أنه مصدر السيطرة السياسية، أما الخوف من الميت فهو مصدرٌ للسيطرة الدنيوية، فقد تمّ طليّ الجماجم بالجبص وأحياناً بالأسفلت التي ظهرت في أريحا (الحوارني 1998: 17 - 18)، وكان الهدف الذي رمت إليه عبادة الأسلاف إلى التجمّع والتماسك حول مركز روحيّ معين، وذلك باعتبار أرواح الموتى مقدّسة (كوفان 1988: 75).

استعملت الأدوات المايكروليثية لأغراض كثيرة أهمها المناجل التي كانت تستعمل لقطع الحشائش البرية والأغصان والأشجار.

أنواع عدّة من المناجل المستخدمة في الثقافة النطوفية
(الأحجار المايكروليثية موضوعة في ماسكات منجلية حديثة)

https://www.researchgate.net/figure/Several-kinds-of-sickles-used-in-the-class-experiment-based-on-the-evolution-of-sickle_fig1_284001270



وتم العثور في أريحا على دمي طينية مصنوعة من الطين غير المحروق بلون أحمر مائل للبرتقالي، مخلوطة به شوائب من حبيبات صغيرة بيضاء، مشابه لدمى من موقع المنحطة.



تمثيل أريحا من PPNB

تطوّرت الحياة الروحية النطوفية وظهرت في شكلين أساسيين هما المدافن والأنصاب الميغاليتية، فقد ظهرت مقابر كبيرة بُنيت بجوار القرى وتزوّدت بأشياء عديدة تدلّ على قداسة الحياة الأخرى، وفُصلت الجماجم بعناية، ودُفنت تحت أرضيات البيوت مما يشير إلى تقدّسهم للموت وللأجداد.

عُثر في أريحا على نماذج من الأضرحة النطوفية وكان بعضها يحتوي على الفجوات المستديرة على الأرض المطلية بالجبص والتي ربما كانت للتخزين، وكذلك الجاروشة التي اعتبرت دليلاً على إعداد الأغذية النباتية والقلائد المحارية، وقد صُبغت الهياكل البشرية باللون الأحمر. «أما الأنصاب فأمر مختلف عليه، إذ يرى بعض الباحثين أنها تعود للعصر الحجري النحاسي، لكننا نرى أن بداية ظهورها كانت في العصر النطوفي، حيث ظهرت الأنصاب المفردة التي تُسمّى المانهير (Menhir) وكذلك ظهرت بعض المناضد الحجرية أو الدولمن (Dolmen) التي تشير إلى عبادة الأحجار الكبيرة (الميغاليتية)» (الدبّاع والجادر 1983: 167).

وهذه كانت غالباً ما تقرن بالتضحية والقرابين الحيوانية وأماكن عبادة العراء وربما القبور الكبيرة، ونرى أن هذه الأنصاب (المنتشرة في الأردن وفلسطين) كانت الجذر البدائي لما ظهر في ما بعد عند الأموريين والكنعانيين تحت اسم (هياكل العراء).



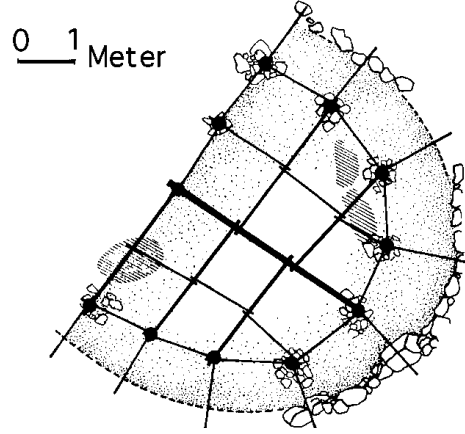
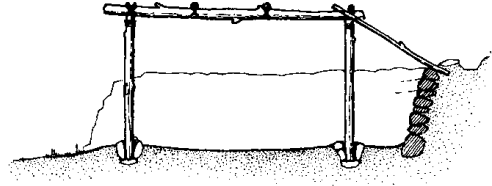
أنصاب ومانهير مختلفة
وجدت في (أثليت يام)
تعود للألف السابع ق.م. في
فلسطين.

4. الديانة النطوفية والإسكاتولوجيا: تظهرت في ما يلي:

1. المقابر: كان النطوفيون أول من بنى المقابر الكبيرة بجوار قراهم، ودفنوا موتاهم بأوضاع مختلفة (ممددة أو مثنية) (فردية أو جماعية) وجهزوها بمتاعهم المتضمن الخرز وأدوات الزينة والأصداف.
2. الغزال والكلب: احتل الغزال مكانة فنية وروحية مهمة في حياة النطوفيين وجسده بدمى صغيرة مصنوعة من الطين أو الحجر أو العظم، وحظي الكلب بعنايتهم الواضحة، ودفنوه باهتمام، ودجنوه قبل كل الحيوانات الأخرى.
3. دمي البشر: لم يجسدوا البشر في فنونهم إلا قليلاً (في رؤوس ودمى بشرية) وبرز منها تمثال صغير فريد من نوعه، وُجد في موقع عين صخري في فلسطين يمثل شخصين، رجلاً وامرأة، في احتضان حميم، إشارة إلى العملية الجنسية.
4. الجماجم: اهتموا بجماجم الموتى، وفصلوا الرؤوس ودفنوها منفردة في داخل بيوت السكن، وكانوا أحياناً يدفنون رؤوساً عدّة مع هيكل واحد؛ ويشير هذا إلى تقديسهم لموتاهم وإيمانهم بعقائد تجسيداً لما بعد الموت.

إذا كانت الميغاليت قد شكلت جانباً واحداً من عقائد الإسكاتولوجيا الميزوليتية (عقائد الموت)، فإن هناك تطورات طفيفة قد حصلت في الجوانب الأخرى، فالثقافة النطوفية تدلنا على مدافن بشرية تحتوي على قلائد محارية وقد صبغت الهياكل باللون الأحمر. ضريح نطوفي قديم في أريحا، تمثل الفجوات المستديرة على الأرض المطلية بالجص حفرًا للتخزين، وتعتبر الجاورشة دليلاً على إعداد الأغذية النباتية وعلى زراعتها أصل في الألف التاسع قبل الميلاد.

وبدأت تظهر في الميزوليت المواد المنزلية والأسلحة الحجرية في المدافن والمقابر باتجاه وضوح أشد بعقائد ما بعد الموت، لكننا لا نستطيع الذهاب إلى أبعد من ذلك.

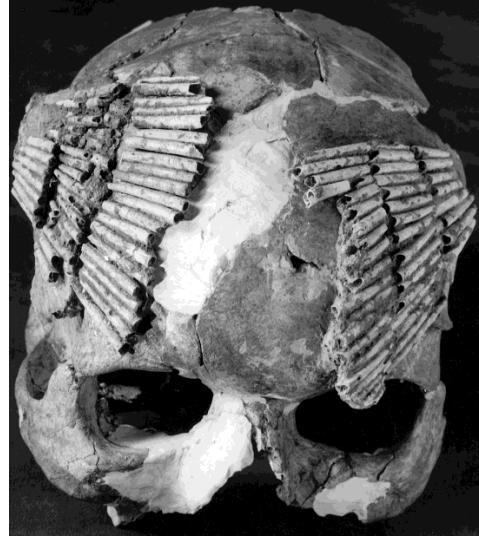


المنزل الكبير في عين ملاحه مع إعادة الإعمار المقترحة لها
وللهيكل العلوي، ويلاحظ وجود الموامد الكثيرة التي كانت
تستخدم لأغراض اجتماعي
(OFER BAR - YOSEF 1998: 163)

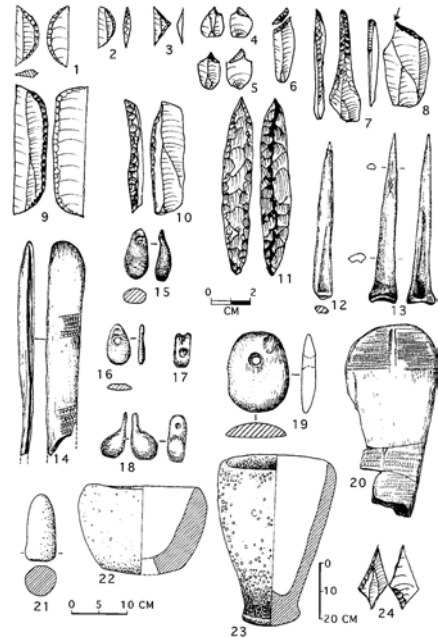
«إن وجود المدافن المرتبطة بمسكن مبني كان يمكن أن يشكل عنصر برهان على ميل إلى التحضر. فالمدافن* النطوفية كثيرة بشكل خاص. ولها أمط عديدة، فردية أو جماعية، واولية أو ثانوية، ونجد أحياناً هياكل عظمية فُصلت عنها الجمجمة (*هايونيم). وتكون الهياكل بوضعية منطوية ومضمومة، على جانبها أو على ظهرها، وتحمل غالباً قطع حلي. أما وضعيتها في المسكن فليست واضحة تماماً: فهي تكون أحياناً داخل منازل مهجورة أو مسكونة (?). وأحياناً في الخارج. ويقودنا وضع ملاحه (السوية النطوفية الحديثة) إلى طرح السؤال حول «مقبرة» مقامة في موقع سكن كان قد هُجر عندها، طالما أن معظم المساكن كان قد أعيد إشغالها بقبور. ويبدو أن مغارة هايونيم كانت قد لعبت على الأقل في إحدى مراحلها دور المقبرة. كذلك طُرحت فرضية «مقبرة» زارزية في السوية B1 من مغارة شانيدار من قبل سوليكي R. Solecki. وفي المشرق تتأق معظم المدافن من المنطقة النووية التي سبق أن عرفناها، باستثناء موقعي وادي حمامة وأزرق. وكما المساكن الدائمة، فإن المدافن المتجمعة تظهر أيضاً منذ الباليوليتي الأعلى في أوروبا (بردموستي Predmosti في مورافيا Moravia)، وبالنسبة للمدافن فقط في المنطقة الإيبرو موريسية المغربية. وفي الحالتين، يبدو أنها مرتبطة ببيئة غنية بشكل خاص وقابلة للسماح بنوع من الاستقرار الاقتصادي والمكاني. إن هذه الظاهرة تشكل برهاناً جديداً على التحضر». (أولفييه أوراناش <http://www.ascssf.org.sy/article-moussa-1.htm>).

«يوجد دليل على عبادة الأسلاف أيضاً في التقاليد الجنائزية المعقدة للنطوفيين، وخصوصاً في عين دنهم للجماجم المفصلة، المجمعّة أحياناً في مجموعات من خمس أو تسع جماجم في عين

ملاحظة، كان ثمة قبران يقعان تحت دائرة من الحجر قطرها متران ونصف، وعلى الدائرة بُني موقد مربع الشكل. كانت ثمة جمجمة وفقرتان علويتان موضوعة على الموقد، وهي ربما تكون إشارة على تضحية بشرية. وهذا البناء، إضافة إلى موقد في مقبرة ناحال أورن، يحتوي على ترسب من الرماد تبلغ سماكته نصف متر، يقدمان دليلاً يُعوّل عليه على عبادات العالم الأسفل. هنا كانت المذابح التي تقدّم عليها القرابين للموقد البطوليين أو عبادة القوى الحاكمة للعالم السفلي. مع ذلك، لا يوجد دليل على الانتقال من هذه العبادة إلى العبادات الزراعيّة خلال مطلع العهد النيوليتي». (ريجفوك 2007 : 285-286)



جمجمة نطوفية من حفريات (الواد El - Wad)،
من حفريات جارود
D. Garrod (photograph by S. Burger.)
(Peabody Museum
(OFER BAR - YOSEF 1998: 165).

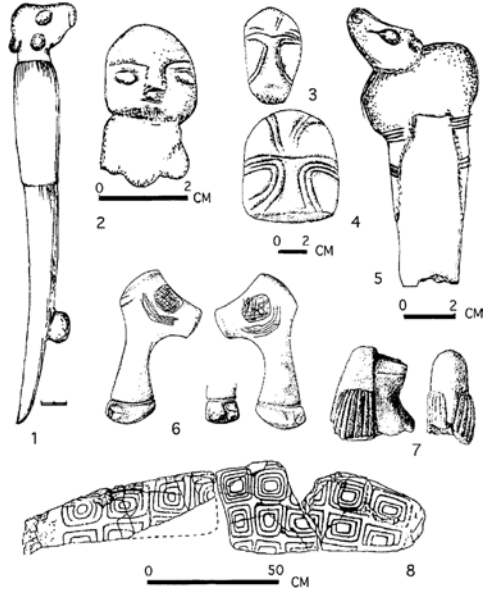


الأدوات الحجرية والعظمية والصخرية النطوفية:
1. الهلال الحلوي، 2. هلال، 3. مثلث، 4 و5.
مناقيش حجرية، 6. أحجار حادة للقطع، 7.
مثقب 8. مناقش 9. شفرة منجل حلونية، 10.
شفرة المنجل المهذبة 11. معول 12 و13 أدوات
تنقيط للحجر، ... الخ
(OFER BAR - YOSEF 1998: 166)

منحوتات فنيّة نطوفية تشير إلى بعض اهتماماتهم الروحية
والمادية

1. المنجل من ديكور للزينة (من الثقافة الكبارية)؛ 2.
- رأس الإنسان الحجر الجيري (من الواد)، 3 و 4. رؤوس
بشرية مخططة (من عين ملاحه)؛ 5. منحى زينت (الواد)
6. منجل للزينة (من الواد)، 7. تماثيل من الحجر الجيري
برأسين وكلب وبومة (ناحال أورين)؛ 7. رأس حيوان من
الحجر الجيري؛ 8. لوحة ديكور من الحجر الجيري (وادي
حميه)

(OFER BAR - YOSEF 1998: 167)



قلادة نطوفية من أسنان الحيوانات

5. الثقافة الهارفية (الحريفية) (10. 800 - 10. 200) ق.م.

Harifian cultur

ثقافة ميزوليتية (إبياليوليتية) ظهرت مترافقة مع الثقافة النطوفية في صحراء النقب وسيناء، وتتميز بمنزلها شبه الجوفية وأدواتها الحجرية الدقيقة، وخصوصاً رؤوس الأسهم المثلثة المؤشرة بنقاط مميزة والأهلة، وهناك مجموعتان رئيسيتان منها:

1. المعسكرات الأساسية في شمال سيناء والنقب الغربي، والتي تشكل النقاط الحجرية في آثارها

ما يصل إلى 88 في المئة من جميع الأدوات الدقيقة (المايكروليثية)، مصحوبة بعدد قليل من الأهلة والمثلثات.

2. المعسكرات الصغيرة في النقب وتضم أدواتها عدداً أكبر من الأهلة والمثلثات المنقطة.

لثقافة الهارفية صلات وثيقة مع ثقافات العصر الوسيط المتأخرة في الفيوم والصحاري الشرقية في مصر، وتلتقي مع عناصر تدجين الحيوانات لثقافة ما قبل الفخار في العصر الحجري الحديث، فهي ما زالت تحافظ على الرعي البدوي، وربما كانت الثقافة الأصلية التي كانت ضمن مناطق انتشار اللغات البدائية السامية في جميع أنحاء المنطقة.

الثقافة الهارفية في صحراء
النقب وسيناء، والثقافة
النطوفية في بلاد الشام
<https://www.quora.com/What-was-the-culture-of-the-Levant-like-before-the-Semites-conquered-it-Was-it-closer-to-Egypt-or-Mesopotamia>



6. ثقافة جوبكلي تبه والمدافن الإسكاتولوجية

إسكاتولوجيا الميزوليت: نرى بعد تفحص دقيق للمواقع والآثار الميزوليتية في الشرق الأدنى بأن العقيدة الميزوليتية الدينية كانت عقيدة إسكاتولوجية اهتمت بطقوس وشعائر ومعتقدات وأساطير الموت، ولعبت النسور دوراً هاماً في هذه العقيدة، حيث كان يُعتقد بأنها المسؤولة عن تمزيق الجسد أو قطع الرأس لنقل روح الإنسان إلى السماء أو إلى العالم الآخر. وقد بقيت رموز الآلهة الأم الميزوليتية والثور الذي يرمز لها وربما الأسد الذي يرافقها وكذلك الأفعى معبرة عن الخصب ورامزة لعالم الحياة والولادة على الأرض ويظهر هذا جلياً في هياكل الموت في جوبكلي تبه شمال الرافدين وجنوب الأناضول. وفي هذا الرسم، من سوريا، على حجر البازلت والذي يعود ل 9000 ق.م. يتضح النسور عالياً فيما الأفعى والحيوان معها تحت.



تخطيط من سوريا على حجر البازلت لسر يلقط رأس
حيوان محاط بالأفاعي 9000 ق.م.
http://arththis.org/history/b_Mesolithic_10.000-4.000BC/1st-page_5.htm

جوبكلي تبه (Gobekli Tepe) 8000 - 9500 ق.م.

وهو أهم موقع ميزوليتي (حجري وسيط) أو (إيباليوليتي: حجري قديم متأخر)، فاجأ علماء الآثار باكتشافه، فهو يضم في أقدم طبقاته عمارة دينية تعود إلى (19,500) ق.م. ربما كانت معبداً أو مزاراً مقدساً أو، كما نراه، عمارة إسكاتولوجية (تخص الموت والعالم الآخر)، الموقع عبارة عن تل مقدس يقع في شمال وادي النهرين (على بعد 15 كم جنوب شرق الرها - أورفا عند قمة الهلال الخصيب جنوب تركيا حالياً). وما زال يعمل فيه الآثاريون الألمان والأتراك ويبحثون في ألغازه. ومعنى جوبكلي تبه بالتركية هو (جبل السرّة).



موقع جوبكلي تبه
<http://altering-perspectives.com/2013/06/temple-complex-in-turkey-rewrites-human.html>

الزمن: تل جوبكلي تبّه يتضمن سوّيات أو طبقات أثرية لزمان يمتد بين 11,000 إلى 8000 ق.م.، الطبقة الثالثة العميقة هي الطبقة الميزوليتية التي تتضمن البناء المقدّس الذي يتكوّن من دوائر متداخلة فيها نصب حجريّة ضخمة على شكل صليب مقطوع الرأس أو حرف T، وهناك 16 منشأة عمرانيّة أخرى.

الطبقة الثانية من النيوليت قبل الفخاريّ PPNB والتي بعمر 8000 ق.م. ويحتوي على غرف قائمة الزوايا مبلّطة. أما الطبقة الأولى أو العليا فهي طبقة حديثة تكوّنت عبر عمليّات الزراعة والسقي والمطر وغيرها.

المناخ: الفترة الدافئة في الشرق بعد ذوبان جليد أوروبة، ولكنها جافة وقد ساهمت في دفع الإنسان لاكتشاف الزراعة لاحقاً.

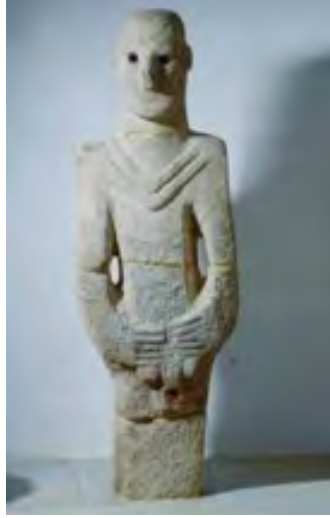
البناء المقدّس: ما زال العلماء يعتقدون أن هذا البناء المقدّس قد يكون معبداً أو بناءً لطقوس أخرى كما يرى ذلك رئيس البعثة الأثاريّة هناك كاوس شميدت. وهو، كما نراه، عبارة عن منظومة من أبنية العبادة وطقوس شعائر الموت في الوقت نفسه. ويتكوّن من ست عشرة منشأة معمارية على شكل دوائر ثلاثية متداخلة في كلّ منشأة وتتكوّن كلّ واحدة من ثلاث دوائر بقطر (15 - 30 م. وكل دائرة عبارة عن أنصاب حجريّة بشكل صلبان مقطوعة الرأس وتحمل نقوشاً منحوتة بطريقة بارزة الحيوانات والأذرع. وفي قلب كل منشأة هناك نصبان متقابلان كبيران يحملان نقوشاً.

أما عدد الأعمدة أو الأنصاب كلها فهي (240)، وهناك 40 عموداً في الدوائر الثلاث بمعدل 14 عموداً في كل دائرة ويرتفع كل منها إلى أربعة أمتار. وفي مركز الدائرة يوجد العمودان الكبيران الأطول من البقية، مع ملاحظة أن الجانب الرفيع المنقوش عادة لكل الأعمدة تتوجّه نحو المركز.



هيكل جوبكلي تبّه
<http://frontiers-of-anthropology.blogspot.nl/2013/07/temple-complex-in-turkey-rewrites-human.html>

وزن الأنصاب يتراوح بين (40 - 60) طناً نقلت وركبت بطريقة هندسيّة بارعة. وقد وضع العلماء أفكاراً عدّة حول نقل ونصب هذه الأنصاب. وبعض تماثيل هذا المكان يمثل الآلهة الأم في عصر الميزوليت الذي يقترب من شكلها في النيوليت المشرقيّ، في حين أن تمثال الرجل يمثل تمثالاً واقفاً لرجل بطول مترين وهو أقدم تمثال في العالم بطول مترين.



تمثالان من جوبكلي تبه
11500 ق.م.
الآلهة الأم الميكرو من
الأناضول (فينوس جوبكلي
تبه) / جنوب تركيا
الإله أو الرجل الواقف



تُعدّ آثار هذا الموقع انقلاباً في المفاهيم التي كانت موضوعة حول نشوء المدن الحضاريّة على أساس المعبد الذي يتوسطها، ففي مرحلة جوبكلي تبه لم تكن هناك مدن لكن هذا المكان، الذي يشبه المعبد، نشأ قبل أول مدينة معروفة بحوالي سبعة آلاف سنة. وهنا تكمن المفاجأة. الاحتمال المرجح، الذي نراه، أن هذا الأثر المقدّس لم يكن معبداً، بل كان منشأة إسكاتولوجيّة تقام فيها شعائر وطقوس الموت، حيث تجلب أجساد الموتى في وسط هذا الحشد الهائل من منحوتات الحيوانات المخيفة والعقارب لمعتقدات شمسيّة وسمائيّة، أما الحيوانات الأخرى المرسومة على الأعمدة كالعقارب والسحالي والذئاب فهي تمثل العالم الأسفل الذي يعجّ بمثل هذه الحيوانات كصورة من صور الجحيم التي ربما كانت نوعاً من الوعيد والتحذير من الدفن تحت التراب أو التحذير من عدم أداء طقوس معيّنة للميت، وربما كانت إشارة إلى تناسخ الأرواح وحلولها في هذه الحيوانات، وخصوصاً الأرواح الخاطئة. وبعد أن تقوم النسور بافتراس هذه الأجساد وأكلها تبقى هيّاكل العظام نظيفة لتدفن هناك أو على مقربة من المكان، إنّه مكان جنائزيّ تجري فيه عمليّات نقل أرواح الموتى إلى كائنات أخرى كي تبقى خالدة فيها وهو أبعد ما يكون عن مكان للعبادة. وهناك طقوس جنائزيّة مشابهة ما زالت تجري في بعض مناطق الهند حتى هذا اليوم.

لا بدّ من التنويه بأن هذا المكان قد دُفن أو طُمِر مع حلول عصر النيوليت تقريباً ونشأ فوقه هذا التلّ الذي صار يُعرّف بـ(جوبكلي تبه). أما الحيوانات المرسومة على الأعمدة فهي (الخنزير، الثعلب، الأفعى، الأسد، الثور، الغزال، الطيور، الزواحف).



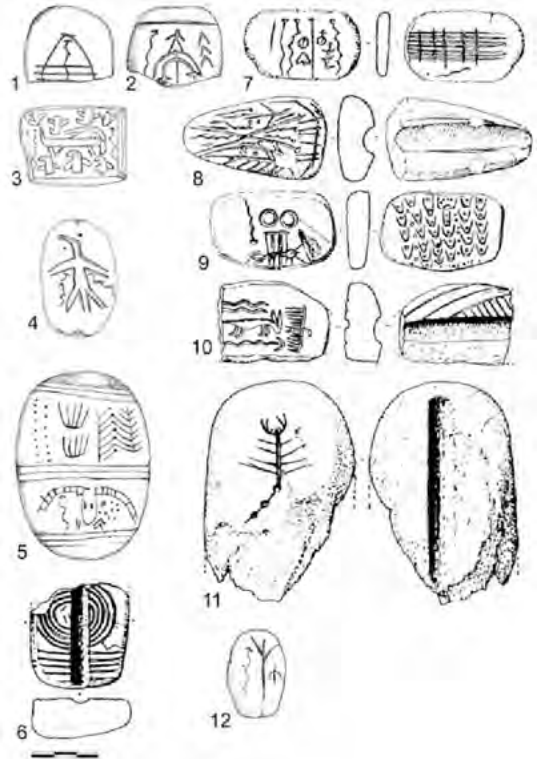
منحوتات بارزة لحيوانات
هيكل جوبكلي تبه
<http://www.bertholdsteinhilber.com/gobeklitepe.html>

خلاصة ما نراه أن هذا الموقع يمثل بداية العبادات الجنائزية (الإسكاتولوجية) ويُفصح عن بداية تبلور ظهور عقائد ما بعد الموت التي ستستمر في جبال حيوك وفي زاوي جمبي وفي أريحا، والتي ستنشأ منها تقاليد فصل جماجم الموتى وتزيينها ودفنها منفصلة عن الأجساد، وهي تقاليد إسكاتولوجية ومعتقدات حملها معه عصر الميزوليت بامتياز. مثل هذه التقاليد ستبقى حاضرة وستستمر باتجاه الحضارات التاريخية في وادي الرافدين وفي مصر بشكل خاص. ونرى أن لهذا المكان علاقة بالعبادة القمرية وبداية نشوئها وله علاقة بأسلاف السومريين الذين ربما استقروا، في طريق هجرتهم، من مكان أبعد باتجاه منطقة سومارتو (سامراء) التي كانت محطة الثالثة في هجرتهم قبل سومر، ويكشف أحد التماثيل المكتشفة في الموقع عن تشابه نسبي مع التماثيل السومرية الخاصة بالكهنة أو الآلهة.

في موقع آخر شبيه بموقع جوبكلي تبه قريب منه اسمه (نيغالي كوري Nevali Cori) في الرها - أورفا أيضاً ويأتي بعده بالزمن إذ يعود إلى النيوليت قبل الفخار PPNB، ويضمّ غرفاً وطوابق وسطية موصولة بينها وضمت منحوتات حجيرية للثعابين والإنسان العاري وللطيور، وبعضها قورن بمنحوتات جوبكلي تبه وربما كانت أماكن للدفن أو لشعائر ما بعد الموت أيضاً.



الإنسان الطير، قطعة أثرية من (9000 قبل الميلاد) المدرج القديم
 / جوبكلي تبه
<http://www.veniceclayartists.com/intriguing-artifacts>
 - of - the - ancients



https://www.researchgate.net/figure/Figurative-decoration-on-pebbles-and-shaft-straighteners-PPNA-EPPNB-all-items-are_fig3_261296713

الزخرفة التزيينية على الحصى والحجر (EP-PPNA)
 1 - 5 (PNB)، جميع المواد مستنسخة بالمقياس نفسه.
 آخر (Yartah 2004 Abr 3: الشكل 18. 3. 2005:
 الشكل 7. 3. 2010: الأشكال 9. 6 - 11 (9b, 11b)
 Stordeur؛ Jerfel - Ahmar (Stordeur et al. 1996
 Göbekli Tepe (Köksal - Schmidt and 12: (2010
 .(Schmidt 2007: 107. Kat - Nr. 164

7. الميغاليث: المعابد السحرية من الكهوف إلى العراء

انتقلت المعابد السحرية من مرحلة الكهوف في الباليوليت الأعلى إلى العراء في الميزوليت، ومثلتها بشكل واضح أعمدة الأحجار الميغاليثية.

الميغاليث Megalith هي الأنصاب أو الشواخص الميغاليثية (أحجار كبيرة) وهي من أكثر الأشياء جدلاً بين العلماء حول بدايتها ومرجعية عصرها... فهذه العادة التي نلمحها منتشرة في الكثير من الأصقاع الأوروبية في الألفين الثالث والرابع قبل الميلاد، كانت من أصل مشرقٍ إذ يرى العلماء أنها ظهرت في المشرق في عصر الميزوليت، وكانت من علامات النيوليت الأوروبي فيما بعد.

لقد انتشرت هذه الأحجار الميغاليثية (حجر = lith كبير = mega) كواحدة من أماكن العبادة أو كمقابر تشير إلى شخصيات مهمة، فهي بلا شك غشارات دينية، لكننا ما زلنا نجهل إن كانت تُعبد لذاتها، أو لأنها تشير إلى شيء آخر.

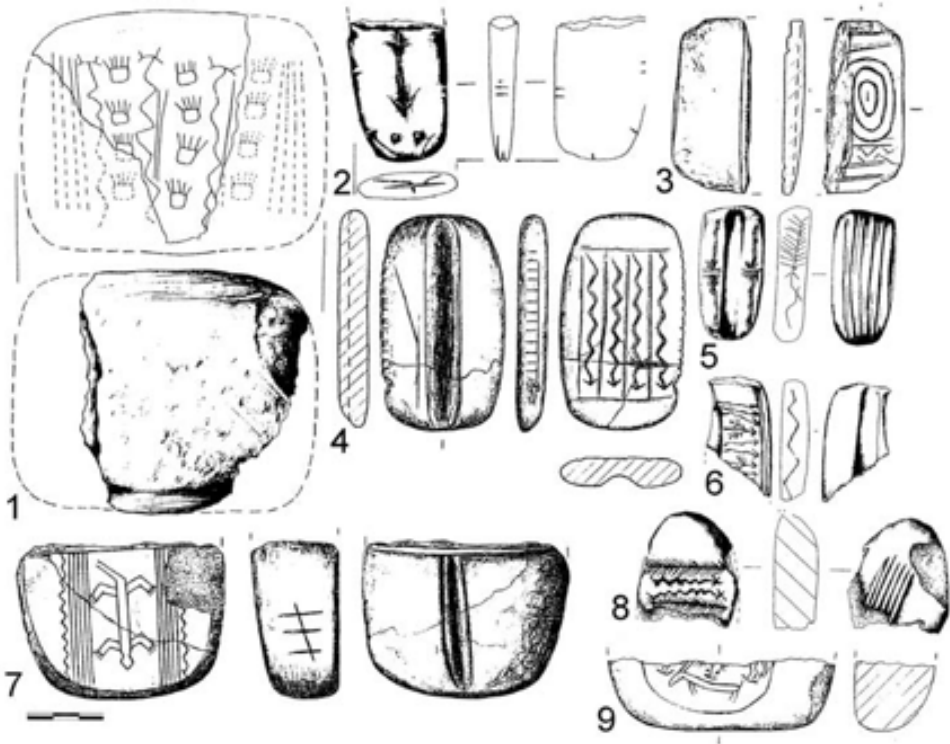
وتظهر الأنصاب الحجرية (الميغاليث) بشكل خاص في بلاد الشام (فلسطين، والأردن) (شكل 9) وقد تشغل الجدر الأولى لهياكل العراء التي ظهرت في فترات لاحقة.

8. الدّين وعالم الغيب اللامرّي

أصبح العالم الميتافيزيقي، بفضل الأرواحية، واضح الملامح فقد ضمت الروح الكبرى (أنيمّا) التي تسيطر على الكون كل الأرواح الصغيرة للجماجم والنبات والحيوان والإنسان من أرواح الأسلاف والموتى وأرواح الأحياء، وصارت الأرواحية هي علم الغيب هذا بكل تفاصيله، فهو عالم لامرّي موجود في مكان ما من السماء أو الأعالي.

اتسعت وكبرت نواة الدّين داخل دائرة السّحر وكانت تتجه لمطابقتها في لحظة نوعية اقتربت من عصر النيوليت واكتشاف الإنسان للإلهة الأم التي ستكون بمثابة الأنيمّا والروح الكبرى المخصبة للكون والبشر والأرض.

وكان لشخصية الأنيمّا الكبرى الكثير من الخوف والرهبّة في نفس الإنسان لأنها تعني الوجود كله والقوى كلها.



Figurative decorations on pebbles and shaft straighteners from Tell Qaramel. All items are reproduced at the same scale. (Mazurowski and Kanjou 2012; 1= Plate 74.7; 2= Plate 83.6; 3= Plate 74.4; 4= Plate 75.1; 5= Plate 79.5; 6= Plate 75.3[=70.6]; 7= Plate 69. 3/5 [according to Mazurowski 2004: Fig. 12 Plate 69.3 .(and 5 belong to one item); 8= Plate 70. 3; 9= Plate 70. 2

القسم الثاني: الدّين في مشرق ما قبل التاريخ الفصل الثالث: أديان المشرق في العصري الحجريّ الحديث (نيوليت)



لقى النيوليت الأنتويّة الأولى
(الإلهات الأم)

Figure 13. Pre-solitary Neolithic A female figurines from Marybet (1-3,5) and Nelly Haghighat (4). Note that they are in two positions: sitting (2,3) and standing (1,3,5) (after Cauvin¹⁹⁶⁹, Bar-Yosef and Gophar¹⁹⁷⁶).

فرضيات أصل اكتشاف الزراعة

كان الانتقال من الميزوليت (إبيالوليت في المشرق) إلى النيوليت أمراً تدريجياً، فقد تميّز الميزوليت بتدجين النباتات البرية والاستفادة منها وهو ما يُسمّى بالزراعة البرية التي لا يتدخل الإنسان فيها وإمّا يعمل على حصرها وترقيتها والاستفادة منها. وقد حصل هذا مبكراً في (ملفعات) و(زاوي جمبي) و(كريم شهر) وهي قرى ميزوليتية استيطانية في شمال العراق القديم، تقابلها الثقافة النطوفية في شمال بلاد الشام القديمة.

وقد ساعدتنا علوم الآثار البيئية وعلم النبات القديم والتكنولوجيات الزراعية القديمة وعلم آثار الحيوان على التعرف بشكل جيد على هذا الانتقال من الحصاد المنهجي للنباتات البرية في الميزوليت إلى الزراعة المنظمة في النيوليت.

هناك فرضيات لتوضيح أصل ونشأة اكتشاف الزراعة تعتمد على مجموعة مهمة من الأسئلة الموضوعية. منها كيفية تغير العادات الغذائية، وأثر مناخ الميزوليت على الإنسان ودفعه خارج الكهوف، وزيادة عدد السكان وغيرها.

الأماكن المرشحة لهذه النشأة هي (الهلال الخصيب، شمال وجنوب الصين، أميركا الوسطى، شرق الولايات المتحدة، الإنديز) والفرضيات هي:

1. **فرضية البحيرات (Oasis Hypothesis):** تقترح هذه الفرضية أن نشأة العلاقة التكاملية بين الإنسان والنباتات والحيوانات نشأت في الواحات، وترتبط هذه الفرضية بفرضية وادي الهلال الخصيب ومن المؤيدين لهذه الفرضية العالم ف. جوردون تشايلد V. Gordon Childe.

2. **فرضية الموطن الطبيعي Natural Habitat hysthesis:** كان روبرت بريودود Robert Braid- wood من المدافعين عنها. وترى أن أقدم النباتات المدجنة وجدت في مناطق الأسلاف المتوحشين للإنسان، حيث سكنها هؤلاء وكانت غنية بالنباتات التي كان حصادها سهلاً ومنها تعلموا الزراعة. وهذه الفرضية ترتبط أيضاً بفرضية وادي الهلال الخصيب.

3. **فرضية الضغط السكاني Population Pressure Hypothesis:** حيث أجبرت زيادة السكان الناس على اللجوء للزراعة، لأنها تترك فائضاً غذائياً أكبر وتجعل الناس يعملون. وهو ما أدى إلى إدارة العمل ومن ثم ظهور سيطرة الأقوياء والمؤثرين وتحولهم إلى ما يشبه المؤسسة الكهنوتية والاجتماعية.

4. **فرضية الحافة Edg hypothesis:** ترى هذه الفرضية أن الضغط اللازم للتحوّل إلى الزراعة أكبر عند الحافات أو الهوامش في منطقة الموارد. وقد دعا لها لويس بنفورد Lwis Binford كنوع على فرضية الضغط السكاني.

5. **فرضية إدارة الري Irrigation Margmont hypothesis:** وترى هذه الفرضية أن تحصل الزراعة وتنميتها من خلال إدارة المياه وعمليات الري. وقد وضع هذه الفرضية روبرت ماك آدمز Robert Mc Adams.

تخلص هذه النظريات إلى نتيجة متقاربة وهي أن منطقة المشرق القديم، وخصوصاً في هلالها الخصيب وشمال وادي الرافدين هي المكان المناسب لهذا الانقلاب. ولا شك في أن الثقافتين الرززية والنطوفية هما البيئتان اللتان وفّرنا الظروف المناسبة لهذا الاكتشاف الذي حصل مع بداية عصر النيوليت قبل الفخاري (PPNA، PPNB) في حدود 8500 ق.م.

نيوليت الهلال الخصيب كمنطقة لاكتشاف الزراعة

هو العصر الذي بدأ الإنسان فيه باكتشاف الزراعة والتدجين الواسع للحيوانات وظهور القرى

الزراعية المنظمة وتطور صناعة الخزف (الفخار) وظهور الآلات الحجرية المصقولة بدلاً من المشطاة. وقد استمر النيوليت (3000 سنة). وإذا كان الباليوليت أوروبياً والميزوليت شامياً فإن النيوليت رافديني شمالي يدل على ذلك انتظام ثقافته المتتالية المترابطة وهي كما يلي:

اسم الثقافة النيوليتية	عدد سنواتها	الفترة الزمنية التقريبية
1. ما قبل الفخار	1800	8000 - 6200 ق.م.
2. جرمو	200	6200 - 6000 ق.م.
3. الصوان	200	6000 - 5800 ق.م.
4. حسونة	700	5800 - 5100 ق.م.
5. سامراء	200	5100 - 4900 ق.م.

كان تدجين الحيوانات، وخزن وتدجين الحبوب البرية في نهاية الميزوليت قد وصل ذروته، وكان هذا يشير إلى تدخل الإنسان عن وعي وقصد في تربية بعض أنواع الحيوانات التي كان ينتفع بها مباشرة. وكان هذا التدجين الحيواني تقدمة ضرورية لتدجين النباتات الذي هو أيضاً، تدخل الإنسان عن وعي وقصد في تربية أنواع النباتات التي كان ينتفع منها مباشرة، وهو ما ندعوه بالزراعة.

إن اكتشاف الزراعة كان وما زال أعظم اكتشاف عرفه الإنسان فقد كان السبب الرئيس وراء كل حضارة الإنسان حتى يومنا هذا. فإذا كانت الكتابة قد حوّلت عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية فإن الزراعة قد أوقفت الخطوات البطيئة المملّة للعصور الحجرية وجعلتها تتسارع باتجاه الكتابة وانعطاف التاريخ.

باكتشاف الزراعة أصبح تدجين وتربية الحيوانات عملية واسعة ساهمت بدورها في تطوير الزراعة وموّهها. وأول خطوة جديدة بعد الزراعة هو زيادة الاستيطان، وتكوّن القرى وبدء انعطاف البشرية نحو الاستقرار وظهور البيوت بشكل واسع وهو ما جعل الإنسان يتحوّل من طريدة سهلة للطبيعة إلى مستمكن ومتربّص بها، ثم إن الجماعة الإنسانية بدأت تجتمع في محيط واحد ومتجانس عماده الأرض التي تنتج اصطناعياً (أي بعد أن يبذر الإنسان محصولاً وفيراً يجعل من هذه الجماعة المؤتلفة مستمرة في العيش دون تفكير أفرادها في التنقل بحثاً عن الطعام.

وقد كان لكل هذا أثره على التكوين النفسي والروحي والديني للإنسان، فبعد أن كانت العشيرة هي الأساس، أصبحت العائلة بديلاً أقرب من العشيرة وأصبحت الأم هي مركز العائلة لأنها المنجبة والمربية وربّة البيت، أما الرجل فما زال صياداً، أو راعياً، وما زال دوره في عملية الإنجاب مجهولاً لا يعرفه هو ولا تدرك المرأة أهميته، لأن الوقت بين اجتماع المرأة والرجل وظهور أولى علامات الإنجاب ثم الولادة كان كبيراً، ولم يكن يسمح لعقد الصلة بينهما في ذهن ذلك الإنسان البدائي المتطلع تَوْاً لحياة الاستقرار والزراعة.

وسنرى تفصيلاً كيف انعكست الزراعة والفلاحة عموماً على المعتقدات الدينية والروحية بحيث أدّت إلى تطوّر نوعي عما سبق، وأصبحت فكرة الخصوبة هي جوهر ديانة النيوليت طيلة الثلاثة آلاف سنة التي استغرقتها.

يعتبر شمال وادي الرافدين، وأراضي فلسطين هي المناطق الأولى التي حصل فيها هذا الانقلاب الزراعي الخطير، وذلك لأسباب عديدة منها أن الميزوليت كان قد نضج ووصل ذروته في هذين المكانين. تدل على ذلك المكتشفات الأثريّة لهما، ولكن الراجح أن شمال وادي الرافدين انتظم تطوره وتدرجه في عصر النيوليت بينما اقتصر فلسطين وبلاد الشام على ظهور النقلة الأولى، وعدم انتظام أدوار وثقافات النيوليت كما هي في وادي الرافدين يعطينا الانطباع بأن النيوليت كان نوعاً واسع الانتشار مطرداً في تطوره.

صحيح أن الميزوليت النطويّ وامتداداته إلى أريحا النيوليتيّة، كان متميزاً، ولكن هذا لا يلغي عمق الثقافات الميزوليتيّة العراقية (زرزي، كريم شهر، ملفعات)، التي جادت بلقى وأثار لا تقل أهميّة عما جاد به الكرمل، وأريحا. ثم أن جرمو التي هي امتداد للميزوليت العراقي وتدشين كبير ومهم للنيوليت العراقي حملت معها آثاراً في غاية الأهميّة، إضافة إلى ما اكتشف حديثاً في موقع قريب من جرمو هو (تمر خان) شمال بلد مندلي، والذي وجدت في آثار تشبه آثار جرمو وتعود لفترتها نفسها.

وإذا نظرنا حول شمال وادي الرافدين فإننا سنجد آثار نيوليتيّة مهمة وليس ثقافات أو حضارات نيوليتيّة مطردة، كما هو في إيران والأناضول والشام وسيوضح الجدول التالي تسلسل وتدرج ثقافات النيوليت العراقي، وما يقابلها من مواقع أثريّة (تابعة لتلك الثقافات في آثارها)، كما أننا لا نجد مطلقاً خلال طيلة النيوليت ظهور أي آثار مصريّة نيوليتيّة، فقد ظهر النيوليت المصريّ في مقابل الكالكوليت وانتظم خلاله.

ثقافات وادي الرافدين النيوليتيّة	مدتها (سنة)	فترتها ق.م. (سنة)	الشام	الأناضول	إيران
ما قبل الفخار (جرمو)	1800	6200 - 8000	أريحا	جاينو تبة	تبة سيالك
جرمو	200	6000 - 6200	أريحا	تبة كوران	كنج داره
الصوان	200	5800 - 6000	تل الرمذ، تل أسود	شمال حيوك	بوص مورده
حسونة	700	5100 - 5800	المريبط، المنحطة	شمال حيوك	علي كوش
سامراء	200	4900 - 5100	البيضا، تليلات الغسول	حاصلار	تبه سراب

جدول ثقافات عصر النيوليت

2. الإنسان: الإنسان العاقل العاقل

3. الأدوات: الفخارية

ظهر الفخار مبكراً في اليابان في الميزوليت، لكنه لم ينتشر إلى العالم، وكانت بداية النيوليت في المشرق خالية من الفخار حتى أنها تسمى مرحلة ما قبل الفخار، لكنه ظهر لاحقاً وشكّل منجزاً حضارياً على صعيد الأدوات المستخدمة، أما أدوات النيوليت فكانت لافتة أيضاً تنوعت من الأجران والقذور والفؤوس والأواني. «ابتدأ النيوليت مبكراً في الشرق الأدنى وكان مداه هو (8000 - 5000) ق.م»، أما في أوروبا فكان (6000 - 2000) ق.م. ولعل من أهم منجزات النيوليت هو اكتشاف وانتشار صناعة الفخار «ونجد في علم ما قبل التاريخ أن أشكال الفخار المختلفة قد أعطت أسماءها لمناطق ثقافية عديدة، وبينما لم يستطع حرفيو العصر الحجري القديم الذين يدخلون في عداد الجمع والقبض أن يطوروا فن صناعة الفخار فقد كان العصر الحجري الحديث، أي عصر أقدم الشعوب الزراعية، غنياً جداً بالمنتجات الفخارية. فهناك ثلاث مراحل رئيسية من هذا العصر، اتخذت أسماءها من أهم الأشكال الفخارية التي وجدت فيها. إذ نتحدث في معرض الكلام عن ثقافات العصر الحجري الحديث عن (الفخار المحزوز بالحب) وعن الصحون ذات الشكل الناقوسي، أو Vase a Campana ثم عن (الفخار المصنوع بطريقة الأشرطة الفخارية الملوقة على الإناء) وقد عثر على اللقى التي تتناسب مع هذه التسميات بشكل خاص في وسط أوروبا، وفي شبه جزيرة إيبيريا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا، وكذلك في المراكز القديمة لثقافة الدانوب». (ليبس 2006: 102).

أنواع من فخار النيوليت
http://etc.usf.edu/cli-part/49400/49436/49436_neo_pottery.htm



وإذا نظرنا حول شمال وادي الرافدين فإننا سنجد آثاراً نيوليتية مهمة وربما ثقافات نيوليتية مطردة، كما هو في إيران والأناضول والشام وسيوضح الجدول التالي تسلسل وتدرج ثقافات النيوليت الرافديني، وما يقابلها من مواقع أثرية (تابعة لتلك الثقافات في آثارها)، كما أننا لا نجد، خلال النيوليت الرافديني، ظهور أية آثار مصرية نيوليتية، فقد ظهر النيوليت المصري في مقابل الكالكوليت الرافديني وانتظم خلاله.

ثقافات وادي الرافدين النيوليتية	مدتها (سنة)	فترتها ق.م. (سنة)	الشام	الأناضول	إيران
ما قبل الفخار (جرمو)	1800	6200 - 8000	أريحا	جاينو تبة	تبة سيالك
جرمو	200	6000 - 6200	أريحا	تبة كوران	كنج داره
الصوان	200	5800 - 6000	تل الرمد، تل أسود	شتال حيوك	بوص مورده
حسونة	700	5100 - 5800	المريبط، المنحطة	شتال حيوك	علي كوش
سامراء	200	4900 - 5100	البيضا، تليلات الغسول	حاصلار	تبه سراب

جدول ثقافات عصر النيوليت في وادي الرافدين والشرق الأدنى

مظاهر السحر والدين في نيوليت المشرق

نرى أن الدين نشأ في هذا العصر بصيغته التي ستميزه عن السحر وستفصله عنه، بل وسيكون السحر على هامش الدين أو في باطنه كما سنرى، ويختلف الدين نوعياً عن السحر بفروق مررنا عليها في الفصل الأول، ويُعدّ انبثاق الدين في النيوليت تطوراً نوعياً في تاريخ الإنسان وقفزة جديدة في استمرار تطوره الروحي الذي بدأ بالسحر ووصل إلى الدين في النيوليت، وسيكون علينا فحص مكونات الدين حسب التحليل العلمي لها رغم أنها ما زالت في الطور البسيط.

1. الخصب والإلهة الأم والتوحيد الأنثوي

كانت المرأة هي من اكتشف الزراعة وكان لكل هذا أثره على التكوين النفسي والروحي والديني للإنسان، فبعد أن كانت العشيرة هي الأساس، أصبحت العائلة أقرب من العشيرة وأصبحت الأم هي مركز العائلة لأنها المنجبة والمربية وربّة البيت، أما الرجل فما زال صياداً أو راعياً وما زال دوره في عملية الإنجاب مجهولاً لا يعرفه هو ولا تدرك المرأة أهميته، لأن الوقت بين اللقاء الجنسي للمرأة والرجل وبين ظهور أولى علامات الإنجاب ثم الولادة كان كبيراً، ولم يكن يسمح لعقد الصلة بينهما في ذهن ذلك الإنسان البدائي المتطلع توطاً لحياة الاستقرار والزراعة آنذاك. «الأديان قد ارتبطت دائماً بحاجات الإنسان الأساسية، وأولها حاجته للغذاء والأمن. لقد كانت أرواح الطبيعة الملجأ الطبيعي للإنسان، عندما كان يمارس الصيد والجنى، وكانت أساساً أرواح الغابة وأرواح الحيوانات. ثم، مع ظهور الزراعة بدأ تجسيد الخصوبة الوسيلة المثلى لضمان

خصوبة الحقل، وخصوبة الحيوانات، والنساء أيضاً. لذلك كان طبيعياً، هنا أيضاً، أن تبدو المرأة التجسد الألوهي الأكثر أهمية، فهي التي تعبّر عن جوهر الخصوبة بما أنها واهبة الحياة والوجود». (لونوار 2012: 39).

المرأة هي مكتشفة الزراعة، عملياً، وليس الرجل، لأنها حين كانت تبقى في الكهف ترعى صغارها في غياب الرجل الصياد كانت تدّخر الطعام والحبوب التي كانت تجمع من الطبيعة التي حولها.. وربما حدث، ذات مرة، أن خزنت المرأة الحبوب في حفر سطحية تحت الأرض فظهرت النباتات التي حملت بذوراً أكثر فكرت العملية وترسخت فكرة اكتشاف الزراعة على يد المرأة لأن عملية استنبات البذور هي قريبة من عملية ولادة الأطفال التي تقوم بها المرأة، وهكذا اعتبرت المرأة قادرة على الإنجاب وعلى استنبات البذور لأنها تحمل قوى الخصب، ولأنها القادرة دون الرجل على إطلاق هذه القوى في الكون كله. ومن هذه النقطة تحديداً أصبحت أول الآلهة أنثى وهي (الإلهة الأم) التي مثّلت بتماثيل لنساء خصبات الجسد يمثّلن قوة عليا استثنائية.

أصبح الإنسان أشدّ التصاقاً بعوالم المرأة والحيوان والنبات، وكان هاجس تكوين مجتمع جديد يقوم على القرية والفلاحة اللتين هما الأساس، أي أن النباتات والحيوانات والصفات الخصيية للمرأة لعبت دوراً نوعياً في نشوء عالم جديد.

«إن أولى بل وربما أكثر النتائج أهمية من اكتشاف الزراعة، يثير أزمة في قيم الصيادين الباليوليتيك: فالعلاقات في النظام الديني مع عالم الحيوان تضاعفت بواسطة ما يُدعى التضامن الصوفي بين الإنسان والنبات. فإذا كان العظم والدم حتى ذلك الحين يمثّلان الجوهر والقداسة للحياة، فإنه من بعد ذلك أصبح المنّي sperme والدم المجسّد لها. إضافة لذلك، فإن المرأة والقداسة النسوية مرفّعان للصف الأول. وبما أن النساء قد لعبن دوراً حاسماً في تأهيل النباتات، فقد أصبحن المالكات للحقول المزروعة. الأمر الذي يرفع وضعهن الاجتماعي ويخلق مؤسسات مميزة مثل Ia matrilocation حيث إن الزوج كان ملزماً بسكنى بيت زوجته».

(إلياد 2006: 59).



The "Terrible Mother of Palestine": Figurines from Munhata and Tell Aviv



Figurine of natural size from Ain Ghazal (PPNB)



Figurine from Munhata (PPNB)



Bone figures of bulls from Bougras (PPNB)



Clay chamois from Beidha (Aceramic Neolithic)



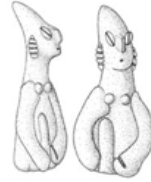
Complex of two figures in sexual intercourse from Ain Sakhr (Natufian culture)



Plastered skull from Jericho (PPNB)



Stone masks from Nahal Hemar (PPNB)



Figurine with characteristic head from Byblos (AN)



Clay head from Tell Ramad III (PPNB)

الآثار الدنيئة لنيوليت

المشرق الشامي

<https://hellenic-culture.gr/en/world>

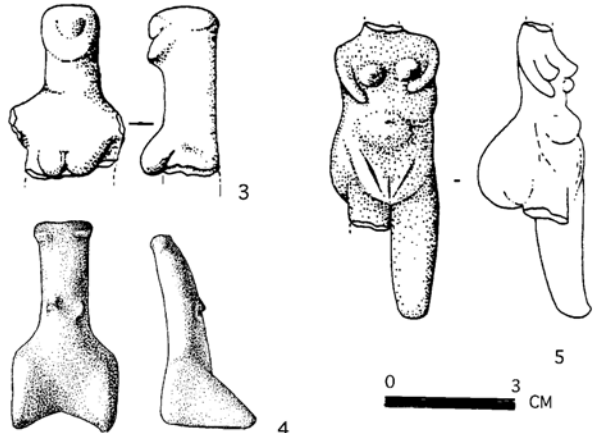
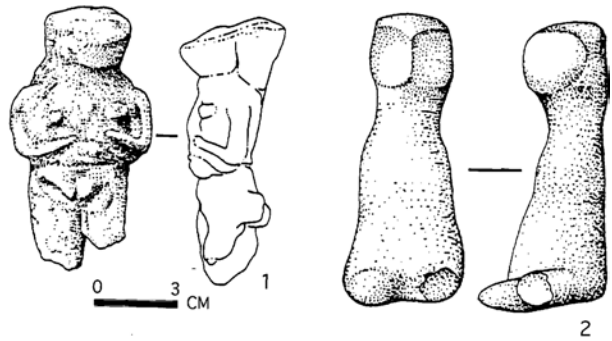
2. دين الخصوبة: من الأرض إلى المطر إلى الماء

في النيوليت شَعَرَ الإنسان لأول مرة في تاريخه بأن فكرة الخصوبة هي جوهر حياته المادية والروحية، فالزراعة تعتمد على خصوبة التربة، وتكاثر الحيوانات كذلك ولادة الإنسان. لقد ربط الإنسان الخصوبة بالمرأة التي كانت ترعى الأرض، والبذور ثم بالحيوان وتكاثره، وتحولت قوة (المقدس) إلى قوة خصب تمثلها المرأة والإلهة، وقد ظهرت هذه الإلهة أولاً قبل الإله ممثلة للقوة المقدسة التي تضم أجزاء الكون في حناياها، كما تضم المرأة جنينها، أو وليدها، ولم يكن الرجل آنذاك يعرف دوره في الإخصاب، ولذلك كان يرى أن المرأة هو المسؤولة عن التكاثر والخصوبة، وانعكس ذلك على الأرض، ورحل الإنسان من مواطن الزراعة الأولى (التي كانت في الغالب كثيرة المطر) نحو الأماكن شحيحة المطر (من جرمو إلى سامراء)، أدرك الإنسان أن الأرض ليست العامل الوحيد بل المطر ومني الرجل. وكان هذا التحول فاتحة لانقلاب ذكوري كبير سنتحدث عنه في العصر الحجري المعدني (الكالكوليت)، حيث يظهر دور الماء بشكل عام (وليس المطر فقط) وبذلك تنمو الزراعة على مراحل من الزراعة العفوية إلى الزراعة المطرية إلى الزراعة الإروائية، وهو ما تطورت تدريجياً من شمال إلى وسط ثم جنوب العراق، وانعكس ذلك في عقيدته الدنيئة، من الإلهة الأم إلى إله الهواء، ثم إله الماء، وسنجد آثار ذلك في (ننخر ساج، إنليل، انكي) في العبادة السومرية، ثم ليطاح كلياً بالإلهة الأم ننخرساج وتستبدل بالإله

الأب السماء (آن) ليصبح الثالوث الذكري الأول في الديانات البشريّة.

3. تحوّلات الإلهة: من الأم الكبرى إلى الخنثى إلى الذكر

توحي المنحوتات الطينيّة للآلهة ورموزها بالكثير من الأفكار. فبالإضافة إلى أشكالها البدنية المترهّلة والمبالغ في حجمها في مناطق الأعضاء الجنسيّة والعديمة الملامح تقريباً من ناحية الوجه، بل واختلاط هذه المنحوتات بأشكال حيوانيّة وشرطيانيّة، فإن هناك ما يدلّ على وجود أنواع شاذة من المخلوقات التي أخذت صفة الإنسان وتوحي لنا قصة الكاهن البابليّ (برعوشا أو بيرسوس) الذي نشر في القرن الثالث ق.م. باللغة اليونانيّة مؤلفات تاريخيّة وتأمّلات في فترة ما قبل التاريخ بوجود الكثير منها وسنعرض هنا بعض ما قاله: «وقد ظهر رجال مزوّدون بجناحين... كان لبعضهم أربعة أجنحة ووجهان وللبعض الآخر جسد واحد ورأسان، ورأس امرأة ورأس رجل، وأعضاء جنسيّة ثنائيّة مذكرة ومؤنثة في آن واحد. وهناك أيضاً رجال آخرون لهم قوائم وقرور ماعز أحياناً وحوافر خيل أحياناً أخرى... وبعضهم على شكل إنسان في مقدّمته وعلى شكل حصان في مؤخرته... وكذلك كنت ترى ثيراناً برؤوس إنسانيّة وكلاباً بأربعة أجساد لمؤخرتها ذيول اسماك... كما توجد اسماك وزواحف وأفاعٍ ومخلوقات أخرى غريبة لها أشكال متبادلة في ما بينها». (فريشاور 1988: 26).



منحوتات ما قبل الفخار العصر الحجريّ الحديث والتماثيل الإناث من المريبط (1 و3 و5). ومن ناتف هجدود (4)، ولا بد من ملاحظة أن المنحوتات برقمي 2 و4 في وضع الجلوس، وفي وضع الوقوف (1 و3 و5).

(OFER BAR - YOSEF 1998: 173)

إن مثل هذه الكائنات الهجينة والمختثة، والتي سادت أزمان ما قبل التاريخ هي من نتاج أخيلة الإنسان ومبالغاته بالدرجة الأولى، وقد عكسها خياله المضطرب على عقائده وفنونه، ولكنها من ناحية أخرى ذات وجود هيوولي عميق في داخل الإنسان الذي وجد نفسه أولاً في تلك العصور الجيولوجية السحيقة القدم وسط كائنات ممسوخة بعضها انقرض وبعضها تطوّر. ويبدو أن (برعوشا)، الكاهن البابلي العيسنستي الذي عاش في حدود القرن الرابع ق.م، كان يرى بأن كل هذه الكائنات كانت مزدوجة الجنس مذكرة ومؤنثة في الآن نفسه، وقد انعكس هذا في تماثيل الآلهة المختثة Androgynes، Hermophrodites وقد رأينا أنها منحوتة بمهارة فائقة وتدلّ بطريقة تغلب فيها جسد المرأة على الرجل أيضاً، فكأنها تُنبئ عن رغبة احتواء المرأة على عنصر الذكورة، وهذا ما سيشكل لاحقاً ما اسماه كارل غوستاف يونغ بـ(أنيموس) وهو (الرجل داخل المرأة) ثم (أنيميا) وهو (المرأة داخل الرجل). وهي رموز لاشعورية نزحت إلى الإنسان من أطواره الأولى. ولا شك في أنها من ناحية أخرى تجسّد الرغبة في متعة الرجل أو المرأة بالعمليّة الجنسيّة.

إننا نرى، من ناحية دينيّة نيوليتيّة، الثنائية الإلهيّة في شكل واحد يغلب عليه الروح الأنثويّ، ثم نرى كيف بدأ التعبير عن ظهور الذكر تدريجيّاً من انضوائه الواضح في الإلهة الأم، أو تحت أجنحتها إلى استقلاليتها ثم مركزيتها.



Female clay figurine from Tepe Sarab



Female alabaster figurines from the Tell es - Sawwan I and II cemeteries, with inlaid eyes and head gear made from asphalt. The necklace is made of turquoise beads (Samarra culture)



Female clay figurine from Tepe Sarab



Male hollow clay figurine with painted decoration from Tell es - Sawwan (Samarra culture)



Clay figurine head from Choga Mami (Samarra culture)



Clay figurine head from Choga Mami (Samarra culture)



Clay figurine head from Choga Mami (Samarra culture)



Clay painted figurine of Halaf culture (Tell Halaf I)



Clay painted figurine of Halaf culture (Tell Arpachiyah)



Clay painted figurine of Halaf culture (Tell Arpachiyah)



Clay painted figurine of Halaf culture (Chagar Bazar)



Clay painted figurine from Tepe Gawra (Northern Ubaid culture)



Clay painted figurine from Ur (Southern Ubaid culture)

الإلهة الأم في المشرق الرافدينيّ

4. عنصر التراب والماء

بسبب ارتباط الإلهة الأم بالأرض لعب عنصر التراب دوراً متقدماً من بين العناصر الأربعة وارتبط معه عنصر الماء المطريّ أو الجاري عبر السواقي والأنهار، والإلهة الأم تمثل عنصر التراب والأرض وتصنع منه بتماثيلها ودماها الصغيرة التي كانت توضع في الحقول كي تزيد الأرض خصباً وتحميها.

يعبر التراب عن العنصر الأثويّ الخالص وعن الخصب المباشر القوي والذي يجمع في تكوينه العناصر الكيميائية كلها، فيما يعبر الماء عن الميل الذكوريّ للعنصر الأثويّ، وبهذه الصفة ستتحول أغلب الإلهات الأم من التراب إلى الماء المالح وهو مياه البحار، مثل (غمو السومرية وتيامت البابلية).

وهذا يقودنا أيضاً لعلاقة الأنوثة بالنبات والزرع والقمر وهي العلاقة الخلقية والتكوينية حيث ربطت المرأة والألوهة المؤنثة نفسها بها ونجد لها جذوراً في العصر الحجريّ القديم و«من المؤكد، أن القداسة النسوية والأمومة لم تكن مجهولة عند (الباليوليتك) ولكن اكتشاف الزراعة أسمى قوتها بشكل محسوس. إن قداسة الحياة الجنسية وفي الدرجة الأولى الجنسية النسوية، تختلط مع اللغز العجيب للخلق. أن الحبل بدون لقاح part henogenesis والقران بين الآلهة والبشر Le hierogamas وطقس التهنئة الشعائري L'orgie توضح، على مستويات مختلفة، الخاصية الدينية للجنس، وأن رمزاً معقداً، من تكوين بشريّ كونيّ An thropocosmique يشرك المرأة والجنس مع الإيقاعات القمرية ومع الأرض الممثلة بالرحم وما يجب أن يُسمى سرّ النبات. أنه سرّ يتطلّب (الموت) للبذور بهدف أن تضمن لها ولادة جديدة، وبأعجوبة أكبر، أنه سيتجزم بتكاثر مدهش. إن تشبيه الوجود البشريّ، بالحياة النباتية يفسر بصور واستعارات أو مجازات لمأساة نباتية (الحياة هي كوردة الحقول.. الخ). إن هذه الصور الكثيرة قد غدت الشعر والتأمل الفلسفيّ خلال الألوف من السنين، وبقيت صحيحة كذلك بالنسبة للإنسان المعاصر». (إلياد 2006: 59 - 60).

5. الأنوثة والقمر

نزعت العقيدة الدينية الأثوية النيوليتية نحو مظاهرها المعبرة عنها والقوى المحيثة أو المرافقة للمرأة. وقد كان القمر من بين الكواكب التي عكست مظاهر الأنوثة والتي اهتمت به الديانة النيوليتية أكثر من غيره من الكواكب. فبالإضافة إلى أن «حياة المرأة الفيزيولوجية والسيكولوجية ذات طبيعة قمرية وإيقاع قمرية، فهي مرتبطة بدورة شهرية معادلة لدورة القمر الذي يبدأ هلالاً في أول الشهر ليتلاشى في آخره، بعد أن يمرّ في فترة تقع في منتصف الشهر عندما يبلغ البدر تمامه. وقد كان سكان بلاد الرافدين يعتبرون تمام البدر يوم تحيض فيه عشتار وتستريح من كل أعمالها، لذا فقد ارتبطت بهذا اليوم مجموعة من المحرمات كالشروع في السفر، وأكل الطعام المطبوخ وإشعال النار. وهي الأمور نفسها التي تستريح منها المرأة الحائض. وقد دعيّ هذا اليوم بيوم (الساتو)، أي يوم الراحة، وكانوا يحتفلون كل شهر، ثم مرة في كل ربع من أرباع الشهر القمريّ». (السواح 1993: 75).

ويوحى هذا التقسيم أن فكرة الشهر والأسبوع وأيام الأسبوع قد تولدت من هذا العرف القمريّ، هذا إذا ما عرفنا أن كلمة (تاريخ) التي أصلها من (ورخ) البابلية تعني الإله القمر. ويكاد دارسو المثلوجيات يُجمعون على أمرين أولهما أسبقية العبادات القمرية على الشمسية وارتباط العبادات القمرية بالمرأة، وسيادة الألوهية المؤنثة بينما يرتبط الانقلاب الشمسيّ ودياناته بالسيادة الذكورية. وهو ما سنراه في الأديان اللاحقة.

إن ارتباط القمر بالخصوبة أمر من السهل إثباته في الثقافات القديمة التي ورثت الثقافة النيوليتية، فقد كان القمر هو دليل الدورات الزراعية وغايتها فيه يؤرخ الإنسان الفصول ويستدل على أيام الخصب والجذب. وقد ارتبط القمر بالزراعة وبالشجرة وشهدت الحضارات الرافدينية في الكثير من الرسوم والتزيينات ارتباط القمر بالأشجار وبيدوان كتلة عضوية واحدة وكذلك ارتباط القمر بالحيوان والإنسان وتكاثرهما، ويبدو لنا القمر في مثل هذه الثقافات وغيرها، وكأنه هو الذي ينفخ الحياة في البذور، وأنه مصدر الأمطار وأنه المسؤول عن مدّ وجزر المياه ونشر الندى وتفجير الينابيع.

ولعل في بعض مثولوجيات القبائل البدائية ما يشير إلى ذلك «ففي غرينلاند يسود الاعتقاد بأن القمر هو الذي ينفخ الحياة في أرحام النساء، لذلك فإن المرأة غير الراغبة في الحمل لا تنام على ظهرها ليلاً دون أن تغطي منطقتها بإحكام، خوفاً من تسلل شعاع القمر، وفي نيجيريا يقتصر دور الفعل الجنسي الذي يمارسه الرجل على تسهيل مهمة القمر الذي يُعتبر المسؤول الحقيقي عن الحمل. ولدى قبائل الماوري في أميركا الشمالية يسود الاعتقاد بأن القمر هو زوج النساء جميعاً. وتعتقد بعض القبائل في منغوليا ومناطق أخرى من العالم بأن القمر قادر وحده أحياناً ودون تدخل الرجل على إخصاب النساء. وتقوم المرأة المتزوجة حديثاً، لدى بعض هنود تكساس، بالوقوف عارية في وعاء مملوء بماء تمّ تعريضه لضوء القمر. وفي بعض روايات ولادة البوذا أنه قد ولد من عذراء لقحها ضوء القمر». (السواح 1993: 84).

ولا شك في أن العبادة القمرية كانت أول عتبات الفلك والتنجيم في العالم القديم حيث كان القمر أول كوكب أثار اهتمام الإنسان ثم جاءت الشمس وبعدها الكواكب الأخرى. إن ولادة القمر تشبه أول ظهور للنبات من تحت الأرض، حيث إن انتفاخ الأرض قبل شقّ التربة يشبه انتفاخ القمر وتحذب جهته المقابلة... ونمو القمر وتكوّره يشبه ظهور الثمار وتكوّرها في النباتات، كما أن موت النباتات والموت، بعامة، يشبه شحوب القمر وتشمّعه وظلامه بعامة. إن القمر يسليخ جلد الموت، كل شهر، وتتجدّد ولادته وكأنه خالد إلى الأبد وهو مثل النوع النباتيّ تسليخ فيه البذور نفسها عن الثمرة لتنبث وتتجدّد إلى الأبد. وهو يشبه الأفعى (التي تشبه المرأة)، تنسليخ ويتجدّد جلدها بين وقت وآخر.. ولهذا أصبحت كل هذه الأمور رموزاً للعبادة النيوليتية.



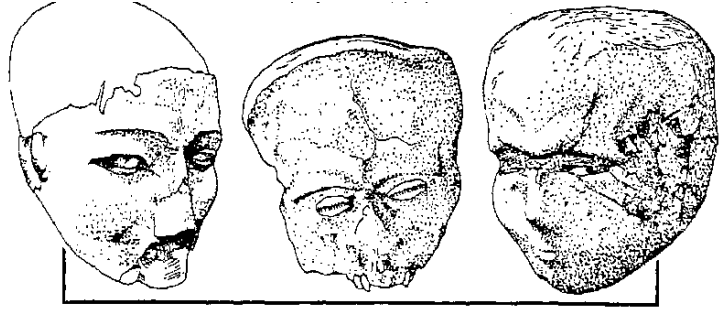
آثار من المشرق المصري
<https://hellenic-culture.gr/en/world>

Characteristic figurines from Egypt (pin figures)

6. الأسلاف والجماجم

استمرت عبادة الأسلاف الميزوليتية النطوفية في شكل (عبادة الجماجم) وأصبحت إشارة هامة في المعتقدات الدينية/ السحرية، حيث "تظهر لنا الجماجم التي عثر عليها في أريحا أهم مظهر ديني في مرحلة ما قبل الفخار النيوليتية وهي جماجم محشوة من الداخل بالطين ومطلية الوجه بالحص، ومطعمة العيون بالأصداف، وقد عثر على (10) جماجم منها تدل أشكالها على أن جزءاً من طقوس إبقاء ذكرى الأفراد بعد الموت"، كما يرى ذلك سيتون ليود. (ليود 1980: 28).

جماجم منفصلة عن أجسادها
في أريحا (نيوليت ما قبل
الفخار)، وهي تدل على (عبادة
الجماجم)



جماجم مجصصة من أسود مرتبطة بطفل رضيع

Plastered skulls from Aswad associated with a baby (Fouille franco - syrienne de Tell Aswad. Codirection D. Stordeur et B. Jamous. Mission El Kowm - Mureybet du Ministère des Affaires étrangères France. Photo: L. Dugué

التحوّلات الاجتماعيّة التي أدّت إليها الزراعة قادت نحو تكوين مجتمع اقتصادي ظهرت فيه الملكية الخاصة وظهر توريثها للأجيال القادمة. وهكذا ارتفعت صورة الأسلاف لمقام أعلى وصار الاحتفاظ بجماعهم نوعاً من الوفاء لهم حيث "تمثل عبادة الجماع المظهر المادي لعبادة الأسلاف، وتعتبر تجديداً في تاريخ الإنسانيّة وتاريخ الأديان. فقد أصبح التسبب أمراً مهماً، منذ أن ظهرت فكرة الملكية الخاصة، وتبعتها فكرة الوراثة وأصبح الراعي أو المزارع مدركاً أنه سيترك، يوماً ما، قطيعه أو أرضه إلى أبنائه، كما ورث هو نفسه ملكاً من أبويه، وأنه مدين لمن تقدّمه بظروف عيشه. وأصبح وضع الشيخ مرتبطاً بهذا التطوّر (مسألة الشيوخة أمر نسبيّ، فالأمل في الحياة لم يكن يتجاوز، في تلك العصور، ثلاثين أو خمساً وثلاثين سنة..!) وبدأت ترتسم صورة (الحكيم) أو الشخص العالم والقادر على نقل ما تلقاه عن الأسلاف للأحياء. وعلى هذا الأساس، فإن ظهور فكرة السلف كانت استمراراً منطقياً لظهور شخصيّة الشيخ الحكيم، ولا بد أن نلاحظ أنّها كانت فكرة كونيّة، فكل الثقافات والحضارات قد مارست عبادة الأسلاف، وبعضها لا يزال يمارس ذلك، وقد اعتبر الأسلاف واسطة وقطب الرحي، في نظام التبادل مع الآلهة. لقد شعر الناس، وهم يضعون عبادة السلف، بالحاجة إلى حضور قويّ ومباشر ومحسوس لموتاهم، فذلك عملوا على الاحتفاظ ببقية من جثتهم، والغالب أنهم احتفظوا بالرأس، لأنّها كانت تعتبر محلّ الرّوح والقدرة. إنّ هذا الشعور يوازي شعور الإنسان المبكّر بالحاجة إلى أن تكون الآلهة التي يتوجه إليها بالدعاء آلهة محسوسة وقريبة منه. (لونوار 2012: 47).

ربما يتخطى الأمر هذا الاهتمام النوعي بالجماع ومكانتها ويذهب إلى أبعد من ذلك حين يقرّر بعض الباحثين أن ظهور مثل هذه العبادة يؤسس لظهور الدين، ويكون مثل هذا الرأي سائداً قوياً لأهميّة النيوليت في اعتباره الرحم الحقيقي لظهور الدين في التاريخ، فقد "مثل قيام عبادة السلف مرحلة هامة في تاريخ الأديان، لأنها عبادة غيرت تغييراً جذرياً علاقة الأحياء بالعالم الآخر. وقد ذهب الفيلسوف الإنجليزي هربرت سبنسر (1820 - 1093) H. Spencer في كتابه مبادئ علم الاجتماع، الصادر سنة 1875، إلى حدّ التأكيد بأن هذه العبادة كانت مصدر الدين. وقد يتضمن هذا الرأي شيئاً من الشطط بالنظر إلى ما قدمته لنا بعده الاكتشافات المتعلقة بالعصر الحجريّ القديم وبالأركيولوجيا، لكنه لا يخلو مع ذلك من بعض المستندات". (لونوار 2012: 48).

ويرى فراس السواح "أن ظهور التشخيص في مثل هذا الجماع، ومحاولة الإنسان تشكيل ملامح وجه إنسانيّ هو بدأ ظهور فكرة الإله حيث دخل الفكر الدينيّ مرحلة التشخيص وأخذ الإنسان ينظر إلى القوة من خلال تمثيلات مشخّصة وشيئاً فشيئاً تحوّلت القوة تشخيصات ذات قوة، وتكسّر مبدأ القوة السارية إلى عدد من القوى، وظهرت الآلهة" (السواح 1993: 208). ربما كانت أهميّة هذه العبادة كامنّة في تشخيص الملامح فضلاً عن تشخيص مكان الروح وهو (الرأس)، حيث تكون هذه العبادة داعمةً لاستمرار الأرواحيّة في الفكر السحريّ/ الدينيّ، حيث يرى كوفان أنّها "تجعل من الرأس مقراً للروح، أو وعاء للقوة المقدّسة، ويمكننا أيضاً حسب كينون الاستنتاج بأن هذه الجماع لم تجمع من الأعداء الموتى، بل إنها حفظت كأوعية لقوة مقدّسة غير محدودة وعلى الأرجح فإن إجلال أرواح الأفراد الموتى كان الدافع لتوسطهم بهذا الشكل". (أنظر كوفان 1988: 75).

الجنّازة الثانية:

هناك ما يشير إلى أن تكرار الاحتفاء بالميت بعد مرور فترات منتظمة (بعد مرور أربعين يوماً أو سنة أو عقد أو قرن من السنوات) له جذور نيوليتيّة في ما يُعرف بـ(الجنّازة الثانية) التي

نجدها عند القبائل البدائية وفي بعض تقاليدنا البسيطة في الاحتفاء بالموثق وذكراهم "لقد نشأت عادة (الجزاة الثانية) في الشرق الأوسط، وتؤكد وجودها في أوروية، منذ الألفية الرابعة، قبل الميلاد، ولا تزال مطبقة في بعض الديانات الشفوية، في أفريقيا أو أوقيانيا، وهي قائمة على المنطق الذي عرضت. وقد أطلق على هذا التقليد أيضاً عبارة (تقليب الموثق) ويتمثل في احتفالات تنظم، بعد سنين من وفاة الشخص، وغالباً ما تتقرر إقامة الاحتفال، بعد أن يظهر الميت في منام أحد الأحياء، ويطلب منه ذلك. وتقتضي العادة في أفريقيا، وهي قريبة جداً من تقاليد العصر الحجري الحديث، أن تؤخذ الجمجمة وتطهر بالأدعية". (لنوار 2012: 47).

تلازم عبادة الخصب مع عبادة الأسلاف (الموثق، الجماجم):

كثير من الملاحظات تشير إلى التلازم بين عقيدة الخصب الأثوية ممثلة بالإلهة الأم، وعقيدة الموت الأسلافية ممثلة بالرووس والجماجم، وهذا يعني بلغة اصطلاحية تلازم الأساطير والآخرويات، أو المثلوجيا والإسكاتولوجيا، بل هو يشير إلى تكامل الحياة والموت، "إن عقيدة الخصب وعقيدة الموثق تظهران متضامتين. وفي الواقع، إن ثقافات (حاصلار) و(ساتال هيويون) (7000 ق.م في الأناضول واللتين سبقتا - وعلى الأرجح أثرتا - على الثقافة الما قبل الخزفية pre Ceramique لجرش، تشيران إلى وجود عقائد مماثلة. فعقيدة الجماجم Culte des cranes قد تأكدت على نطاق واسع في (سيلار) و(ساتال هيويون). والهياكل العظمية كانت مدفونة تحت أرضيات المنازل مصحوبة بهدايا جنازية: مجوهرات، حجارة نصف ثمينة، أسلحة منسوجات أقداح من خشب الخ. وقد وجد في الأربعين مقبرة التي حفرت حتى عام 1915 العديد من التماثيل من الحجارة والطين. إن الآلهة الرئيسية هي الربة، ممثلة تحت ثلاثة مظاهر: فتاة شابة، أم ولود لطفل أو (ثور) وعجوز (مترافقة أحياناً بطائر صيد). الآلهة الذكورية تبدو تحت شكل ولد أو يافع - الإبن أو عشيق الربة - وبالخ له لحية، وحيناً يكون ممتطياً حيواناً مقدساً، الثور. إن تنوع الرسوم على الجدران أمر مدهش، حيث لا توجد مقبرتان متشابهتان. بروزات الربة تصل أحياناً لارتفاع مترين، مقلوبة بالجص، أو الخشب أو الطين ورؤوس الثيران تجليات الإله كانت مثبتة على الجدران. والتصوير الجنسي غائب، ولكن الصدر النسوي وقرن الثور - رمزي الحياة - هما مختلطان أحياناً. إن مقبرة تعود لحوالي (6200 ق.م تضم أربع جماجم لرجال موضوعة تحت رؤوس الثيران المثبتة على الجدران. وأحد الجدران مزين برسوم ممثلة لحداد ذات أرجل بشرية تهاجم رجالاً مقطوعي الرؤوس. إنها، بالتأكيد، تتعلق بخليط أسطورة شعائرية هامة ولكن معناها غائب عنا". (إلياد 2006: 65).

7. رموز النيوليت

يُخيل إلينا أن واحداً من أعظم ما أنتجته ديانة النيوليت هو إنتاجها للرموز (التي عُبر عنها بالتشكيل والنحت). وقد ظهر ذلك بشكل خاص بدءاً من ثقافة حسونة ووصلت ذروتها في ثقافة سامراء أي بين (5800 - 4900) ق.م. أي طيلة ما يقرب من الألف سنة الأخيرة من الثلاثة آلاف سنة للنيوليت، بمعنى آخر في ثلثه الأخير. ومهما كان زمن ظهور الرموز في حياة الإنسان إلا أن ذلك يقودنا بالضرورة، إلى علاقتها بالأسطورة. "إن الرمز يحتوي إشارة حرفية وكذلك مدى أعظم منها بكثير، من المعنى والتضمين والعاطفة، كلها غير مدوّن، والرمز كثيراً ما يندمج مع النمط الأعلى، أو التعبير عن موتيفات غريزية وكونية مختلفة، أو أنساق من السلوك والمعتقد الإنسانيين تأتي مشحونة بزخم عاطفي بدائي". (مجموعة مؤلفين 1973: 6).

لكن الرمز وهو يتشكل أو يتكوّن مادياً يقودنا بالتأكيد إلى أنفاق كان حفرها في اللغة وتجسدت على شكل ليجورة أو ميثوس. وهما شكلان بدائيان للحكاية والأسطورة على التوالي،

ومن الليجورة أو الميثوس يفتح الطريق نحو الأسطورة بمعناها الأعظم ك (حكاية مقدّسة). فالعلاقة إذن بين الرموز والأسطورة قائمة أولاً في اللغة المحكيّة بشكل جنيني، ولكن مع اقتراب عصر الكتاب لعب الفن التشكيلي دوراً خلاقاً في مسك طرفي الرموز والأساطير وتداخلهما، بل وإذابتهما في مصهر واحد. إننا لا نستبعد مطلقاً أن تكون رموز النيوليت هي نتاج أساطير محكيّة من ناحية. وهي تقدّمت لظهور رموز الكتابة من ناحية أخرى، وبذلك تكون تلك الرموز قد لعبت دوراً خطيراً في انعطافة عصور وعقائد ما قبل التاريخ إلى العصور والعقائد التاريخيّة بشكلها الشامل المتّسع.

إن الأساطير في حقيقتها "هي الشكل القصصي لتلك الرموز النمطيّة العليا التي تؤدي معاً إلى كشف متماسك المعنى عما يعرفه الإنسان ويؤمن به. الأسطورة في ازدواجيتها رؤيا مشيئة، إنها توجد بلغة ما هو أعمق من كل شيء في يناييع الشعور الإنساني وإدراكاته". (مجموعة مؤلفين 1973:6).

وإذا كانت الرموز قد لعبت هذا الدور، قديماً في حياة الإنسان، فإنها بلا شك لعبت وما زالت تلعب دوراً مشابهاً في حياة الإنسان المعاصر، وقد بذل يونغ جهداً عملاقاً في إيضاح هذه الحقيقة.

وتشكل الرموز النباتيّة والحيوانيّة الطبيعيّة والهندسيّة محاور بحوثه هو وتلاميذه، ورغم أنّهم جميعاً (هو وتلاميذه) يرجعون هذه الرموز بشكل عام إلى الحياة البدائيّة الأولى، لكنهم في تطبيقاتهم العمليّة يجدون في اليونان والمسيحيّة أعمق نقاط ظهورها الصريح، وقد نوّهنّا عن خطأ هذا تصوّر.

يرى يونغ أن الرموز ليست فرديّة، بل جماعيّة في طبيعتها ومنشئها وهي في المقام الأول صور دينيّة. إنّها ذات منشأ مقدّس مدفون في خفاء الماضي إلى عمق تبدو فيه بلا أصل إنساني. وإنها تعبّر عن أمّاط أو نماذج أولى Archetype وإنّها تظهر في جميع الحالات النفسيّة وخصوصاً في الأحلام وهي ما زالت تمارس، دون أن يعي الإنسان ذلك، دوراً مهماً في تطوّره ورفيقه". (أنظر يونغ 1984).

إن مثلاً واحداً دالاً يورده جوزيف كامبل في كتابه (أفئعة الله) يوضح التداولية الرميّة العفويّة لبعض مفردات الحياة الدنيّة النيوليتيّة. ففي قبر أطفال كسيحاء في موقع مالطا (النيوليتي) عثر على عشرين تمثال أنثويّ صغير، وهناك دبوس عاج يحملها كل تمثال على جانب واحد فيه شكل حلزوني، أما في الجانب الآخر فهناك ثلاث أفاع تشبه الكوبرا، ويظهر لنا حلزون آخر مثبت على جانب سمكة عاجية، ويبدو المدفن مثل متاهة بتعاريجه والأطفال موجهة رؤوسهم نحو الشرق وهناك في القبور طيور عاجية. (Campbell 1959)

إن الطيور والاسماك والأفاعي والمتاهة.. كلها تدل على الإلهة الأم وطقوس العودة الروحيّة فهي رموز لما بعد الموت. وتشكل الأفعى الشيطانيّة (Serpent) مرحلة أولية تتحوّل فيها إلى البتول أو العذراء (Maiden) بعد أن تتخلص من الشكل القضبي للأفعى.

اختتم النيوليت عصره بثقافة سامراء (5100 - 4900) والتي غلبت عليها ظهور الرموز الدنيّة بطريقة شاملة، وكانت لهذه الرموز بدايات أولية في ثقافة حسّونة عندما نحا الرسم نحو التجريد واختزلت الكثير من المعالم وسادت الخطوط والدوائر والنقاط والأشكال الهندسيّة محل التجسيدات.. لكن الرموز والتجريد بمعناها الواسع ظهرا في فنون سامراء ودياناتها، وفي هذه الفترة نفسها نلمح رموزاً في منطقة الشرق الأدنى متأثرة بثقافة سامراء، ونحن نرى أن ظهور الرموز مع نهاية النيوليت وبداية الكالكوليت كان له الأثر الكبير في اختراع الكتابة لاحقاً

في نهاية الكالكوليت (مرحلة البروتوليت) لأن الرموز نشطت العقل البشريّ باتجاه إمكانية تدوين سهل لمشاهداته من الأشياء حوله، كذلك أودّ أن أشير إلى أن الرموز التي اسماها يونغ برموز الإنسان المنطلقة من لاوعي الإنسان والمعبرة عن ذاكرة جماعية بعيدة، هذه الرموز عراقية قديمة في أصلها، منشؤها الرافدين الشماليّ، لكن يونغ في كتابه (رموز الإنسان) يرجعها في أقصى حدّ إلى الثقافتين المسيحية أو اليونانية، وأحياناً إلى الثقافات الهندية والصينية (أنظر يونغ 1984 و1987).

لكن حقيقة الأمر أن هذه الرموز ذات منشأ رافيدينيّ، بشكلٍ خاص، وسنمرّ على بعضها الآن، رغم أن لنا وقفة منفصلة في كتاب منفصل مكرّس لهذا الموضوع:

1 - المندالا: المندالا في أبسط تعريف لها هي (دائرة تنقسم إلى أجزاء متناظرة تنشّد كلها نحو المركز، أو تشعّ عنه في تكوين جمالي متماسك، وترمز المندالا إلى حركة الوجود حول مركز واحد، ويبدو لنا مركز المندالا وكأنه المطلق الذي تدور حوله التفاصيل. (يونغ 1984: 359).

ويشير رمز المندالا قديماً وحديثاً إلى فرد مركزيّ عظيم يحيط به الكون، أو إلى انبعاث هذا الكون منه، وسواء كان هذا المركز هو الله، أو الإنسان، فإنّه في كلتا الحالتين يشير إلى الكلية والكمال. وقد تظهر المندالا في (عبادة الشمس البدائية، أم في الدين الحديث، في الأساطير، أم في الأحلام، في المندالات التي يرسمها رهبان التبت، في التصاميم الأساسية للمدن، أم في المفاهيم الكونية للفلكيين القدماء، فإنها تشير على الدوام إلى مظهر للحياة مفرد وأعظم جوهرية في كليتها النهائية).

لقد شكلت المندالا والصليب المتلازمان رمزاً لما كان يسمى بتربيع الدائرة وهو الأمر الذي شغل اليونان والعرب لاحقاً وكان يلعب دوراً كبيراً في علم الكيمياء القديم والخيمياء، كذلك كان أعظم رمز للمسيحية وخصوصاً في القرون الوسطى، ولا يمكننا إغفال الأهمية الكبرى للمندالا في تصميم المدن، وإن تلازمهما، في حقيقة الأمر، ليدل دالة رمزية واضحة على تلازم الكون (المندالا) والجسد الإنسانيّ (السواتسيكا) ودوران الجسد في الكون بطريقة إحصائية لا تنتهي سواء عن طريق الجنس في حركة الرجل مع المرأة، أو في رقص المتصوفة الذي تتشكّل فيه فردياً، أو جماعياً أشكال المندالا والسواتسيكا معبرة على الكلي والمخصب في آن واحد.

إن ظهور المندالا والسواتسيكا المبكر في ثقافة سامراء ليدلّ على انتقال مهمة في فن الإنسان العراقي القديم وبدء تمثله للرموز الكبرى التي أصبحت في ما بعد رموزاً شاملة للإنسانية كلها عبر التاريخ وما زالت.

ونرى المندالا مجسّدة في أغلب النقوش الفخارية لثقافة سمراء وقد نرى المندالا وهي تحيط الصليب أو الصليب المعقوف (السواتسيكا)، أو نصفه أو الزهرة أو الأشكال الأخرى.



الأعلى: سواستيكا الطيور والاسماك ومندالا زخرفة
الخطوط. الصليب المعقوف في المركز الأسفل:
سواستيكا العقارب ومندالا الصلبان. الصليب
المعقوف في المركز

الأعلى: سواستيكا الراقصات ومندالا العقارب
الأسفل: سواستيكا الماعز ومندالا زخرفة الخطوط.
الصليب في المركز

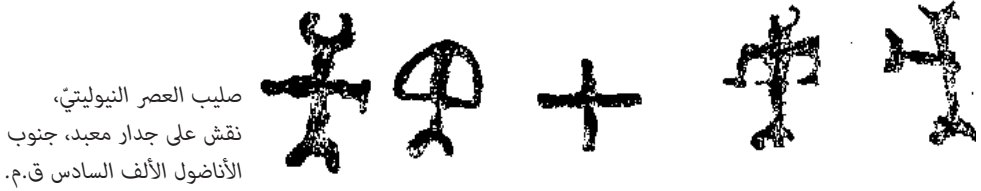
الأطباق الفخارية من سامراء مزينة بنقوش السواستيكا والصليب والمندالا وسواستيكا الراقصات الأربع - رقصة أكيو

<https://aratta.wordpress.com/2015/03>

2. **الصليب**: يرمز الصليب إلى الخصب في النيوليت، وهو إذ يعبر عن تقاطع عمودين صغيرين في الغالب مثل علامتي الجمع أو الضرب (+)، (X) فإنه ينطلق من تصور أقدم يعبر عن لقاء ذكري أنثوي، أو عن الأطراف الأربعة للإنسان أو الجهات الأربعة للمكان، أو عن لقاء العضوين التناسليين الذكري والأنثوي، وربما عبر قبل ذلك عن النار، وتكونها من احتكاك عمودين حجريين في عصر الباليوليت، وبذلك يعبر عن الطاقة كما عبر عن الخصب في النيوليت، وقد

ظهر الصليب في بعض فخاريّات حَسونة مبكراً ثم ظهر بأشكال أخرى، وكما يلي:
أ. صليب حَسونة: ويظهر على بعض فخاريّتها.

ب. صليب سمراء: المعبر عنه بعلامات الجمع والضرب التي تحيط أطر فخاريّات سمراء، أو توجد في داخلها. وهناك طبق فخاريّ يظهر فيه الصليب في المركز واضحا وآخر في الأطراف.
ت. صليب الأناضول: الذي وجد على جدران معابد يعود تاريخها إلى الألف السادس ق.م. بأشكال متعدّدة أحيانا إلى الإنسان والهلال وغير ذلك.



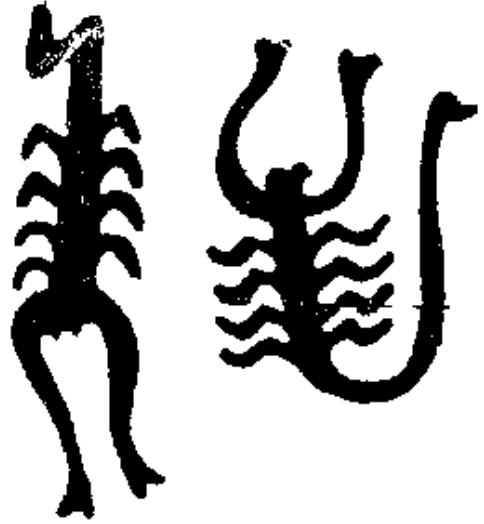
ث. صليب جطال حيوك للإلهة الأم: وقد تحدثنا عنه.

ج. الصليب المعقوف (السواستيكا Swastika): كان المعتقد السائد بأن الصليب المعقوف الذي هو رمز للنازية مأخوذ من أحد الرموز الآرية التي ترجع إلى الثقافة الهندوأوروبية ولكن حقيقة الأمر تفيد بأن هذا النوع من الصليبان قد ظهر في الألف السادس ق.م. في الثقافة العراقية القديمة في سامراء وهو يشير إلى الخصب المتحرّك أو الخصب الذي يأتي بعد حركة أو طقس. ويمكننا في ثقافة سامراء تمييز أربعة من الأواني الخزفية التي فيها ما يشير إلى خطين (عمودي وأفقي منكسرين يدلان على الحركة حول مركز معين وتشكل صليباً معقوفاً حول هذا المركز وهي:

ح. مظهر النساء الأربع العاريات وهنّ يؤدّين طقس استنزال المطر (الاستسقاء) على شكل رقصة دائرية ذات طابع سحري حيث تنثر كل واحدة منهن شعرا إلى جهة من الجهات الأربع. ويتضح لنا أن هذا الطقس يجري في منطقة صحراوية مجدبة بديل وجود ثمانية عقارب حول النساء الأربع بمعدل عقربين للمرأة الواحدة، ويلتقي رأس كل عقرب مع أطرافها السفلى عند رأس المرأة الناشرة الشعر... وتبدو العقارب كما لو أنها في حركة دائرية لا تنتهي ويأتي نثر الشعور كحركة سحرية تدل على تحرك الهواء اعتماداً على المبدأ السحري الخاص بالثشابه، حيث يؤدي تحريك الهواء في منطقة معينة، عن طريق شعر المرأة الخصب، إلى تحريك الرياح بصورة عامة، وهذا يجلب الغيوم والغبار فتمطر السماء، وقد سمي هذا الطقس لاحقاً بالسومرية (أكيتي)، الذي هو جذر لكلمة (أكيتو) وهو عيد رأس السنة البابلي، حيث (إن أقدم صيغة لكلمة أكيتو جاءتنا بحدود 2400 ق.م. وعلى شكل (آ - كي - تي)، العلامة (آ) تعني الماء ومجازاً المطر و(كي) تعني الأرض، و(تي) فعل بمعنى يقرب، فيكون بذلك معنى الكلمة كاملاً تقريبا الماء إلى الأرض، أي الاستسقاء، ولكن مما تجدر الإشارة إليه بهذا الخصوص هو أن العلامة (آ) كثيراً ما كانت تكتب بعلامة أخرى وتلفظ كذلك (آ) ولكنها تعني (العمل، الجهد، الساعد) وسبب هذا التغيير في نوعية العلامة (آ) يرجع إلى انتقال هذا الطقس إلى القسم الجنوبي من العراق لأن القسم المذكور لم يكن بحاجة إلا الاستسقاء بقدر حاجته إلى العمل وبذل الجهود من أجل شق القنوات وبناء السدود، ولذلك كتبت العلامة الأولى من كلمة أكيتو بشكلين الأول على أصل العيد والثاني ينسجم وحاجة المنطقة الجديدة التي يسكنها السومريون. (رشيد 1981: 85).

وقد تكرر مشهد النساء العاريات بدون العقارب في فخاريّات أخرى، وتكرر مشهد الراقصات الأربع بإضافة خامسة في طبق آخر وتداخلت أشكال الصليب المعقوف مع اشكال الصليب الأخرى في هذا الطبق.

خ. منظر العقارب الأربع وهي ترقصن أو تتحرك حول مركز سواستيكي وتزيّن المنظر أربع علامات برق سنتحدث عنها، ويظهر رمز العقرب في هذا الشكل ليدل على الإلهة الأم، لأن العقرب كما هو معروف تؤكل من قبل أبنائها الذين يخرجون من البيوض في جسدها، فهي بذلك رمز للأم التي يعتاش أبنائها على جسدها فهي كالأرض (الإلهة الأم)، وتشير علامات البرق إلى شكل صليبي أيضاً، وكذلك يبدو المركز وكأنه سواستيكا بشريّة متحرّكة (سواستيكا ذات الأذرع الصليبيّة).



مندالا وسواستيكا العقارب الأربعة (الإلهة الأم) والسواستيكا المركزية ذات الأذرع الصليبيّة وتظهر رموز العقرب بشكلين أحدهما ساكن والآخر راقص.



سواستيكا متحرّكة ذات أذرع

د. الجداء الأربعة اللائي يدرن حول البركة من الماء أو حول شجرة في المركز وتشكّل قرونهن في الحاليين أذرع السواستيكا، الجداء والبركة والنبته كلها رموز خصب.
 ذ. سواستيكا الاسماك: ويظهر في حيث أربعة طيور بأجنحة طويلة وذبول. وفي منقار كل منها سمكة وتحيط بها ثمان سمكات تسبح باتجاه معاكس لعقارب الساعة، ويظهر في مركز الشكل رمز الصليب المعقوف واضحاً جداً. وكذلك تشكل أجنحة الطيور أذرع السواستيكا الأربعة.

نصف السواستيكا (S): وهي على شكل الحرف اللاتيني (S)، والذي يرمز إلى الحركة والخصب ويمثله إناء خزفي من سامراء فيه جديان يقرون متقابلة عكسياً.

رمز العضو التناسلي الأنثوي (رأس الرمح أو المثلث المشطور): ونراه مكرراً في طبق فخّاريّ من سامراء في حركة دائريّة. وهي سهام تتحرك منتظمة وعشوائية وتكاد تشبه حركة وشكل الحيامن في نفس الوقت الذي تشير إلى شكل الفرّج، خصوصاً إذا نظرنا إلى السهام الصغيرة جداً، والتي تشبه الحيامن.

وفي هذا الجو الجنسي والخصبي (اللاشعوري) نلمح طيوراً تطير وتتبعها السهام باتجاهها حتى ليكاد المنظر بأكمله يبدو منظر صيد للطير في الوقت الذي يدل أيضاً على مشهد ذي رموز جنسيّة.

رمز العقرب: ويشير إلى الإلهة الأم، وأن صغارها يعتاشون عليها ويأكلونها مباشرة بعد ولادتهم فترمز إلى الأم والأرض.

وقد تأخذ هذه العقارب صفة الأضاحي التي يموتها يموت الجذب ويسقط المطر وينمو الزرع، وسيظهر رمز العقرب في أعياد الأكتيو السومريّة والبابليّة مع الأفعى التي هي رمز الإلهة الأم أيضاً. (أنظر النعيمي 1976).

في اليوم السادس من عيد الأكتيو يحمل الكاهن تمثالين بطول سبعة أشبار مصنوعين من خشب الأرز وخشب الأثل. أحدهما للأفعى والثاني للعقرب ويلبسهما أردية حمراء. (أنظر الأمين 1962).

رمز السمكة: ويدل رمز السمكة على الماء أو المطر وهو أحد رموز الخصب حيث تظهر بعض الأواني الفخّاريّة تحمل ثماني سمكات تدور باتجاه معاكس لعقرب الساعة حول أربع سمكات مطعونة بمركز سواستيكي، وقد تشير إلى الإلهة الأم أيضاً.



السمكة، رمز الماء والإلهة الأم، رسم لنا الناصري

رمز الجدي (الماعز): ويدل على الخصب أيضاً بشكل ثنائيّ أو رباعيّ، وله قرون مزدوجة مسنّنة، أو قرون شجريّة مسنّنة وبصلبان صغيرة ولها ذيول مقوّسة أو ذيول مثلثة مشروطة وبعضها يأكل العشب، وتدور حول ماء أو شجرة في تشكيلات سواستيكية أو نصف سواستيكية. رمز البرق: وهو من الرموز الالفتة للنظر ويظهر مبكراً على أطباق فخّاريّة من سمراء بشكل حرف U المتعرج الذراعين وهو يشير إلى الاستسقاء ومحاولة إنزال المطر. ويظهر هذا الرمز للبرق لاحقاً في الديانة السومريّة والبابليّة ممثلاً للإله أد وهو إله ذكريّ قويّ يرمز للقوة والخصوبة في آن واحد.



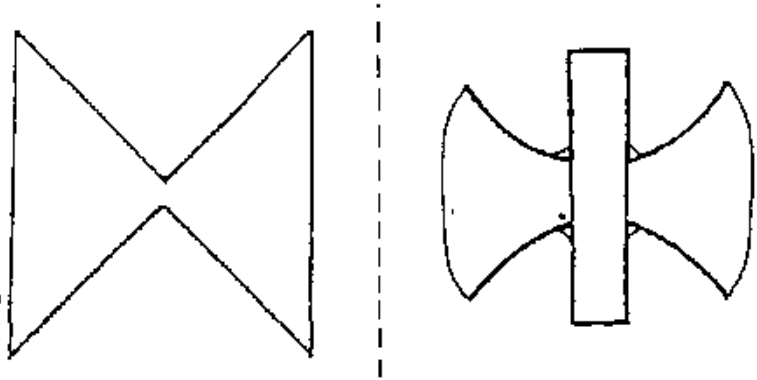
رمز السنبله رسم لنا الناصري



رمز البرق

رمز المثلثين المتقابلين: سيتحوّل هذا الرمز لاحقاً إلى فأسين متقابلين، وقد شكّله هذا الجديان المتقابلان من أرجلهما رمزاً مبكراً سنلمحه في الثقافة اللاحقة لثقافة سامراء واضحاً يشير إلى الفأس المزدوجة وهي رمز الإله إنليل.. إله الهواء. أما هنا في سامراء فسنراه في أشكال عدّة بصورة عفوية وقد يأخذ الدلالة نفسها.

الفأس المزدوجة والمثلثان
المتقابلان رمزا الهواء



رمز الطير: يظهر في الأطباق الفخارية مطعوناً أو تتجه إليه السهام وهو يدل على الهواء الإله الذكر.

إن رموز العقرب والجدي والبرق والمثلثين والطير والسمة كلها تشير إلى آلهة ذكورية، أو رموز ذكورية بدأت تظهر مقابل الرموز الأنثوية والإلهة الأم. وهذا يشير إلى الانقلاب الذكوري الذي سيتضح مع أول ثقافة من ثقافات الكالكوليت.

ويمكننا أن نصنف هذه الرموز إلى هوائية (كالبرق والطير والمثلثين) وهي تشير إلى الإلهة الب (إله الهواء)، ومائية (كالسمة) وهي تشير إلى إله الماء (الإله الإبن) والجدي (إله الخضره الإبن) والعقرب (الإلهة الأم) وهي ظنون مبكرة لبانثيون نيوليتي رمزي لا نملك أدلة مكتوبة عليه.

رمز السنبله: ويظهر مبكراً في فخار حسونة ويشير إلى الخصب والنبات. الرموز الهندسية: لا يخلو طبق فخاري من أشكال هندسية مختلفة بعضها يدل على أشياء محدّدة مثل الخط الممتوج الذي يشير إلى النهر والماء والخطوط المنكسرة والمتعرجة والمندرجة، والأشكال المثلثة والمربّعة والمعيّنة، والأشكال الدائرية التي ظهرت مبكرة في ثقافة حسونة وتشير ربما إلى الشمس أو القمر، وهناك الأشكال القوسية التي تشير إلى الهلال وقرون الثور وأشكال هندسية مركّبة الغرض منها تزيين محض.

الرموز الكوكبية: ظهرت رموز الكواكب في نقوش الفخاريات النيوليتية وهي تدل على أول إشارة لدخول الكواكب كعناصر عبادة إضافة لعناصر الخصب التي تعرّفنا عليها وسيكون هناك ربط لاحق بين عنصر الكواكب والخصب مع إدراك أهمية المطر والأنواء الجوية في الزراعة، وبذلك لم تعد خصوبة الأرض (الإلهة الأم) هي الأساس في العبادة النيوليتية كلما اتجهنا إلى نهايتها، بل بدأت تظهر عناصر أخرى، كالمطر والهواء والبرق والشمس والكواكب وكل هذه العناصر تحتشد بشكل ذكوري باتجاه الديانة الأنثوية النيوليتية لينتج عنها التحوّل الكبير في الكالكوليت نحو صعود الديانة الذكورية، ومن هذه الرموز ما يلي:

الشمس: وتظهر على شكل دوائر في ثقافة حسونة وسامراء ربما دون إشارة واضحة جداً لوظيفتها.

القمر: وهو عنصر أنثوي في الديانة النيوليتية الشماليّة وسنوضح ذلك لاحقاً، لكنه يتحوّل إلى عنصر ذكوري مع ظهور شكله كهلال، لأنه يشير إلى قرني الثور ويدل على الإله الإبن المولود من الإلهة الأم (القمر)، وهي دورة القمر (البدر - الهلال - المحاق).

النجمة الرباعية: تظهر عرضاً على حافات الأواني الفخارية. النجمة السداسية: وتظهر على أجساد الجرار الفخارية لتل حسونة وتبدو وكأنها متحركة، حيث تميل أشعتها إلى الحركة باتجاه عقرب الساعة وتترّين هذه الأشعة بنقاط.

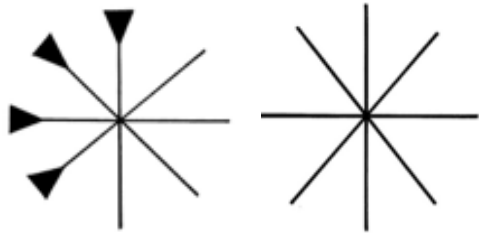
نجمة الغسول الثمانية

النجمة الثمانية: وتأتينا هذه النجمة من الأردن (تليلات الغسول) وهي واحدة من أندر وأجمل اللوحات الجدارية في الشرق الأدنى بأكمله، والتي تعبر عن أواخر عصر النيوليت، وربما ظهرت فكرة الإله الذي أريد تشخصه بالإلهة الأم في بداية النيوليت، على شكل نجمة ثمانية في نهاية النيوليت. وهذا يشير أيضاً إلى انتقال الألوهية من الأرض إلى السماء. وقد تشير نجمة الغسول إلى الشمس، ولكنها في الغالب تشير إلى النجمة ذات الأشعة الثمانية، ونجمة الغسول في حقيقتها ثلاث نجوم ثمانية واحدة بداخل الأخرى... وكان هذا الرقم (3) يعكس الكثرة من النجمات ولنتأمل في جدل التعدّد والتوحد هذا، المعبر عنه برمز سماوي هو النجمة... وقد يدل هذا

على تشويق إنسان النيوليت (أو الكالكوليت)، وشعوره بالملق، وأنه يعكس اهتماماً مبكراً بالكواكب وربما بعبادتها، وهذا بحد ذاته أمر في غاية الأهمية، فرمما دلت هذه النجمة على إله... بل إنه لمن المؤكد أن رمز (إله) في الكتابة المسمارية التي ظهرت في سومر منتصف الألف الرابع قبل الميلاد له علاقة كبيرة بهذه النجمة الثمانية. فالرمز المسماري دنگر (dinger) كما هو معروف يدل على الإله ويرسم بأشعة ثمانية وربما دلت هذه النجمة تحديداً للإلهة عشتار أو إنانا، لأن رمزها الأول هو كوكب (الزهرة)، وبذلك يُعطينا هذا الرمز أكثر من دالة على عبادة الكواكب وعلى بدايات الكتابة.



نجمة الغسول الثمانية



رمز الإله، أصل علامة دنگر المسمارية وترمز لأشعة ثمانية أو للجهات الثمانية
رسم لينا الناصري

من خلال دراستنا لمسرى تكوّن الأساطير في الدين يمكننا أن نستنتج أن السحر شهد في عصر الباليوليت الأسفل والأوسط نشوء النماذج البدئية الأولى للإنسان (أركيتايب) واستمر ذلك من دون انقطاع، لكن هذه الأركيتايبات كانت الجذر الأكبر لظهور الرموز في الباليوليت الأعلى والميزوليت. ومن الرموز ظهرت الأساطير في النيوليت وشكّلت الركن الثاني في المكونات الأساسية للدين، وهذا يعني أن الأساطير أعادت إنتاج الرموز والأركيتايبات القديمة والجديدة لتكوّن بذور الأساطير الدينية والتي ستنتب أشجاراً بل غابات الأساطير في العصور التاريخية اللاحقة.

8. أقول الأرواح وبزوغ الآلهة: الإلهة الأم وتطوّرها

لا شك في أن ظهور الإلهة الأم (Mother Goddess)، في الشرق الأدنى مع بدء النيوليت هو أهم مظاهر ديانة هذا العصر، ولم يكن ظهورها بالأمر المفاجئ، لأننا نميل إلى عقدة الصلة بين

الأجيال الثلاثة السابقة لهذا الجيل الرابع للإلهة الأم، رغم أنها تتميز هنا بالخصب والأرض والرحم، في حين كانت الأجيال السحرية السابقة لها تؤيد طبيعتها الروحية والسحرية والولادية، ولا بد من إحراء مقارنات بين هذه الأجيال وبين ظهورها المبكر في البليوليت الأعلى في أوروبا، بشكل خاص، وظهورها اللاحق في النيوليت في الشرق الأدنى... ونرى أن عدم استمرار ظهورها خلال الفترة بين هذين العصرين متأً من عدم ارتباطها في البليوليت الأعلى بالزراعة والخصب الكوني واقتصارها على الخصب الفردي والولادة.. مما ضيق شخصيتها وقرّم انتشارها، ويبدو أن الزراعة كانت عامل نشر وتداول واتساع لعبادة الإلهة الأم.

لقد وجد الإنسان في المرأة البدينة المعافاة الخصيبة الحامل رديفاً للأرض الخصبة المثمرة. والمرأة كما هو معروف مكتشفة الزراعة وحافظة البذور، ولذلك رفعها إلى مرتبة الألوهية... وأصبحت الإلهة الأم لاحقاً تبدو وكأنها سبب اختصاب الأرض في العقيدة الدينية.

قام الإنسان أولاً بتشبيه الأرض بالمرأة البدينة كإلهة، ثم قام بعد ذلك بمحاكاة هذه الإلهة فأصبحت المرأة، زعيمة القوم، وكانت صفاتها بالضرورة القوة، والخصب والصحة، لأنها تناظر الإلهة الأم، وظهرت طقوس العبادة التي تحاكيها أيضاً.

إن فعلي التشبيه والمحاكاة يحملان جوهر الدراما، ونرى كذلك أن عبادة الإلهة الأم جرى في العصر النيوليتي في العراق، وكانت الأرض التي يريد الإنسان زراعتها مسرحاً لها بالدرجة الأساس ولذلك كانت تماثيلها المخروطية الشكل ذات النهاية المدببة السفلى تثبت في الأرض أثناء عمليات الزراعة، أما التماثيل الهرمية الشكل ذات النهاية السفلى المسطحة، والدمى القادرة على الجلوس على الأرداف، فكانت توجد، غالباً في القرى والبيوت، وتبركاً بالإلهة الأم. وكانت هذه العبادة تشتمل على طقوس مختلفة تختلط معها الكثير من العناصر الدرامية والغنائية والدينية.

لقد رأى الإنسان أن (المقدس)، أو (القوة العظمى) للوجود يكمن في صفات الإخصاب والولادة التي هي من خصائص المرأة، ثم حاكى هذه القوة العظمى بالأثني (الأرض والمرأة) ذات الطبيعة الإلهية، وبذلك ظهرت الإلهات الأمهات في مناطق النيوليت في تواتر واضح احتفظ ببصمات كل مرحلة في شكل هذه الإلهة الأم وصفاتها.

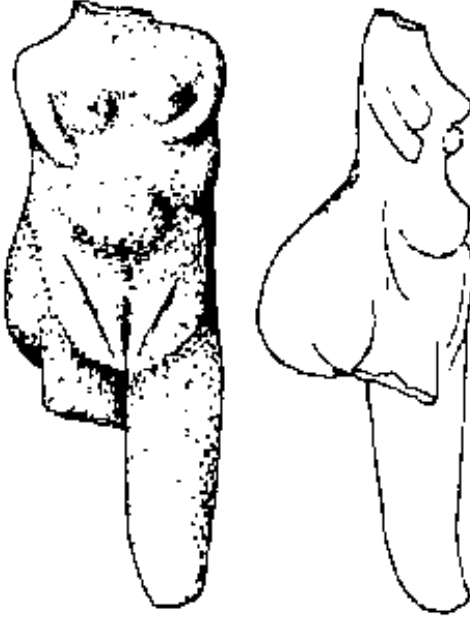
أساطير الإلهة الأم

فيل اليوم، أكثر من أي وقت مضى، إلى الاعتقاد بأن الأساطير الدينية بدأت بالظهور ابتداءً من هذا العصر النيوليتي. وكانت نواة الأساطير تنطلق من الأسطورة الأم الكبرى وهي أسطورة الإلهة الأم والتي نجهل حكايتها، لكننا نستطيع أن نخمن ماهيتها التي تدور حول الخليقة وبدء التكوين، وقد حدّدنا في كتاب آخر لنا اسم الإلهة الأم في هذا العصر وهو (م) والذي أصبح لازماً لاسم الأم في كل لغات العالم تقريباً.

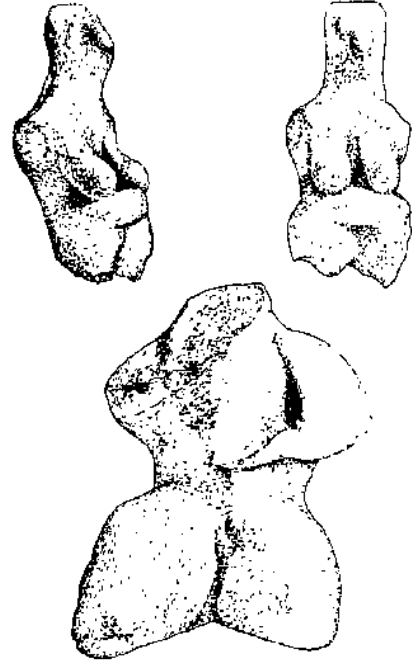
ارتأينا أن ندرج مراحل تطوّر وظهور الإلهة الأم التي هي جوهر الدين النيوليتي، حسب تسلسل الثقافات النموذجي لهذا العصر الذي أتينا على ذكره.

أولاً: الإلهات الأم لما قبل الفخار (الألف الثامن قبل الميلاد)

1. إلهة تل أسود السورية: وتظهر هذه الإلهة جالسة، بدينة وتضع إحدى يديها تحت ثديها. وفيها ما يدل على عدم دقة في الصنع، وأعضاؤها الأنثوية غير واضحة.



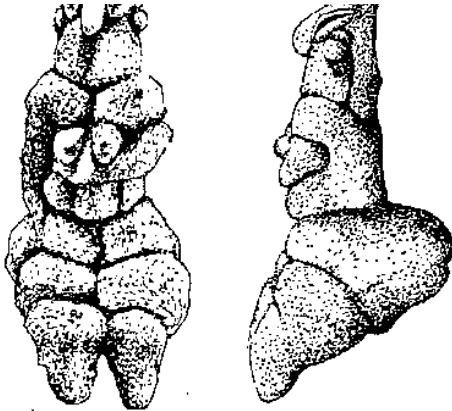
إلهة المريبط



إلهة تل أسود

2. إلهة المريبط السورية: وهي إلهة عديمة ملامح الموجه وتبدو أنداؤها صغيرة قياساً لجسدها وعضوها الأنثوي واضح وتضع يديها تحت ثدييها الصغيرين، وهذا الوضع بشكل الجذر الذي ستظهر به الإلهة عشتار في أكثر أوضاعها شهرة. وهو يدل على الأنوثة والعطاء، وهناك دمية أخرى تظهر أعضاؤها الجنسية واضحة.

3. إلهة المنحطة: وهي منطقة في الضفة الغربية للأردن، وتظهر فيها هذه الإلهة شبيهة بالحيوان ضخمة العيون والأنف، ويظهر ثدياها واضحين.

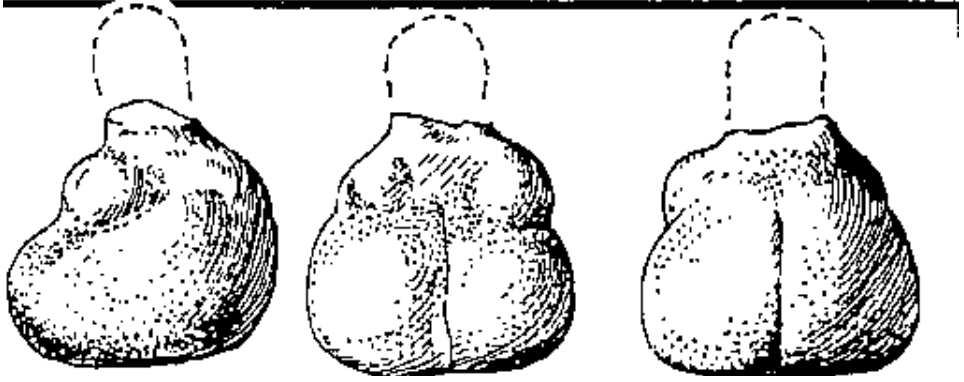


الإلهة الأم الرهية



إلهة المنحطة وشارها غولان (الألف الثامن ق.م وهي تماثيل بدائية حصوية غائبة الملامح.

4. إلهة البيضا: وتظهر في مجموعة من الدمى الصغيرة الأثداء والعجيزة.



إلهة البيضا

5. الأم الرهيبة (Mere Terrible): وهي من المنحطة أيضاً لنوع من الأم الرهيبة المشككة من مجموعة من القطع، ولها عيون تشبه الأفعى وأنف طويل وأثداء واضحة وعجيزة ضخمة، ونرى أن شكلها مشوب بصفات حيوانية وشيطانية وذكرية.

ثانياً: الإلهة الأم لما بعد الفخار

إلهة جرمو: وقد عثر على مجموعة من الدمى الطينية التي تمثل إلهات أغلبها في وضع الجلوس، ولها أعضاء أنثوية بارزة، وبعضها يبدو واقفاً. وهناك أفنعة أنثوية وربما تكون الهية. وهناك ما يشير إلى تشوّه واضح في الأعضاء والوجه في بعضها.



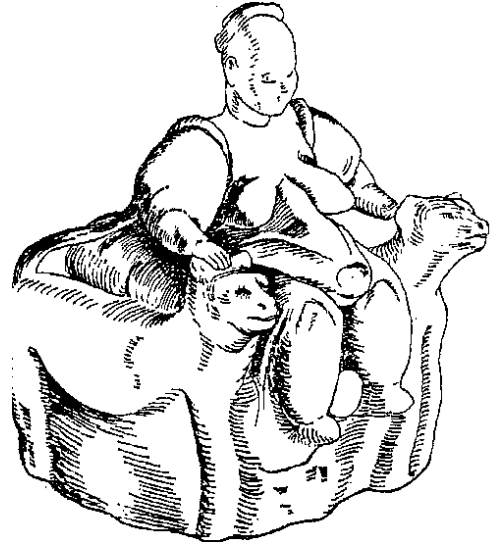
إلهة الصوان



إلهة جرمو، رسم لبنا الناصري

إلهة الصوان: أظهر تل الصوان نمطاً متقدماً من الثقافة النيوليتية فقد تطوّرت الإلهة الأم وظهرت منها دمي كثيرة وتظهر الإلهة الأم بدينة نسبياً، يظهر رأسها متوجاً بالقار دلالة على الشعر، ولبعضها عيون صدفية وحواجب واضحة ولها أهداء صغيرة قياساً لجسدها وبطن ممتلئة وأفخاذ بدينة. وهي في الغالب تضع ثديها متشابكين على بطنها. وهي إما في وضع الجلوس أو الوقوف، ويُشار لعضوها الجنسي أحياناً بمثلث، وأغلبها منحوت من المرمر. إلهة جطال حيوك: تشكّل المكتشفات الأثرية في موقع جطال حيوك في جنوب الأناضول عام 1958، من قبل جيمس ميلارت أعظم كشف أثاريّ لمرحلة النيوليت، حيث اعتبر هذا الموقع أكبر موقع نيوليتي وأكثراً تطوراً، وكانت الحالة النادرة للمواد التي وجدت فيه وللإبداعات الفنية مثار دهشة لا نظير لها. كانت جطال حيوك مستوطنة للمزارعين ومرّي الماشية، ومن ضمن سكانها عدد من الحرفيين الماهرين، وكانت التجارة حرفة أساسية لسكانها، ويمكننا أن نصف تماثيل الإلهة الأم إلى ما يلي:

الإلهة الولود: يشكّل تماثيل الإلهة الأم الأناضولية في جطال حيوك نمطاً فريداً لم تعهده سابقاً. فهي هنا جالسة في وضع ولادة على عرش ومُمسك بيديها رأس لبوتين كأنهما مسندين لهذا العرش. ويظهر ثدياها متهدلين.



الإلهة الولود/ جطال حيوك 6000 ق.م.

إلهة الفهود: وتظهر بشكلها المعروف وهي جالسة على الأرض وتحمل على كتفها زوجاً من الفهود. ويشير هذا إلى علاقتها الحميمة بالحيوان. ويمكن القول إنها سيّدة الحيوان ومظهرها يدلّ على ترويضها للبرية والوحش.

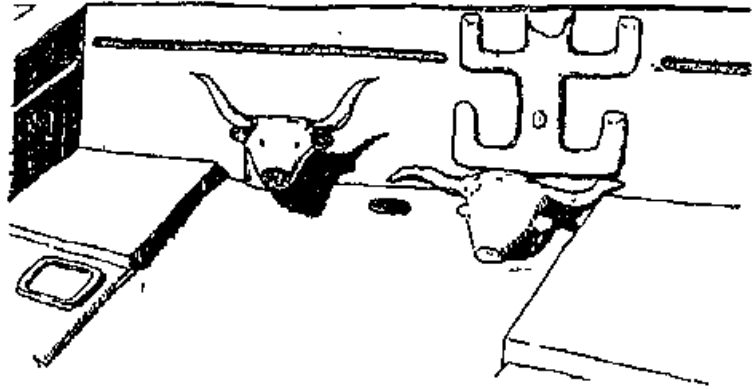


الإلهة الأم في جطل حيوك (حفریات حديثة)



إلهة النسور: تظهر النسور في جداريات مستوطنة جطل حيوك، وكأنها تنقض على جثث الموتى (ويستدل علماء الآثار، اعتماداً على هذه الرسوم، وعلى دراسة بقايا الهياكل العظمية لسكان تلك المستوطنة على أن الموتى كانوا يوضعون على مصاطب عالية في أماكن بعيدة خاصة، تأتيها النسور فتلتهم لحم الجثث وتترك الهياكل العظمي سليماً، وكانت المصاطب العالية تحمي الجثث من الكلاب والضباع، وما عليها من حيوانات القمامة، لتركها وقعاً على طيور الأم الكبرى، فإذا انتهت النسور من عملها، حملت الهياكل العظمية إلى مستودعات خاصة تترك فيها إلى فصل الربيع، حيث تأخذ كل عائلة موتاهم فتدفنها في منزلها تحت مصاطب النوم والجلوس، كما كانت أرضيات المعابد تُستخدم، لدفن الموتى ذوي المكانة الخاصة. ” (السواح 1993: 208).

الإلهة المزدوجة: ونجدها وقد ازدوجت في شكلين متناظرين أحدهما يحمل أثداء والآخر لا يحمل، لكي تلد منهما الآلهة الإبن - الثور الذي تحتها وكأنه خارج منها. الإلهة الصليب: وتظهر على شكل غائب الملامح يشكل جذعها المستقيم العمودي، وفيه سره، وتشكل يداها المرتفعة للأعلى المستقيم الأفقى التي يمنحها شكل الصليب، وكذلك تشكّل رجليها المستقيم الأفقى الثاني كساقين مبسوطتين.



الإلهة الصليب: نحت على جدار معبد في جطل حيوك

إلهة حسونة (الألف السادس ق.م: عثر على مجموعة من الدمى الطينية مكسورة الرؤوس والأيدي ومثل الإلهة الأم وتظهر أعضاؤها الأنثوية واضحة. ويمثل رسم على عنق جرة امرأة أو إلهة مرسومة بلامح مكتنزة ويظهر خداهم مخططين بثلاثة خطوط عمودية (يُظن أنه وشم)، وشعرها منسدل على جانبي وجهها بأربع خصلات في كل جانب.

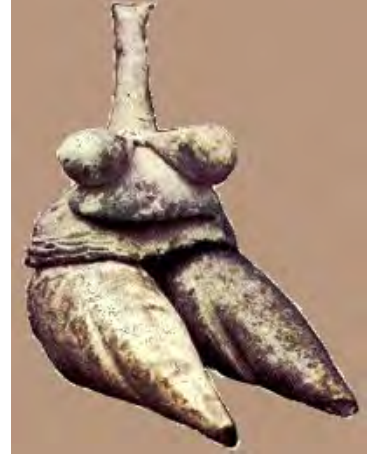


ذج من إلهة حسونة 6000 ق.م.

الإلهة الأناضولية (الألف السادس ق.م: وتظهر هذه الإلهة الممسكة بئديها كواحدة من أجمل التماثيل المعبرة عن الخصوبة. فهي إلهة ذات ملامح واضحة بعيون محززة حتى موقع الأذان وأنف طبيعي ولها جسد أنثوي ممتلئ الصدر والبطن والعجيزة والأفخاذ. ومصنوعة من البلور البركاني الذي يصرع به الصلصال المرن قبل تجفيفه في النار، وقد وجدت على جسدها آثار وشم صبغة حمراء.

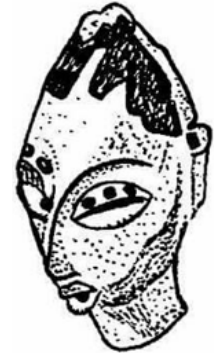
إلهة تبه سراب (الألف السادس ق.م: عثر عليها في موقع زاكروس المتأخر في إيران. وهي تمثال صلصالي صغير برأس مستطيل يشبه الساق وئديان بارزان وبطن ذي فخذين كبيرين. إلهة يارم تبه (الألف السادس ق.م: وهي منطقة رافدينية تمثل عصر حسونة وعثر فيها على تماثيل متميزين من الصلصال ينفرد أحدهما برأس مندفع بطوله إلى الوراء والجزء الأسفل يمثل عجيزة كبيرة وله تنورة ذات أهداب، ويظهر العضو التناسلي في أسفل التماثيل. إلهة جوخه مامي (الألف السادس ق.م: وهي تمثال بوضع الجلوس وتضع يديها على عضوها التناسلي ولها ئديان بارزان.

إلهة سامراء: لم يعثر على الكثير من الدمى الإلهية في سامراء، ولكن هناك تمثال صلصالي فريد يمثل رأساً كبيرة لإمرأة أو إلهة بلامح واقعية.



إلهة تبه سراب

<https://www.etsy.com/listing/106132199/venus-of-tepe-sarab>

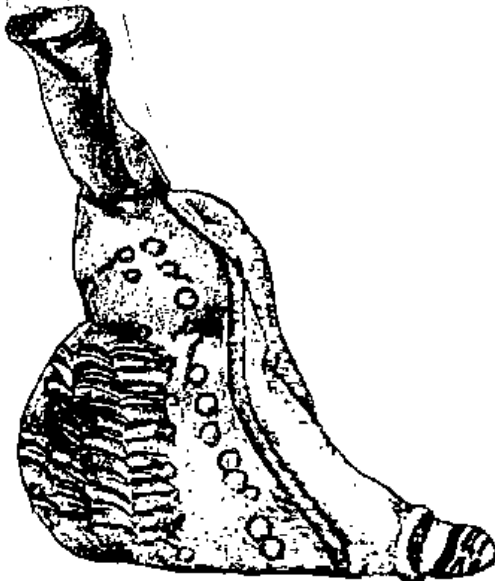


إلهة سامراء 6000 ق.م. رسم لنا الناصري

إلهة حاصلار (حوالي 5000 ق.م عثر على جرة من الفخار الملون رسم إلهة وعلى جسدها خطوط عريضة، تبدو كأنها تُمسك ثدييها.

3. تطوّرات الإلهة الأم: من الأم الكبرى إلى الخنثى إلى الذكر
الإلهة الخنثى (الانثى/الذكر)

نعود إلى السبب ذاته المتمثل بطغيان الإلهة الأم ومحاولة جمعها للصفات الذكورية أيضاً، حيث تبرز مجموعة من التماثيل التي تظهر هذه الإلهة بأعضاء مزدوجة ذكورية وأنثوية. وقد سماها البعض فينوس الذكورية (Venus - Phallus).



الإلهة الخنثى لتبه سراب



الإلهة الخنثى لتل الرمذ

إلهة تل الرمذ: وتظهر بعضو ذكري واضح ونهود صغيرة ورأس أفعواني واضح وتشير إلى مثلث أنثوي حيواني.

”ويوجد طقس الجماجم في /تل رماد/ (في سوريا بالقرب من دمشق)، حيث كشفت الحفريات عن قلنسوات ججمية des calottes craniennes مع الجبهة مصورة بلون أحمر والوجه مقلوب. وفي سوريا (تل رماد وجبيل) وبدقة أكثر لمستويات تعود للألف الخامسة ق.م. ظهرت بعض التماثيل البشرية الصغيرة من فخار، وإن ما اكتشف /في جبيل/ من هذه التماثيل هو ثنائي الجنس. وبعض التماثيل الصغيرة النسوية، الموجودة في فلسطين والتي يعود تاريخها لحوالي 4500 ق.م. تمثل الرّبة الأم تحت مظهر مرعب وشيطاني“ (إلياد 2006: 64).

إلهة تبه سراب: وتظهر الإلهة الأم جالسة وقد استعاضت عن ساقها بقضيب ذكري كامل، ورأس أفعواني وجسد أنثوي واضح.

الإلهة والثور:

كان ظهور الإلهة الأم طاعياً في هذا العصر بسبب طبيعته الماترياركية، وكان الرجل تابعاً لسيادة الأم ومؤمناً بخصائصها السحرية والدينية التي تجعل منها قادرة على إنجاب الأبناء من رحمها والزرع من تربتها وأرضها، وقد شُبهت الإلهة الأم بـ(البقرة) وشُبه الرجل وزوجها بـ(الثور)، ولكنها كانت تأخذ، شكلاً إنسانياً بينما ظلت صورة الذكر كثور. وبذلك صار مشهد الربة والثور متلازماً وواحدًا.

”انتشرت صورة الربة العظمية، سيّدة الحياة، وسيّدة الثور، وأصبحت هذه الصورة أكثر تهادياً. فقد بدأت تظهر النقوش في البيوت، حوالي 7000 سنة قبل الميلاد، بمنطقة كتال هيوك Catal Huyuk بالأناضول. ونرى الربات في هذه النقوش وهنّ في هيئة الولادة، وتخرج من أرحامهنّ الثيران. وتتكاثر بين النيل والفرات رسوم الربات، وهنّ يلدن وحولهن جماجم الثيران. ونرى أيضاً الربات في بعض الرسوم جالسات على مقعد يشبه العرش، ويحملن طفلاً بين أذرعهنّ، ويحمين الثور - أو لعلهنّ بدان يشعرن بحماية الثور؟ - يقول المؤرخ (بيار ليفاك P. Leveque) عن هذه الرسوم (إنها تندمج في بنية يمكن أن نطلق عليها الأسرة المقدّسة للعصر الحجريّ الحديث، وهي لا تضمّ رباً ذكراً، وإنما تضمّ ربةً أماً، وربةً بنتاً، وطفلاً إلهاً. وقد تبرز الأم أحياناً في علاقة جماع مع ابنها) وقد انتشر الزوج (ربة/ ثور) في المنطقة الهندية أيضاً، فخلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، كانت العبادات المنزلية هناك تقدّم أساساً إلى ربة تحمل أحياناً قروناً. هذا ما نشاهده في تماثيل صغيرة عثر عليها في بقايا منازل، تعود إلى حضارة غربيّة قد اندثرت. وسوف أتحدث عنها لاحقاً. ويحضر هذا الزوج الربة / الثور بقوة أيضاً في مجمع آلهة الحضارة الميونيّة (minoenne) التي ازدهرت في منطقة الكريت، ابتداءً من 2700 سنة قبل الميلاد، فقد كانت الآلهة الأساسيّة فيها ممثلة بالربة الأم، سيّدة الحيوانات الوحشيّة، وراعية خصوبة الطبيعة والرّجال والبهائم، ومحور عبادة قريبة من الطبيعة، تجمعها بالثور، وتجمعها أيضاً بالحيات التي تمثّل الرّمز القضيبّي الأعظم“. (لنوار 2012: 32 - 31).

ظهرت مثل هذه الصورة بكثافة في البيوت والمصليات والمدافن، وكان أكثر أماكنها وضوحاً في (جطال حيوك) في أعالي النهرين، ثم انتقلت إلى المنطقة بأسرها وإلى الغرب.

”كل الصور التي تظهر على مذابح العصر الحجريّ الحديث، في الشرق الأوسط (ثم في أوروبا، بعد بضعة ملايين من السنين) هي صور ربة متغلبة وثور خاضع لها، لأنه يرسم دائماً في وضع دونيّ، فيما أن يحضر جزئياً بجمجمته الموضوعة تحت قدمي الربة، أو ينتصب تحتها كلياً ليكون لها بمثابة المقعد. صحيح أن الرسوم قد تغيّرت بتغير العصور والأماكن، مثلما تغيّرت صورة المسيح في الألفيتين الأخيرتين، وبرزت حسب الرّسامين في هيئات مختلفة، ناهيك أنه توجد رسوم لمسيح أسود في أفريقيا. لكن وظائف الربات لم تتغيّر، فقد ظلت متعلّقة بالخصوبة والحياة. وعلى هذا الأساس، فإنه يمكن الافتراض أيضاً أن العصر الحجريّ الحديث قد شهد بداية تشكّل فكرة التوحيد، دون أن تحمل الفكرة هذا الاسم. فالربة تظهر بمظهر الكائن الاسمي، وهي ليست إلهة واحدة، كما سيكون الشأن مع إله التوحيد، لكنها تشرف على كل العالم الدينيّ، كما تصوّره الإنسان، آنذاك. وكلّ القوى فوق الطبيعيّة الأخرى تبدو خاضعة لها. لقد برزت هذه الصورة مع تطوّر الزراعة. فلئن طوّر الإنسان تقنياته، وأصبح قادراً على التخزين، فأثّر ظلّ رهينة نزوات الطبيعة، مثل الفيضانات وانتشار الحشرات وفترات الجفاف، فهي كلّها تؤثر في خصوبة الأرض التي هي أول اهتماماته“. (لنوار 2012: 38).

أ- الإله الأب (الذكر)

رغم الحضور الطاغي للإلهة الأم خلال النيوليت إلا أن ذلك لم يمنع من ظهور الإله الأب (الذكر) في جميع ثقافاتنا تقريباً، ولكن بنسبة أقل، وهذا يدل على الاهتمام الروحي الفائق بالأنوثة من جانب وعلى عدم فهم دور الرجل في عملية الإخصاب، ورغم ذلك فقد شكل حضوره بشكل مجسم (شبيهة بالإلهة الأم)، أو حضور رموزه كالقضييب والثور والحمام والفأس المزدوجة دالة كبيرة على أن الدور النيوليتي لم يكن مطلقاً للإلهة الأم، بل إن ثلوث أريحا المبكر يحيلنا إلى فكرة جديدة تماماً.

أ- عصر ما قبل الفخار (الألف الثامن ق.م):

إله المنحطة: وهو تمثال صغير بعيون كبيرة وأنف كبير، وجسد إصبعي، ويظهر عضو الذكر في أسفل التمثال قرب القدمين، ويشوب هذا التمثال مسخة خنتوية إلا أن عدم وجود ثديين يجعله يميل باتجاه الذكر.

ب- عصر ما بعد الفخار (الألف السابع والسادس ق.م):

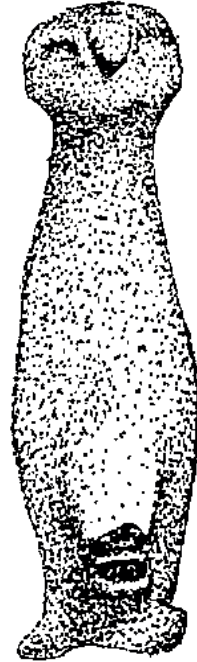
تماثيل القضيب Pallus في جرمو: وقد وجدت مع تماثيل الإلهة الأم، وقد ظهرت في تل الصوان أيضاً في ما بعد.

إله الصوان: في (الألف السادس ق.م): وقد وجد مع مجموعة كبيرة من تماثيل الإلهة الأم وكان مصبوغاً باللون الأحمر.

إله هيجيلار الأناضولي في (الألف السادس ق.م): وقد تظهر هذه الإله بأشكال عدة هي:

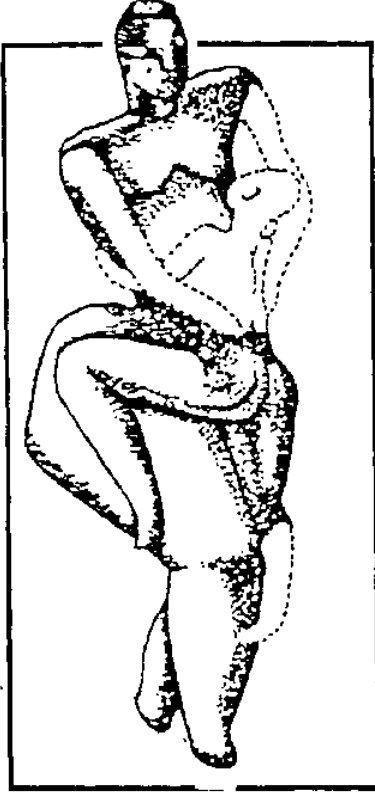


إله الصوان

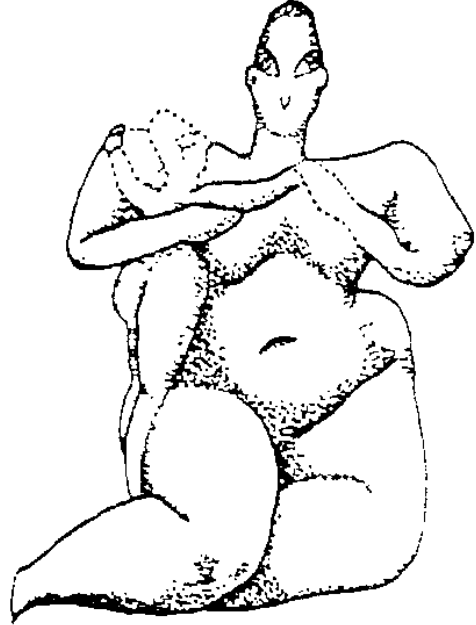


إله المنحطة

أ- الإله الأب: حيث تجدد تمثال الإلهة الأم الأناضولية وقد احتضنت ابنها إلى صدرها، وهذه أول إشارة لظهور الإله الإبن.



الإله العاشق



الإله الإبن

ب- الإله العاشق: حيث نجد الإله الإبن في طور جنسيّ وكأنه ما زال طفلاً ملتصقاً بالأعضاء الجنسيّة للإلهة الأم. ويبدو هنا ما زالاً تابعاً في الأهميّة والدور لها.

1. إله جطال حيوك: في (الألف السادس ق.م: وقد تمظهر هذا الإله بمظهرين هما: الإله الثور: لا يكاد معبد من معابد جطال حيوك يخلو من الثور والوحش، ويظهر في أكثر من حال. فمرة يظهر وكأنه يولد من الإلهة الأم، ومرة يظهر منفرداً وقد علق رأس الثور أو قرونه على الجدران أو في المصاطب، وظهور الثور كمعبر عن الإله الذكر له دلالة زراعيّة واضحة. فالثور هو الذي يحرك الأرض والذي يربط بالإلهة الأم ويساعد في ذلك طبيعة الثور الذكوريّة وصفاته الخصبيّة.

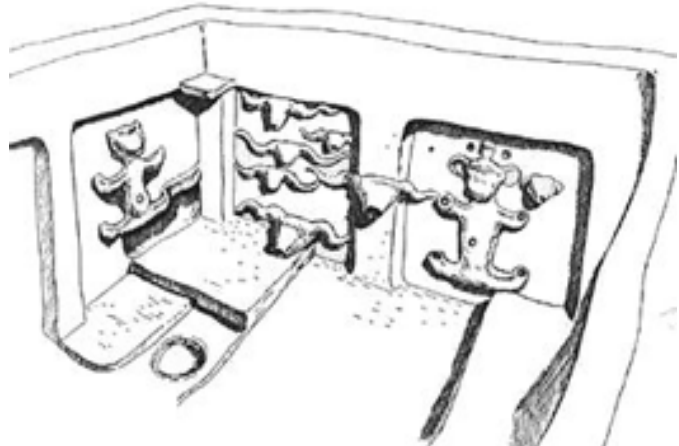
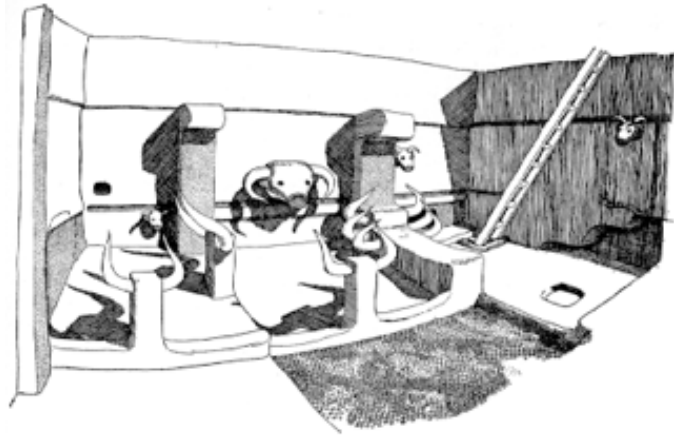
الإله الفهد: تظهر الفهود في جطال حيوك مرافقة للإلهة الأم، أيضاً وفيها ما يدلّ على أنها ترمز للإله الذكر أيضاً.

وهكذا نجد أن التجسيد في الإله الذكر أقل منه قياساً بالأنثى، وأن التجريد والرمز يترافق معه، فهو يتحوّل بطريقة رمزية إلى قضيب، أو ثور أو فهد، وسنرى أن هذا سيستمرّ في عصر

الكالكوليت ليرمز للإله الذكر (الهواء) والفأس وغيرها. ويُعتبر مثل هذا الترميز نوعاً من سلب الإله الذكر الحضوري الموازي للإلهة الأم المتجسّدة بقوة ووضوح في كل ثقافات النيوليت. ثم إن هذا التجريد من جانب آخر سيساعد على ظهور فكرة المقدّس لاحقاً بطريقة روحية أعلى تصل إلى صيغة (الإله)، وأعلى من التجسيد الذي يحدّ من خواصها المطلقة والبعيدة، سيتوافق هذا مع صعود الذكر وإطاحته بمركزيّة الأنثى، وبذلك بتضافر التجسيد والتجريد لوضعه في المركز الإلهي المقدّس.

”النشاطات المقدّسة (الشعائر الدينيّة، الأضاحي والمشاهد الطقسية)، وإن التماثيل الصغيرة تصوّر الشخصيات الرئيسيّة في الأسطورة. كانت المشاهد المرتبطة بعالم الأموات تظهر دائماً على الجدران الشماليّة والشرقيّة للمزارات. وكانت المشاهد المتعلقة بالولادة تصوّر على الجدران الغربيّة. وكانت تصويرات الإلهة والثور على كافة الجدران. إن الموتيفات الأكثر شيوعاً في المنحوتات النافرة كانت رؤوس الثيران، والشكل الذي يمثل الإلهتين التوأمن، في حين أن معظم الرسوم الجدارية كانت تصوّر الثيران والنسور بالإضافة إلى ذلك كانت ثمة رموز أخرى مختلفة، مثل تصويرات الرأس البشري، ورأس الخنزير البري والثدي الأنثوي. هذه الموتيفات المعقدة، منظوراً إليها ككل واحد، تمثل المواجهة بين القدرات الخلاقة (الثيران، الإلهتين التوأمن)“.

(ريجوفك: 2007 288).



الإلهة الأم ورؤوس الثيران في
جبال حيوك

<https://nl.pinterest.com>

/٢٥٤٥٩٤١٨٥١٦٣٤٥٦٣٤٦/pin



الإله الأم بهيئة النسر
<https://nl.pinterest.com/pin/254594185163456346>

5. العائلة الإلهية: الثالوث الإلهي بزعامة الأم الثالوث الإلهي (الأقنوم)

ثالوث أريحا: يظهر الثالوث الإلهي مبكراً في أريحا، فقد ظهرت (مجموعات ثلاثية من التماثيل تتكوّن كل منها من رجل وامرأة وطفل، والواقع أن ذلك التمثيل الأخير يضيف صورة حية على تجسيم التعبير على ظاهرة الخلق الجديد (الناضوري 1976: 33).

ونرى أن مثل هذا الثالوث نشأ منعكساً من ظهور العائلة واستقرارها والتي تتمثل في ثلاثة أطراف هي الأم والأب والإبن والتي تجسّدت بصورة إلهة تؤثر في مجريات الفلاحة والزراعة والخصب وظواهر الطبيعة.

ثالوث عين غزال: ظهرت في ثلاثة مخابئ مهياة للدفن في منطقة عين غزال الأردنية تماثيل جصية ثلاثية Plaster statues، حيث تظهر مجموعة ثلاثية من البشر تشكلوا من مادة جصية بهياكل قصبية ويتراوح طولها بين (40 - 80) سم وقد تجمّعت بطريقة ثلاثية (بعضها يدلّ على ذكر أو أنثى أو إبن) ويرجع تاريخها إلى المنبوليت قبل الفخاريّ حوالي 7500 ق.م.

ثالوث جطال حيوك: إن المظهرالثلاثي للإلهة هو منظر مألوف تعج به معابد وأماكن جطال ويتألف من الإلهة الأم (وهي إما على شكل صليب أو نسر) والإله الأب (وهو على شكل صليب أو ثور)، والإله الإبن (وهو على شكل رأس ثور في الغالب).

6. إلهات وآلهة النيوليت في أوروبا.

صحيح أن النيوليت تأخّر في أوروبا واستمر طويلاً كي ينضج فيها، لكنه كان ثرياً بموجوداته الأثرية ولقاه ورموزه، فقد حفلت المواقع الأثارية في شرق أوروبا، بشكل خاص، بالكثير منها. وهذا يفسّر رحلة النيوليت من الشرق إلى شرق وجنوب أوروبا ثم صعوداً إلى شمالها وغربها. المعاني المتعدّدة للخصب وآلهته:

تعدّد معاني الخصب الأوروبي وتعدّد معه معاني آلهته. فهي بين الأم والبنت والخصب والحياة

والموت والتجدد "إن الخصب ليس إلا واحدة من الوظائف الكثيرة للإلهة. ليس من الدقة أن نسمي إلهات العصرين الباليوليتي والنيوليتي إلهات خصب، لأن خصوبة الأرض لم تصبح قضية حيوية إلا في سياق حقبة إنتاج الغذاء. من هنا فإن الخصب ليس الوظيفة الأساسية للإلهة، كما وليس له علاقة بالجنسانية. كانت الإلهات خالقات للحياة بشكل أساسي، ولم يكن تعبيراً عن الجمال الفينوسي، وبالتأكيد لم يكن زوجات للإلهة الذكور. من غير الدقيق أيضاً استخدام لقب الإلهة الأم، وهو اللقب الشائع في الأدبيات الأركيولوجية، رغم وجود صور للأرض الأم ولأم الأموات، وصور أخرى لأمهات وحاميات للحياة الفتية. إن الصور الأنثوية الأخرى لا يمكن اختصارها بصورة الإلهة الأم. فالإلهة الطير والإلهة الأفعى مثلاً، وكذلك الصور الكثيرة الأخرى للتجدد والتحول (مثل الضفدع والسحرة والقنفذ) لم تكن تعكس صورة الأم، إنها تشخيص للحياة للموت والتجدد. إنها تمثل ما هو أكثر من الخصب ومن الأمومة". (جمبوتاس 2007: 310).

9. مراحل حياة المرأة منعكسة في الألوهة المؤنثة:

كانت الأنوثة المقدسة هي مركز العبادات النيوليتية الغربية، ولكنها كانت مثقلة بالمعاني، فلم تكن مجرد خصب وتكاثر، بل كانت تشمل وجهي الحياة والموت، وكانت تشير إلى التحول والتجدد.

"إن تأمل الأماط التي تعبر عن نفسها مراراً وتكراراً في الأعمال التشكيلية يقودنا إلى القول بأن ديانة أوروبا القديمة كانت تعددية من ناحية، وتسودها الآلهة المؤنثة من ناحية أخرى. كما أن الإلهة الرئيسية لأوروبا القديمة كانت الإلهة الكبرى للعصر الباليوليتي نفسها. وكانت وظائفها تشمل وهب الحياة وزيادة الخيرات المادية وتدير الموت والتناقض والتجدد. إنها الحاكم المطلق على الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية، والمتحكمة بدورات القمر ودورات الفصول. إنها الواحدة رغم تعدد الأشكال التي تُبدي نفسها فيها." (جمبوتاس 2007: 309).

"إن غلبة التمثيلات الأنثوية في الأعمال التشكيلية التي عثر عليها في المراكز الدينية لأوروبا القديمة يوحي بأن الفعاليات الدينية خلال تلك الحقبة كانت إلى حد كبير، إن لم تكن حصرياً، مسؤولة النساء، رغم أن الرجال كانوا يشاركون في الطقوس الدينية كراقصين بأقنعة طيور أو حيوانات. لقد جرى تصوير النساء في الغالبية الساحقة من الدمى وهن منغمسات في الطقس أو يُقدن ويُشرفن عليه من على عروشهن. إضافة إلى ذلك فإن الطقوس التي تعرّفنا عليها تعكس المهام اليومية المرتبطة بالمرأة وأهمها تحضير الخبز من الحبوب وصناعة الفخار والحياسة. ففي سياق تقديسهن لنشاطاتهن الحياتية، طوّرت نساء أوروبا القديمة العديد من الممارسات الدينية واستمرت إلى العصور اللاحقة كتحصيل حاصل دون معرفة جذورها. إن العناصر الأربعة، على سبيل المثال، وهي الهواء (ويعادله البخور)، والتراب (ويعادله الخبز والمصنوعات الفخارية)، والنار (وتعادلها المصابيح والأفران)، والماء (ويعادله سوائل الغسل والتقدمات). وقد جرى تمثيلها والتعبير عنها في الحياة الدينية والفنية لأوروبا القديمة. كما تضمنت الطقوس الموسيقى والرقص واستخدام الأقنعة، والإراقة، وشعائر تشمل الخبز والمشروب". (جمبوتاس 2007: 317).

انعكست كل أطوار ومراحل حياة المرأة في شكل الإلهات ووظائفها فهي من البنت العذراء إلى الزوجة مانحة اللذة إلى الأم إلى العجوز الأقلية الحيوية "ترمز معظم الصور المقدسة الأوروبية القديمة إلى الطبيعة الدائمة التغير للحياة على الأرض: التناوب الإيقاعي الدائم بين الخلق والهلاك، والولادة والموت. فأطوار القمر الثلاثة (الهلال والبدر والمحاق مثلاً، يجري تكرارها في ألوهات مثلثة هي البنت الصغيرة والحورية والحيزون، أو الألوهة المانحة للحياة، والألوهة

المسببة للهلاك والألوهة التحويلية - Transformative، أو الألوهة المترعرة والألوهة المحتضرة والألوهة المتجددة. إن الألوهة المانحة للحياة هي في الوقت نفسه مدبرة الموت. كما أن أرواح الإنبات المدكورة تعكس تلك الطبيعة التحويلية للحياة، فهي تولد وتترعرع ثم تموت. مثل النباتات“. (جمبوتاس 2007: 301).

تلازم عقائد الخصب والدفن والخلود

إن فكرة البقاء بعد الموت أو الخلود ناشئة عن الزراعة أيضاً، لأن الإنسان كان عندما يضع أو يدفن البذور (التي تبدو ميتة) في الأرض، فإنه يفاجأ بعد أيام بظهورها وبعثها وخلقها من جديد. وقد كان إنسان الباليوليت يدفن موته، أما إنسان النيوليت فإنه أضاف لهذه العقيدة مبدأ الخلود. فكان يقوم بدفن الميت في الأرض لعل روحاً، أو جسداً سينبت منه في يوم ما... كانت هذه الفكره حصراً هي جوهر الفكر الإسكاتولوجي النيوليتي، وكان هناك ما يدل على ذلك في رش الماء على قبره، وغيرها من طقوس ما بعد الموت (مثل نحر الحيوانات ورش دمه على القبور) أملاً في قيامه الإنسان مثل النبات. ولما يئس من حصول هذا على مستوى الجسد، قال بأن روحه هي التي ستنبعث من مدفنه، وأنها ستظل مثل الشمس أو القمر، أو الليل، أو النهار، أو الفصول في دورة أزليّة.

إن الأمر المثير للجدل في عقائد ما بعد الموت هو ظهور قبور كثيرة جداً للأطفال في مواقع تل الصوان وسامراء النيوليتية مما أثار جدلاً كبيراً تركّز في ثلاثة احتمالات، الأول أن تكون هذه القبور مقبرة جماعية ومخصصة للأطفال، والثاني أن يكون هؤلاء الأطفال جزءاً من طقوس الأضحى البشرية المنحدرة من طقوس الباليوليت والتي لم تختف كلياً في عصر النيوليت. والاحتمال الثالث هو ما اقترحه الدكتور فوزي رشيد من أن مقابر الأطفال بسنّ الرضاعة يرجع سببها إلى ممارسة سكان موقع تل الصوان والمواقع الشمالية الأخرى التي كانت تعاني من تذبذب سقوط الأمطار وهي عملية (وأد النبات)، حيث أصبحت الزراعة في نهاية النيوليت العراقي تعتمد على المطر وليس على خصوبة الأرض، وكانت الصوان منطقة تتذبذب فيها كمية الأمطار ويؤدي هذا إلى زيادة في عدد السكان وقلّة في كمية الغذاء. وقد توصل الدكتور رشيد إلى أن أغلب الأطفال المدفونين هم من النبات، ولذلك رأى أن "الإنسان قد مارس عبر التاريخ عملية وأد النبات، وخاصة في المناطق التي لا تقدّم الغذاء إلا بشكل محدود، وذلك من أجل أن يبقى عدد السكان يتناسب وكمية الغذاء المحدود. ومن هذه الأدلة التي لا تقبل الشك هو ما ورد في القرآن الكريم حول وأد النبات". (رشيد 1980: 56).

ويقود هذا الاستنتاج إلى استنتاج آخر هو أن عملية وأد النبات تسببت بنقص في عدد النساء وتدعو الجماعات البشرية الممارسة لها أن يرتضوا لأنفسهم مبدأ تعدد الأزواج للمرأة الواحدة، وإلا حصل الصراع بين الرجال للحصول على زوجة، ولذلك ارتضوا لأنفسهم أن تتزوج المرأة بأكثر من رجل واحد. ويبدو أن آثار ذلك تتضح بأكثر من رجل واحد حتى عصر أوروكاجينا السومري (حوالي 2355 ق.م. وقد ورد في إصلاحاته ما يلي: النساء قديماً.. كانت (الواحدة منهن) تتزوج رجلين.

النساء في الوقت الحاضر.. يُرجمن بالحجارة (إذا فعلن الشيء نفسه). (رشيد 1980: 57 - 58). هذا هو المشهد الجديد الذي أعطانا إياه العصر النيوليتي في سيادة الأضحى الحيوانية والنباتية (وهو ما نراه في الحصاد وما ظهر بعد ذلك مع موت دوموزي إله الخضرة والرعي باعتباره

يمثل البذرة التي تُدفن فداء لتظهر منها مئات البذور والثمار)، وهذا يعني أن الأضاحي النباتية نشأت لاحقاً عن احتمالات الأضاحي البشرية في تل الصوان، مما يرتبط لاحقاً بأفول مركزية الإلهة الأم وظهور الإله الذكر في العصر الكالكوليتي.

في تقصينا عن عقائد الموت وجدنا أن هناك استمراراً لبعض عقائد الميزوليت (وخصوصاً في جوبكلي تبه) رغم مظاهر الأمومية هنا، إذ يبدو أن المعتقدات الدينية الآخروية كانت تقضي بوضع أجساد الموتى في مناطق مكشوفة، ثم يتم لف الهيكل العظمي بقماش أو حصر ويدفن تحت الأرض في المعابد أو تحت مصطبة المنزل ويُدفن معه الأثاث الجنائزي، فإذا كان الميت امرأة أو طفلاً فتدفن معه الجواهر وأدوات الزينة، أما مع الرجال فتدفن الأسلحة والأواني. وكانت بعض الهياكل العظمية مصبوغة بالألوان الزرقاء والخضراء وبعضها الآخر مزين بخرز بهذين اللونين. ويبدو أن لهذه الطقوس علاقة بالمعتقدات الآخروية. وظهرت تماثيل للأُم والعذراء والرجال الملتحين والأطفال والثيران والأكبش وتماثيل الأعضاء الذكرية.

وقد حلت ثقافات أخرى محل ثقافة جطال حيوك، أما مواقع النيوليت المهمة في بلاد الأناضول فهي (حاصلار، جطال حيوك، نيفالي كوري، جايونو).

يعتقد روز سوليكي Rose Solecki أن الطقوس الشعائرية في زاوي جمبي شمال العراق تشير إلى استخدام أجنحة الطيور أو ما يشابهها كنوع من الطقوس الشعائرية والاحتفالية، وربما كانت على صلة بما كان يجري في جطال حيوك التي ظهرت بعدها ببضعة آلاف من السنوات. وهكذا يكون التقليد الإسكاتولوجي، الذي له علاقة بتعريض جثث الموتى وقطع رؤوسهم وتقديسها للنسور، وقد بدأ منذ جوبكلي تبه ثم انتقل إلى زاوي جمبي ثم جطال حيوك، وهي تقاليد ميزوليتية/ نيوليتية تخص عقائد ما بعد الموت (الإسكاتولوجية). وهو ما يفسر أن كاهن هذه الشعائر أو الساحر أو الشامان كان يرتدي مثل هذه الأجنحة وجلود النسور. فهي جواز مرور إلى العالم الآخر (عالم الموت) المحاط بالأسرار، حيث يتم التعرف إلى كائنات هذا العالم وربما توصلها أو التعرض لها أو عبادتها!

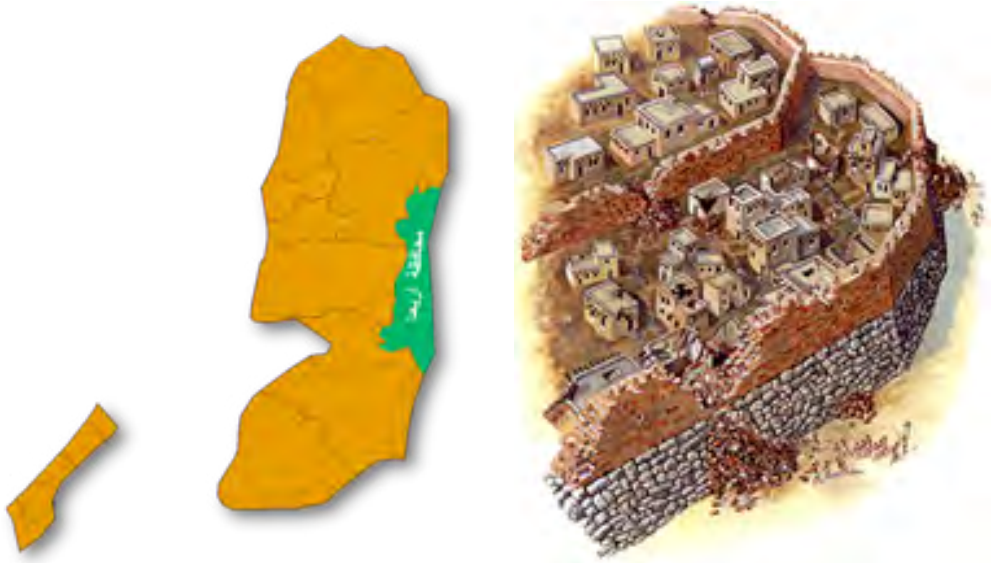
لوحة جدارية للنسور التي
تفترس جثث الموتى
<http://www.marlamal-lett.com/ch.htm>



إسكاتولوجيا الجماجم في أريحا Jericho

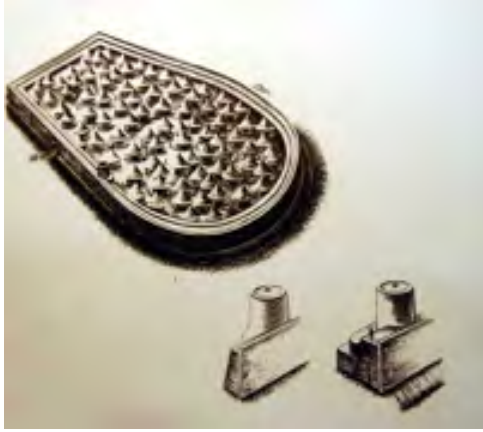
تقع (أريحا) في فلسطين (الضفة الغربية لنهر الأردن شمال البحر الميت)، بدأت كمنطقة ذات مستوطنات مكانها القديم هو (أبو العلياق وشماله تل السلطان) في حدود 10000 ق.م. حيث ظهرت الثقافة النطوفية فيها ثم ظهرت الثقافة النيوليتية ما قبل الفخار (العصر الحجري ما قبل الفخار PPNA)، وهي ثقافة زراعية مبكرة امتازت بمساكن دائرية صغيرة ودفن فيها الموتى تحت الأرض، وكانت الزراعة فيها بريّة (غير صناعية) وسادت فيها ثقافة الصيد أساساً. عثرت الآثارية البريطانية ك. كينيون على تلة أظهرت مستوطنات تعود إلى 9000 ق.م. وفيها حائط وبرج دائري للدفاع هما الأقدم في التاريخ يعودان إلى 7000 ق.م. توصف أريحا بأنها أقدم مدينة في التاريخ، لكنها لم تنبثق كمدينة في بداية تأسيس مستوطناتها الرعوية والزراعية، فقد كان أهم مظاهرها آنذاك (السور الخارجي والبرج).

”نشأت مستوطنة أريحا حول ينبوع فوار، وشغلت مساحة ما يقرب من 9.8 هكتاراً في سنة 7000 ق.م. وهنا ابتنى القوم سوراً ضخماً حول مستوطناتهم. فحفروا في الصخر لعمق بلغ 7.2 متراً وعرض بلغ 3.2 متراً، ثم أحاطوا المستوطنة بسور بلغ ارتفاعه 3.2 متراً وبه أبراج ترتفع ثمانية أمتار. وبنوا داخل الأسوار منازل من الطوب النيئ على شكل خلية النحل. ويبقى سر بنائهم لهذا السور لغزاً؛ ربما كوسيلة لدرء أخطار السيول أو كدفاع ضد أقوام آخرين يحاولون سرقة طعامهم. ويشهد السور بعمل جماعي حسن التنظيم ومزوّد بطعام وافر“ (براون 2010: 136).



محافظة أريحا في الضفة الغربية في فلسطين حيث مدينة أريحا في جنوبها، قرية أريحا
<http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B1%D9%8A%D8%AD%D8%A7>

http://www.uncp.edu/home/rwb/lecture_ancient_civ.htm



سور و برج أريحا من الآثار

”انتقل الإنسان في أريحا من حياة الصيد التي مارسها في العصر النطوفي إلى حياة زراعية في العصر الحجريّ شبه الحديث الذي سبق صناعة الفخّار في حدود عام 7350 قبل الميلاد. فلقد توسّعت مستوطنة الصيادين السابقة وأحيطت بسور بلغ عرضه أكثر من ستة أقدام، وأقيم فيه برج بلغ ارتفاع بقاياه ثلاثين قدماً، ورُمّم السور ثلاث مرات في العصور التالية، وأحيط بخندق بلغ عرضه سبعة وعشرين قدماً وعمقه تسعة أقدام. ويظهر أن أهل القرية مارسوا الزراعة وأنتجوا كميات كافية من الحبوب بطريقة الإرواء. ولم يتوفّر أي دليل على تدجين الحيوانات في ما عدا الماعز، وتناولوا لحوم الحيوانات التي اصطادوها وخاصة الغزال الذي اكتشف الكثير من عظامه في قريتهم. وكانت لأهل القرية علاقات بمن جاورهم، فقد جلبوا الزجاج البركانيّ من الأناضول والملح والقير من منطقة البحر الميت. وفي المرحلة الثانية من هذا العصر السابق لصناعة الفخّار وفدت جماعة جديدة على القرية صنعت آلات حجريّة من الصوان قلت فيها الفؤوس والقدموم. وزادت رحى الطحن وُبُيت بيوت ذات غرف مستطيلة كبيرة وجدران مستقيمة وأبواب كبيرة ودُجّنت الأبقار والأغنام والخنازير“ (الدباغ 1988: 121 - 122).

10. إسكاتولوجيا الجماجم:

تبدو لنا ظاهرة فصل الجماجم وتزيينها أو إكسائها كعقيدة دينيّة إسكاتولوجية، عثر عليها أولاً ضمن النيوليت قبل الفخّار (أ) في موقع أريحا من قبل السيدة كينيون وكانت هناك مستودعات عدّة لها، وكما يلي:

1. كانت الجماجم مرصوفة في دائرة ووجوهها نحو الداخل.

2. ثلاث مجموعات ثلاثية تنظر باتجاه واحد.

3. جماجم أطفال قرب هيكل طفل كامل.

4. جماجم مدفونة بشكل بدائيّ تحت بناء طينيّ غريب الشكل.

وقد ظهرت هذه الجماجم بصورة جديدة تدخل فيها إنسان النيوليت وظهرت العيون بأصداف حاولت أن تجسّد شكل البؤبؤ، أما الوجه فقد طُلي بلون يماثل لون البشرة الإنسانية، أما داخل الجمجمة فقد أفرغ من مكوّناته وحُشِّي بالطين المدكوك حتى يتماسك شكل الجمجمة. وقد انقسمت الآراء حول ماهية هذه الجماجم. وأغلب الآراء رأّت فيها عقيدة عبادة دينيّة ترى

أن للروح مكاناً مركزياً في الجسد البشري وهو الجمجمة، وأن هذه الروح تبقى في الجمجمة بعد الموت، ولذلك لا بد من العناية بهذه الجماجم وتزيينها وطلائها وصبغها ووضع الأصداف فيها لأنها الآن تمثل روح الميت. (انظر كوفان: 1984)

وهناك آراء أخرى ترى أن هذه الجماجم عُبِدَت لذاتها لأن عبادة (المقدس) بدأت تتجسّد من الشكل الحيواني في الميزوليت إلى الشكل الإنساني في النيوليت. وكانت هذه الجماجم هي تشخيصات هذا المقدس أو القوة السارية (انظر السواح: 1994).



جماجم بشرية منحوتة من أريحا حوالي 6000 ق.م.

”استعملت تلك الجماجم في طقوس منزلية. لقد زينت تلك الجماجم بالأصداف، وحُليت بنقوش ورسوم، بل إنها جُبرت أحياناً بالجبس أو بالطين، كي تبرز ملامحها من جديد، ثم وضعت، بعد ذلك، لتزيّن الهياكل التي نُصبت في الغرفة الرئيسية من البيت. ويُعرض في متحف الآثار القديمة في القدس نموذجان رائعان من هذه الجماجم يرجعان إلى الألفية السابعة، قبل الميلاد، وقد عثر عليهما في أريحا. ونرى من خلالهما كيف يحلّ الجبس محلّ العظم، وتأخذ الصدف مكان العيون الضخمة، وتظهر الشفاه في هيئة المبتسم. تعبّر الجماجم، بهذه الصفة، عن الشخص الراحل تعبيراً قوياً، ويمكن أن نقدر، حقاً، أنّ الأحياء كانوا يرون فيها حضوراً حياً يبعث الطاقة والانفعال، ويعتقدون أنّ قربها منهم والرابطة الدموية التي تجمعهم بصاحبها يُيسر دور الشفاعة التي يقوم بها الراحل لصالحهم، لدى شخوص العالم الآخر، ولا سيما لدى الرّبة العظمى، مانحة الحياة“ (لونوار 2012: 46).

أسس النطوفيون أريحا، وتأثر أهل أريحا بالعقائد الإسكاتولوجية للمنطقة ولذلك اهتموا بالجماجم وبنحتها والعناية بها وصبغها وتلوينها لأغراض أخروية. وقد كشفت الحفريات عن تسع جماجم مدفونة تحت أرضيات المنازل في أريحا مفصولة عن جسدها البشري ومزينة بعناية شديدة. وقد تمّ العثور على جماجم بالملصقات أيضاً في مواقع أخرى، على سبيل المثال في كفر هاهوريش HaHoresh في الناصرة عند تلال الجليل الأسفل في فلسطين والبيضاء بالقرب من البتراء في الأردن وفي تل أسود جنوب سوريا حيث ملامح الوجه مدغمة في الطين الملون، وبعضها لديها خط أسود (من جلدة العين) عبر الجفون المغلقة.



جماجم من تل أسود، في وقت متأخر من الألفية الثامنة قبل الميلاد في جنوب سوريا.

”استخدم أهل جريكو، كمزارعي جرمو، الأواني والأطباق المصنوعة من الأحجار والمأخوذة من صخور محلية ناعمة يمكنها أن تعطي وجهاً مصقولاً جميلاً للأواني. ومن المحتمل أنه يوجد لديهم بعض الأواني المصنوعة من الجلود والأخشاب. أما بالنسبة لآلاتهم فقد استعملوا الصوان أساساً في صناعتها إلى جانب الزجاج الطبيعي الذي استخدم أحياناً. هذا ويُعتبر العدد الكبير من المقاشط والمناجل المسننة الأطراف بدقة، والرحى التي عثر عليها هنا دليل أهمية الزراعة. ومما هو جدير بالذكر إنه لم يعثر على عصي معقوفة وإن وجد في الوقت نفسه عدد من الحجارة المثقوبة التي توحى بأن عصياً ثبتت بها واستخدمت في الحفر بدلاً من العصي المعقوفة. وربما كانت الواحة مركزاً لحدائق وبساتين تُروى، ولكن حتى الآن ليس لدينا أي دليل على زراعة الخضراوات والفاكهة في هذا التاريخ المبكر. وقد اكتُشف قليلاً من عظام الحيوانات المستأنسة كما وجد إلى جوار المعبد عدد من التماثيل الصلصالية للماعز والأغنام والماشية والخنازير التي توضح أنواع الغنم المستخدمة هنا.“ (وولي 1967: 34).

تأخر قليلاً استعمال الفخار في أريحا وكان لونه بنيّاً ومزيناً بخطوط حمراء أو وردية، ورغم أنه كان يُستخدم لخزن الحبوب، لكن خزنها كان يتم أيضاً عن طريق حفر مسيجة بالطبوق الهش، وهو ما وجد في موقع حسونة واستعملت أحياناً مخازن للحبوب مكوّنة من غرف أو طوابق عدّة.

ظهرت منحوتات كثيرة في أريحا منها تماثيل حجريّة نصفية الجسد ولوجوه ومنها تماثيل غريبة تمثل رأسين ملتصقين بجسد واحد. وهو ما سنراه جلياً في تماثيل عين غزال النيوليتية.



فخّار وتمثال من أريحا

<http://ar.wikipedia.org/wiki/أريحا>

<http://arthistoryworlds.org/catal-hoyuk-sculpture>



تماثيل أريحا من عصر ما قبل الفخّار النيوليتي

<http://ar.freefouad.com/abot-fouad-al-farh>

عين غزال (7000 - 5500 ق.م.)

Ain Ghazal

موقع أثري يعود للعصر الحجريّ الحديث في الأردن، يقع في منطقة وادي الزرقاء جنوب عمان، اكتشفته بعثة آثاريّة أردنيّة أميركيّة قادها غاري رولنسون. وتُقسم مراحل الاستيطان والسكن في هذا الموقع كما يلي:



http://www.arab-ency.com/index.php?-module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=161769&m=1

1. النيوليت ما قبل الفخار (6500 - 7000) ق.م. ظهرت قرية عين غزال النيوليتية في مساحة صغيرة لا تزيد عن هكتار واحد، اعتمدت على الزراعة وتربية الحيوانات وبقي الصيد والتقاط الثمار فيها.

كانت القرية تتألف من بيوت متوسطة الحجم زُينت بعض جدرانها بالزخارف الحيوانية، واحتوت تحت أرضياتها جماجم موتاهم من الناس. وهو ما يشير إلى استمرار العقائد الإسكاتولوجية التي ظهرت في الميزوليت وبرزت بوضوح في أريحا وجماجمها. عُثر في القرية على الدمى الحيوانية التي غرزت فيها السهام. وهو يشير إلى ممارسات السحر آنذاك.

2. النيوليت المبكر (6000 - 6500) ق.م.: حيث توسّعت القرية إلى حوالي عشرة هكتارات وازداد عدد البيوت وترسّخت مهنة الزراعة وظهرت المعابد البدائية في القرية.

3. النيوليت المتوسط (5500 - 6000) ق.م.: ازداد توسّع القرية وظهرت فيها الشوارع الحجرية وتوسّعت البيوت، وازدادت وتيرة الحياة الاجتماعية والاقتصادية وظهرت الأواني الفخارية المحلية الصنع.

4. النيوليت المتأخر (5000 - 5500) ق.م.: تراجعت قرية عين الغزال على جميع الأصعدة فهجرتها سكانها موسمياً ثم بشكل دائم وضعفت الزراعة والحياة الاقتصادية والدينية فيها. ويمكننا تصنيف الآثار المنحوتة إلى:

1. التماثيل البشرية: وهي تماثيل طينية وحجرية أغلبها أنثوية تمثل المرأة في حالة الحمل أو الولادة، وهي ما نطلق عليه بالآلهة الأم في عصر النيوليت.

2. التماثيل الحيوانية: وهي تماثيل للزينة أو السحر، ومنها تماثلان لثورين مصابّين بالسهم، وهناك (23) تماثلاً للماشية منحوتة بالعجينة البيضاء.

3. الجماجم المزينة: وهي تعود لعصر ما قبل الفخار (ب) والمدفونة تحت أرضيات البيوت وتمثل جماجم بشرية مفصولة عن أجسادها ومزينة بالألوان والصور لجصّ وتدفن في مكان غير الجثة التي تعود لها.

4. الأفنعة الجصية: وهي أفنعة وجوه آدمية رقيقة، ربما تكون قد صنّعت لوجوه الموتى من أجل حفظ ذكركم ورؤيتها بعد وفاتهم.



الأقنعة الجصية

<http://www.azoz-star.com/vb/t278585.html>

5. تماثيل عين غزال الجصية وعددها 36 تمثالاً منحوتة من الجص المخلوط بسيقان الحلفا والقصف (الذين يشكلان الهيكل الداخلي للتماثيل)، ويتكوّن الجص من طين خزفي وكوارتز وجير.

6. التماثيل النذرية المحروقة: وهي تماثيل بشرية وحيوانية أحرقت في مواقع النار وقد يكون ذلك لأغراض دينية نذرية.

التماثيل الجصية:

يعود تاريخ جميع هذه التماثيل إلى العصر النيوليتي ما قبل الفخار أي حوالي 6500 ق.م. وفي عام 1983 شحنت وجبة مكونة من 25 تمثالاً إلى معهد الآثار في لندن لترميمها، وفي عام 1985 شحنت وجبة ثانية مكونة من (7) تماثيل إلى الولايات المتحدة الأمريكية لترميمها أيضاً. وتعتبر هاتان الوجبتان هما أغلب ما عُثر عليه من هذه التماثيل التي قد يبلغ عددها الكامل 40 تمثالاً في الوقت نفسه تُعتبر هذه الكمية من التماثيل أكبر كمية يُعثر عليها في موقع الشرق الأدنى.

”ثمّة لقيتان فقط، تعودان في تاريخهما إلى نهاية العصر النيوليتي ما قبل الفخاري، يمكن ربطهما بالآلهة ذات الأشكال البشرية. وهي بقايا من ثلاثة تماثيل بشرية مجصّصة، يتراوح ارتفاعهما من 80 إلى 90 سنتيمترًا، وركام من شظايا عشرة تماثيل بشرية أخرى، وإثني عشرة تمثالاً نصفياً ارتفاعها من 30 إلى 40 سنتيمترًا، عثر عليها في عين غزال (فلسطين). وفي أريحا عثر على مجموعة تمثل رجلاً وامرأة وطفلاً، ربما كانت تجسد ثلاثياً إلهياً. إن تماثيل عين غزال لها أجسام مشكّلة وفق أسلوب واحد، لكن رؤوسها متفرّدة، يمثل أحدها رجلاً، وللتماثيل الأخرى أئداء أنثوية“ (ريجفوك 2007 : 287).

والجدير بالذكر أنه قد عثر على قطع صغيرة تشابه بعض هذه التماثيل في أريحا النيوليتية وعند كهف ناحال هيمر في فلسطين المحتلة بين (40 - 80) سم، وقد تجمعت بطريقة ثلاثية. وتعتبر هذه التماثيل مصنوعة بطريقة لا تشبه أية طريقة مألوفة، كما أنها تعكس شكلاً طبيعياً للإنسان وتحاول تلمس معاملته، رغم أنها منبسطة وعريضة الجذع نسبياً وذات أرجل قصيرة ورقبة طويلة. أما العيون فمصنوعة من مادة بيضاء اللون محاطة بصبغة خضراء مائلة إلى الزرقة، ويبرز بؤبؤ العين كدائرة سوداء من القار. وكان أحد هذه التماثيل متشحاً بالخطوط العمودية الحمراء. وأغلب التماثيل ناقصة الأرجل وديمة الأقدام.

وهناك نوعان من هذه التماثيل، الأولى مفردة كل تمثال وحده. وهذه عددها ستة تماثيل،

والثانية مزدوجة يلتحم فيها كل تمثالين مع منطقة الكتف وتشير منطقة الالتحام إلى جذعَيْن أما الرأسان فطليقان. وهذه عددها اثنان، ونظن أن عددها أكثر من ذلك لأن كثيراً منها لم يرقم بعد. يتراوح عدد هذه التماثيل بين (32 - 40) تمثالاً. وهذه التماثيل من مرحلة النيوليت ما قبل الفخار (7500 - 5500) ق.م.

1. تمثال زينا Zeina: وهو تمثال ذكوري يظهر فيه الرأس مدوراً يميل إلى التربع وكان لا شعر له، أذناه دقيقتان، ومكان عينيه محززان ومصبوغان، ويظهر بياض العين والبؤبؤ بوضوح، أما الأنف فطويل وبارز. وليس هناك ما يشير إلى وجود الفم وهي سمة أغلب التماثيل المفردة. أما الرقبة فطويلة نسبياً والأكتاف عريضة مدوّرة بطريقة ساذجة يخرج منهما ذراعان نحيفان لا يمثلان حجماً طبيعياً للذراعين ويتصل الكفان بالخصر من الأمام. ويبدو الجذع ضخماً وكذلك منطقة الحوض، أما أفضاخ التمثال فمصنوعة بطريقة هندسية. وهناك على السيقان خطوط حمراء قد تشير إلى الأوردة والكاحلان مصبوغان بالأسود ويبلغ طول هذا التمثال حوالي 84 سم.

2. تمثال يوريا Uriah: أطلق هذا الاسم على التمثال الأنثوي للإشارة إلى كلٍّ منهما بأسماء مميزة. وهذا التمثال الصغير الذي يبلغ طوله 32 سم مثل سابقه ذو صبغة سوداء على الرأس المسطح لتشير إلى الشعر وخطود مصبوغة باللون البرتقالي، أما العينان فمخططتان والبؤبؤ واضح والأذنان صغيرتان، أما الأنف فمرتفع وتبدو فتحتاه واضحتين والرقبة طويلة وليس هناك ذراعان بارزان بل نلمس آثارهما على الصدر متقاطعتين، وكان التمثال يبدو في حالة صلاة. والتمثال نصفي إلى نهاية منطقة البطن.

3. تمثال ريمما Rema: وهو تمثال أنثوي أيضاً يشبه في شكله تمثال زينا، ويبدو الرأس بالموصفات نفسها مع ظهور فم صغير والرقبة أقل طولاً، أما الأكتاف فصغيرة وتشكل الأذرع النحيفة شكلاً معيناً. ويحاول الكفان أن يتلمّسا ثديين صغيرين أو يمسا بهما أو يخفياهما. واللافت للانتباه أن الكفين يتكون كل منهما من ست أصابع. أما الخصر فواضح ودقيق، والورك كبير، والأفضاخ تبدو غير متجانسة حيث الفخذ الأيمن مكتنز ولم يرّم مع ساقه بل بقي حتى الركبة، والفخذ الأيسر دقيق إلى حد ما وتظهر الساق دون عناية بظهور الركبة.

وبشكل عام يذكر هذا التمثال الأنثوي ل (ريمما) في وضعها الممسك بالثديين بالتماثيل المشهورة للآلهة الأم، ثم لعشتار وهي تمسك ثدييها. وعلى هذا الأساس يمكن أن يكون هذا التمثال، مشيراً إلى الإلهة الأم التي لها مواصفات خاصة ومميّزة أشر إليها هذا التمثال بوضوح.

4. التمثال الأنثوي الصغير: يقترب حجم هذا التمثال من حجم تمثال يوريا، ولكنه يختلف جزئياً عنه بطول الجذع ومتانة الرقبة وإغماضة العينين وعدم ظهور البؤبؤ.

5. التمثال الواقف: وهو تمثال يشبه التماثيل السابقة، إلا أن له أقداماً ويظهر دون أذرع، وتبدو أقدامه ضخمة قياساً إلى جسده. وهناك ما يشير بالخطوط إلى ست أصابع في قدمه. وطوله 14 سم.

6. التمثال الصغير: وهو تمثال يشبه تماثيل يوري والتمثال الأنثوي الصغير.

ب. التماثيل المزدوجة:

1. التمثال المزدوج الأول: حيث يلتحم الجذعان وتبدو رقبة كل تمثال نحيفة وعيونه واضحة والرأس بغطاء مسود وطوله 88 سم.

2. التمثال المزدوج الثاني: حيث الجذعان الملتحمان والرقبة المنفصلة.



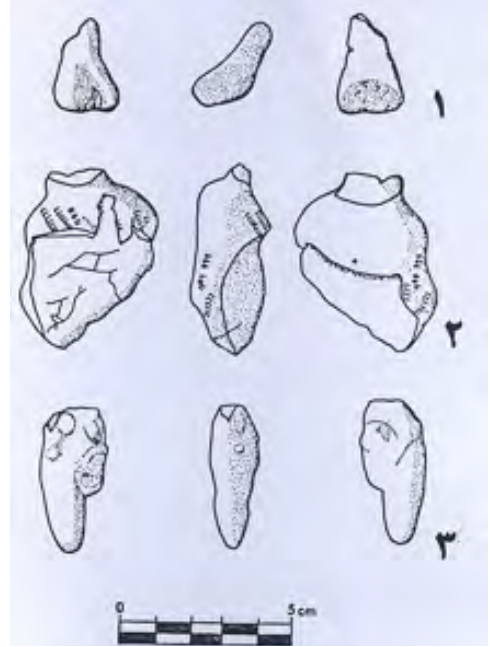
قماثيل عين غزال من القصب أو الجص

<http://aregy.com/forums/viewtopic.php?t=29258>

<http://www.jordanholylandexplorer.com/News/Politics/tabid/178/newsid766/3392/orgMid/766/language/en-US/Default.aspx>

http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=161769&m=1

<http://www.azoz-star.com/vb/t278585.html>



بعض تماثيل عين غزال

<http://ar.wikipedia.org/>

wiki/%D9%85%D9%84%D9%81:%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%AB%D9%8A%D9%84_%D8%B9%D9%8A%D9%86_%D8%BA%D8%B2%D8%A7%D9%84.JPG

وخاتمة القول حول الألوهية والعقيدة في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب)، أي في الفترة الواقعة بين حوالي 7250 وحتى 6000 قبل الميلاد أن سكان قرية عين غزال مارسوا في بداية الأمر معتقدات دينية واحدة تمثلت في تجسيد المعبود والرمز له بأشكال آدمية، كما قدمت الحيوانات أضحيات للآلهة. لكن، وبعد أن ازداد عدد السكان، وبلغت مساحة القرية حوالي 150 دونماً وسكنها (حسب تقديرات المنقبين) بين حوالي 2000 - 3000 نسمة تعددت الآلهة واختلفت الطقوس، وبنى الناس بيوتاً للآلهة مارسوا فيها طقوسهم الدينية. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على تعدد الأعراق والأجناس في الموقع. (مجموعة مؤلفين، زيدان كفاي 2012: 285).

عُثر في المنطقة الوسطى (central field) لقرية عين غزال على مبنى مستطيل الشكل، لكن جداره الجنوبي جاء بشكل منحني يتوسطه حجر (orthostat) مبني بشكل قائم. وترتبط بالمبنى من الجهة الشرقية ساحة محاطة بالحجارة. ويعتقد أحد المنقبين أن هذا المبنى بُني في فترة أقدم من الألف السادس قبل الميلاد، لكن العثور على مجموعة التماثيل الثانية، التي عُثر عليها في منطقة أسفل الجدار الشرقي للمبنى، يدل على أنه أحدث عهداً من التماثيل. وجاءت الأواني الفخارية التي عُثر عليها بداخله صغيرة الحجم، جيدة الصنع، وجميلة الزخارف المدهونة والمحرزة. (مجموعة مؤلفين، زيدان كفاي 2012: 286).

المباني العقائدية التي عُثر عليها في المواقع تعتبر الأقدم حتى الآن في منطقة الشرق الأدنى القديم. وهي تضيف الكثير إلى معلوماتنا حول عقائد وديانات المجتمعات الزراعية في هذه المنطقة. ولا بد لنا من أن ننوه بأنه لا يوجد ارتباط بين عقيدة عبادة الأسلاف التي شاعت في عدد من مواقع الشرق الأدنى المعاصرة وبين طبيعة الديانة أو العقيدة التي مارسها سكان عين غزال والذين استخدموا هذه المباني كمعابد. لكن وعلى أية حال، فإن وجود المعابد يشير إلى وجود مجتمع عقائدي منظم ومتربط. (مجموعة مؤلفين، زيدان كفاي 2012: 287).

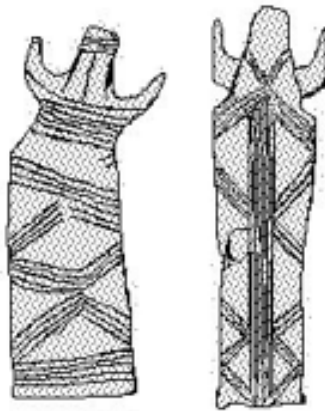
11. المكوّنات الأساسيّة للدين

لم يتطوّر دين النيوليت عن دين الميزوليت والباليويت وفقاً لآلية داخلية ربطت عقائد وأديان ما قبل التاريخ ببعضها، بل حصل ذلك بسبب التحوّل النوعي الذي شهده النيوليت. ولعل جوهر هذا التحوّل يكمن في ظهور فكرة الخصوبة. وهي التي ميّزت هذا العصر بأكمله على المستويات المادية والروحيّة.

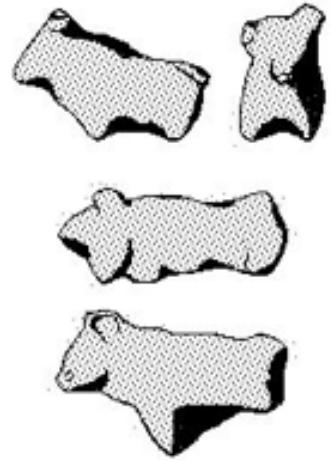
”إن الثقافات الزراعيّة أبدعت ما يمكن أن نسمّيه ديناً كونياً religion cosmique، طالما أن النشاط الدينيّ مركز حول سر مركزيّ: التجديد الدوري للعالم. وأن الكون قد فهم كمؤسسة يجب لها أن تكون مجدّدة دورياً، وبعبارة أخرى، كل عام. إن الحقيقة المطلقة هي أن التجدّد والخلود قابلان للاكتساب من قبل بعض المتميّزين بشرط توفر نوع من ثمرة أو نبع بالقرب من شجرة. والشجرة الكونيّة يفترض لها أن توجد في مركز العالم وتربط الأقطار الكونيّة الثلاثة لأنها تغرز جذورها في جهنم l’Enfer ورأسها يلامس السماء (axi mundi)“. (إلياد 2006: 64). لقد تبين أن الرحم الباليويتي الذي تحدّثنا عنه أنجب في نهاية الباليويت أنثاه الوحيدة، التي ترعرعت وصار لها أخوة كثيرون هم بمثابة (آلهة النيوليت). وإذا كانت القوى الفوقية والمقدّسة، في الأطوار السابقة، قد ظهرت على شكل قوى وأجنّة سحرية، فإنها تجسّدت، هذه المرّة، على شكل دمي طينيّة أو حجريّة أو مرمرية أو فخاريّة أو رموز للإلهة الأم، بشكل خاص، ثم للإله الذكر في ما بعد، وإذا كانت الإلهة الأم قد مثلت وحدانية العبادة النيوليتيّة فإن ظهور الإله الذكر ومركزه في ما بعد خلق تعدّد الآلهة وكثرتها، كما سنرى.

”ولم يمثل الشر إلا الخطأ الذي يعرضها إلى غضب الأرباب. ولم تظهر، آنذاك، فكرة الخلاص الفرديّ، وإنما بدأت تظهر مبادئ أخلاقية ضرورية لحياة المجموعة. وبدأ الإنسان، في هذا العصر، بالمعاقبة على السرقة، وقد حصل ذلك، منذ الألفية الثامنة، قبل الميلاد، إذ بدأت، آنذاك، أولى التجمّعات السكنية الكبرى، مثل أريحا، بحماية نفسها بالأسوار، كي تحتمي من الوحوش ومن الأعداء. وظهرت أسلحة جديدة، مثل القوس والسهم والمقلع، وأصبحت الشجاعة قيمة محمودة“. (لونوار 2012: 50).

(DIEU-TAUREAU)



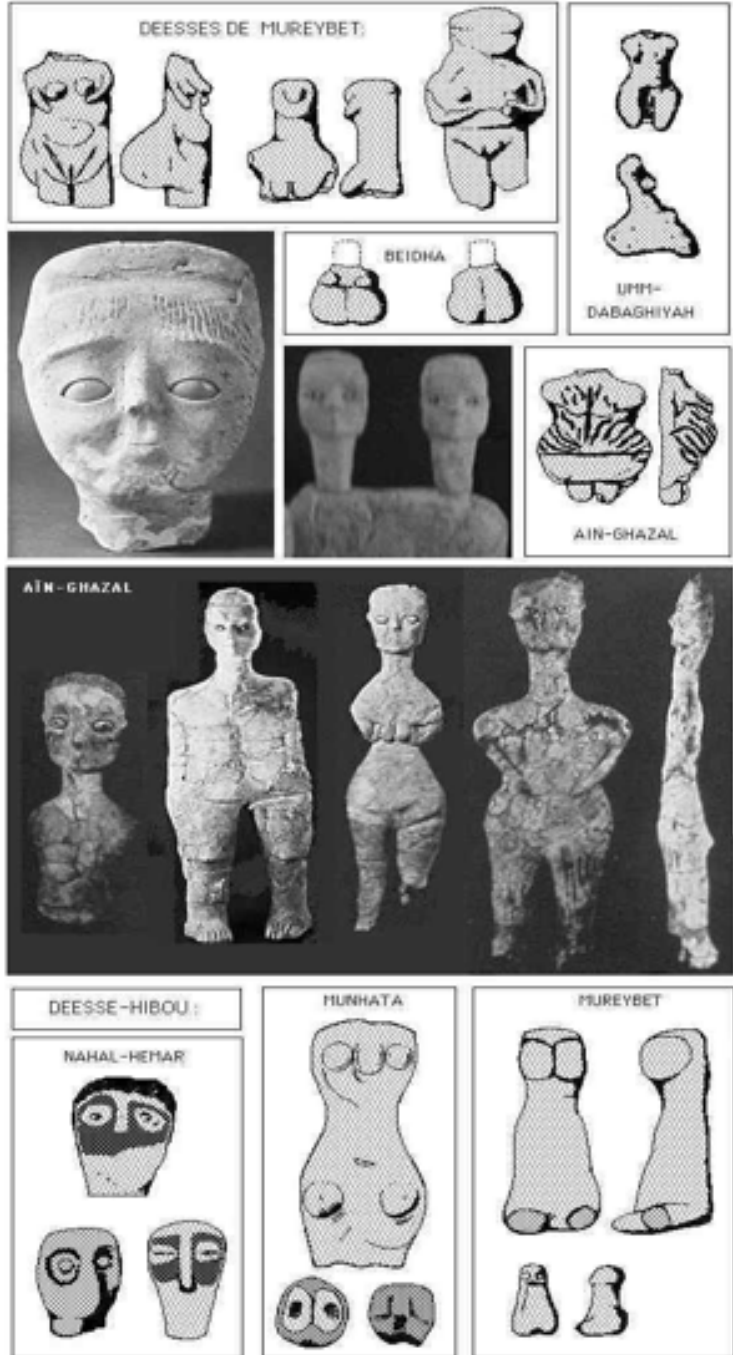
BOUQRAS



AIN-GHAZAL

<http://atil.pagesperso-orange.fr/atil/x6.htm>

كما أنهم اعتمدوا على عبادة الجمجم وقدّموا عبادة إله الثور، سيّد الحيوانات (تمّ العثور على ثور الثور وفي البيوت، تمّ تجسيد تماثيلها على مقاعد من الطين لتكون كمذابح، بينما كانت الجمام والجلود ثابتة في الجدران).



تماثيل وآلهة من المربيط وأم
الديباغية والبيضا وعين غزال
والمنحطة وناحال هيماز
<http://atil.pagesperso-orange.fr/atil/x6.htm>

12. انحسار السّحر وتحوّله نواة داخل دائرة الدين

يظهر المكونات الأساسية لدين الباليوليت الأنثويّ - الأمومي تكون دائرة الدّين قد ظهرت بوضوح واحتوت في داخلها السّحر كنواة كبيرة، حيث ما زالت أفعال ومظاهر السّحر سارية ولم تنقل كلياً بعد. وسيغيّر هذا المشهد غط المشاهد التي كُنّا نألفها في المراحل السابقة، وهذه هي بداية انتصار الدّين على السّحر واحتوائه. تقلص السّحر قليلاً وصار داخل الدّين تدريجياً، بل وشكّل الجزء الباطنيّ من الدّين ابتداءً من هذا العصر. وسيزداد تقلص السّحر ولكن تأثيره لا يقلّ بل سيحرّض الدّين على تبديل أشكاله وثيابه في كلّ عصر ومرحلة من مراحل التاريخ. يحتوي السّحر في شحنته القوية والعريقة قوتين أساسيتين إحداهما تنحو منحىً علمياً مقلوباً ستفضي في النهاية على أن تكون عاملاً مساعداً في ولادة العلم. أما القوة الثانية فستشغل بفاعلية داخل الدّين في عصر الكالكوليت وتحوّله إلى دين متعدّد ذكوريّ، ثم في العصور القديمة والوسيطه إلى دين توحيدىّ، ثم في العصر الحديث إلى نوع من الثيوصوفيا ثم في العصور المعاصرة إلى تيارات روحيّة.

السّحر الزراعيّ

إن التبذّل الذي أحدثته الزراعة في نظرة الإنسان إلى الطبيعة جعلته يتأمّل في كل ما يتعلق بها من ظواهر، وإذا كان الإنسان في الباليوليت ينظر إلى الطبيعة نظرة سحرية، ويرى أن التعامل سلماً أو إيجاباً معها يتم بالمراسم السّحرية، فإنّه في النيوليت عزا ذلك إلى الإلهة (وفي مركزها الإلهة الأم)، وتصوّر أن نموّ الزرع وموته وتكاثر الحيوانات كلها أمور تدار من قبل هذه الإلهة. "وهكذا فإنّ النظرة السّحرية القديمة التي تعلل الفصول احتلت مكانها، أو بالأحرى أضيفت إليها، نظرية دينيّة. فلئن أصبح الناس يعزّون دورة التغير السنوية إلى تغيرات مماثلة في الإلهة، فإنهم ظلوا يعتقدون أنهم بقيامهم ببعض المراسم السّحرية يستطيعون أن يساعدوا الإله، وهو مبدأ الحياة، في كفاحه مع مناوئته، مبدأ الموت. وظنّوا أنهم يستطيعون أن ينعشوا قواه الخائرة، بل وأن ينهضوه من بين الأموات. وكانت المراسم التي يحتفلون بها لهذا الغرض تمثيلاً مسرحياً للمظاهر الطبيعيّة إلى يودّون إسعافها". (فريزر 1982: 16).

إن اضطراب الحصول على نتائج مضمونة في عمليّات الزراعة بعد اكتشافها الأول واستنفاد خصوبة الأرض في أول أماكن نشأتها، جعل الإنسان يبحث عن أسباب أخرى (مادية وروحيّة) لفهم ومعالجة هذه الظاهرة. ومن الأسباب المادية التي عرفها في ما بعد هو دور المطر ودور الرياح في جلب الغيوم الممطرة. أما من الأسباب الروحيّة فمحاولة إسعاف النبات الميت في فترة موته وجفافه في الشتاء والخريف وجعله يُبعث طقسياً في الربيع (لضمان ريع الربيع)؛ "ولذلك كان من الطبيعيّ أن يكون النبات موضع الهم الأول في التمثيليات التي كان الغرض منها دفع الشتاء واسترجاع الربيع على أن جانبي الحياة، النباتي والحيواني، كانا غير منفصلين في أذهان أصحاب تلك المراسم، فقد كان في معتقدهم أن مبدأ الحياة والخصب، سواء أكان حيواناً أم نباتاً، مبدأ واحد لا يتجزأ. ولذلك فإنّ الحصول على الطعام، والأولاد هو هدف الناس من القيام بالمراسم السّحرية لتنظيم الفصول". (فريزر 1982: 17).

ورغم أننا لا نملك إلا شواهد رمزية سحرية أولى على ذلك مثل (راقصات سامراء) ورموز الصليب المعقوف وطقس استنزال المطر، لكننا نرى أن في هذه العقيدة جذراً لنشوء طقوس موت وبعث الإلهة وظهور الدراما الدّينية العفوية ثم طقوس الزواج المقدّس وغيرها.

ولا ينعكس السحر فقط على الطقوس والعقائد الدينية بل ينعكس السحر بشكله الزراعي على مظاهر الحياة المادية الأخرى كافة، وشمل صناعات الفخار والخبز والغزل والنسيج وغيره. فقد كان للفخار أهمية خاصة لأن مصدره من بيئة مائية جوفية (الصلصال)، أو في قاع الأنهار فهو جزء من جسد الخصوبة وقد نقل الإنسان ممارساته السحرية التي تخص تخطيط وجهه أو جسده بالخطوط للتمويه أو دفعاً للشر إلى تخطيطاته على الفخار للغرض السحري ذاته أي كي يحفظ هذا الإناء ما يحتويه بعيداً عن الشر. وهكذا أصبح الفخار المخطط ثم الملوّن متضمناً للخصب ودريته معاً عن طريق الخطوط التعويذية. "وكان هذا التزيين أو النقش السحري يأتي على صورة خدوش أو دهانات على هيئة خطوط مجردة منحنية أو متشابكة أو متعرجة، وهي تدلّ في أسلوبها المبسط إما على وفرة الماء، وإما على تدفقه، وإما على بعض الحيوانات والاسماك التي، قد يكون لها معنى طومميّ. والإناء الفخاريّ بنقشته هذه يعتبر ضماناً لصاحبه يجلب له الخير، أو يسبب له السعادة والهناء كنوع من الدعاء المصور، ويهدف في مضمونه إلى إبعاد الشر والأذى كأنه حرز سحري". (الخدّام د. ت: 41).

وكذلك نرى السحر في صناعة الخبز، حيث يشكل العجين مادة أو لحم الغلة المحصودة، أو المقتولة وهي إلهة أو إله الخصب، ولذلك فهو مقدس وتشكل الخميرة المادة المسكونة بالأرواح لأنها تسرع في تخمير العجين وتهيئته إضافة إلى ما تمنحه النار لهذا العجين وجعله خبزاً. وشمل السحر عمليات الغزل والنسيج حيث يدخل السحر في الغزل والحياكة من خلال الأعداد والعقد المربوطة. فالأعداد ضرورية للنسج وقد يتحوّل تكرارها نوعاً من التعاويذ السحرية وربط العقد وحلها إلى آلية من آليات السحر وتعكس عمليات الغزل والنسيج وجهاً آخر من أوجه الخصوبة، فكأنها تبدو ترميزاً لخلوة الرجل والمرأة وظهور أبناء جدد، حيث تعتبر "سدى النول في امتدادها كناية عن المرأة المضطجعة، فكأن خيوط السدى المشدودة على النول رمز للتكاثر، وقوائم النول الأربع في وضعها الرأسي ترمز إلى الرجولة، في حين تعبر عوارض المسج الأربع في اتجاهها الأفقي عن الأنوثة". (الخدّام د. ت: 57).

إن تعاشق الخيوط الأفقية (الأنثى مع الخيوط العمودية (الرجل) ينتج عنهما القماش أو البساط المنسوج الذي يغيب الخيوط الأفقية والعمودية في وليد جديد يتضمّنهما ولا يشبههما. وتعتبر الأشكال والصور الحيوانية والنباتية والهندسية، على القطع المنسوجة عن مظهر سحري آخر عكسته لنا الأعمال التشكيلية النيوليتية المعبرة عن السحر الزراعيّ.

تدجين وتقديس الحيوان: من الحيوانية إلى الطوممية

استمرّ تقديس الحيوان وعبادته، وهي عبادة شائعة في عصري النيوليت، والميزوليت، ورغم أن الانقلاب الزراعيّ أظهر ميلاً واضحاً لتقديس وعبادة النباتات وعناصر الخصب النباتيّ إلا أن هذا لم يبلغ عبادة وتقديس الحيوان، وقد ظهرت أكثر صور هذا التقديس متجلية في المنحوتات الطينية والفخارية للحيوانات المختلفة كالماعز، والأبقار، والخرفان، والكلاب، التي وجدت في جميع مناطق النيوليت في الشرق الأدنى، ولم تنقطع الديانات الطوممية في هذا العصر، إضافة إلى عبادة الحيوان ونرجح أن رصيدها النباتيّ ازداد وظهرت معه طواطم طبيعية أخرى.

الفصل الرابع أديان المشرق في العصر الحجريّ النحاسيّ (كالكوليت)



شقيقة إناءٍ فخاريّ من ثقافة حلف لرسم طير

https://www.metmuseum.org/toah/hd/half/hd_half.htm

htm

مقدمات عن العصر والإنسان والثقافات

1. العصر: الكالكوليت

عصر الحجريّ النحاسي (الكالكوليت) (3000 - 5000 Chalcolithic) ق.م. وهو العصر الذي اكتشف فيه الإنسان المعادن وبدأ بتطويعها واستخدامها في حياته اليومية، وكذلك هو العصر الذي ارتبط بنشوء المدن وظهور المعابد وقد استمرّ هذا العصر حوالي (2000 سنة)، كان الإنسان قد اكتشف المعادن، النحاس بشكل خاص، في عصر حَسونة في نيوليت وادي الرافدين واستعمله بشكل محدود، ولكنه مع بداية الألف الخامس قبل الميلاد بدأ يطوّعه ويستعمله في صنع أدوات مختلفة، فبعد أن استعمل الحجر في الباليوليت والفخّار في النيوليت اهتدى إلى المعادن لتكون وسيلته في صنع الأدوات والآلات والأسلحة وغيرها.

ونرى أن الرجل هو الذي قام باكتشاف المعادن واستعمالها، فبعد أن أخذت المرأة دورها المعروف في الزراعة انصرف الرجل في بداية الأمر إلى رعي الحيوانات وتدجينها وظلّت بعض مهمات الصيد قائمة في جده، لكن الزراعة بدأت تحتاج إلى جهد عضلي واضح كالحرث والحصاد، فتنامى دور الرجل وظهرت إشارات كثيرة تخصّ الإله الأب (الذكر)، لكن الانقلاب الفعلي لم يحصل إلا مع اكتشاف المعادن فقد استنبت الرجل زرعاً يليق بقوته هو المعدن الذي استخرجه من باطن الأرض أيضاً، وصنع به الكثير من أدواته.

إن الثورة الكالكوليتية ثورة ذكورية نتجت عنها، في ما بعد، مفردات جديدة كثيرة، فقد حلّت المدينة محل القرية وظهر المعبد مركزاً للمدينة وظهرت الحرف والعمارة والتجارة وتميزت الحياة الاجتماعية وازداد الدين تركيباً وبدأت العقيدة الديّنية تزحزح دور المرأة المركزيّ فظهر الإله الأب والإله الإبن بجوار الإلهة الأم "وأصبح أب السماء في أهمية الربة الأم الأرض، وغالباً ما أصبح الناس يتصوّرون المطر في كثير من معتقداتهم على أنه المني الخصب لأب السماء. ويرى العلماء أن سبب هذه التغيرات يرجع إلى أن الرجال قد اقتلعوا الأساس الاقتصادي لمكانة المرأة، فلم يقتصر الأمر على جعل الفلاحة عمل الرجال، بل تمّ، أيضاً، حرمان النساء من دورهنّ في الحرف الأخرى، فقد اخترع رجال المدن، مثلاً، عجلة كانت وسيلة أكثر فاعلية لصناعة القدور وأصبحوا في أكثر الحالات تقريباً، صنّاع الفخّار والخزف، وقد حصل الرجال، علاوة على ذلك، على مزيد من أدوات الحرف ذات الفائدة والفعالية الكبيرة (مثل عجلة صناعة الخزف مكنتهم من أن ينتقلوا من مكان إلى آخر، ولم يعودوا مقيدين بعشيرة المرأة، ومن ثم كانوا قادرين على جعل الأسرة لا (العشيرة) الأساس الجديد للتنظيم الاجتماعيّ" (رايلي 1985: 61 - 62).

ولا شكّ في أن المدينة تستدعي التفكير مباشرة بالمعبد الذي سيكون مركز المدينة والذي سيساهم في ظهور المؤسسة الديّنية الرسميّة الممثلة بالكهّان، وهو ما سيدفع لظهور المؤسسة السياسيّة وظهور الملك الذي كان كاهناً وملكاً في البداية ثم تمّ عزل سلطاته الروحيّة عن الدنيويّة في ما بعد.

2. الإنسان: العاقل العاقل

3. الأدوات: الأدوات النحاسيّة بالإضافة إلى الفخّار والطين والحجر، ونحن نرجّح أن اكتشاف العجلة، سواء أكانت عجلة العربة أم عجلة الخزاف، كان له علاقة باكتشاف ورسم وتداول المندالا والسواستيكا في ثقافة سامراء، وما بعدها لأن المندالا دائرة ذات مركز وهناك ما يصل المحيط بالمركز والسواستيكا داخلها توحى بحركة هذه المندالا. وهذا كلّه يشكل عصباً ذهنيّاً لشكل العجلة، ولعل الأمر كان معكوساً حيث كانت العجلة توحى بالمندالا والسواستيكا؟! المهم هو أن العجلة سادت في عصر الكالكوليت وساهمت في نقله حضاريّة كبيرة، وقد تمّ

أيضاً في هذا العصر اكتشاف السفينة الشراعية، الذي نشط التجارة بين المدن الحديثة التكوين وزاد من مدنيتهما.

4. **الثقافة:** الثقافات النموذجية والمبكرة للكالكوليت تظهر في وادي الرافدين بوضوح وتواتر، حيث يُقسم علماء التاريخ والآثار فترة الكالكوليت إلى أربع ثقافات منتظمة يقع أغلبها في جنوب العراق ولا تصادف انتظاماً شبيهاً بها في أي بلد آخر لرهافة ونوعية التغيرات الحضارية السريعة فيها، وقد نعثر على مناطق آثارية كالكوليتية معاصرة لها ولكنها تقع في دائرتها. أما ما حصل في مصر فإن النيوليت المصري كان متأخراً وصادف ظهوره مع بداية الكالكوليت العراقي وأتى الكالكوليت المصري في نهاية الكالكوليت العراقي. ويمتاز هذا العصر بأنه عصر رافديني جنوبي في نشأته وتطوره ويدل على ذلك انتظام ثقافته المتتالية المترابطة. وهي كما يلي:

اسم الثقافة الكالكوليتية	عدد سنواتها	الفترة الزمنية التقريبية
1. حلف	600	4900 - 4300 ق.م.
2. أريبدو	300	4300 - 4000 ق.م.
3. العُبيد	500	4000 - 3500 ق.م.
4. أوروك الأولى	400	3500 - 3100 ق.م.

في مصر تأخر الكالكوليت في الظهور بسبب تأخر النيوليت فيها وظهرت فيها ثقافات متواترة هي الأخرى تظهر في هذا الجدول:

العصر	ثقافته في وادي الرافدين	ثقافته في وادي النيل
الحجري الحديث (النيوليت)	8000 - 5000 ق.م.	5000 - 3800 ق.م.
	جرمو، حسونة، الصوان، سامراء	الفيوم أ، مرمدة بني سلامة، العمري (حلوان 1)، تاسا
الحجري النحاسي (الكالكوليت)	5000 - 3200 ق.م.	3800 - 3500 ق.م.
	حلف، أريبدو، العُبيد، أوروك 1	الفيوم ب، الجزري (حلوان 2)، المعادي، البداري، الإماري (نقادة 1)
الشبيه بالكتابي (بروتوليت)	3200 - 2900 ق.م.	3500 - 3050 ق.م.
	أوروك 2، جمدت نصر	الجزري (نقادة 2) الأسرة 0، السميني (نقادة 2) الأسرة 0، المملكة الجنوبية (عاصمتها نخين)، المملكة الشمالية (عاصمتها بوتو).
جدول يبين ثقافات النيوليت الكالكوليت والبروتوليت، المبكرة في وادي الرافدين وما يقابلها من ثقافات النيوليت والكالكوليت والبروتوليت المتأخرة في مصر. a		

ثقافات حلف:

يقع تل حلف (كوزانا القديمة) في شمال سوريا على بعد 5 كم جنوب غربي رأس العين قرب منبع الخابور، وقد مثلت ثقافة حلف في العراق آثار الأبرجية وتبه كورا في محافظة نينوى في تاريخها نفسه.

وتُعتبر ثقافة حلف آخر ثقافة شمالية متميزة حيث انتقل الإنسان بعدها إلى جنوب العراق وبدأت ثقافات أخرى جديدة، ولذلك فهي الثقافة المفصل بين الشمال والجنوب. كما أنها الثقافة المفصل بين الطين والمعدن، وبين القرية والمدينة وبين المعابد البدائية والمعابد بمعناها الحقيقي.

بالإضافة إلى المظاهر الدينيّة المتميّزة لثقافة حلف، والتي سنقوم بشرحها لاحقاً، فإننا نجد ظهور بيوت السكن المستديرة على هيئة خلايا النحل والمسقفة بقباب معقودة، والأختام المبسطة Stamp Seals التي سبقت الأختام الأسطوانية وعرفت ثقافة حلف أيضاً، بناء الغرف والبيوت المربّعة والمستطيلة إلى جانب بناء البيوت الدائرية، وهي تحتوي على سبع غرف بعضها يستعمل للخرن وبعضها مزوّد بتنانير خاصة بعمل الخبز والمواقد.

ثقافة أريدو:

تقع مدينة أريدو في أقصى الجنوب على نحو 40 كم إلى الغرب من مدينة الناصرية وتُعرف أطلالها اليوم باسم (أبو شهرين) بدأت ثقافتها في النصف الثاني من الألف الخامس ق.م. وأهم ميزات ثقافة أريدو هي أن هذه الثقافة تشير إلى أقدم استيطان سكاني في جنوب العراق، وأنها المكان الأول في التاريخ الذي ظهر فيه المعبد بأقسامه الصحيحة الكاملة. وإنها المدينة الأولى على الأرض بالمعنى الدقيق لكلمة المدينة، حيث تركز المعبد وسطها وظهرت البيوت حول المعبد ومارس سكانها الحرف والتجارة، أما أراضيها الزراعيّة فكانت خارج هذه البيوت. وتطوّرت صناعة الفخار والمعادن فيها.

وتقدّم لنا ثقافة أريدو تمهيداً لنقله نوعية في الثقافة ستمثلها بأوسع معناها ثقافة العبيد التي أظهرت انتشاراً كبيراً في العراق والمناطق المحيطة به.

”تعاشيت في مدينة أريدو، خلال مرحلة أولى، آلهة عدّة، مع الرّبّة العليا، ثم وقع تنصيب أحدها، بعد ذلك، إلهاً للمدينة، وربما كان الإله المنصّب إله الأسرة الأقوى في المدينة. هكذا بدأ عهد الإله (إنكي) ربّ المياه العذبة والتهيئة الأرضيّة، وقد سيّد، إكراماً له، معبد على التّل، يحتوي باحة ضخمة وهيكلًا وطاولات معدّة للقرابين، وقد تطوّرت بالتوازي مدن - دول أخرى في بلاد الرافدين، فسرعان ما عظم شأن أوروک، ثم أور، ونيفور (نُفر) وكيش.. الخ. وكانت الحياة منظمة في كل هذه المدن - الدول على نمط واحد، كما تكشف الآثار الثريّة التي بقت“.

(لونوار 2012: 56).

ثقافة العبيد:

يُقسم العلماء ثقافة العبيد إلى أربعة أطوار أو فترات، يبدو أن ذروتها كانت في الطورين الثالث والرابع، حيث توسّع انتشار ”التجمّعات السكانيّة حتى شمال وادي الرافدين وتتميّز بعلاقات تجارية مع إنتاجات جماعيّة سكانيّة في الخليج العربيّ عن طريق البحر إضافة إلى اتصالات برية مع جماعات إيران وآسيا الصغرى وسوريا وتتوضّح نتائج مثل هذه الصلات التجارية عن توسيع استخدام المعادن وخاصة النحاس والذهب. هذا إلى جانب تطوير تخطيط القرى الزراعيّة وتطوير عمليّات وأساليب الدفن وتخصيص مواضع خاصة للدفن خارج مقار السكن“ (الدباغ والجادر 1983: 159).

أما عن طبيعة الأقوام التي عاشت في عصر العبيد وما قبله، فنحن نرجح أن جنوب العراق كان الرحم الذي خرجت منه كل أقوام المناطق المتاخمة، الذين هاجروا إلى إيران والخليج والجزيرة والشام والأناضول، بل وحتى مصر... وأمدوا أقوامهم الأصليين بعناصر حضارية جديدة، وبذلك يكون أصل السومريين وغيرهم مما يُسمى بالفرايين الأوائل ثم الساميين، كان من جنوب العراق ولا نميل إلى النظرية الشائعة التي تقول بهجرة الأقوام السامية إلى العراق من الجزيرة العربية... وستكون لنا وقفات طويلة أمام هذه الموضوع في كتب لاحقة.

ثقافة أوروك الأولى:

وهي ثقافة نوعية تميّزت بتوسّع بناء المعابد وظهور فخاريات جديدة تُعرف بـ(الفخار الرمادي) وانتشارها الكبير في شمال العراق حتى الخليج العربيّ وباتجاه إيران والشام أفقياً. وتتميّز أقداحه بالحافات المائلة أو المعوجة، والأباريق ذات الصنابير المعوجة والجرار ذات الصنابير الطويلة، وأوعية من الفخار الأحمر ذات العرى أو الآذان الأربع. وسناقش التطوّرات الدينيّة والروحيّة لثقافتها وظهور المعابد الكبيرة المتميزة لها، وخصوصاً معبد الإلهة (إينين، إنانا).

مظاهر الدّين والسّحر في كالكوليت المشرق

1. الانقلاب الذكوريّ ومركزيّة الإله الذكر

أ. مصير الإلهة الأم:

بدأت الديانات الذكوريّة بالظهور، فبعد التمثيلات الرميّة لإله القضيب في الثقافة الصوانية وظهور الهواء كعامل طقسيّ إيجابي في سقوط المطر من خلال طقوس الاستسقاء بدا الإله الذكر الهوائي يرتبط بالذكر الحيوانيّ المساعد في حراثة الأرض وإخصاب الحيوانات... ونبضت أول صورته لترسم الديانة الذكوريّة ولتعدّ انقلاباً ذكوريّاً واضحاً في المرحلة اللاحقة. لكن الإلهة الأم كانت ما تزال سائدة وربما مثلت الحمايم إشارات من الإله الذكر (الهواء) إليها، ويتوافق مع ظهور الإله الذكوريّ الهوائيّ تقديس خاص لرأس الثور ذي القرنين المنفرجين وسيكون لهذا الأمر أهميته في ترابط (الذكر، الهواء، الثور)، حيث تدلّ هذه على بدء صعود الديانة الذكوريّة أمام الديانة الأنثويّة التي تمثلها الإلهة الأم (الحامل وذات الأعضاء الجنسيّة البارزة والعذراء والخنثى).

مع تعدّد الآلهة تعدّدت الأسماء في المجتمع للأفراد ومن أجل تكريس المركزيّة الذكوريّة انتسب الأبناء لوالدهم، وتعدّدت تخصصات الآلهة وتبلّورت أسماء جديدة لها غير تلك الأسماء التي كانت تطلق على الأرواح من خلال أسماء تلك التخصصات "تغيّرت المعطيات بظهور المدينة، فقد فرضت الهوية الأصرية نفسها لأسباب عديدة، منها التنظيم الاجتماعيّ والإرث الماديّ والسّلافيّ. فأصبحت كل أسرة تُعرّف باسم يُطلق على كل أعضائها. ولم يعد الفرد يحمل اسمه فقط، بل يعرف أيضاً بأنه ابن فلان. وبما أنّ الهوية أصبحت تقتضي أن يتميّز الفرد باسمه، فقد أصبح منطقياً أيضاً أن تتميز الآلهة باسمائها، ولم يعد كافياً أن تطلق على الأرواح وظائفها، كما كان الشأن في السابق، (روح البرق، روح الشمس، روح الأشجار، روح الأجناس الحيوانيّة)، بل أصبح كلّ إله يتميّز باسم يرتبط بوظيفته. وكما ستتخذ مدن العصر الوسيط لها أولياء وقديسين وتضع نفسها تحت حمايتهم، فإنّ مدن بلاد الرافدين، ومدن العصر البرونزي عموماً الذي حلّ شيئاً فشيئاً محلّ العصر الحجريّ، قد وضعت نفسها أيضاً تحت حماية إله غير حصريّ، لكنه يعتبر الأشدّ اهتماماً بحماية هذه المدينة بالذات، والأكثر اهتماماً بها من بقية

المدن“. (لنوار 2012: 58).

الإلهة الأم كانت ما تزال موجودة وربما مثلت الحمايم إشارات من الإله الذكر (الهواء) إليها ويترافق مع ظهور الإله الذكري الهوائي تقديس خاص لرأس الثور ذي القرنين المنفرجين وسيكون لهذا الأمر أهميته في ترابط (الذكر، الهواء، الثور) حيث تدل هذه على بدء صعود الديانة الذكورية أمام الديانة الأنثوية التي تمثلها الإلهة الأم (الحامل وذات الأعضاء الجنسية البارزة والعدراء والخنثى).

”نشأت الآلهة السماوية، وتطوّرت بموازاة نشأة المجتمعات الأرضية وتطوّرها. فالبشر، في العصر الحجري القديم، لم يعرفوا الملكية أو الطبقة، فكانوا يرون أنفسهم متساوين مع الأرواح الطبيعية. وفي العصر الحجري الحديث، استقرّ البشر في بلدات صغيرة، كي يرعوا قطعانهم ويزرعوا أراضيهم، وظلت الحياة قائمة نسبياً على المساواة، لكن برزت أيضاً فكرة تفوّق البشر على باقي الكائنات، وبرزت، بالتبعية، صورة الرّبة العليا الرّاعية للخضوبة وللثروة، المتعالية على أرواح السلف، تلك الأرواح المتعالية على الطبيعة، لكنّها مجاورة للإنسان“. (لنوار 2012: 57).

ب. الإله الأب والإله الإبن

1. إله حلف: ويرمز له برمزین أساسيين هما الفأس المزدوج والثور.

”إن الثقافة المسماة ثقافة (تل حلف). ظهرت بعد تبدّد الثقافات الأناضولية، وقد عرفت النحاس وبدت كأنها اختراع شعب نازل من الشمال، ربما البقايا من (حاصلار) و(جطال حيوك). إن التعقيدات الدنيّة لتل حلف لا تختلف كثيراً عن الثقافات التي وصلت إلينا لحدّ الآن. فالملوث كانوا يُدفنون مصحوبين بهدايا، من بينها تماثيل من الطين. والثور الوحشي كان يمجّد في أكثر من تجلّ للخصب الذكوري. إن صور الثيران والتيوس ورؤوس الكباش والفأس المزدوجة كان لها جميعها بالتأكيد دور شعائري ذي علاقة مع رب العاصفة، الهام جدّاً في كل ديانات الشرق الأدنى القديم. مع ذلك لم توجد تماثيل صغيرة ذكورية، في حين أن صور الرّبة كثيرة مترافقة بحمايم مع أئداء مبالغ فيها، وهي ممثلة أحياناً كثيرة في وضع القرفصاء، من الصعب عدم معرفة الصورة المثلى للرّبة - الأم“. (إلياد 2006: 66).

2. إله العبيد: يشبه إلهة العبيد الرشيقة، فهو رشيقي وله رأس ثعبان. وإذا كنا قد ملحننا الثالوث الإلهي في أريحا وعين الغزال وجطال حيوك بالصيغة النيوليتية فإن الثالوث العبيدي يتضح عبر أشكال متجانسة. فالأم والأب والإبن في هيئة شيطانية وأفعوانية حيوانية، ولن نلمح مثل هذا الثالوث بهذا الوضوح إلا في النصف الأول من الألف الثالث ق.م. في تل اسمر (أشنونا) في ديبالي حيث الأب (أبو) وزوجته وما يدل على ابنه.. وبالطبع فإن هيكّل الآلهة السومرية سيّتحفنا بالكثير من الثالوثات الإلهية.

2. عنصر الهواء والنار

كان المطر هو بداية اكتشاف أهمية الهواء وجعله ذكورياً، فحين وجد الإنسان نفسه جنوب الخط المطري في آخر ثقافات النيوليت الرافديني، اتجه نحو الانتباه للمطر باعتباره حاملاً للماء، وحين بدأ عصر الكالكوليت واكتشف الرجل دوره في الإنجاب نظر إلى المطر الذي يحمله الهواء باعتباره منياً سماوياً يلقي الأرض فتنبت المزروعات، وهكذا كان الانتقال من الماء إلى الهواء عبر المطر.

أما النار فقد ظهرت أهميتها مع اكتشاف النحاس والمعادن ومع عمليّات التعدين الكبرى في المناجم، وقد أصبح النظر لها أرضية، باعتبارها تعدينية منجمية، وسماوية، باعتبارها نجمية كوكبية شمسية. ومن هنا نشأت العبادة الشمسية وترسخت نهائياً فكرة السماء كعامل حاسم

في ديانة الكالكوليت وظهرت السماء بصفة آن وظهر إله السماء كإله مركزيّ أول وكان اسمه يتراوح بين حرفين هما (ن) الذي نتج عنه، لاحقاً، الإله (آن) السومريّ، وحرف (ب) الذي يدلّ على (الأب) وهو الاسم الباترياركي الراسخ في أغلب لغات العالم.

3. الذكورة والشمس

إذا كنا قد وصفنا ديانة النيوليت بالقمريّة الأنثويّة فيمكننا وصف ديانة الكالكوليت بالشمسيّة الذكريّة، فقد اقترنت الشمس بالذكر لاشتراك صفات كثيرة بينهما مثل النهار والعمل والثبات والقوة، لقد كانت الإلهة الأم هي السائدة وكان الإله الذكر يظهر عرضاً. وكانت هذه الأم واحدة للبشر والكون، ولكن عبادتها بهذه الصيغة تحوّلت عبادة سرّية بعد الانقلاب الذكوريّ وسيادة الديانة الشمسيّة والرموز الذكريّة، فقد تمّ تدمير صورة الأم الكبرى ورموزها وقامت الديانة الشمسيّة ببناء مادتها على أنقاض الديانة القمريّة وأخذ الآلهة الشمسيّون يأخذون صفات ومواقع الآلهة القمريّة القديمة.

الإلهة الأم السومريّة (نمو) والبابليّة (تيامت) وضعتا في الهامش، وقتلت تيامت في الأسطورة البابليّة بشاعة من قبل الإله الشمسيّ (مردوخ) ومثّل بها ونسب لها كل الشرور والشياطين والأمراض... ومن دم أحد أتباعها صنع الإنسان الخادم والعبد والشرير أيضاً. إننا نستطيع إعادة قراءة جميع الأساطير السومريّة والبابليّة وفق منهج التصادم والتصفية بين رموز العقيدتين القمريّة والشمسيّة، ولكي نتابع تصفية الإلهة الأم لما قبل التاريخ، فإننا سنرى أن هذه الأم الكبرى بقيت فاعلة وقوية في واحدة من صورها في شكل (إنانا) العاهرة اللعوب والتي مثلت كوكب الزهرة وألحقت بالثالوث الشمسيّ (الشمس، القمر، الزهرة) وإذا أعدنا قراءة أسطورة نزول إنانا للعالم الأسفل نلمح الحضور القمريّ والشمسيّ معاً. فالروح القمريّ الأنثويّ ما زال حاضراً في إقدام إنانا على غزو العالم الأسفل وإحياء الأموات، والروح الشمسيّ يكمن في سجنها وموتها هناك. وملاحم مثل جلجامش تُخفي مثل هذا الصدام بين العقيدتين، وكذلك أساطير الطوفان والنواميس وغيرها، من الأساطير التي تكمن جذورها في الكالكوليت الجنوبيّ، وسيصل الانقلاب الذكوريّ الشمسيّ ذروته عندما نصل إلى الأسطورة العبريّة حول آدم وحواء، عندما تصبح حواء مجرد ضلع في جسد آدم.

ونحن نرجّح أن طقوس الأسرار والديانات السريّة بدأت تحديداً مع الانقلاب الشمسيّ في العقائد، فقد انزوت الديانات القمريّة تحت اللهب المنفلت للديانات الشمسيّة وأصبحت وكأنها تُمارَس في الخفاء. وأصبح الظلام مرادفاً للديانة القمريّة السريّة وترافق هذا مع عزلتها وباطنيّتها. ويتناسب هذا الفهم مع العصر المعدنيّ، فقد فتحت الأرض مناجمها للإنسان ورأى الإنسان الكهوف في أعماق الأرض وليس في أعماق الجبال فقط. وقد كانت هذه المرّة مليئة بالمعادن القوية المتألّثة تحت الشمس فشمّل هذا ظهور عقائد سرّية مدفونة باطنيّة ينزل إليها الإنسان في نشواته الروحيّة الخاصة، وبعيداً عن الرقابة السطحية الذكوريّة الشمسيّة لقد كانت لفعل استعمال المعادن وتطويعها نتائج دينيّة مهمة، كما يقول مؤرخ الأديان مرسيا إلياد: "فإلى جانب القداسة السماويّة المنبعثة من النيازك، أصبحنا الآن بحضور القداسة الأرضيّة التي تتوزّعها المناجم والمعادن فالمعادن تنبت في جوف الأرض والمغاوير والمناجم مشبّهة برحم الأرض الأم والمعادن المستخرجة من المناجم هي بنوع ما (أجنة). إنها تنمو ببطء كما لو كانت تخضع لإيقاع زمني آخر غير ما تقتضيه حياة الأعضاء النباتيّة والحيوانيّة - إنها على الأقل لا تنمو، إنها تنضج في الظلمات الأرضيّة وإن استخرجها من جوف الأرض هو إذن عمليّة مبتكرة قبل أوانها، ولو ترك لها الوقت لتنمو أي الإيقاع الجيولوجيّ للزمن فإن المعادن ستصبح ناضجة

كاملة. إن المعدنيين - عمال المناجم - في أي مكان في العالم اخترعوا شعائر تحمل حالة من الطهارة: صيام، تأمل، صلوات وأعمال طقوسية“ (إلياد 1986: 72).

لو لاحظنا كلمة حديد في اللغة السومرية لوجدنا فيها ما يوضح لنا اتحاد عنصري النار والسماء (الشمس والسماء) فهي انبار AN - BAR وأن هي السماء، وبار هي النار وكلمة بار تعني الشمس. وإذا كانت السماء قد دخلت في مطلع الديانة الكالكوليتية فإن النار بمعناها الشمسي هنا عبرت عن تركيبية كلمة الحديد.

وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك فإننا سنلمح الصليب المعقوف (السواستيكا) يعبر بشكل طاغ عن الأنوثة الإلهية المتحركة. ونرى أن السواستيكا احتجبت في الثقافات الجنوبية العراقية الكالكوليتية وظهر مكانها بكثرة رمز الصليب بمختلف أشكاله الذي عبر عن الإله الذكر هذه المرة أكثر من الإلهة الأنثى. ويتضح هذا كلما اقتربنا من اختراع رموز الكتابة في نهاية الكالكوليت فقد كتب اسم الشمس بالعلامة المسماة بار BAR وهي علامة تشبه الصليب وذلك على ألواح الوركاء من الطبقة الرابعة (أ) ثم ما لبثت هذه العلامة أن أحيطت بقديسة خاصة في عصر جمدت نصر عندما تصاعدت العبادة الشمسية بقوة.

لقد شمل الانقلاب الشمسي أن حلَّ الإله الذكري محلَّ الإلهة في دراما الخصب والاحتفالات الشعائرية وسيشمل ذلك التضحية بالإلهة أو الإله فالديانات الشمسية المنحى كانت تضحي بالإلهة من أجل استمرار دورات الخصب، أما الديانات القمرية المنحى فكانت تضحي بالإله، وتعطي الديانة المسيحية مثلاً جيداً لهذه الأخيرة، حيث يضحي يسوع من أجل الخلاص (الذي هو بديل رمزي للخصيب).

يُعدُّ البحث في الصراع بين العناصر القمرية والشمسية في الديانات والعقائد واحداً من أمتع البحوث لما ينطوي عليه من كشف مثير للحقائق المستورة والمخفية.

4. من الطبيعة إلى ماوراء الطبيعة

شهد تجسيد الآلهة في النبوليت ارتقاءً كاملاً في أحضان الطبيعة وتقليداً لها وانسجاماً مع تكوينها، لكن الكالكوليت شهد تطوراً نوعياً جديداً بدأ بتفكك وتصدع هذا الذوبان شبه الكامل في الطبيعة. ولعل أول مظهر لهذا التفكك هو ظهور رموز الآلهة في ثقافة سامراء. لقد كان (المقدس) يبدو وكأنه حال، بل وذائب في أنسجة الطبيعة، فعندما كانت الإلهة الأم تمثل بالدمى الطيبة والفخارية والصلصالية والحجرية وتحمل هذه الدمى روح الطين وشكله وعدم انتظامه وهيوئيته، وكان هذا يشير في بعض نواحيه إلى أن (المقدس) بدا وكأنه يخرج من أحضان الطبيعة ورحمها أو أنه قوة (متشكلة من قواها).

وربما كان للنزعة التجريدية والرمزية التي بدأ يظهر فيها الإله الأب (الذكر) الأثر الكبير في بداية الفصل بين (المقدس) و(الطبيعة).

يوحي ظهور المعبد في أريدو وشكله بأنه لم يكن لأغراض جمع المتعبدين كما كانت أغراض الحرم والمصلى والمزار والمقام في الثقافات الشمالية، بل كان يدلُّ بوضوح على أنه مكان للإله. ونظنُّ بأن وضع مكان مركزيٍّ ومحدّد للإله على الأرض كان أول عمليّات انسلاخه من الطبيعة. وبعد تفكك وانحيار ثقافة العبيد تكاثر الآلهة وتعدّدوا وتخصّصوا. ومع هذه الخطوة قطعت صلتهم بالطبيعة (بالمعنى القديم) وصيغت لهم علاقة جديدة بها. لقد أصبح الإله (قوة تسكن الأعالي) ومن هناك كانت هذه القوة تسيطر على مجرى الطبيعة ومادتها... ولم تُعد ملتحمة ومندمغة بالطبيعة وتشكل إحدى صفاتها (كالخصوبة)، أصبحت الآلهة إذن بعيدة...

وأصبحت التماثيل أشكلاً تقريبية لها والمعابد أمكنة لراحة الإله المتعالي البعيد عن الأرض. المعبد إذن بيت الإله وليس بيت المتعبدين (أليست هذه الصورة هي حقيقة أماكن العبادة الآن!!). ولهذا الإله خدم وحشم في بيته هم الكهنة ورجال الدين ليس المهم أن يروه، ولكن المهم أن ينقلوا تعاليمه إلى الناس، ويأمرونهم بإقامة الطقوس له، ويعتنون بصوره وتمثيله أو حاجياته!!

لقد انتهت مع حضارة العبيد الصياغات القديمة للدين، وجاء مع السومريين (الذين أتوا بعد العبيديين) وهم مبتكرو حضارة الوركاء فهم جديد للدين والآلهة والمعبد. فالدين هو علاقة الإنسان بالإله.. وليس الطقوس فقط أي أنه عقيدة والإله قوة منفصلة عن الطبيعة ومسيطر عليها في أن... تديرها من الأعالي، ولهذا الإله أحداث وقصص وبطولات ومعجزات أمكن صياغتها في الأساطير، والمعبد هو المكان الذي يحل فيه الإله على الأرض إنه مزار إلهي (وليس بشرياً) على الأرض.

في ثقافة الوركاء استقرت عمارة المعابد في شكل زقورات أي معابد مدرجة مبنية من ثلاثة طوابق يصل بينها سلم يؤدي إلى القمة حيث يوجد المعبد. وهو عبارة عن حجرة مستطيلة الشكل ملحق بها بعض الغرف الجانبية، وقد اختلف المختصون حول ارتفاعها ومدرجاتها وساد الرأي الذي يقول بأنها تنتمي في أصلها للإله (أن) إله السماء، لما يستوجب ضرورة الارتفاع بمنزل الإله إلى مستوى أعلى من سطح الأرض حتى يتناسب مع عبادة ذلك الإله السماوي، بمعنى أن يكون قريباً منه.

لقد كان الإله أو المقدس قوة حائلة في أشياء الطبيعة وملتحمة بها كالنار والحيوان والأنثى والهواء والماء، لكن انفصاله عن مظهره جعل منه جوهرًا متعالياً، وهذب من مادته نحو مثالية واضحة، وكانت هذه الخطوة أساسية في وضع فهم جديد للدين بأكمله.

5. شعوب الكالكوليت الكبرى ودياناتهم

(الساميون، القوقاز، الترك، الآريون)

الكالكوليت أو العصر الحجري النحاسي شهد، أولاً، في الشرق الأدنى الانقلاب الذكوري وبداية نشوء الشعوب الكبرى في هذا الشرق الأدنى والذي انتشر صداه إلى شرق أوروبا وغرب وجنوب البحرين (الأسود وقزوين) بشكل خاص. ولكي نضع فرضية جديدة تقابل فرضية كورغان (حول نشأة الشعب الآري والتي أسستها ماريا جمبوتاس) وتكمل ما فاتها وتحتويها توجبت علينا دراسة ما حصل في أول ثقافات الكالكوليت في الشرق الأدنى، وتحديدًا في وادي الرافدين وسوريا، وهي ثقافة حلف.

لكن ما ينعنا هنا هو الجزء الخاص بنشوء الثقافات والشعوب السامية (السارية) التي كان مسرحها الأول شمال ميزوبوتاميا ثم جنوب ميزوبوتاميا، ومن وادي الرافدين انتشرت الثقافات والموجات السامية إلى بقية المشرق العربي حتى وصلت بعض شحنتها إلى شمال أفريقيا والبحر المتوسط وجنوب أوروبا. ولنلاحظ أن شعوب الترك والقوقاز يتكلمون لغات مقطعية، وأن الشعوب السامية والآرية تتكلم لغات أبجدية. وهذا يشير إلى حقائق مهمة.

اخترنا كلمة (سار Sar) لأنها الكلمة التي تجمع الشعوب السامية الأولى الأربعة (سوبارتو، سونارتو، سومارتو، سوارتو)، ولأن معناها باللغة الأكديّة هو (الدائرة) وتشكلها عددياً أربع علامات مسمارية تحاول أن ترسم دائرة وهي تشير إلى العدد 3600 وهو عدد فلكي. وقد استخدمت للدلالة على السنة الكونية الكبرى واقتبسها الإغريق من بلاد الرافدين وسموا هذه

السنة بدورة الساروس.

الكلمة تعني بالسومرية قاموسياً: كل، عالم، أفق، كرة، كرة الطين، كثير، عدد لا يُحصى..

أما في الأكديّة فتعني: ملك، سنة، شهر.

هذه هي الفكرة النظرية العامة التي ندعو لها والتي نسميها نظرية (سار) والتي تحتاج إلى جهد بحثي كبير يشرح تفاصيلها بدقة في نشوئها وانتشارها في جهات العالم. شرحنا بعضه في كتابنا عن حضارات ما قبل التاريخ.

نشأت الشعوب النحاسية الكبرى (الساريون وهم الساميون، الآريون، القوقاز، الترك) وكُونوا، في ما بعد، أول حضارات التاريخ أو العصور التاريخية.

كانت دياناتهم تمثل فجر الذكورية التي اتخذت نوعين من الآلهة المركزية وهما إله الهواء وإله النار. ومن خلال التطورات التعددية لهذين الإلهين وما يرافقهما نشأت الديانات الكبرى الأولى في التاريخ القديم.

6. الرموز والأساطير والمثولوجيا

أما الرموز فقد رأينا كيف أنها بدأت تميل نحو الذكر والشمس والكواكب وانحسر رمز السواستيكا الأنثوي، وظهر بطغيان رمز الصليب الشمسي الذكري، وانتعشت مرحلة جديدة من الرموز مع بدء ظهور السومريين في أوروبك وجمدت نصر، فكانت الأشكال الجميلة المعبرة التي ترمز لكل إله (وهي ليست صور ورسوم الإله بالطبع بل رموزه) ثم أصبح لكل إله رمز حيواني يعبر عنه. وتعدّ هذه النقلة في الأشكال الرمزية جوهرية وكبيرة انتقلت معها الأساطير بالمقابل إلى مستوى جديد ومتطور.

أ. الإله (آن) والإله (كي): في الأرض كما في السماء

في الكالكوليت حدث انقلاب مهم جداً في المثولوجيا النيوليتية التي كان مركزها الإلهة الأم، وعقيدة الخصب، فقد تمّت الإطاحة والتدمير والتهميش لكل أشكال الإلهة الأم، وأصبح دورها هامشياً قياساً للإله الذكر، ونرجح أن لجميع الأساطير السومرية والبابلية والكنعانية، والمصرية طبقتين: الأولى كالكوليتية تزخر بظهور الأبطال الذكور، والثانية نيوليتية مدفونة نستطيع أن نتلمس من بقاياها وأثارها ما كانت عليه تلك الأساطير في حقيقتها. وبعبارة أخرى نستطيع القول إن الميثوس النيوليتي كان أنثوياً قمرياً فتحول إلى ميث كالكوليتي شفاهي ذكري شمسي وتحول هذا في ما بعد إلى نظام أسطوري مكتوب باللغة السومرية أولاً.

”المترابطة في كثير من الأحيان قد ظهرت في الفترة ما بين 5000 و3000 ق.م، فإن ديانة هذه الفترة تميّزت بثلاث سمات عامة:

1 - فصل علم الأحياء عن عالم الأموات، كما ظهر في الممارسة المتزايدة لدفن الأموات في مقابر خاصة خارج المستوطنات.

2 - فصل مراكز العبادة عن المساكن وإقامة مزارات عمومية.

3 - التخلي عن التصوير التماثلي للآلهة والنزوع إلى الإيحاء بقدرتها وفعاليتها بواسطة الرموز المجردة والإشارات والزخارف.“ (ريجوفك: 2007 289).

ب. الإلهة الأم وانحدار مكانتها

أ. الإلهة الأم وتطورات عبادتها:

طرأت على عبادة الإلهة الأم تطورات عديدة لعل أهمها هو فقدان مركزيتها وظهور الإله الأب كمنافس قويّ ثم كمرکز جديد، بعد أن كان ينمو على هامشها في النيوليت. ولعل تميّز الإلهة الأم بنحافتها واقتربها من شكل الرجل دليل على ذلك. وستتابع تطوراتها كما يلي:

1. إلهة حلف: وتظهر في شكلين الأول يمثل امتداداً لإلهة النيوليت حيث الجسد الممتلئ والأفخاذ المكتنزة، أما الشكل الثاني فيتميّز بالجسد المزين بالخطوط والممسكة بثدييها وبظهور النقطة عليها والتي يظنّ بأنها نوع من أنواع الوشم، ويبدو التشكل الثاني المخطط برأس أفعواني يشير إلى دمج رمز الأفعى مع الإلهة الأم.



الإلهة الأم المخططة في حلف
<https://nl.pinterest.com/bazzojean/halaf>.



الإلهة الأم في حلف
http://www.metmuseum.org/toah/hd/half/hd_half.htm.

2. إلهة العبيد: انعطف شكل الإلهة الأم في الثقافة العبيدية تحديداً إلى نوع آخر، وجديد فقد ظهرت الإلهة الأم واقفة (غير جالسة) وبجسد رشيق وتمسك أحياناً طفلاً، أو تضع أيديها على أردافها، ويبدو جسدها مطلياً بالدهان ومكسوياً بحبات صغيرة من الفخار على الأكتاف، ولم يعد رأسها غير منظم الشكل وأصبحت له ملامح تعطي مظهراً أشبه بالأفعى ولها شعور اصطناعية مثبتة بالقار.

إنّ الوجه الأفعواني الشيطاني لهذه الإلهة يثير أسئلة كثيرة حول علاقتها بالأفعى والخصب والسحر. وأن ظهور الطفل بهذا الشكل الحيواني وهو يرضع من ثدييها يثير سؤالاً عن الإله الابن، وتشير المثلثات المتداخلة إلى عضوها الأنثوي. وهناك من العبيد أيضاً تمثال مكتنز دون رأس للإلهة الأم من تلو.



الإله الأب في العبيد

<http://www.newsinfo.co.uk/pages/acientfigurines.html>



الإلهة الأم في العبيد

<https://nl.pinterest.com/berna/dettedenhe/mesopotamia-babylon-assyria>

. إلهة الوركاء (إنانا): إذا كنا قد خضنا في سديم إلهي أنثوي في المراحل السابقة ودون أسماء، فإننا في الوركاء بسبب الكتابة الصورية وجدنا اسماً لإلهة الوركاء، وهي إنانا أو (إينين) وتظهر لنا هذه الإلهة كإلهة للحب والخصب، ويبدو شكلها منحوتاً على الإناء النذري، وهي تستقبل هدايا نباتية من كهنتها العراة. ويشير لها رمزها الأثير (القصبتان المعقوفتان وبزِيل حريري). وهي في رأينا لا تمثل الإلهة الأم السومرية التي نرى أنها (نخرسك) أو (ننماخ) كما سيتضح اسمها.

إن التعدد الذي أصاب فكرة الإله لم يقتصر على الآلهة الذكور (كما سنرى) بل دخل على الإلهة الأم ذاتها، فلم تعد هناك إلهة أنثى ممثلة بالإلهة الأم وحدها بل أصبحت أولاً هناك الإلهة إنانا ويبدو أنها الإلهة الإبنة للإلهة الأم ثم تطوّر الأمر، فأصبحت لكل إلهة زوجة وهكذا تعددت الإلهات.

ت. ظهور الإلهة البنت (العذراء)

أما أول ثالوث أنثوي فقد نشأ من الإلهة الأم القديمة أو الكبرى عند السومريين وهي الإلهة (ممو) والتي أنجبت الإلهة (كي) إلهة الأرض مع أخيها (آن) إله السماء، وهذه الإلهة (كي) صار

لها أسماء عدّة مثل (نخرساک، و(ماما)، و(نماخ) و(أورور)، و(کاتم دک)، وغيرها، وكلها تشير إلى كونها الإلهة الأم الولودة والخالقة. أما الإلهة الثالثة في الثالوث فهي الإلهة إينين أو (إنانا) التي تمثل الحب والجمال.

إن هذا الثالوث الأنثوي (مّمّو، كي، إنانا) لم يكن الثالوث الوحيد في البانثيون السومري لاحقاً فقد ظهرت إلهات عديدات يمكن إدراجها في مثلثات متجانسة. ولعل الإله الذكر العبيدي يظهر واضحاً في تمثال آخر يشبه في رأسه رأس القضيب الذكري وله يد يسرى لها سبعة أصابع وعلى ثوبه السمكي درج يُوحى بطول الصعود إليه. الإلهة الخنثى: يستمر ظهور الإلهة الخنثى في ثقافة حلف، حيث يظهر لنا التمثال الخنثى الوحيد من جاکار بازار في سوريا. وهي استمرار لتقاليد الإلهة الخنثى التي ظهرت في ثقافات النيوليت والتي بدأت بالاختفاء في ثقافات الكالكوليت.

ث. ظهور الثالوث الكوكبيّ

نلاحظ أن تطوّر الثالوث الإلهيّ من أريحا إلى العبيد إلى سومر يهيئ أرضية متماسكة لتواتر هذا الثالوث حتى العصر المسيحيّ. لقد كانت خطوة ترسيخ الثالوث العبيديّ مرحلة للقفز باتجاه التعدّد الإلهيّ فقد ظهرت مسبقاً رموز تدلّ على قوى الطبيعة فتهيأت الأذهان لأن تتطوّر هذه الرموز إلى تشخيصات الهيئة. وإذا كان الإله الأب هو أول من استحوذ على رمز الهواء والطير والفأس المزدوجة كما حصل في ثقافة حلف، فإنّ هذا الإله بدأ يقترب من صورة الإله إنليل إله الهواء الذكريّ الحازم. ولذلك يتبادر إلى ذهننا مباشرة الإله الإبن في صورة الإله إنكي إله الماء الطفل الرقيق العذب. ولكي يكتمل الثالوث الإلهيّ مع الانقلاب الذكوريّ تتم الإطاحة بالإلهة الأم ويحل محلها الإله (آن) إله السماء العليّ البعيد، وهكذا سينشأ أول ثالوث ذكوريّ في حضارة سومر وتطلق عليه هذه الأسماء. ومن المؤكّد أن هذه الأسماء كانت تطلق عليه إلا أنه بسبب غياب الكتابة حتى هذا الوقت، فإنها تبدو بدون أسماء. الثالوث الذكوريّ الثاني ظهر متأخراً بعد الأول بقليل ويشمل إله القمر، إله الشمس، إله البرق والرعد، والإلهة التي تمثل الطبيعة بشكل خاص هي التي فتحت الباب عريضاً أمام تعدّد الآلهة.

ح. من الثالوث إلى التعدّد

بظهور ثالوثات متعدّدة ظهر التعدّد Polythesim، وقد لا يكون ظهور تلك الثالوثات منتظماً وفق الشكل الذي تحدثنا عنه، ولكننا نرى أن التوحيد الأنثويّ القديم استنفد أغراضه الدبنيّة ولم يعد صيغة تناسب التطوّر الروحيّ للإنسان، فكان لا بد من ظهور الثنائية الإلهيّة أولاً (Dithesim) وهي أنثويّة ذكريّة أولاً، ثم ظهور الثالوث (الأم والأب والإين) وهي ثلاثيّة أقتومية (Trithesim) كانت صدى لظهور العائلة بشكل مستقر وواضح. ثم ظهر التعدّد الذي هو صدى لظهور مجتمع المدينة المتعدّد الاتجاهات والميول والطبقات.

إن التوحيد الأنثويّ القديم (Monotheism) كان في بدايته ثورة روحيّة على عبادة وأديان الباليوليت والميزوليت، وكانت الثنوية الأنثويّة الذكريّة ثورة على تلك البدايات البسيطة للتوحيد. وكان الثالوث ورسوخه ثورة أخرى أعطت سعة في التصور الروحيّ، أما التعدّد فإني أعهه ثورة حقيقية دينيّة في وقتها، لأن التعدّد عمل على التصعيد الميتافيزيقيّ لفكرة الإله أولاً ثم عمل على إثراء الدّين من آلهة عديدين مختلفين جلب كل واحد منهم إرثاً وعقائد

وطقوساً ومثولوجيات خاصة به، وتمازج إرث الآلهة كلهم في بوتقة التعدّد الذي أحال في ما بعد هذا الإرث كله إلى فكرة الإله الواحد الأحد (التوحيد) الذي اكتنز وأثرى من كل هذه الينابيع.

لم يكن هناك مهرب من أن يكون الإله الذكرىّ الأول في جنوب العراق إلهاً للماء أو السماء، لأن عناصر الماء والهواء والسماء كانت قد اكتملت وعبر عنها بإله ذكر إزاء إلهة أرضية نائمة تمثل الأرض. إننا نرجح أن إله الهواء ظهر أولاً في النيوليت الشمالي وإله الماء ظهر في ثقافة أريبدو والعبيد ثم ظهر إله السماء في أروك. وهكذا كسر الثالوث القديم (الأم والأب والإبن) وظهر ثالوث ذكرىّ صرف يفتح الأفق لتعدّد، وظهر بعده مباشرة ثالوث آخر مكوّن من (إله القمر - نانا - ، إله الشمس - أوتو - ، إلهة الزهرة - إانا -). وكان لهذا الثالوث الكوكبي أثره في تكريس فكرة الانفصال الميتافيزيقيّ للإله.

وإذا كانت الطبيعة هي الحاضنة الأولى للآلهة فإن انفصال الآلهة عنها مهّد بعد ذلك لظهور آلهة لا علاقة لهم بالطبيعة بل كانوا صدى للأفكار والحاجات الجديدة مثل إلهة الكتابة، وإله الأمراض وإله الطب وإله الصناعة وغير ذلك. إن مسيرة العقل البشريّ لا تمر بطرق مستقيمة، بل بطرق نلمح فيها التكرار والتماثل والتشابه وتتحاضن فيها الأفكار القديمة والجديدة بطريقة غير متوقعة أحياناً. فالجديد لا يمحو القديم كلياً، بل يتصاعد به ويظهر القديم بوجود الجديد بأشكال عديدة وجديدة.

إن دليلاً على أن الثالوث مرحلة سبقت التعدّد هو أن نظام الآلهة السومريّ ثم البابليّ المتعدّد يتضمن في داخله ثالوثات كثيرة ما زالت تشير إلى أصلها في المجتمع الواحد. كذلك نرى أن هناك بعض المفكرين قد أشاروا إلى التوحيد القديم ومنهم (شميدت) الذي ذهب إلى أن "المرحلة الدينيّة قد سبقت المرحلة السحريّة في الجماعات البشريّة ويستمدّ من الدراسات الأنثروبولوجية أدلة لتدعيم وجهة نظره التطوريّة. فهو يؤمن أن ديانة التوحيد البدائيّ والإله الاسمي هي الديانة التي كانت سائدة في فجر المجتمعات الإنسانيّة الأولى وأن الطقوس السحريّة جاءت مسخاً وتشويهاً لتلك الديانة الفطرية التي عرفت عند أقزام أواسط أفريقيا وعند الفيجيين وقبائل اندمالييز في آسيا الجنوبيّة". (الخشاب 1966: 16).

ويبدو أن شميدت لم يكن يعني مطلقاً ذلك التوحيد النيوليتيّ الأنثويّ، بل كان منطلقاً من نبرة توحيدية دينية معاصرة فقط. إننا عندما نحور نظرية شميدت ونقول بأن هذا التوحيد يشير إلى عبادة الإلهة الأم الكبرى نكون قد قبلنا بفكرة عامة واحدة من هذه النظرية لكن شميدت لا يقصدها مثلنا.

أما التعدّد فإننا لا نشك مطلقاً في أن ظهور المجتمع الطبقي والحياة السياسيّة في المجتمعات النحاسيّة الكالكوليتية أولاً ثم في جنوب العراق كان لها الأثر الكبير في ظهور هذا التعدّد الإلهيّ، فقد انعكست هذه الصورة الاجتماعيّة على مجمع الآلهة من ناحية الاختصاصات والوظائف. وصحيح أن العراقي القديم وضع آلهته في السماء بشكل دائم وعلى الأرض (في المعابد) بشكل مؤقت إلا أن هذه الآلهة لم تتميز كثيراً عن الإنسان إلا في قدسيّتها وفي خلودها، فقد ظهرت الآلهة منذ النيوليت بأشكال تشبه الإنسان شكلاً وكذلك في الكالكوليت وبعد حصول الانقلاب الذكوريّ ثم الانقلاب الأنثومي ثم الانقلاب التعددي وهي انقلابات متسارعة ظهرت فيها أشكال الآلهة شبيهة بالإنسان مع بعض المبالغة في أشكال بعض الأعضاء كالعيون والأذان.

والآلهة يتزوّجون ويتناسلون ويحبّون ويكرهون ويأكلون ويشربون ويتحاربون، فمبدأ التشبيه بالإنسان (Anthropomorphism) كان قائماً في هذه الأديان رغم أن هناك خصوصيات الهيّة

واضحة.

لقد شكّل الآلهة دولة أو مدينة الكون، يرى جاكوبسن بأن الأسباب التي حدثت بالعراقي القديم إلى أن يقول بأن الكون يشبه الدولة هو تصوّره عن الكون الذي لم يكن فارغاً أو جامداً، بل مشحوناً بالحياة بسبب وجود الآلهة في كل جزء منه أو سيطرتهم عليه، وأنه كان يجابه أي ظاهرة من ظواهر الطبيعة في أية لحظة كشخص لشخص (إنسان لإله). وهكذا تكون ظواهر الطبيعة وكأنها ظواهر اجتماعية يسودها نظام محدد، أي أن الكون كان يبدو كدولة“ (الطعان 1981: 365).

7. الطقوس

تغيّرت الطقوس مع الكالكوليت وأصبح رجل الدين مشرفاً عليها ومسؤولاً عن شعائر النذور والقربان والدفن. حصل هذا في الطقوس المبكرة في ثقافة حلف وكذلك في الطقوس الخاصة بالكالكوليت الأوروبيّ ”إن كمية من المذابح والمقابر، وموضوعات شعائرية متعدّدة، تشهد كلها على وجود دين منظم جداً. ففي محطة الإينوليتيكية Eneolitique لكاسيوريل Casioarele على بعد 60 كيلو متراً من جنوبي بوخارست، ظهر معبد رسمت جدرانه الداخلية بلولبيات رائعة، باللون الأحمر والأخضر على أساس أبيض - أصفر. ولم توجد تماثيل ولكن أسطوانة بطول مترين وأخرى أصغر منها تشير لشعيرة عمود مقدس رامت لقطب الدنيا Laxis Mundis وفوق هذا المعبد كان يوجد معبد آخر، ومنذ وقت قريب جداً، وجد نموذج من الطين المشويّ لمقبرة. ويمثل نموذجها Lamaquette عقدة معمارية ذات انطباع مؤثر: أربعة معابد تستقر على قاعدة مرتفعة“. (إلياد 2006: 69).

أ. ظهور المعابد الحقيقية

رغم أن الكشوفات الحديثة في تسعينيات القرن العشرين في حلف، والمناطق المجاورة لها كشفت عن معابد بدائية ذات مصاطب توشي ببداية ظهور المعابد المتعارف عليها في وادي الرافدين إلا أنه لم يتمّ الجزم المطلق بكونها معابد بالمعنى الدقيق للكلمة، فقد تكون مزارات متطورة عمّا هو موجود في تل حسّونة. إن الثولوس Tholos الحلفي ربما كان يلعب دوراً مهماً في الحياة الدينيّة وربما كان يمثل مراقد أو مقابر دينيّة من نوع ما. أو مجالس (مضيف) دينيّة يجتمع فيها الناس. لكن الظهور الساطع والقوي للمعبد كان في ثقافة أريبدو جنوب العراق. وبين أريبدو والعبيد والوركاء وجمدت نصر شمخت أعظم المعابد السومريّة وتحدّدت آلهتها وتكويناتها المعمارية بوضوح:

1. معابد أريبدو: عثر في أعرق طبقات أريبدو على بقايا معبد يرجع إلى (5000 ق.م ونجد في هذا المعبد ”عناصر من العمارة الدينيّة ظلت ثابتة عبر آلاف عدّة من السنين وخلال حضارات متعدّدة حتى اليوم. إذ ثمة قاعدة مستطيلة فيها كتفان على الجانبين يوحيان بتقسيمها إلى منطقتين متميزتين بقدرسيّة تعالي كلما اتجهنا نحو الداخل، يؤيد ذلك وجود حنية تضم قاعدة مشيدة من اللبن في نهاية القاعة الداخلية هي قدس الأقداس. والغريب أن هذا التقسيم الثلاثي نفسه قد اتبع في ما بعد في الكنيسة المسيحيّة، يتمثل في المجاز المؤدي إلى الكنيسة، ثم المجاز العريض الأوسط، ثم الهيكل، وقد احتذى كذلك بمعبد سليمان مدخلاً وهيكلًا، وقدس أقداس“ (عكاشة د. ت: 174) و(1981 Safar).

ثم تواتر ظهور وتطور المعابد في أريبدو وظهر الشكل المركب للمعبد ”ذلك أن معبد الإله لم يعد غرفة بسيطة الشكل وإنما غدا الآن كياناً معقداً تحتوي خلوته المركزيّة على منصة مذبح

ومائدة للهدايا، وتقع على جوانبه غرف صغيرة، في حين تتوفر مداخل عدّة لدخول المتعبدين وخروجهم“. (بارو 1977: 102).

ثم ظهرت المعابد على شكل المباني التذكارية التي يرقى إليها بمنحدرات ترابية، ثم معابد الزقورات أي المعابد ذات الأبراج المدرجة، والتي ستظهر بوضوح في ثقافة الوركاء. ويرجح أن الإله أنكي (إله الماء) هو الذي كان له النصيب الأكبر من معابد أريدو فقد عرفت هذه المدينة بأنها مقرّه وتابعة له.

2. معابد العبيد: يأتي التطور اللاحق من العبيد، حيث يظهر المعبد المرتفع الذي يحيط به السور الدائري ويمكن أن نطلق عليه اسم (المعبد الدائري السور) لأنه الأول من نوعه. وتمتاز هذه المعابد إضافة إلى ظهور الأسوار المدوّرة بأنها مرتفعة وأن تركيبها الداخلي أصبح متطوراً.

3. معابد الوركاء: من الوركاء تأتي القفزة النوعية من المعابد حيث نشاهد معبد الإلهة اينين (انانا)، والذي يشبه فناؤه شكل الصليب، ونرى في ذلك إسقاطاً لاشعورياً بين الصليب الذي هو رمز الخصب وبين إنانا التي هي إلهة الخصب، وربما كان مقصوداً لكننا لا نستطيع الجزم بذلك.

ثم معبد الإله (أنو)، وهذان المعبدان مقامان على مصاطب عالية ومزينة بفسيفساء ملونة تتألف من مخاريط من الطين المشوي.

ويُعدّ معبد العقير من أولى المعابد العالية أو الزقورات حيث يرجح أنه يعاصر في زمنه طبقة الوركاء الرابعة ”وهو مقام على دكّة أو مصطبة ترتفع زهاء 4 أمتار، وزينت جدران المعبد العالي المشيد فوقها بصور جدارية ملونة جميلة قوامها أشكال آدمية رسمت على هيئة موكب، ولكنها مشوهة من الأسف، وأشكال بعض الحيوانات من بينها صورتنا فهدين Leopard رابضين، يحرسان على ما يرجح أن يكون عرش إله لا يُعلم مَنْ هو. وتُعدّ هذه أقدم صورة جدارية اكتشفت لحد الآن“ (باقر 1973: 237).

ويبدو أن ثقافة أوروك اتسعت وانتشرت في الشمال والجنوب والشرق والغرب، ونرى أن هناك معبداً في التل المسمّى (قالينج آغا) قرب قلعة أربيل في شمال العراق يمثل ثقافة الوركاء أيضاً. معابد جمدت نصر: انتشرت المعابد في هذا الدور الأخير من البروتوليت وشاع استعمال اللين المسمّى بـ(الريمشين Riemchen) الذي كان أول ظهوره في ثقافة الوركاء وباختصار شديد يمكننا أن نذكر أهم معابد جمدت نصر:

1. المعبد البيضوي السور في خفاجة وهو مخصّص لإله القمر.
2. معبد العقير الصغير.

3. معبد العين في تل براك على الخابور وسُمّي كذلك لاحتوائه على الآلاف من التماثيل الحجرية المنحوتة بزوج من العين المحدقة وقد رأى الباحثون أنّها تماثيل الإلهة (العين). المضادة للحسد والشر.

4. زقورة الإله أنو في أوروك.

5. المعبد الأبيض.

وتوضح هذه المعابد اتساع تعدّد الآلهة والاهتمام الكبير بأماكن عبادتها وانتشار ديانة وادي الرافدين في هذه المرحلة خارج الرافدين، فقد انتشرت باتجاه إيران وباتجاه الأناضول وسوريا وجنوباً باتجاه الجزيرة، ووصلت إلى أوروبا الوسطى وقد رأينا كيف أن عناصر حضارية ودينية انتشرت باتجاه ”الفرات الأعلى والخابور كما تدل على ذلك المعابد التي وجدت في براك

وجعار بازار، ووجدت آثار جمدت نصر أيضاً في الجديدة في سهول انطاكية، وفي وادي النيل وجدت أختام أسطوانية من النوع الخاص بحضارة وادي الرافدين من العصر المسمي في تاريخ حضارة وادي النيل بدور نقادة الثاني. ونذكر كذلك القبور المشيدة على هيئة مصاطب ذات الطلعات والدخلات في جدرانها وهي الزخارف المعمارية المميّزة لعمارة المعابد في حضارة وادي الرافدين“. (باقر 1973: 246).

ولن نغالي إذا قلنا إنه مع انتشار المعابد والآلهة والأختام الأسطوانية انتشر نظام ديني جديد، ودخل الدين البشري في طور جديد متنوع وشديد الدقة في تفاصيله، إلا أنه يرجع في بذرته إلى أديان ما قبل التاريخ وهي في طورها الرافديني الأخير (الكالكوليت والبروتوليت) تمثل الشرفة التي أطل منها الإنسان على مشهد التاريخ وهو يزدهم بالعقائد والمثولوجيات والأديان.

ب. رجل الدين كزعيم ديني واجتماعي

كان من نتائج الانقلاب الذكوري أن يظهر رجال دين يشرفون على الطقوس والشعائر الدينية التي تمجد السماء والإله الذكر، وتقل من شأن الإلهة الأم.. ومع توسع التخصصات الحرفية في المدينة كان رجل الدين يرى أنه المشرف على نشوء المدينة وحرفته هي أعظم الحرف لأنها تسيطر على المجتمع كله وتدير شؤونه، وهكذا نشأت المعابد الكبيرة التي كانت تحتاج للمزيد من رجال الدين والذين أصبح وضعهم في هرم تسلسلي ودرجات ضرورة ملحة. هكذا وضع كبير رجال الدين نفسه في قمة الهرم الديني والاجتماعي معاً وكرسته عائدات المعبد من الأراضي الزراعية وأتاوات الحرف بشكل مركزي كزعيم روحي وديني معاً. سيكون اسم رجل الدين هذا هو السيد (إين) وهو اللقب الذي تلقت به الآلهة، في اللغة السومرية في ما بعد، بإضافته كمقطع يسبق الدلالة المادية أو المعنوية للإله مثل (إين - ليل) أي (سيد الهواء) وهو اسم الإله إنليل، ومثل (إين - كي) أي (سيد الأرض) وهو اسم الإله (إنكي) وهكذا..

وحين يصبح هذا السيد الديني الزعامة الروحية والدينية معاً سيكون اسمه (باتيزي) أي الملك الكاهن.

كل هذا سيتطور بسرعة مع اقتراب عصر البروتوليت الذي أعقب عصر الكالكوليت مباشرة.

ت. الأعياد الدينية كطقوس دورية

لا نستطيع حصر الزمن الذي ظهرت فيه الطقوس التي مارسها الإنسان في الباليوليت لأول مرة، ولكننا يمكن أن نشير بشيء من التميز إلى طقوس دينية جديدة، ظهرت مع النيوليت وهي (طقوس عبادة الإلهة الأم، طقس المصارعة الديني، طقس الزواج المقدس، طقس الاستسقاء). ويدور جوهر هذه الطقوس حول سيادة الإلهة الأم وقيامها، عن طريق المباريات الطقوسية الدينية للمصارعة باختيار زوج أو رفيق لها تقيم معه طقس الزواج المقدس، أما طقس الاستسقاء فقد شرحنا حصوله في المناطق المتذبذبة الأمطار مثل سامراء.

ومع حلول الكالكوليت انقلبت الوظائف الأساسية لهذه الطقوس والإلهة الأم وشاركها الإله الرجل، بل وتنحّت عن مركز العبادة والطقوس، وتحول طقس المصارعة رياضة عادية بعد أن كان دينياً، وأصبح الرجل/ الكاهن/ الملك هو الذي يختار امرأة من طبقة الكاهنات العليا كزوجة أو ضجيجة له وتجري الاحتفالات المباركة له وتتعدّد هذه الشعيرة كل عام مع حلول فصل الربيع بينما كانت المرأة هي المركز والرجال يتعدّدون، أما طقس الاستسقاء فقد تفكّك إلى مجموعة رقصات ريفية أوبدوية دنيوية ما زالت حركاتها باقية إلى يومنا هذا في رقصات الغجر أو البدو وتدلنا عليها في الماضي نقوش الرقص في أواني الخزف.

إن الحضور الكبير للإله الذكر وللكاهن الملك كان ببساطة إحدى ثمرات ظهور رجل التعدين في الكالكوليت "إن رجل التعدين مثله مثل الحدّاد، ومثل ما قبله الخزّاف، وهو (سيّد النار). فهو عن طريق النار يهيئ مرور المادة من حالة إلى أخرى...

وهذا هو السبب الذي من أجله كان السبّاكون والحدّادون في المجتمعات القديمة مشهورين بكونهم (معلمي النيران Lesmaitres de Fier) وأنهم إلى جانب الشامان، أطباء وسحرة، إلا أن الصفة المتساوية الحدّين للمعدن المثقلة بقوى هي في آن واحد مقدّسة وشيطانيّة وقد نقلت إلى المعدنين والحدادين: فهؤلاء كانوا يقدرّون عالياً، ولكنهم موضع خوف، متجنّبين أو حتى محقّرين". (إلياد 1986: 73).

وتختلف أعياد المدن عن أعياد القرى بتركيب طقوسها وتكريسها الواضح للإله الموجود في تلك المدينة وملكها أيضاً. وكانت أعياد المدينة تستمرّ لأكثر من يوم، وكان أعداد المشاركين في القرى والمدن الصغيرة محدوداً. أما أعياد المدن الدنيّة الرسميّة فيحضرها كل سكان المدن، لكن عدد المشاركين في فعاليات الاحتفال "يقترص على الكهنة وفي المهمة منها يتوجّب حضور الملك أيضاً ونادراً أن تشترك فيها شخصيات أخرى عدا الكهنة والملك، أما مجموع السكان فهم يمثلون المشاهدين، وكان عددهم يشمل سكان المناطق المجاورة، والمدن البعيدة أيضاً، ومما لا شكّ فيه أن حضور عدد كبير لمشاهدة هذه الأعياد يشير إلى أنها كانت تتضمّن مغريات تدفع الناس إلى حضورها كالمواكب المهيبة وموكب الملك". (النعيمة 1976: 29).

إن أعياد المدينة تضمّنت في الكالكوليت أنواعاً مختلفة من الأعياد لم يكن جميعها دينياً فقد كانت أعياد المناسبات، كبناء القصر أو النصر، دنيويّة. وكان بناء المعبد مناسبة دينيّة بلا شك. وكانت هذه الأعياد غير دوريّة بل تخص مناسبتها، أما الأعياد الدوريّة مثل عيد رأس السنة الذي أصبح يُسمّى بالسومريّة (زاموء) Zamua أو (زكمك) عيداً دينياً وعيد الأكيّتو كذلك والعيد الكبير (إيزنماخ Ezenamah). (النعيمة 1976: 43).

إن أغلب هذه الأعياد الدوريّة كانت أعياداً طقوسية دينيّة شاملة تضمّ في تفاصيله أغلب الطقوس الدنيّة الجماعيّة.

وتشكّل الأعياد من وجهة نظرنا الرحم الذي خرجت منه الاحتفالات الدراميّة للعالم القديم بأكمله... وهي في الوقت نفسه الرحم التي ترعرعت فيه الطقوس الدنيّة الجماعيّة وساهمت في بناء وإعادة صياغة الكثير من الأساطير والعقائد الدنيّة القديمة.

8. الآخرويّات: إسكاتولوجيا الكالكوليت

تطوّرت العقائد المتعلقة بالموت مع تطوّر العقيدة الدنيّة وازدادت تفاصيلها، فإذا بدأنا من ثقافة حلف فإن أبنية الثولوس التي هي أبنية مستديرة تضاهي أبنية القبور المسيحية مشيّد من الطين على هيئة خلايا النحل وأسسها من الحجارة وهناك ميل شديد لدى الباحثين أن يكون الغرض منها للسكن وليس للموت.

أما في أريدو، فالمقبرة مخصّصة خارج دور السكنى ومشيّدة باللبن، وفي العبيد عثر في قرية (تية كورا) على حفر دفن اعتيادية حفرت خارج المعبد ووضعت الجثث فيها ملمومة، والأطفال يقبرون في جرار أو أوانٍ كبيرة من الفخّار.. ويتّضح من القبور التي عثّر عليها في أريدو أن أغلبها احتوى على معدّات طعام وشراب. وهذا يؤكّد الزعم القائل بعقيدة استمرار الحياة ما بعد الموت.

أما معتقدات الموت فإننا نرجّح أن بدايات ظهور فكرة الخلود الذي يخصّ الآلهة قد ظهرت في

هذا العصر، وأن الإنسان مُقدَّر عليه الموت وحصل هذا بشكل واضح في وادي الرافدين بسبب الفيضانات الكوارث الطبيعية المتقلبة، أما في وادي النيل فقد كان الميل لخلود الإنسان والتشبه بالآلهة في هذا المجال يزداد. وبذلك نشأت عقيدتان إسكاتولوجيتان متعاكستان واحدة رافدينية تؤمن بموت الإنسان وخلود الآلهة والثانية مصرية تؤمن بخلود الإنسان والآلهة، وسيكون لهاتين العقيدتين الأثر الكبير في الفكر الديني العراقي والمصري في العصور التاريخية. ونرى أن في هذه المسألة يكمن تفسير اهتمام العراقيين بالمقابر واعتنائهم الشديد بالمعابد، ولكن ذلك لم يمنع ظهور طقوس ما قبل الموت، وقد عُثر على "مقابر خاصة بأجزاء من جسم المتوفى في حضارة العبيد الشمالية، كما كانت ظاهرة حرق الجثث ووضع الرماد في أوان موجودة أيضاً في تلك الحضارة. هذا بالإضافة إلى كثرة مدافن الأطفال في المعابد مما يؤكد لحد كبير الاتجاه نحو تقديم أولئك الأطفال كتضحية بشرية تقرباً للآلهة". (الناضوري 1976: 48). أما في مصر فقد تحوّل الاتجاه في الثقافة الجرزبية إلى دفن الموتى باتجاه شروق الشمس وقد أوحى هذا بظهور عقيدة عبادة شمسية ظهرت ملامحها في المملكة الشمالية في مدينة (أوان) التي أصبحت في ما بعد مدينة الإله الشمسي (رع). كذلك فقد شهدت ثقافة نقادة الأولى ظاهرة عدم وجود الهياكل العظمية الكاملة في المقابر، بل وجود بعض أجزائها وهناك آراء تفيد بتناول الأحياء لأجساد الموتى تبركاً وقدسية. أما في ثقافة بيلوس فيلاحظ دفن الموتى في حاويات فخارية كبيرة. وتظهر في تليبات الغسول الأردنية المقابر الجماعية (حوالي 300 شخص)، والمقابر المحفورة في الصخور أو الكهوف الطبيعية. ويرجح الباحثون أن عمليات فصل الجثث عن الرؤوس كانت تجري ويتبعها حرق جثث الموتى ودفن الرؤوس فقط.

9. دائرة الدين: المكونات الأساسية للدين

مع عصر الكالكوليت تكون مكونات الدين الرئيسية قد تغيرت باتجاه العبادة الذكورية وأبقت على الألوهة المؤنثة في هامشها، ومن هذا التضاد نشأت أساطير أكثر درامية واحتماماً، وتوَعَت الطقوس وتحدّدت وظائفها بدقة وظهرت أساطير خلق الكون والإنسان (آدم وحواء) في أريدو كتنويع على أساطير الهيئة في أريدو.. وهكذا تتوسّع دائرة المعتقدات والأخرويات أيضاً. لا شك في أن المكونات الثانوية للدين قد أصبحت تنمو الآن في مجتمع المدينة المتخصص بالحرف والمهن والاهتمامات الروحية والسياسية والاقتصادية وبدأت تظهر الأخلاق الدينية بوضوح، ومعها سير الرجال الكبار في الدين، وكان المعبد هو مركز الجماعة الدينية الكبيرة، ويحتمل أن الجماعات الدينية القديمة التي ظلت وفيّة لعبادة الإلهة الأم كانوا قد شكّلوا في هذا العصر فرقة سرية، وأنتجت أساطير العالم الأسفل وموت الإله الذكر.. لكن الأمر كان في بدايته ويجري ببطء.

10. التعدين والخيمياء: حدادون وسحرة

مع اكتشاف النحاس ظهرت حرفة التعدين التي قادها الرجال، وكانت صدى للانقلاب الذكوري وبوابة للدخول إلى أعماق الأرض وأفكار العالم الأسفل والأسرار، وكانت الميتالورجيا (علم تشكيل المعادن) قد بدأت فعلياً منذ هذا العصر رغم بداياتها المبكرة البسيطة "رُماً كان النحاس أول فلز يُجمَع وذلك لسعة انتشاره، بالنسبة للفلزات الأخرى. وعثر على حلي مصنوعة من مشغولات نحاسية في شمال العراق، وهي تضرب في التاريخ البعيد حتى سنة 9 آلاف ق.م، وكانت على الأرجح تستخدم في الزينة. وتبين أن مدافن السكان الأصليين المحصنة في أميركا

الشمالية والتي يرجع تاريخها إلى العام 2000 (ق.م تحتوي على رؤوس حراب وأزاميل وأساور من النحاس. وكان المستوطنون في الإكوادور قبل العصر الكولومبي يشكّلون النحاس النقي بالطرق على الساخن، وصنعوا فؤوساً صغيرة ونواقيس وإبر خياطة نحاسية. ويظهر النحاس كذلك في البقايا المبكرة للمستوطنات في مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين والهند الصينية“ (كوب ووايت 2001: 17).

أنشأ الحدادون والسحرة والكيميائيون الكثير من مظاهر السحر الجديدة التي تطوّرت بفعل المدينة والمجتمع المدني الجديد المتجه نحو صنع حضارة نوعية، وكانت لهم شعائر وطقوس غير تلك التي كانت عليها في عصر السحر القديم الباليوليتي.

”إن المعدّنين - عمال المناجم، في أي مكان في العالم اخترعوا شعائر تحمل حالة من الطهارة: صيام، تأمل، صلوات وأعمال طقوسية. وإن الشعائر موجهة بطبيعة العملية المقصودة، لتدخل في بقعة مقدّسة مشهورة بعدم جواز انتهاكها، وتدخل في تماس مع قداسة لا تساهم في الشمول الديني المعهود، قداسة أكثر حمقاً وأكثر خطراً أيضاً. والشعور بالمخاطرة فيها يقع في نطاق لا يعود لحق الإنسان: بل لعالم تحت الأرض مع أسراره من الحمل البطيء التعديني الذي يجري في أحشاء الأرض - الأم. إن كل ميتولوجيات المعادن والجبال، كل الجينات التي لا حصر لها، وكل العبقريات والجينات الصغيرة Elfes وكل الأشباح والأرواح، هي تجليات متعدّدة للوجود المقدّس الذي يواجهه عند الدخول في المستويات الجيولوجية للحياة“ (إلياد 2006: 72).

إذا كان الهواء قد سيطر على الديانة الكالكوليتية فإن السحر اجتذب عنصر النار واعتمد عليه في عملياته السرية والعلنية.

”إن رجل التعدين، مثله مثل الحداد، مثل ما قبله الخزاف، هو (سيد النار). فهو في طريق النار يهيبى مرور المادة من حالة لأخرى. أما بالنسبة للمعدن فإنه يسرع (نحو) المعادن. إنه يجعلها ناضجة خلال فترة قصيرة معجزة أن الحديد يظهر بأنه (يصنع بسرعة) ولكن أيضاً بأن يصنع شيئاً آخر مما كان قد وجد في الطبيعة. وهذا هو السبب الذي من أجله كان السبّاكون والحدادون في المجتمعات القديمة مشهورين بكونهم (معلمي النيران) Lesmaitres de fer، وإنهم إلى جانب الشامان، أطباء وسحرة. إلا أن الصفة المتساوية للحدّين للمعدن - المثقلة بقوى هي في آن واحد مقدّسة (وشيطانية) - قد نقلت إلى المعدّنين والحدادين: فهؤلاء كانوا يُقدّرون عالياً، ولكنهم موضع خوف، متجنّبين، أو حتى محترقين“ (إلياد 2006: 73).

أما الخيمياء فقد نشأت مبكرة قبل هذا الأوان مع استعمال المغرة في دهن الجثث قبل دفنها في العصر الحجري القديم الأوسط وتطوّرت مع استخدام الأصباغ والألوان في رسوم الكهوف، ثم مع إنتاج الفخار والخزف، لكنها لم تتحول فناً سحرياً عميقاً إلا في الكالكوليت.

11. سحر الأعماق: العرافة والتنجم

أصبح السحر والعرافة باطنيين أكثر ونشأ عن السحر الباطني الخيمياء وعن العرافة الباطنية التنجم.

كانت الخيمياء تغوص إلى أسفل الأرض وتكتشف قوى المعادن والأحجار والنباتات كيميائياً، بينما كان التنجم يتقصّى الأعالي ويكتشف أسرار السماء عرافياً وسحرياً.

أصبحت الخيمياء سنداً للطب وأسرار الجسد وأنتجت الأدوية والعقاقير العشبية والطبية عموماً. تستعين الخيمياء بالرؤية الوجدانية في فهم العالم وتبدلاته وتحولاته، وهي وجه مهم من أوجه السحر، ولا شك في أن مصر لعبت دوراً كبيراً في نشوء الخيمياء في عصور ما قبل التاريخ، بل إن

اسم الخيمياء Alchemi جاء من كلمتي (Chem و Kemt) المصريّتين اللتين تعنيان الأرض السوداء وهو ما يوضّح معنى الخيمياء حين كان يُطلق عليه بالعلم الأسود. وارتبطت الخيمياء بحلم الإنسان بتحويل المعادن الرخيصة معادن ثمينة كالذهب المعروف بعلم (الكريسوبويا) أو الفضة. وهناك علم الخيمياء النباتيّة أو (السباجيريك)، وهناك علم الـ "باناكيا" أو إكسير الحياة، والذي يهدف إلى منح الحياة الأبدية الخالية من الأمراض.

أما التنجيم فقد تقدّم هو الآخر ولجأ إلى محاولة الاستفادة من أحوال السماء والكواكب بطريقة سحرية، أخذ تسمية العلم (Astrology: علم النجوم) اعتباطاً وسار عليها يتراوح بين علم الفلك من جهة وبين العرافة والسّحر والخيمياء من جهة أخرى، ويقوم بدراسة حركات وأوضاع الأجرام السماوية في مداراتها وأماكنها وما يمكن أن تُحدثه على كوكب الأرض والطبيعة والإنسان من أثر في محاولة للتنبؤ بالحاضر والماضي والمستقبل وأحداثها الدفينة وتفسير الأحداث المعلنة الظاهرة اعتماداً على أساس وجود الطاقة في كل مكان في الكون، وما يُمكن أن تُحدثه من أثر على حقل الطاقة الأرضي وحقل طاقة الإنسان والأحياء عموماً. استرولوجي مكونة من مقطعين (أسترون: كوكبة من النجوم) و(لوجي): علم أو دراسة). فيكون معناه علم دراسة النجوم أو علم النجوم (التنجيم).

ورغم أن الشمس لا علاقة لها بالتنجيم مباشرة إلا أن حاضنة العصر المعدني (الكالكوليتي) لكليهما قد تُعطي نوعاً من العلاقة فقد أصبح الممثل الرئيسي لكوكب الشمس هو الملك وهكذا دارت الأفلاك حول الشمس/الملك. ويرى توكاريف أن عبادة الشمس ولدت في عصر البرونز (المعدني) نتيجة تطوّر الاقتصاد الزراعي، خصوصاً أن الشمس، حسب مراقبة الناس، هي الواهب الرئيسي للوفرة وانعكس في هذه العبادة من ناحية أخرى الانقسام الاجتماعي، حيث ظهرت الارستقراطية داخل العشيرة التي أصبحت على أساس التماثل السلالي من سلالة الإله الشمس. وقد جرى تصوير الشمس على شكل قرص ودائرة ياشعاعات أو بدونها وعلى شكل صليب ضمن إطار وما شابه.. إن المركبة البرونزية المقرونة بالجياد وفوقها قرص الشمس (في تروند هولم، اسكندنافيا) ووجوه الخيل البرونزية مع أقراص تحت أقدامها وفوقها (في تيرويل، إسبانيا) وقرص على عجلات رسم على الصخر من (بوغو سليلني، السويد) تشير انتباهاً خاصاً. (أنظر توكاريف: 1998: 48)

12. العالم الأسفل كمكان آمن للسحر

أنضج الكالكوليت فكرة إنشاء العالم الأسفل كمكان للموتى والظلام والسّحر والشياطين، ففي هذا العالم تسكن قوى الظلام التي تعتمد على السّحر الأسود (بشكل خاص) حين تستدعي جنود الظلام من الأشباح والشياطين لتسخرهم في أعمالها.

العناصر التي ذكرناها (الخيمياء، التنجيم، السّحر الأسود، العالم الأسفل.. الخ) جعلت نواة السّحر تزدهم بالغامض وتشيع فيها الأسئلة. وأصبحت هذه النواة وكأنها تحمل شحنة سرية تشكل منبع قوى جديداً يبيث شحناته للدين بين فترة وأخرى ويعمل على التأثير به سلباً وإيجاباً.

الفصل الخامس البروتولتريت في المشرق الكتابة المقدّسة



الكتابة الصورية الأولى من
وادي الرافدين
<https://www.thoughtco.com/proto-cuneiform-earliest-form-of-writing-171675>

مقدمات عن العصر والإنسان والثقافات

1. العصر: البروتولتريت

البروتولتريت Protoliterate العصر الشبيه بالتاريخي (الشبيه بالكتابي) (3100 - 2900) ق.م. وهو العصر المفصل بين عصور ما قبل التاريخ السابقة والعصور التاريخية اللاحقة التي نشأت فيها الحضارات والمدن المعروفة بدءاً من الحضارتين السومرية والمصرية وصعوداً. وتظهر في هذا العصر بدايات الكتابة الصورية في وادي الرافدين ويُقسم إلى عصرين (الوركا الثانية وجمدت نصر).

”ظهر، حوالي 3000 سنة، قبل الميلاد، نظام للكتابة يجمع بين الرسم التعبيري Pictogramme والرسم الدلالي Idiogramme فهو نظام أكثر تطوراً من سابقه المستعمل لتقييد المحاسبات. إن فُك رموز الألواح الفظة الموروثة عن ذلك العصر يمكن من تصور عام لطريقة اشتغال الإدارة، في تلك المدن - الدول. فقد كانت تدار، تحت إشراف مجلسين استشاريين متوازيين، أحدهما يجمع العقلاء، ولا شك في أنه كان يضم أشخاصاً متقدمين في السن وتتمثل مهمته في إدارة الحياة اليومية. والثاني يجمع المحاربين، وهم رجال في سن أدنى، يُعهد إليهم بالحسم في القضايا الأكثر أهمية، والمتوقع أن هذه القضايا كانت متصلة بالحرب، بدليل الأهمية التي أصبحت عليها إقامة الأسوار حول كل مدينة (حوالي 2700 قبل الميلاد، كان يُحيط بسكان أوروك، البالغ عددهم 40 ألف نسمة، وكذلك بأراضيهم، أسوار تمتد على منطقة يبلغ محيطها عشرة كيلو مترات..!“ (لنوار 2012: 56).

رموز الكتابة الصورية (رموز البروتولتريت (Protoliterate):

تنتمي هذه الرموز لنهاية الكالكوليت وبداية البروتولتريت وهي تطوير للرموز الكالكوليتية والنيوليتية، لكن الغرض منها لم يكن دينياً بل كان تدوينياً، رغم أن معظمها استعمل دينياً في الكالكوليت والنيوليت.. أي أن للكتابة جذوراً دينية وهذه الجذور الرمزية الدينية تمتد إلى الألف الثامن ق.م. أي إلى بدايات النيوليت ولكنها لم تستعمل بالشكل الكتابي إلا في البروتولتريت ورغم ذلك وجدت أولى الكتابات الصورية في معابد أوروك.

لقد اخترع السومريون في جنوب العراق الكتابة في هذا العصر وكانت أعظم إنجاز بشري ظهرت بسببه حضارات الإنسان المعروفة في العصور التاريخية وتقود شمادت بزيرنا Denise Schmandt - besserta نظرية جديدة تؤكد الجذور النيوليتية والكالوليتية للكتابة. فهي ترى أن أول مرحلة مرت بها الكتابة كانت في 8500 ق.م. أي في نهاية الميزوليت، وكانت الكتابة عبارة عن رموز هندسية (geometric tokens) على الطين، وهي ترى أن هذه الرموز لم تكن تظهر على الصحون والجرار واللوحات بل كانت تظهر على (أختام كروية Bullae) كان يُظن سابقاً أنها ألعاب أطفال (كالدعبل أو كرات الزجاج)، ولكنها أثبتت أنها أشبه بوصولات الأمانة التي كانت تعلم بعلامات معينة لتدل على شراء أو بيع. (Besserat 1977).

أما المرحلة الثانية فهي (3500 - 3200) ق.م. فهي ظهور هذه العلامات على الأختام الكروية ذات وجه مسطح والتوسع بهذه العلامات حتى أنها شملت أشياء غير اقتصادية. أما المرحلة الرابعة فهي (3200 - 3100) ق.م.، حيث ظهرت هذه العلامات على ألواح طينية في هيئتها الصورية - المسماة.

إن ما يهمنا هو المرحلة الصورية البكتوغرافية Pictographic ”وقد وصلتنا نماذج منها من الطبقة الرابعة من الوركاء مدونة بهذا النوع وتتضمن نصوصاً اقتصادية وجداول بأسماء المواد التي كانت كافية لتؤدي الغرض المطلوب.. وعثر أيضاً على لوح من الحجر عليه كتابة صورية

يضمّ نصاً اقتصادياً من مدينة كيش (تل الأحيمر). (إسماعيل 1975: 223).
وسنقتصر على الكتابة المسماريّة السومريّة، لأنّها هي الأولى والأبكر أما الكتابات التي أتت بعدها كالمصريّة والهيروغليفية التي ظهرت بعدها بأكثر من 500 سنة من مرحلتها الرمزيّة أي في نهايات الألف الثالث ق.م. فتدخل ضمن منجزات العصور التاريخيّة لأن البروتولتريت عندما بدأ في العراق كان الكالكوليت قد دخل لتوّه إلى مصر. وبذلك يبقى هذا الفارق الذي يشير إلى أسبقية الكتابة المسماريّة على الكتابة الهيروغليفية، وربما يجد بعض المؤرخين والآثريين تأثيرات الأولى على الثانية في النشأة والظهور.

2. الإنسان: العاقل العاقل

3. الأدوات: كل أنواع الأدوات الحجريّة والطينيّة والفخاريّة والنحاسيّة والبرونزيّة، وأدوات الكتابة كالألواح المفخورة وأقلام القصب.

4. الثقافة: أوروك 2 وجمدت نصر

1. ثقافة أوروك الثانية: هي أول ثقافة بروتولتريت حيث ظهرت الكتابة لأول مرة في التاريخ بشكلها الصوري في الوركاء وظهرت أنواع الفخار الإحاصي بدلاً من الرمادي. وظهرت الجرار المزخرفة بأشكال من المثلثات المتصالبة.

وظهرت أيضاً، لأول مرة المعابد العالية أو (الزقورات)، وظهر لأول مرة نوع من اللبن الذي أطلق عليه بالألمانية مصطلح (ريمشين Riemchen) وهو لبن مستطيل الشكل مربع المقطع تقريباً، وظهرت منحوتات جديدة وأختام أسطوانية.

2. ثقافة جمدت نصر: وهي ثاني ثقافة بروتولتريت حيث تطوّرت الكتابة والعلامات المسماريّة نحو بداية التطور الصوتي أي استخدام الكلمات المرسومة بالعلامات على هيئة أصوات مقطعية لكتابة الكلمات المختلفة. كما اتضح أن اللغة السومريّة كانت أقدم لغة دوّنت بهذه الكتابة. وظهر في هذا الدور فن النحت المجسم والبارز لأول مرة. منها الإناء النذري ورأس المرأة المنحوت من المرمر الفاخر نحتاً مجسماً، ومسلة صيد الأسود.

وأصبح الفخار متعدّد الألوان وظهرت زقورات آنو والمعبد الأبيض ومعبد العين وبناء الريمشين ومعبد الإله سين.

وقد انتشرت الإنجازات الحضاريّة لهذا الدور إلى أرجاء عدّة من الشرق مثل عيلام وتبه سيالك والفرات الأعلى والأناضول، ومصر وأوروبا والجزيرة العربيّة.

وكان هذا العصر مهدداً أولاً لظهور عصر السلالات السومريّة الأولى وظهور الحضارة السومريّة بأعظم إنجازاتها.



اختراع الكتابة في أوروک

<http://www.funwithcy.com/life-in-the-sumerian-city-states>

مظاهر السّحر والدين في بروتولتريت المشرق

1. الكتابة المقدّسة وظهورها في المعابد

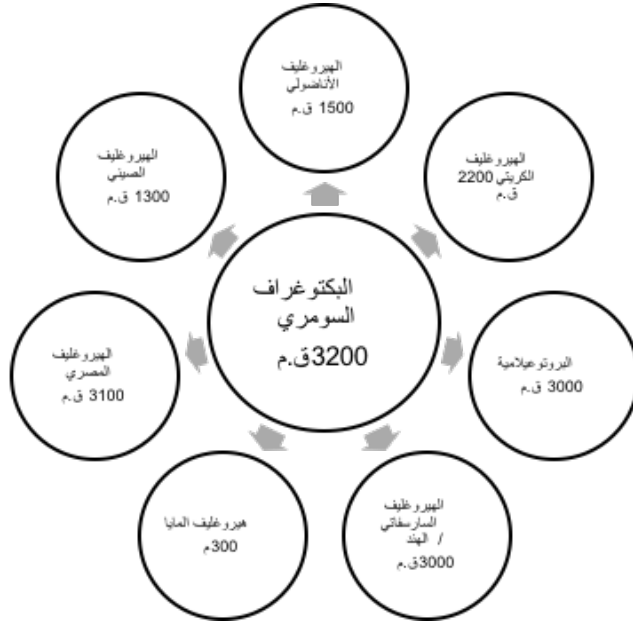
ولدت الكتابة من رحم فن التصوير، وكانت الرموز الكتابية الأولى منتشرة في لوحات الكهوف ورسوم الصخور، ولذلك نعدّ أن جذورها الأولى غارقة في فنون ما قبل التاريخ، بل لعنا نجد اليوم أن خطوط وصور الكتابات القديمة والجديدة هي مصدر إلهام كبير للفنانين المعاصرين، فهي رموز محتشدة بطاقة تاريخية وجمالية وروحية كبيرة. والكتابة هو جزء من الإنسان التاريخي الذي بنى حضارات البشريّة بل إنها فاتحة التاريخ وبداية العصر التاريخي القديم. كان الإنسان منذ ابتكاره للرموز في الباليوليت الأعلى يحاول الكتابة ووصل في الميزوليت مع الرموز الإيزيلية إلى مرحلة أفضل، وظهرت بعدها محاولات كلها كانت غير نظامية بالمعنى الدقيق، ومع السومريين في حدود 3200 ق.م. ظهر البكتوغراف السومري الذي كان مرحلة نظامية لتدوين الاقتصاد المعبدّي في بدايته، ولم نحصل على أول نصوص مكتوبة إلا في حدود 2600 ق.م. في سومر في كيش، حيث كتب أول نصين أدبيين في التاريخ.

تغيّر المزاج الحضاريّ بعد اكتشاف البكتوغراف السومريّ وانتشاره في المنطقة مولدًا بكتوغرافات مشابهة في مصر وويلام بشكل خاص.

كان البكتوغراف قد ظهر في المعابد السومريّة مما يشير إلى النشأة المقدّسة له وإلى اعتباره هبةً الهية للتعليم والتحضر، حيث خصت له، لاحقاً، آلهة معروفة سُمّيت بـ(آلهة الكتابة) بعضها ذكريّ وبعضها أنثويّ.

ظهر البكتوغراف السومريّ في 2300 ق.م. في أوروک وانتشر شرقاً وغرباً وحفز التشكيلات الصورية

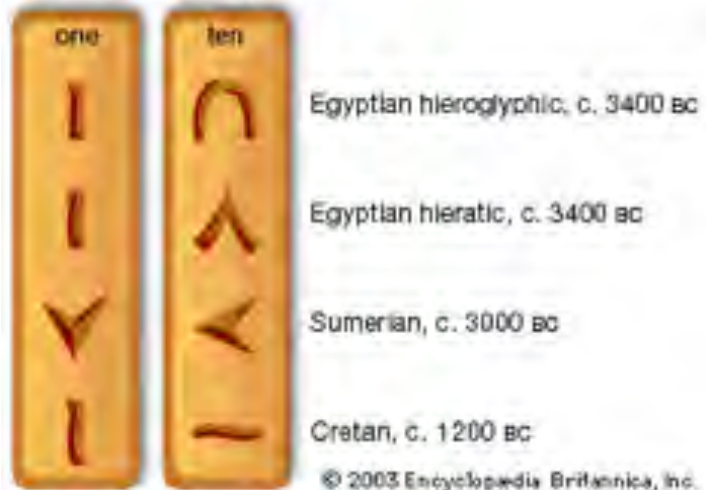
المحلية عند كل شعوب الأرض المتقدمة، بشكل مباشر أو غير مباشر، فنتج عن ذلك ظهور بكتوغراف خاص بكل منها، والمخطط الآتي يوضح ذلك:



رموز الأعداد

ذكرنا أعلاه بعض صور البكتوغراف الخاص بالأعداد، حيث اختلفت رموز الأعداد في أشكاله من حضارة لأخرى. وفي ما يلي مقارنة بسيطة بين العددين واحد وعشرة في الحضارات السومرية والمصرية والكريتية.

Ancient number symbols



<http://www.britannica.com/EBchecked/topic-573176/1129/Sumerian-gold-and-faience-diadems-from-Queen-Pu-abis-tomb>

كانت الآلهة راعية للكتابة والكتّاب وهي التي تشرف على عملهم فهم الذين منحوا الكتابة للبشر كوسيلة للمعرفة والذاكرة. وفي أسطورة سومرية لإنانا وإنكي، تقوم فيها إنانا بنقل نواميس الحضارة (مي من أريدو إلى أوروك). تذكر الإلهة إنانا أن الإله إنكي هو الذي منحها الكتابة، وهذا الأمر يتطابق مع الوظائف المعنوية والحضارية للإله إنكي، فرغم أنه إله الأرض والماء لكنه أيضاً إله الكتابة والآداب والفنون.

واختصت في سومر، لاحقاً، إلهات مثل الإلهة (نسابا) بالكتابة وكانت تسجل بالقلم القصبى على ألواح الطين نصوصها. وكذلك كان الإله (نبو) إلهاً للكتابة. ولأن السومريين هم من اخترع الكتابة فلا شك في أن أقدم إله مسؤول عنها هو الإله إنكي الذي يُعتبر (معلم البشر).

كان رجل الدين الأعلى (إين) هو المسؤول عن الكتابة فقد نشأت في المعابد وتوارثها الكهنة الكبار، وحتى عندما أصبح الكهنة ملوكاً احتفظوا بمسؤوليتهم عن الكتابة. كان أقدم ملوك أوروك (إنمركار) يوصف في النصوص بأنه مخترع الكتابة.

2. رموز البروتولترتيت



رموز الإلهة الأم والسواستيكا الخماسية والنجمة السداسية من ثقافة نقادة

<https://pm.revues.org/475>

رموز البكتوغراف الرافديني 3200 ق.م.

	3200 BCE	3000 BCE	2400 BCE	1000 BCE
sag 'head'				
gin 'to walk'				
šu 'hand'				
še 'barley'				
ninda 'bread'				
a 'water'				
ud 'day'				
mušen 'bird'				

رموز البكتوغراف المصري 3000 ق.م.

Egyptian Pictograms, ca. 3000 B.C.					
Eye	Plough	Giraffe	Horn	Sandal	Mountain
Chinese Pictograms					
Bird	Fish	Feather	Tortoise	Imprisoned	Suffering

3. الأساطير والمثولوجيا

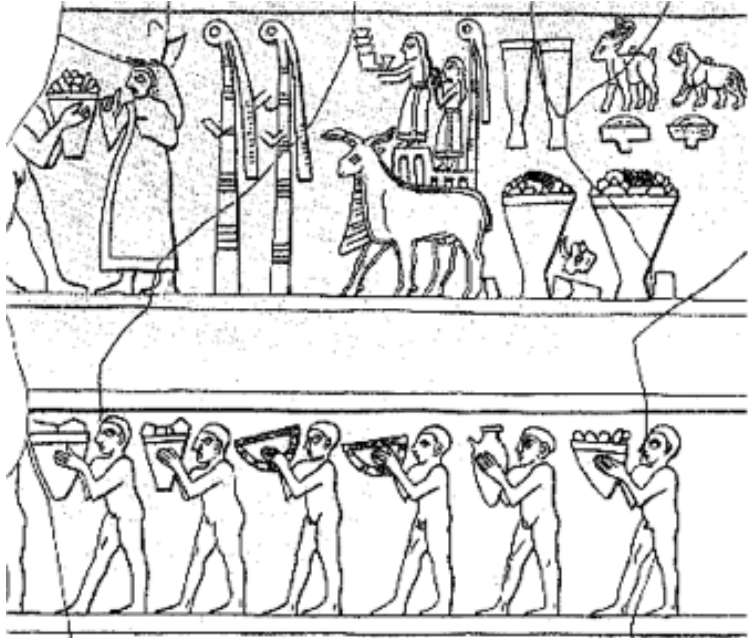
أ. آن وإنانا: بذرة المثولوجيا الرسمية (حكم السماء للأرض)

ارتبط اسم إله السماء (آن) بالإلهة (إنانا) وهي التي يعني اسمها سيّدة السماء أو ملكة السماء، في حين يعني اسم (آن) إله السماء، ولا شك في أن هذا التقارب في اسميهما ومعنى هذين الاسمين لم يكن اعتباطياً. فهي في بعض النصوص ابنته رغم أنها ابنة القمر (ننار، سين)، ولكنها ترد أيضاً كزوجة له، وفي أسطورة مكتوبة باللغتين السومرية والأكدية يرفع (آن) (إنانا) إلى مرتبة قرينته (آنتوم) المعادلة لرتبته هو ويجعل منها نجمة السماء (الزُهرة) بعد أن يزودها بشارات الألوهية المناسبة. وفي الحالين اجتمع معبداهما في أوروك ضمن مكان واحد. ولنلاحظ أن في اسم إنانا (نين - أنأ) أي (سيّدة السماء ما يُعطي مثل هذا الانطباع باشتراكهما في حكم وتملك السماء وسيطرتها على الأرض.

كل هذا يفسّر أنهما بذرة المثولوجيا الرسمية التي نشأت قبيل شروع البداية الحقيقية لحضارة سومر .

ب. دوموزي وإنانا: بذرة الديانة الشعبية (تفسير تبدل الفصول)

الأسطورة السومرية الشهيرة عن (ديموزي وإنانا) والتي تحوّل فيها اسماهما، لاحقاً، في الأساطير البابلية إلى (تموز وعشتار)، كانت محط اهتمام شعبي لا نظير له، وكان الغرض منها تفسير تبدل الفصول، وقد ظهرت هذه الأسطورة مبكرة في البروتولتريت في مدينة أوروك، بشكل خاص، وسرد بعض قصتهما الكأس النذري الذي صوّر من مشاهد حبهما. ومن التداول الشفاهي لها وحين وصلت الكتابة في سومر لمرحلة التعبير الديني والفكري دوّن السومريون أسطورتهم هذه والتي طغت على بقية الأساطير وكانت رواية الحب التي تجمع الناس في قدسيتها وشعبيتها، بل نزعم أنها البذرة الأولى لأساطير الحب في العالم القديم بأكمله.



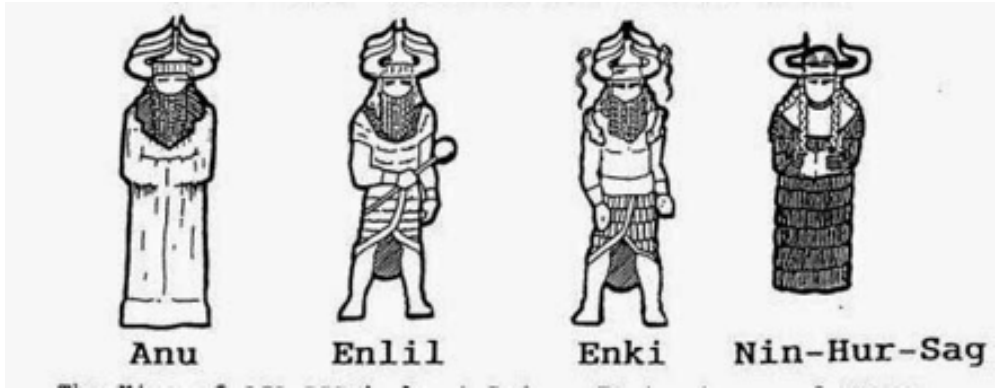
رسوم الكأس النذري حيث
تظهر إنانا ورمزها القصب
المعقوفة وتقدّم لمعبدها النذور
<http://www.crystalinks.com/sumerart.html>

ت. تخصصات الآلهة وأساطيرهم

حين تعددت الآلهة في المدين الأولى لبلاد الرافدين أصبحت لها تخصصات واضحة وُئيت أساطيرها وفقاً لهذه التخصصات. وهو ما يشير إلى توسع الاهتمام بالآلهة من جهة وإحكام سيطرة الدّين على الناس وجمعهم برابط جديد أقوى وأمتن من سبقه.

برزت الآلهة الكبرى الأولى التي تمثل العناصر الأربعة للطبيعة:

1. النار: وهي النار السماوية التي يمثلها كبير الآلهة وإله السماء (آن).
2. الهواء: ويمثل ابن آن ووريثه وهو إله الهواء (إنليل).
3. الماء: الإله إنكي وهو زوج الإلهة (كي) أو (ننكي).
4. التراب (الأرض): وتمثله (كي، ننكي، نخرساج).



<http://blog.milliyet.com.tr/uzayli-atarimiz-anunnakileri-taniyalim--an---anu/Blog/?BlogNo=497660>

ثم أضيفت ثلاثة آلهة سماوية (كوكبية) لهذه المجموعة وتكوّن ما يُعرف بال (أنانوكي) وهم كبار الآلهة الذين ستكون لهم المكانة العظمى في بانثيون الآلهة السومرية، وهؤلاء الآلهة الثلاثة هم إله القمر (ننار) وابنه إله الشمس (أوتو) وابنته إلهة الزهرة (إنانا). وشملت التخصصات الأخرى المكونات الأساسية للكون إلى المدين والمياه والجبال والتفاصيل الصغيرة حتى وصل عددها لحوالي 3000 إله وإلهة عند السومريين، وقد وصلت ألواح باسمائها وتخصصاتها فضلاً عن أساطيرها.

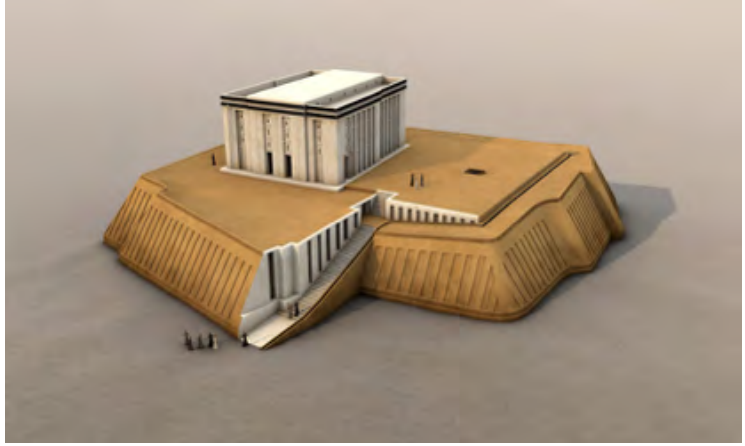
4. الطقوس

أ. ظهور الزقورات: مركزية المعبد واقتصاده

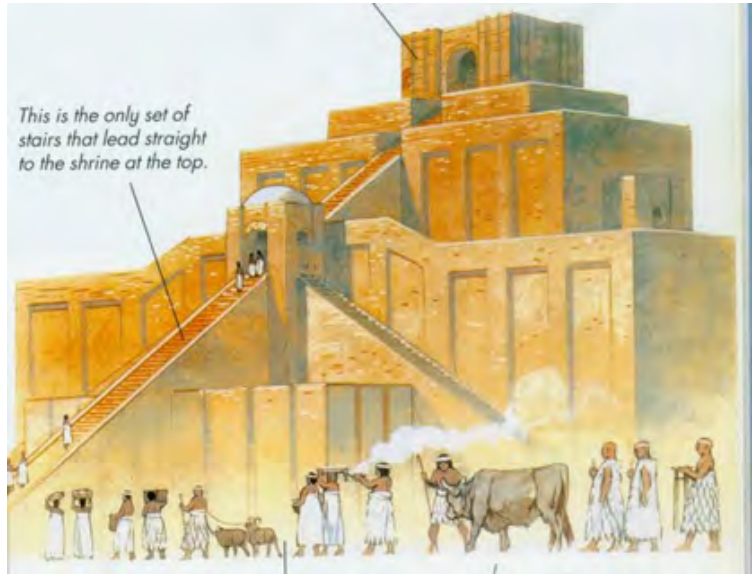
ظهرت أول المعابد في أريدو في الطبقات (17 و16 و15). وقد تطوّرت المعابد في عصر البروتولتريت، حيث ظهرت المعابد أكثر تعقيداً في أقسامها الداخلية، وظهرت بداية الزقورات (وهي المعابد المدرجة) بأن بنيت المعابد على مصطبة عريضة أشبه بالدكة ثم ازدادت الدكة البسيطة التي نشأ عليه المعبد في ارتفاعها وأصبحت بطبقتين.

أول الزقورات كانت في الطبقة الخامسة من أوروك، حيث المعبد على دكة من حجر الكلس في ما يُعرف بـ(المعبد الكلسي). ثم جاء معبد الإله (آن) الذي شُيّد على دكة بلغ ارتفاعها خمسين قدماً وعرف هذا المعبد بـ(المعبد الأبيض).

المعبد الأبيض في أوروك
<https://www.khanacademy.org/humanities/ancient-art-civilizations/ancient-near-east1/sumerian/a/white-temple-and-ziggurat-uruk>



وكان الغرض من الزقورات (التي وصلت إلى سبع طبقات في العصور اللاحقة) هو التقرب إلى السماء وربط السماء بالأرض، وهو نوع من مركزيّة المكان المقدّس الذي يميّز بارتفاعه عن الأمكنة الأخرى. كان المعبد والزقورة مكاناً اقتصادياً أيضاً، لأنه كان يضمّ إليه أغلب الأراضي الزراعيّة وسيطر على وارداتها بنسب مختلفة. وهذا هو السبب الواقعي الأول لنشوء الكتابة وتبوّء رجال الدّين بمهمة الكتابة وتطويرها وتعليمها ونشأتها المقدّسة.



الزقورة

[/https://nl.pinterest.com/pin/92112754848051618](https://nl.pinterest.com/pin/92112754848051618)

ب. السيد ال (إين): الزعيم الروحي والديوي والمدون لاقتصاد المعبد ازدادت مكانة السيد (إين) في الحياة الدينية والزمنية وأصبح قائداً للمجتمع. ونعتقد أنه كان المسؤول عن المدينة والمجتمع المدني، بل وكل ما عرف بـ(دويلات المدن) في وادي الرافدين المبكرة، وأصبح يسمى (باتيزي) حين أعلن عن كونه الحاكم الديني والمدني، ثم تحول الباتيزي إلى الملك الذي هو الحاكم الديوي الرسمي، فيما عادت وظيفة الإين (السيد) كوظيفة دينية. ولكن العلاقة بين الملك والإين قوية جداً، بل وإن السلطة الروحية للإين كانت أقوى بكثير من السلطة السياسية للملك. ولعل أهم ما حافظ عليه السيد هو حيازته للمعابد واقتصادها لأنها تسيطر على عصب الدولة.



King of Uruk - 3,500 B.C.

ملك أوروك 3500 ق.م.



Standing Nude Priest/King of Uruk 3,500 B.C.

ملك كاهن في أوروك 3500 ق.م.

ت. هرم المؤسسة الدينية وكهنتها

كان نمو المعبد ومهامه الروحية والديوية سبباً في ازدياد عدد رجال الدين وزيادة تخصصاتهم، فتكوّنت مؤسسة دينية كبيرة وأصبح النظام الكهنوتي أكثر سعة وتنوعاً، وكان الكهنة يمثلون الصلة بين الإنسان والإله، وقد تشكّل هرم رجال الدين من مرتبة عليا يقودها الإين تضم درجات تخصصية للكهنة أهمهم المطهرون والمعزّمون والعرفاؤون وغيرهم، وهناك طبقة الكهنة العاديين والخصيان.

وكانت هناك كاهنات كبيرات مثل كاهنة (إينتو) أي (السيدة) وهي التي تقابل ال (إين) وكاهنات متخصصات.

ث. الأعياد الدينية لتكريس الملك / الكاهن

لا شك في أن طقوس الزواج المقدس ظهرت في هذه المرحلة وشهدت تغيرات كثيرة في ما يخص مركز الكاهنة التي تمثل الإلهة الأم، ومركز الملك الذي أصبح يمثل الإله الأب. فقد مال هذا الطقس إلى الجانب السياسي أكثر من ميله إلى جذره الديني القديم، إلا أن هذا التحول لم يُحسَم تماماً إلا مع مجيء الأكديين.

ونرجح أيضاً أن طقوس تتويج الملك والزواج المقدس كانت ذكورية فقد أصبح الأمر معكوساً، وكان يتم اختيار الملكة عن طريق الكهانة فقد كانت عملية انخراط النساء في الرتب الدينية وتدرجهن فيه هو الذي يعطي لواحدة منهن وهي (الكاهنة العليا) الحق في الاقتران الموسمي بالملك.. وهكذا حلت، في طقوس الزواج المقدس، الكهانة الدينية محل المصارعة بالنسبة للرجل اختصاراً لاختيار قرينة الملك.

ونرجح أيضاً أن عقيدة نزول الإله الذكر إلى العالم السفلي وحلول الجذب ظهرت في هذه المرحلة لتشكّل طقساً ذكرياً آخر. وهو طقس الحزن الجماعي الذي يبدأ بعد موت الإله ونزوله إلى العالم الأسفل وهو ما ستشير إليه بوضوح المثلولوجيا السومرية لاحقاً.

إن الأعياد، خصوصاً عيد (الأكيتو) هي الدراما الجماعية العفوية الكبرى التي كان الجميع يمارسها ويشاهدها في الوقت نفسه، وكان يقوم بأدوارها الرئيسية عدد كبير من رجال الدين والكهنة الكبار والملك والملكة، وكانت ذات وجهين: وجه ديني طقسي روعي يذكر بالجذور النيوليتية لها، ووجه دنيوي فني مادي يذكر بالجذور الكالكوليتية لها. ومن دمج هذين المظهرين ظهرت الأعياد التاريخية الرافدينية باعتبارها البؤرة التي تجمع جميع أشكال الدراما الرافدينية، ولكنها ظلت أسيرة شكلها الجمعي وأعرافها الخاصة بها.

5. الآخرويات: إسكاتولوجيا المدافن العائلية والمقابر الكبيرة

تطوّرت أفكار العالم الآخر والإسكاتولوجيا كثيراً وأصبح من الطبيعي أن يصحب الميت في قبره بعض المواد اللازمة لرحلته إلى العالم الآخر أو العالم الأسفل كما يعتقدون، وكان هناك نوعان من المدافن:

أ. المدافن العائلية في البيوت: وهي عادة قديمة للدفن في وادي الرافدين ظهرت مع النيوليت، وأصبحت مألوفة في هذا العصر "وكان الدافع الرئيسي للدفن تحت أرضيات السكن والبيوت هو أن الموت لا يُعتبر نهاية الإنسان حسب اعتقاد سكان بلاد الرافدين وإنما تعبر عن الاستمرارية في اعتبار المتوفى عضواً في العائلة لا ينبغي له الابتعاد عنها حتى بعد وفاته، إضافة إلى أن وجود مكان للدفن داخل المنزل يمثل السبيل الأفضل للمحافظة على الجثة من التخريب والعبث، وبالتالي إزعاج روح المتوفى في العالم السفلي، كما أن هذا الاتجاه في دفن الأموات يمثل تعبيراً عن عواطف الأحياء إزاء المتوفى طالما لم يناقض العقيدة الدينية التي كان يُدفن بموجبها أينما كان موضعه ولا يسبب بإزعاج الروح في عالمها الموجود". (عليوي 2006: 19).

لم تكن المدافن العائلية باذخة وكبيرة فقد كانت بسيطة للغاية وكانت شائعة جداً "وفي منطقة ديالي. فقد كشفت التنقيبات التي أجريت في خفاجة (موقع توتب القديمة) عن كون القبور العائدة إلى عصر فجر السلالات عبارة عن حفرة بسيطة تحت أرضيات البيوت التي استمر السكن فيها بعد القيام بعملية الدفن، وفي موقع تل السيب (موقع مدينة ميتورناه القديمة في حوض حميرين في منطقة ديالي أيضاً) أثبتت أن الدفن تحت أرضيات البيوت كان شائعاً في ذلك العصر لعامة الناس وعلى اختلاف مكانتهم الاجتماعية". (عليوي 2006: 225).

ب. المقابر الكبيرة داخل المدن وخارجها:

وهي مقابر بدأت بالظهور في هذا العصر بشكل واسع، حيث "مارس سكان وادي الرافدين الدفن في مقابر مخصصة لهذا الغرض ومساحات محددة داخل المدن أو خارجها، حيث تمّ الكشف عن الكثير من المقابر المنفردة والتي تعود إلى فترة الألف الثالث قبل الميلاد، ومنها ما اكتشفه وولي خارج أسوار مدينة أور من مقبرة تعود بتاريخها إلى عصر جمدت نصر وبداية فجر السلالات، الأول كما تمّ الكشف في موقع مدينة نقر (نيبور القديمة) عن ممارسة دفن الأموات تحت أرضيات المساكن ابتداء من عصر فجر السلالات الأول، وفي مدينة كيش (تلول النقرة على بعد 20 كم شرق بابل) كانت جثث الموتى تدفن تحت أرضيات المساكن والغرف، ومنذ عصر فجر السلالات الأول 2800 ق.م. سواء كانت تلك الغرف نفسها التي يقيم فيها الأحياء أو أنها غرف شيّدت لغرض الدفن". (Childe1952: 14)

وإنّ أهمّ ما يميّز قبور جمدت نصر هو ظهور القبور المفروشة بالحصى (مصنوعة من القصب). وهذه دلالة على الاعتقاد بأهمية المحافظة على الجثة من التلف، كما ظهرت خلال هذه الفترة القبور المعقودة بالأجر، حيث توضع الجثة في هذه القبور (بالوضع الجنيني أو وضع القرفصاء). وتلفّ بقطعة من قماش الكتان، وظهرت هذه الحالة لأول مرة في مدافن كيش، فيما استمرّ الأثاث الجنائزي الذي لم يختلف عن سابقه، من حيث أنواع الأواني الفخاريّة والقلائد المصنوعة من الخرز". (الوردي 2006: 39).

انتقلت طقوس الدفن من تحت أرضيات البيوت ثم إلى ما بين البيوت ثم إلى مقابر قريبة من البيوت ثم إلى مقابر خارج المدن، وكان هذا يجري بفعل الخوف من التماس مع أرواح الموتى التي كانوا يعتقدون أن بعضها يسبّب الأذى.

"كشفت أعمال التنقيب الأثاريّة عن الكثير من المدافن والمقابر التي تعود بتاريخها إلى فترة الألف الثالث قبل الميلاد. وأهم ما حصل من تطوّرات في مراسم وطقوس الدفن فيها ومنها موقع أبو الصلابيخ الذي تمّ الكشف فيها عن مجموعة من القبور الغنية بالأثاث الجنائزي المتنوّع إضافة إلى استخدام أساليب عديدة في عمليّة الدفن، من الدفن تحت أرضيات دور السكن مروراً بالدفن بين البيوت وصولاً إلى تخصيص مساحة مخصصة للدفن بهيئة مقبرة خارج المدن، حيث بلغ عدد قبور هذا الموقع حوالي مئة وثمانين قبراً وكانت على شكل قبور مبنية من اللبن ومفروشة بحصى من القصب إضافة إلى استخدام الجرار الفخاريّة في هذه المقبرة لدفن البالغين والأطفال على حد سواء". (الوردي 2006: 48).

6. اكتمال المكوّنات الأساسيّة والثانويّة للدين

مع البروتولتريت اكتملت المكوّنات الأساسيّة الأربعة للدين وما يقابلها من المكوّنات الثانويّة الأربعة للدين بشكل صحيح، وربما كان ذلك بسبب ظهور الممارسات الدينيّة الواسعة في مجتمعات كبيرة نسبيّة، وتكون بذلك قد هيأت الأرضيّة لظهور أول ديانة حقيقية متكاملة هي الديانة السومريّة التي كانت، مع الكتابة وشكل نظام الحكم، سبباً رئيسياً في نشوء أول حضارة في التاريخ بالمعنى العلمي الدقيق لمعنى الحضارة. وقد شرحناها أعلاه ولكننا نلخصها، هنا، بهذه النقاط السريعة:

المكوّنات الأساسيّة للدين

1. المعتقدات (الكتابة المقدّسة، آلهة الكتابة، رجل الدين ككاتب أول).

2. الأساطير (آن - إنانا، دوموزي - إنانا، تخصصات الآلهة).
3. الطقوس: الزقورات، الإين، هرم المؤسسة الدينيّة، الملك الكاهن والأعياد).
4. الآخرويّات: المقابر الكبرى.

المكوّنات الثانويّة للدين

1. الأخلاق العامة (أخلاق الالتزام بالواجبات الدينيّة).
2. السير المقدّسة (ملوك ما قبل الطوفان الثمانية).
3. الجماعة والطوائف (الدين الرسمي، الدين الشعبي).
4. الباطنيّات: جماعات الأسرار.

الولادة النهائية للدين جعلت منه أول شكل اجتماعيّ روحيّ منظمّ قواد المجتمعات نحو تحضّرها في الحضارات القديمة، بل وأصبح الطاقة الأساسيّة، مع الكتابة، لإنتاج حضارة أيّ شعب ينتظم في تدايعات سلسلة التطوّرات الحضاريّة، وبسبب من الصفة العامة التي تغلب على الدين في نهاية عصور ما قبل التاريخ وبداية العصور التاريخيّة وهي صفة (تعدّد الآلهة)، لذلك ظهر ما يمكن أن نسميه بالأديان القوميّة التي تمتلك نظامها الديني الخاص بها وبشعبها. وكان هذا سبب احترام الشعوب والحضارات القديمة لبعضها في ذلك الزمان وسبب تعدّد الأديان والتسامح بينها. وهو ما يميز الحضارات القديمة بشكل عام.

الطاقة التي يُعطيهها الدين للفرد وللمجتمع سببها الإحساس العميق بأن الفرد أو المجتمع محميّان من قبل قوى كونيّة كبرى هي الآلهة. وهذا ما ساعد الإنسان في الوقوف على قدميه بقوة وتعمير الأرض بالمنجزات الحضاريّة.

لم يكن بالإمكان أن يقف الإنسان وحده أعزل أمام سعة الكون وثقله الرهيب، فقد ساعده الدين على ذلك، لأنه أشعره بأن خالق هذا الكون معه ويحميه.

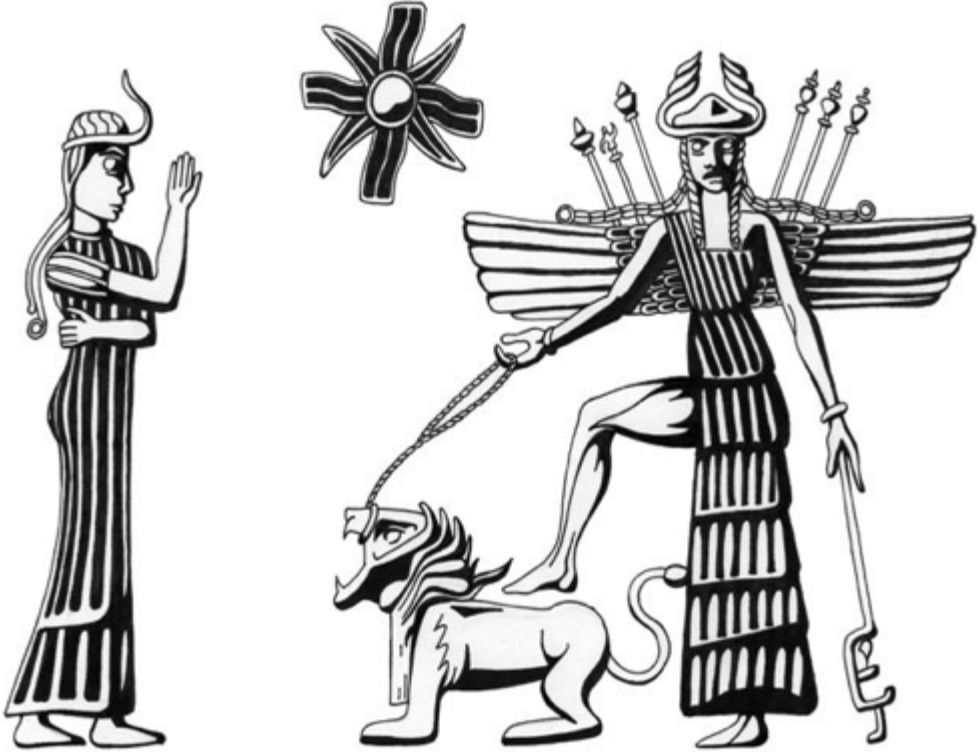
كان من الصعب على السحر، مثلاً، أن يقوم بهذا الدور، لأنّ السحر موهبة فرديّة تقود جماعات صغيرة تتبع الشامانات الموهوبين والأقوياء سحريّاً، أما الدين فشأن جماعيّ كبير يتوسط فيه رجال الدين بين الناس والآلهة.. وكذلك لشعور الناس بأن الآلهة حيّ مثلها وتفتح عيونها بقوة على ما يحصل لرعاياها من البشر. هذه الصيغة جعلت من الدين قادراً على ربط الناس في نظام اجتماعيّ وحضاريّ.

الباب الثاني أديان المشرق القديم المُبكرة



مشهدان من الأساطير السومرية والمصرية

الفصل الأول الديانة السومرية



الإلهة السومرية إنانا مع رموزها ووزيرتها

القسم الأول المكوّنات الأساسيّة في الديانة السومريّة

المبحث الأول المعتقدات الدنيّة السومريّة

أولاً: المعتقدات الألوهيّة

تشكل المعتقدات رأس الديانة السومريّة وفكرها، وتضمّ التصورات اللاهوتيّة للمقدّسات والعالم الراهن، والعالم الآخر، وعلاقة الآلهة بالإنسان، وتصورات الإنسان عن المصير البشريّ. وتتصاغ هذه المعتقدات ضمن تراتيل وصلوات ونصوصٍ روحية. ويأخذ المعتقد أشكالاً أكثر تعقيداً وترابطاً، من تلك الأفكار الأدبيّة الممزوجة بالعاطفة في الأديان الأكثر تطوراً وشمولاً. ولا شكّ في أن جوهر المعتقد يكمن في الجزم بوجود قوة قدسيّة نائية منفصلة عن عالم دنيويّ. ويجري في تفاصيل المعتقد ووصف هذه القوة وعلاقتها بالإنسان. وقد سُمّي المعتقد، بعد تطوّره، بالعلم الإلهيّ أو الثيولوجيّ Theology، وسَمّاه البعض علم اللاهوت و علم الكلام، لكن المعتقد بمعناه الدقيق، يبقى أوسع من العلم الإلهيّ.

المعتقدات الدنيّة السومريّة، هي الوجه النظريّ للدّين السومريّ. وإذا تشكل الطقوس والشعائر السومريّة الوجه العمليّ للعقيدة الدنيّة، فإن الأساطير تربط بينهما، وتشكل المتن الحكائيّ لهذه العقيدة الدنيّة.

وقد تطوّرت العقائد الدنيّة السومريّة تطوّراً بالغاً، منذ الألف الرابع قبل الميلاد، حتى وصلت إلى شكلها المتناسك الدقيق مع نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. وأكسبها هذا التطور مرونة كبيرة، لاستيعاب التغيّرات السياسيّة والاجتماعيّة والحضاريّة، التي حصلت خلال ما يقارب الألفي سنة الضاحّة بالأحداث.

كانت فكرة الألوهيّة هي فكرة المقدّس، وقد تهذّب وتعالى وأصبحت له طاقة الفعل كما يريد، وطاقة الخلود أيضاً. كان المقدّس سحرياً غامضاً عندما أدركه الإنسان، في العصور الحجريّة القديمة (بالبوليت) في الحجر وفي النار وفي الحيوان وفي المرأة وفي الرجل. وتطور تجسّده في الأرواح في العصر الحجريّ الوسيط (ميزوليت). ومع العصر الحجريّ الحديث (نيوليت) تجسّد في الآلهة الأم وبدأ الدّين، ثم في الآلهة الذكور والإناث في العصر الحجريّ النحاسيّ (الكالكوليت). وبدأت مكوّنات الدّين بالاكتمال مع العصر الشبيه بالتاريخيّ أو الشبيه بالكتابي (البروتوليت) في وادي الرافدين. وقد ناقشنا كل هذا مفصلاً في كتابنا (السحر والدّين في عصور ما قبل التاريخ).

في العصر السومريّ، ظهر الدّين بكل مكوّناته الرئيسيّة والثانويّة، وترسخت فكرة إله السماء (آن) الذي كان بعيداً عن الإنسان، في حين ظهر ولداه الإلهان (إنليل: إله الهواء) و(إنكي: إله الأرض والماء) أكثر قرباً من الإنسان وشؤونه. لكن فكرة الألوهيّة ما كان لها أن توجد لولا الإنسان. ولذلك فقد وصّف الإنسان في النصوص الإلهيّة نفسه متعالياً خالداً. ولعبت فكرة الألوهيّة دوراً كبيراً في توازن الإنسان مع الطبيعة والكون؛ إذ كيف يمكن له تصوّر كل هذا الذي حوله، من دون أن تكون الألوهيّة هي الحاجز بينه وبين الكون الرهيب اللامتناهي. ومن دون فكرة الألوهيّة كان الإنسان سينضغط وينحصر ويتهشم، عندما يواجه الكون مباشرة "ولهذا فإن وصف الألوهة في هذه النصوص، لم يكن سوى وصف مباشر لمشاعر الإنسان نحو الكون وجبروته. ولم يكن الحس الذاتي بالألوهة سوى الحسّ بعلاقة كونية حيويّة غامرة، راح الذهن

القديم يفلسفها، ويشخص فعلها كتجربة يومية من تجارب وعي الإنسان.. ولهذا لم يستطع المفكر القديم تخيل إنسان من دون فكرة ما عن الألوهة، ومن دون ميل للتعبّد لها وطريقة للتعليل معها، بحثاً عن استقراره النفسي، مبرهنأً بذلك عن أن وعي الإنسان لذاته هو دائماً متوازن مع وعيه للكون الكلي“. (الحواراني 1978: 152).

كانت الآلهة السومرية كثيرة، وعددها قد يصل إلى بضعة آلاف. وهذا يضعنا أمام حالة محيرة وسؤال أساسي هو: هل ظهرت هذه الأعداد مرة واحدة، أم بالتدريج؟ ومن المرجح أن التطور التاريخي هو الذي جعل هذا العدد يزداد، خصوصاً مع ظهور المدن والأقاليم السومرية الجديدة، ومع اتساع النفوذ السومري، ومع الحاجات الدينية والاجتماعية والسياسية للكهنة السومريين.

لا شك في أن التعددية Polytheism هي التي غلبت على العقيدة الدينية السومرية، وطبعها بطابعها الخاص، الذي صار من سمات جميع ديانات الشرق الأدنى القديم. ولذلك ساد الفكر السومري الإيمان بعدد كبير من الآلهة. ولكن هذه الآلهة لم تأت دفعة واحدة، بل إن جذورها امتدّت إلى فترات الكالكوليت؛ حيث بدأ الانقلاب الذكوري، وترسخ الثالوث الإلهي بعد أن كان توحيداً أنثوياً في النيوليت، ومن هذا الثالوث ظهرت شجرة الآلهة السومرية تدريجياً. الإلهة السومرية الأم الأولى هي (مّو) التي يعني اسمها (ماء الأم) وربما كان اسمها القديم (م)، لكن الانقلاب الذكوري في الكالكوليت أضاف (ن) في بداية الاسم، فأصبح (ن. م) ويعني (ن) العنصر الذكوري السماوي، ويشير لاحقاً إلى الإله (آن) الذي يمثل الذكر الأب الذي أحييت سلطاته أولاً إلى الإله (إنكي)، الذي يجمع بين صفات الأم والأب. ويبدو أن انقلاباً ذكورياً حاسماً حصل مع الإله (إنليل) الذي أصبح يمثل السلطة والقوة والملوكية. وكان هذا مدعاة لأن تتشكّل عشرات الآلهة من الأم والأب والإبن، وتظهر شجرة كبيرة للآلهة، ويصير كل إله مسؤولاً عن مظهر من مظاهر الطبيعة والحياة.

نرى أن النزعة التفريديّة Henotheism ظهرت في الدين السومري، بسبب اعتقاد السومريين بإله قومي واحد لهم، هو الإله إنليل، الذي كان إله الهواء والروح، والإله المسؤول عن الأرض والملوك والسلطة.

والتفريد لا يعني التوحيد المطلق، بل إبراز وتضخيم إله واحد على حساب أو بين الآلهة الآخرين. ولا يعني ذلك بالضرورة شطبهم أو عدم التعامل معهم، بل يُصار في الغالب إلى إعطاء الإله المفرد صفات بقية الآلهة، إضافة إلى صفات الملك والخلق والحاكم والعقاب والثواب.. إلخ.

وقد احتل الإله إنليل هذه المرتبة، وكانت تجرى له في كل المدن السومرية طقوس العبادة. أما مدينته الرئيسية فهي نقر ومعبده فيها، فكانا مثار طقوس مقدّسة كبيرة. وكان السومريون يحجّون إليها من كل بلاد سومر، باعتبارها المدينة المقدّسة للسومريين. ولذلك لم نجد هذه المدينة تخضع لملك معين، أو تنشأ فيها سلالات حاكمة، بسبب مركزها الديني المقدّس. ولا نستبعد مطلقاً أن يكون السومريون الجدد، أثناء حكم سلالة أور الثالثة، قد استبدلوا إلههم القومي إنليل بإله تفريدي آخر أو جديد هو إله القمر (نانا) أو (ننار) أو (سين) الذي هو إبن الإله إنليل. فقد كانت سمة الديانة السومرية، في هذه المرحلة، مرتبطة بالإله القمر، وأصبح ذكرها مرافقاً لذكر هذا الإله، الذي خصّصت له أكبر زقورة سومرية هي (زقورة أور). وسنحتاج الكثير من الأدلة لإثبات هذا الأمر، الذي يمكن أن يكون مدعاة لتبدّل جوهري في العبادة السومرية.

<http://www.mesopotamiangods.com/an-adab-to-ninurta-for-bur-suen-bur-suen-a-translation>



الإله نانا، نانا إله القمر
السومري



الإله إنليل إله السومريين وإله
الهواء

كانت النزعة التوحيدية Monotheism كامنة في الدين السومري في صيغة الإله (آن: إله السماء)، فهو إله عالمي مطلق عندهم، على العكس من الإله إنليل الذي هو إله شعب ذوي الرؤوس السود (أي السومريين)، وهو إله قومي خاص بشعب محدد. مثلما كان الإله إيل (إيلو) هو الإله العالمي الأوحدهم للأكديين، والإله شمش هو الإله القومي لهم. ومثلما كان الإله مارتو (أمورو) هو الإله القومي للأموريين، والإله (مردوخ) هو الإله القومي للبابليين، والإله (آشور) هو الإله القومي للأشوريين، والإله بعل هو الإله القومي عند الكنعانيين، والإله (حدد) هو الإله القومي عند الآراميين، والإله (يهوه) هو الإله القومي عند العبريين. وكانت جميع هذه الأقوام السامية التي ذكرناها تعبد الإله العالمي الأوحدهم (إيل)، بالإضافة إلى إلهها القومي. ولا نشك مطلقاً في أن الإله (إيل) الذي أصبح رديفاً ل (الله) عند العرب، كان مستمداً من الإله السومري (آن) ذلك أن الإلهين معاً كان يُرمز لهما بإشارة أُل (دنكر) الكتابية التي تشير إلى الجهات الثماني وقد ظهرت هذه العلامة مبكراً في الحضارة العبيدية في الألف الرابعة قبل الميلاد في تبة كاورا.

وبذلك تكون نزعة التوحيد السومرية قد عبرت عن نفسها بهذه الصيغة، التي ظلت تلازم الساميين من بعد السومريين؛ حيث كانت جميع الديانات السامية القديمة تحمل التوحيد في صيغة الإله (إيل)، وهو إله عظيم متعال كبير قضي، وتحمل التفريد في صيغة الإله القومي لها، وهو الإله البطل المركزي الذي يعينها في الأزمات والحروب، وكانت تحمل التعدد في صيغة الآلهة الكثيرة التي تعبر عن ظواهر الطبيعة وعن حاجات الحياة.

الأرواحية Animism وهي عقيدة تصوّر أن كل الأشياء والظواهر في الكون، تأتي من وجود روح حيّة فيها، وأن هذه الروح لها قوة مؤثرة على ما يحيطها وعلى الإنسان، وهي قوة روحية عاقلة ومفكرة ومدبرة. والشكل الأساس لظهور هذه الروح هي، لاحقاً، كانت أساس مفهوم (الإله)، رغم أنها تشير إلى عقيدة سحرية سابقة لظهور الدين. وقد أخذ السومريون الأرواحية من العقائد السحرية، التي كانت قبلهم، واستمرت معهم. فالأرواحية عقيدة سحرية، تقف مع

الفتيشية والطوطمية في مستويات مختلفة من زاوية النظر، إلا أن ما يجمع الثلاثة هو الإيمان بوجود قوة power وراء الأشياء والظواهر. ودليلنا على وجود الأرواحية عند السومريين، هو تصوّرهم لقوى الشر والشياطين والعفاريت إلى جانب الآلهة، وذلك لأنهم كانوا بحاجة إلى تفسير الجانب السلبي من الطبيعة. فاستحدثوا له الأرواحية الشيطانية. ومن جهة أخرى تحفل العقيدة الأرواحية بتصور حيوي نشط للعالم والكون والظواهر، لكونها ترى العالم كقطعة سيفسائية من الأرواح المتصلة المترابطة المؤثرة، بإيقاع منسجم وعميق.

التشبيهيّة Anthropomorphis وهي النظر إلى الآلهة وكأنها بشر، وإسباغ صفات ومميزات الإنسان على الآلهة، فهي تأكل وتشرب وتتزوج وتسكن البيوت وتغضب وتفرح... إلخ، بل إن صور الآلهة على الرقم الطينية وغيرها، كانت تشبه الإنسان تماماً. ورغم أن الآلهة تسكن السماء، ولكن لها بيوت على الأرض مثل الإنسان، وهي المعابد التي تبدأ اسمائها جميعاً بكلمة (إي، E) التي تعني البيت بالسومرية.

وقد دلت الأساطير السومرية التي درسناها على هذه الحقيقة. وكان من الصعب التوصل إلى تجريدات مطلقة للآلهة، إلا بعض التأملات والتراويل، التي نلمح فيها تنزيه الآلهة عن حاجات الإنسان الدنيا.

ولكي تتميز الآلهة عن الإنسان (رغم أوجه التشابه الكثيرة) كان لا بد من اللجوء إلى فكرة الخلود، التي أصبحت صفة الآلهة، وفكرة الموت الحتمي التي أصبحت صفة الإنسان. ومع ذلك، فقد حدّتنا بعض الأساطير عن محاولات خلود الإنسان وتشبيبه بالآلهة، وموت الآلهة وتشبيها بالإنسان. وقد كان الملك والكاهن الأعلى، هما أقرب الناس للتشبه بالآلهة، بل إن بعض الملوك السومريين حاولوا تأليه أنفسهم، بعد أن ورثوا هذه العادة من الأكديين.

الإنسان وعلاقته بالآلهة:

عرّفنا الأساطير السومرية أن الإنسان خلق من قبل الآلهة، لكي يقوم عنها بالأعمال الشاقة، ولكي يخدمها ويكون عبداً لها. وفي الفلسفة الدينيّة العميقة للسومريين، فإن الإنسان هو إله، ولكنه إله ضعيف أو عاجز أو ميت. ولذلك فإننا نشاهد أن الإنسان الذي خلقه الإله إنكي والإنسان الذي خلقته الآلهة نوماخ، كانا مصابين بنقوص وأمراض كثيرة، حالت دون أن يكونا سويين.

فالإنسان، إذاً، إله ناقص مريض عاجز ميت. ولذلك، فإنه لا يتمتع بالخلود مثل بقية الآلهة. وإذا كانت الآلهة تتناسل عن بعضها بالولادة، فإن الإنسان صنع من إله مقتول أو من طين، أو من طين وماء، أو من كلمة صاغها الرب في فمه أولاً، ثم أطلقها. وهكذا يكون الإنسان مربوطاً كلياً بالآلهة، فهو لا يستطيع فعل شيء من دونهم. وكذلك، فإن هذا الكون الواسع لا يمكن مجابهته من دون آلهة، تستطيع إدارته وتساعد الإنسان في التعامل معه. ثم إن الألوهية كانت تبدو في الإنسان، كما لو أنها عقله الذي يجعله يميّز بين الصواب والخطأ؛ "إنها البعد الآخر للإنسان، ولا تكون حقيقة إنسانية من دونها، فهي القوة الجسدية والروحية معاً. وقد عبر أحد الطلبة السومريين عن مفهوم الآلهة في سومر القديمة، وأوضح كيف أنها فعل وعي حيّ في الإنسان، خلال خطاب يخاطب به معلّمه، لشكره، فقال يخاطبه: أنت إله، وحيث إن الإله يصنع الإنسان، فأنت إلهي، لأنك صنعت فيّ الإنسان". (الحواراني 1978: 155).

الشياطين والجنّ والكائنات الخرافية:

يتكوّن عالم الأرواح السومريّة (من غير الآلهة من الشياطين والجنّ والكائنات الخرافية التي تسكن العوالم السفلى والعليا والأرضيّة، حسب طبيعتها، وهي كما يلي:

1 - الشياطين: وهم سكنة العالم الأسفل ويصنّفون كما يلي:

أ - الشياطين المنحدرون من أصل سماويّ، وهم (ذرية الإله آن وإنليل).

ب - الشياطين المنحدرون من آلهة العالم الأسفل، وهم أبناء كور وأبناء أمهي شرا (السبيتو) بعضهم صالح وبعضهم شرير.

ج - الشياطين المنحدرون من أصل بشريّ وهم أرواح وأشباح الموتى، واسمهم بالسومريّة (كدم (Gidim) وهي مركبة من مقطعين، وتعني مخلوقات الظلام. وقد حذف الحرف الأول منها، فأصبحت في ما بعد (آدم (Idim) أو (إيدم (Edim).

د - الشياطين المرکّبة من تزواج البشر والشياطين، مثل ليليث، وهي الشيطانة التي تطارد الرجال، وتسمّى بالسومريّة (لوليلا) التي معنى اسمها رجل الريح ومؤنثه (كسيكيل ليلا) ويعني فتاة الريح، وهو (ليلو) و(ليلتو) التي هي ليليت باللغة العبرية، وتسمّى أيضاً أردات أي الليل.

ه - كبار شياطين العالم الأسفل.

2 - الجنّ الطيبة

ولا يفوتنا هنا ذكر سريع للعفاريت أو الجنّ الصالحة، وهي الآلهة الحامية للبشر والمدن والحدود:

أ - لاما: يقابلها بالأكديّة (لاماسو) وهي عفريّة صالحة، تعمل لصالح الإنسان، وتُستعمل لحمايته من الأذى، وهناك الجنّيّة الحامية (عشتارو).

ب - (شيدو): وهو عفريت مجنّح، ظهر مع لاما في صيغته الآشوريّة لاحقاً على شكل (الإنسان الثور المجنّح) لحراسة المدن الآشوريّة وحمايتها من الأرواح الشريرة. وهناك الجنّي الحامي (إيلو). ويعتبر الإله نيراح (نيراه) الذي هو ثعبان الإله ستران حامي حياة البشر، وكان يوضع على أحجار الحدود.

3 - الكائنات الخرافية

وهي كائنات لا نستطيع تمييزها في حقول الآلهة أو الجن، بل هي مسوخ مركبة من أعضاء أجسام مختلفة. وكان بعضها يرمز إلى إله معين. وفي ما يلي ذكر أهم هذه الكائنات الخرافية السومريّة. (انظرأذارد 1987: 121).



شيطان سومري



شيطان سومري



هواوا السومري

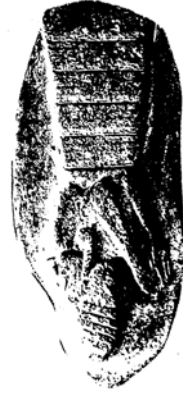




آدو الذكر: شيدو



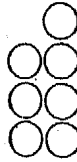
لاما الذكر (لاماشتو) بهيئة أسد



لاما الأنثى (لاماسو)



نيراه (نيراح) الثعبان الحامي
للشجر والحدود



رمز الشياطين السبعة: سبيتو



رمز العين الحاسدة

ثانياً: المعتقدات (الدينيّة) العمليّة

كان لانقسام الحياة، من خلال الدين، إلى جانبين متضادين هما (المدنّس والمقدّس)، الدور الأكبر في التمييز بين الحلال والحرام، وفق أسس دينيّة الهية.

الحلال هو ما يراه الدّين من أمور ميسّرة في الرزق والطعام والملبس والمأكل، يجنيها المرء بالعمل وبالطرق المشروعة، وتساعدّه الآلهة في ذلك. أما الحرام (التابو) فهو الذي يُمنع تداوله، لأنه مؤشّر من قبل (المقدّس) على أنه غير مشروع.

مارس السومريّون والبابليون فكرة المحرّم أو الممنوع. ويمتاز التابو بصرامته وسلبيته، وبأنه لا يتضمن تعليمات وأوامر، بل منعاً صارماً وعقاباً مباشراً، أي أنه يتكوّن من ثلاثة عناصر: هي معرفة الطابع المقدّس أو النجس للشخص أو الشيء، والمنع الذي يترتب على ذلك، وثم العقاب الذي يكون صارماً ومباشراً. ويرى فرويد أن هناك عدداً من السمات التي تعين التابو، وأولها هو أنه مزدوج الطبيعة، فهو مقدّس ومكرّس وجليل، ولكنه يبعث على القلق والخطر والممنوع والندس، وثانيها أن بواعثه غير معروفة وغير مبرّرة، وأصلها مجهول، خصوصاً بالنسبة إلينا؛ أما بالنسبة لممارسيها فهي طبيعيّة، وهو يخضع لسلطانها دون أن يسأل: لماذا؟ وثالثها أن المحرّم أو التابو ينتقل بالعدوى، فالساحر مثلاً لا يُطلق المزيد من النار بنفسه، لأن هذا النفث المقدّس سيهب قوته للنار، ثم للقدر التي هي فوق النار، ثم الأفعمة، ثم سيؤدّي إلى موت الشخص الذي أكل من الأفعمة، ثم سيؤدّي إلى موت الشخص الذي يكون قد أكل من الأفعمة، وهكذا. ورابعها أن انتهاك التابو يمكن التكفير عنه، ولكن بصعوبة وبتقوس خاصة.

(انظر فرويد 1983) و(انظر دالبير 1983: 393).

الخطيئة: هي اختراق أو حرق أو انتهاك للقانون الإلهيّ أو المقدّس، وما يهّمنا في الخطيئة هو

إرادة الخاطئ وقصده وسبب الخطيئة "ليست إرادة فعل الشر، ولا فعل الشرير، ولكن النتائج الشريرة أو الأليمة لذلك العمل الشرير. ومن هنا اعتبرت الخطيئة نوعاً من أنواع الفساد والأذى، وأنها تعيش في العمل الشرير الذي سببها، لهذا لم يكن سهلاً فصلها عن أسباب الشر.. تسمى الخطيئة بالسومرية (نك. كك Nig. gig) وبالأكديّة (اكبو - bu ikki) أي كبوة، وكذلك (أنزالو Anzallu) أي النازلة. كما يُستعمل المصطلح السومريّ كلمة (SE. BA. DA) التي تترادفها بالأكديّة خطو Khitu وخطيتو - Khiti وهي الخطيئة". (شمار 1981: 45).

كان مصطلح عشتارو قد تطابق ومعنى الإله بشكله المؤنث (إلهة) وهي (الإلهة الحامية)، وقد ارتبط هذا الاسم بعشتار، وهو ما سنجد أصله في معنى الإلهة الحامية للمدينة في العصور السومرية. وقد شاع هذا المصطلح وانتشر بشكل مدهش في الحضارة اليونانية والرومانية، وأصبح في المناطق الشرقية التابعة لهما لاحقاً من أشهر الأسماء التي ظهرت بها الإلهات العشتاريّات، وقد تجلّى على الخصوص في الإلهة تايكي (إلهة الحظ) والآلهة ناكي (إلهة النصر)، وأصبح اسم تايكي عند الرومان فورتونا التي تعني الحظ (زهدي 1966). العقاب في اللغة السومرية (Zag) وفي الأكديّة (إيميتو emittu) وكذلك ترد كلمة (نامتاجا Nam. Tag. Ga) وفي الأكديّة (أمو وأتو amu، annnu).

سبب العقاب الإلهي للإنسان هو الإخلال المتعمّد بالنواميس والقوانين التي رسمتها الآلهة للإنسان. وهذا، بطبيعة الحال، يجعلنا نعرف أن المؤسسة الدينيّة المؤلفة من كل رجال الدين، هي التي كانت تحكم المجتمعات بطريقة غير مباشرة عن طريق القانون الإلهي الذي وضعته هي.

الخطيئة (الخطأ) هي سبب العقاب الإلهي، والخطيئة متأصلة في الطبيعة البشريّة، ولذلك توجّب اعتماد العقاب كطريقة دائمة لمعالجة الخطيئة. كانت دورة حياة الإنسان منذ الولادة حتى الموت مشحونة، من الناحية الدينيّة، بالمقدّس في كل شؤونها. فولادة الإنسان تحصل بفعل مساعدة إلهات الولادة، وإطلاق الاسم الدينيّ على الوليد ضروريّ، لأنه اسم مرتبط بالعناية الإلهيّة، فهو يحميه، لأن فيه، عادة، اسم إله. ومو الطفل محاط كذلك بالرعاية الإلهيّة في كل شيء، من المشي إلى الكلام إلى بلوغ الصبا، إلى عبوره نحو مرحلة الشباب والرجولة.

ثالثاً: المؤسسة الدينيّة

ربما كانت المؤسسة الدينيّة السومرية أول مؤسسة دينيّة متكاملة ومنسجمة في تكوينها ووظائفها. وهي إذ تتكوّن من المؤسسة الإلهيّة، التي تشمل عدداً كبيراً من الآلهة المختلفين في مقاماتهم ووظائفهم، والمؤسسة الكهنوتيّة، فإن المعابد كانت أماكن مشتركة لأعضاء المؤسستين يمارسون فيها حضورهم ووظائفهم، ويؤسسون فيها لتقاليد وعقائد وطقوس الدين السومريّ. وربما كانت مسرحاً لتأليف وقراءة وصياغة الأساطير السومرية أيضاً.

كانت المؤسسة الإلهيّة هي الشكل الأعلى المطلق للدين. فالآلهة هي التي خلقت الكون والإنسان، وهي التي جعلت الكون مسرحاً لحركتها، والإنسان خادماً لها ليقوم بدلاً عنها بتنظيم الحياة على الأرض والعمل وتهيئة الزرع والطعام وغير ذلك. عرفنا هيكل المؤسسة الإلهيّة وطبقاتها. ولا بد الآن من معرفة المؤسسة الدينيّة على الأرض. ويقسم الباحثون هذه إلى (الكهان والمعابد).

كان الكاهن في الحياة الدينيّة السومرية يمثل الصلة بين الإنسان والإله. ونرجح أن الكهنة ظهروا

في عصور مبكرة في حضارة وادي الرافدين، وربما كان ظهورهم مع عصر الكالكوليت الذي كان المعبد أهم ظاهر، أي أن الكهنة ارتبطوا بالمعبد، وكانوا يتزعمون المجتمع على أسس دينية وسحرية وقدرات خاصة، وكانت العصور الحجرية تعج بهم، ويطلق عليهم الباحثون اسم (الشامان).

في مزهرية أوروك من العصر شبه الكتاني، ظهرت صور لرجال عراة يقدمون الأضاحي. هؤلاء هم الكهنة، وكانوا غير مختونين. وهناك ما يشير بوضوح إلى أن الملوك الأوائل كانوا كهنة، ثم انفصلت وظيفة الملك عن الكاهن. لقد كان الحاكم أو الملك الأول يُسمى بالسومرية باتيزي أو أنسي، ثم انفصلت هذه الوظيفة إلى: الملك (لوكال lugal) والكاهن (إين En).



Standing Nude Priest/King of Uruk 3,500 B.C.



Sumerian worshipper

اليمين: الكاهن الملك في أوروك 3500 ق.م. اليسار: رجل الدين السومري، ربما يكون السيد

http://realhistoryww.com/world_history/ancient/Sumer_Iraq_1.htm

وكان الكاهن (إين) يمثل أعظم الكهنة، ويقع في قمة الهرم الكهنوتيّ السومريّ. ونحن نظن أن كلمة (عين) أي (العين) العربيّة هي من بقايا تلك الكلمة السومريّة؛ حيث الأعيان هم سادة البلاد وأعلامها. أما الكاهنة التي تقابل (الإين) فتُسمّى (اينتو) أي الكاهنة العليا (Nin - Din - gir)، أما المراتب الكهنوتيّة تحت هذه المرتبة فكثيرة.

في وادي الرافدين "كانت المعابد الكبيرة تضم عدداً كبيراً من الكهنة، وعلى رأسهم الكاهن الأعلى، وكان بينهم عدد من الإناث ومن بين الكهنة المتخصصين من يقرأ التعاازيم، والذي يُطَيّب الآلهة بالزيت، ومنشد المراثي، وطارد الأرواح الشريرة، ومفسر الأحلام وقارئ الطالع. وبعض الكاهنات كان باستطاعتهنّ الزواج، ولكن ليس من حقهنّ الإنجاب ما دمن في خدمة المعبد. ومن الفئات الأخرى من النساء اللاتي كرسن أنفسهنّ لخدمة المعبد، من احترفنّ مهنة "البغاء المقدّس"، وهذه المهنة لم تكن مهنة غير مخجلة في ذلك الوقت، وكانت تمثل أحد أشكال الاتصال بين الإنسان والآلهة". (إسماعيل 1997: 111).

بالإضافة إلى ما عرفناه من نساء كاهنات متميّزات مثل الكاهنة العليا (الإنّتو) والكاهنة الشائلة (مفسرة الأحلام) هناك عدد كبير من النساء اللاتي كنّ ينخرطن في سلك الكهانة، فبعضهنّ منذورات للآلهة. وكان قسم منهنّ يعيش في أبنية خاصة تسمّى بالأكدية (gagu). ويتفق العلماء على أن أصناف الكاهنات التي سنذكرها، بدأت منذ العصور السومريّة الأولى، وسنذكر أسماءها بالسومريّة والأكدية.

وقد كان يُطلق على الكاهنات تسمية خاطئة هي (كاهنات البغاء المقدّس) على اعتبار أن مكانهنّ الخاص (كاكو) كان يشير إلى كلمة (بيت الدعارة)، فقام الباحثون بإطلاق فرضيّة خاطئة هي أن الكاهنات يمثّلن إلهة الحب (إنانا)، ولذلك فإنهنّ يمارسن البغاء المقدّس.

لقد بات واضحاً أن كلمة كاكو مشتقة من الأصل السومريّ (ga - gi - a) (كاكيا) أي البيت المغلق، وربما (السجن) وعندما تحرّى الباحثون حول طبيعة هذه الأبنية، وجدوا أنها تشبه (الأديرة)، وهذا هو المصطلح الدقيق لها، ولذلك فإن النساء اللاتي يدخلن (الدير) أو (الكاكيا) يتّصفن بالعفة والسمعة العالية والحشمة.

وسنرى أن الكثير من أصناف الكاهنات مثل (إنتو، لوكر) لا يجوز لهنّ الزواج والإنجاب، وهو ما نلمسه إلى الآن عند الراهبات المسيحيّات. ويبدو لنا أن مرّة ذلك مرتبط بسبب مثولوجيّ (أسطوري) عميق يخص الآلهة (ننماخ) التي جاء في أسطورة خلق الإنسان أنها مع إنكي خلقت وهي في حالة سكر المرأة العاقر. وقد قرّر الإله إنكي مصير هذه المرأة، بأن جعلها تعمل في خدمة الآلهة. ولذلك تقرّر من هذه الأسطورة أن من يقوم بخدمة الآلهة، فإنه لا بدّ ان يكون عاقراً. وهذا ما أصبح ضمن العرف الدينيّ بألا تتزوّج الكاهنة ولا تنجب (حتى ولو كانت قادرة على الزواج والإنجاب) تمسكاً بهذه الحادثة الأسطوريّة. وينسحب هذا أيضاً على الكهنة الخصيان الذين ذكرناهم قبل هذه الفقرة، والذين خلقهم الإله إنكي.

وقد يكون الاسم السومريّ للكاهنة العليا (إينتو) وهو (Nin - Dingir) أي (السيدة الآلهة ما يفسر أيضاً حالة عدم زواج وإنجاب هذه الكاهنة، لأنها كانت تُعتبر بمصاف الآلهة، وأن لها قدسية خاصة تمنعها من الاتصال بالبشر.. وربما لأنها كانت تعتبر بمثابة زوجة الإله.

المعابد السومريّة:

كانت المعابد السومريّة أماكن مشتركة للآلهة والكهنة معاً. كانت البيوت الأرضيّة للآلهة، وكان الكهنة في هذه البيوت بمثابة خدام الآلهة، يؤدّون لهم الطقوس والشعائر، ويوقرون لهم ولتماثيلهم جميع المتطلبات التي كانوا يحتاجون إليها. ولا شكّ في أن المعابد السومريّة تطوّرت

عن معابد العبيد وأريدو التي ظهرت مع بداية الكالكوليت (الحجريّ النحاسي). بدأ ظهور المعابد في وادي الرافدين مع الانقلاب الكالكوليتي، وبدأنا نرى المعبد بصورته البسيطة في جنوب العراق القديم.. حيث كان المعبد نواة ظهور المدينة في المركز وطرده القرية إلى المحيط.

ظهر أول المعابد في أريدو (الطبقة السادسة عشرة)، وهو يعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد. وقد كانت هذه المدينة منذ القدم مخصصة للإله إنكي، وهو معبد ذو تخطيط مثير للإعجاب رغم بساطته. إنه أقدم معبد مشيد تم اكتشافه حتى الآن، ويضم عناصر استمرت حتى أزماننا عبر آلاف كثيرة من السنين والحضارات. فهو يحتوي على حرم مستطيل، يبدو عليه بأنه كان مقسماً إلى منطقتين بجدران فاصلة. وفي إحدى النهايات يوجد مذبح صنع كي يحتوي على منصة من اللبن، فهنا يتوفر لدينا، كما هو في الواقع، مخطط لكنيسة مسيحية نموذجية فيها مجاز مدخل والصحن والهيكل الذي يضم مذبحاً. ولقد كان معبد سليمان يضم تماماً الترتيب الثلاثي ذاته: الرواق، والمكان المقدس، وقدس الأقداس. وعلى هذا فإن اثنين من أعظم الأديان العالمية التوحيدية قد أعادوا إنتاج هيكل بناء المعبد العراقي. (بارو 1979: 100).

ثم توسع المعبد، وأصبح وسطه محاطاً بالغرف الإضافية. وقد شيد على دكة أو مصطبة يصعد إليها بمجموعة من السلالم المؤدية إلى مدخل المعبد. وممكننا إجمالاً تقسيم المعابد السومرية إلى الأنواع التالية:

- 1 - المعابد البسيطة: وهي المعابد التي تؤرخ ما بين (5000 - 3500) ق.م.، وكانت تتكوّن من مرافق بسيطة للغاية، هي: الرواق والمكان المقدس وقدس الأقداس، ومآذجها واضحة في معابد أريدو (الطبقات 18 - 8) ومعبد تبه كاورا (طبقة 18).
 - 2 - المعابد ذات المصطبة: وأغلبها ينحصر في التاريخ ما بين (3500 - 3000) ق.م. وقد تطوّرت مرفقاتها وصار في الإمكان معرفة الآلهة المخصصة لها. ومنها معابد (إنانا في الوركاء) و(أريدو) وخفاجي للإله نانا (القمر) ومعبد تل براك للإلهة العين، ومعبد تبه كاورا.
 - 3 - المعابد ذات المصطبة والأشكال المختلفة: وقد ظهر أغلبها في مرحلة دول المدن السومرية (3000 - 2470) ق.م. وامتازت بظهور أشكال هندسية مختلفة، كالبيضوي والدائري والمربّع والمستطيل. ومنها معبد نخرساج في تل العبيد، ومعبد إنليل في نقر، والمعبد المربّع للإله أبو في تل اسمر، ومعابد خفاجي الثلاثة (البيضوي، ننتو، سين) ومعبد شارا في تل أجرب، ومعبد عشتار في آشور، ومعابد ماري الستة (إنانا، نخرساج، أوتو، عشتارات، نني زازا، الزقورة).
 - 4 - الزقورات: وهي المعابد التي شيدت على شكل طبقات بين (3 - 7) طبقات، ويربط بين كل طبقتين مدرج، وقد كانت الطبقات تقل سعة، كلما ازداد ارتفاع الزقورة، حتى أن بعضها كان ينتهي بغرفة واحدة كانت مخصصة للإله ذلك المعبد.
- وأهم هذه الزقورات ظهر في مرحلة سلالة أور الثالثة (2124 - 2006) ق.م. في مدن أور، أريدو، نقر، أوروك. ولعل زقورة أور المخصصة لعبادة الإله القمر (نانا) كانت الأكثر شهرة بين هذه الزقورات والأكثر مقاومة وصموداً أمام الزمن، فأطلالها ما زالت إلى يومنا هذا شامخة.

إعادة بناء متخيلة لمعبد الإله
(المعبد الأبيض في أوروك)
وزقوته 3200 - 3100 ق.م.
<http://www.pinterest.com/pin/400046379370999324>



رابعاً: معتقدات الأبدية

1. **الخلود:** لم يقف السومري واجماً أمام دورات الزمان والمكان ومحاولات الإنسان الدخول فيها أو التقاطع معها. فلقد كانت منظومة الآلهة التي سطرها برتب متوازنة، مدعاة للتلميح بأنه كان يحاول أن يضبط إيقاعه على الأرض مع إيقاع الكون كله. لقد كانت إيقاعات الطبيعة المتكررة وإيقاعات ظهور واختفاء النباتات الفصليّة وإيقاعات الولادة والموت عند الحيوان والإنسان، تشدّ العقل السومريّ لابتكار وتشكيل عقائد، تحاول فهم أو تقليد هذه الإيقاعات المتكررة الضاغطة عليه.

ونرى أن هنالك مجموعة من عقائد الخلود والعود الأبدية ظهرت في الطقوس والشعائر والأساطير الدينية السومرية، سنحاول التقاطها وتبويبها وتسليط الضوء عليها.

2. **العود الأبدية:** تركز فكرة العود الأبدية على أن ما يحدث في العالم وما نفعله مرتبط بحدث أولي ظهر في أقدم الأزمان. وإننا نحاول تكرار نموذج مثاليّ أسطوريّ، ويتبع ذلك رفض حثيث للزمن التاريخيّ وعودة دورية لزمنا الأحوال الميثية إلى (الزمن الكبير).

ورغم أن العلامة (مرسيا إلياد) عالج بكثير من الدقة شواهد حضور فكرة العود الأبدية عند الأقوام البدائية، إلا أن الأمثلة الرافدانية، والسومرية منها بشكل خاص، كانت هي أساس هذه الفكرة ومنبعها.

ونحن لا نتحدث هنا عن فلسفة العود الأبدية عند اليونان أو عند نيتشه، بل نعود إلى الأصول السومرية لفكرة العود الأبدية، وكيفية ممارستها طقسياً وفعالياً.

يرى السومريون أن العالم الذي نحن فيه، ما هو إلا صدى أو تكرار لنموذج سماويّ إلهي، سبق ظهور عالمنا الأرضيّ والإنسانيّ، أي أن هناك نموذجاً أو مثلاً إلهياً نعمل نحن على إعادة التشبه به دائماً. ففي أقدم وثيقة حلمية تتعلق ببناء معبد في لكش، يرى كوديا في حلمه أن الآلهة (ندابا) أظهرت بناء المعبد على لوح جاء فيه ذكر النجوم النافعة وأحد الآلهة يُطلعه على رسم الهيكل. وقد كان لأغلب المدن السومرية والبابلية نماذج سماوية برجية؛ فمدينة سبار نموذجها السرطان، ونينوى نموذجها القوس. وقد أمر الملك سنحاريب ببناء مدينة نينوى حسب "الخطة المرسومة منذ الأزمنة السحيقة في هيئة السماء. والمثال لا يسبق التصميم الأرضي في الزمان وحسب، وإنما يوجد في إقليم مثالي (سماويّ) في الأزل أيضاً". (أنظر إلياد 1987: 24).

3. **مركزية المكان والمندالا:** لا يكتسب العالم الذي نحن فيه شرعية أخرى غير الشرعية التي ترتد إلى النموذج فوق الأرضي الذي جاء هذا العالم على مثاله. أي أن الإنسان يبني طبقاً لنموذج، ولا تقتصر النماذج السماوية على المدينة والمعبد وحسب، وإنما تشمل كل إقليم يسكنه وما فيه من أنهار تروي أراضيّه ومن حقول تمدّه بالغذاء.. إلخ. ويُرينا مخطط مدينة بابل المدينة

في وسط إقليم دائري واسع يُحيط به نهر "عامر" تماماً، كما تمثل السومريون الفردوس من قبل. (إلياد 1987: 28).

وتشكل رمزية المركز واحدة من أوجه فكرة العود الأبدي، التي تظهر من خلال الجبل أو المكان المقدس؛ حيث تتلاقى السماء والأرض والذي يوجد في مركز العالم. وهذا كان الاعتقاد في مدينة نقر التي كانت مركز العالم؛ حيث انفصلت السماء عن الأرض في منطقة (أوزموا) فيها، ولذلك تعتبر هذه المنطقة أشبه برباط الأرض والسماء أو (سرة الأرض) حيث خلق الإنسان لأول مرة في (أوزموا). ويرد اسم (دوكو) وهو (التل المقدس) عند السومريين ليشير إلى مجمع الآلهة (الأنونا) عنده، وربما أشار، حقيقة، إلى جبل حميرين.

4. **مركزيّة الزمان والساروس:** كانت طقوس الزواج المقدس في سومر مناسبة لإحياء ذكرى كوسموغونية، كانت تقوم بها الآلهة. ولذلك كانت استعادة هذه الذكرى في مهرجانات صاخبة، تمثل إحياء طقسياً لبداية الخلق الكوني والزواج الإلهي. وقد انسحبت هذه الفكرة تماماً على أعياد رأس السنة الجديدة عند السومريين فقد كان "المغزى الإجمالي لهذه الاحتفالات، ومغزى كل عنصر من العناصر المكونة لها واضحاً وضوحاً كافياً. وأثناء قطع الزمان الذي تشكله السنة، لا نشهد إيقافاً فعلياً لفترة زمنية معينة وبداية لفترة أخرى وحسب، وإنما نشهد أيضاً إبطاءً للسنة الماضية والزمن المنصرم. وهذا، من وجهة ثانية، هو معنى التطهيرات الطقسية: حرق، ومحو للخطايا والذنوب التي اقترفها الفرد والجماعة في مجموعها، لا مجرد تطهير. إن التجديد هنا معناه الولادة الجديدة". (إلياد 1987: 103)

لقد كان عيد الأكيو السومريّ عوداً دورياً أبدياً لبداية الخليقة، ولحظة شروع في بناء عالم جديد، وكانت طقوس غياب دوموزي أو نانا (القمر) أو دامو أو غيرهم من الآلهة، غياباً مؤقتاً مناسبة للطرد السنوي للخطايا والأمراض والعفاريات، التي سببت مثل هذا الغياب، وهي - في الأساس محاولة ولو مؤقتة - لإعادة إنشاء للزمن الميثي والبدئي والزمن النقي، زمن لحظة الخلق كل سنة جديدة، فهي عودة بالزمان إلى بدايته، أي هي تكرر لولادة الكون "وكذلك كان يحتفل بالعيد المسمى بد(عيد المصائر) (زكمك) في الإطار نفسه الذي كان يحتفل فيه بد(أكيو) في (عيد المصائر)، حيث كان يتم تعيين دلالات كل شهر من أشهر السنة الإثني عشر، وهذا يعني خلق الأشهر الإثني عشر المقبلة". (إلياد 1987: 107).

5. **دورات الصعود والهبوط ونشوء العرفان:** إن دورات الصعود والهبوط، التي كان يقع فيها بعض الآلهة السومريين مثل دوموزي ونكشزيديا ودامو.. إلخ، وهم يلقون في العالم الأسفل، ليعاودوا الخروج منه، شرط أن يعودوا إليه دورياً، يمكننا النظر إليها، أي إلى إيقاعات الهبوط والصعود هذه، وكأنها إيقاعات هبوط وصعود النفس البشرية إلى مدارجها. وهذا ما يوحى مباشرة بفكرة الباطن والظاهر والحنين المتناوب بينهما. إن هذه الفكرة في المثلولوجيا السومرية لا تختلف كثيراً عن فكرة الصعود إلى السماء والهبوط منها إلى الأرض، كما حصل مع (آدبا وإيتانا) كملكين ومع (دوموزي ونكشزيديا) كإلهين، حيث يجدهما آدبا عند بوابة السماء العليا في خدمة الإله آن. (أنظر أونكر 1953: 45 - 52).

الثابت هو وجود هذين الإلهين في العالم الأسفل وحركتهما الدورية منه إلى الأرض.. فما الذي رفعهما إلى السماء؟ وما الذي أعادهما إلى الأرض أو العالم الأسفل؟



الإلهان دوموزي (حامل عصا الراعي) و نكشزيديا (الذي
يظهر على كتفيه الثعبانان رمزا الطب) وهما يقودان الأمير
جوديا حامل السعفة

المبحث الثاني الأساطير والمثولوجيا السومرية

أولاً: شجرة الآلهة السومرية

تصنيف الآلهة حسب أجيالها (شجرة الآلهة السومرية): لم تتشكّل الآلهة السومرية دفعة واحدة، بل شكّلها زمن طويل يمتد إلى حوالي ما يقرب من الألفي عام. ولم تكن هذه الآلهة متساوية المقام ومنسجمة المراتب، بل نراها في شكلها النهائي مكونة من طبقات عدّة أو مقامات عدّة يمكن فرزها عنها من منظورات مختلفة. وقد حاولنا تنظيم شجرة آلهة سومرية شاملة لا نستطيع المرور على كل تفاصيلها في مؤلفنا هذا، ولكن يمكن الرجوع إلى كتابنا (متون سومر) الكتاب الأول (التاريخ، المثلوجيا، اللاهوت، الطقوس) الذي يتابع أدقّ تفاصيل هذه الحقول، ويرسم لوحة شاملة للآلهة السومرية. ويمكننا وضع هذه الخلاصة الميسرة لشجرة الأنساب السومرية. وتتكوّن الشجرة من مستويات عدّة، يضم كل مستوى مجموعة من الآلهة التي يربطها في الغالب نسب واحد، وأحياناً طبيعة واحدة، وهي كل ما يلي:

1 - آلهة الهيولى والخلقة الأولى (آلهة الجذور):

إنها الآلهة البدائية التي تشكّل منها الكون، وهي قديمة وأزلية في الوقت نفسه، لأن أجسادها تشكل الكون والعالم. والآلهة (نمو Nammu) هي أم الآلهة السومرية والآلهة الهيولية الأولى، والتي نتج عن حركتها تكوّن جبل الكون الأول (أن - كي AN - KI) الذي يتضمن السماء والأرض في حالة تلاصق أو اندماج.

2 - آلهة العناصر الأربعة:

وهي الآلهة التي كوّنت مادة العالم، ثم كوّنت الحياة. وتشمل آلهة المصائر الكبرى (آن، كي، إنليل، إنكي) وتقابل (السماء، الأرض، الهواء، الماء).

آلهة العناصر الأربعة
<http://blog.milliyet.com.tr/uzayli-atalarimiz-anunnakileri-taniyalim-enlil/Blog?BlogNo=497663>



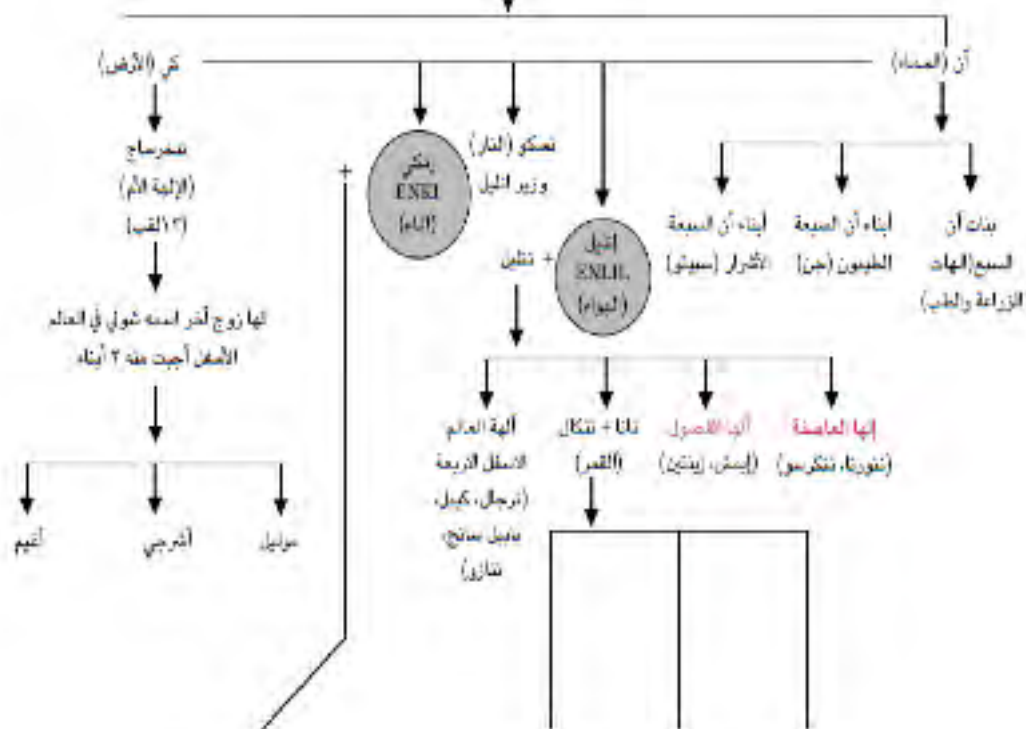
آن AN: هو إله السماء. ويظهر لنا في الأساطير السومرية على أنه الابن المباشر للإلهة (نمو) الذي تسلّم مقاليد الكون بعدها، وكأنه يذكرنا بالانقلاب الذكوري الذي حصل في الكالكوليت (الحجري المعدني) عندما انتزع الرجل مقاليد الحياة من المرأة التي سيطرت على الألوهية والحياة منذ اكتشاف الزراعة. والإله (آن) في العقيدة السومرية إله عالمي مسؤول عن البشر أجمعين وعن الأرض والسماء.

ولإله آن معبد رئيسي في أوروك اسمه (إي - أنا) أي (بيت السماء) وزوجته الآلهة (كي) التي هي الأرض. ومن تزوّجها أنجبا إنليل (إله الهواء) وإنكي (إله الماء) ونسكو (إله النار) ونخرساج (إلهة الأرض)؛ وهذه هي آلهة العناصر الأربعة. وله أيضاً سبع بنات مسؤولات عن الزراعة والشفاء هن (باو، ننسينا، كولا، ننكارك، جتومدو (مزب، ناناي، ننني نوجا) ولإله آن أبناء شياطين في العالم الأسفل، وأبناء ملائكة في السماء.

شجرة الآلهة السومرية

نمو (البحر الأول)

آن-كي (جهن الكون الأول)



إنليل ENLIL: وهو إله الهواء الذي أصبح الإله القومي السومري، والذي وضعت في صفاته كل أشكال القوة والسلطة والجبروت والحزم. وهناك ما يشير إلى أنه أخذ سلطات أبيه الكونية وفاز بها. ويظهر إنليل على رأس مجمع الانونا (الخمسين) الذي يضم أغلب الآلهة المسؤولين عن شؤون الأرض. ويُعدّ إنليل وشجرته الهوائية مصدرًا للموت والظلام والعالم الأسفل والهواء ووالد الكواكب المنيرة، إذ إن الصفات الأساسية لإنليل وشجرته تعكس مبادئ الحزم والقوة والموت. والإله إنليل أب لأربعة مجاميع من الآلهة هم (الفصول: إيميش (الصيف) وأنتين (الشتاء)، والعالم الأسفل وهم ميسلام تاي (نركال) وإيجييل (كيبيل) إله النار، وننازو إله الشجرة والطب، وبابيل سانج (إله البوابة). والمجموعة الثالثة هي العاصفة ممثلة بإلهيها نكرسو ونورتا. أما المجموعة الرابعة فتضم الإله الوريث له وهو الإله (نانا) إله القمر. وزوجة الإله إنليل هي الإلهة (سود) التي صار اسمها بعد زواجه منها (نليل).



إنكي وإنليل، إنليل يُمسك القوس

http://www.visioninconsciousness.org/Ancient_Civilizations_12.htm

http://www.enkispooks.com/Essays/10EnlilBanished4RapeAbgalBetraysEa_2.html

إنكي ENKI: وهو إله الماء وإله الحياة، وشجرته تحمل كل الآلهة التي تمثل مظاهر الحياة. ويوصف أيضاً بأنه إله الأرض لارتباط الماء بالأرض وإنجابهما للحياة. ومدينة الإله إنكي هي أريدو ومعبدته فيها يُسمّى معبد الغور (إي - إنغورا) ويسمّى أيضاً معبد الأعماق (إي - أيسو) وللإله إنكي وزير اسمه (أسيمو) أو (إيسمود)؛ وهو في حقيقته ابنه، وله علاقة بالمياه والزوارق والقصب، ويظهر دائماً برأس بشري وله وجهان. والإله إنكي هو الذي خلق الإنسان وأحبه وأعطاه نواميس الحكمة والآلهة، وبعث بكائه السمكي (أوانيس) ليعلمه فنون الحضارة والكتابة، وهو الذي أنقذ الإنسان من الطوفان. وتظهر للإله إنكي ثمانية مجاميع من الآلهة سنأتي على ذكرها جميعها، ترتبط بالحياة واستمرارها ولا أثر في سلالة للموت مطلقاً. بل إن أغلب الإلهات من نسله، صرن في ما بعد زوجات لآلهة النسل الإنليلي. وهذا أيضاً من صفات الحياة، لأنه مانح الأئوثة.

كي KI: وهي إلهة الأرض. وتبدو إلهة قديمة، ولكن شخصيتها تختلط بالإلهة نخرساج التي تسمى (ننكي) أي (سيدة الأرض). وربما كانت ننكس ابتها. وفي جميع الأحوال يمكننا القول إن الإلهة نخرساج هي رديفة كي، وهي بذلك زوجة الإله إنكي، ولها ألقاب عدّة هي (دامكال نونا أي زوجة الأميرة الكبيرة) و(نماخ أي السيدة الكبيرة) و(ننتو سيّدة الولادة) و(ما مي أو ماما وهي الأم) و(ماري وهي العذراء) و(كاتوم دو ك أي إلهة الأطفال) و(بيليتي أي إلهة النسل) و(أوراش أي الأرض) و(أوررو أي التي تُخرج الطفل من الرحم) و(دنكيرما أي الإلهة الأم) و(ننمينا أي سيّدة القبعات الإلهيّة). وحقيقة الأمر أن الإلهة نخرساج هي الإلهة السومريّة الأم وهي إلهة الإخصاب، أما (إنانا) فهي شابة لعوب تمارس الحب الطائش، وقد استحوذت في ما بعد على صفات نخرساج زوراً.

ثانياً: الرموز الدينيّة

يمكننا القول إجمالاً إن الرموز ظهرت في وادي الرافدين في وقت مبكر في حضارة سامراء (5000 - 4900 ق.م وربما في حضارة حسونة التي سبقتها، وكانت هذه الرموز في غالبيتها دينيّة الطابع، وقد تطوّرت في عصر الكالكوليت. أما في العصر السومريّ فقد ظهرت رموز الآلهة على نطاق واسع ومتطوّر. أما الرموز المجردة أو الذهنية أو التأملية للآلهة، فقد أخذت تنمو مع ازدياد مدركات الإنسان العقلية والروحيّة. وصارت فكرة الألوهية حاضرة بشكل دائم في الذهن القديم، فافترض الفكر السومريّ أن في كل إنسان روحاً الهيّة أو إلهاً شخصياً يعرّى شوّونه: "من دون إله لا يستطيع الإنسان أن يكسب عيشه، ولا الشاب يستطيع تحريك يده بطولته في القتال".

"عندما تخطط للمستقبل يكون إلهك إلهك"

وعندما لا تخطط للمستقبل لا يكون إلهك إلهك".

فللألوهية خلال هذين النصين عناية دائمة وفعل مستمر الوعي. ولكنها ليست إنسانيّة خاضعة لنزوات الفرد وضعفه، بل هي المثالية التي يحسّ بها الإنسان. (انظر الحوراني 1978: 154). وتطوّرت هذه الصورة المثالية بعد ذلك، إلا أن الألوهية أصبحت تعني التفوّق والحكمة داخل الإنسان. وهذا تطوّر ملحوظ ودقيق وعقلانيّ كان بإمكانه أن يؤدي إلى تطوّرات روحيّة وعقليّة مذهلة، لو أنه استمر، لكنّه اضمحل مع نهاية سومر وصعود الفهم الساميّ الصحراويّ المجرد للإله؛ حيث رمي الإله خارج الإنسان بعيداً إلى الأفاصي، وتحوّل الإنسان كائنّاً تافهاً. لقد كان الفهم السومريّ لإحساس الإنسان بالآلهة والألوهيّة عميقاً ونادراً. ولننظر كيف يخاطب أحد الطلبة السومريّين معلّمه معبّراً عن فضله عليه:

"أنت إله، وحيث إن الإله يصنع الإنسان، فأنت إلهي، لأنك صنعت فيّ الإنسان". (انظر 24: Van Dijk 1953).

أو نتأمّل هذه الرقبة على لسان أحد الكهنة بعد أن يعدّد آلام المريض ومصائبه:

"إلهه ترك جسده... إلهته تخلّت عنه". (انظر 30: Reiner 1958).

إن هذا التأمل والغوص داخل الذات الإنسانيّة لم يمنع السومريّ مطلقاً من تصور مقابل، ورفع الآلهة إلى أقصى ما في الكون. وقد كانت علامة (دنك ر) السومريّة الدالة على الإله تشير إلى مثل هذا التصرّف، لأنّها كانت تعني أيضاً السماء أو النجوم. وقد اعتبر السومريّون أن كلّ خاصية غير جسدية وغير مرئية أو محسوسة هي قوة لاهوتيّة. ومن علامة (دنكر) هذه نستطيع استشفاف فكرة التجريد اللاهوتيّ خلف كل تشخيص. إذ إنّها عندما كانت تُكتب منفردة كانت تعني الإله الأكبر المطلق. وهنا لا بد من الملاحظة أن اندماج فكرة الألوهيّة بالعلوّ والسماء في

الفكر القديم - حيث كانت إشارة ألوهية تعني العلو والسماء كذلك - هذا الاندماج ذو دلالة هامة على العلاقة المرهفة التي تربط الإنسان بالوجود الكونيّ البعيد، هذه العلاقة التي تعبّر عن ذاتها بالمشاعر اللاهوتية المشدودة دائماً نحو المطلق الكونيّ. (أنظر الحوراني 1987: 157).



رموز الآلهة مرسومة على حجر كودورو الذي يفصل بين حدود المدن السومرية
/http://www.mesopotamiangods.com/ninhursag

كان رمز إله السماء (آن): وهو الرمز المهم للآلهة والذي أصبح في ما بعد علامة دنكر (Ding-er) التي تشير إلى الآلهة بعامّة، وقد تطوّرت عن رمز الإله أن الذي يدلّ إلى ثماني جهات. وكان ذلك في حدود 3200 ق.م. ثم أحيطت أذرع الجهات بما يشكّل نجمة ثمانية تنبثق داخلها خطوط الجهات. وقد حافظت الكتابة المسمارية السومرية على شكل قريب من هذا. عندما خطّت بأربعة مسامير متقاطعة تشير إلى الجهات الثماني أيضاً. وقد كان العدد الرمزيّ للإله آن هو (60) وُكُتِبَ بعلامة مسمار واقف، وهذا رقم مقدّس عند السومريين لأنه يعبّر عن الكمال وقد سُمّيت الرياضيات السومرية بالرياضيات الستينية التي أصبحت أساس الرياضيات الفلكية والهندسية إلى يومنا هذا.

ثالثاً: أساطير الخليقة (التكوين)

Myths of Gensis

لا تسعفنا المدونات السومرية بأسطورة خاصة عن خلق الكون، ولكننا نعرف من مقدّمات القصائد والأساطير الأخرى أن الكون في نظر السومريين ظهر من الآلهة السومرية الأم الأولى (نمو Nammu) وهي إلهة هيويلية، تحرّكت فيها إرادة الخلق وتصارعت الحركة مع السكون، ونتج عن ذلك تكوّن الكون (آن - كي) الذي يعني (السماء - الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه (نمو).

وكان السومريون يسمّون الزمان الأول الذي بدأ فيه الخلق أوروبه (Uria) وهذا يعني أن ثلاثي الخلق الأول عند السومريين كان مكتملاً بعضه؛ حيث المادة الأولى (نمو) والزمان الأول (أوريا) والمكان الأول (آن - كي) ... وبهذا الثالث التكويني يتحرّك الوجود كله، وتصير استعادته الدائمة في الطقوس والشعائر الدينيّة محور هذه الطقوس.

إن (نمو) تمثّل العماء (كاؤس Chaos) أما (آن - كي) فيمثل الكون (كوسموس Cosmose) وزمن الانتقال من العماء إلى الكون هو الزمن الأول (أوريا).

وكانت أعياد رأس السنة السومرية تمثل محاولة لاستعادة الزمن الأول (أوريا)، ولذلك كانت هذه الأعياد تتضمن استعادة قصة الخليقة من جديد، بل وتتضمن ما يشير إلى الخروج من العماء إلى الكون، عن طريق عودة العالم إلى الفوضى ثم تدرجه إلى النظام. وكذلك كان بناء المعابد وتمثيلها بالجبال الكونية وإطلاق تسمية (صلة بين الأرض والسماء) عليها تعني استعادة خلق المكان الأول. وكانت الزقورات السومرية إحياء لهذا الجبل الكوني (آن - كي) وقد كان السومريون ينظرون إليها على أنها مركز العالم وسرة الكون. إن مصطلح (دور - آن - كي) الذي كان يشير إلى زقورات نقر ولارسا وأور وغيرها، كان يمثل هذا التوجه تماماً. وكانت المعابد تبنى في الغالب قرب أو فوق المياه تمثلاً للحظة الخليقة الأولى واستعادة لها. (أنظر الياد 1988: 37).

1. خلق الآلهة (ثيوغونيا Theogony)

عالجنا في كتابنا (متون سومر) التصنيفات التي درج عليها الكتاب والمؤلفون في هذا الحقل، وتبيننا نقص وضعف هذه التصنيفات، واقترحنا بديلاً عنها وضع شجرة أنساب للآلهة السومرية. وقد ازدادت معلوماتنا عن الكثير من هذه الآلهة، فقررنا وضع شجرة أوسع عن هذه الآلهة في هذا الكتاب وبتنظيم أكثر دقة. وفي ندرس هذه الشجرة بدقة، لا بد أن نعرض خطوطها العامة أولاً، ثم نتناول تفصيلاً كل جزءٍ منها. أما أهم أساطيرها فهي:

1. أسطورة إنليل (قصيدتان في مكانته).
2. أسطورة إنليل ونليل ونزولهما إلى العالم الأسفل (الزواج غير الشرعي).
3. أسطورة إنليل ونليل (الزواج الشرعي).
4. أسطورة إنكي وننخرساج في دلمون وولادة الآلهة (الشواف 1996: 26).

2. خلق الكون (كوزموغونيا Cosmogony)

ليس هناك أسطورة سومرية جامعة شاملة تتحدث عن خلق الكون والآلهة والإنسان، كما هو الحال مع أسطورة الخليقة البابلية (إنوما إيش). وربما ستظهر لنا الحفريات المستقبلية مثل هذه الأسطورة. لكننا يمكن أن نضع الخطوط العامة لأفكار مثل هذه الأسطورة، مستعينين بالكثير من الأساطير الأخرى ومقدمات القصائد والتراتيل والقطع الأدبية والدينية.

المراحل الكوزمولوجية:

الزمان المقدس: تسمى الأساطير السومرية أول أيام الخليقة باسم (أوريا Uria)، ففي ذلك اليوم بدأ الانتقال من العماء الكوني (كاوس Chaos) إلى الكون (كوزموس Cosmose) وهي المرحلة الأولى من خلق الكون (كوزموغونيا Cosmogony). والزمان المقدس هو زمان أسطوري يقع خارج التاريخ، وتحديدًا قبل التاريخ، أي قبل بدء الزمن بالتراتب المتتالي، إنه زمان واقف أصيل أزلي يسبق كل ما حصل. وهو على هذه الشاكلة، لأنه زمان الآلهة وليس زمان البشر. فالتاريخ هو زمان البشر، أما الأسطورة والزمان المقدس فهما زمان الآلهة. ولذلك فإن خلق الكون حصل في مثل هذا الزمان المقدس.

ومن الميزات الأساسية للزمان المقدس، أنه يحتوي على النماذج البدئية الموجبة (Positive Archetypes). وهي الأنوية الصغيرة التي سيبنى التاريخ (البشري) على أساسها. وهذه النماذج البدئية الزمنية الموجبة كامنة في الجوهر العمائي الأول الذي يسبق الخلق. وستعمل الطقوس (كل الطقوس) على محاولة استعادة دورية لهذا الزمان المقدس، لتوشيح الزمان التاريخي والفكاك من أسره. فكل طقس ديني وكل عيد ديني هو محاولة لاستعادة

الزمان المقدّس (الأسطوريّ) للتمتّع بزمن البدايات، بعيداً عن الزمن التاريخيّ الخالي من القداسة.

تسمّى الأساطير السومريّة أول أيام الخليقة (أوريا Uria) ففي ذلك اليوم بدأ الانتقال من مرحلة العماء (Chaos) إلى مرحلة الكون (Cosmos). وقد تمّ ذلك من خلال الأثنى الكونيّة المائيّة الأولى نمو Nammu وهي إلهة هيلولية تحرّكت فيها إرادة الخلق، وتصارعت الحركة مع السكون، ونتج عن ذلك تكوّن الكون (آن - كي) ويعني (السماء - الأرض) وهو جبل كونيّ يعوم وسط مياه نمو، وبذلك تكون أيضاً (المكان الأول).

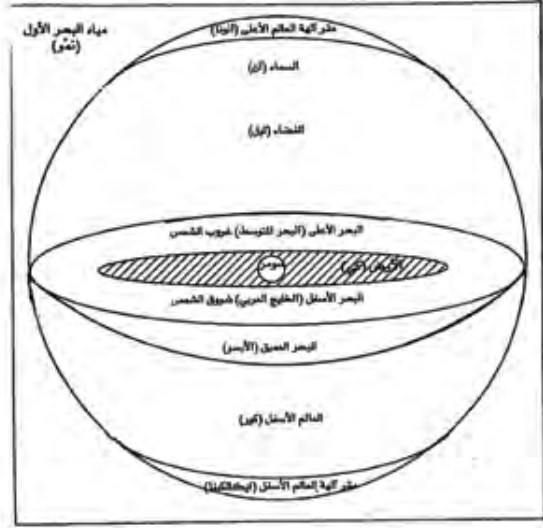
إنّ الزمان المقدّس "هو زمان ميّطيقيّ بدئيّ لا يوجد مع ماضٍ تاريخيّ زمان أصليّ، بمعنى أنه انبثق عن الكوزموغونيا السومريّة، أصبح الزمان التالي لكل الأزمنة الأخرى وأحيط بالقداسة، بل أصبح هو جزءاً من (المقدّس)، وبذلك كانت تتمّ استعادته سنويّاً مع أعياد رأس السنة السومريّة، فأيام الأعياد هذه أيام مقدّسة تقطع مسرى الأيام الدنيويّة العادية لبقية العام. بعبارة أخرى "يكون في العيد استرجاع لأول ظهور من الزمان المقدّس كما حصل في الأصل" في ذلك الزمان "ذلك لأنه الزمان المقدّس الذي يجري إحياء ذكره في العيد". (إلياد 1987: 68). أما المكان الأول (آن - كي) فكان يضمّ الأرض والسماء في حالة اندماج واتصال. وتصفّ الأدبيّات الرافدينيّة هذا الجبل بأن نهايته في السماء وقاعدته المحيطة به هي الأرض، وأن الآلهة تجتمع على قمّته.

المكان المقدّس: لا بدّ أن يكون الزمان المقدّس قد شرع في مكان مقدّس هو الآخر. وهذا المكان المقدّس هو مكان كونيّ بدئيّ لا يقع، أيضاً، خارج أو قبل المكان الكونيّ أو الأرضيّ المألوف الذي نعيش فيه، كما هو الحال في الزمان المقدّس، بل يقع في مركز الكون تحديداً. وربما يكون الزمان المقدّس واقعاً أيضاً في مركز الزمان. فهو زمن البداية وزمن النهاية. وهكذا يكون المكان المقدّس هو مركز الكون. ومن هذا المركز الذي هو أشبه بالسرّة، يولد الكون. فالكون يولد من نقطة مركزيّة باتجاه الأطراف والمحيط، حيث جرى "بطريق تجلّي القداسة انقسام المستويات، وحدثت في الوقت ذاته (فتحة من الأعلى (العالم الإلهيّ) أو من الأدنى (المناطق الدنيا، عالم الأموات). وقد غدت المستويات الكونيّة الثلاثة (الأرض والسماء والمناطق الدنيا متواصلة. وقد رأينا قبل قليل أن عموداً كونيّاً هو الذي يُعرب في بعض الأحيان عن التواصل، فهو في آن واحد يصل ويدعم (السماء) والأرض، وإن قاعدته لراسخة في العالم الأدنى (وهذا الذي يُسمّى جحيماً) ومثل هذا العمود الكونيّ لا يمكن أن يرتكز إلا في مركز (الكون) ذاته، لأن جملة العالم المأهول تمّتدّ من حوله". (إلياد 1988: 49).

وهكذا تكمن العناصر البدئيّة الموجبة المكانية (أركيتايب Archytype) في هذا المكان المقدّس الذي هو (مركز الكون) و(جبل الكون) و(عمود الكون) و(سرّة الكون). ومن هذا المكان تنتشر شحنت الآلهة وقواها عمودياً (بين السماء والأرض والعالم الأسفل) وأفقيّاً (خلال طبقات الكون النوريّة والهوائيّة والمائيّة والأرضيّة والظلاميّة). هذا المكان المقدّس هو كثافة مكانيّة لكل أقسام الكون وعناصره، قبل أن تتميّز بعده بقليل.

أما المكان الذي ينشئه الإنسان كي يتذكّر به ذلك المكان المقدّس، فهو (المعبد) الذي هو مكان طقسّيّ مكثّف يمثل المكان المقدّس. وقد تكون (المدينة المقدّسة) كلها رامية لهذا المكان. وقد يكون هناك عموداً أو جبل يمثل هذا المكان المقدّس "إذا كان المعبد صورة عالم، فمرّد ذلك أن (العالم مقدّس لأنه من عمل الآلهة، ولكن بنية المعبد الكونيّة تسوق إلى تقدير جديد للقيمة الدنيويّة. إن المعبد، هو مكان مقدّس ممتاز، بيت الآلهة. يقدّس من جديد تقديساً

متصلاً (العالم) لأنه يمثله ويحتويه في آن واحد. وبفضل (المعبد) تعود القداسة، آخر الأمر، إلى العالم بجملته. ومهما بلغت درجة الدنس في العالم، فإن قداسة المعابد الحرام تطهره تطهيراً مستمراً". (إلياد 1988: 63).



صورة الكون عند السومريين

إن هذا التصور المثلولوجي للكون، يضع الأرض في المركز، ويتصورها مثل قرص مسطح (فيه استدارة) يطفو على المياه والسماء في عالم مضاء (الشمس نهاراً، والقمر والكواكب ليلاً) والعالم السفلي هو مسكن الشياطين والموتى، رغم أن آلهة تسيطر عليه. أما الأرض التي يسكنها البشر، فتعدّ فصلاً بين عالمين متناقضين؛ الأول علويّ إلهيّ مضاء، والثاني سفليّ مظلم شيطانيّ. وهي على هذا الأساس تحولّ دون اختلاطهما. ثم إن العالم الأرضيّ يحتوي أساساً على كائن إلهيّ شيطانيّ مزدوج هو الإنسان، جسده سفليّ خلُق من طين عميق صلصاليّ ودم شيطانيّ، وروحه الهية جاءت من نفخة أو كلمة الإله الخالق (إنكي).

وحقيقة الأمر أن هذا التصور المثلولوجي للكون، كان هو المصدر الأول لكل التصورات الكوزمولوجية التي تلتها، بل إن التصورات العلمية الأولى التي بدأت في بابل واليونان حول الفلك والكون، كانت لا تتعدّ إلا بعض التفاصيل عن هذا النموذج السومريّ للكوزمولوجيا. وسنرى في المبحث المقبل، كيف أن هذا النموذج بشكله هذا كان يحمل في أعماقه إيقاعاً فيزيائياً وبيولوجياً عميقاً إذا ما درسنا جيداً الآلهة وشجرتها الكبيرة.

ثالثاً: أنثروبوغونيا (خلق الإنسان)

Anthropogony

حفل التراث المثلولوجي السومريّ بأساطير أو أفكار ميثوبية عدة عن كيفية خلق الإنسان. وإذا كان الكثير من الباحثين قد توقفوا عند أسطورة واحدة أو أسطورتين، فإننا سنبين سعة التصورات الأنثروبوغونية السومريّة.

هناك خمس أنثروبوغونيات سومريّة، توضح خلق الإنسان، وكل منها يرجع الإنسان إلى أصل وتكوين مختلف. وهذه الأصول هي (الأصل الطينيّ المائيّ، الأصل النباتيّ، الأصل الحيوانيّ، الأصل

الإلهي، الأصل اللوغوسي).

1 - الأثر بوغونيا الطينية المائية (إنكي ونم ونماخ وطين الأيسو)



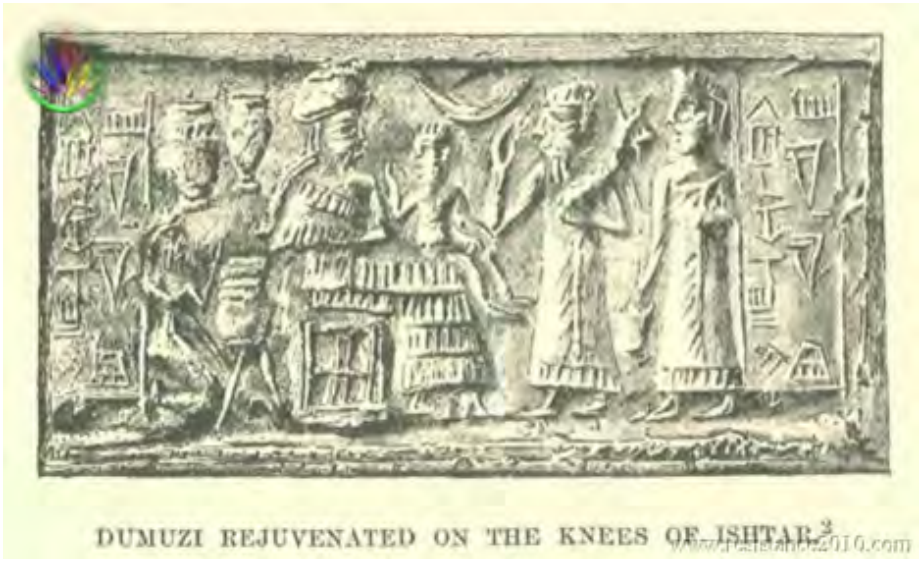
الآلهة وهم يعملون ويكدحون ويفكرون ويخلق الإنسان الذي يعمل عوضاً عنهم (ليل)

<http://enenuru.proboards.com/thread/40/revisions-on-sisig>

تشير هذه الأسطورة (وهي الأكثر شهرة) إلى أنه بعد أن تمّ خلق الكون والآلهة، توجّب على الآلهة العمل وتزويد أنفسهم بالطعام والشراب، فقد وصل الآلهة الصغار العاملون إلى مرحلة الإجهاد والشقاء، فذهبوا ليشتقوا إلى لإله إنكي الذي كان نائماً في أعماق المياه، ولكنهم لم يدخلوا إليه، غير أن الآلهة (نمو) وهي الآلهة السومرية الأم الأولى التي ولدت كل الآلهة، أخبرت ولدها إنكي بشكوى الآلهة.

توضح لنا هذه الأسطورة قدرة الإله إنكي على صنع الإنسان العادي المعافي، من دون أن تبين طريقة صنعه، ثم كيف أن نماخ صنعت ستة أنواع من البشر العاجزين. واستطاع إنكي تعيين وظائف لهم وشفاء بعضهم.. لكن نماخ فشلت في مساعدة مخلوق إنكي الذي تعمد جعله عاجزاً. ومن جانب آخر توحى لنا هذه الأسطورة أن الإنسان الأول كان مريضاً مشوباً بالكثير من الأخطاء الجسدية والعاهات، التي لولا إنكي لما استطاع هذا الإنسان أن يشق طريقه في الحياة. كما أنها توضح، إلى حد ما، أن الإنسان صنع من قبل إنكي، ولكنه ولد من قبل إلهة، وساعدت على ولادته سبع إلهات ولادة.

وهذا إشارة مفيدة جداً، لأن الإنسان يُعتبر في هذه الأسطورة ابناً للإله أو الآلهة، ولكنه ابن ضعيف عاجز محكوم عليه بالموت.. كما أن واجبه هو خدمة الآلهة وتنفيذ أوامره وليس العيش معهم ومشاركته صفاتهم.



2 - الأنتروبوغونيا النباتية (حشيش إنليل)

في هذه الأسطورة نلمح منحىً مختلفاً عن الأسطورة السابقة؛ حيث يقوم الإله إنليل بوضع بدايات البشرية (أي بذورها) في شقوق الأرض. وبعدها بدأ البشر يظهرون من هذه الشقوق مثل الحشيش.

إن فكرة هذه الأسطورة السومرية، التي ترجع الخلق البشري إلى الإله إنليل وليس إنكي، لا تتفق مع ما قررنا من وظائف إنليل وإنكي. ولذلك نرى أنها ترجع إلى أصل بعيد، لم تكن فيه العقيدة الدينية والمثولوجيا قد وضعت على أسس سومرية دقيقة. وحقيقة الأمر أنها تعود إلى مكان بعيد وزمان بعيد، أي إلى حوالي 5000 ق.م. عندما كان أجداد السومريين في القسم الشمالي من وادي الرافدين وفي مناطق سامراء والمحيطية بها مثل تل الصوران، حيث كان الإنسان العراقي القديم يمارس الزراعة الدائمة معتمداً على الأمطار، وكان ظهور النباتات كالحشائش منظرًا دائماً. وفي هذه المرحلة ظهرت بدايات الإله الذكر متمثلاً بالهواء، وهو ما يقابل الإله (إنليل) الذي يحرك الهواء ويتحكم به.

3 - الأنتروبوغونيا الحيوانية (على جبل الكون قبل ظهور النعجة)

تصف هذه الأسطورة، التي غالباً ما تسمى أسطورة (أشنان)، ظهور الآلهة العظام المبكر على جبل السماء والأرض (الكون)؛ حيث لم يخلق بعد أي شيء لا الآلهة الصغيرة، ولا الحيوانات كالنعجة والعنزة، ولا الحبوب كالشعير. ولم يكن في ذلك الزمن الأول يعرف الإنسان شيئاً. ويبدو لنا أنه خلق على تل الكون المقدس (آن - كي) أي قبل أن تنفصل السماء عن الأرض، أي، بلغة أخرى، قبل ظهور الإله. وأنه قد ظهر مثل الكون من الهيولى الأولى المائية، ولكنه ظهر كحيوان يمشي على يديه ورجليه.

4 - الأنتروبوغونيا الإلهية (أسطورة الآلهة ملكا)

تعدّ هذه الأسطورة من أكثر الأساطير التي شاعت في تراث العالم القديم، فهي تنفرد بتقديم فكرتها التي تؤكد أن الإنسان مخلوق من دم الإلهة المذبوحة (ملكا) وهي إلهة العمل. وسنجد صداها في أساطير بابلية مماثلة. وتُعرّف هذه الأسطورة في مجال الدراسات المسماة بـ (kar4 - mythos).

5 - الأثر بوغونيا اللوغوسية (أسطورة الاسم)

كانت (الكلمة مصدر خلق عند السومريين. وكان إطلاق كلمة الخلق بمثابة الخلق نفسه. ومن أبرز صفات الكلمة إطلاق الاسم على الأشياء. وكان ذلك يعني أن إطلاق الاسم على الشيء أو تسميته يعني خلقاً له وظهوراً له. وقد خلق الكون بتسمية السماء ثم الأرض. وخلق الإنسان بعد أن تعين اسمه. وتم تقسيم العمل بالكلمة الأمر الناطقة.

رابعاً: أساطير العمران

MYTHS OF ORGANIZATION

ينضوي تحت هذا النوع من الأساطير ما يخص العمل والفصول وتوزيع وظائف الماشية والحبوب ورحلة القمر إلى نقر، حيث مكان أبيه.

في أسطورة الفأس يُهدي الإله (إنليل) الفأس للشعب السومري هدية ليعلموا بها ويصلحوا أرضهم ويبنوا مدنهم.

”الفأس والسلة تبني المدن

الدار الثابتة الأركان بنتها الفأس

الدار الثابتة الأركان أنشائها الفأس“. (كرمر 1971: 82).

وفي أسطورة الصيف الشتاء خلق إنليل (إيميش) ليرعى الصيف و(إنتين) ليرعى الشتاء وصار إيميش يسمي الآلهة وإنتين فلاح الآلهة، لكنهما تنافسا وحصل بينهما خلاف فاحتكما إلى الإله إنليل الذي فضل الفلاحة والشتاء على الرعي والصيف.

وفي أسطورة مشابهة يخلق إنليل (لاهار) النعجة ويخلق (أشنان) الغلة والحبوب ليخدم حاجات الآلهة، لكنهما يتنافسان ويحتكما إلى إنليل، فينحاز إلى أشنان إلهة الحبوب على لاهار إلهة النعجة.

وينظر لهاتين الأسطورتين على أنهما من أدب المناظرات السومري (أدمندوكا)، حيث يتضمّن حوارهما مفاخرة وتفاضلا بينهما.

وفي أسطورة رحلة الإله نانا (القمر) إلى نقر يظهر الإله القمر وهو يستعد لزيارة أبيه الإله إنليل في مدينة (نفر) فيحمل في مركبه الهلالي الشكل أصناف الأشجار والنباتات والحيوانات، ويتوقف خلال هذه الرحلة في خمس مدن يقوم فيها الإله الحارس لكل مدينة باستقباله والترحاب به حتى يصل إلى مدينة نقر فيفتح له بواب إنليل بيت إنليل ثم يلتقي بأبيه ويطلب من أن يعطيه في النهر المياه وفي الحقل القمح وفي الأهوار العشب والقصب وفي بستان النخيل ومزرعة العنب والعسل والشراب وفي القصر العمر المديد فيقوم الأب بإعطائه ما أراد الإله القمر إلى مدينته (أور).

ب - أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله (إنكي)

الأسطورتان الأساسيتان في هذا الحقل هما أسطورة تنظيم سومر وتعيين الإلهة فيها وأسطورة ترتيب أريدو.

في أسطورة تنظيم سومر يقوم الإله (إنكي) بإظهار قدرته على إخصاب الأرض والنباتات والحيوانات في الطبيعة، وعندما يصل إنكي إلى سومر يقرر مصيرها كما يلي:

”يا سومر: أيها البلد العظيم، يا أعظم بلد في العالم. لقد غمرتك الأضواء المستديمة والناس من مشرق الشمس إلى مغربها هم طوع شرائعك المقدسة

إن شرائعك سامية لا يمكن إدراكها

وقلبك عميق لا يمكن سبر أغواره

إن... كالسماء لا يمكن بلوغها

الملك الذي تلده يزين نفسه بالحلي الدائمة

الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس

ربك هو رب معظم مع (أن) يجلس في المكان المقدس في السماء

الملك هو الجبل العظيم هو الأب (إنليل). (كريم 1971: 101).

بعدها ينظم إنكي مدينة (أور) التي كانت عاصمة سومر في مراحلها الأخيرة ثم يقوم الإله إنكي بتنظيم وتقرير مصائر مجموعة كبيرة من البلدان والمواقع والأشياء، فيبارك ملوخا ويعين الإله (أنيلولو) لنهري دجلة والفرات ويملاهما بالاسماك ويعين الإله (سيرار) حامياً لمياه الخليج العربي والإله (إشكور) حامياً للقلب الفضي في السماء ويعين الإله انكيمدو مسؤولاً عن المحراث والحقل والخضار ويعين الإلهة (أشنان) مسؤولة عن الغلة والحبوب ويعين (الإله) (كبتا) مسؤولاً عن الفأس وقالب الآجر ويعين أدوات البناء (كوكن) ويعين الإله (مشدما) بناء الإله إنليل مسؤولاً عنها ويعين (سموكان) ملك الجبل مسؤولاً عن نباتات وحيوانات السهول. ويُعين (دوموزي) مسؤولاً عن الإسطبلات وزرائب الماشية... إلخ.

أما الأسطورة الثانية فهي رحلة إنكي من أريدو إلى نفر وتسمى (ترتيلة أريدو) التي تبدأ بمديح الإله إنكي، وكيف أنه بنى بيته من الفضة وجرّ اللازورد في مدينته (أريدو) وحلاوة الذهب، ولكنه يحتاج بعد ذلك إلى مباركة الإله الأعظم إله سومر (إنليل) الموجود في نفر، ولذلك يهين قاربه للسفر ويخرج هو من مياه الأبسو التي فيها مقره المسمى بيت الغور (اي - أنغورا).

وتصف الأسطورة هذا البيت المبني على ساحل مدينة أريدو بالكثير من الجمال والروعة:

”لا يقوى أحد على متراكم

قفلك أسد مربع

عواميد سقفك ثور من السماء! تزبًا بشكل وقاد

ستائرک من اللازورد حلين للعواميد

... ثور متوحش رافع قرنيه

مدخلك أسد يعترض الناس

كساء بابك أسد مسلط على الناس“. (فالكشتاين 1951: 951).

ثم يصل الإله (إنكي) إلى نفر ويجد (إنليل) وقد أقام حفلاً فخماً له بمناسبة بناء بيته ووصوله إلى نفر ودعا إليه الآلهة العظام ويشرب الآلهة نخب إنكي وبيته ثم يقوم إنليل بإطراء إنكي. وقد قام البروفسور أ. فالكشتاين بتحليل هذه الأسطورة ورموزها وما تحتويه من مضامين (انظر فالكشتاين 1951: 187 - 191).

2. إنانا ودوموزي

شغلت أساطير إنانا ودوموزي العالم القديم بأكمله، وكانت نواة لكل أساطير الحب والجمال عند الأمم الأخرى. وكان للعلاقة الخاصة بين إنانا ودوموزي في وجهتها المفرح والمحسن، الأثر الكبير في شيوع قصص الحب التراجيدي والداعر عند أشهر عشاق التاريخ في العالم القديم. بل إننا لنظن أن الطقوس التي رافقت أسطورة إنانا ودوموزي كانت في وجهها الفرح والنشوان

أصلاً لفن الدراما الكوميديّة، وفي وجهها المحزن والكارثي أصلاً لفن الدراما التراجيدية. وهو ما حصل في اليونان استمراراً لتقاليد الحب الداعر والدامي التي بدأت في سومر مع إنانا ودوموزي، والتي كانت مستمرة منذ النيوليت والكالكوليت؛ حيث تظهر أختام عثر عليها في تبه كورا بعض مظاهر الزواج المقدّس.



دوموزي الذي يرتدي تنورة مشبكة يُطعم الأغنام، ورمز إنانا (القصبّة المعقوفة) تحيط المكان دلالة على وجود دوموزي في المعبد/ حوالي 3200 - 300 ق.م. نقش على ختم أسطواني من المرمر.

<http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm>

بعض طقوس الزواج المقدّس في الألف الرابعة قبل الميلاد تبه كورا، ولعلنا نمسك سرّاً، ونحن نعثر على الجواهر الخفيّ الذي دعا إنانا لتوريط دوموزي في الذهاب إلى العالم الأسفل، بل ولدفعه إلى مصيره المحتوم كما تقول الأسطورة، وذلك إن تفحصنا شجرة الآلهة السومريّة، دعانا إلى التوقف عند حالة نادرة وحيدة، وهي زواج إله ذكر من سلالة إنكي (هو دوموزي من إلهة أنثى من سلالة إنليل (وهو ما ناقشناه سابقاً). في حين أن القاعدة هي زواج بنات إنكي من ذكور إنليل سواء كانوا أبناءه أم أحفاده... لأن سلالة إنليل كانت بصفة عامة ذات نزعة ذكوريّة، ولا بدّ للذكور فيها من الزواج من إناث أغلبهنّ من سلالة إنكي. أما زواج إنانا الإنليليّة النسب من دوموزي ابن إنكي فحالة وحيدة... كان لا بدّ لها أن تنتهي بمصير مريبك. وقد تحقق ذلك عندما قادت إنانا دوموزي إلى العالم الأسفل. وبسبب من جرمه العظيم ومن طبيعة دوموزي التي تشوب ألوهيتها صفات بشريّة، لم يستطع هذا الإله التحرر من العالم الأسفل، أو أنه تحرّر لمدة بسيطة، ليعيد إيقاعاً دورياً في الهبوط والصعود إلى العالم الأسفل. تنقسم أساطير إنانا ودوموزي إلى قسمين رئيسيين؛ الأول مفرح ونشوان، يعالج قصة الحب بينهما زواجهما المقدّس، والثاني حزين وتراجيدي، يعالج قصة موت دوموزي ونزوله إلى العالم الأسفل.

أفردنا هذه الفقرة لنتحدّث تفصيلاً عن أقدم أساطير الحب والجنس والعذاب بين إنانا ودوموزي. فعلاقتها به ليست كعلاقتها مع بقية الآلهة. ويمكن أن يكون المنحى المفرح والتراجيدي لعلاقة هذين العاشقين أساس أغلب قصص وأساطير الحب عند جميع الأمم القديمة، وحتى تلك الثنائيات الغرامية الشهيرة في التاريخ (قيس وليلى)، (روميو وجولييت)، (إيزيس وأوزيريس)، (أنطونيو وكيلوباترا)... إلخ.. لأننا نلمح وجهاً من تلك الوجوه الخالدة

التي جسدها أسطورة إنانا ودوموزي. ولا شك في أن أفضل من ناقش وحلل وجسّد هذه العلاقة عالم السومريّات الكبير صموئيل نوح كريمر، خصوصاً في كتابه (إنانا ودوموزي: طقوس الجنس المقدّس عند السومريّين) والذي قام بترجمته إلى العربيّة نهاد خياطة.

ويمكننا القول إن أساطير وقصائد دوموزي وإنانا جسّدت المفهوم الشعبي للأساطير. فقد كانت هذه الأساطير هي الأكثر انتشاراً بين الناس، ثم إنها قدّمت للطقوس والأعياد مادة هائلة. تبدأ السنة السومريّة في 21 آذار من كل عام؛ حيث تبدأ بعيد الزغمك الأول وهو عيد البذار والفرح والريبع. وتستحضر في هذا العيد كافة قصائد وأساطير دوموزي وإنانا وعشقهما وزواجهما المقدّس. ويُعاد تتويج الملك السومريّ عادة في هذا العيد، بزواجه المقدّس من الكاهنة العليا التي تمثل إنانا. أما هو فيأخذ شخص دوموزي. أما عيد الزغمك الثاني فيجري في نهاية شهر تموز، وهو عيد الحصاد، وترافقه مرثي البكاء على دوموزي والنواح على موته. وتُستحضر كل المرثي الخاصة بذلك، بما فيها مرثي إنانا حوله.

ولعل العيد الأول كان يمثّل الاحتفالات الكوميديّة. أما العيد الثاني فقد كان يمثّل الاحتفالات التراجيديّة؛ ولا نستبعد أن يكون مصدر الكوميديا والتراجيديا عند اليونان قد أخذ من هذه الاحتفالات التي استبدلت شخصية دوموزي بشخصية الإله (ديونيسوس) أو (باخوس). وقد حاولنا أن نقدّم في هذه المعالجة المثلولوجيّة تصنيفاً معقولاً لأساطير وقصائد إنانا ودوموزي، فاتبعنا المنهج السابق، أي تقسيمها إلى نوعين: الأول كوميدي مفرح يعالج أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودوموزي، ويصلح لأن يكون أساطير إنانا خلال العمران؛ حيث تنشر الحبّ والجنس بين الناس. والثاني تراجيدي بكائي يعالج الأساطير والقصائد بينهما، بعد أن حُكم على دوموزي بالموت، الذي هو مؤثر الخراب وأساطيره، لأنه يشير إلى الخراب المقبل. ووجدنا (حسب تصنيفنا) هذا أن كلّ قسم له سبعة عناوين أساسيّة تدرج تحتها القصائد والأساطير.

خامساً: أساطير الخراب

أساطير تدمير الكون

(MYTHS OF DESTRUCTION (DEORGANIZATION

لا نمتلك أسطورة صريحة بالصراع المباشر بين الإلهيّين (إنكي) و(إنليل)، لكننا على ثقة تامة أن هناك مثل هذه الأساطير، والتي ربما لم يدوّن بعضها، لأن زمن ظهورها هو في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد على امتداد ثقافة العبيد بشكل خاص. وهي من وجهة نظرنا أقدم الأساطير الخاصة بصراع الأخوين في ما عُرف بصراع الراعي والفلاح، والذي تجسّد في أسطورة لاحقة بين دوموزي الراعي وإنكيمدو الفلاح. ويمكننا العثور على أساطير أخرى من هذا النوع، شكلت مصادر الأسطورة العبرية المتأخّرة عن قابيل وهابيل.

العالم الأسفل مكان معروف في الدّين السومريّ، وهو العالم الذي يحتوي على أرواح الموتى، على شكل الجسد الذي كانت عليه، إلا أنها مريّشة تشبه الطيور. وتقضي هذه (الطيور الروحيّة) أغلب وقتها في التراب تأكله ولا تتنفس سوى الغبار. إلا أن هناك مرادفات أو أماكن شبيهة بالعالم الأسفل مثل (كور) الذي وصفناه في مكان آخر، وجبل إيخ (Ebich) الذي يبدو وكأنه جبل عدو أو شيرير.

أساطير ومرائي دوموزي

بعد أن هبطت إنانا إلى العالم الأسفل للاستيلاء عليه وعوقبت بالموت ثم أعيدت للحياة كان شرط ملكة العالم السفلي كي تعود إنانا إلى العالم الأعلى أن تجيء ببديل عنها فأختارت دوموزي بديلاً، لأنه لم يتأثر بما حصل لها وهي في العالم الأسفل. وتصف القصيدة كيف رأت إنانا دوموزي وهو يجلس على العرش العظيم مرتدياً ملابس الزاهية، حيث أمرت شياطين (الكالا) المرافقين لها بالقبض عليه بديلاً عنها، وحينما طلب دوموزي من (أوتو) أن يحول ذراعيه إلى ذراعي أفعى وقدميه إلى قدمي أفعى (أي أن يصبح كالحيّة لا يُمسك به) فيتحقق له ذلك ويهرب باتجاه بيت أخيه كشتن أنا.

وقبل أن يصل دوموزي إلى بيت أخته كان يرثي نفسه بسبب تعرّضه لهذا المصير ثم من شدّة تبعه نام وحلم حلماً مفزعاً، فقد رأى الأسل ينمو حوله بغزارة وراء قصبة ثنائية المنبت اختفى فرعها الأول، ثم الثاني ورأى الماء أهرق فوق موقده المقدّس. ورأى مخضته تتمزّق وكأس شرابه يهوي وعصاه تختفي والنسر يخطف حملاً وعنزاته تجرّ لحاها اللازوردية على التراب ورأى حظيرة غنمه تصفر فيها الرياح.

ولما أفاق دوموزي من حلمه قصّ حلمه هذا على أخته، ففسّرت له كل مشهد بدقة، وكان مجمل حلمه يقول بأنه سيموت.

بعدها يقوم دوموزي وأخته وصديقه بالصعود إلى التل والنظر إلى الطريق، وإذا بهم يرون شياطين الكالا قادمين ويحملون خشبة لتقييد الرقبة فتتصحّه أخته بالاختباء وتعدّه مع صديقه بأن لا يخبرا الكالا عنه. وحين وصل هؤلاء أغروا أخته ثم عدّبوها لكنها لم تخبر عن مكانه لكن صديقه أغري بالحبوب كهدية، فأهدى الشياطين إليه فقبضوا على دوموزي الذي كان يصرخ (شقيقتي أنقذت حياتي... صديقي سبب موتي) وتذكّرنا هذه القصة بخيانة يهوذا للمسيح.

وحين أحاط الكالا به وضربوه رفع دوموزي يده إلى (أوتو) ليحوّله إلى غزال فاستجاب له أوتو وهرب إلى بيت العجوز (بيللي)، فالتجأ إليها وصبّت له الماء ليشرب والطحين ليأكل ثم غادرت العجوز البيت (ويبدو أنها أهدت شياطين الكالا لمكانه). ويذكّر هذا المقطع بالعشاء الأخير للسيد المسيح كما سنرى. وحين هجم عليه الكالا هرب منهم إلى حظيرة أخته فلحقوه هناك. وحين رأتهم كشتن أنا بكت وخمشت عينيها وفمها وفخذيها بينما كان الكالا يستلقون سياج القصب وجدوا دوموزي وضربوه وحطّموا حظيرته بما فيها وخلعوا عن جسده رداء ال (مي) وهو رداء النواميس الإلهية المقدّسة وخلعوا تاجه المقدّس (لنتذكر المسيح) وسقط صولجانه المقدّس على الأرض وخلعوا نعليه المقدّسين ومضى عارياً معهم.

هكذا ذهب معهم إلى العالم الأسفل بديلاً عن إنانا.

ومن هنا تبدأ مرائي إنانا فقد أفاقت من وهمها وحلّت الفاجعة بأوروك وساد الحزن كل شيء، وأقيمت المناحات في المدينة، فبكت إنانا بكاءً مرّاً على زوجها وبيتها ومدينتها. وبكت معها أمه وأخته (لنتذكّر المسيح). وحين تلتقي أخته مع زوجته لا يعرفان مكانه ومن أين ذهب للعالم الأسفل. وعند ذلك تظهر الذبابة وتقوم فوق رأس إنانا وتقول (إذا أخبرتك أين هو دوموزي ماذا ستقدّمين لي؟). فتزد إنانا (إذا أخبرتنني سأجعلك تترددين على حانات البيرة والخانات، حيث تسمعين أحاديث الحكماء وأغاني المغنين). فتقول الذبابة بأنه هناك على مشارف البرية فتذهب أخته وزوجته إلى هناك ويجدون في آخر لحظات هبوطه إلى العالم الأسفل فتمسك إنانا بيديه، وتقول له:

”ستمضي في العالم الأسفل

نصف السنة

وشقيقتك حسب إرادتها

ستمضي النصف الآخر

في اليوم الذي تُستدعى أنت

في ذلك اليوم سوف يأخذونك

في اليوم الذي تُستدعى كشتن أنا

في ذلك اليوم سيُطلق سراحك

إنانا أسلمت دوموزي إلى يدي الأبدية“. (الشوك 1992: 112).

وهكذا ينزل دوموزي إلى العالم الأسفل مستسلماً لمصيره، حيث يبقى نصف السنة الشتوي هناك ثم يخرج مع بداية الربيع ويقضي نصف السنة الآخر، حيث تكون أخته في العالم الأسفل بديلاً عنه.

واستمراراً لهذه القصة الحزينة نكملها بأسطورة العجوز بليلى (بليلو) التي تذكّرنا بفكرة (العشاء الأخير) في المسيحية. حيث تبدأ الأسطورة بوصف حظيرة دوموزي وما جرى لها ثم تحضر الإلهة إنانا إلى الحظيرة وتقوم بجمع الأغنام المشتتة لدوموزي وتصوغ مرثية لدوموزي تدعوه فيها أن يُبعث وأن يقوم من رقادته.

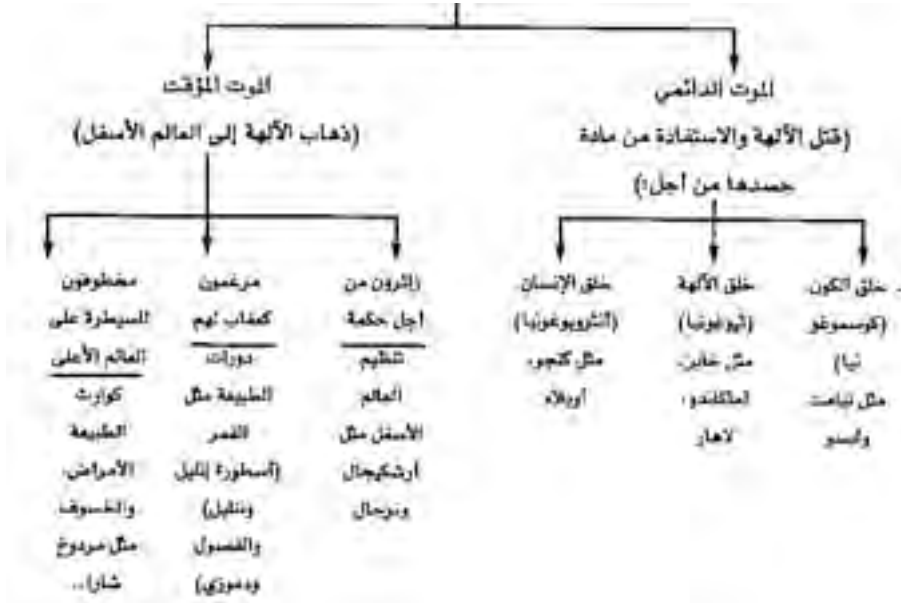
ثم تصادف في ذلك المكان عائلة بليلى (التي غادرت بدوموزي) وجعلته ينشغل بالماء والطحين ووشت به عند الكالا. وابنها جرجير الذي هو لص ماشية وحبوب وحفيدها (سرو) الفتى الذي لا أصدقاء له. وإن إنانا تعرف ما فعلته العجوز فقد صبت جام غضبها على هذه العائلة وقتلت العجوز وحولت جلدها قربة ماء بارد وجعلت إبنها إلى جانبها يصرخ، وجعلت حفيدها يوجب أرجاء القفر ويسكب الماء ويرش الطحين ثم يقيم محلين للراحة.

ويبدو أن إنانا فعلت ذلك كي تبقى ذكرى (العشاء الأخير) لدوموزي المكُون من (الماء والطحين ماثلة في هذه العائلة وفي هذه الصحراء. وأن يقدم الحفيد الماء والطحين استذكّاراً لدوموزي. ومن المؤكد أننا لمحننا في أكثر من مكان في تراجيديا دوموزي ومراثيه ما يُذكّر بقصة السيد المسيح. ولنا وقفة مطوّلة عند هذا الموضوع في المستقبل.

سادساً: أساطير الموت

Myths of Eschatology

إذا كنا قد عرفنا طبيعة خلود الآلهة بصورة عامة في التراث المثلولوجي لوادي الرافدين، فإن في إمكاننا التعرف على العلاقة بين الآلهة والموت، أو بالأحرى الحالات التي ماتت فيها الآلهة من خلال قراءتنا للمثلوجيا العراقية القديمة، والتي يمكن أن نجملها في المخطط البسيط التالي:



الطوفان (أسطورة الدمار المقبل من العالم الأعلى)

عثر على النص السومري للطوفان في مدينة (نقر) وهو بحالة مهشمة. فبعد أسطره السبعة والثلاثين الأولى الممحوّة يظهر الإله (إنكي) وهو يريد إنقاذ البشريّة من الدمار الذي يتطرق النص إلى خلق الإنسان على يد الإلهين أن وإنليل والآلهة نخرساج ثم تأتي فجوة بعدها يتحدث النص عن نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة الملوك والمدن السومريّة قبل الطوفان مع ذكر اسم إله المدينة.

ويبدو أن مجلس الآلهة اجتمع لسبب غير واضح وقرر هلاك ذرية الإنسان عن طريق الأعاصير والأمطار التي ستسبب الطوفان وأنه لا بد من إسقاط الملوك التي منحها الآلهة للإنسان. وكانت هذه الملوك قد استقرت في مدينة شروباك في ذلك الوقت والتي كان يحكمها ملك حكيم اسمه (زيوسدار Ziusudra) ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة). فيقوم الإله إنكي بالاتصال خفية بزيوسدار (ربما عن طريق الحلم) ويخبره بقرار الآلهة تدمير الأرض عن طريق الطوفان وينصحه بصناعة سفينة تنقذه مع أهله ومَن يُحب.

ثم يأتي الطوفان ويدمر كل شيء.

”وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير العواصف

وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليال وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية (وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء (وعندئذ) فتح زيوسدار كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فركع زيوسدار أمام إله الشمس

ونحو الملك (زيوسدار) أعداد كبيرة من الثيران والأغنام“ (على 1975: 121).

بعدها يركع زيوسدار أمام الإلهين أن وإنليل اللذين يقومان بمكافأته وإعطائه الحياة الأبدية أي (الخلود) ويسكنانه في بلد على البحر في (دلمون) وهو الفردوس الإلهي الذي عرفناه.

إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهرياً على قصة الطوفان السومرية هذه، لكن تفاصيلها تزداد وتتشعب (وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على أصل سومري).

الشعائر والطقوس هي الجانب العملي من أي دين وهي إذ تنفذ بعض الأوجه اللاهوتية له فإنها تركز على الأساطير لكونها المادة الحية التي يعرفها المتعبّد ويتتبعها. وقد تنسى الجذور السببية للطقوس إلا أن ممارستها تبقى حية لأزمة طويلة، رغم أنها تتحوّر بهذا القدر أو ذاك حسب طبيعة الأديان الوافدة والمختلطة بها أو العزلة التي تدخلها لأسباب خاصة بها.

المبحث الثالث الطقوس والشعائر السومرية

الشعائر السومرية تنقسم في مجملها إلى ثلاثة أنواع أساسية هي الشعائر اليومية التقليدية التي يقوم بها الإنسان السومري كالصلاة والصوم والاعتسال والترتيل والتطهير وإحراق البخور وسكب السوائل وطقس فتح فم الإله وغسله وطقس إطعام الآلهة وطقس الفوهو (البديل). وشعائر المناسبات التي تخص الولادة وبناء البيت والزواج والموت والشعائر الدورية التي هي الأعياد والاحتفالات السومرية.

ولكل صنف ونوع من هذه الشعائر مرجعيات لاهوتية ومثولوجية سنحاول المرور بها.

1 - الشعائر اليومية

مارس هذا النوع من الشعائر الإنسان العادي والإنسان المتعبّد والكاهن، وكانت هذه الشعائر من الناحية العملية هي التي تنظم حياة الإنسان الدينية وتنعكس على أخلاقياته الاجتماعية والديوية.

وأول الطقوس كان هو الاعتسال والوضوء الذي لم يكن مقتصرًا على كونه مقدّمة للصلاة، بل كان لازماً لممارسة جميع الطقوس والشعائر الدينية. وكان سكب الماء الذي يمثله الإله إنكي بمثابة نوع من إعادة خلق الإنسان في العقيدة السومرية ولأنه مصدر الحكمة والشفاء. أما الصلاة فلم تكن تُمارس بشكل يومي منتظم وعلى أوقات معيّنة وكذلك لم تكن ثابتة النص، بل كانت نوعاً من النصوص الدينية الإبتهالية المرفوعة لإله محدّد وكان الإنسان يردها متى ما كان في المعبد أو أمام تمثال إلهه في البيت أو في القصر أو في أي مكان آخر. وهناك صور لكهنة سومريين يضعون أيديهم أو أكفهم فوق بعضها عند أداء الصلاة خشوعاً وتقديساً للإله وأدوا الصلاة بصورة منفردة أو بصحبة الكاهن. وقد وصلت إلينا نماذج من أوضاع المصلين وهم راکعون أمام تماثيل الآلهة. وكانوا يرفعون اليد عند الدعاء ولهم صلاة توبة، كما أحرقوا البخور وسكبوا السوائل المقدّسة وكانت لهم أدعية لكل الآلهة. (الأحمد 1988: 47).

أما الصوم فكان يستند إلى أساس تحريم نوع معين من المأكولات الحيوانية أو النباتية لأسباب ظاهرية دينية ترتبط بأسطورة معينة، أما الأسباب العميقة فكانت اقتصادية في محاولة للحدّ من استهلاك نوع من اللحوم أو النباتات، خصوصاً أيام القحط والكساد. ولم يكن الصوم تقليداً ثابتاً ودورياً.

إن التراتيل السومرية تختلف عن الأدعية والتعاويذ في كونها أناشيد طقسية روحية يشحنها التأمّل والانقطاع في صفات إله معين ويسودها التبرّك بقواه ومناشدته الحب والاتصال. أما الأدعية فهي توسّلات للإله والتعاويذ تقوم على أساس طرد الشياطين والتزاتيل في مجملها مدائح إلهية تؤدّي مع الموسيقى ولها نظام إيقاعي خاص.

وكان إحراق البخور إحدى الوسائل التطهيرية في المعابد أو البيوت أو القصور وكان يقوم به الكهنة المطهّرون، لكن كهنة التعازيم (الأشييو) كانوا يستعملون إحراق البخور لطرد الأرواح الشريرة لاعتقادهم أن البخور عندما ينتشر في المكان، فإنّه يحاصر الأرواح التي تهرب عن طريق الشبايبك أو الأبواب.

وفي المعابد كان مذبح البخور موجوداً إضافة إلى مذبح الأضاحي وكان المطهر أو المعزم يستعمل الموقد المقدّس الذي يشبه الزهرية والذي كان يرمز أيضاً إلى الإلهين نسكو (إله النار) والإله

ننكشزيديا (إله الطبّ والشجرة). وربما كانت هذه التركيبة تشير إلى أن الموقد المقدّس يضيء مثل نسكو ويشافي مثل ننكشزيديا. وربما!
أما طقس سكب السوائل (الماء والزيت) فكان يُجرى بصورة يومية خصوصاً في الزواج، حيث يسكب الكاهن على رأس العروس سائلاً لمباركتها. وكان سكب الزيت والمسح به يُجرى مع الملوک عند تكريسهم. أما إناء سكب الماء أو الزيت المقدّس فكان يشبه الكأس الذي تخرج منه سعة وتندلى على جانبيه ثمّرتان.
أما الطقوس التي كان يقوم بها الكهنة المختصّون (غير إحراق البخور وسكب السوائل)، فكانت ثلاثة طقوس خاصة ومهمة، وهي:

أ- **طقس فتح فم الإله وغسله**: وكان يُجرى بعد أن يصنع الفنانون أو النحاتون أو النجارون أو السبّاكون تماثيل الآلهة وكانت لا تزال عند النهاية صنعها تماثيل دنيوية عادية، لكنها تتحوّل تماثيل دينية ذات قداسة وتأثير ديني بعد أداء هذا الطقس، حيث كان يتم إخراج التمثال من مكان صنعه من قبل الكهنة الذي يردّدون عبارات طقسية خاصة ثم يذهب بالتمثال إلى شاطئ النهر ويوضع على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق تحت مظلة وتُقام له أضاحي الحيوانات مثل الأكباش والنباتات مثل أعشاب الأثل والمواد وأعواد الأرز التي يُغسل بها فمه وتقدمات الذهب والفضة وسكب البيرة وغيرها. وتكون مجمل هذه الطقوس المعقدة بمثابة وضع الروح المقدّسة في التمثال الجامد الذي صنعه الحرفي.

ب- **طقس إطعام الآلهة**: وكان يُعتقد أن تماثيل الآلهة عندما توضع في المعبد فإنها تحتاج إلى طعام، ولذلك كان يتم تقديم وجبتين أساسيتين لها من تقدمات المعبد. ويبدو أن مائدة كانت توضع أمام تمثال الإله. وكانت هذه الوجبات الطقسية مصدر غذاء الكهنة وربما الملوک.

ت- **طقس الفوهو (البديل)**: يستند هذا الطقس على أساسين: الأول مثولوجي يستحضر أسطورة دوموزي، حيث ينقل الشر أو المرض من المصاب به إلى بديل (دمية أو حيوانات) فيأخذ هذا الشر ويذهب إلى العالم الأسفل (مثل دوموزي الذي صار بديل إنانا في العالم الأسفل)، والثاني سحريّ يستحضر مبدأي السحر (الاتصال أو التشابه). ففي حالة كون البديل دمية يقوم الكاهن بإبقاء هذه الدمية المصنوعة من الخشب أو العجين أو الشمع ليلة كاملة مع المريض، وفي حالة كون البديل حيواناً (كالعنز) فإنه يبقى أيضاً طيلة ليلة كاملة في فراش المريض ومعه وبنفس السكين كان يُذبح البديل الحيواني أو تحزّ رقبة الدمية ثم يُلبسونهما ثياب المريض ويدفنونهما بقدسية. وبذلك ينتقل المرض أو الشر إلى الحيوان أو الدمية. وإذا كان دفن الدمية أو الحيوان يمثل الجانب المثولوجي من خلال دوموزي، فإن الجانب السحريّ كان مبدأ الاتصال (احتكاك المريض بالبديل ليلة كاملة) وفي مبدأ التشابه (الذبح المتزامن والثياب المتبادلة ومعاملة الجثة وإعلان الموت وغير ذلك).

وكان تقديم الأضاحي السومرية يؤكد على الأضاحي النباتية أولاً ثم الحيوانية؛ أما الأضاحي البشرية التي أشاعت فكرتها مقبرة أور وما كشف عنه من حاشية الملوک المدفونة، فإنه بلا شكّ يمثل عقيدة اسكاثولوجية هامة ارتبطت بسلالة أور الأولى، ولكننا لا نجد لها مثيلاً قبل هذه السلالة أو بعدها (حوالي 3000 ق.م. وهذا يعني ندرتها أو انقراضها في وقت مبكر من حياة السومريين (أنظر Wolley 1963)).

2 - شعائر المناسبات

أفردنا لهذه الشعائر مكاناً خاصاً، لأنها لا تقع ضمن الشعائر اليومية التي يمارسها الإنسان أو

الكاهن بشكل شبه يومي، ولأنها لا تقع كل عام فتكون دورية يمارسها الناس كترداد لدورات زمنية كبرى. إنها شعائر يمرّ بها الإنسان الفرد مرة واحدة في حياته على وجه التقريب. فالولادة والموت يحصلان مرة واحدة. أما الزواج والبناء فرّما يتكرران ولكنهما مع ذلك يخضعان للمناسبة لا للطقس اليومي ولا للطقس الدوري السنوي.

وكانت القابلة تسمّى في السومرية شازو (Sha - zu) هي التي تقوم بالولادة، حيث تردّد أثناء عملها صلاة معينة وتعصب رأس المرأة أثناء الولادة ثم تضع الحامل على مصطبة من اللبن وتأخذ القابلة دور الإلهة (نتتو) أو (أرورو)، وهما صورتان من صور الإلهة الأم السومرية نخرساج، وتحضر الصورة الأخرى لها كمرية للأطفال في صورة الإلهة (كاتم دك).

أما طقس البناء (البيوت والقصور والمعابد) فقد كان يبدأ أيضاً بوضع أشياء كالتماثيل أو الحروز أو التماثيل الطينية والحجرية في أساساتها لطرد الشرور، وكان رمز أو تمثال إلهة العين التي تطرد الشرور أيضاً يوضع على واجهات البيوت ومن رمز الإلهة سبيتو (المكوّن من سبع عيون). استمر تقليد وضع حجرة العيون السبع إلى يومنا هذا عند مداخل البيوت منعاً للحسد وسبيلاً لطرد الشر.

وهناك إشارات بسيطة لتقديم الأضاحي، خصوصاً عند بناء المعابد حيث كان بناؤها يعني حدثاً عظيماً، وكان تهديم المعبد يعني إشارة شؤم. أما طقوس الزواج السومري فيمكننا أن نقسمها إلى نوعين مختلفين تماماً: طقوس الزواج التقليدية للناس وطقوس الزواج المقدّس للملوك.

إن طقوس الزواج التقليدية بين رجل وامرأة كانت تبدأ بتلاوة بعض العبارات المقدّسة من قبل العروس بشكل خاص. أما الزواج فكان يؤدّى بقسم الزواج ثم تزفّ الزوجة للزوج ويقوم الزوج برفع قلنسوة عروسه ويضعها على رأسه كدليل على احترامه لها، أما الزوجة فكان الكاهن يباركها بسكب الزيت على رأسها.

وكان من طقوس الزواج أن يقدّم الزوج أو أهله بعض النذور والحاجيات الثمينة إلى المعبد. وفي يوم الزفاف تقام وليمة تقدّم فيها المأكولات التي جلبها العريس إلى بيت العروس. وكان يُقام بسكب الخمر على الأرض أو على جسد الأضحيات تكريماً للإلهة ويسمّى هذا الطقس بالسكب أو (كرم Kirrum) وكانت الإلهة التي ترعى الزواج هي إشخارا.

أما طقوس الزواج المقدّس التي كانت مخصّصة للملوك فقد استمدّت جذورها المثلوجية من زواج (إنانا ودوموزي) الذي تحدّثنا عنه فقد كان الملك يأخذ دور دوموزي وكانت الكاهنة العليا تأخذ دور إنانا وكان ذلك يحصل مع بداية السنة السومرية في 21/آذار من كل عام. وإذا كانت أعياد الأكيّتو السومرية وأعياد الزكمك السومرية تتضمن أداء هذا الطقس الجماعي الكبير الذي يكون الملك والكاهنة مركزه الأساس، فإن ذلك يجري وفق استعادة دورية منظمة لحدث أسطوري يُعتقد أنه كان وراء إخصاب الطبيعة والنباتات والحيوانات ووراء تكاثر البشر وازدهار الحضارة.

ويبدو أن نشوء هذا الطقس السومري كان في مدينة أوروك مع ظهور الملك دوموزي الذي أصبح قرين الإلهة إنانا ومنحته الألوهية في ما بعد، ولذلك ظلّ في الوجدان السومري هذا الطقس الذي يذكّر بحدثة يصعب تكرارها (في الواقع) ويسهل تكرارها (في الاحتفال).

إن طقوس الزواج المقدّس السومرية كانت هي السبب في إعادة تكريس الملوك السومريين كل عام. وقد اختلف الأمر عند البابليين عندما ظهرت طقوس أخرى مع هذا الطقس في رأس السنة مثل اختطاف مردوخ إلى العالم الأسفل والاعتراف الملكي للكاهن بخطاياهم وغير ذلك. وكان الملك السومري بعد قيامه بمضاجعة الكاهنة العليا التي تمثل إنانا (وهي كاهنة على قدر كبير من

الثقافة الدينيّة والأدبية) يقوم بسماع قرارات الإلهة إنانا على لسان الكاهنة. فعلى سبيل المثال نقتطف هذا المقطع من نشيد (مباركة شولجي الملك) وهو نشيد خاص بالزواج المقدّس لهذا الملك السومريّ:

”سوف أكون دليلك في المعارك وحاملة
سلاحك في القتال
وبطلك في مجمع الآلهة
وسوف أكون على الطرقات حاميتك!
أنت أيّها الراعي المختار من أجل المسكن المقدّس
والمواظب على تموين الإيانا
أنت الزينة الأكبر في معبد أن
أنت أهلّ لجميع (الاحتفالات)
أنت خلقت لكي تستقر باعتزاز على
المنصة المجدّية
أنت خلقت لكي تثبت التاج على رأسك
أنت خلقت لتزيّن جسمك باللباس الفضفاض
أنت خلقت لكي تُدثر بالرداء الملكي
أنت خلقت لتحمل الهراوة والسلاح
أنت خلقت لكي ترمي الهدف بسهم قوسك
أنت خلقت لكي تعلق إلى جنبك عصا - الرماية
والمقلع
أنت خلقت لتمسك بيدك الصولجان الجليل
أنت خلقت لتنتعل في رجلك الصندل المقدّس
أنت خلقت لتتسابق وتجعل مطيتك تعدو
أنت خلقت لكي تلتصق بقوة على حضني
الجميل مثل عجل فائق الثمن
فلعيش طويلاً قلبك الرحيم“. (الشواف 1996: 167).

مثل هذا المصير كان ينتظر كل ملوك سومر مع مطلع كل عام ليكون ثمرة الزواج المقدّس الذي كان يشمل الملك والطبيعة والناس. وفي هذا السياق استمرت أعياد رأس السنة في العالم القديم بأكمله.

أما شعائر الموت عند السومريّين فكان لها شأن خاص ذلك أنها تبلورت من إرث زاخر مرّت به الحضارات أو الثقافات العراقية القديمة الشماليّة والجنوبيّة. كانت أماكن الدفن عند السومريّين تتراوح في درجاتها وأهميتها بين الدفن تحت أرضيات البيوت أو في القصور الملكية أو في المدافن الكبرى. وكان قبر البيت يُسمّى (كيماخ Ki. Makh) الذي يعني حرفياً الأرض العظيمة. وكان الملوك يُدفنون أول الأمر في القصور الملكية ثم ظهرت فكرة المقابر الملكية وأشهرها التي اكتشفت في أور. كان جثمان الميت يُوضَع في حصران تُلَفّ على جسد الميت وتثبت بدبايس وكانت التوابيت الخشبية تُستعمل لدفن الموتى في المقابر واستُخدمت الجرار الفخاريّة، خصوصاً للأطفال الذين

يُوضَعون فيها كما كان موضعهم في الرحم. واستُعملت الجرار المزدوجة والسلال للدفن أيضاً. أما القبور فكانت تنقسم بشكل أساسي إلى قبور العامة وقبور الملوك. كانت القبور العامة تتراوح بين القبور البسيطة المحفورة في الأرض وبعمق غير ثابت وهي الأكثر شيوعاً. والقبور المشيَّدة باللبن أو الأجر التي ظهرت منذ عصر العبيد ثم أريدو. والأقبية المعقودة والتي استُعمل فيها الطين بلاطاً. (انظر حنون 1986: 233 - 236) أما القبور الملكية فقد كانت شائعة لكن ما عثر عليها تمثل في القبور الملكية لبعض ملوك أور الثالثة والتي تعود إلى نهاية الألف الثالث ق.م..

وبشكل عام يتكوّن كل قبر من المقبرة الملكية لملوك أور قبل سلالة أور الأولى من أرضية واسعة فيها تابوت يحتوي على جثمان ملكي يوجد في بعض الأحيان قربه ختم أسطواني يحمل اسمه. وهناك مجموعة من هياكل لرجال يبدو أنهم خدم الملك وهياكل لنساء يحمل بعضهن تاجاً من الذهب. وهناك عدد كبير من الأواني واللقي والخرز والأسرجة والتعاويذ والحلى الشخصية والخناجر. وقد يصل عدد الحاشية إلى حوالي 45 شخصاً وهناك في بعض القبور عربات ملكية ربط إلى كل منها ثلاثة ثيران أو حمير مع حوذيتها والساييس أمامها وهناك قيثارات موسيقية... وغير ذلك.

ويرى ليونارد وولي مكتشف المقبرة أن هذه المقبرة تشير إلى شعائر التضحية البشرية الجماعية عند وفاة الملك ودفن حاشيته معه. (أنظر Woolley 1965: 60).

أما أنطوان مورتكات فيرى أن هذه المقبرة تشير إلى شعائر الزواج المقدّس في أور، لكن هذا الرأي تنقصه الأدلة الكافية.

أما قبور ملوك أور الثالثة فلا تحتوي على جثث، بل على أختام ملكية ومماثل صغيرة. وهي أضرحة معقودة بالأجر. وقد أقيمت فوق سراديب الدفن مزارات أو معابد جنائزية تحتوي على العديد من الغرف على غرار محطات المعابد المألوفة. وهذه القبور أشبه بالبيوت، ولكنها مخصصة للدفن وليس للسكن.

كانت الشعائر الجنائزية السومرية تتضمن ثلاث وسائل لتهديئة روح الميت عن طريق (الطعام، الماء، الاسم).

كان طقس تقديم الطعام على روح الميت يسمّى (الكسبا)، حيث تُذبح الخراف ويُقدّم الزيت والعطور والبخور والنيبذ الأبيض والفاكهة.

أما طقس (ألبي نقو) فهو طقس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت وكان هذا يتمّ برش الماء على تراب الميت أو عن طريق أنبوب فخاريّ ينزل إلى القبر.

والطقس الثالث هو طقس (شومازكارو) أي (ذكر الاسم)، حيث يتمّ تطمين روح الميت بذكر اسمه دائماً لإشعاره بأنه ما زال موجوداً بينهم أو بإطلاق اسمه على وليد جديد.

وكانت الشعائر الجنائزية تُقام بعد شهر من وفاة الميت وفي اليوم الذي يختفي فيه القمر، حيث تتجمّع فيه أرواح الموتى ويقوم الأحياء بتقديم القرابين والشعائر.

أما الموعد السنوي لإقامة الشعائر الجنائزية فكان يحصل في بداية شهر آب، حيث تُقدّم القرابين بصورة جماعية وتُرفع المشاعل لأرواح الموتى وتبلغ الاحتفالات ذروتها في اليوم التاسع من آب.

أما شعائر الحداد، فكانت تؤدّى من قبل أهل الميت بترك الشعر أشعث أو بنتفه والنواح بأصوات عليه واللطم على الوجه وإلقاء اليدين على الأرض وضربها وهزيق الثياب.

وكان الكهنة المختصون (كالا - ماخ) و(كالا) و(كالا - تور) يؤدّون طقوس الحزن بالعزف على الطبل والقيثارة وأداء الأناشيد والمراثي الحزينة.

3 - الشعائر الدورية

تُعتبر الشعائر الدورية من أهم الشعائر الجماعية التي كانت تضع الجماعة في حمزة طقسية مغلقة بإيقاع روحي واحد. كان مجتمع المدن السومرية يستعيد في هذه الشعائر دورياً زمان الخلق الأول ومكانه. وتكمن أهمية هذه الشعائر في كونها الذاكرة الدينية المرتبطة بتلك الأزمان المثالية أو المثلولوجية. فهي إذ تتقاطع مع التاريخ الساري المتراتب فإما تخلق لنفسها زمناً مطلقاً وشعوراً لا نهائياً بالحياة والوجود. وتستند هذه الأعياد أو الاحتفالات أو الشعائر إلى فكرة العود الأبدي، حيث تتم العودة الدورية (أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية) إلى الزمن الأول زمن تحوّل الوجود من صورته العمائية الكاؤوسية إلى شكله الكوزموسي المفصل من النسيج اللامتيز: Undifferentiated tissue إلى الأنسجة المميّزة.

إن هذا الحنين العميق عند الإنسان للعودة الدائمة إلى زمن ميثي أو بدئي مثل زمن الخلق الأول أو الطفولة أو الصبا يحمل دائماً معنى العود الأبدي بصورة مختلفة. وتتقسم الأعياد والشعائر السومرية إلى ثلاثة أعياد أساسية، هي:

1 - عيد نهاية الأسبوع (عيد إش إش): وكان هذا العيد مرتبطاً بالقمر. فقد اتخذ السومريون من القمر أساساً لتقويمهم لأنهم وجدوه متغيراً يمكن ضبط أيامهم على ضوء مراحلها وكانت الشمس في نظرهم ثابتة الشروق والغروب.

قسم السومريون الشهر القمري إلى أربعة أسابيع يبدأ الأول مع ظهور الهلال، والثاني مع نصف البدر، والثالث مع البدر مكتملاً، والرابع مع نصف البدر الغارب حتى تحوّل إلى هلال غارب. وكانوا يحتفلون في نهاية كل أسبوع باكتمال مرحلة من مراحل القمر بها نسميه اليوم عطلة نهاية الأسبوع وعندهم (عيد إش إش) وكان يوم السبت هو يوم الاحتفال والعطلة من العمل. أما نهاية الشهر القمري بعد غياب الهلال، فكان السومريون يحتفلون أيضاً حزناً على مهاجمة القمر من قبل شياطين العالم الأسفل واقتياده إلى هناك لمدة يومين أو ثلاثة أيام كان السومريون خلالها يقدمون القرابين والأضاحي كي يعود القمر مع بداية شهر جديد. كانت هذه الأعياد تشير إلى ولادة جديدة للقمر هو ما يقع في صلب فكرة العود الأبدي الذي كان الموت فيها يعني ولادة جديدة.

2 - عيد زكمك (Zag - muk - ka): ويُسمّى بالسومرية عيد (زاموء Za - mua) وهو عيد رأس السنة السومرية الذي كان يحتفل به السومريون مرتين.

ونعتقد أن لكلمة (زاموء) أو (ساموء) السومرية علاقة بكلمة (سمو) العربية فهو عيد (السمو). كما أن كلمة (شرو Shurru) البابلية التي تشير إلى شهر تشریت Tishrit الذي كان يُجرى فيه احتفال الأكيّو الثاني في الاعتدال الخريفي حيث شرو تشير إلى الشروع أو البدء.

وكان عيد السمو (زامو) يُقام مرتين في السنة؛ الأول مع الاعتدال الربيعي الذي كان يبدأ في 21 آذار (وهو بداية السنة السومرية)، حيث كان يتم استذكار زواج إنانا ودوموزي من خلال شعائر الزواج المقدّس الذي كان بطله الملك (ممثل دوموزي) والكاهنة العليا (ممثلة إنانا) وكان عيداً قاصفاً تُسْفح فيه الخمور وتسيطر عليه روح الربيع والخضرة.

أما عيد السمو (زامو) الثاني فكان يُقام في منتصف السنة السومرية (21 أيلول) وهو عيد

البذار وصفرة الأشجار، حيث الاعتدال الخريفي، ومثلما تُبذر فيه الحبوب فإن جثة دوموزي تُدفن وتُقام طقوس الحزن والحداد الجماعي.

3 - عيد الأكيكو Akitu: في أواخر العصر السومري الحديث (سلالة أور الثالثة) أطلق السومريون (وبعدهم الأكديون) على عيد الزامو الأول اسم (أكيكو). ومع نهاية السومريين السياسية اضمحل تدريجياً عيد الزامو الثاني. وأصبح عيد الأكيكو عند البابليين هو العيد الرئيسي لرأس السنة (رغم أن هناك ما يشير لإقامة عيدين ربيعي وخريفي). وكان عيد الأكيكو يحمل جذوراً نيوليثية بعيدة من سامراء كما يشير طبق الفخار الذي يحمل صور أربع نساء ينثرن شعورهنّ بأربعة اتجاهات ليكون علامة الصليب المعقوف (السواستيكا). الذي كان يشير إلى الخصب. كانت هذه الرقصة تحمل معنى استنزال المطر. (أنظر النعيمي 1990: 114 - 115).

كان هذا العيد يؤدي في بداية أمره للإلهة إنانا ودوموزي، حيث يتم تقديم الضحايا لإنانا في اليوم الحادي عشر من شهر أكيكو السومري. وبسبب من ظهور أور عاصمة للسومريين تحوّل الاحتفال تدريجياً ليكون معبراً عن الإله نانا (سين) وزوجته نينكال. ولأن نانا كان يختفي لثلاثة أيام في نهاية الشهر. فإن هذا التقليد استمرّ مع الإله مردوخ عندما أصبح العيد بابلياً، حيث يتم اختطاف مردوخ إلى العالم الأسفل فتختلّ موازين الكون والمجتمع حتى يقوم ابنه الإله نوب بتخليصه من العالم الأسفل.

ويشير وعاء صخري منقوش (2500 - 2700) ق.م. إلى مجموعة من الرموز والإيحاءات المترابطة كالماء والثيران والأفاعي والنباتات التي دلت عند بعض الباحثين على أنها نوع من طقوس استنزال المطر، حيث يظهر على جانبي الوعاء رجلا (وربما امرأتان!) يرتديان تنورة مشبكة كانت تشير إلى دوموزي وكهنته أحدهما يمسك فيها ثعبانين واقفين على أسدين وتظهر النجمة السداسية أمام وجهه. والأخر يمسك تيارين متدفقين من الماء وأمامه ثور وهناك نباتات. وتظهر النجمة السداسية أمامه وفوقها هلال. وهناك قطعة حجرية من معبد الإله سين في تل اسمر تحمل ما يشبه هذه الرموز. وربما دلت المرأتان على الإلهتين إنانا وأرشكيكال. إن رموز استنزال المطر سواء كانت في الأكيكو أو وحدها كانت طقوساً معروفة في جنوب العراق، رغم اعتقادنا أنها انحسرت أو دُمجت في طقوس أكبر عبّر عنها عيد الأكيكو بشكل واضح.

4 - عيد إيزمّاخ (Ezen - mah): أي العيد الكبير الذي ذكرته بعض الرُقم السومرية وكان يختلط أحياناً مع العيد الربيعي.

المبحث الرابع نهايات وآخرويَّات الإنسان

الموت هو الأمر الطبيعيّ عند الإنسان، أما الخلود فأمر نادر جداً. وقد ذكر لنا التراث السومريّ خلود بعض البشر منهم (زيوسدرا) الذي خلّص البشريّة من الطوفان، والمملك السومريّ (اينميدر انا) الذي استُدعي إلى السماء، وتسلّم هناك أسرار فن العرافة (البارو)، وربما يكون قد مُنح الخلود. وقد فشل أدبا في الخلود ومنح (أتانا) القدرة على الإنجاب فقط. ونرى أن الموت فُرض حتى على الملوك المؤلهين مثل شولكي وخلفائه ملوك أور الثالثة، وفُرض الموت حتى على جلجامش الذي كان ثلثاه من الآلهة، ولكن ثلثه البشريّ قاده إلى الموت، ولم يمكنه من الحصول على الخلود.

اعتقد السومريّون أن الإنسان مكوّن من عنصرين مختلطين هما:

1. **العنصر المادي:** وهو الجسد الذي يرجع أصله إلى الماء والصلصال (الطين)، وهو العنصر المرئي، والروح التي يرجع أصلها إلى الآلهة التي نفخت في الإنسان هذه الروح من أنفاسها والتي لا تُرى. وقد اعتقد السومريّون أن الموت يُرجع جسد الإنسان إلى الطين عندما يُدفن في القبر، ولا يعود له وجود (إلا ما يتبقى منه من عظام). أما الروح، ولأنها من الآلهة، فإنها تذهب إلى العالم الأسفل وتحبس فيه إلى الأبد.

2. **العنصر الروحيّ:** أطلق السومريّون اسم (GIDIM) على روح الميت وشبّحه، والتي تعني مخلوق الظلام. وكذلك يمكن إطلاق كلمة إدم (IDIM) وإيدم (EDIM) أي المظلم، الكلمة التي اشتقت منها الكلمة الأكديّة (إدمو، إطمو) وقد استقرّت كلمه (كدم) على أن تكون رديفة لـ (شبح). وانسحب هذا حتى على الآلهة، فكانت أرواح (أشباح) الآلهة تمثل برموزها الحيوانيّة في الغالب (إنليل: حمار الوحش، آن: الذئب، تيامت: الجمل). وكان المصريّون القدماء يعتقدون أن خلود الروح بعد الموت، يتوقف على سلامة الجسد الذي كانت فيه، ولذلك اعتنوا بتحنيط الأجساد لضمان خلود الروح. أما السومريّون فلم يقيموا علاقة بين حالة الجسد والروح (وليس خلودها) بعد الموت في العالم الأسفل، ولكنها مع ذلك تبقى إلى الأبد حبيسة العالم الأسفل.

تدلّ الروح على الحياة التي كانت تعني عند السومريّين بكلمة (ZI) وهي حرفياً هبوب الرياح. ولذلك فإن كلمتي (روح وريح) في العربيّة لهما علاقة وثقى، لأنهما خروج الروح على شكل آخر الأنفاس. وفي الغالب تصوّروا أنها على شكل طائر يخرج من صدر الميت، ويتّجه باتجاه الأفق غرباً؛ حيث مغيب الشمس إذا كان الميت غير مدفون، أو تنزل من القبر إذا كان مدفوناً باتجاه الأسفل، وأول من تقابله الروح في العالم الأسفل هو نهر العالم الأسفل (إيلوروي) (خبر) وملامحه التي يحملها بقارب. وقد عثر في مقابر مرحلة جمدت نصر على قوارب فضية وقيرية للقيام بهذا العمل.

بعد ذلك تدخل الروح في أول بوابة من بوابات العالم الأسفل، وكان ذلك يتم بواسطة وضع روح الميت في عربة تجرّها الحيوانات. وقد عثر على عربات مع حيواناتها، تعرّفنا إلى مصير الروح البشريّ بعد الموت عندما يدفن الإنسان في القبر. أما عندما لا يُدفن وتبقى جثته في العراء،

فإن الجثة تتفسخ، لكن الروح تخرج من صدر الإنسان (مع آخر نفس له) على شكل طائر وتطير باتجاه مغرب الشمس. ويبدو أنها تبقى مع الشمس في شروقها وغروبها، لكنها أثناء النهار بشكل خاص تتحوّل روحاً شريفة تهاجم الأحياء وتسبب لهم الأذى والمرض وربما الموت. أما روح الميت المدفون، فتُسجن على شكل طائر مترب في العالم الأسفل، لكنها تبقى على صلة بعالم الأحياء لمدة تتراوح بين (7 - 10) أيام، فهي تسمع من ينوح عليها وتبكي معه، كما هو في نص موت أورنمو (أنظر حنون 1986: 118).

وقد تعرّفنا من قصة نزول أنكيديو إلى العالم الأسفل السومرية، أن روح أنكيديو خرجت على شكل شبح لمقابلة جلجامش. وتختلف حالة أرواح الموتي في العالم الأسفل من حيث راحتهم وطعامهم وشرايهم، من شخص إلى آخر، اعتماداً على مكانة الميت في حياته وعلى عدد أولاده (كلما ازداد عددهم ارتفعت مكانته) وعلى العشائر الجنائزية التي كان يقيمها الأحياء من أجل روحه.

وكانت أرواح الموتي تحصل بين الحين والآخر على الطعام والشراب المقدم لها في الشعائر الجنائزية. وكان انقطاع الطعام والشراب والشعائر عنها يؤدي إلى اعتمادها على الطين طعاماً والماء العكر شراباً. ولذلك كان استمرار هذا الانقطاع يؤدي إلى ضجر هذه الروح ثم غضبها وخروجها من العالم الأسفل إلى عالم الأحياء؛ حيث تأكل من فضلات الشوارع، وتتربّص بالأحياء لتشعرهم بوجوب ذكرها وإيفائها حقها، وذلك بإلحاق الأذى بهم أو للانتقام منهم لتسببهم في حرمانها الراحة في العالم الأسفل (أنظر حنون 1986: 123).

القسم الثاني المكوّنات الثنويّة في الديانة السومريّة

المبحث الأول الشرائع والأخلاق

أولاً: العدالة الإلهيّة

يعدّ الباحثون الأخلاق والشرائع من المكوّنات الثنويّة للدين، فهي لا تدخل في صلبه، ولكنها تشكل ما يشبه المجال الاجتماعيّ له. وقد كانت الأديان مصدرأً أساسياً من مصادر الأخلاق والتشريع على مرّ التاريخ.

لقد امتاز المجتمع السومريّ بسيادة نظام أخلاقيّ رفيع خاص. وقد نظمت حياته مجموعة من الأعراف والتقاليد، ثم التشريعات التي كانت تدلّ على التحضّر والثقافة. السومريّ قبل كل شيء إنسان متديّن، فهو يخشى آلهته ويخاف من غضبها. وقد كانت الآلهة في نظره مصدر العدالة والحق، وهي تُمسك بموازنة أمور الخير والشر في المجتمع، كما أن له معها ميزان حقوق وواجبات، فهو يؤدّي واجباته تجاهها من خلال تقديسها وإقامة الصلوات لها وأداء الشعائر والطقوس والندور لها، كما أنه يعتبر استقامته الأخلاقية مع الآخرين أمراً يُفرح الآلهة ويُبهِجها.

كانت الآلهة نانشة إلهة العدالة الاجتماعيّة في سومر، وقد اعتبرها كوديا أمير لجش أمه، حيث كان يؤمن بها ويقدّسها تقديساً كبيراً. وتوصف هذه الإلهة بأنها مفسرة الأحلام، وأنها إلهة الاسماك وحامية مدينة نينا (سرغل). ويظهر الإله نجرسو في لكش أيضاً راعياً للعدالة؛ حيث نجده مرافقاً لإصلاحات الملك السومريّ أوروكاينا "وهي ترجع إلى 2600 ق.م. فقد كان هذا الملك يعتبر نفسه مكلفاً من الإله نجرسو بالقضاء على جشع الكهان والموظفين، وقد تفشى في أثناء حكم من سبقوه". (هوك 1978: 166).

تصوّر السومريّون الكون مثل دولة عادلة تحكمها الآلهة. وكان للآلهة نظام تراتبي تتضح فيه موازين المسؤوليات والواجبات. بل لقد انعكس في هرمها الذي عرفناه من شجرة أنساب الآلهة نوع من التوازن العميق بين الطبيعة وأسرارها وبين المفاهيم المناسبة لهذه الطبيعة، معبراً عنها بالآلهة.

فعندما كان (آن) إله السماء في مكانه الرفيع يطلّ على ما يجري في الكون بأكمله، فإنه لم يكن يتدخّل في واجبات إنليل الذي كان يُمسك بسلطات الفضاء المحيط بالأرض، ويُنظم الطبيعة والكواكب والظلام والرياح، ويُشرف على العالم الأسفل، ويُعيّن من نسله آلهة لكل هذه القطاعات. وكان بسبب إمساكه بالسلطة مصدر سلطة الملوك. ولذلك كان يرهبه الناس، لأنهم يعتبرونه الحاكم المطلق، الذي يتّسم بالعدالة. ولم تكن العدالة هي الميزان المرهف بين الحقوق والواجبات فقط، بل السلطة والتلميح بالقسوة، كي لا يزلّ الملوك ولا يُخطئ الناس.

أما (إنكي) فقد تعهد الأرض تحديداً، ورعى بالخير والحياة والعمران سومر؛ حيث أضاءت أسطورة تنظيم إنكي لسومر كيف أن هذا الإله "وضع بلاد سومر في حالة سير. وكانت هذه البلاد تُعدّ آنذاك مركز العالم. فكان قد سلّم إلى الإله (انيبولو) سير النهرين، وإلى (نانا) سير المستنقعات الزاخرة بالاسماك والواقعة جنوب البلاد، وإلى (نانشه) سير المنطقة البحرية،

وإلى (ايشكور) نظام الأمطار، وإلى (كولا مصنع الطابوق، وإلى (مشداما) بناية العمارات، وإلى (سموقان) الحيوانات البرية، وإلى (دوموزي) تربية المواشي، وإلى (آتو) قطاع الثياب بكامله، وإلى (أرورو) كل ما يهيم نتاج الجنس البشري، وإلى (نموخ) عمل الغاب، وهلم جرّاً. فالعالم كله حسب هذا التعليم كان يسير بدقة مثل المملكة وحسب النظام الهرمي للسلطة (بوتيرو 1990: 262).

لقد كانت إصلاحات أورو كاجينا أول إشارة وصلتنا على بدء عصر التشريع الإنسانيّ ولا نعرف بعد ما إذا كانت هذه الإصلاحات مدوّنة على شكل شريعة أم لا.

كان أورو كاجينا قد أخذ على نفسه ميثاقاً وعهداً أمام الإله ننجرسو إله مدينة لجش بأنه لن يسمح بأن يقع اليتامى والأرامل فريسة لظلم الأقوياء.

وتعدّت إصلاحاته الاجتماعيّة إلى أكثر من ذلك فقد سنّ قانوناً أو عرفاً يقضي برجم المرأة إذا تزوّجت بأكثر من رجل، حيث ترد إشارة إلى أن المرأة كان يمكن أن تتزوّج بأكثر من رجل قبل عصره. وهذا يعني أنه نظّم العائلة وحدّ من تشتتها واحتمال تمزّقها. ويكفي أن نذكر أخيراً أن كلمة حرّية (أمارجي) وردت في إصلاحاته ولم تكن حرّية سائبة أو حرّية فوضى، بل كانت (حرّية في حدود القانون) كما يذكر ذلك صموئيل نوح كريمر.

إن هاجس السومريين بإقامة مجتمع عادل ترعاه الآلهة وتعاقب من يخرج عليه كان واضحاً في طريقة فهمهم للحياة الاجتماعيّة والسياسيّة في وقت مبكر.

وقد انعكس ذلك السجل السياسيّ للمدن السومريّة المبكرة فقد كان أول (برلمان) سياسيّ معروف في تاريخ الإنسان المدوّن سومرياً، حيث "التأم في جلسة خطيرة في حدود 3000 ق.م. وقد كان مثل برلماننا مؤلفاً من مجلسين: من مجلس الأعيان أي مجلس الشيوخ ومن مجلس العموم (النواب) المؤلف من المواطنين الذكور القادرين على حمل السلاح. وكان برلمان حرب دُعيّ للانعقاد ليتخذ قراراً في أمر خطير يخصّ الحرب والسلم. لقد كان عليه أن يختار بين السلم بأي ثمن كان وبين الحرب مع الاستقلال، فأما مجلس الأعيان الذي كان مؤلفاً من الشيوخ المحافظين فإنه أعلن قراره أنه بجانب السلم مهما كان الثمن. ولكن الملك اعترض على هذا القرار ثم عرض الأمر بعد ذلك على مجلس العموم فأعلن هذا المجلس الحرب من أجل الحرّية وصادق الملك على قراره". (كريمر بت/ب: 28).

لقد ظهر التشريع السومريّ جلياً واضحاً في شريعة الملك السومريّ أور - نمّو (2113 - 2096 ق.م. مؤسس سلالة أور الثالثة ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الشريعة يمكن تسميتها بـ(الشريعة القمرية) لأسباب تتعلق بمضمونها وبالإله الذي رعى ظهورها وهو الإله (نانا) إله مدينة أور والملك أورنمو في مقابل شريعة حمورابي التي يمكن تسميتها بـ(الشريعة الشمسيّة) لأسباب تتعلق بمضمونها وبالإله الذي رعى ظهورها وسلّمها إلى حمورابي وهو الإله (شمش) إله الشمس وإله العدالة في بابل.

أما التعارض الأساسي بين مضمون الشريعتين فيكمن في طبيعة الجزاء الذي كان يعاقب به المجرم، عندما يحدث ضرراً بالمعتدى عليه. فشريعة أورنمو كانت تقاضيه بدفع غرامه مالية مناسبة أما شريعة حمورابي فكانت تسير وفق قانون (العين بالعين والسن بالسن) أي بإحداث الأذى نفسه في جسد المجرم. ونرى أن شريعة أورنمو أكثر إنسانيّة وأكثر تحضراً من شريعة حمورابي في هذا المجال. وهذا بالطبع ينطلق من الاختلاف الروحي والأخلاقي والدينيّ بين السومريين والساميين. فالسومريون كانوا شعباً مسالماً كوّن أول حضارة إنسانيّة في تاريخ الإنسان وكان مداه الحضاريّ طويلاً (قراية 2000 سنة) في حين كان الشعب الساميّ مجباً للحرب ولا

يمتلك إرثاً حضارياً واسعاً.

وفي ما يلي بعض الفقرات الخاصة بالجزء المالي في شريعة أورمو (أنظر كرمرد. ت/ ب: 121).

” إذا رجل ضد... بألة... قطع القدم فعليه أن يؤدّي (10) شيقلات من الفضة.

إذا كسر رجل عظام رجل آخر بالسلاح فسوف يؤدّي (مينا) واحداً من الفضة.

إذا قطع رجل أنف رجل بألة جيشبو فسوف يؤدّي ثلثي (مينا من الفضة).

واستمرت تقاليد التشريع السومرية فظهرت شريعة أشنونا المكتوبة باللغة السومرية والتي استثمرت الحصاد القانوني والأخلاقي القديم ثم ظهرت بعدها شريعة (لبت عشتار) المدونة باللغة السومرية أيضاً.



متعبّد سومريّ

ثانياً: الأخلاق العامة والمكتوبة والتقاليد الجارية

تصوّر السومريّون الكون مثل دولة عادلة تحكمها الآلهة. وكان للآلهة نظام تراتبي، تتضح فيه موازين المسؤوليات والواجبات. بل لقد انعكس في هرمها، الذي عرفناه من شجرة أنساب الآلهة، نوع من التوازن العميق بين الطبيعة وأسرارها، وبين المفاهيم المناسبة لهذه الطبيعة معبراً عنها بالآلهة.

فعندما كان (آن) إله السماء في مكانه الرفيع يطلّ على ما يجري في الكون بأكمله، فإنه لم يكن يتدخّل في واجبات إنليل، الذي كان يُمسك بسلطات الفضاء المحيط بالأرض، وينظم الطبيعة والكواكب والظلام والرياح، ويشرف على العالم الأسفل، ويعيّن من نسله آلهة لكل هذه القطاعات. وكان بسبب إمساكه بالسلطة مصدر سلطة الملوك. ولذلك كان يرهبه الناس، لأنهم يعتبرونه الحاكم المطلق، الذي يتّسم بالعدالة. ولم تكن العدالة هي الميزان المرهف بين الحقوق والواجبات فقط... بل السلطة والتلميح بالقسوة، حتى لا يزلّ الملوك ولا يُخطئ الناس. أما (إنكي) فقد تعهد الأرض تحديداً، ورعى بالخير والحياة والعمران سومر؛ حيث أضاءت أسطورة تنظيم إنكي لسومر، كيف أن هذا الإله ”وضع بلاد سومر في حالة سير. وكانت هذه البلاد تعدّ آنذاك مركز العالم. فكان قد سلم إلى الإله (انبيلولو) سير النهرين، وإلى (نانا) سير المستنقعات الزاخرة بالاسماك والواقعة جنوبي البلاد، وإلى (نانشه) سير المنطقة البحرية، وإلى (إيشكور) نظام الأمطار، وإلى (كولا مصنع الطابوق، وإلى (مشداما) بناية العمارات، وإلى (سموقان) الحيوانات البرية، وإلى (دوموزي) تربية المواشي، وإلى (أتو) قطاع الثياب بكامله، وإلى (أرورو) كل ما يهتم نتاج الجنس البشري، وإلى (نمموخ) عمل الغاب، وهلم جرا. فالعالم كله حسب هذا التعليم كان يسير بدقة مثل المملكة وحسب النظام الهرمي للسلطة (بوتيرو 1990: 262).

وقد كان جان بوتيرو موفقاً عند وصف عمل هؤلاء الآلهة، بأن كل واحد منهم يعرّف بآلته

في موضعه في هذه السمفونية الشاملة تحت نظر الماسكين بزمام السلطة. لقد كانت العدالة الأرضية والميزان الأرضي مشتقّين من العدالة الإلهية، ومن هذا التناسق المدهش في عمل الآلهة. كان السومريون يميزون بين الخطيئة الدنيئة، التي تثير غضب الآلهة وتصم الضمير ويسمونها (سيبيدا SE. BI. DA) ويفرقونها عن الخطيئة السياسية والأخلاقية التي يسمونها (نام تاك NAM. TAG) التي تعني المعصية المرتكبة ضد قوانين المدينة (انظر: 1958: Langdon 532). وكان السومريون يعتقدون أن الخطيئة وجدت مع وجود الإنسان، فهو معرض لها دائماً؛ حيث يذكر أحد النصوص السومرية ما يلي:

”إنهم يقولون (أي الحكماء) كلاماً صادقاً:
ما ولد لأم طفل بلا خطيئة قط

وما وجد طفل بلا خطيئة منذ الأزل“ (Kramer 1964: 128).

والآلهة فقط هي التي تعرف بهذه الخطايا كاملة، أما الإنسان فيدرك بعضها، ولذلك يقع في العقاب لأسباب يجهلها هو، وتعرف بها الآلهة. حيث تذكر إحدى التعاويذ السومرية:

”أيها الإله إن أخطائي فادحة وذنوبي كثيرة
الناس صامتون لا يعرفون ماذا جرى

والإنسان (مهتماً) ماذا يعرف

أنه لا يعرف ما إذا قام بعمل خير أو عمل شرير“ (Langdon 1958: 518).

هذا هو الإنسان في العرف السومري؛ إنه إنسان بسيط معرض للخطيئة، وإنسان لا يعرف خطاياها، والآلهة عنده هي التي تعرف كل شيء.

فإذا ما ارتكب خطيئة (بعلم أو من دون علم) فإنه سيعرض نفسه لعقاب الآلهة، لأنه أخلّ بناموسها. وعقاب الآلهة متنوع، يبدأ من الأذى البسيط وينتهي بالأمراض والموت. ولكن المخطئ إذا اعترف بخطيئته أمام إلهه، فإن عقابه سيخف. وإذا أدى القرابين لها وإذا بنى معبداً لها، فإن عقابه سيخف أو يزول.

ويُعتقد أن المعبد كان البؤرة التي تلتقي فيها خيوط العدالة، سواء كانت إلهية أو ملكية أو عامة. لأن المعبد السومري يُعدّ أكبر مؤسسة روحية وأخلاقية وتشريعية، ومن شأن هذه المؤسسة ضبط الحقوق والواجبات للملوك والبشر أمام الآلهة. ولم يزاحم القصر المعبد، إلا حين ألّه بعض الملوك الأكديين أنفسهم، فأدى ذلك إلى اضطراب هذا العرف السومري المنشأ.

ثالثاً: الشرائع السومرية

في مجتمع متحضّر كالمجتمع السومري ظهرت الحاجة لوجود شرائع وقوانين يلتزم بها الجميع من أجل التعايش الاجتماعي الصحيح الذي ينظم حياتهم ويوازن بين الحقوق والواجبات. ”إن من بين أهم الحقائق التاريخية التي تميّز بها العراقيون القدامى أنهم أكدوا تمسكهم بالقواعد القانونية سواء ما كان منها في صيغة القانون المدون، أو في صيغة العرف القانوني والقواعد المقررة فأجروا مثلاً جميع معاملاتهم الاقتصادية من بيع وشراء وقروض وإيجار وائتمان وإيداع وهي حالات في العلاقات المالية بين الناس، وكذلك تنظيم علاقاتهم الاجتماعية في حالات الزواج والطلاق والإرث والتبني، وفق أحكام متعارف عليها ملزمة للجميع بدلالة تسجيلها لذلك كان إجراء هذه المعاملات والاتفاقيات دون توثيقها بأسلوب شرعي قانوني يُعدّ باطلاً وغير ملزم لأحد طرفي الاتفاق، ناهيك أن بعض العقوبات كانت تتناول الإجراءات المفروضة اجتماعياً أي غير القانونية. ولذلك فإن ما يقارب من 90% من النصوص المسماة المكتشفة

لحد الآن، تعالج موضوعات المعاملات القانونية أو ما تعرف في لغتنا المعاصرة بالعقود“. (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي: 1985: 48).

وظهرت الحاجة واضحة في الحقل الاقتصادي بشكل خاص، فالبيع والشراء وتبادل السلع كان يحتاج إلى قوانين دقيقة وتفصيلية لتنظيم حركته، ومثلما كان هذا الاقتصاد سبباً في نشوء الحاجة لاختراع الكتابة صار هو السبب المباشر لاختراع القوانين والشرائع، وكانت العقود الاقتصادية هي الوسيلة التي ظهرت منها الشرائع.

”إن هذه العقود تخضع إلى صياغة متميزة وتبويب للمعلومات وتثبيت للحقوق والواجبات المترتبة على التعاقد، كما تنص أحياناً على نوعية العقوبات التي يتحملها ناكل التعاقد. ومما يؤكد خضوع تدوين هذه العقود لإشراف جهة رسمية، أنها كانت تذيّل عادة بأسماء الشهود، وتختتم أسماء الشهود غالباً باسم شاهد يصف نفسه بـ”الكاتب“. وهي وظيفة رسمية رفيعة المستوى في العراق القديم، تشكل دلالة التأييد الرسمي للعقد أو الاتفاق“. (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي 1985: 70).

ويمكننا سرد تاريخ ظهور الشرائع والقوانين السومرية كما يلي:

1. إصلاحات وشريعة أوروكاجينا (إمكينا)

ما زالت إصلاحات العاهل السومري إمكينا حاكم مدينة لجش تتصدّر الريادة في التاريخ البشريّ بقدّمها وأسبقيتها، وقد جاءت مدوّنة هذه الإصلاحات والشرائع بعد أن تمادى الحاكم الذي سبقه (لوجالندا) وزوجته في توسيع ثرائهما واضطهادهما للناس في لجش، فقرّر مجلس الشعب، على ما يبدو، عزله وتعيين إمكينا الذي بدأ عهده بهذه الإصلاحات.

”أبرز المبادئ التي تتمحور حولها إصلاحات أوروكاجينا هو التأكيد على فكرة ”الحرية في حدود القانون“، وأن المناصب الوظيفية العالية في الحكومة أو الإدارة لا تُعفي صاحبها من الحدود القانونية، لذلك أعلنها أوروكاجينا حرباً ضد الموظفين وجامعي الضرائب ممن خرّقوا التقاليد وتجاوزوا على حقوق وممتلكات المواطنين“. (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي: 1985: 72).

عُثر على الإصلاحات مدوّنة بالخط المسماريّ وباللغة السومرية على مخروطين: المخروط الأول: يصف الظروف السائدة في ذلك الوقت والثورة التي قام بها ضد الفساد بعد أن انتخبه مجلس المدينة، على ما يبدو، ليكون ملكاً لمدينة لجش.

المخروط الثاني: نصوص إصلاحات أوروكاجينا

وقد قمنا بترجمة هذه النقوش من المخروطين المرقمين بـ(COUP222607)، وسنكتفي هنا بذكر نصوص إصلاحات وشريعة أوروكاجينا فقط وهي مادة المخروط الثاني المنشورة في موقع (شكسبير السومريّ sumerianshakespeare.com):

”لا تجبر الناس على أن يبيع أي شيء لمرؤوسيهـم

يستطيع الناس وضع سعرهم الخاص

وهم محميّون ضد أي انتقام

حين يولد حمار جيد عند تابع الملك

وأراد رئيس العمال منه أن يبيعه له (أريد أن أشتري منك)

فيما إذا سمح له بشرائه

قال له: ادفع لي مقابله فضة هي وحدها تقنعني

أو فيما لم يسمح له بشرائه

لا يحق لرئيس العمال أن يحتج
عندما يقع بيد الثري إلى جانب بيت تابع الملك
وقال الثري لتابع الملك أريد أن اشتري منك
فيما إذا سمح له بشرائه ويدفع مقابلته فضةً
أو قال له املاً بيتي بالشعير إنه كالمرجل
فيما إذا لم يسمح له بشرائه
لا يحق للثري أن يحتج وهو في قمة غضبه
كل هذه الأمور هي أوامر
لكل مواطني لجش
للشخص المدين
للشخص الذي يغش بالميزان
ويقلل كمية الشعير.
للص، والشخص الذي قتل
خُصص له السجن ليظهره بعد أن يخرج
كل هذه المغفرة (الالتزامات أمجي) قد وضعت
كل هذا الغفران (الالتزامات أمجي) قد وضع
يبدو كأن المغفرة أو العفو قد منحت لكل الناس حتى اللصوص والقتلة.
الأرملة واليتيم لا يتم أخضاعهم للأقوياء أو بالقوة.
واعتبر هذا اتفاقاً ملزماً في قانون ننجرسو أورو كاجينا
بعد مرور مئتي عام كوديا عمل القوانين نفسها
لحماية اليتيم والأرملة من سلطة الأغنياء المتسلطين
في تلك السنة.
حفرت تلك القناة الصغيرة التي حصل عليها
جرسو من ننجرسو وبقي اسمه السابق عليها
سميت باسمه قناة ننجرسو باسم السلطة التي منحها
أورو كاجينا من نيبور
والقناة تل إلى (نجن) هي امتداد لها“.

2. شريعة أورمو

رهبما كان أورمو أعظم ملك سومري فقد سنَّ أقدم وأهم شريعة قبل شريعة حمورابي بثلاثة
قرون، وأنشأ أعظم زقورة سومرية هي زقورة الإله القمر (ننار) وأطلق الإبداع الأدبي واعتبر
أحد أبطال سومر العظام، وأنشأ الدولة الإمبراطورية الحقيقية. عدد قوانين الشريعة هي (31)
قانوناً لم يبق منها إلا القليل.



شريعة أورمّو

<http://alternativearchaeology.jigsy.com/sumerian-social-life>



أورمّو أمام إله القمر (ننار) إله مدينة أور

<http://sumerianshakespeare.com/48601.html>

”دُون قانون أورمو باللغة السومرية، ويتوضح من بقايا المقدمة، كيف فوّض الإله ننار (إله القمر) إله مدينة أور، الملك أورمّو، لحكم المدينة، ووصفه بالملك الورع التقي العادل، وأن مجيئه كان إيذاناً بالقضاء على الفساد والفضو وسوء الإدارة والتجاوز على حقوق الآخرين، وبذلك تمتع الناس بحقوقهم وحرّيتهم. أما المواد القانونية، فإن المتبقي منها والتي أمكنت ترجمته، فإنه يعالج الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وتطرق أيضاً إلى بعض المخالفات والإساءات وتحدّد العقوبة لكل حالة منها“. (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 رضا جواد الهاشمي: 1985: 73).

تبدأ الشريعة بمقدمة تتحدّث عن تقرير مصير (أور) وكيف اختار الإلهان آن وإنليل الملك أورمّو ليحكمها وكيف قام بالتصدّي لمملكة لجش السومرية وقتل ملكها (غمخاني) بسبب أطماعه في أور.

وكيف أقام العدل في أور وقضى على الغشّاشين والمرتشين واللصوص. وفي قفا اللوح تبدأ الأحكام الخاصة للشريعة التي تخصّ إلقاء الزوجة الخائنة مع عشيقها في النهر كنوع من البينة والأخرى تتعلّق بالعبد المتمرد على سيّده وعقوبة القصاص المادي.

المواد من 4 - 12: عالجت الأحوال الشخصية كالطلاق والخيانة الزوجية والخطوبة ومقارها وهروب العبد من سيّده.. ومنها ما يخصّ حقوق المرأة:

المادة 5: ”إذا أزال رجل بكارة أمة رجل آخر بالإكراه، عليه أن يدفع كغرامة خمسة شيقلات من الفضة“.

المادة 7: "إذا مات رجل، فبعد موته ينتقل نصف أملاكه إلى زوجته، والنصف الآخر إلى أولاده".
المواد من 13 - 23: عالجت حالات الاعتداء والأذى بين الأحرار أو بين العبيد والأحرار.
المواد من 24 - 26: عالجت شهادات الزور.
المواد من 27 - 31: عالجت الاعتداء على الأراضي الزراعية والاقتصاد الزراعي.
ونقتطف منها هذه المواد:

"المادة 10: (270 - 280) لو اتهم رجل رجلاً آخر ب... وجاء به إلى تحكيم النهر وأثبت تحكيم النهر براءته، فعلى المتهم أن يدفع للآخر ثلاثة شقيقات من الفضة.
11: (281 - 290 = B 10) لو قذف رجل زوجة رجل آخر وأثبت امتحان النهر أنها بريئة، يدفع من قذفها ثلث مينا من الفضة.

12: (291 - 301 = B 11) لو أن صهراً متوقعاً دخل بيت حميّه المتوقع، لكن حميه نكص وأعطى ابنته (العروس المتوقعة) لرجل آخر، على الحمي أن يُعيد له (أي للصهر المرفوض) ضعفَي هدايا الزفاف التي قدّمها.

13: (302 - 312 = B 12) لم يبق منها إلا أثر ضئيل.

14: (313 - 323 محذوفة في B). لو أن { ... } أمة { أو عبداً هرب من بيت سيده } وعبر حدود المدينة ثم أعاده رجل آخر، فعلى مالك العبد أن يدفع لمن أعاده شيقلين من الفضة.

15: (324 - 330 = B 13 - 21) لو قطع رجل... قدماً (أو عضواً من) رجل آخر ب... . عليه أن يدفع عشر شقيقات من الفضة.

16: (331 - 338 محذوفة في B) لو هشم رجل عضواً من أعضاء رجل آخر أثناء عراك يدفع مينا واحدة من الفضة. (مجموعة من المؤلفين: 1993: 136 - 137).

3. شريعة أشنونا (بلالاما)

ممكلة أشنونا السومرية ظهرت في عصر السلالات الأولى واستمرت بعد سقوط سلالة أور الثالثة حتى السنة الثانية والثلاثين من حكم حمورابي، وشريعته أقدم من شريعة حمورابي بقرنين، وكانت تنسب إلى الملك (بلالاما)، وتقع آثار أشنونا في تل حرمل (2000 ق.م وهي الشريعة التي أعطت للمرأة حق الحماية ضد الزوجة الثانية، وأعطتها مساحة من الأرض تمارس فيها حريتها ولا تبقى على هامش الحياة الزوجية مع الرجل وزوجته الثانية. ويرد في هذه الشريعة أن الرجل يُطرد من بيته وتُقطع علاقته بجميع من حوله إذا طلق زوجته الأولى واتخذ زوجة ثانية.

المادة 60: "إذا طلق رجل زوجته بعد أن ولدت منه وأخذ زوجة ثانية فسوف يُطرد من بيته وتُقطع علاقته بجميع من حوله وليتبعه من يريد".

و"إذا كان قانون أورمو وقانون لبت عشتار قد دُونا باللغة السومرية، فإن ثالث القوانين من حيث التسلسل الزمني، وهو قانون ممكلة أشنونا، يُعدّ أول القوانين المدونة باللغة الأكادية، وقد اكتشف هذا القانون خلال حفريات مديرية الآثار العراقية في موقع أثري يقع في منطقة بغداد الجديدة الكائنة في ضواحي العاصمة بغداد، اسمه تل حرمل، ومن نتيجة التنقيب عرفنا أنه يمثل مدينة صغيرة اسمها (شادوبوم من مدن مملكة أشنونا، التي كانت تُشرف بهيمنتها السياسية على حوض ديبالي بكامله تقريباً، ومملكة أشنونا واحدة من الممالك التي ازدهرت في مطلع العهد البابلي القديم، وبقيت دويلة قوية حتى نجح الملك حمورابي في ضمّها مع غيرها من الدويلات إلى مملكة موحدة قوية أقامها في العراق تُعرف باسم سلالة بابل الأولى أو مملكة بابل القديمة". (مجموعة من المؤلفين العراقيين: ج3، الهاشمي: 1976: 75).

وعدد القوانين التي بقيت سليمة من رقيهما التالف حوالي (59) قانوناً أغلبها في تنظيم الحياة الاقتصادية والأحوال الاجتماعيّة، ومنها:

- ”المادة 42: لو عضّ رجل أنف رجل (آخر) فقطعه يدفع له مينا واحدة من الفضة، وإن عضّ عينه يدفع له مينا واحدة من الفضة، وإن كسر سنّه يدفع له نصف مينا من الفضة، وعلى الأذن يدفع له نصف مينا من الفضة، وعلى صفة الخدّ يدفع له عشرة شيقلات من الفضة. 43. لو قطع رجل إصبع رجل آخر يدفع له ثلثي مائة (مينا من الفضة). 44. لو طرح رجل رجلاً آخر أرضاً أثناء شجار فكسر يده يدفع له نصف مينا من الفضة. 45: ولو كسر قدمه يدفع له نصف مينا من الفضة. 46: لو تعدّى رجل على آخر وكسر... . يدفع له ثلثي مينا من الفضة. 47: لو ضرب رجل رجلاً آخر عرضاً يدفع له عشرة شيقلات من الفضة“. (مجموعة من المؤلفين: 1993:154).

4. شريعة لبت عشتار (شريعة إيسن):

- وهي شريعة مدينة إيسن، ففي حدود 1850 ق.م. أصبح لبت عشتار ملك المدينة وسنّ قوانينه، على لوح كبير بعشرين عموداً طويلاً محتويةً على ثلاثة أقسام هي (المقدمة، النص، الخاتمة)، ولم يتبقّ من هذه الشريعة سوى (38) فقرة. ”المادة 25: لو عقد رجل على امرأة وحملت له أطفالاً وهم لا زالوا على قيد الحياة، ثم حملت إحدى إمائهم أيضاً أطفالاً منه ثم أعتق الأب الأمة وأولادها، لا يقتسم أولاد الأمة العقار مع أولاد سيدهم (السابق). 26: لو ماتت زوجته الأولى، فاتخذت بعد وفاتها أمّة زوجةً، أولاد الزوجة الأولى هم ورثته، وسيكون الأولاد الذين ولدتهم الأمة لسيدها... ، وسوف... . بيته. 27: إن لم تلد زوجة رجل له ولداناً وإمها ولدتهم عاهرة (من) الساحة العامة، عليه أن يقدم لتلك العاهرة حباً وزيتاً وكساءً، وسيكون الأولاد الذين ولدتهم العاهرة ورثته، ولن تسكن المومس في البيت مع زوجته ما دامت زوجته حيّة. 28. لو مال قلب رجل عن زوجته الأولى وتزوَّج غيرها، لكنها لم تترك البيت، تكون المرأة الجديدة زوجة ثانية له، وعليه أن يستمرّ في إعالة زوجته الأولى. ”المادة 29: لو أن صهراً (منتظراً) دخل بيت حميّه وخطب، لكنهم أبعده وأعطوا زوجته لصاحبه، عليهم أن يعيدوا له هدايا الخطبة التي أحضرها، ولن تتزوَّج تلك الزوجة صاحبه. 30: لو تزوّج رجل شاب مومساً (من) الساحة العامة، وأمره القضاة بأن لا يرتادها، ثم طلق زوجته، نقوداً. (مجموعة من المؤلفين: 1993: 160 - 161).

5. النص السومريّ YBC - 2177

- وهو نص سومريّ لشريعة سومريّة ما زالت مفقودة، ولكنه هنا لطالب يتمرن على كتابته في إحدى مدارس سومر في حدود 1800 ق.م. ومنها: ” (العمود 4) المادة 1: لو ضرب (رجل) امرأة من طبقة المواطن الحر (عن غير قصد) وتسبّب في إجهاضها عليه أن يدفع عشرة شيقلات من الفضة. 2: لو ضرب (رجل) عامداً متعمداً امرأة من طبقة المواطن الحر وتسبّب في إجهاضها عليه أن يدفع ثلث مينا من الفضة. 3: إن خالف (قبطان سفينة) خط سير الرحلة الموكل إليه وبذلك تسبّب في خسارة السفينة، يكيل لمالك السفينة بمقدار ما... .. السفينة مع رسم استئجارها لمدة... .

- 4: لو قال (ولد) لأبيه وأمه: "أنتما لستما والديّ"، يُحَجَّرُ على حقوقه في التركة من بيت وحقل وبستان وعبيد و(أية) أموال أو أملاك أخرى، ويحق لوالديه أن يبيعاها (عبدًا مقابل مال).
- 5: أما لو (قال) أبوه وأمه له "أنت لست ولدنا" يُحَجَّرُ على عقارهما.
- 6: وإن قال أبوه وأمه له "أنت لست ولدنا" (مجموعة من المؤلفين: 1993: 139 - 140).

المبحث الثاني السير المقدّسة

أولاً: ملوك ما قبل الطوفان يتحوّلون أول الآباء والأنبياء في التوراة في كتابنا الصادر حديثاً (أنبياء سومريون) تحدّثنا باستفاضة وتحليل عن ملوك ما قبل الطوفان، الذين ذكروا في ثبت الملوك السومري، وكيف حوّلتهم الرواية العبرية في التوراة أنبياء ابتداءً من آدم إلى نوح (ملوك سومر ابتداءً من ألوم إلى زيوسيدرا)، وقد رافق تحليلنا ذلك تفصيلاً دقيقاً لكيفية تحوّل الأسماء السومرية وطريقة نحتها العبرية. ونودّ فقط التنويه بأن هناك ما يشبه التماهي وانعكاس المرابا المتقابلة في الشخصيات السبع أو الثماني، التي شغلت هذه الفترة، حتى لتبدو وكأنها تتبادل الأدوار وتحمل صفات بعضها.

والأساس في موضوعنا هذا هو الاختلاط العميق بين كونها شخصيات إلهية، تختلط فيها شخصيات ملكية، وتختلط فيها شخصيات الحكمة، وخصوصاً الحكماء السبعة.

وهذا جدول تقريبي للنتائج التي توصلنا إليها:

الجدول المقارن لسلالة أنبياء وملوك ما قبل الطوفان

ت	القائمة التوراتية	قائمة ياكوبسن السومرية	قائمة بولنديل السومرية الأولى	قائمة بولنديل السومرية المزيدة	القائمة البابلية الناقصة	قائمة برعوشا البابلية	المدينة
1	آدم (930)	ألوم (000.28)	أبولم (000.67)	أبولم (000.67)	لولو	أناروهي (000.36) ألوروس	أريدو
2	شيت (912)	ألالگار (000.36)	ألالگار (000.72)	ألالگار (000.72)	أوليكار	الكاريس (800.10)	أريدو
3	إنوش (905)	أينمين لو أنا (000.43)	اينمين لو أنا (000.21)	كيدونو (000.72)		أميلون (800.46)	بادتيرا
4	قينان (910)	اينمين كال أنا (000.28)	اينمين كال أنا	المامو (000.21)		أمينون (800.64) أميكالينس	بادتيرا
5	مهلائيل (895)	دوموزي سيبا (000.36)	دوموزي الراعي	أينمين لو أنا (000.21)	تموز	دانوس (8000.46) إيفيدورايس	بادتيرا
6	يارد (912)	إينسباري أنا (000.28)	إينسباري أنا (000.36)	اينمين كال أنا		أميمسونس (000.36)	لراك
7	أخنوخ (365)	اينمين دور أنا (000.21)	اينمين دور أنا (000.72)	دوموزي الراعي		أوبارتيس (000.28)	سبار
8	متوشال (969)	أبورتوتو (000.28)	أبورتوتو (000.28)	إينسباري أنا (000.36)		- - -	شروباك
9	لامك (777)			اينمين دور أنا (إينمين - دور أنكي) (000.72)		كزيزوتروس (000.24)	شروباك
10	نوح (950)	زيوسيدرا (000.36)	زيوسيدرا (000.36)	أوبار توتو شوكور لام (في شوكور لام) وسيدرا (في نمكوزو)	أتراحاسس		شروباك

ثانياً: الحكماء السبعة (أبكالو)

الحكماء السبعة هم (أبكالو)، وأحياناً يلفظ اسمهم سومرياً (أفكالو)، ولكن المصطلح الأكدي لهم هو (بلوكو puluku). ويشير الأصل السومري لهم أنهم خبراء العرافين، أما المصطلح الأكدي فيعني، حصراً، (مراقبو النجوم). ومن هذا المعنى اشتقت كلمة (الفلك) فهي قريبة من بولوكو وكذلك كلمة (الأفك) أي الكذب، التي تشير إلى فئة الدجالين من العاملين في قراءة النجوم.

وقد أظهر نص مكتوب باللغتين السومرية والأكديّة أسماء هؤلاء الحكماء السبعة الذين عاشوا قبل الطوفان، ويُعتقد أن كل واحد منهم عاصر أحد ملوك الطوفان.. وكان هو مصدر الحكمة آنذاك (انظر: 4: Reiner1961)

”ويأتي ذكر الحكماء السبعة في اللوح الأول من ملحمة جلجامش
”أعل فوق أسوار أوروك

وامش عليها متأملاً

تفحص أسس قواعدها وأجر بناؤها

أفليس بناؤها بالآجر المفخور؟

وهل وضع الحكماء السبعة أسسها“. (باقر 1980: 74).

اليمن: الشكل التقريبي للأبكالو،

وتلاحظ اللحية ودلو بارادو والعباءة

السمكية، والتمثال هنا مصنوع من

الطين المشوي (تيراكوتا).

اليسار: الأبكالو يرتدي العباءة

السمكية، وهو يرتديها عارياً، ويظهر

دلو (باندودو) في مكانه المعتاد، في اليد

اليسرى، وهو دائماً ملتج وليس لديه

أجنحة.

<https://therealsamizdat.com/>

tag/sumeria



ويطلق على الواحد منهم أيضاً لقب (منتاكو muntaku) ويعطي معنى المستشار، ويوحي كذلك بكلمة (المنطق) فهل هذه الكلمة وهي جزء من الحكمة، تدل على أنهم (المنطقيون) أيضاً؟ وكذلك اسمهم السومري أبكالو apkallu أي الأفكل، وتشير إلى جذر سومري أبكال abgal وهناك مصدر يذكر أسماءهم الصريحة كما يلي:

1. آدبا: ومعنى اسمه الحكيم أو العاقل أو العارف، وهو كاهن التطهير لمدينة أريدو، والذي صعد إلى السماء، وتذكره إحدى القصص الأكديّة تفصيلاً، بحيث إنه كاد يحصل على طعام وشراب الآلهة، فيكون بذلك خالداً، لكنه رفض أخذ الطعام والشراب وخسر الخلود. وأدبا شخصية سومرية عاشت في أقدم عصور ما قبل الطوفان. وتختلط شخصيته بشخصية أخرى هي (أوان uan) وهي الشخصية التي ذكرها المؤرخ البابلي برعوشا (berssous) بصيغة (أونيس oannes)، ولكن أوان أو أوانيس هذا، على ما يبدو، كائن أسطوري نرى أنه الإله إنكي نفسه، وقد أخذ اسمه الأكدي أو البابلي (أيا) وصيغ بصيغة

يونانية (إيانيس) بدليل أن برعوشا يذكر بأنه كان يلبس ملابس سمكة، وهو رداء الإله إنكي الذي كان يلبسه رهبانه وكهنته، وتذكرهم النصوص المسمارية على أنهم صناع (ummianu)، وهي تسمية قد تكون مصدر (أوان). ويتميز أدبا عن بقية الحكماء السبعة في تفزده المرتبط بأسطورة آدم وأسطورة معراج السماء، ولذلك سنذكره، مفصلاً، في المبحث الرابع الذي يتحدّث عن الأبطال الديويين.

2. نونبير كال نون كالدوم: وهو الحكيم الثاني، وكان حكيم اممر كار، الذي جلب عشتار من السماء، ووضعها في معبدها في أوروك (أى أنا).

3. بيركال نونكال: وهو الحكيم الثالث القادم من كيش والذي أغضب الإله أدد في السماء، فقام هذا الإله بحبس الأمطار ثلاث سنوات، وماتت خلالها النباتات.

4. بيركال أبسو: وهو الحكيم الرابع الآتي من مدينة (أريدو) والذي أغضب الإله إيا أو إنكي في ال (أبسو).

5. لونا: وهو الحكيم الخامس الذي طرد التنين (أوشنكالو من معبد عشتار (انينكار نونا)).

أما الإثنان الآخران فتصعب قراءة اسميهما. (انظر 4: 1961: reiner).

ولكن مصدراً آخر يذكر أسماءهم بصيغة مختلفة، ويبدو أن لهم ألقاباً عدّة، وهم حسب هذا المصدر (انظر 327: 1989: dalley):

1. أدبا Adapa

2. أوان دوكا U - an - duga

3. اينمي دوكا En - me - gugfa

4. اينمي كلام En - me - galamala

5. اينمي بلوكا En - me - buluga

6. آن إنليليدا An - enlilida

7. أوتو - أبزو Utu - abzu

يظهر أباكالو بورادو الاسماك إلى يسار الشجرة المقدسة، مع اثنتين من الاسماك البشرية مثل كولولو (kullulu) Mermaid حورية، وحوري (حور عين) Mermaid
/https://therealsamizdat.com/tag/sumeria



ثالثاً: المعلمون الكبار بعد الطوفان

1. إيتانا: المعراج الثالث للسماء

يرد ذكر (إيتانا) في إثبات الملوك السومريين، على أنه الملك الثالث عشر من سلالة (كيش) الأولى، التي كانت أول سلالة حكمت البلاد بعد الطوفان، وترد مقابل اسمه العبارة التالية (إيتانا الراعي، الذي عرّج إلى السماء ووطّد جميع البلاد). وملخص أسطوره تكمن في بحثه

عن علاج أو نبات يعالج عقمه أو عقم زوجته، فتدلّه الآلهة إلى نسر كان قد أوقعه ثعبان في حفرة سيرفعه إلى السماء ليحصل هناك من (أنو) على النبات الذي يساعد على الإنجاب. ويبدو أنه حصل على هذا النبات، كما يدل إثبات الملوك السومريين على أن له ولداً اسمه (بالخ) أصبح ملكاً على كيش بعده. وتقودنا أسطورة (إيتانا) إلى أن هذا الملك اهتدى هو، أو جعلته الآلهة يهتدي، إلى إمكانية الشفاء من العقم عن طريق العلاج بنبات أو عشب إلهي. وهذه حكمة تدل على تمتّع إيتانا بالكثير منها، هذا من ناحية. أما صعوده إلى السماء الذي سبقه إليه (آدبا) فتكمن البطولة فيه أنه كان على ظهر نسر جريح عالجه هو وجعله مؤهلاً للتوغل في السّمَاوات السبع حتى واصله إلى سماء أنو السابعة، وكيف أنه كان ينظر إلى حجم الأرض ويشاهدها كأنها التل وبحارها كالأنهار الصغيرة.

هذه المغامرة الأولى من نوعها، التي ترمز لرغبة الإنسان في الطيران وحده أو بواسطة شيء آخر، تضع إيتانا مقابلاً للنبي إدريس الذي عرّج إلى السماء، ولعباس بن فرناس لاحقاً، وأسطورة ديداليوس اليونانية وتصوّره الرقم الرافدينية صاعداً على ظهر نسر. والناس والحيوانات ينظرون إليه وهو صاعد بدهشة.

انتشرت أسطورة إيتانا وأفكار المعراج السماوي في المحيط السومري، وصارت ملهمة مع المعراجين السابقين لإميدار - أنا وآدبا. ففي سوسة عُثِر على أكثر من ختمين أسطوانييين يصوّران بنقش واضح معراج إيتانا، فضلاً عن النقوش الأصلية في وادي الرافدين.

صعود إيتانا إلى السماء على
ختم أسطواني

<http://www.worldhistory.biz/ancient-history/56773-gods-and-people.html>



نقش ختم أسطواني لأسطورة
إيتانا سوسة 2300 ق.م.
(Amiet1979: 201)



نقش ختم أسطواني لأسطورة
إيتانا سوسة، منتصف الألف
الثالثة ق.م.
، (Roach :2008) (fig. 2062)



وقيمة أسطورة إيتانا تكمن في نتيجهتها العقلانية، وهي حصوله على علاج يُشفي العقم ويساهم في نوع من الخلود، وهو التكاثر والبقاء عبر الأبناء والأحفاد.

2. جليجامش وأجداده (رموز عصر البطولة السومري)

يتضح عصر البطولة السومريّ منذ بداية ملوك سلالة أوروك الأولى (2700 - 2900) ق.م.، ويشكل الملوك الخمسة الأوائل من عصر البطولة السومريّ، وهم كما في قائمة الملوك السومريّة:

ملحمته السومريّة (أو قصصه)	زمنه التقريبي ق.م.	صفته في ثبت الملوك السومريّ	سنوات حكمه	بطل / ملك أوروك
-	2900	ابن (أوتو) إله الشمس بصفته (إين) ويصفته ملكاً، ذهب إلى الجبال وذهب إلى البحر واختفى	342	مسيكي كاشر (مش - كي - أنج - كاشر) مشكي أنغشير
1. إينمركار وسيد أرتّا 2. خضوع سيد أرتّا لإينمركار	2850	ابن مسيكي كاشر، ملك أنوك، الذي بنى أنوك (أوروك)	420	اينمركار
1. لوجال بندا وإينمركار 2. لوجال بندا وجبل هرّم	2800	الراعي	1200	لوغال بندا
-	2750	السّمك الذي مدينته كوارا، الذي ألقى القبض بمفرده على إينميراغيشي	100	دوموزي (دوموزيد)
6 قصص	2700	حاكم كيش كان والده (للا)، ملك كولاب، الذي حارب أكا ملك كيش	126	جليجامش

وينفرد كل واحد من هؤلاء الملوك بقصص وبطولات، تشكل في مجملها ملحمة البطولة السومرية الأوروكية تحديداً.

1. ملحمة إيمركار: وهي ملحمة مؤلفة من قصتين، يمكن جمعهما في نص واحد، لأنه يخص علاقة إينمركار بمدينة أرتا.

أ. إينمركار وحاكم أرتا

ب. إينمركار يخضع حاكم أرتا

2. ملحمة لوجال بندا: وهي ملحمة مؤلفة من قصتين، يمكن جمعها في نص واحد، لأنه يخص سيرة لوجال بندا.

أ. لوجال بندا وإينمركار.

ب. لوجال بندا وجبل هرّم.

3. قصص جلجامش: وهي ست قصص عن جلجامش، لا تؤلف ملحمة سومرية، بسبب اختلاف موضوعاتها. تظهر ثلاث من هذه القصص في النص البابليّ لملحمة جلجامش المعروفة.



جلجامش / نحت بارز طين مشويّ من أروك/ موجودة في متحف لندن

http://www.uruk-megacity.de/index.php?page_id=6

لا نعرف إذا كانت هناك ملحمة سومرية كاملة عن جلجامش (ربما لم يعثر عليها بعد) فالملحمة المعروفة هي بابلية أكديّة اللغة. أما في اللغة السومرية، فتوجد ست قصص عن جلجامش هي:

1. جلجامش وأرض الأحياء: تدور حول سفر جلجامش إلى أرض الأحياء الخالدين، ليقتل هوأوا ويسجل اسمه مع الأبطال الخالدين.

2. جلجامش وثور السماء: تدور حول إرسال الإلهة إنانا ملكة السماء ثور السماء، ليدمّر أروك، لكن جلجامش يتصدى له مع أنكيكو.

3. إنانا وشجرة الحلبو وجلجامش: تدور حول شجرة الحلبو التي عثرت عليها إنانا، وحاولت أن تصنع منها سريراً لها، لكنها تفرع لوجود الأفعى في قاعدتها، وليليث في وسطها، وطائر الزو في أعلاها، فيتصدى لهم جلجامش، فيهربون، فتصنع منها كرسياً وسريراً لها، وتهدي لجلجامش فروعاً من جذورها وأغصانها (بكو ومكو) وربما يكونان الطبل وعصا الطبل.

4. جلجامش وأنكيكو والعالم الأسفل: ويبدو أنه استمرار للقصة السابقة؛ حيث تسقط (بكو ومكو) في العالم الأسفل، فيهبط أنكيكو في عالم الموت ليعيدهما له، ويصف له عالم الموت بعد خروجه منه على شكل شبح.

5. موت جلجامش: وهو نصٌ فريد، يصف حال جلجامش في العالم الأسفل ومكانته هناك.
 6. جلجامش وأجا ملك كيش: وهو نص قصصيّ ذو طابع تاريخيّ، يصف طلب حاكم كيش إلى جلجامش للخضوع لسيادته أو الحرب، فيعرض جلجامش الأمر على مجلس الشيوخ، فيخيّب أمره، لأنهم لا يفضلون الحرب، لكن مجلس الشباب يفضل الحرب، فيحاصر أجا أوروك، ولكنه يفشل، ويتدارك الطرفان الحرب ويعقدان الصلح.



جلجامش يصارع الثور

3. جوديا: أنا حمار شعبيّ

جوديا Gudea: هو أشهر الملوك السومريين لسلالة لجش. إنه الملك الثاني عشر للسلالة، وقد حكم من سنة (2144 - 2124) ق.م. أي عشرين عاماً، وكانت زوجته (نينالا) ابنة الملك أوروبا (2164 - 2144) ق.م. ملك لجش، أي أنه أتى بعده.
 ويُعدّ جوديا أهمّ رجلاً للملك الورع المعتدل القويم. وكان بناءً ومحبباً للعمران، وكان يردّد دائماً قوله الشهير (أنا حمار شعبيّ ممجّداً العمل من أجل الناس والبلاد. وقد بنى الكثير من المعابد والأبنية الأخرى وجداول الريّ في لجش وفي مدن سومر مثل (أور ونيبور وأوروك وبادتيرا).
 كان الإله الرئيس الذي عبده جوديا هو (ننجرسو) أي (إله مدينة جرسو) وهي مدينة قريبة من لجش تسمّى (تلّو). وهذا الإله هو إله حرب، رغم جذوره الخصيية وارتباطه بالطب والشفاء وإلهات العالم الأسفل.

اختار جوديا لقب إنسي (حاكم أو ملك مدينة) ولم يختَر لقب ملك (لوجال بالسومرية وشاروم بالأكدية). ويرجح أنه وصل بنفوذه السياسيّ إلى بلاد عيلام وأنشان. وكان يجلب الكثير من مواد البناء مثل خشب الأرز من جبال أمانوس، والأحجار من لبنان، والنحاس من شمال شبه الجزيرة العربيّة، والذهب والأحجار من الصحراء بين كنعان ومصر، والديوريت من مجان (عمان)، والأخشاب من دلمون (البحرين).

استعاد جوديا في فترته الحضاريّة في لجش مجد سومر القديم، بعد أن عبث الأكديون بهوية سومر ومعابدها ومدنها، وبعد الهجوم الكوتي على الأكديين ومدنهم. ولذلك أعلن جوديا استقلال لجش عن كلّ من الكوتيين والأكديين. ومن هذا الاسترخاء الحضاريّ ظهرت الدولة السومريّة الحديثة ممثلة بسلالة أور الثالثة.

كان يُطلق على جوديا لقب (سيبا زيد Sipa Zid) أي (الراعي الحقيقي)، لأنه كان أهمّ رجلاً عالياً

في التقوى والفضيلة والعمل بلا كلل من أجل شعبه ومن أجل الآلهة. وكان مهتماً بالعدالة الاجتماعية، ولم يكن مجرد حاكم سلطة. وكان على صلة بالآلهة، يتحدث معهم من خلال أحلامه، وعن طريق الأحلام أبلغته الآلهة بضرورة بناء معبد نجرسو العظيم. ازدهرت في عصره الحكمة والفنون والتعليم، وشاعت قيم السلام. ولذلك كان جوديا معلماً عظيماً من معلمي البشرية في تكوين شخصية الحاكم العادل. لفت الانتباه إلى عدالة نانشه ونجرسو، وقدم الحماية لليتيم والفقير، ووقف في وجه الأغنياء، ووفر الحماية للأرملة ضد الأقوياء.



يظهر جوديا حليق الشعر
برفقة إلهة ثانوية هي (لاما)
وهي روح من الأرواح الحارسة)
يقوده الإله نكشزيدا نحو
الإله إنكي

4. شولجي: الملك والموسيقي والرياضي والملهم الإلهي

شولجي Shulgi: هو الملك الثاني في سلالة أور الثالثة، التي شغلت ما يُعرف بالعصر السومري الحديث، وقد حكم لمدة (48) سنة (2029 - 1982) ق.م. قضى النصف الأول منها في بناء المشاريع العمرانية، والنصف الثاني في النشاط العسكري والسياسي، خصوصاً في الأقاليم الشرقية والشمالية الشرقية، ملاحقاً الكوتيين و(...) الذين هددوا حكم السومريين الجدد، وكانوا سبباً مباشراً في قتل والده المشرع العظيم (أورمو).

كان شولجي آخر ملك سومري عظيم، لأن الملوك الثلاثة الذين جاؤوا من بعده كانوا ضعافاً. ولم تقتصر شهرته "على الفتح وتنظيم إدارة الدولة وتقديسه الذي كان بلغ حدّ العبادة، بل أضاف الكتابة إلى ذلك أنه كان أول موسيقار في المملكة، فكان يُحسّن العزف على ما لا يقل عن ثماني آلات موسيقية، من بينها قيثارة وصفت بأنها ذات (ثلاثين وترًا)، وآلة موسيقية سُميت باسم أحد ملوك كيش القدامى هو (أور - زبابا) الذي سبق أن رأينا كيف أن سرجون الأكدي كان ساقياً له ثم استقل عنه". (باقر 2009: 424).

كان كاهناً أكبر للإلهة (إنانا) في أوروك في فترة حكم والده، وقد أطلق اسمه على أحد الشهور في تقويم الدولة السومرية الحديثة، ولم يكن فقط مقرباً من الآلهة باعتبارها قد اختارته مقرباً منها، بل رفعه أهل بلاطه إلى مرتبة الألوهية أو ما يقرب منها، فظهرت أسماء للأطفال مثل (شولجي - إيلي) أي شولجي إلهي، وشولجي باني بمعنى شولجي الخالق، وشولجي أبي.. إلخ.

وعبر كاتب سومري عن رأي شولجي في نفسه، فكتب على لسانه يقول: أنا الملك، كنتُ بطلاً في بطن أمي، أنا شولجي، صاحب البأس منذ مولدي، أنا أسد ثاقب البصر، ابن مارد، أنا ملك

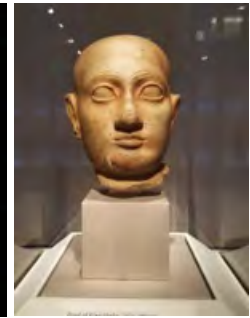
أركان الدنيا الأربعة، أنا حامي السومريين وراعيهم، أنا بطل، رب البلاد كلها. أحب الخير وأقضي الشرّ وأمقت ألفاظ العداوة، أنا شلوجي الملك القدير، أخضعتُ البلاد الثائرة، وكفلت الأمن لشعبي، شلوجي الذي توافر له بأس السماء والأرض، ولم يكن له مثيل، شلوجي الذي رعاه رب السماء“. (صالح 1990: 499).

أهم أعماله العمرانية إكمال بناء زقورة أور، والاهتمام بمدينة أريدو ومعابدها القديمة والجديدة. ورغم اهتمامه بمعبد الإيساجيل في بابل، إلا أنه استولى على ذخائره، فغضب الإله عليه، ولم يقبل على جثته بعد موته. وبنى مدينة (دير) بعد طرد الكوتيين منها، وأنشأ مدناً وقرى وشوارع عدّة. ويعتبر شلوجي أول من بنى (أماكن ومقاهي الاستراحات في الطرق من أجل تسهيل السفر بين المدن).

كان شلوجي يحبّ الرياضة، ويركض لمسافات طويلة بين المدن السومرية. وقد تركت لنا الرقم الطينية الكثيرة من عصره وعصر الدولة السومرية الحديثة، نصوصاً في غاية الدقة عن تفاصيل كثيرة في الحياة، من ضمنها معاملات الأفراد.

كان شلوجي يركض في اليوم الواحد 200 ميل (321.8 كم) خلال عاصفة كبيرة، كي يشرف على المهرجانات الدينية في أور ونيبور.

قام شلوجي باتباع سياسة جديدة في فرضه الضرائب على المعابد والمجمّعات الدينية، وقد أفقده هذا شيئاً من شعبيته بين رجال الدين، لكن هذه الشعبية تعزّزت بين عامة السكان الذين لم يشهدوا ارتفاعاً بهذه الضرائب. وأنشأ جيشاً وطنياً جديداً، ووحد الأوزان والأسعار. كان موته مثيراً للجدل في السجلات التي وصفت حكمه. وقد يكون شلوجي قد توفي بسبب ضربة عنيفة قاتلة مع زوجته شيمتي ومحظيته جيم - نليليا. وربما كان أبناء شلوجي هم من فعلوا ذلك، على أثر ثورة عنيفة نشبت في القصر الملكي. ويبدو هذا المقتل غير مؤكد وليس هناك ما يدعمه.



تمثال رأسي لشلوجي، كتابة مسمارية من عصر شلوجي

<http://asorblog.org/shulgi-king-cleveland-ask-near-eastern-profession-al/http://sumerianshakespeare.com/30301.html>

المبحث الثالث الجماعة والطوائف والمذاهب

كانت الديانة السومرية تحمل انقساماً واضحاً بين عبادتين متميزتين في داخلها هما (عبادة إنكي) و(عبادة إنليل). ونرى أن عبادة إنكي نشأت مبكرةً قبل عبادة إنليل، وكانت بدايتها في أريدو في حدود 5000 ق.م.، حيث يعتقد أن أول معبد كان للإله إنكي (إيا).. وأنه ربما كان قريباً من أحد الأنهار، وتحديداً نهر الفرات. لم يبدأ الانقلاب الذكوري في عصر الكالكوليت جذرياً، بل كان بطيئاً ومتدرجاً، اقتربت بداياته من التماهي مع العصر الأمومي في النيوليت.

كان الإله إنكي هو الأقرب إلى الإلهة الأم (ممو)، فهو ابنها، ولذلك حين أراد الكهنوت الذكوري تعيين إله مركزي للعبادة في ثقافة أريدو (التي سبقت الحضارة السومرية)، كان الإله إنكي هو الأكثر قرباً إلى طبيعة العصر، فهو إله ذكر يحمل مسؤولية الأرض والماء، وينحدر من إلهة أم معنية بالأرض بشكل خاص.. وهو ابن لها إذ يحمل صفاتها أيضاً.

ولذلك ظهر الإله إنكي كراعٍ للخصب والزراعة والعلوم والفنون والحياة، وهو، في الأساطير، خالق الإنسان مع أمه (ممو) وسليلتها (ننخرساج) التي أصبحت تمثل الأرض بعد أمها.

ولا شك في أن كهنة إنكي حملوا على عاتقهم تأسيس أول نواميس الحضارة في أريدو، وكان رؤادهم يُعرفون بأ (أبكالو) وهم الحكماء السبعة الذين تحدثنا عنهم بإسهاب. ولذلك لا بد من أن نقول بأن عبادة إنكي هي التي أسست المدن الأولى والمعابد الأولى ومظاهر التحضر الأولى، انطلاقاً من (أريدو)، حتى شملت جنوب وادي الرافدين، ثم وادي الرافدين بأكمله وما حوله. وكانت هذه العبادة تميل إلى الثقافة والمعرفة والفنون.

جاءت عبادة إنليل لتعبر عن نزعة هوائية تميل إلى السلطة والعنف. ونرجح أنها خاضت مع عبادة إنكي صراعاً استمرّ خلال ثقافة العبيد، وانتصرت بعدها، كلما اقتربنا من ظهور ثقافة أوروك، حتى أصبحت هي الديانة الرسمية في سومر.

تميل عبادة إنليل إلى ذكورية حادة، وتبدو وكأنها انقلاب على الذكورية الأولى التي دشنها إنكي. وهكذا تصبح رموز إنكي وما يتعلق بها، مطرودة من الحياة الدينية التي تزعمها الإله إنليل وكهننته. فالإلهة الأم أصبحت أقلّ شأناً، والسلطة أصبحت أهمّ من الثقافة والحضارة، وبدا إنليل مغتصباً وقوياً ومركزياً.

وهذا ما يفسّر ظهور أسطورة خلق الإنسان من الكلمة، وليس من الطين والماء، لأن الكلمة تنطلق من الفم وهي قرينة الهواء الذي يمثله إنليل. ويفسر هذا أيضاً انتقال مركز الديانة من أريدو إلى نقر (حيث مقر إنليل) ومن أريدو إلى أوروك (حيث مقر آن وإنانا وابنته).

كانت نقر (نيبور) عاصمة السومريين الدينية، وكانت تجمع حولها الجماعة الدينية السومرية من مختلف المدن. فالإله القومي للسومريين هم (إنليل) وهو إله الهواء الذي يلف الجماعة الدينية حوله. ورغم وجود آلهة خاصة بالمدن، فإن الناس يحجون إلى نيبور كل عام، من أجل التبرك بزيارة إنليل ومعبده.

ويمكن، بدراسة متأنية، معرفة الكم الهائل من الإزاحات والاحتلالات التي أحدثها إنليل ورموزه على وظائف إنكي ورموزه. وهو ما يفسّر أن صراعاً حاداً قد نشب بين العبادتين، أدى في نهايته إلى انتصار العبادة الإنليلية.

حين انتصرت عبادة إنليل على عبادة إنكي، كان الملوك يجدون في عبادة إنليل مصدراً لقوتهم وزعامتهم، فكان التحالف سهلاً وقوياً بين المؤسسات الدينية والسياسية من خلال عبادة إنليل. وكان الملك يظهر في سلطته وقوته وكأنه إنليل المحارب القوي. أما الناس فكانوا يميلون إلى إنكي،

وهمجّدون رموزه، وقد وجدوا ضالّتهم في ابن إنكي وهو (دوموزي) الذي ورث عن أبيه صفات الخصب والتكاثر والفنون والرعي. وكانت لهم في أسطورته مع إنانا نواة أساطير عبادتهم الديموزية هذه.. فهي ملهمة الحب والعذاب ومحفزة التكاثر والحبّ بينهم.

هكذا، إذًا، نشأت عبادتان: الأولى رسمية، هي عبادة إنليل، وهي متحالفة مع الملك والبلاط والجيوش والمؤسسة السياسية، والثانية شعبية، هي عبادة دوموزي التي يحملها الناس في معابدهم وحياتهم اليومية كنوع من العزاء على حفظ النوع واستمرار الحب والخصب في الطبيعة وفيهم.

ورغم هذا الفصل الواضح بين العبادتين، إلا أن كلا منهما كان يحمل شيئاً من الآخر بطريقة أو بأخرى، لكي يكون هناك نوع من التوازن الذي تفرضه الحركة الطبيعية المتواشجة بين ما هو رسمي وما هو شعبيّ. فقد حملت العبادة الرسمية اهتماماً بالاله دوموزي في عيد رأس السنة السومرية، حين كان الملك، في نهاية الاحتفال، يقوم بدور دوموزي، والكاهنة العليا تقوم بدور (إنانا). وتبدأ طقوس الزواج المقدّس في المعبد المقرّر للاحتفال. وكان ذلك يرمز إلى خصب الكون والإنسان والحيوان والنبات في مستهل السنة الجديدة، وكأنه يشير إلى أن أول العام هو أول الخليقة؛ حيث الخصب والتكاثر. ولا شك في أن هناك مظاهر أخرى من العبادة الديموزية والإنكية تظهر واضحة أو متخفية أو مقموعة داخل العبادة الإنليلية.

أما الديانة الشعبية، فلا شك في أن الناس كانوا يشاركون ملوكهم ودولتهم عبادة الإله إنليل وسلالته بشكل عام. لكن العبادة الشعبية تحمل من يمثل العبادة اللاسمية في داخل أسطورتها المركزيّة (دوموزي) هي (إنانا) التي كانت ابنة إله القمر المنحدر من إنليل مباشرة، فهي بمثابة حفيدة إنليل من سلالته الهوائية.

لقد أشرنا في تحليلنا لأسطورة دوموزي وإنانا إلى أن سبب الخلاف والفراق بين دوموزي وإنانا له علاقة بأصليهما، بل إن هنالك ما يشير إلى هذا، حين تثور إنانا، وتطلب من دوموزي أن يعرف مقامها الكبير ومقامه المتواضع.

وقد ورث البابليون الصراع ذاته بين العبادتين الشعبيّة والرسمية، لكننا في نهاية المطاف نلمح انتصاراً واضحاً للديانة الرسمية، واختفاءً تدريجياً للديانة الشعبيّة ورموزها. ويتجلى هذا في بدايته مع الدّين الآشوريّ الذي يعيد ترتيب الأوراق من جديد ويجعل من آشور (وهو نظير إنليل) زوجاً لعشتار (وهي نظيرة إنانا) ويختفي تموز من مشهد المثلولوجيا الآشورية إلى حدّ كبير.

وسنلمح هذه التبدلات بقوة أكثر في الديانة الآرامية، التي تجعل من حدد بعل، وداجون بديلاً نهائياً عن تموز، وتصبح عشتار الآرامية قرينة لهما..

اتخذت كل تلك العبادات التي تحدثنا عنها (إنليل وإنكي) (الرسمية والشعبية) طابعاً حاسماً وواضحاً في الصراع الشمسيّ القمريّ، الذي بدأت جذوره في العصر البرونزي بصيغة الهواء والماء (إنليل وإنكي)، واتضحت في العصر الحديديّ بصيغة النار والتراب (الشمس والقمر) (النور والظلام) وهكذا...

المبحث الرابع الباطنيّات

ليس المقصود من الطقوس السريّة ممارستها في الخفاء وبعيداً عن أعين الآخرين (باستثناء السّحر الأسود) بل المقصود عدم ممارستها، إلا من فئات خاصة من الكهنة، لكونها تنطوي على شعائر ذات طبيعة سحرية بالدرجة الأساس.. ولها من الخصويّة ما لا يمكن تعميمه كما في بقية الطقوس.

وقد كان أغلب هذه الطقوس خارج الشكل الرسميّ للديانة السومريّة، ولكنها دخلت في جوهرها بسبب من انطوائها على الكثير من الأسرار والغموض، وشحذها فضول الناس، وتعلق الناس ببعض من إمكانيّاتها التي كانت تدّعي السيطرة على قوى الكون والآلهة والإنسان. تعتمد طقوس الأسرار في أساسها على مبدأ سحريّ جوهريّ يقتضي وجود قوة في الكون أو في الآلهة أو في الشياطين أو في الإنسان. وأن هذه القوة يمكن أن تتناغم مع قوى أخرى عند الذي يقوم بهذه الطقوس، وهي قوة الساحر أو العرّاف أو المنجم أو مفسّر الأحلام، الذين يستطيعون تحريك تلك القوى وتفسيرها بالشكل الذي يريدون. ونحن نعتقد أن ظهور قوى باراسيكولوجية عند بعض الأفراد أمر وارد، وأن إمكانيّات تسخيرها في مختلف الاتجاهات أمر لا تشوبه الشكوك في تلك العصور، التي ما زال فيها الإنسان خارجاً للتوّ من مراحل البدائيّة. والقوة الباراسيكولوجية غير القوة النفسية التقليدية التي تعتمد التأثير النفسي العادي الشعوري عند الإنسان، لأن القوة الباراسيكولوجية قوى خارقة، لا تعمل وفق القوانين الطبيعيّة، بل تعمل على إيقافها والتأثير عليها. ولذلك تخفت هذه القوة، من خلال أصحابها، تحت أشكال عديدة، مما كان يُعرّف بالسّحر ومعرفة الغيب والتنجيم وتفسير الأحلام.

لقد كانت طقوس الأسرار السومريّة موثلاً هاماً للديانة السومريّة بالاتجاهين الإيجابي والسلبيّ، فقد كرّست هذه الطقوس مجموعة من التقاليد التي سادت في الديانات اللاحقة، وعززت مكانة الدين، ولكنها في الوقت نفسه أنتجت ضرراً فادحاً؛ حيث سادت الشعوذة والحيل واصطناع الخوارق، ما أثر سلباً على طبيعة العقائد الدينيّة، بسبب عدم إمكانيّة الفصل الحاد بين السّحر والدين، حتى في العصور السومريّة وما تلاها، خصوصاً السّحر الأبيض أو الحلال، الذي كان مسموحاً به دينياً.

إننا إجمالاً يمكن أن نقسم طقوس وممارسات الأسرار إلى أربعة أركان أساسية هي (السّحر والعرافة، الخيمياء، التنجيم، تفسير الأحلام).

الفصل الثاني: الديانة المصرية



أسطورة الخليقة المصرية حيث يظهر الإلهان نوت (السماء) وجب (الأرض)

القسم الأول المكوّنات الرئيسيّة في الديانة المصريّة المبحث الأول

المعتقدات الدينيّة المصريّة

أولاً: المعتقدات الألوهيّة

تتحدّث عن الكائنات التي وصلت مصر Zep Tepi على جدران معبد إدفو، قصة زيب تيبّي وشرعت في إعطاء شعب النيل فوائد الحضارة والزراعة وقد أطلق على هذه الحضارة العالية اسم (أورشو) التي ظهرت في شكل إنساني، وغالباً ما أخذ جزءاً من شكل الحيوانات. وقد أسماها المصريون (نتر) أو (نتيرو) والتي تعني (الإله). ومن الناحية الجغرافيّة، فإن موقع نصوص إدفو الذي يلمّح إلى النقطة التي جعلت فيها (نتيرو) معروفة بوجودها هو "عين شمس"، والمعروفة باسم "عين الشمس" أو "نافورة الشمس". وكان الرمز المصريّ لـ "عين الشمس" هو اللوتس المقدّس العائم في مجموعة من الماء الشفاف، في الصباح يزهر الزنبق الأبيض ثم يغرق تحت الماء عند الغسق، أما زنبق الماء الأزرق فيتفتح في الليل ويغلق في الصباح. وهذا يرمز إلى الانفصال المصريّ للآلهة، وهو ما عزّز المعتقدات المصريّة المتعلقة بالوفاة والآخرة. الاكتشاف الأخير للخصائص هو كون اللوتس يحمل مخدراً وهو ما يفسّر دوره الاحتفالي.

تمّ استبدال لوتس في حمام السباحة المركزيّ بواسطة (دجد) وهو عمود، أنشئ من القصب. كان رمز دجد واحداً من الرموز القديمة وأكثر شيوعاً في الأساطير المصريّة. بل هو رمز الاستقرار. ويرتبط مع أوزيريس، إله الآخرة، والعالم السفليّ، والموت. ومن المفهوم عموماً لتمثيل العمود الفقري له.

وكان الهيروغليفية دجد رمزاً تشبه العمود الذي يمثل الاستقرار. وكان العمود بمثابة تجسيد للإله المجهول المعروف باسم "الواحد"، والتي اتخذت بعد ذلك على شكل صقر.

يرى ماسبيرو أن المصريّين "أشدّ الأمم تمسكاً بدينهم، وكان لهم آلهة كثيرة بعدد ما في بلادهم من الكور"، وكانت هذه الآلهة عبارة عن النيل مثل "أوسيريس وخنوم" والأرض مثل "إيسس وبتاح" والسماء "مثل حار وپريس" والشمس "رع وأنحوري". وكانت لها أشكال آدمية أو حيوانية ولها حشم وأتباع من آلهة ثانويّين عديدين، وكانت تشبه بني الإنسان في احتياجاتها وميولها وقبائحها. وكانت عبادتها عبارة عن قرابين وضحايا يقصد بها إنالتها كل ما تحتاجه في معيشتها من مأكّل ومشرب وغير ذلك من لوازمها. وكانت هذه الآلهة تتصاهر وترتّب على توافقها وتباغضها مع بعضها بعضاً حدوث هذا العالم وبقاؤه. ومن مقتضى مذهب هيليوبوليس أن خلق الدنيا كان على يد ثمانية من هؤلاء الآلهة؛ تحت رئاسة رع تومو الذي هو الشمس. وقد أقرّت جميع الكور على هذا المذهب التّساعي مع استبدال تومو بالإله المعبود في كل كورة منها؛ أي بأمون في طيبة، وبتاح في منف مثلاً. وهذا ما حمل علماء الديانة على اعتبار جميع الآلهة الأصليّة بمثابة أشكال تشكل بها تومو، الذي هو الشمس. أو أسماء مختلفة أطلقت للدلالة عليه. وقد كانت سيادة طيبة على القطر المصريّ سبباً في سيادة آمون على بقية الآلهة الآخرين. أما الإله الوحيد الذي اعترف به جميع المصريّين فكان أوسيريس

إله الأموات. وكان المؤمنون يحضرون يوم الدينونة أمام محكمته ثم يبررون أنفسهم ويزكونها بالتصل، وبعد ذلك يقبلون في غيطان الفول، حيث يعيشون عيشة تشابه عيشتهم على وجه الأرض مشابهة كبيرة. وفي القرون الأولى التي أعقبت ظهور الديانة المسيحية كان أوسيريس شبه إله دولي انتشرت عبادته في جميع أنحاء المملكة الرومانية“. (ماسيرو: 2014: 59).

التعددية ودرجاتها والثنوية والتفريد والتوحيد

يستنتج فرانكفورت أن المصريين كانوا موحدّين في الطبيعة لا موحدّين في الله. فقد رأوا أن هناك كائنات متعدّدة غير أنهم أحسوا أن لهذه الكائنات جوهرًا أساسيًا واحدًا، فهم يقتربون، بشكل أو بآخر من مبدأ وحدة الوجود.

”كان هناك في ما يبدو إله كوني للسماء أطلق عليه ”ور Wer“ ”أي الواحد العظيم“، مع تأكيد خاص على طبيعته كإله للضياء توحد في وقت لاحق مع ”حورس“، وكانت الشمس والقمر هما عيناه. وقد حمل لقب ”مختني إرتي Mekhenti - irty“ وتعني ”الذي في جبهته توجد عينان He on whose forehead are two eyes“ وفي الليالي غير المقمرة أو عند حدوث محاق فإنه يصبح ”مختني إن إرتي Mekhenti - en - irty“ ”الذي لا توجد عينان في جبهته He on whose forehead there are no eyes“. وفي هذا الوضع الأخير صورته خيال المصريّين كإله حامي للأعمى للطبيب ولأولئك الذين يعانون من أمراض العيون، كما كان إله الموسيقين الذين كانوا على الأغلب من العميان، بل هو الإله العازف على القيثارة. وهذا النموذج الشعبيّ من المعبودات يوضح كيف أنه جوهر إلهيّ مطلق كما أخرجه العقل اللاهوتيّ أصلاً، يمكن أن تنزل به المعتقدات الشعبية إلى مستوى بشريّ في مجمل طبائعه“. (تشرني: 1996: 66).

وإذا انتقلنا من التوحيد بدرجة واحدة، فإننا سنصل إلى الثنوية ditheism التي تتجلى في اللاهوت المصريّ في الآلهة الأزواج (الذكور والإناث) فمنذ الثامون الإلهيّ العتيق للأشمونيين والأزواج الإلهية تترادف وتشكل نمطاً ثنائياً متصالحاً. أما النمط المتعارض فلم يكن عبر الأزواج الذكور والإناث بل كان عبر الآلهة الأضداد. فقد كان إله الشمس (النور) الإله رع عدو الإله (أبيب) ثعبان الظلام الذي كان يقف في طريق الشمس كل يوم. وكان الإله أوزيريس (إله الخضر والنهار) عدواً للإله ست (إله الصحراء والليل) الذي كان يخوض معه صراعاً طويلاً. وقد حفلت المثلوجيا المصريّة بصراعات ثنائية كثيرة. والغريب في الأمر أنها كانت ذكورية في أغلبها.

أما نظام الثالوث المصريّ (tritheism) فقد كان باهراً، حيث ظهرت الثالوثات الإلهية المصريّة بشكل واضح، خصوصاً في المجتمعات الإلهية في المدن والأقاليم فقد كان في كل مدينة وإقليم ثالوث مكوّن من الإله الأب ومن إلهة أو إلهتين إثنين أو من إلهة وإله ابن وهو النمط السائد. ويرى (بدج) أن فكرة الثالوث هي في الغالب كانت قديمة في مصر قدم الإيمان بالآلهة. ويبدو أنها كانت سائدة في العصور المبكرة مع سيادة الأفكار الخاصة بتشبيه الإله بالإنسان. وبالتالي تصبح فكرة تزويد المصريّ لإلهة بزوجة بدرجة حرصه نفسه على أن تكون له واحدة، وهي فكرة مفهومة لأنه كان يُفترض أن الإله لديه الرغبة في أن ينجب ولداً يخلفه، كما يرغب هو نفسه ويتوقع أن يكون له.

أما نظام التفريد وهو إبراز شأن إله على حساب آلهة آخرين فيظهر واضحاً من خلال آلهة الشمس أيضاً. فوجود الإله (رع) على قمة تاسوع شمسيّ هو نوع من أنواع التفريد. وكذلك في ما يخصّ الإلهيّين بتاح وأمون. صحيح أن هذه الآلهة كانت تشكل التوحيد الباطنيّ لأنها آلهة شمسية- ولكنها في الظاهر تصلح أن تكون مثلاً نادراً للتفريد. ومن صفات التفريد أن إله

التفريد هو إله قوميّ يرضى أناساً معينين دون آخرين، ويعترف الناس بأن لأقوام غيرهم آلهة خاصة أخرى وهذا ينطبق إلى حدّ كبيرٍ على الإله (رع) الذي كان بمثابة الإله القوميّ للمصريين وعلى الإله (حور) الذي عبّر عن ذلك في وقت مبكر حين أصبح إله الأرضين العليا والسفليّ في مصر.

لم تكن الآلهة المصريّة تصوّرات مجردة أو شكلاً من أشكال التعبير الذهني عن القوة السارية في الطبيعة. بل كانت مغمّسة الجذور وفي كل مظاهر الطبيعة وذات أصول تغرق في المعتقدات السحرية الفتيشية والطوطميّة.

لقد كانت الطبيعة بمعناها الواسع المنهل الأول الذي نهلت منه الديانة المصريّة آلهتها ولاهوتها وطقوسها. فقد شكلت مظاهر الطبيعة من سماء وأرض وشمس وكواكب ومياه وأنهار ونباتات وحيوانات وأشياء مصنوعة إحياءات بأشكال وصور الآلهة بل حتى عقائدها.

عبّد الكثير من الآلهة بشكلها الحيوانيّ وعبد الإله سوبك على شكل التمساح في الجليل وندره وسائس ولاحقاً في الفيوم. واسمى المصريون السماء (الرب الأكبر) وتصوّروها على شكل صقر ينشر جناحيه العظيمين على الأرض أو على مصر بأكملها. وتصوّروا الشمس والقمر عينيه المقدّستين. أما النجوم فتصوّروها مزروعة على جسده ربما على شكل ريش يلمع. والريح كأنه أنفاسه والماء عرقه وهكذا تجسّدت قوى الطبيعة ومظاهرها في هيئة صقر كوني.

ونشأ تصوّر آخر للطبيعة فقد ظهرت السماء على شكل بقرة كونية تستند إلى الأرض بقوائمها الأربع التي تمثل دعائم السماء وتصوّروا إله الهواء (شو) كرجل عملاق يرفعها من بطنها وسفينة الشمس تمشي على بطنها والنجوم تلتصق على جلد بطنها.

الفتيشية تعني الاعتقاد بقداسة الأشياء والتصور بأن قوى الكون والقوى السارية تجتمع فيها. ولذلك اتخذت بعض صور وأشكال الآلهة صفة هذه الأشياء المقدّسة. فقد كانت الفأس رمزاً للآلهة كلها وتحولت صورتها في الكتابة الهيروغليفية إلى دال على الإله (نتر) وكان حجر الشمس المدبّب الذي سُمّي (بن بن) دالاً على إله الشمس (رع) و(أتوم). وحتى الهرم الحجريّ الذي بني كمقبرة ملكية عظيمة فإنه كان مشتقاً من شكل التل الأول الذي ظهر من المياه الأولى (نون). وكان رمز الإلهة نيث في سايس هو الدرع التي تقاطع عليها زوج السهام. وكان إله مدينة بورويريس في الدلتا يصوّر كعمود له رأس وأيدي ملك مصريّ.

كانت الجذور النباتية والحيوانية مصدرراً طوطماً أساسياً للعبادات والرموز الدينيّة القديمة. فقد كانت شجرة (البيروس) شجرة مقدّسة لأنها موطن الآلهة وكانت زهرة اللوتس كذلك دالة على الإله الشمس لأنه خرج منها وعلى الإله نفرتموم إبن بتاح.

كان يُنظر لشجرة الجميز على أنها رمز لآلهة السماء نوت وكان جذع الشجرة مرتبطاً بعبادة الإله أوزير ورمّما كانت من بقايا عبادة الشجرة. أما المظهر الكبير في الديانة المصريّة فكان في جذورها الحيوانية فقد عبّدت الحيوانات لذاتها في شكل عقيدة طوطميّة تعكس اعتقاد الناس في انحدرهم من حيوان معيّن. ثم في مرحلة لاحقة، وتحّت وطأة الصعود الروحيّ للآلهة، أصبح التعبير عن الجذور الحيوانية رمزاً يرتبط برسم الإله أو التمثال الحيوانيّ، أما في المراحل الانحطاط الأخيرة فقد طغت عبادة الحيوان (وليس الطوطميّة) وأصبح تقديس الحيوانات لذاتها أو باعتبارها هو الأساس.

وفي هذا المجال نرى أن هناك أسباباً عميقةً لعبادة الحيوانات وطوطمها. فقد كانت الأسباب الكامنة وراء ذلك تحمل رغبتين، وهما ”رغبة الرمز إلى صفات إله خفيّ ببعض المخلوقات الظاهرة التي تحمل صفة من صفاته أو آية من آياته. ثم رغبة التقرب إليه عن طريق

الرعاية التي يقدمونها ضماناً لما رمزوا به اليه من مخلوقات“. (مهران 1984: 268).
وكما تأملنا في الجذور الطبيعية والفتيشية والطوطمية للآلهة. لا بد لنا من تأمل أرقى مرحلة
تصوّر فيها المصريّ آلهته وشبّها بها. وهي التشبيه بالإنسان قبل أن يصل إلى المرحلة التجريدية
الأخيرة التي حاولت الظهور بها توحيدية أختاتون.

وفي ظننا أن أول تشبيه للآلهة بالإنسان انطلق من فكرة أن الملك أو الفرعون (الذي هو الإنسان)
كان إلهاً.. وقد كسرت هذه الفكرة الحواجز بين الإله والإنسان. كما أن أساطير الخليفة المصرية
الخاصة بالإنسان لا تفرّق كثيراً بينه وبين الآلهة.

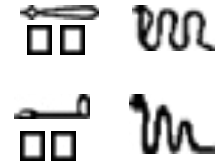
ثم قام المصريّ بالخطوة اللاحقة حين صوّر الآلهة بجسد بشريّ ووجه حيوانيّ يشير إلى جذوره
أو رمزه القديم. وجاءت المرحلة الأخيرة حين أصبح شكل الكثير من الآلهة جسداً ووجهاً
ولباساً كما الإنسان.

الشياطين والروح

أيب أبو فيس: (Apep) (Apothis)

ويسمى أيضاً (أبيبي، أيبب) ويُلفظ بالقبطية (أباي، أفوف) وأبوفس تسمية يونانية له وأصلها
هكسوسي. وهو الثعبان الملتوي الجبار الذي يمثل الشرّ والظلام، وكان يقف بالصدّ من الإلهين
(رع وماعت) أي (الحقيقة والعدل). فهو عدو رع لأنه عدو الشمس والضياء. وهو عدو الإلهة
ماعت لأنها رمز النظام الكونيّ والعدالة.

ورغم أنه ابن الإلهة (نيت) إلهة السماء، لكنه يشكل الجانب المظلم منها، ويرسم، عادة،
في شكل ثعبان ضخم طويل يلتفّ على نفسه مرات عدّة. ويظهر الرسم على جدران المعابد
وهو يواجه أحد الرموز الخيرة القادرة على رده أو قتله. وقد رسم أيضاً بأشكال أخرى مثل
السحلية والتمساح والتنين، وحتى اسمه في الهروغليفية يتضمّن رسماً لشكله الملتوي.

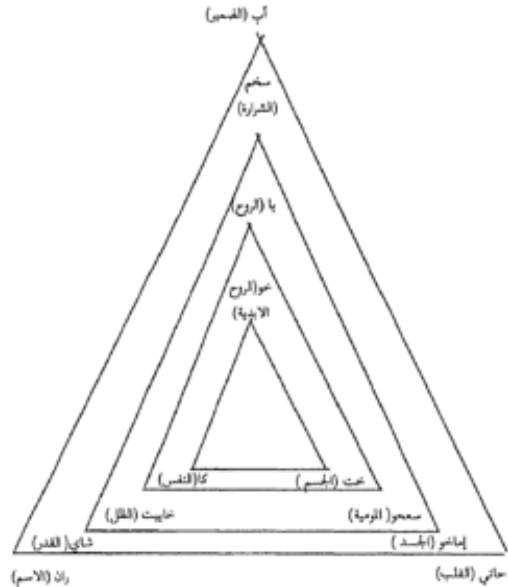


أبوفيس (أو أيبب، أبيبي، أيبب)
<https://ar.wikipedia.org/wiki/أبوفيس>

اسم أيبب بالهروغليفية
بصيغتين

التشريح اللاهوتي للإنسان

اذ كان الإنسان، علمياً، يتكوّن من أجهزة عدّة تعمل على ديمومة حياته ونشاطه البيولوجي، فإنه، لاهوتياً، عند المصريّين القدماء، يتكوّن من أجهزة عدّة تعمل سوية منذ ولادة الإنسان قبل الموت وبعده كي تضمن بقاء التكوين الإلهي والروحي للإنسان سليماً. وكان المصريّ يعتقد أن الإنسان مكوّن من أربعة ثالوثات لاهوتية تختلف باختلاف مراحل حياته. ويشير كلّ ثالث بصفة عامة إلى ثلاثة أطراف أساسية هي الروح والجسد والنفس. وتختلف أشكال كل مفردة من هذه المفردات، حسب مراحل الحياة. فهناك ثالث يأتي بعد ولادة الإنسان مباشرة مكوّن من (أب. حاتي. ران) التي تشير إلى (الضمير، القلب، الاسم) وهو يعيش مع حياة الإنسان، وهناك ضرورة كبرى للحفاظ عليه. وهو ملازم للإنسان. أما الثالث الذي يغذي حياة الإنسان ويعتبر مثل القوى الحارسة له فمكوّن من (سخم. إماخو. شاي) التي تشير إلى (الشرارة. الجسد. القدر) والثالث كان موجوداً في الإنسان قبل الموت، ولكنه يبقى بعد الموت مباشرة ويتكوّن من (با. سحو. خاييت) وهي (الروح التي تلتحق بالشمس. المومياء. الظل). أما الثالث الرابع فهو أبدي يتكوّن من (خو. خت. كا) والتي هي (الروح التي تلتحق بأوزيريس. الجسم المادي. النفس) ويلاحظ أن اختلاف المفاهيم المتعلقة بالروح عند المصريّين يرجع إلى امتزاج العقائد الذي كان من أهم عوامله اختلاط الشعوب ويرجع أيضاً إلى ميل المصريّين إلى التمسك بأي عقيدة أو بأي صورة من عقيدة تنبعث بمرور الوقت في المجتمع، والشعب الذي يعتقد في وجود القرناء وفي تناسخ الأرواح يتوقع أن تكون لديه، بالضرورة، مفاهيم غامضة ومعقدة، كما هو واضح، كانت سمة من سمات معتقدات المصريّين القدماء الدينيّة“ (عويس 1966: 28).



الثالوثات اللاهوتية في مثلث واحد مكوّن من (الروح. الجسد. النفس) تشير لها إجمالاً في المثلث (قمة المثلث. الزاوية اليمنى. الزاوية اليسرى).

العالم الميتافيزيقي (العالم الآخر)

العالم الآخر كان أكبر، مكاناً وزماناً، من عالم الأرض. الساعة الواحدة كانت تعادل ما يقرب عمر الإنسان.

كان هذا العالم معكوساً بالنسبة لعالمنا، وكأنه أشبه بالمرآة العملاقة. فالشمس تدور معكوسة فتذهب من الغرب للشرق حتى تظهر، والثعبان يعيد ولادة الأشياء من الذيل إلى الفم، والمشى يكون على الرأس، والأكل من الفضلات والمياه مقلوبة، والكتابة مقلوبة ولا بد من قراءتها بطريقة معكوسة. والناس هناك يتحولون من (كبار) إلى (صغار).

”العالم الآخر هو أيضاً صورة مشوّهة لما تألفه على الأرض، كل شيء فيه أكبر من مثيله في الحياة الدنيا، وأبعاده تقاس ”بالمقاييس المقدّسة“ التي هي أكبر بكثير من المقاييس الملكية الأرضية، وأعواد القمح التي تنبت هناك ويحصدها المباركون أكبر بكثير من مثيلاتها على الأرض، إذ يبلغ ارتفاعها سبعة أو حتى تسعة أذرع (أكثر من 12 أو 15 قدماً على التوالي). فأبعاد العالم الآخر كما يصفها كتاب ”الأموات“ تتجاوز كل الأبعاد الأرضية. فمجرد طول المنطقة العازلة المؤدية إلى العالم الآخر الحقيقي أكبر من طول كل وادي النيل إلى ما تحت الشلال الثاني، وطول المنطقة التي تستغرقها الساعة الثانية تبلغ ثلاثة أضعاف تلك المساحة، أي 309 أميال مصرية، ولا تتفوق عليها سوى أبعاد ”حقول القرايين“ في نصوص التواييت التي تبلغ مقاييسها 1000 ميل مصري عرضاً، ومثلها طولاً، كما تلاحظ نصوص التواييت أن ”مياه البرنيق (فرس النهر) الأبيض“ تبلغ أيضاً ألف ميل طولاً مثل طول السّمَاوَات ”التي لا يمكن معرفة مدى اتساعها“. (هورنونج: 1990: 109).

وتنحصر معالم العالم الآخر في النقاط الآتية:

1. البوابات المتتالية التي تحرسها ثعابين وكائنات ضخمة للحماية مثل (النابح، الغاضب، فرس النهر.. إلخ) وعلى الميتم حمل تعاويذ المرور من خلالها.
2. الطرق المتعدّدة مثل الطريق البري الأسود والطريق الأزرق المائيّ.
3. قاعة عرش أوزيريس حيث محاكمة الموتى.
4. حقول الحتب والأيارو، وهي حقول الجنّة الأوزيرية، حيث لباسهم الأرجواني من الحرير وشراب الخمر وطعام التين.
5. حقول الجحيم للخطة والمذنبين وهي حقول النار والأفاعي.

ثانياً: المعتقدات (الدينيّة) العمليّة

سنتناول ما رسخ من شرائع وأعراف تخصّ الأحوال الشخصية وتحديد الأسرة وما يخصّ الزواج والطلاق والإرث والبناء والزنى، ومَن يطلعنا تفصيلاً على نصوص الحكمة المصرية يرى أن جميع الآباء الحكماء أوصوا أبناءهم بقواعد الزواج وحثوهم على بناء أسرة مستقرة ومن نصائح الحكيم المصري إلى تلميذه (خونسو حبت) في عهد الملك (توت عنخ آمون):

تزوِّج حديث السن لترى لك ولداً في ريعان شبابك يكون سبباً في احترامك وإجلالك وبرهاناً على صلاحك وتقواك.

لا تهمل الرحم على والديك ووفّر لهما من أعمال الخير والبر أكثرها نفعاً وأرجحها قبولاً ومتى قمت لهما بهذا الواجب قام به لك ولدك. إذا كانت زوجتك كاملة مدبرة فلا تعاملها بالخشونة والغلظة وراقب أطوارها لتكتشف أحوالها ولا تتسرّع معها في الغضب لئلا تزرع الشقاق والنزاع في بيتك فتكون ثمرتها التنغيص فإن كثيراً من الناس يصنعون أساس الخراب في

بيوتهم لجهلهم حقوق المرأة. (مطر 1923: 26 - 30)
وكانت الأسرة المصريّة تتعدّى الزوج والزوجة والأبناء والخالات والعمات وأم وأب الزوج أو الزوجة وهكذا.

وعرفنا كيف أن الزواج كان يُقام بطقس ديني ووفق أعراف دقيقة ومفصلة. أما ما شاع عن المصريين القدماء من الزواج بالأخت، فغير دقيق لأن الزوجة كانت تسمّى أختاً، وربما سبب مثل هذا الإجراء (الذي ما زال على أفواه الناس الشعبيين في مصر مثل هذا اللبس الذي كرّسته روايات الإغريق عن المصريين وبعض ما في ثنايا المثنولوجيا المصريّة). ونقول إن كل الأساطير في العالم القديم كانت تحتوي على زيجات بين الأخ وأخته، وأن هناك روايب متبقية في هذه المجتمعات فيها هذا النوع من الزواج. المسألة المهمة هي زواج الملوك من أخواتهم. وكان هذا وارداً عند بعض الفراعنة لتأكيد صفاء الألوهمية ولتقليل عدد المتطلّعين إلى العرش. (مهران 1984: 5). أما النبلاء أو العامة في مصر فلا وجود لزواج الأخ بأخته عندهم على امتداد مراحل الحضارة المصريّة.

وكانت الأعراف المصريّة تحثّ على نمط مثالي ومتوازن من العلاقات الزوجية وتحذّثنا النصوص عن مثل هذا التوازن، كما في مثل هذا النص:

اتخذتك زوجة حين الشباب واستقررت عندك
وما حدث أن تخلّيت عنك وألحقت همّاً بقلبك
وما أتاني إنسان بشأنك وتقلبت منه شيئاً ضدك
وما أخفيت سرّاً عنك طيلة حياتك
وما أسأت إليك قط أو عاملتك معاملة السيد
وما هجرتك.. أو دخلت داراً غير دارك

وما جعلت أحداً يُعيّيني على مسلّكي إزاءك. (صالح 1961: 13).

وتجسّدت الصورة المثالية للزوجة في شخصية الإلهة إيزيس فقد كانت مثلاً للزوجة المضحية والأم المثالية ورمزاً للوفاء والسماحة والرحمة والقوة والعناد والصبر في الوقت نفسه، كما تحكى أسطورتها مع اوزيريس وصراعها مع ست.

وعرف المصريون تعدّد الزوجات وإن كان الاستقرار، بين الأزواج المصريين، قد أدّى إلى تقليده بينهم، إلى حد معقول، وذلك على الرغم من أنه كان مشروعاً لديهم وأن فريقاً من الفراعنة والأثرياء وأواسط الناس وطغاتهم أخذوا به ومّادوا فيه، وأن بعض الزوجات ارتضينه وتسامحنّ فيه، وأنّه قد استمرّ طوال العصور الفرعونية (أنظر مهران 1984: 17).

أما الإرث، فهناك ما يشير في الدولة القديمة إلى انتقاله إلى الأبناء أو الأخوة إن لم يكن هناك أبناء. في الدولة الوسطى والحديثة أصبحت التركة تنتقل بصورة واضحة إلى جميع الأبناء دونما تفرقة بين الإبن الأكبر وبين غيره من الأخوة صغاراً كانوا أم كباراً، ذكوراً أم إناثاً، وأصبح للمرأة حق الإرث حتى في مال إبنا حياة أبيه، كما كان الإبن يرث في مال أمه. فالإرث إذن تنقل به الأموال من الأصول إلى الفروع ومن الفروع إلى الأصول. (أنظر مهران 1984: 38).

وكانت الوصايا أيضاً تعتبر كأسانيد قانونية مهمة، سواء أكانت شفاهية أم مدوّنة، أما الإرث فأحكامه شرعية عامة ومعروفة. وكانت الشرائع المصريّة القديمة تقضي بقتل الزوجة الزانية وذلك بحرقها حيّة وتدرية رمادها في الهواء، ثم صار القانون يقضي بجعد أنفها فقط.

ثالثاً: المؤسسة الدينيّة

المؤسسة الإلهيّة وهي بانثيون الآلهة المصريّة الذي يتكوّن من عدد هائل مكوّن من آلاف الآلهة التي تتفاوت في أهميّتها، ويمكننا عموماً تمييز سبع مدارس لاهوتيّة مختلفة في مصر تعمل على وضع الآلهة في مستويات متتابعة، ويمكننا إجمالاً القول إن هناك خمس مجموعات كبرى من الآلهة. وهي:

1. آلهة العماء والهبولى الأولى: وتمثلها الآلهة الثماني في خنمو (الأشمونين).

2. الآلهة الخالقة الكبرى السبعة.

3. آلهة الكون والعناصر الأربعة والكواكب والنجوم.

4. الآلهة الصغيرة (الخاصة بالتفاصيل).

5. آلهة العالم الأسفل (دوات).

لم تكن المؤسسة الفرعونية إدارة ملكية دنيويّة تفليدية كالتي نعرفها عن المؤسسات الرئاسيّة والملكيّة في كل أنحاء العالم القديم. ففي مصر اختلفت صورة الملك تماماً عن صورته في دول ذلك العالم. لقد كان الفرعون إلهاً بالمعنى الدقيق للكلمة، لم يكن ممثلاً للإله أو صورة من صورته على الأرض بل هو الإله تماماً. ولكن أي إله وما هو اسمه في المجمّعات الإلهيّة؟

لقد كان الفرعون ابن الإله (رع من جهة، وهو الإله الملك حور أو حورس الذي هو الإله الشمس الذي يهب الحياة، الطاقة والنور من جهة أخرى، وكان الفرعون إلهاً في الحياة أي ابن رع وإلهاً في الموت، حيث يتحوّل إلى الإله أوزيريس عندما يموت ويبقى في جنة العالم الآخر بصفة الإله الحاكم للموتى (أوزيريس). وكلمة فرعون تصحيف عبري للكلمة المصريّة القدمة فير - أو بير - al - per التي تعني (البيت العظيم) وهو المكان الذي يعيش فيه الرعية ويلجأون إليه. وكان المعنى العميق لهذه الكلمة هو (الذي يعيش فيه الناس) أي (العالم) أو (الكون) ويأتي هذا التفسير معززاً لفكرة الألوهيّة التي ارتبطت بالفرعون.

”كان الملك عند قدماء المصريين بمثابة ملكين اثنين في شخص واحد؛ لأنه كان سيد الوجه البحري وسيد الوجه القبلي. وأحبّ ألقابه لدى رعيته هو لفظة ”فرعون“ وهذا الاسم مشتق من اسم داريه الكبيرتين ”بير - عوى“ اللتين يتألف منهما قصره، وكل منهما رمز إلى إحدى مملكتيه. وكان من سلالة الآلهة مباشرة، ويدعو نفسه بإبن الشمس؛ ولذلك كانت له سلطة أحد الآلهة التي ليس لها حد تقف عنده. وكان القوم يقومون له في ظروف كثيرة بالتعظيم والإجلال على وجه هو أشبه بالعبادة منه بالتأدّب المعتاد مع الملوك؛ فكانوا يخرونه بالبخور ويهلّلون أمامه ويدعون بدعوات دينيّة ويسجدون له ويقربنون القربان إلى صورته ومثاليه ويتقربون إليها بالصلوات، فإذا مات قالوا ”إنه طار ليلحق بقرص الشمس الذي هو جدّه“. وحينئذ يخلفه على سرير الملك أكبر أولاده، ويكون عادة من الذكور، ولكن الإناث كان لهن أيضاً من حقوق الملك ما للذكور من غير فرق؛ فإذا انقرض الذكور أو وقعت فتنة فقلبت دولتهم وأنزلتهم عن سرير الملك كان الفرعون الجديد يتزوّج بمجرد ولايته بواحدة فأكثر من هذه الأميرات لتأتي بأولاد يكون بهم استمرار جنس الشمس في الوجود؛ ولذلك يؤكّد المصريون بأن الذين حكموهم من مبدأ الأمر، إمّا هم أبناء عائلة واحدة توالى فروعها على عرش المملكة، فتكوّنت منها عائلات متوالية بمقدار عددهم، على أن المؤرّخين منهم لم يتفقوا على عدد هذه العائلات ومدة حكمها“. (ماسبيرو: 2014: 21).

كان الملك من الناحية العمليّة، برغم أنه الإله، يدمج في شخصيته وظائف الإله والملك والكاهن وصفاتهم. فبالإضافة إلى دوره السياسي والإداري والتشريعي كان الملك في أقدم العصور المصريّة،

يقوم بكافة الواجبات الدينيّة الكبرى مثل بناء المعابد ومنح القرابين والقيام بالصلاة.. الخ. لكن الملك لم يستطع القيام بكل هذه الأعمال مع تعدّد الآلهة المصريّة وتفترّق أماكن عبادتها. ولذلك اضطر الملك لتعيين من ينوب عنه في خدمة الآلهة.

كان الكهنة يشكّلون صمام الأمان الدينيّ بالنسبة للملك، فهم، وإن كانوا تحت إمرته، يمنحون القوة الروحيّة له ويبرزون رفعتهم وألوهيته ويحافظون على مكانته رسمياً وشعبياً، فضلاً عن كونهم مَنْ يُمسك بشؤون العبادة والحفاظ على طقوسها داخل المعبد وخارجه. وقد "بقي للملك سلطانه المزدوج الدينيّ والتشريعيّ ثانيهما وحسب، وانتدب للمهمة الأولى كهناً يقومون بأعبائها. وبذلك تميّز نشاطهم المباشر بتخصّصهم في رعاية العبادة، عبادة الآلهة وكل ما يتصل بهذه العبادة من مظاهر خارج المعبد. فأما دورهم من الناحية الاجتماعيّة والروحيّة فقد كان محصوراً في أضيّق الحدود. ولا ينبغي أن ننسى الدقة في مفهوم مصطلح الكاهن. فالكهّان لم يكونوا طائفة منعزلة تعيش على هامش المجتمع ولا تخشاه إلا لاستمالة الجماهير ودفعها نحو حياة خلقية أرفع مستوى وأقوى نشاطاً من حياتها العادية. كلا! بل كان أولئك الكهنة المصريّون يقومون بدور دقيق جداً. فهم نواب الملك صاحب الحق الوحيد في القيام بالخدمة الدينيّة، وكان قوامها العمل على رعاية الوجود الإلهيّ على الأرض ممثلاً في صورة متكاملة داخل قدسه في المعبد". (سونبرون 1975: 39).

الكاهنات: كانت المرأة قبل الدولة الحديثة تدخل في خدمة المعبد وفي سلك الكهنوت. وهناك كاهنات للإلهة نيت وحتحور، "ولكن الأسرة السابعة عشرة أظهرت لقباً كهنوتياً جديداً للملكات أو الأميرات اللائي سيصبحن ملكات وهو (زوجة الإله) وهي الزوجة الملكية للإله آمون والتي يُحرّم عليها الاتصال بأي رجل اتصالاً جنسياً. وكانت زوجة الإله هذه صاحبة سلطان عظيم ينافس سلطان الفرعون فقد كانت "تمتلك الضياع الضخمة وتشرف على موظفين يخصونها، وتتخذ مجموعة من الألقاب، وتحيط اسمها بخرطوش، وتخلع على نفسها صفات ملكية، وتحفظ بأعياد اليوبييل، وتقيم نصباً وأثاراً باسمها، وتقدّم القرابين للآلهة". (مهران 1984: 477). "كانت رئيسة الكاهنات غالباً هي زوجة الكاهن الأكبر. وكانت ترتبط بالإله بنوع من الرباط، فتعدّ زوجة له مثلاً، وقد اعطيت في العصور المتأخّرة أهميّة كبرى لمن تولّت منصب الزوجة الإلهيّة لآمون، ذلك المنصب الذي كان يعادل منصب الكاهن الأكبر والذي اختفى نفوذه منذ تولّت الأميرة شبنوب Shepenwepe هذا المنصب في عهد والدها الملك أوسركون الثالث من الأسرة الثالثة والعشرين، والذي كان لصاحبه السلطة الدينيّة والروحيّة في طيبة لمدة تزيد عن القرنين. وكانت سياسة الفرعنة إسناد هذا المنصب لإحدى بناتهم، كي لا تخرج ممتلكات وأوقاف الإله من دائرة الأسرة المالكة وتؤول إليها سلطات ذلك المنصب الكبيرة". (عبد الحليم 1988: 150).

المعابد والمباني الدينيّة

لم تكن المعابد المصريّة، كما هو شأن المعابد القديمة، أماكن للزيارة أو التعبد. فالمعبد ليس مكاناً يقصده المتعبّد ليصلي للإله، ولا هو بالدار الذي تحتشد الجماهير لممارسة الطقوس فيه أو كي تتقرّب إطلالة الإله عليها خلال الاحتفالات الدينيّة. وهو ليس مكاناً تقام فيه الشعائر المقدّسة التي يقوم بها الكهنة المتخصّصون أمام الناس. إن المعبد المصري لا يستقبل الناس، بل هو تحديداً المكان الذي تبالغ فيه حماية وإخفاء الإله فيه. (انظر مهران 1984: 462).

إن قلب المعبد هو مكان سريّ يتم الذهاب إليه عبر أبواب متعاقبة عديدة، وكلما وصلنا إلى الداخل ازداد المكان إظلاماً حتى نصل إلى مكان مليء بالرهبّة لا يصل إليه إلا الكهنة المخوّلون

بذلك، حيث يوجد التمثال المقدّس للإله الذي يختلف عن التماثيل المعروفة للإله. إنه ببساطة تمثال سريّ يجسّد حقيقة الإله وحين يصل إليه الكاهن المختصّ وبمجرد أن يراه ينبطح على بطنه ويقبل الأرض ويكرّر ذلك ثم يقوم ويشعل البخور ثم ينشد للإله مقطوعة قصيرة ويقوم بعدها بالأعمال الأزمة لهذا التمثال كتزويده بالطعام والشراب وحمايته من الأرواح الشريرة. (مهران 1984: 463).

المعابد

ظهرت معابد الشمس مع أسر المملكة القديمة في أبو غراب وأبو صير، فقد ابتكر ملوك الأسرة الخامسة الأوائل نمطاً جديداً أيضاً من المعابد سُمّي بـ(معابد الشمس) التي ربما يكون تصميمها مأخوذاً من نموذج المعابد التي كانت تُقام في هليوبوليس لعبادة إله الشمس. يُعتبر نموذج معبد الشمس الذي أقامه الملك (ني وسر رع) في منطقة أبو غراب خير نموذج وصل إلينا من معابد الشمس التي أقامها ملوك الأسرة الخامسة.

1- المعابد: وهي على نوعين:

1. المعابد الجنائزية: ظهرت المعابد في مختلف الأقاليم وكانت مخصصة لعبادة الآلهة، وشاع استعمال المعبد المحاط بأعمدة، وكثرت الأعمدة المقتبسة من شكل النخلة، ومن أشهر المعابد الجنائزية التي عثر عليها في ذلك العصر هو معبد (منتوحتب) بالدير البحريّ ويتميّز بمسطحين فوق بعضهما يعلوهما بناء هرميّ. وهناك معبد (أمنتحتب الثالث) الجنائزيّ في هواره الذي يتميّز بعدد كبير جداً من الغرف المتداخلة في ما بينها وسماها الإغريق بـ(اللابيرنت) أو (التيه) وقال عنها هيروdot (المؤرخ الإغريقيّ العظيم) إنها تفوق عظمة الأهرام. المعابد الجنائزية كانت خاصة بالطقوس الجنائزية وبالكهنة ولم يكن الغرض منها هو العبادة، وكانت تجرى فيها طقوس جنازة الملوك والأمراء وتكتب فيها سيرتهم ونشأتهم وسلالتهم الملكية دون ذكر إنجازاتهم، وأشهرها في المملكة الوسطى مقابر المعابد الجنائزية في منطقة بني حسن منتوحب في الدير البحريّ وقد بنيت في الدولة الوسطى حول الأهرامات.



معبد (منتوحتب) بالدير
البحريّ

http://www.arab-ency.com/index.php?module=pnEncyclopedia&func=display_term&id=162535&m=1

2. **المعابد الطقسية:** وهي معابد الطقوس والعبادة التقليدية والمخصصة لإله معين أو أكثر. وفيها تُقام الطقوس اليومية المعتادة لذلك الإله، وتكتب فيه تواريخ الملك منذ توليه العرش ومنجزاته،

الأهرامات:

يُسمّى هذا العصر إجمالاً بعصر الأهرام (أو الأهرامات) لأن الأهرام تُعتبر أهم سمة معمارية وحضارية فيه. فما هي الأهرام؟ إنها مدافن (قبور) الإله الملك (الفرعون)، ويبلغ عدد الأهرام المكتشفة لغاية سنة 2008 حوالي 138 هرمًا في مصر، أما عدد الأهرام التي بنيت في النوبة (في السودان) فيصل إلى 220 هرمًا تقريباً وهي أصغر حجماً من الأهرامات المصرية عموماً وبُنيت بعدها بحوالي 800 سنة.

ويمكننا وضع خلاصة تاريخية وهندسية وجمالية للأنواع العشرة الأولى من الأهرامات بدءاً بالهرم المدرج وانتهاءً بهرم منكاورع التي تعتبر الأساس الأول الذي بُنيت عليه هندسة الأهرام في مصر القديمة.

”ومن النظريات الهامة التي توضح كيفية بناء الأهرامات، تلك النظرية التي ذكرها المؤرخ القديم ديودور الصقلي، وهي طريقة الجسور أو الطرق الصاعدة، ويرى كثير من علماء الآثار المحدثين أن هذه الطريقة هي أقرب الطرق للعقل، ومنهم إدواردز I. E. S Edwards. د. أحمد فخري، سومرز كلارك Somers Clarke، ر. إنجلباخ R. Engelbach، د. زاهي حواس. وتشرح هذه النظرية طريقة البناء موضحة أن المصريين القدماء كانوا يبنون طريقاً متدرجاً الارتفاع مستخدمين الحصى المخلوط بالطين، وكان لهذا الجسر الصاعد جدران من اللبن حتى يثبت هذا الحصى المخلوط في مكانه، ويتصاعد هذا الطريق مع ارتفاع الهرم حتى يصل ارتفاعه في النهاية إلى مستوى قمة الهرم نفسها، ويلزم في نفس الوقت أن يمتد هذا الطريق من حيث الطول حتى تظل زاوية انحداره واحدة، وكان يُعزّز هذا الممر الصاعد بعروق من الخشب تقلل من احتكاك وضجيج قوائم النقالة الخشبية، التي تُستخدم في نقل كتل الأحجار. وبعد انتهاء بناء الهرم يزيلون هذه الطريق“ (عزب: 2000: 31).

رابعاً: معتقدات الأبدية

تظهر لنا في التراث الروحي المصري ثلاث عقائد جئانية أو إسكاتولوجية منفصلة تعالج حياة ما بعد الموت المصرية، وهي (النجمية والشمسية والأوزيرية). العقيدة النجمية أقدم هذه العقائد وهي خاصة بالملوك وقد ظهرت في العصر العتيق وبداية العصر القديم، حيث يتحوّل الملك الميت إلى نجم من النجوم القطبية التي كانت تُعتبر رمزاً للديمومة لأنها لا تغيب أبداً. وربما كان تفسير وجود العدد الكبير من نجوم السماء بأنهم ملوك أو أفراد متميزون خضعوا للاهوت النجمي بعد الموت ورحلوا إلى السماء. أما العقيدة الشمسية التي ظهرت مع الأسرة الخامسة وخصت الملك أولاً حيث ينتقل المتوفى إلى (التطهير الصحراوي) عند حافة الصحراء ثم (التطهير الشمسي) داخل الجرة ثم الالتحاق بالمركب السماوي للشمس حيث يرافق المتوفى الإله (رع) في دورته السماوية. أما العقيدة الأوزيرية فهي الأقرب إلى عامة الناس، رغم أنها أصبحت تطبق على الملوك في ما بعد ومكان العالم الآخر فيها هو العالم الأسفل وليس السماء. وتسبق حياة ما بعد الموت النهائية مرحلة للحساب تتم فيها محاكمة الميت يكون فيها أوزيريس قاضي قضاة محكمة الموتى. والميت هو أوزيريس الميت قبل بدء المحاكمة. وتبدأ المحاكمة بوزن قلب الميت حيث يوضع في الكفة اليسرى من ميزان العدالة وريشة ماعت في الكفة اليمنى ويقوم (أنوبيس) الذي له رأس ابن آوى بعملية الوزن ويسجل (تحوت) النتيجة.

المبحث الثاني الأساطير والمثولوجيا المصرية

أولاً: شجرة الآلهة المصرية

الصعوبات التي تعترضنا ونحن نحاول تشكيل شجرة أنساب الآلهة المصرية كثيرة، منها كثرة الآلهة التي قد تصل إلى ثلاثة آلاف إله، وعدم وجود أنساق نسب واضحة تجعلنا نضعها في تسلسل متواتر صحيح، إضافة إلى تعدد مراكز القوى الكهنوتية التي كانت تجعل من مدنها وآلهة مدنها مستحوذة على قمة الهرم الإلهي وتنوع مادة هذا الهرم حسب الإرث الروحي وطبيعة آلهتها.

سنقدم أولاً عرضاً سريعاً لأقسام هذه الشجرة وأهم الآلهة التي تحتويها، أما الحديث المفصل عن الآلهة وأساطيرها فسنقوم به عند الحديث عن مجمل الآلهة المصرية القديمة عند عرض هذه الأساطير.

تتكوّن شجرة أنساب الآلهة المصرية من عدد من المجمّعات الإلهية المتجانسة التي يمكن أن ندرجها انطلاقاً من أصولها وجذورها الأولى:

- 1 - آلهة الهيولى العتيقة: وهي الثامون الهيولى الذي يضم الآلهة العتيقة قبل أن يخلق الكون وهي أربعة أزواج إلهية، حسب عقيدة الأشمونين.
- 2 - الإله الخالق: وهو متعدّد الأسماء حسب المدن التي يظهر فيها ولاهوتها، وبشكل الإله الخالق أول مرحلة في تحوّل الهيولى إلى الكون، وقد أحصينا سبعة آلهة خالقة أساسية هي (شبسي في خنمو، رع في أون، بتاح في منف، آمون في طيبة آتون في تل العمارنة، خنوم في اليفانتين، نيت في سايس) وقد اتخذ أغلبها طابعاً شمسيّاً.
- 3 - آلهة الخليقة: وهي الآلهة التي جسّدت عناصر الكون، وقد اختلفت مجاميعها وأساطيرها وطبيعتها حسب الإله الخالق الذي اندرجت تحته، ولعل أشهرها هو تاسوع أون، وتاسوع منف. والتي تنتهي بظهور الإله الملك حور.
4. الإله الملك حور: وهو الإله الشمسي الإبن الذي يمثل ملك الآلهة ووريث الإله الشمسي الخالق، ولهذا الإله عدّة أسماء وأشكال وأبناء وله زوجة أساسية هي (حتحور).
5. آلهة عالم الآخرة: وهي كائنات عالم الأدوات وهي كثيرة ومنوعة.
6. وهي الآلهة الثانوية وتضم:

أ- الآلهة الذكور.

ب- الآلهة الإناث.

7 - الآلهة الأجنبية: وهناك الآلهة الثانوية الأجنبية وتضم:

أ- الآلهة العراقية القديمة (الرافدينية).

ب- الآلهة السورية والحيثية.

ج - الآلهة السودانية.

د - الآلهة الليبية.

ثانياً: الرموز الدينية

استخدم المصريون القدامى الرموز أكثر من أي شعب في التاريخ، وكانت أغلب هذه الرموز دينية، وخصوصاً تلك المتعلقة بالآلهة وكذلك رموز الكتابة الهيروغليفية، ولا يمكن حصر هذه الرموز في مبحث صغير كهذا، لكننا نذكر منها رموز الجعل Scarab ونبته البردي والأفعى والبوم والنحلة والعقاب والصقر والريشة وعين حورس والعنخ ورمز الجد Djed. وغيرها كثير

موجود بعضه في الرسوم المرفقة.
 عين حورس: العين المقدسة التي "تريك الدرب في الظلام": العين التي تجمع بين العين البشرية
 "الكحلاء" كما تبدو للناظر إلى الوجه البشري جانبياً والتي يتدلى من أسفلها "ذرف دمعي"
 طويل. العين المقدسة لها علاقة بالمكونات الستة للشخصية.



عين رع



عين حورس

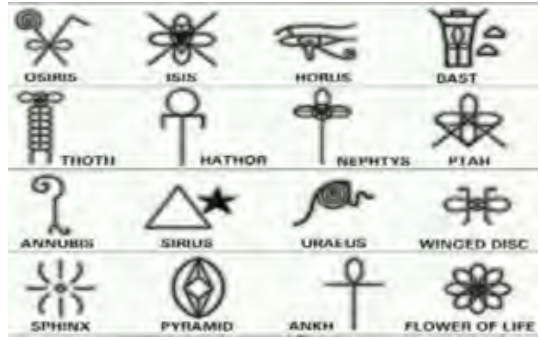
https://commons.wikimedia.org/wiki/Category:SVG_Ancient_Egypt

رمز الـ "عنخ" أو صليب الحياة: معناه فهو "الحياة" أو "الحياة الأبدية"
 بمعنى "الخلود"، وبالهيروغليفية يعني هذا الرمز "الحياة" تحديداً. ولذا
 فإن تسميته اللاتينية "صليب الحياة" مستوحاة مباشرة من هذا المعنى.



رمز عمود الجِد Djed: يرتبط رمز الـ "جِد" Djed (أو الـ "تِت" Tet)
 بالإله أوزيريس الذي قام من الموت وانتهى إلى جذع شجرة ضخمة،
 والملك (الفرعون) قام بتشذيب هذا الجذع وتحويل الجزء الذي يحتوي
 على أوزيريس إلى عمود لبيته. تفسير آخر يقول بأن عمود الـ "جِد" إنما
 هو قطعة من عمود أوزيريس الفقري.

رموز الواس: مجموعة رموز السلطة الملكية ترمز لتدفقات الطاقة من
 خلالها في جميع أنحاء الجسم.



النسر وهو يحمل خراطيش
اسم الملك: رمز حورس المعبر
عن الفرعون



رموز بعض الآلهة المصرية



<http://classroom.synonym.com/list-important-ancient-egyptian-religions-5460.html>

<http://www.nemo.nu/ibisportal/0egyptintro/1egypt>

ثالثاً: أساطير الخليقة (التكوين)

تنقسم الأساطير المصرية إلى أربعة أجناس كبرى وكما يلي:

ت	جنس الأساطير	أنواعها
1	أساطير الخليقة (التكوين) Myths of Genesis	أساطير نشوء الآلهة (التيوغونيا Theogony) أساطير نشوء الكون (الكوزموغونيا Cosmogony) أساطير نشوء الإنسان (الانثروبوغونيا Anthropogony)
2	أساطير العمران Myths of Organization	أساطير رع أساطير أوزيريس وإيزيس
3	أساطير الخراب Myths of Destruction	أساطير نهاية العصر الذهبي (الشيخوخة، رع الضعيف) الخريف وموت أوزيريس
4	أساطير الموت Myths of Eschatology	الجنة والنار (عالم الدوات)

وفي ما يلي جدول طبقات وأنواع الآلهة المصرية حسب المدارس اللاهوتية السبع في مصر القديمة:

7 إسنا	6 أبو	5 منف	4 طيبة	3 تل العمارنة	2 أون	1 أونو	الطبقات الإلهية
نوو	الماء والطين	الكلمة (اللوغوس)	الخفاء	قرص الشمس	الضوء	ثامون الأشمونين	1. آلهة الهيولي
الأنوتة المؤلهة	خنوم (الفخار)	بتاح (الفتاح الخالق البياء)	آمون (الثعبان)	أتون (قرص الشمس)	أتوم (الشمس)	شيشي (الشمس)	2. الإله الخالق
نيث (القواسة) نيث وتحولاتها الأربعة كبقرة	خنوم رباعي الرؤوس	تاسوع منف من بتاح	آمون - رع الذي سيطر على الثامون	أتون الواحد الذي خلق الكون والكائنات	تاسوع هلموبوليس من رع	فردوس هرموبوليس	3. آلهة الكون والبشر
حورس + حتحور							4. ملك الآلهة
سلالة نيث	سلالة خنوم	سلالة بتاح	وتاسوعي أون ومنف	البشر أبناء أتون	سلالة رع وست	سلالة تحوت	5. آلهة العالم الأعلى
أبيب سوبك	الإيجية والإغريقية	السامية والهكسوس	سلالة آمون - رع سلالة آمنت	الرافدينية	سلالة أوزيريس السفلى وحراس الشمس	تحوت الدوات	6. آلهة العالم الأسفل
الليبية			آلهة الغروب		الشامية	الحيثية	7. الآلهة الوافدة*

* الآلهة الوافدة لا تقع تحت تقسيمات المدارس اللاهوتية، وجاء ترتيبها عفويًا في الجدول.

أساطير خلق الآلهة والكون

(الثيوغونيا والكوزموجونيا)

Theogony & Cosmogony

نوو أو نون هو المياة الهيولية الأولى (مياة الشواش، الكاؤوس) ويتمثلها المصريون على شكل أول الآلهة العتيقة وأصل كل الآلهة ويكاد (نون) أن يكون هو الأب الأقدم في المدارس اللاهوتية السبع التي ذكرناها، يسمّى نوون، والتي تعني الداخلي هو تأليه لهاوية مائية سحيقة، وهو عمق سحيق يحيط بفقاعة حيث الحياة موجودة بداخلها وكان ذلك يمثل سر نشأة الكون والأرض.

كان نون الماء، في البدء، يغطي الأرض كلها، ثم ظهر أول تل رملي في وسطها لتنشأ عليه الحياة وبنيت أول عاصمة في مصر على هذا التل في (عين شمس) باعتبارها مكاناً مقدساً حسب ما تراه مدرسة (أون).

نون المائية هي أصل كتلة الأرض وهي مصدر كل شيء موجود في هذا العالم المتنوع مادياً وروحياً، وكانوا يصورون (نون) على أنه ذكر ولكن، في أحيان كثيرة، كان أيضاً يصور على أنه يحمل صفات أنثوية. وفي كل الأحوال وضعوا له مقابلاً أنثوياً هو (نوونيت) وهي مؤنثة.

1 - التكوين الأول

7	6	5	4	3	2	1	الطبقات الإلهية
إسنا	أبو	منف	طيبة	تل العمارة	أون	أونو	
نوو الأنوثة المؤلهة	الماء والطين	الكلمة (اللوغوس)	الخفاء	قرص الشمس	الضوء	ثامون الأشمونين	1. التكوين الأول آلهة الهيولى

. مدينة أونو:

يسمى إقليم الأشمونين "أونو" أو (ونو - ونوت - ونه) بمعنى إقليم الأرنب وهو الإقليم الخامس عشر "خمنو" من أقاليم مصر العليا ويمتد حوالي 48 ميلاً شرق وغرب النيل في ما بين الشيخ طماي والشيخ عبادة شرق النهر، وفي ما بين أبو قرقاص وقرية باويط الحالية على حافة الصحراء غرب ديروط، وغرب النهر وكانت عاصمة الإقليم "الأشمونين الحالية" على مبعدة 10 كيلومترات شمال غرب ملوى (45 كيلومتراً جنوب المنيا - 310 كيلومترات جنوب القاهرة)، وهي في اللغة المصرية تعني "خمنو" أو "خمون" بمعنى مدينة الثمانية، وهو أصل تسميتها في القبطية "شمنو" أو "شمون"، كما سميت كذلك في اللغة المصرية القديمة "بر جحوتي" أي مقر عبادة المعبود "جحوتي" معبودها الرئيسي وأيضاً اسمها الديني، بينما كان اسمها المدني هو "ونوت".

أحمد محيي الدين محمد: أنظر

<http://www.abou-alhool.com/arabic1/details.php?id=27524#.WbaLwW82t1s>

الثامون الهيولي: أوجدود Ogdoad

تمتاز أساطير التكوين المصرية بأنها تضع الكون والآلهة والإنسان في مستوى واحد من الخلق ولا فرق بينهم. ولذلك سنتحدث عن خلق الكون والآلهة والإنسان في الوقت نفسه. التكوين الأول في الأساطير المصرية هو ظهور الثامون الإلهي الذي يدل على الهيولي، ويسمى (أوجدود) المشتق من كلمة ثمانية الإغريقية، وذلك قبل خلق الكون والإله الشمسي الذي

خلق الكون. وقد أتت هذه الأسطورة من خنمو (الأشمونين بالقبطية، هرموبوليس باليونانية). وتنص على أنه، في الأصل، كانت ثمانية آلهة أولية موجودة فوق تل ظهر في (خنمو من المحيط الأزلي، وهي أربعة أزواج إلهية يتكوّن كل زوج منها من ذكر وأنثى، الذكور فيها على هيئة الضفادع التي ترمز إلى المحيط المائي والإناث على هيئة الأفاعي التي ترمز إلى الحياة المتجددة. وهذه الآلهة كما يلي (الذكر أولاً ثم الأنثى) وما تمثله من خلال تحليل معنى اسمائها:

- 1 - نون (نو) ونوت: يمثلان المياه الهوليوية الأزلية.
- 2 - حيحو وحيحوت: يمثلان سرمدية الزمان والمكان.
- 3 - كيكوي وكيكوت: يمثلان الظلام.
- 4 - كيرح وكيرحت: يمثلان الليل.

2. مدينة أون (عين شمس):

«مدينة الشمس».. أطلق عليها الإغريق «هيلوبوليس»، المركز الرئيسي لعبادة الشمس، وهي المحرك الأول لأقدم تقويم شمسي. وفيها معبد الإله (أتوم) الإله الأزلي الخالق، ويعني اسمه الكامل، وكان يصور على شكل رجل له لحية ويرتدي فوق رأسه التاج المزدوج، وكانت تُعبد معه زوجته وتسمى أيوس عاس، ويعني اسمها العظيمة آتية، وكانت تصوّر على شكل سيّدة يعلو رأسها جعران وكانت تلقب بسيّدة أون. وتمثلها الآن أحياء المطرية وعين شمس وما يحيط بهما من مناطق هي المكان الذي كانت تشغله قديماً العاصمة المصرية القديمة أون، والتي كانت تنقسم إلى 4 ضواح أكبرها الضاحية الشماليّة المسماة «حتبت»، وكانت معبودتها الرئيسيّة هي الإلهة «حتحور»، وكان يطلق عليها «سيّدة حتبت» أي «سيّدة الأعياد»، وكذلك كان يوجد إلى الجنوب ضاحية كبيرة تسمى «خر عحا»، والتي ربما تشغلها الآن منطقة مصر القديمة. تقع المدينة في منطقة رأس الدلتا، وكانت عاصمة للإقليم الثالث عشر من أقاليم مصر السفلى، وكان الإقليم يسمى حقا عنج بمعنى الحاكم العادل، وورد الاسم في عصر الدولة القديمة ووجد منقوشاً على جدران مقصورة الملك سنوسرت الأول بالكرنك. تسمى في اللغة المصرية القديمة «إيونو» Iunu (اشتق منها اسم «أون» المذكور في التوراة اليونانية).

أطلق على مدينة أون العديد من الأسماء خلال مختلف العصور، وهي في العصر الفرعوني IWN أون بمعنى العمود المقدّس وفي العصر اليوناني الروماني أطلق عليها اسم هليوبوليس Πίλοπι το λΗ وتعني مدينة هليوس أي مدينة الشمس، وكانت تسمى في العصر القبطي أون WN وسمّاها العرب عين شمس.

3. مدينة أختاتون:

تل العمارنة اسمها القديم (أختاتون) وتعني (أفق أتون) هي العاصمة الجديدة التي أنشأها الملك إخناتون.

وتضم قصرين ملكيين (القصر الشماليّ والقصر الجنوبي)، معابد أتون، الأحياء السكنية من منازل للنبلاء وقرية للصناعات الحرفية، المقبرة الملكية، مقابر الأفراد تنقسم إلى مجموعتين (شماليّة، وجنوبيّة). وقد قام الملك بتحديد مدينته بأربع عشرة لوحة تسمى باسم (لوحات الحدود). عثر في المدينة على رسائل تل العمارنة المشهورة. عبدت الإله الواحد (أتون) الذي مظهره قرص الشمس.

4. مدينة واست (طيبة):

طيبة (Thebes) هي مدينة متحفية فرعونية قديمة بمصر العليا، وأحد عواصم مصر القديمة إبان المملكتين الوسطى والحديثة أيام قدماء المصريين، وحالياً يُطلق عليها الأقصر. ومن أشهر آثارها على الضفة الشرقية للنيل معبد الأقصر. واسمها المصري القديم واست Ouaset، وتعني الصولجان، وهي عاصمة الإقليم الرابع لمصر العليا (إقليم العرش). وقد أُطلق عليها في ما بعد اسم "نوت، ونو، Nwt، No بمعنى "المدينة". ثم جاءت كلمة طيبة من تحريف إغريقي للفظ "دجمي Djeme" الذي كان يشير إلى مدينة هابو.

على الرغم من أن موقعها كان قد شغل قبلاً خلال فترة ما قبل الأسرات، فقد ظلت طيبة ضيقة خاملة الذكر خلال الدولة القديمة ولم يعثر فيها إلا على القليل من آثار هذه الدولة. الإله آمون الذي كان قد فرض نفسه كإله رئيسي لطيبة في أواخر الأسرة الحادية عشرة على حساب توارى الإله (منتو Montou) الذي ظل يعبد في كافة أنحاء المنطقة، وهناك معبد آمون بالكرنك وكذلك معابد منتو، وخونسو، وموت ومعبد آمون رب الإخصاب في الأقصر. عُرفت الأقصر عبر العصور المختلفة بالعديد من الأسماء هي: وايست، ثم أُطلق عليها الرومان بعد ذلك اسم "طيبة"، مدينة المئة باب، مدينة الشمس، مدينة النور، ومدينة الصولجان، أُطلق عليها العرب اسم الأقصر وهو جمع الجمع لكلمة قصر.

5. مدينة منف:

منف أو منفر أو ممفيس مدينة مصرية قديمة من ضمن مواقع التراث العالمي، أسسها الملك نارمر وكانت عاصمة لمصر في عصر الدولة القديمة (الأسرات 3 - 6) وكانت فيها عبادة الإله بتاح، ومكانها الحالي مدينة بدرشين محافظة الجيزة على بعد 19 كم جنوب القاهرة هي الآن قرية ميت رهينة.

عُرفت باسم "الجدار الأبيض" حتى القرن السادس والعشرين قبل الميلاد إلى أن أُطلق عليها المصريون اسم "من نفر" وهو الاسم الذي حرفه الإغريق فصار "ممفيس" ثم أُطلق العرب عليها "منف".

عبادتها: الثالوث الشهير (بتاح، سخمت، نفرتوم/ إيمحتب)، فيها معبد بتاح ولأعضاء الثالوث، بقي منه أطلال معبد بتاح الكبير الذي يُعرف أحياناً باسم "حو - كا - بتاح" (Hikuptah)، ومن هذا الاسم اشتق اسم مصر الإغريقي (اليوناني القديم) (إيجوبتس)، وهي مدينة دينية يمكن أن نطلق عليها اسم (مدينة الآلهة).

6. مدينة أبو (الفنتين):

لم يتبق من مدينة إلفنتين سوى تل من الأطلال يصل ارتفاعه إلى حوالي 12 متراً، ويشغل معظم مساحة الجزء الجنوبي من الجزيرة التي تقع في مواجهة مدينة أسوان. والجزء الجنوبي هذا عبارة عن عدد من الصخور الغرانيتية الضخمة لم يكن يظهر منها فوق السطح، وقت الفيضان، سوى صخرتين، ونشأت المدينة في البداية على الصخرة الشرقية منهما.

وترجع أقدم بقايا تجمعات سكنية إلى عصر نقادة الثانية حوالي 3500 ق.م، ويرجع أقدم معبد للمعبودة ساتت سيّدة إلفنتين إلى عصر نقادة الثالثة حوالي 2300 ق.م، وكان لا يزيد عن كوخ بسيط من الطوب اللبن بين ثلاث صخور غرانيتية عالية. وإلفنتين صاحبة أهمية كمركز تجاري يشرف على التجارة مع الجنوب، وذلك لوقوعها شمال منطقة الجنادل صعبة الملاحظة. وعُرفت الجزيرة في اللغة المصرية القديمة باسم "أبو" وتعني كلمة "فيل" أو "عاج" سن الفيل مما يوضح أهم السلع الجنوبية التي كانت تجذب المصري القديم.

وبتوحيد فطري مصر الوجه البحري والوجه القبلي، وقيام الدولة الموحدة حوالي 3000 ق.م.، أصبحت إلفنتين مركزاً للإشراف على منطقة الحدود الجنوبية. وأثناء عصر الأسرة الأولى 3000 - 2800 ق.م. أقيمت في أعلى نقطة على الشاطئ الشرقي للجزيرة تحصينات فيها برج حراسة، وكانت تتضمن حامية. ومع بداية عصر الأسرة الثانية 2800 - 2650 ق.م. تم توسيع التحصينات لتشمل الجزيرة بالكامل واستمرت خلال عصر الدولة القديمة لمدة سبعة قرون. وأخذت إلفنتين طابع المدينة المحصنة، وارتبطت كتابة اسمها بالعلامة الهيروغليفية الدالة على "القلعة" في المصادر المصرية القديمة.

لعل من أبرز معالم إلفنتين الأثرية مقصورة "حقا إيب"، وأقيمت في الأسرة الحادية عشرة شمال غربي معبد ساتت لتبجيل أحد حكام إلفنتين المدعو "حقا إيب" الذي لعب دوراً مهماً في الفترة العصبية التي أعقبت إنهاء السلطة المركزيّة بعد سقوط الدولة القديمة، فأصبح الولي المبعجل للمدينة وأقاموا له مقصورة متواضعة جُددت للمرة الأولى في الأسرة الحادية عشرة، ثم في بداية الأسرة الثانية عشرة. ومنذ ذلك الحين أقام حكام إلفنتين مقصوراتهم التذكارية لقرون عدّة في رحاب مقصورة "حقا إيب"، كما وضعوا لوحاتهم وتمثالهم بها أيضاً. وفي عصر الانتقال الثاني 1650 - 1550 ق.م.، عادت حدود مصر الجنوبية إلى إلفنتين مرة أخرى.

الثاني 1650 - 1550 ق.م.، عادت حدود مصر الجنوبية إلى إلفنتين مرة أخرى.
- http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/1999/10/17 جزيرة -
إلفنتين - الأثرية - مدينة - الحدود - وحاضرة - جنوب - مصر - الفرعونية. html
7. مدينة إسنا (سايس، صا الحجر):

صا الحجر إحدى قرى مركز بسيون التابع لمحافظة الغربية، وهي مدينة لها تاريخ مصري قديم. وهي غير صان الحجر (تانيس سابقاً) في مركز الحسينية محافظة الشرقية. اسمها في عهد الفراعنة "صاو" وحرفها الإغريقي إلى "سايس" Sais وتسمى في العصر الحديث (صا الحجر). وتعود إلى 4000 سنة قبل الميلاد كمدينة مسكونة بكثافة. كانت عاصمة لمصر الفرعونية في عهد الأسرتين 26 و27 ومن أشهر ملوكها بسماتيك الأول (656 ق.م الذي طرد الآشوريين من مصر، وكذلك الملك أمون حور.

آلهة سايس أربعة هي: "نبت صاو" بمعنى "سيدة سايس"، نيت وهي الإلهة المصرية القديمة عبتا خلال الدولة الوسطى، الإلهة موت عبد في عصر الدولة الحديثة، هاتور التي تعتبر "سيدة سايس" في العصور المتأخرة.



آمون



أتون



أتوم



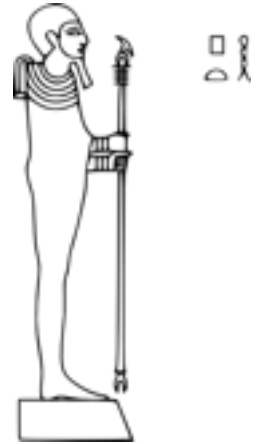
شبشي



نيث



خنوم



بتاح

آلهة الخليفة السبعة حسب المدن اللاهوتية السبع

المبحث الثالث الطقوس والشعائر المصرية

أولاً: الشعائر اليومية

الصلاة: كانت الصلاة طقساً دينياً يقوم به الإنسان العادي والكاهن والملك وكانت تؤدي وفق أوضاع منوعة كالركوع والسجود والوقوف بخشوع أمام تماثيل الآلهة. ولم يكن كل تماثيل يمثل الإله. فقد كانت هذه التماثيل تعتبر نسخاً من تماثيل أصيل كان يحتفظ به في قدس الأقداس في المعبد، ولم تكن رؤية هذا التمثال أمراً يسيراً للناس فقد كان الملك وبعض الكهنة من ذوي المراتب العالية هم الذين يسمح لهم كل صباح مشاهدته والصلاة بين يديه وكان الملك أو الكاهن يصلي وذراعه مُسدلتان إلى جانب جسمه، أو في وضعيّة السجود أو الركوع وهو يكرر الصلاة أربع مرات لتبلغ زوايا أو جهات العالم الأربع ونص الصلاة هو:

”أعبد سيادتك، بعبارات مختارة، بصلوات تزيد من عظمتك، باسمائك العظيمة، بمظاهره المقدسة التي ظهرت بها في اليوم الأول للعالم“. (سونيرون 1994: 111)

وهناك نصوص مفصلة تختلف من عصر لآخر ومن إله لآخر.

التراويل: كانت التراويل والأناشيد الدينية تؤدي الطقوس الدينية اليومية والاحتفالية، ولا يعرف على وجه التحديد فيما إذا كانت هذه التراويل موقعة بأوزان شعرية بسبب إهمال الحركات في اللغة المصرية القديمة وعدم نطقها الدقيق، وربما اعتمدت على النبرات الإيقاعية وتكرارها (وهو ما سارت عليه التراويل القبطية). أما القيمة الشعرية والأدبية لها فقد كانت عالية زاخرة بالصور المؤثرة في الوجدان وفي العقل معاً.

ويمكن إجمالاً تقسيم التراويل إلى دينية موجهة للإلهة ودينية عاطفية. بشكل خاص. وتشكل التراويل الدينية الجزء الأعظم الذي يزخر بالنصوص الموهلة في القدم ومنها التراويل الكبرى الموجهة للشمس والتي ظهرت في عصور مختلفة مثل (امنحوتب الثاني، امنحوتب الرابع، وعمسيس الثاني) وتراويل تحوت وتراويل النيل وحرور وسوبك وخنوم... الخ وكان أغلبها يقوم في مضامينه على تعدد أسماء الإله وصفاته وتيجانه ومعابده وتلميحات عن أساطيره وقصصه ومعجزاته.

التطهير: طقوس المعبد اليومية: وكانت على نوعين، الأولى يقوم بها عامة الكهنة، وهي طقوس الخدمة في باحات المعبد، والثانية يقوم بها الكاهن الأكبر ومساعدته في قدس الأقداس. أما طقوس الخدمة في باحات المعبد العامة فكان يؤديها عدد كبير من الكهنة والموظفين التابعين للمعبد، ولم يكن الغرض من هذه الطقوس العبادة، بل كانت تؤدي كأعمال روتينية من أجل أن يمنح الإله الملك (الذي هو بمثابة الكاهن الأعظم) الحياة الأبدية والسعادة والنصر. وكانت هذه الطقوس تبدأ قبل شروق الشمس حين يقوم الكهنة بالذهاب إلى البحيرة المقدسة؟ أو بئر المعبد لتطهير أجسادهم بمائها المقدس، ثم يقومون بتنظيف المعبد وتبخيره. ثم يدخل حاملو القرابين ومرتلو الأناشيد ويتقدمون إلى بهو الأعمدة الثاني، حيث تقدم موائد عدّة للقرابين ويضعون ما يحملون فوقها بعد تطهيرها بالماء والبخور.

القرابين: كان طقس تقديم القرابين تقليداً مصريةً يومياً مبنياً على أساس أن الآلهة والأموات من الناس يحتاجون إلى الطعام كما يحتاج إليه الناس الأحياء، وكان تقديم القرابين شعيرة ثابتة في الطقوس الإلهية اليومية التي يقوم بها كهنة المعابد أو في الاحتفالات الدورية وطقوس

المناسبات الدينيّة. فقد ذكرنا كيفيّة تقديم القرابين في التقاليد اليوميّة لخدمة المعبد والتي كانت للآلهة الكبيرة ثم قدمت الآلهة الصغيرة ولتماثيل الملوك والأمراء. وكانت هذه القرابين تقتسم آخر الأمر بين الكهنة والعاملين في المعابد وتتكوّن القرابين عادة من الحيوانات والنباتات، وقد تكون بسيطة تقتصر على صب الماء والبخور كما هي الحال في قرابين الظهيرة اليوميّة، اما قرابين الصباح والمساء فقد كانت عامرة.

ثانياً: شعائر المناسبات

تمتاز طقوس المناسبات بأنّها غير يوميّة وغير دوريّة في الوقت نفسه، وتشمل طقوس الولادة والبناء والزواج والموت، وهذه الطقوس لا تحصل في حياة الإنسان سوى مرة واحدة كالولادة والموت وبعضها قد يتكرر كالبناء والزواج.

كان بناء المعابد، بوجه خاص، محاطاً بالكثير من الطقوس والشعائر الخاصة والتي يعتقد أنها كانت محفوظة في كتاب بعنوان (كتاب تأسيس المعابد) وضعه إمحوتب وأن الآلهة أخذته معها إلى السماء عندما هجرت الأرض لكن إمحوتب استنزله في شمال منف.

وكانت الشعائر التي تقام قبل بدء البناء تتضمن قيام الملك أو من ينوب عنه بمساعدة كهنة وكاهنات يمثلون بعض الآلهة والإلهات، وكان الملك يخرج من قصره وتتقدمه أربعة ألوية (لواء ابن آوى، لواء الصقر، لواء طيبة، لواء أبو منجل) وحين يصل إلى مكان البناء يقوم مع كاهنه الإلهة سشاث (إلهة العمارة وربّة دور الكتب والوثائق وإلهة الكتابة وزوجها الإله تحوت). وربما تأخذ الملكة دور هذه الكاهنة، ويقومان بتحديد المساحة التي يبنى عليها المعبد، حيث تثبت أربع قوائم في أركان هذه المساحة ثم يربط هذه القوائم حبل يمدّ بينها ويحفر الملك والعمال أساس المعبد بمعزق ويلقي الملك رمل الأساس في الأخدود ثم توضع في اركان الأساس الأربعة ودائع الأساس التي تتألف من لبنة أو أكثر من الذهب يصنعها ويضعها الملك بنفسه وقطع صغيرة من الأحجار الكريمة وأوانٍ من الفخار والقاشاني والحجر وفماذج نحاسيّة لما يستخدم في المعبد من أدوات ولوحات منقوشة باسم الملك، وصحاف لحم وخبز وفاكهة وأدوات فتح الفم (أنظر شكري 1986: 251).

لم تصلنا طقوس ثابتة للزواج في مصر فقد كانت الأم تخطب لولدها، وعند الموافقة تعقد طقوس الزواج في المعبد بحضور أقرباء الزوجين وكان والد العروس، في الغالب، هو الذي يجهّزها بعدة الزواج.

وكان ولي أمر العروس هو الذي ينوب عن العروس في كتابة العقد وفي القرن السابع ق.م. أباح المجتمع للعروس وللثيب بخاصة أن تحضر كتابة العقد بنفسها وكان عقد القران يشهده الشهود من القرية أو الحي وتسجل اسماؤهم فيه. وورد من شهود عقد متواضع في مدينة طيبة رئيس اسطبل وكاتب وكاهن. (أنظر صالح 1961: 103).

كان الموت حاجزاً رقيقاً يفصل عالماً واحداً عند المصريّين، لأن الموت لم يكن نهاية الحياة (كما عند العرقيين القدماء) بل استمراراً لها في عالم آخر لا يختلف في جوهره عن عالم الحياة. التحنيط:

الأصل المصريّ لكلمة تحنيط بالمصريّة القديمة: هو "وت" أو "وتي" البياض أو البيضة من حيث جذره اللغويّ، ولكنه يعني من حيث الاستخدام (يلف باللفائف البيضاء).

لا شك في أن هناك شعوباً كثيرة، قبل المصريّين، استخدمت التحنيط جزئياً في تطبيق طقوسها الآخرويّة أو لحفظ أجساد الحيوانات، لكن الشعب المصريّ القديم وجد الدافع الفكري والدينيّ

القوي لابتكار التحنيط وجعله ممارسة جنازِيَّة للملوك والنبلاء بشكل خاص أولاً ثم للعمامة من الشعب، فقد كانت بهذا العمل تحفظ الجسد إلى العالم الآخر بعد الموت، حين يدهمها الموت الذي ينتزع منها الروح لوهلة كما يعتقدون، ثم تعود الروح لتتعرف إلى جسدها وتبدأ به رحلة العالم الآخر.

كان الإنسان عندما يموت يحمله أهله أو أقرباؤه إلى المحنطين الذين يعرضون نماذج ثلاثة مصنوعة من الخشب تمثل الأنواع الثلاثة من التحنيط، وأعلى هذه الطرق التي تتبع طريقة تحنيط جثة اوزيريس والطريقة الثانية أقل تكلفة، أما الطريقة الثالثة فهي أقل ما يمكن عمله ولا تكلف إلا القليل من المال. فإذا ما اتفق الطرفان تسلّم المحنطون الجثة، وبدأوا عملهم بإخراج المخ من الجمجمة بإلة معدنية لها طرف ملتو، ثم يقومون بغسلها من الداخل بنبيد البلح وسوائل ذات رائحة عطرية، ثم يلمؤونها بمسحوق المروموواد أخرى ذات عطر طيب، وإذا ما انتهوا من أحشاء وعناصر رخوة يقومون بوضع الجثة بأكملها في ملح النطرون لمدة سبعين يوماً، وإذا ما انتهت هذه المدة غسلوا الجثة غسلًا جيداً ثم لفوها في قماش كتاني بعد أن يغمسوه في سائل لاصق (أنظر الموسوعة المصريَّة، أبو بكر: 173).

ثالثاً: الشعائر الدوريَّة

الطقوس الدوريَّة (الأعياد)

تمثل الطقوس الدوريَّة من حيث المعنى العميق لها مناسبات لاستذكار العود الأبديّ لأيام الخليقة الأولى والزمن الأول الذي ظهر فيه الكون، الآلهة، الإنسان، الزمان، المكان والأشياء بعامة والأعياد الدنيَّة التي تأخذ طابع التكرار الأسبوعيّ أو الشهريّ أو الفصليّ أو السنويّ أو لسنوات معينة (كل 30 سنة كما في العيد الثلاثيني المصري). هذه الأعياد لا تأخذ طابع الزمن التاريخي العادي التقليدي الذي نراه في الأيام والشهور الباقية بل هي زمن آخر استثنائيّ يبدو وكأنه جزء من الزمن البدئيّ أو الميثي.. أي أننا نلمح تعارضاً بين الزمن التاريخي والزمن اللاتاريخي، أو بين الزمن الدنيوي والزمن الديني. وقد كان هذا الزمن الديني يعمل دائماً على إنعاش الزمن التاريخي (الدنيوي) المحتضر. فهو تحديد للزمن أو إعادة توليده.

هناك تصنيفات كثيرة للأعياد تقوم على أسس معينة، فمثلاً تم تقسيم الأعياد إلى:

” - الأعياد الزراعيَّة وهي الأعياد المرتبطة بحياة الزراعة مثل أعمال البذر والحراث.

- الأعياد الموسميَّة التي يحتفل بها في الربيع ونصف الصيف والخريف.

- أعياد التقويم وهي التي تعتمد على موقع الشمس وشكل القمر وبداية السنة.

- أعياد عائليَّة وهي التي تعتمد على أحداث معينة تحدث في إطار العائلة.

- أعياد الموتى من خلال ذكرى المتوفى وتكون شرفية في أوقات معينة.

- أعياد متصلة بحياة الشعب مثل عيد التتويج وجلس الملك على العرش.

- أعياد خاصة مثل الأعياد التي يُحتفل فيها بتكريم مؤسس أو موحد الدولة. ” (نور الدين:

1996: 22).

أذهلتنا كثرة وتنوع الطقوس الدوريَّة أو الأعياد الدنيَّة المصريَّة القديمة. وهي جديرة بدراسات مثولوجيَّة وفكريَّة معمقة لا بدراسات استعراضية سريعة. وحيرتنا طريقة تصنيف هذه الأعياد كي نجد مدخلاً فكرياً عميقاً لها. وقد اهتمدنا إلى تصنيف مقبول يتيح لنا جمع هذه الأعياد وفق ترتيبات زمنية دقيقة، لكننا لن نتوقف كثيراً عند الأعياد المحليَّة لكل مدينة أو قرية أو إقليم وسنكتفي، على الأغلب، بدرس وتحليل الأعياد التي كانت سائدة في مصر كلها.

1. الأعياد الشهرية: كانت الأعياد الشهرية في مصر القديمة أعياداً قمرية فقد ارتبطت بمراحل تحوّل القمر ونموه واختفائه. وكان العيدان الشهيان الرئيسان هما عيد ظهور الهلال وعيد اكتمال القمر. ولكن القمر لم يلعب دوراً رئيسياً في الديانة المصرية التي كان طابعها الأعظم طابعاً شمسياً ونرجح أن سبب ذلك له علاقة بالجدور الما قبل تاريخية في مصر.
2. الأعياد الفصلية:

أعياد الفصول الثلاثة: كان المصريون يقسمون السنة إلى (12) شهراً مقسمة إلى ثلاثة فصول لا نستطيع البتّ في بدايتها ونهايتها. ولكن بعض العلماء يعتقدون بأن هذه الفصول، وأعيادها التي تكون في بدايتها تنتظم كما يلي:

1- عيد أخت Akhet وهو عيد فصل الفيضان الذي يبدأ في 19 تموز وينتهي في 15 تشرين الثاني، وهو ما يقابل فصل الخريف تقريباً.

2- عيد بيرت Pert وهو عيد فصل الزرع الذي يبدأ في 16 تشرين الثاني وينتهي في 15 آذار، وهو ما يقابل فصل الشتاء تقريباً.

3- عيد شمو Shemut وهو عيد فصل الحصاد الذي يبدأ في 16 آذار وينتهي في 13 تموز وهو ما يقابل فصل الصيف.

أما الأيام الخمسة النسيئة (من 14 - 19) تموز فقد كانت عيداً سنوياً للأيام الزائدة عن السنة المكوّنة من (360) يوماً عند المصريين.

3. الأعياد السنوية: وهي الأعياد التي كان كل منها يُقام مرة واحدة في العام في الوقت نفسه مثل الأعياد التالية:

1- عيد رأس السنة.

2- عيد نهاية السنة.

3- عيد أيام النسيء الخمسة.

4- عيد فيضان النيل.

5- عيد الحصاد.

6- عيد ظهور نجم الشعري اليمانية (عيد ترقب الفيضان).

وكانت هذه الأعياد تعتمد على التقويم السنوي الثابت الذي يُقسم أيام السنة إلى 360 يوماً على مدى 12 شهراً بمعدل 30 يوماً لكل شهر. أما الأيام الخمسة فسُمّيت أيام النسيء التي كان المصريون يحتفلون بها عيداً والغريب في الأمر هذا التقسيم:

4- أعياد الملوك: تنوّعت أعياد الفرعون في مصر. فكان ينظر لها كأعياد دينية بسبب المعتقد المصري الذي يجعل الملك إلهاً. وهي أعياد رسمية من الناحية الأخرى بسبب الطبيعة السياسية لها .

وكانت أعياد الملوك (الفراغة) تتوزع على مناسبات عدّة هي:

أ- عيد الميلاد: الذي يحتفل بمناسبة ميلاد الفرعون الإلهي الذي كان الفرعون يعتبر فيه ابناً للإله رع منذ منتصف الدولة القديمة، وكان قبل ذلك ملكاً وسيداً على قومه.

ب- عيد التتويج: الذي يحتفل به بمناسبة جلوس الفرعون على العرش وكانت تتلى فيه صلوات خاصة وتُجرى طقوس دينية متوارثة. وكان يظهر الفرعون على رأس موكب الاحتفال ويأتي بعده الكهنة الذي يحملون تماثيل الفراغة العظام قبله مثل (مينا موحد القطرين وأول ملوك الدولة القديمة، و)منتوحتب الأول معيد الوحدة ورأس الدولة الوسطى، و)أحمس محرّر البلاد ورئيس وحدتها ورأس الدولة الحديثة.

5- أعياد الآلهة: كانت الأعياد الدينيّة للآلهة تتصل مباشرة بتقديس إله معين وتكريس معبده، ولم تكن الآلهة العظمى لها مثل هذه الأعياد فقط، بل حظيت بعض الآلهة الثانويّة بها على مقدار شعبيّتها وانتشار عقائدها بين الناس. وكانت هذه الأعياد تستغرق أياماً عدّة قد تصل إلى حوالي الشهر كما في عيد الإله آمون (أوبت) في الأسرة العشرين الذي أصبح لمدة (27) يوماً.

المبحث الرابع نهايات وأخرويات الإنسان

مثلما شكلت عقائد ومثولوجيات الأصول وخلق العالم (الكوسموغونيا) والآلهة (الثيوغونيا) والإنسان (الانثروبوغونيا) أساس (لاهوت الخليفة) كذلك شغلت عقائد ومثولوجيات النهاية وموت العالم (الكوسمو إسكاتولوجيا cosmo - eschatology) والآلهة (تيوسكاتولوجيا - theo eschatology) والإنسان (أنثروبوسكاتولوجيا anthro - porschatology) أساس (لاهوت الموت والنهاية) ونشأت من البداية والنهاية (الخليفة والموت) عقائد العود الأبدى ودورات الحياة والموت الكونية والإلهية والبشرية وتحمل جميع الأديان نظامها الإسكاتولوجي الدقيق ضمن أساطير ومعتقداتها بصفة واضحة أو ضمنية.

والإسكاتولوجيا المصرية عبرت عن نفسها في عقائد نهاية العالم والآلهة، كما لمحنا ذلك في الأساطير، ولكن تأكيدها الواضح كان في عقائد موت الإنسان التي يسميها الباحثون إجمالاً العقائد الجنائزية.

وعلينا أن نعرف، أولاً، أنه ما من شعب، على مر التاريخ، كالمصريين، اهتم بعقائد ما بعد الموت (الجنائزية) ورصد لها كل هذا الإرث المتميز من تراثه الديني والروحي. ويبدو لنا أن هناك سببين رئيسيين وراء ذلك: السبب الموضوعي يكمن في بيئة أرض مصر نفسها فقد كانت تربة مصر ومناخها تحفظ الجسد الإنساني بعد الموت إلى أقصى درجة ممكنة. وكان النيل يفيض صيفاً في مواعيد دورية ثابتة كأنه يوحى بدورة حياة متجددة كل عام. وكنت الشمس، صحوها ووضوحها ودوراتها اليومية وما توحيه من حياة وموت وبعث وخلود، مركز الدين المصري.

أما السبب الذاتي فكان في الفكر الديني المصري الذي كان لا يفرق كثيراً بين الإلهة والإنسان وأن الموت ما هو إلا فاصل بين عالمين متصلين هما عالم الحياة والآخرة. وهكذا نظر الدين إلى الآلهة والناس والموتى وكأنهم مجتمع واحد، ولذلك اخترع ما يناسب هذه الفكرة من دعائم شكلت في ما بعد عقائد ما بعد الموت.

وقد نشأت عقائد البعث والخلود مبكرة في مصر وربما امتدت إلى البابليوت ونضجت في النيوليوت من خلال عادات الدفن في العصر الحجري الحديث. وكانت بيئة مصر ومناخها الوسط المناسب لنمو هذه الأفكار.

ولعل أهم ما يجب الاتفاق عليه هو ما اصطحنا عليه بـ(عالم ما بعد الموت) الذي يسمى بالمصرية (توات أو دوات). إن تسمية (العالم السفلي) تسمية خاطئة كما يرى (بدج) لأن هذا العالم لا يقع أسفل الأرض فربما كان في السماء. وكذلك تسمية (الجحيم) لأن مفهوم الجحيم لدى المعاصرين يمثل فكرة غربية على أغلب المدارس الدينية المصرية، ولأنه ليس جحيماً فقط فهو عالم حساب وجنة أيضاً، ولذلك فهو ليس بـ(فردوس) أو (جنة). ولا تدل كلمة (عالم الموتى) على خلود أو بقاء الناس أحياء بعد الموت. ولذلك نرى أن أنسب كلمة مقابلة لذلك العالم هو (العالم الآخر) أو (الآخرة) فهو مصطلح دقيق يمكن أن يدل على تنوع ذلك العالم وما يحتويه من عوالم الحساب والجنة والجحيم وما بينهما. فهو أربعة عوالم، في آن واحد، لا تقع في الأعلى أو في الأسفل فقط هي (القبر. الحساب. الجنة. النار).

1 - عالم الجبّانة (المقابر والمدافن المصريّة)

المدخل الأول لعلم الآخرة (التوات) هي القبر. وقد تطوّرت المقابر المصريّة وتنوّعت لدرجة يصعب معها تصنيفها بدقة، ورغم ذلك فإن كل قبر كان يتكوّن، بشكل عام، من جزءين أحدهما تحت الأرض عادة وتوضع فيه الجثة سواء أكان حفرة صغيرة أو حجرات عدّة محفورة في الصخر أو مشيدة من الحجر، والجزء الثاني فوق الأرض ليبدل على مكان دفن الجثة سواء أكان بسيطاً جداً مثل جزء من جريدة نخل أو كومة تراب أو قطعة حجر أو كان بناءً بسيطاً أو مكوّناً من حجرات عدّة أو من هرم ألحقوا به بعض المعابد (انظر فخري، الموسوعة المصريّة: 372).

وتنقسم المقابر بصورة عامة إلى (انظر سنسر 1987: 260 - 295):

المقبرة الهرميّة (الأهرام):

لا شكّ في أن دراسة الأهرام تحتاج إلى مجلدات كثيرة كي نفيها حقها فهي واحدة من أعظم الآثار الإنسانيّة على الإطلاق. وهي مقابر عظمى للفرعنة الذين كانوا يعدون أنفسهم آلهة، ولذلك فهي في تعبير مجازي يمكن أن تكون مقابر الآلهة. مصير الروح وعالم السماء:

1 - عالم السماء:

(اللاهوت الجنائزيّ النجوميّ والشمسيّ والأوزيريّ)

يبدو أن أقدم لاهوت جنائزيّ متكامل ظهر في مصر كان لاهوتاً نجومياً. وقد بقيت منه شذرات متفرّقة في نصوص الأهرام. وهي أقدم نصوص جنائزيّة مصريّة. فقد سبقت النجوم صورة الشمس في تشكيل هذه العقائد التي ارتبطت بالعلو بحيث يتحول الملك الميت إلى نجم من النجوم القطبية التي كانت تعتبر رمزاً للديمومة لأنها لا تأمل أبداً كما أنها تتمتع بثبات نسبيّ كبير في موقعها في السماء. ويفسّر هذا الأمر السبب الذي جعل المصريّين يبنون معابد إهراماتهم الأولى في الجانب الشماليّ منها كما نرى في أهرامات الأسرة الثالثة المدرجة، وقد حدّدت تلك الفكرة موقع مداخل الأهرامات في الجانب الشماليّ طوال فترة الدولة القديمة (انظر سنسر 1987: 160).

لقد كان المصريّ يتخيّل الأبرار والملوك في هذه الجنّة السماويّة وهم في أرفع مقام بحيث يقوم الآلهة بخدمتهم والحرث ومراقبة المحاصيل والعمل بدلاً عنهم، أما هم فيتلذذون بالطعام والشراب ويلبسون الملابس النظيفة البيضاء والصنادل البيضاء ويعيشون برفاه واستسلام وسلام بدون حرب أو شغب أو كفاح. وإناث الجنّة من الإلهات اللائي يزوّدن الميت بطعام طاهر، فإذا أتى إلى نوت أو الحية التي تحمي الشمس تحييه كل منها كأنه ابنها، وتعطف عليه وتدني له ثديها لترضعه، وهكذا يعيش ويعود من جديد طفلاً وهو يذهب إلى والدتيه الرحيمتين ذواتي الشعر الطويل والأثداء الناهدة واللتين تجلسان على جبل سحسح فتمدّان ثدييهما إلى فمه ولا تفتطمانه أبداً (انظر أرمان 1995: 297).

أما الوصول إلى تلك الجنّة فقد كان من خلال تحوّل الميت طيراً أو من خلال صعوده إلى الجبال التي تلامس قممها أرضية الجنّة الحديديّة، أو من خلال سلّم يستخدمه المتوفي عندما يحتاجه ولذلك ظهرت نماذج السلام في المقابر، وكان المصريّون يتصوّر أنّ طرق السماء الجميلة مليئة بالمياه ولذلك تأملوا في عطف الصقور المقدّسة كصقر (حور) و(أبي منجل (طائر تحوت المقدّس) إلى سفينة الشمس أو الجنان، وكان أغلبهم يعتمد على (نوتي حقل يارو) المسمّى (الملتفت إلى ورائه) أو (المستدير بوجهه).

3 - العالم السفليّ

(اللاهوت الأوزيري: الحساب والجنّة والنار)

مع متون التوابيت وبرديات كتاب الموتى ندخل إلى لاهوت جديد يحتفي بالعالم السفليّ (تحت الأرض) ويترك السماء التي احتفت بها نصوص الأهرام. وقد كان السبب المباشر في شيوع هذه المفاهيم الديمقراطية الدينيّة وكسر احتكار الفراعنة للبعث والقيامة وشمول أفراد الشعب بامتيازات ما بعد الموت. ولكن ذلك لم يكن سهلاً ولم يكن يسيراً ولا مبهجاً تماماً. فقد أدخلت فكرة وعالم الحساب إلى موضوع البعث والقيامة. وترتب على ذلك ظهور جنة للمحسنين ونار للمخطئين. كل هذا تحت الأرض في عالم سفلي يلي القبر مباشرة.

القسم الثاني: المكونات الثانويّة في الديانة المصريّة المبحث الأول: الشرائع والأخلاق

أولاً: العدالة الإلهية

أطلق المصريون القدماء كلمة (ماعت) على جوهر النظام والعدالة للكون والملك والمجتمع والفرد، ولخصت هذه الكلمة الفلسفة الروحية العميقة للأخلاق والقيم والعدل والمثالية. "يتعلّم المرء الملك كما يتعلم أية مهنة. إنه الدرس القاسي المستفاد من الثورات. إنها تبين أن أفضل وسيلة لاستتباب النظام هو الالتزام بالمعيار الكوني الذي أسسه الخالق ذاته: معيار "ماعت"، وهي عبارة نترجمها بـ"العدالة" أو "الحقيقة"، لعدم توفر ترجمة أفضل. ولكن دلالتها أكثر شمولاً: فبفضلها يؤدي العالم وظائفه، لأنها تبقى كل شيء في مكانه الصحيح، ابتداء من قوى الطبيعة وحتى الشعائر التي على البشر أن يقيموها من أجل الآلهة. وجوهر واجبات الملك، إن أراد حقاً أن يحافظ على التوازن، هو أن يسعى ليعمل الناس بمقتضاها وأن يجعلهم يحترمونها.

أقيم العدالة وسوف تدوم على الأرض

هدئ من روع من ينتحب

لا تقهر الأرملة

لا تطرد إنساناً من ممتلكات أبيه

لا توقع ضرراً بالعظماء في ممتلكاتهم

تجنّب أن توقع عقوبة بالباطل" (دوما: 1998: 174).

وإذا كانت الـ (ماعت) قد تجسّدت في إلهة الصدق والعدل (ماعت) لكنها أبعد من أن تعامل كإلهة أنثى ابنة لرع وزوجة لتحتوت، فهي أساس الحضارة المصريّة والبعد الخفي والعميق لمدينة المصريّين.

"يرى جان لوكلان أن الماعت ظهرت منذ فترة طويلة وكأنّها المفهوم الأساسي للفكر المصريّ واعتبرها علماء المصريّات اصطلاحاً مرادفاً للحقيقة والعدالة) أما المحدثون منهم فقد وضعوها في منظور كونيّ بحث وطبقاً لرأيهم فإن العالم الفرعوني يرتكز على تبادل الماعت بين الآلهة من جهة والفرعون من الجهة الأخرى بكونه الوسيط الأكبر في فوضى اضطراب العناصر الكونيّة، تأتي الماعت لتعيد المعايير والمقاييس في جميع أنظمة الخلق، حيث ارتبط قطبا الكون والاجتماع بثوابت مماثلة". (اسمان 1996: 8).

إذا كانت الماعت تمثل النظام الأخلاقي الساري (الفطري) في الكون والمجتمع والفرد فإن الحكمة التي كانت تتردّد على أفواه الحكماء المصريّين كانت بمثابة النظام الأخلاقي المكتسب والذي يتوجّب تعلّمه، وهي النصائح والتحذيرات والخبرات التي عرفها الحكماء من حياها مليئة بالصعوبات وقد أوروثوها إلى أبنائهم، في الغالب، سعيّاً منهم لأن تكون تعاليم اجتماعيّة شاملة. وإذا كانت الإلهة ماعت تمثل النظام والعدالة فإن زوجها الإله تحتوت يمثل الحكمة، ولذلك تقترن العدالة بالحكمة في هذا التكوين الإلهيّ الفريد.

وتنسب للإله تحتوت (تحتوت، جحوتي) أصول الحكمة والحساب ورعاية الكتاب والكتابة والفصل

في القضاء، كما اعتُبر كاتباً أعلى ووزيراً ونائباً لمعبودهم الأكبر (رع)، وهو الإله الذي يُقسم الزمن إلى شهور وينظّمها، إنه القاضي الذي يحكم السماء ويقضي في المنازعات الإلهية وهو سيّد الكتب وربّ كلمات الآلهة أي الكتابة المقدّسة (أنظر مهران 1984: 313). له ثلاثة رموز (الطائر أبيس، القرد، القمر). وهذا الإله هو أصل هرمس اليوناني الذي لُقّب بـ(هرمس مثلث العظمة) واعتبر رسول الآلهة.

أما الحكماء فهم أشباه تحوت وممثلوه على الأرض فقد كانوا يرعون الكتابة والحكمة وكان أغلبهم في بلاط الموظفين الكبار ومنهم الوزراء العظام للفراعنة وقد قمنا بإحصاء نصوص الحكمة التي دوّن أغلبها على البرديات ووجدنا أن مصر القديمة أظهرت مجموعة عظيمة من الحكماء منذ عصر السلالة الثالثة ووضعنا كتب الحكمة المصرية الأحد عشر.

ثانياً: الشرائع المصرية (الأعراف والقوانين)

لم تصلنا شرائع مصرية مدوّنة، ولكن هذا لا يعني عدم وجودها أو في الأقلّ عدم وجود قوانين مصرية كثيرة اعتمدت في بناء القضاء المصري القديم، إضافة إلى الأعراف السائدة لها ذات المصدر الدينيّ بشكل خاص.

لقد شوّهت التوراة صور الملوك المصريين (الفراعنة) وجعلت من اسم الفرعون رمزاً للظلم والقهر والاستبداد في حين كان الفراعنة رمزاً عظيماً للعدل والمساواة والتقوى، فقد كانوا بهدي الماعت التي يمثّلونها مصدر القانون والتشريع وكانت قوه الماعت لا تضاهيها قوة أخرى كما عرفنا. وقد ذهب (ديودرو الصقلي) إلى أن ملوك مصر لم يكونوا يعيشون على نمط الحكم المستبدّين في البلاد الأخرى يعملون ما يشاءون تبعاً لأهوائهم غير خاضعين لرقابة ما. فقد رسمت القوانين لهم حدود تصرفاتهم في حياتهم الخاصة والعامة سواء بسواء وكانت ساعات الليل والنهار مرتبة بحيث يعمل الملك في الوقت المحدّد ما يفرضه القانون عليه. وهكذا كان الملوك يلتزمون جادة العدل إزاء رعاياهم. (مهران 1984: 228).

المبحث الثاني: السير المقدّسة

تشكّل السرديات المقدّسة العنصر الثاني من المكوّنات الثانويّة لأي دين، وهي ليست بالأساطير، لكنها سرديات خاصة بالأبطال الروحيين والأنبياء والكهنة والأحداث الدينيّة المهمة. وتكون هذه السرديات، بطبيعة الحال، أقلّ قداسة من الأساطير، لكنها كانت تأخذ مداها الكبير على الصعيد الشعبيّ في زمنها ويتم تداولها كما الأساطير وربما أكثر من الأساطير، لكنها تتعرّض، عادة إلى إضافات وتعديلات على مرّ العصور.

أولاً: سرديات الملوك

كان الملوك والفراعنة في مصر بمثابة آلهة على الأرض، ولذلك كانت سردياتهم مقدّسة، فقد وردت القصص والسير الكثيرة عن بعض هؤلاء الملوك في مرجعيات مختلفة من كتابات البردي وجدران المعابد والقبور، بل إن بعضها تسرّب إلى أمم وشعوب أخرى وجرى تحويله وإعادة إنتاجه بطريقة تناسب تلك الشعوب، وتسرّب منها إلى عصور لاحقة تحت مسميات جديدة. وهكذا ولا شكّ في أننا لا نستطيع، في مجال ضيق كهذا، أن نعيد سرد قصص الملوك والفراعنة المصريّين هنا ولو بخلاصات بسيطة، فهناك الكثير منها، ولكن بعضهم حظي بشهرة واسعة أكثر من البعض الآخر وهو ما يجعلنا نشير إلى اسمائهم بوضوح مثل (ميناء، خوفو، أوناس، أحمس، حتشبوت، أخناتون، رمسيس الثاني، كيلوباترا).

وحظي الكثير من وزراء الفراعنة والكهنة الكبار باهتمام تاريخي واسع وتناقلت أخبارهم الآثار والكتب، ولعل أشهر وزير هو (إمحتوب مهندس هرم زوسير المدرج الذي كان عبقرية استثنائية في العلوم، خصوصاً الهندسة والطب والذي طابقه الإغريق مع إسكلايوس إله الطب عندهم وهو أول فلكي وهو أحد ألغاز التاريخ المصريّ بظهوره واختفائه المفاجئين، فقد كان وزير زوسير، لم يعثر على مقبرته، وهناك تماهيات كثيرة بين شخصيته وأفعاله وشخصية الإله تحوت إله الكتابة والمعرفة والعلوم في مصر القديمة وكذلك مع شخصية هرمس أو إدريس).

السرديات التي كان مصدرها التوراة حول (إبراهيم وموسى ويوسف) كانت هي السرديات الأكثر شهرة في الأديان التوحيدية، لكن رصيدها في تراث وأثار مصر كان معدوماً. فليس هناك ما يؤيد وجودهم على المستوى الأثاريّ وهناك تأويلات محتملة، ولكنها غير مؤكدة. ويبقى حضورها فاعلاً في التراث الدينيّ اللاحق وعلى مستوى الأديان الموحّدة والغنوصية بشكل خاص. وهناك سرديات دينية معادة الإنتاج في تراثات أمم أخرى مثل قصة أوديب والتي كشف إيمانويل فليكوفسكي في كتابه (أوديب وأخناتون من أن أوديب هو أخناتون، وأن طيبة أبو الهول ولغز أوديب موجودة كلها في مصر. (أنظر فليكوفسكي د. ت.)).

ثانياً: حكماء مصر القديمة

ترد الوصايا في جميع نصوص الحكماء المصريّين الذين سنتحدّث عنهم، وهناك تعاليم مدرسيّة مهمة وردت في نصوص عثر عليها ضمن مخطوطات بردية للتلاميذ في عصر الأسرة التاسعة عشرة وما بعدها. وكانت تحدث على النصائح والتحذيرات الموجهة إلى طلبة المدارس والتي تشمل: الحياة في المدرسة، الاجتهاد، نصائح معلم إلى تلميذه، وضع التلميذ في القيود، تمجيد مهنة

الكتابة، وغيرها.

ويذكر المؤرخون أنهم عثروا من عصر الدولة الوسطى على (كتاب كمت) المسجّل على آثار عدّة (أهمها أثران موجودان في ميونخ وبروكسل) وهو أول كتاب مدرسيّ يضم القواعد والأصول التعليميّة وما يجب على المتعلم معرفته.

كانت الحكمة تسمّى في مصر على اسم إلهة العدالة والحكمة (ماعت) أو (مات) التي يمكن أن تعني (الاستقامة، الحق، الحقيقة، الانضباط، العدل، القانون الكونيّ الثابت، المنطق، الصلابة) وهي تعاكس الفوضى والفساد والشر التي تجمعها كلمة (أيسفت) وكان رمز ماعت هو الريشة. لتتأمل في أسماء حقول مترادفة استخدمها المصريّون بتميّز شديد وواضح:

الكلمة	تصويتها بالهروغليفية	كتابتها بالحروف اللاتينيّة
الكتابة	سش	sis
الحكمة، التعليم	سيبايت	sebit
المعرفة	سيا	sia
الكلام المبدع أو الخالق	حو	hu
السّحر	حكا	hika

أما التعليم والحكمة فكلمتهما هي (سيبايت) وهي مشتقّة من جذر (سيبا) التي تعني أيضاً (باب، نجم). وهذا ما يشير إلى أنها تتضمّن الرشد والهداية، ونظنّ أنّها مصدر كلمة (سوفيا) الإغريقيّة التي تعني الحكمة. فإذا كانت الفلسفة (فيلو سوفيا: حبّ الحكمة) إغريقيّة الشهرة. فإن (الحكمة مصريّة الأصل. فقد ظهر حكماء مصر في كل عصورها وكانوا عنواناً نادراً لتوازن المجتمع المصريّ القديم وحكمته، وكانوا هم ومدارس الأسرار الروحيّة والمعابد مصدر الفلسفة الإغريقيّة، كما سنرى.

الحكمة ارتبطت بالدين، وكانت التبشيرات الدنيّة الجديدة أقرب إلى الحكمة منها إلى الجوهر الروحيّ والدينيّ. وهذا ما كان يدعو له الملوك والحكماء. وهذا ما حصل مع تعاليم أخناتون التي كانت تشير إلى دعوته أكثر مما تشير إلى النمط الأدبيّ الأخلاقيّ فقط، كما ألفناه حيث "لم يترك لنا أخناتون أيّ كتاب مقدّس، ومن ثم فإن ما أسّسه لا ينتمي إلى ديانات الكتاب. وإنّ "كلمة الإله" بكل ما في هذه العبارة من معنى لا يوجد تخيل لها في الديانة الجديدة، حيث إن ذلك الإله الذي أعلن عنه مؤخراً ظل صامتاً. فأتون نفسه لم ينطق ببنت شفة، بل على العكس فإن أخناتون المبتسرّ به هو الذي تكلم عنه. ومن ثم فإننا يجب أن نعتمد على الأدلة المستوحاة والمستخرجة من النصوص الخاصة بالملك وبكبار رجال دولته. وتذكر لنا النصوص في كثير من الأحيان "تعاليم أو "تعليمات" أخناتون التي وضعها في قلوب رعاياه. ولتأكيد ذلك، فإن الكلمة المصريّة المستخدمة لهذا الغرض هي "سيبايت" التي تشير إلى أدب الحكمة المتداول في الكتابات التي ترجع إلى عصور سابقة حوالي أواخر الدولة القديمة، ولكن في عصر العمارنة يبدو في الحقيقة وعلى وجه الحصر أن حالة التعاليم والتعليمات كان الملك هو فقط الذي يُفصح عنها، ولا يوجد في أي مكان آخر أي أثر للرسالات الدنيّة". (هورنونج: 2010: 73).

أما حكماء مصر فكثيرون وسنذكر أهمهم وأهم بردياتهم وكتبهم:

1. **كا ارسو:** عاش حوالي (2704 - 2680) ق.م. في زمن الأسرة الثالثة معاصراً للملك (حوتي) آخر ملوك هذه الأسرة، وله صفحتان من بردية ذكر فيها آداب الطعام وسلوك المباشرة والتواضع وعدم التفاخر بالقوة ومن حكمه: السكين تُشحذ لمن يحيد عن الطريق المستقيم. وقد كتب تعاليمه هذه إلى ابنه (كاجمني) (قاقمنا) الذي أصبح حكيماً بعده.
2. **كاجمني (قاقمنا):** وجدت حكمته في بردية بريس. وقد عاش هذا الحكيم في زمن الأسرة الثالثة وبداية الأسرة الرابعة معاصراً للملك سنفرو، أما بردية بريس فقد جاءت مكتوبة بالهيراظيقية من الأسرة الثانية عشرة ويُعرف كاجمني أيضاً باسم (ميمي)، ورغم أن المراجع المصريّة تذكر أن كاجمني هو شخص آخر عاش في زمن الأسرة السادسة وكان وزيراً ونسياً للملك تبتى.
نصائح كاجمني:
”إذا جالست نهماً فكل عندما تنتهي شهيته... وإذا شربت مع سكير، فشاركه حين يبلغ كفايته.“
”لا تتكالب على اللحم في حضرة...، وإذا أعطاك شيئاً فخذهُ ولا ترفضه، فإن ذلك يرضيه.“
”إذا كان المرء غير مألوف العشرة، فما من قول يفيد فيه، أنه يقطب وجهه أمام مَنْ يُحسنون إليه، وهو نكبة على أمه وأصدقائه، وكل الناس تقول عنه: إن فمه لا يستطيع الكلام عندما يخاطبه أحد.“
”لا تفاخر وتزهو بقوتك بين مَنْ هم في سنك، وكن على حذر من كل إنسان، حتى من نفسك، إن المرء لا يدري ماذا سيحدث، كما أنه لا يدري ما الذي سيفعله الله عندما ينزل عقابه.“
3. **إمحوتب:** وهو الطبيب والمهندس الذي بنى هرم زوسر المدرج، ورغم شهرته الطبيّة والهندسيّة، لكنه كان حكيماً أيضاً. وهو شاعر وفيلسوف وقد ظهر إمحوتب في زمن الأسرة الثالثة وتحديدًا في زمن زوسر، وقد ضربت شهرته الآفاق وألهمت الإغريق لاحقاً وطبقوه مع الإله إسكلابيوس (إله الطب) وهناك مَنْ طابقه مع النبيّ (يوسف) وغير ذلك. ونرى أن له علاقة بهرمس الحكيم المشهور الذي ظهر في العالم القديم.
4. **بتاح حتب:** وهو الحكيم الذي ظهر مع الأسرة الخامسة وهو وزير الفرعون (ديد كارع)، وقد وضعت تعاليمه في بردية (بريس) التي تعود لعصر الدولة الوسطى، وكانت حكمته تدرّس حتى عصر الأسرة 18. وقد وضع حكمته في البردية على أنّها (كلمات الإله) وعددها 37 حكمة شملت آداب التواضع والمحادثة والعدالة والحقيقة والوداعة والمائدة والكرم والأمانة واحترام الواجب والسعادة وحق الأبناء والتقاليد والخلاص والنساء والفوز بالزوجة الصالحة والنميّة وغيرها.
5. **إيبور (إيبو العجوز):** وهو الحكيم الذي حدّر من ثورة اجتماعيّة مقبلة في زمن الأسرة السادسة. وكان موضوع التحذيرات هو ظهور علامات على خراب شامل في البلاد في عهد أحد الحكام، فثار عامة الناس على الموظفين والطبقة الحاكمة وعصى الجند قادة البلاد.. وقام الساميون بتهديد الحدود الشرقيّة لمصر وانحلّ نظام الحكم المنظم في مصر تماماً وقضي على المنجزات الحضاريّة التي ظهرت في العهدين العتيق والقديم، وكان الملك الطاعن في السنّ يعيش في طمأنينة في قصره تحيطه الأكاذيب التي كان يُسمّعها له موظفوه الكبار، وحين ظهر الحكيم إيبور ونطق بالحقيقة وأوصل وصفه لما آلت إليه الأمور وأوصل كلامه للملك ووصف له الخراب الذي عمّ البلاد، وتنبأ بما سيأتي بعد، وكان محقّقاً في تحذيراته وتنبؤاته، ولكن الأوان قد فات ولم يستطع الملك العجوز إيقاف التداعي الذي تراكم عبر فساد حكام الأقاليم والأمراء والوزراء وحتى الملوك.

6. **دوا خيتي**: عاش هذا الحكيم حوالي 2300 ق.م. إبان الأسرة التاسعة وربما كان الملك خيتي الأول معاصراً له، وقد ألف إحدى المواعظ والتعاليم لإبنة (بيبي). ويعتقد البعض أن المؤلف هو نفسه مؤلف وصايا امنمحات، والتعاليم تصف مساوئ المهن وتمجّد مهنة الكتابة، وقد جاء النص في بردية ممزقة من عصر الأسرة 19 وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني. وتسمّى أيضاً بردية (دواؤف).
7. **خيتي (أختوي) الملك**: ظهرت تعاليم الملك إلى إبنة مريكرع حوالي 2133 ق.م. من الأسرة العاشرة وهو الملك خيتي الثالث. وكانت تحثّ على الحكمة السياسيّة وطريقة الحكم واحترام الشعب وإقامة العدالة والعمران وتحثّ على مخافة الإله وأداء الطقوس، وقد كتب نص تعاليمه في بردية محفوظة في متحف ليننغراد كتبت منذ الأسرة 18.
8. **نب - كاورع**: ربما كان هذا الحكيم هو آخر ملوك الأسرة التاسعة ويسمّى (أختيوس الثاني). وقد جاء ذكره في قصة الفلاح الفصيح وكان معروفاً بالسخرية. وقد ترك حكمته موجهة إلى إبنة مريكاو رع حوالي 2000 ق.م. وكانت تشير إلى تمجيد صناعة الكلام والمحادثة وحب الخير والحذر واليقظة والحديث عن كبار الموظفين وواجبات الحاكم والتذكير بالعالم الآخر ويوم الحساب ومعاملة الجيل الجديد والنشاط والعدل وصفات الحاكم.
9. **إمنمحات الأول**: لم يكن الملك إمنمحات الأول (1991 - 1962 ق.م) حكيماً بالمعنى الدقيق للكلمة، ولكنه حين تعرّض إلى مؤامرة كادت تودي بحياته أشرك ولده (سنو سرت الأول) في الحكم وكتب له (تعاليم) بليغة ومهمة في السياسة والحكم تحدّره فيها من الثقة بالأصدقاء ومن مؤامرات المقرّبين وتسرد المؤامرة التي حصلت وتحذّر إبنة من مؤامرات مقبلة.
10. **آني**: الحكيم آني ظهر في حدود 1580 - 1558 ق.م. في عصر الملكة أحمس نفرتاري زوجة الملك أحمس، لكن برديته وصلت لنا بعد نسخها المتواصل من عهد الأسرة الحادية والعشرين وهي محفوظة في المتحف المصري (بردية بولاق 4). وهناك بعض فقرات النصائح في برديات أخرى. وقد كتبت البردية في عصر اضمحلال كانت فيه السيادة لرجال الدين والدعوات للرضوخ لحكم القضاء والقدر والتدين الأعمى. وتسمّى البردية بـ(نصائح آني) الموجهة لولده (حونسو - حتب):
11. **آمنمؤبي**: مع الحكيم آمنمؤبي نصل إلى ذروة الحكمة المصريّة في تطوّرها فقد ظهر في حدود 1000 ق.م. بين الأستين 21 - 22، وقد وجّه نصائحه إلى إبنة (حور ماحر) على بردية حصل عليها والس بدج 1888 م. وهي محفوظة في المتحف البريطاني برقم 10474، ويرى الكثير من الباحثين أنها أساس ما دوّنته التوراة في الحكم والأمثال المنسوبة إلى الملك سليمان.
12. **لقمان الحكيم**: هناك الكثير من الغموض يكتنف شخصيّة لقمان الحكيم، ولكن الأرجح أنه حكيم مصريّ عاش في النوبة في حدود حكم الأسرة 21، ولا شكّ في أن اسمه هذا وصل لنا بصيغته اليونانيّة (Alcaman) التي صاغها اللسان العربيّ (لقمان) وورد ذكره في القرآن الكريم. وليس هناك آثار أو برديات عنه وعن حكمته، بل هناك مرويات إسلاميّة تذكر أنه ابن أخت النبيّ (أيوب) وهو من أسوان في مصر. الكثير من حكمه وردت عند الحكيم الأشوريّ الآراميّ (أحقار) الذي كان وزيراً في بلاط الملك الأشوريّ سنحاريب ثم ولده أسرحدون (680 - 669) ق.م. والذي زار مصر في عهد الفرعون طهراقا.
13. **عنخ شاشنقي**: كاهن وحكيم مصريّ عاش في عين شمس في القرن الخامس قبل الميلاد، ويُعتبر آخر أصحاب التعاليم الكبيرة والمؤثرة، وتمت مقارنته لاحقاً بزرادشت وتعاليمه.. وتمّ اتهامه بالتستر على مؤامرة ضد الفرعون وسجن رغم براءته.
14. **بدي أوزر (بتوزريس Petosiris)**: كان (بدي أوزر) أو (بتوزريس كما سماه الإغريق) يقف

على رأس مجموعة من حكماء عائلته وهم معه (شسو، جد جحوتي إن عنخ، جدحر، بتوكم). وقد ظهروا في عصر الأسرة 30 وهي آخر أسرة فرعونية في حدود 360 ق.م. إبان الغزو الفارسي الثاني والإسكندر الأكبر، وقد عثر على نصوصهم مدونة على جدران المقبرة التي شيدها بدي أوزر وهي أشبه بالنداءات إلى الأحياء أو البيانات الأخلاقية للسير الذاتية، وتتكوّن من مدونات عدّة وتحتوي على تعاليم أخلاقية للطريق المستقيم وتعاليم الآلهة والخير وأخلاق الموت والدفن... إلخ.

المبحث الثالث الجماعة والطوائف والمذاهب

ربما بدا الدين المصري القديم متجانساً من الخارج، لكنه كان يحفل بتيارات وجماعات دينية اصطرت مع بعضها وتحاورت لزمن طويل. فقد كان الصراع واضحاً قبل توحيد مصر في عصر الملك مينا، بين عبدة حورس وعبدة ست، وكانت مدينة أمبوس (نوبت) في الجنوب مركزاً لعبادة الإله الصحراوي ست والذي يتميز بالقوة والشراسة والشر. أما في الشمال فقد كانت مدينة (بخبرت) مركزاً لعبادة الإله الصقر حورس، وهو إله الشمس وابن أوزيريس إله الخصوبة. وحين دار بينهما صراع سياسي انتصرت، أولاً، عبادة حورس وكوّنت عاصمة موحدة للبلاد كلها في (أون)، ثم انفصلتا ونشأ صراع آخر عبّر عن نفسه بين الإلهة الأعلى في الشمال (بوتو) والإلهة أنثى النسر (الرخمة) في الجنوب في مدينة (الكاب)، وفي المكانين سادت بعد ذلك ديانة الشمس لـ (حورس) والتي عبّرت لاحقاً عن وحدة مصر السياسية والدينية.

وعلى صعيد آخر كانت الديانة المصرية القديمة تُظهر تمايزاً واضحاً بين نوعين مختلفين من الديانة، وهما: الديانة الشعبية التي كانت تتمسك بعوامل الخصب والزراعة والتي مثلها (أوزيريس) وصراعه الدوري مع الصحراء (ست) الذي هو بمثابة الموت. والديانة الرسمية الشمسية التي كانت ديانة الفرعون والطبقة الحاكمة التي كانت تجعل من الإله (رع) رمزاً لها، وهو الإله الشمس في مقابل عوامل الظلام التي كانت تمثلها كائنات شريرة كثيرة. والصراع اليومي كان يتمثل في صعود وهبوط الشمس ودورة الليل والنهار، وكان لكل ديانة عناصرها وآلهتها ومراسمها الخاصة ثم تسربت من الديانتين هذه العناصر لبعضهما ونشأت عقائد مشتركة ساهمت في إثراء الديانة المصرية.

أما على صعيد الأنظمة اللاهوتية فقد نشأت منذ بداية الحضارة المصرية وديانتها سبعة أنظمة أو مدارس أو عبادات لاهوتية تفسر خلق الكون والآلهة والإنسان (لاهوت التكوين) ومراحل الخليقة اللاحقة، وهذه الأنظمة هي:

1. **لاهوت الإشمونين:** نشأ في هرموبوليس، وأظهر هذا النظام ثمانية آلهة بعد العماء، وقد ذكرناهم. وقد قاد هذا اللاهوت بسبب أحد هؤلاء الثمانية وهو (تحوت) إلى اختراع الكتابة وظهور الحضارة، ولكن هذا اللاهوت أصبح باطنياً مع تقادم الزمن وأصبح حاضنة لنشوء الهرمسية من خلال تحوت، وأصبح آلهته لهم علاقة بالعالم الأسفل. في حين انتصر لاهوت عين شمس لأنه كان يمجّد الشمس بوضوح.

2. **لاهوت أييدوس:** كان هو اللاهوت القديم للإله أوزيريس وهو بمثابة اللاهوت أو العقيدة الشعبية لأهل مصر القدماء. وقد كان مرافقاً لنشوء الدولة القديمة، فقد اندمج بإله الموتى والجبانة الذي هو (أمنتيو) وأصبح إلهاً للمناطق الغربية ثم كوّن ثالوثه المعروف (أوزيريس، إيزيس، حورس) وذاعت أسطوره في حربه مع إله الصحراء ست الذي قطعته ورمى قطع جسده في الأقاليم، لكن إيزيس التي تلد حورس تقوم بجمع قطعه (دلالة على توحيد الأقاليم) وحرّضت حورس على الانتقام لأبيه، وهكذا أصبح كل ملك في الحياة هو تجسيد لحورس (الشمس) وعندما يموت يكون تجسيدا لأوزيريس.

3. **لاهوت عين شمس:** التي كانت ترى أن الوجود كان فيه عماء مطلق مائي هو (نون) ظهر منه الروح الإلهي الأزلي الأول وهو (أتوم) الذي وقف على تل ثم صعد فوق حجر هو (بن

بن)، في منطقة أون (هليوبوليس)، على شكل مسلة هي رمز الشمس، ثم قام هذا الإله الواحد بامتزاجه بظله أو باستمائه أنتج كائنين للفضاء والنور هما (شو) والآخر هو للرطوبة والندى هو (تفنوت) وتزواج هذان وأنتجا السماء (نوت) والأرض (جب) ثم فصل شو بينهما، وظهر من تزواج الأرض والسماء أربعة آلهة هم (أوزيريس، إيزيس، ست، نفتيس) وسمي هذا النظام بـ(التاسوع الإلهي) لظهور تسعة آلهة (تاسوع عين شمس).

4. **لاهوت منف:** طوّرت منف بعد أول توحيد حاسم لمصر على يد مينا لاهوتاً متماسكاً ومنطقياً من خلال الإله (بتاح) الذي ظهر وكأنه أبو الآلهة جميعاً وخالقها من خلال الكلمة (كلمة الخلق). وقد كوّن هذا اللاهوت ثلوثاً يقف على قمته بتاح ويتكوّن من (سختم وبتاح وابنهما نفرتوم) قابله الإغريق بإله الحدادة (هيفايستوس). ولاهوته يقضي بأن القلب يوحي بالفكرة واللسان هو الذي ينطق بها.

5. **لاهوت طيبة:** طوّرت طيبة (واست منذ عصر الدولة الوسطى وجعلت من الإله (آمون) هو الإله الأزلي الأول وجعلوا منه إلهاً خفياً وأن ظهوره أو تجليه يكون من خلال الشمس (آمون - رع). كما رمزوا له بهيئة الثعبان الذي يختفي في العالم الأسفل، وأصبح له اسمان أساسيان هما (آمون: الخفي) و(إيرتا: خالق الأرض)، ثم جعلوه يستولي على لاهوت الأشمونين ولاهوت عين شمس ولاهوت منف، ويمثل هذا الإجراء الدينيّ صدقاً لإجراء سياسيّ واسع عندما تحوّلت مصر إلى إمبراطورية في الدولة الحديثة وسيطرت على مصر كلها وهضمت تراثها ورحلت به إلى مناطق مجاورة.

6. **لاهوت العمارنة (أخناتون):** وهو لاهوت خاص ونادر ارتبط بثورة التوحيد الدينيّة التي قام بها أخناتون (أمنحتب الرابع) حين أزاح جميع الآلهة وأبقى الإله (أتون) إله الشمس إلهاً وحيداً للعالم كله وليس لمصر فقط.

7. **لاهوت الإسكندرية:** مع بدء المرحلة الهيلنستيّة وسيادة البطالمة على مصر ظهرت الحاجة واضحة للاهوت عالمي جديد يجمع بين الإغريق والمصريين وكان هذا اللاهوت متمثلاً بالإله سراپيس وزوجته إيزيس وابنهما هيربوقراط، هذا على المستوى الرسميّ أما على المستوى الشعبيّ فقد شهد ميلاً نحو السحر والعقائد الباطنيّة والمسارية بشكل خاص، ومن مكتبة الإسكندرية وكتّابها وفلاسفتها الكبار ظهرت الصياغة الجديدة للهرمسيّة والغنوصيّة التي كانت بمثابة نقطة التحوّل الحاسمة باتجاه التوحيد.

المبحث الرابع الباطنيّات

أولاً: السّحر والعرافة والخيّماء

لا يضع سونيرون، اعتماداً على الكهنة المصريّين، السّحر في عداد العلوم المقدّسة أو الكهنوتيّة. فقد كان السّاحر كائناً خطراً، ولكن السّحر، بسبب سرّيته وباطنيّته ومنعه من التداول الرسمي، كان مثيراً للفضول بل والإعجاب وكان يستقطب، مع مرور الزمن، الناس لصالحه حتى إذا ما جاء الغزو الفارسيّ عام 525 ق.م. ولم تُعد مصر حرة سياسياً انتشر السّحر بين الناس وكأنه البديل الرئيس عن الديانات المصريّة. وكانت عباده الحيوانات المقدّسة الجوّ المناسب الذي ظهر فيه السّحر الشعبيّ والشعوذات الكبرى.

ولكن السّحر كان ممارسة قديمة برمت خيوطها داخل نسيج الدّين المصريّ. وبإمكاننا أن نلمح ذلك أولاً في أساطير الآلهة، حيث استطاعت إيزيس التسلّط على رع بعد أن عرفت اسمه الخفيّ وكان ذلك نوعاً من السّحر الإلهيّ، وكان الإله (تحوت) هو الإله الذي علّم العلوم المقدّسة والسريّة ومنها السّحر ويجب أن لا ننسى محاولة إيزيس لإعادة الحياة إلى أوزيريس عن طريق السّحر.

أما الإله (ست) فقد كان رمزاً للسّحر الأسود ونظّر إليه كناشر للأوبئة وكان للإلهتين (باستت وسخمت) بعض القوى السّحريّة.

يستند السّحر إلى فكرةٍ أساسيّة واحدة هي امتلاك السّاحر قوةً يؤثّر بها على الطبيعة والناس والأشياء. وكان السّاحر يعبر عن هذه القوة بالكلمة (حقو، هيكاو Hekau) التي تعني كلمات القوة. وكان السّاحر يوصف بأنه (قوي اللسان مثل إيزيس وينطق بكلمات القوة التي يعرفها بتهج صحيح ولا يتلعثم في كلامه.

ويرى والس بدج أن السّحر المصري كان على نوعين "الأول لغايات مشروعة يهدف إلى إيصال الفوائد للأحياء والاموات، والثاني يستخدم للتأمر وتنفيذ الخطط الدنيئة ويهدف إلى إحلال الكوارث على من يوجّه ضدهم ويسمّى السّحر الأسود، ونجد في الكتب الدنيئة كيف استخدم السّحر كأداة للدّين ونجده، في بعض الأحيان، جنباً إلى جنب مع أكثر المفاهيم الروحيّة". (Budge 10: 1981).

تختلف العرافة عن السّحر في أنها تشترط وجود قوة في العراف تجعله قادراً على تسلّم الإشارات والعلامات الطبيعيّة والصناعية خارجه ليعمل هو على تأويلها وتفسير ومعرفة الغيب بها. فهي، عملياً، معاكسة للسّحر لأن السّحر يعمل على إخراج هذه القوة من السّاحر والتأثير بها على الطبيعة. أما العراف فيتسلّم من الطبيعة علاماته لتعمل قوته الداخلية على تفسيرها. ولا نلمح انتشاراً واسعاً للعرافة في مصر ولا نعرف تنوعها المألوف الذي ظهر عند أمم قديمةٍ أخرى، لكنه من المؤكّد أن المصريّين القدماء عرفوا أنواعاً من العرافين وقارئي البخت والطاقع. وكانت أعمال العرافة التي يقوم بها العلماء معروفة، منها ما ذكر عن كامس الذي خرج لقتال الهكسوس بناء على وعد آمون ذي الرأى السديد الذي وعده من خلال العرافين بالنصر. والعرافة هي التي حدّدت، مسبقاً، ميعاد الغزوات وما سيلقاه تحتموس فيها من نصر، وعرافة آمون هي التي أرسلت حتشبسوت مع بعثتها إلى بلاد بونت.

الأبراج الفلكية هي طريقة لتقسيم مسار الشمس في السماء بإثني عشر قسمًا متساويًا. وما

يُمَيِّز الأبراج عن الكواكب السيارة (المتحركة) أن الكواكب هي تقسيمات لتحديد خريطة كلّ السماء مع أجرامها، وهي تجمّعات لنجوم نراها بالعين المجردة على صفحة السماء، كلها، ليلاً، أما الأبراج فهي تقسيمات لجزء من السماء وهي الدائرة التي تمرّ فيها الشمس والقمر والكواكب الثمانية التي كانت الشعوب القديمة قد عرفت خمسة منها. تنقسم دائرة البروج إلى 12 برجاً، لكل منها 30 درجة قوسية على مسار الشمس، والشمس تمرّ في برج واحد في شهر شمسيّ محدّد.

كانت الأبراج في بداية وضعها تعبر عن محاولة الإنسان لرصد حركة الشمس شهرياً، لأنها تغيّر وضعها كل شهر بالنسبة للأرض أو بالعكس. وكان وَصَحَ السومريون أول البروج وسار على هديهم البابليون، لكن البروج أصبحت وسيلة سحرية لمعرفة مستقبل الإنسان انطلاقاً من فكرة أن النجوم والكواكب والشمس هي آلهة تحكم مصائرنا، وبذلك نشأ التنجيم. فالتنجيم هو نوع من العرافة التي تتمّ بها قراءة حركة الكواكب والنجوم والأنواء وتأويلها من أجل قراءة غيب الدولة أو الملك أو الفرد. والتنجيم Astrology (astro) (نجم) و Logy (علم) يختلف عن علم الفلك Astronomy (astro) (نجم) و nomos (قانون). في أن الأول ذو نزعة سحرية بينما يعتمد الفلك على القياس العلمي الدقيق.

ثانياً: المسارية والهرمسية والغنوصية

المسارية:

يسمّي سيرج سونيرون حقول العلوم الكهنوتية بـ(مجالات العلم المقدّس) ويرى أن تخصصات الكهنة تبدو مستقلة. وهي كما يذكرها الكاتب كليمنت الإسكندري حين يصف موكب طواف الإله أوزيريس في العصر الهيليني تشمل العلوم الفلكية والجغرافية والهندسية وعلوم الحيوان والعبادة واللاهوت والطقوس والتاريخ والعمارة والطب... الخ. ولكن المجال السريّ أو الخفيّ للعلوم المقدّسة كان يتجسّد في مجموعة من العلوم ذات الطابع الطقسيّ الذي كان مقتصرأ على نخبة قليلة من العارفين أو الكهنة. وكانت الطبيعة السرية لهذه العلوم متأتية من ممارستها النخبوية من جهة ومن سرية تعاليمها وحظرها في أغلب الأحيان من جهة أخرى. كانت هذه الطقوس تنتعش في بعض العصور التي تزداد فيها نزعات الخلاص ويزداد معها عجز الإنسان وتشبّهه بالآلهة والدين المعلن فقد كان يلجأ إلى الطقوس السرية التي يكتنفها الغموض والجادبية الخفية.

ولاشكّ في أن الطابع العام لهذه الطقوس كان مرتبطاً بالسحر الذي كان يعني، ضمناً، اللجوء إلى القوى الشيطانية والإلهية مباشرة. وقد أعطت الطقوس السرية المسحة الأقوى للفترات الأخيرة من الدين المصريّ بل وصار الدين المصريّ كله سحراً بعد أن شاعت الديانة المسيحية وأصبح ينظر إلى نظامه الروحيّ كنظام باطنيّ وسريّ للمسيحية نفسها. وهذا أمر متوقع لأن الأنظمة الدينيّة المنحدرة أو الهامشية كانت دائماً بمثابة الأسرار والسحر بالنسبة للنظام الدينيّ الشائع والمعروف.

المسارية تيار شامل اجتاح الديانات القديمة وشكل جزءاً باطنيّاً عميقاً من تلك الديانات وتمتاز بالسرية والغموض. وتعتبر المسارية المصرية من أعرق ديانات الأسرار في التاريخ، وهذا يعني بشكل عام، أن أغلب الديانات القديمة ومنها الديانة المصرية لها شكل عام يعرفه الجميع ويمارسه، ولها شكل خاص تعرفه قلة خاصة وتمارسه في الخفاء وتحيطه بالسرية والرموز

والغموض ولا تسمح بكشف أسرارها للعامة. وحتى لا نضيع في متاهات الأفكار السطحية التي يكتبها كتاب مبتدئون عن هذا الموضوع نقول إن المسارية اختصت، إلى حد كبير، بعالم ما بعد الموت وآلهته وكيفية الوصول إليهم والتوحد بهم، من أجل الخلاص (قبل الموت) حتى يضمّنوا التعرف عليهم بعد الموت، وحتى يصلوا إلى نشوة التوحد مع الآلهة أو "الإله الواحد" بهدف تنقية الروح من الأدران التي علقت بها من الجسد الدنيويّ المادي.

"ليست الفكرة الوحيدة ها هنا في التغلب على قوى الموت والظلام لأن ذلك موجود بالفعل في فكرة التوحد مع الإله. وتلك هي المسألة الإلهية التي تقضي بالذوبان الكامل في ذات الإله والتوحد به. فتحقيق ذلك هو الأمل المنشود من وراء كل الممارسات. وهذا لا يدلّ على فقدان الشخصية الفردية، ولكنه تعويض عن فناء الجسد وحلوله في شكل أبدي الوجود، وتعويض عن تفتح بذرة الشخص وتشعبه في تربة هذه الحياة الفانية للانتقال إلى حالة الأبدية والخلود". (سبينسر 2012: 116 - 117).

1. مسارية العبور: طقوس التنشئة (تلقين الأسرار) Initiation Rituals

تعتبر مصر المهدي الأول الذي خرجت منه طقوس تلقين الأسرار أو طقوس التنشئة التي هي عبارة عن طقوس غامضة كان الغرض منها تهيئة المرشحين للكهانة لهذا المنصب. وقد أثرت مصر على اليونان في هذا المجال. ويبدو أن طقوس التنشئة كانت تجري لنوع معين من الكهان السريين الذين كان جلهم من السحرة والعرافين والمنجمين.

2. مسارية التحوّل (التناسخ)

ابتكر المصريون فكرة الروح المادية (كا) أولاً وسَمّوها (القرين). وهي الملازمة للجسم وللمكوّن المادي الذي يمكن أن تحل فيه مثل التمثال أو الصورة أو المومياء. وهي عبارة عن شبح يعكس شكل الجسم الحقيقي ولا يمكن للإنسان أن يراه، وهي أقرب لفكرة النفس.

ثم تطوّر الأمر أكثر عندما ابتكروا فكرة الروح غير المادية أو المثالية وتسمى (با) والتي مثلوها على شكل طائر له رأس إنسان، وتظهر عندما يموت الإنسان وتصله بالعالم الإلهي وهي ما نطلق عليها فكرة الروح.

3 - المسارية الصغرى (مسارية إيزيس): كانت طقوس هذه المسارية التي تأتي عادة بعد طقوس التحوّل التي ذكرناها، وفيها يكرّس المريد حياته لخدمة الإلهة إيزيس، فيخصص له غرفة في المعبد ويحضر الطقوس التي نذكرها كل يوم، وفيها ستعلن ولادته الجديدة وموت الإنسان القديم فيه.

4. المسارية الكبرى (مسارية أوزيريس): كانت هذه المسارية تستدعي أن يساهم المريد في إحياء تمثال أوزيريس الذي يُعتبر بمثابة جثة أوزيريس الميتة وإعادته إلى الحياة، من خلال تمثيل درامي يمكن تتبع خطواته كما يلي:

1. نحيب عائلة أوزيريس حول تمثال أوزيريس المحاط بالأكفان الجنائزية، حيث يظهر مَنْ يمثل (إيزيس، وحورس، ونفيتيس.. إلخ).
2. تمثيل أربع وعشرين مشهداً، كل مشهد بواقع ساعة من ساعات اليوم، وتبدأ المشاهد في أول ساعات الليل أي الساعة السادسة "في توقيتنا" وتنتهي في آخر ساعة من اليوم الثاني.

الهرمسية (التحتوية المصرية)

الهرمسية طريقة دينية بدأت منذ أقدم العصور وما زالت حتى يومنا فاعلة وقوية، تعتبر نفسها أصل الأديان والحكمة. وقد ذهبنا في بحوثنا السابقة إلى أن التأسيس الحقيقي لها بدأ في سومر وتحديدًا مع الإله (ديموزي) ثم نشوء أسطوره مع إنانا، وارتبطت بالإله إنكي وديانته

وبالملك السومريّ قبل الطوفان (أميدراًناً). ثم انتقلت هذه الطريقة إلى مصر وكان مؤسسها هناك الإله تحوت (إله القمر والحكمة والكتابة) والذي اسماه الإغريق (هرمس) أو قابلوه مع إلههم هرمس، لكن العمق الروحيّ لتحوت كان مذهلاً. ومن أجل ذلك نُهب تراثه والصق بالإله (هرمس) قسراً وشاع اسم الهرمسيّة المعتاشة على تراث تحوت المصريّ فيما اندثر تدريجياً اسم تحوت، خصوصاً مع نهب التراث الروحيّ المصريّ من قبل الإغريق، قبل غزو الإسكندر المقدونيّ وبعده، وحين ظهرت عتبات تأسيس الهيلنستيّة والعصر الهيلنستيّ وكانت مدرسة الإسكندرية المسرح الأساسي لهذا التأسيس وكان تحوت وتراثه الروحيّ قد انتحل بالكامل وظهر تحت مسمّى (الهرمسيّة).
الغنوصيّة (العرفان المصريّ)

يصعب الحديث بثقة عن وجود الغنوصيّة في تراث مصر القديمة لقلّة الدلائل والمقاربات في هذا المجال، ولكننا يمكن أن نستدلّ عقلياً على بعض الأمور التي نعرفها عن الغنوصيّة ونشوئها وعلاقة ذلك بالدين المصريّ بشكل خاص. نشأت الغنوصيّة في دائرة مجاورة للهرمسيّة، ولكنها تختلف عنها، فالغنوصيّة، كما نرى نحن، شمسيّة الطابع. وهي بذلك تختلف عن الطابع القمريّ للهرمسيّة، ولذلك فهي ترتبط بـ(رع) و(ست) أكثر من ارتباطها بـ(تحوت) وأوزيريس. أما على مستوى التراث الكتابيّ. فالغنوصيّة ترتبط بـ(شيث) بينما ترتبط الهرمسيّة بـ(أخنوخ) أو (إدريس).

الغنوصيّة تتعلق بمعالجة موضوع أصل البشر والشيطان والملاك الخاطئ، بينما الهرمسيّة تتعلق بدورة صعود وهبوط الروح وخلق الكون الماديّ وعلاقته بالفيوض العقلية من العقل الأعلى. ارتبطت الغنوصيّة بالدين والفلسفة بينما ارتبطت الهرمسيّة بالسحر والخيمياء والتنجيم. كل هذا المدخل يذهب بنا إلى أن الغنوصيّة المصريّة ربما تكون ارتبطت بإله الشمس (رع) و(حورس) وبالإله (ست).

الباب الثالث أديان المشرق القديم الوسيطة




تمثال عاجي لكائن الفينيق من مدينة مَرود (كالح من الفترة الآشورية الحديثة).

الفصل الأول الدين البابليّ



الإله مردوخ الإله القومي للبابليين

الخلاصات التاريخية أسماء بابل وخريطتها

	<ol style="list-style-type: none">1. الاسم السومري: كا. دنجيرا. را (كي)... أرض كادنجير: أرض باب الإله2. الاسم الأموري: باب إيلي: باب الإله3. اري دوع: المدينة العامرة4. اري شار: مدينة الكل5. أي كي: مدينة القنوات6. جيش غال: الرواق الكبير7. دين تيركي: غابة الحياة (السور المقدس)8. شو أنا: يد السماء (رحمة السماء)9. أيمن: الأعمدة السبعة
---	--

تاريخ البابليين

<ol style="list-style-type: none">1. العتيق: (4000 - 1894) ق.م. العبيدي، السومري، الأكدي2. القديم: (1894 - 1157) ق.م. الأسر الثلاث الأولى (الأمورية، البحرية، الكاشية (الدولة البابلية القديمة))3. الوسيط: (1157 - 612) ق.م. الأسر البابلية من 4 - 10 تحت السيطرة الآشورية.4. الحديث: (612 - 539) ق.م. الأسرة 11 الكلدانية (الدولة البابلية الحديثة).5. المتأخر: (539 ق.م. - 634 م) بابل تحت السيطرة الفارسية والهيلنستية.
--

1. العصر البابلي العتيق (4000 - 1894) ق.م.

<ol style="list-style-type: none">1. عصر العبيد: ظهرت بابل كمستوطنة مسكونة في 4000 ق.م.2. العصر السومري القديم: مدينة تجارية صغيرة، اسمها كادنجير: أرض باب الإله3. العصر الأكدي: أقدم إشارة مكتوبة عنها من عصر الملك شار كالي شاري 2350 ق.م.4. العصر السومري الحديث: إشارة عنها كمدينة

2. العصر البابلي القديم 1894 - 1157 ق.م.

<ol style="list-style-type: none">1. الأموري (1894 - 1530) ق.م.2. البحري (1530 - 1595) ق.م.3. الكاشي (1595 - 1157) ق.م.

3. العصر البابليّ الوسيط (612 - 1157) ق.م.

1. الأسرة الرابعة: أسرة إيسن الثانية
2. الأسرة الخامسة: أسرة القطر البحريّ الثانية
3. الأسرة السادسة: أسرة يازي
4. الأسرة السابعة: الأسرة العيلامية
5. الأسرة الثامنة: نابو موكين إيلي
6. الأسرة التاسعة: 16 حاكماً
7. الأسرة العاشرة: الأسرة الآشورية

4. العصر البابليّ الحديث (612 - 539) ق.م. الأسرة 11 الكلدانية

1. نابو آبال أوسور (نبولاصر): 626 - 605 ق.
2. نبوخذنصر الثاني: 605 - 562 ق.م.
3. أويل مروك: 562 - 560 ق.م.
4. نرجال شار أوتسور 560 - 556 ق.م.
5. لاباشي مردوك: 560 - 555 ق.م.
6. نابونائيد: 555 - 539 ق.م.



صورة متخيّلة لبرج بابل رسمها بيتر بروجل
Pieter Bruegel the Elder 1553

القسم الأول: المكوّنات الأساسيّة في الديانة البابليّة المبحث الأول: المعتقدات الدّينيّة البابليّة

أولاً: المعتقدات الألوهيّة

ازداد عدد الآلهة البابليّة، مع مرور الزمن، حتى بلغ عشرات الآلاف مع الدولة الكلدانيّة، وكان الإله الرسمي القوميّ للبابليّين هو الإله مردوخ الذي منحته أسطورة الخليفة البابليّة لقب (ملك الآلهة) وحاز فيها على 50 اسماً تجعله إلهاً واسع الإراة والقوة. وكان معبده (إيساجيل) في بابل مركز العبادة البابليّة ومحجّها وكان الإله مردوخ يلقب بـ(بل، بعل) أي السيد. المدن البابليّة كانت لها آلهة محلية، حيث معابد إله الشمس في لارسا وسبار، ومعابد إلهة الزهرة والحب عشتار في أوروك، ومعابد إله القمر سين في أور. وكان لكل أسرة إلهها الذي تقدّم له الخمور كل صباح ومساءً وتقيم له الصلاة، بل إن لكل فرد إلهاً يحميه ويعتني به وهو بمثابة الملاك الحارس له.

ظل التفرّد Henothsim هو السائد في عقائد الربويّة البابليّة ممثلاً بالإله مردوخ الذي أصبح ملك الآلهة البابليّة، ولم يرتق هذا التفرّد إلى مرحلة التوحيد. ولا بدّ من ذكر محاولة آخر ملك بابلّي وهو (نبونائيد) الذي حاول فرض التوحيد الإلهيّ متمثلاً بالإله القمر (سين) وإلغاء بقية الآلهة لكن هذا الفرض جوبه بقوة من قبل كهنة مردوخ وكان الثمن هو احتلال كورش لبابل ونهاية سيادة وادي الرافدين وخضوعه للاحتلال الفارسيّ أكثر من ألف سنة. الثيولوجيا (الآلهة والشياطين)

كانت الآلهة تمثل الجانب الخير والمضيء في الديانة البابليّة. وهي كثيرة ولها صفات معروفة لا تختلف كثيراً عن صفات الآلهة السومريّة التي شرحناها. في المقابل كان هناك الشياطين والأرواح والأشباح. فالأرواح هي الطاقة المتبقية الهائمة أو الشاردة من أجساد الموتى، بعضها خير إيجابي والآخر شرير سلبي ويتبع ذلك طريقة موت صاحبها، ويمكن أن تأخذ أشكالاً حيوانيّة، وكانت الأرواح الأثويّة تسمّى (ليلي) والذكرية تسمّى (ليل). "لم تكن الشياطين خلائق العالم الآخر، فكثير منهم كانوا يُعدّون آلهة ولدوا في السموات، ولكن طبيعتهم الشريرة أصلاً كانت قد طرحتهم إلى الأبد في طرق الشر. من حيث المبدأ، كان أنو الإله السماويّ الكبير يكبح جماحهم بشدّة، ويستخدمهم بصفة رسل له - أدوات لمعاقبته أو نقماته. ولكنه كان يحدث أنهم بغير علم منه، يُطلقون العنان لإساءاتهم عبر السماء. وهكذا فإنهم كانوا مسؤولين عن خسوفات، حينما كانوا، بظلماتهم، يهاجمون قرص القمر المنير". (لابات 1988: 151).

أما الشياطين فتسمّى (ألو) و(كالو) و(أتوكو) وهي تنشط في الليل وتختبئ في الأماكن المقفرة والمقابر، وحين تصل إلى بيوت الناس تحدث الكوارث والأمراض كالمشاجرات والعواصف والصداع والحمى.. إلخ.

"كانت جيوش الأرواح الشريرة التي هدّجت البابليّين والآشوريّين ذات أنواع عديدة. فهذه الشياطين وهم أولاد Anu أنو يعيشون في الجبال في الغرب، وكان يُشار إليهم، غالباً، باسم السبعة، مع أنه كان هناك أكثر من سبعة. كان هناك لاشمو التي طالما أُشير إليها وكانت

روحاً شريرة هددت النساء حين الولادة وكانت تسرق الأطفال الرضع من صدور أمهاتهم. وكان هناك ناما تارو وهو شيطان الطاعون وهو رسول نبجرين إله العالم السفلي، وكانوا يخشونه كثيراً، ورايبسو الذي كان يتّرد على الأبواب والزوايا المظلمة، ثم هناك ليتيتو Lititu الذي كان يزور الرجال وينغص عليهم نومهم بإشارات فاسقة وداعرة. وكان هناك بعض الوحوش التي لا وجوه لها وكانوا يمزقون الناس إرباً إرباً وكانوا يتجمعون حول فراش الرجل المريض إيداناً بموته“. (ساغز: 2008: 331)

كانت الشياطين سبب الأمراض أيضاً، فهي بمثابة الكائنات الدقيقة التي لا ترى والتي تصيب الجسد بالمرض "حيث اعتقد الإنسان العراقي القديم بأنها سبب الأمراض واللعنات الجسدية والروحية والعقلية، وأن أبرز ما يميز السيكولوجيا الدينية في أرض الرافدين في ما يتعلق بالشياطين هو أنه كان ينظر إلى الإنسان على أنه عاصم له منها فعلاً، فحتى المرء الذي يحيا حياة طاهرة ولا يسيء إلى إله من الآلهة يمكن دائماً أن يقع فريسة لمكائد ساحر شرير، أو أن يتصل عن غير قصد بكائن أو شيء نجس، فالإنسان يمكن أن يكون ضحية بريئة لقوى شريرة". (موسكاتي د. ت: 76 - 77).

الروح

لم يختلف تصوّر الروح عند البابليين عنه عند السومريين، فهي كيان أثريّ يشكل طاقة الجسد وقدرته على التواصل مع الآلهة والكون، فتتفصل الروح عن الجسد عند الموت وتذهب إلى العالم الأسفل وليس إلى السماء، وفي العالم الأسفل تعيش مع بقية الأرواح في عالم مقفر مرتب بلا حساب ولا جنة ولا نار.

أما الأرواح التي لا يُدقن جسدها فتهيم في عالم الأرض وفي أماكنه المقفرة مثل الشياطين، وقد تكون خيرة أو شريرة. ويتوقف ذلك حسب طريقة موت صاحبها وحسب طبيعتها، ولكنها بشكل عام تهاجم الناس وتطلب الراحة بصراخها.

العالم الميتافيزيقي

عالم الآلهة يسيطر عليه من قبل مجمّع الآلهة (بانثيون). فهناك إله بعيد لا شأن له بالعالم هو الإله (أنو) وقرينته (آنتو)، أما ملك البانثيون البابلي ورئيسه. فهو الإله مردوخ الذي يتّأس المجلس الأصغر المكوّن من سبعة آلهة والمجلس الأكبر المكوّن من خمسين إلهاً. وكانت الكواكب بمثابة مساكن للآلهة. فالشمس مسكن الإله شمش والذي هو إله الضوء والعدالة، والقمر مسكن الإله سين وهو إله النور والمحبة والمؤثر على المدّ والجزر وتنوّع النباتات وغيرها، والزهرة مسكن الإلهة عشتار إلهة الحب والجمال والحرب أيضاً، والمشتري مسكن الإله مردوخ وهكذا... وهو ما يجعل البعض معتبراً الديانة البابلية ديانة عبادة كواكب. وهذا غير صحيح لأن تقديس الكواكب هو جزء منها وليس كلّها.

ثانياً: المعتقدات (الدينيّة) العمليّة

كان البابليون متسامحين، دينياً، ولا يجبرون أحداً على الدخول في دينهم، ولكنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مرتبطين بالإله (مردوخ) وأنه اختارهم كشعب له وأنه يرأف بهم أكثر من غيرهم وهذا أمر طبيعيّ في عبادة الإله التفريديّ. لكن الخطورة تكمن في جعل شعب واحد محدد مختاراً من قبل الإله التوحيديّ، أي أنه يكون الشعب الأفضل في العالم كله، وهو ما حصل في اليهوديّة بشكل خاص.

النبوة درجة دينية عليا في الأديان التوحيدية لم تكن موجودة في الأديان السامية التي سبقتها، لكننا لا بد أن نشير إلى أن هذه الكلمة لها علاقة بالإله البابلي (نبو) وهو إله المعرفة والذي له جذور سومرية تسميه (توتو، نبو) وهو (تحوت) المصري والذي نعتقد أن له كهنة أعلنين يسمون (نبو) أو (نبي). وهو ما جعل هذا المنصب يتسرب إلى الأديان التوحيدية، خصوصاً أن (نبو) هو ابن كبير آلهة بابل (مردوخ).

لم يكن مبدأ الثواب والعقاب موجوداً في عالم ما بعد الموت في الديانة البابلية، ولكنه كان موجوداً في الحياة.

كانت إقامة الواجبات الإلهية من قبل الإنسان أمراً يُرضي الآلهة ويجعلها تردّ عليه بثواب قوامه الصحة والإنجاب والثروة والسعادة.

أما اختراق القانون الإلهي وانتهاكه من قبل الإنسان، في الحياة، فكان أمراً خطيراً يؤدي إلى تخلي الإله أو الآلهة عنه، وأول ما يتخلّى عنه هو (الإله الحامي) الذي يصعب استرضائه في ما بعد أو جعله يعود حامياً للإنسان المخطئ.

ولعلّ في أشهر قطعة حكمة بابلية تسمى (لود - لول بيل - نيقبي) أو (لأمجدن ربّ الحكمة) خير شاهد على العذاب الإنساني الذي نتج عن خطأ كهذا.

كانت فكرة الخطيئة، التي هي سبب العقاب، حالة جسدية ونفسية ولم تكن مجرد فكرة، ولذلك فهي تتعكس على الجسد والنفس بقوة وتؤدي إلى العقاب.

تظهر مؤشرات الحلال والحرام قوية في القوانين البابلية، خصوصاً في حقل الأحوال الشخصية فقد جاء في بعضها أنه:

”حق الرجل أن يخطب امرأة لنفسه ويتزوجها، بينما كان محرماً الاتصال الجنسيّ بها قبل استكمال إجراءات الزواج والزفاف. وهناك حالات خطيرة من المحارم عقوبتها الموت في مقدّماتها: اتصال الزوجة برجل آخر، أو اغتصابها، الاتصال بالإبنة وزوجة الإبن، إتصال الإبن بأمه.“ (الهاشمي 1975: 62).

كان القضاء والقدر مرسومين من قبل الآلهة على الإنسان وكان عليه أن يقبل بهما، وكان الإله (إنليل) ثم الإله (مردوخ) مسؤولين عن ألواح القدر التي كانت تدوّن فيها ما يحدث للعالم والبشر، وحين قام الإله الطائر (زو) بسرقة ألواح القدر من إنليل فقد العالم توازنه واغتصب السلطة والسيادة وعمّ الصمت وسرقت هيبة الحرم المقدّس حتى تمكّن الإله (ننورتا) من استعادة الألواح وبتر جناحيّ زو وقدمه أسيراً للآلهة ثم قتله.

كان التشجيع على الزواج والإنجاب أمراً مهماً في الديانة البابلية وكان الأبناء يحيون على حبّ الآلهة والتقيّد بتعاليمها، وظهرت حالات التبني للأطفال الأيتام.

كانت طبقة الحكام مكوّنة من (الملوك ورجال الدين) أما طبقات الشعب فمكوّنة من (الأحرار، الموشكينو، العبيد) وكانت طبقة الأحرار مكوّنة من أصحاب المزارع والتجار والحرف الأخرى، أما الموشكينو فهي الطبقة الوسطى من المعتدلين في حياتهم وبضمنهم الفقراء الأحرار، والعبيد هم من سكان البلد الأصليين المعدّمين ومن الأسرى الأجانب.. وكانوا يتبعون أمهاتهم في النسب عكس بقية الطبقات الذين يتبعون آباءهم.

كانت الزوجة الواحدة هي العادة السائدة في الزواج وكان وجود زوجة ثانية أمراً منفرّجاً وله شروط وحقوق وواجبات تنص عليها شرائع الآلهة. وكانت المرأة المطلقة أو الأرملة تختار زوجها محض إرادتها.

كانت المرأة تحضى بمركز اجتماعيّ عظيم فلها أموالها الخاصة وشهادتها كشهادة الرجل وتعمل في التجارة والوظائف الأخرى.

ثالثاً: المؤسسة الدينية

1. الآلهة:

أصبحت المؤسسة الإلهية البابلية أكثر تماسكاً وقوة بسبب مركزية (مردوخ)، فقد عمل كهنة هذا الإله على إضفاء الهيبة والجلالة عليه وعلى معبده، وكان تمتعه بخمسين اسماً يمنحه القدرة على امتلاك طاقة خمسين إلهاً.

الطبقة التي تلي مردوخ تتكوّن من الآلهة الأبناء والأحفاد ممن لهم علاقة بالطبيعة وعناصرها، أما الطبقة الأخيرة السفلى فتتكوّن من آلهة العالم الأسفل وشياطينه.

الطبقة الأعلى (الأولى) تتكوّن من الآلهة التي سبقت وجود مردوخ وهم آلهة الخليقة التي تذكّرهم أسطورة الخليقة البابلية ابتداءً من تيامت وزوجها أبسو ووصولاً إلى (إيا) إله الماء والأرض والد مردوخ.

2. المؤسسة الكهنوتية:

انفصلت المؤسسة الكهنوتية عن المؤسسة الملكية وعُهد للكهنة المختصين (شانجو) العمل على تأسيسها تحت إشراف الكهنة الكبار الذين كان يجب أن يكونوا سليمين من الناحية الصحية والتعليمية، وكان من "يدخل من المحراب (اريب بيتي Eribbiti) بصحبة أولئك الذين يقومون بتقديم القرابين وصب السكائب والتطهير، والمسح بالزيت، في حين ينشغل آخرون بتهديئة إله غاضب عن طريق تلاوة التعاويذ والرقى أو عن طريق الغناء والإنشاد والموسيقى. ويعمل كهنة التعاويذ والعرافون داخل المعبد وخارجه وكثيراً ما يذهبون إلى المنازل الخاصة. وحول المعبد توجد بيوت الخصيان، وعبيد المعبد، والبغايا المقدّسات، فضلاً عن جيش ضخم من التجار والحرفيين والجزارين والنجارين وعمال المعادن والفضة والخشب الذين يقومون بإعداد القرابين وصيانة المبنى وما يحتوي عليه من تماثيل، كما يقوم الرعاية بالعناية بقطعان المعبد والفلاحون بالحقول". (باردنر: 1993: 25)

3. المعابد والمباني الدينية:

كانت المعابد البابلية بمثابة مؤسسات اقتصادية كبيرة على الأرض رغم وظيفتهم الدينية، بل يمكننا القول إن رجال الدين استثمروا الوظيفة الدينية لتدعيم الجانب الاقتصادي للمعابد كي يتمكنوا من تكوين أموال خاصة بهم تضمن لهم السيطرة على الناس وعلى المؤسسة السياسية.

كانت سلطة المعابد ورجال الدين أكبر بكثير من سلطة المؤسسات السياسية والملك في بابل الكلدانية.

استطاع الجهاز الإداري للمعبد البابلي أن يُحكم سيطرته الاقتصادية وكان مؤلفاً من ثلاثة إداريين هم (شتمو أي حارس المنطقة، كبو أي الناظر، أبشارو أي الكاتب) وكانوا يقومون بعمليات تأجير الأراضي ومقاطعات المعبد الواسعة وتحديد الحقوق والواجبات الخاصة بتنظيم قنوات الري والإشراف العام على إنتاج الأراضي والفنونات وغير ذلك.

كان عدد المعابد البابلية يقترب من 1179 معبداً وكان هذا العدد من المعابد كفيلاً بمنافسة المؤسسات الحكومية والسياسية. وكانت المعابد البابلية تناظر المعابد السومرية وتتفوق عليها منحوتاتها التي تظهر في الأجزاء المدوّرة والبارزة برسوم ومنحوتات الآلهة والملّين، وكانت المسلّات البابلية لنصوص الشرائع وليس لتسجيل الانتصارات.

أهم معبد بابلي هو هيكل مردوخ (إيساجيل) الذي بلغت مساحته 550 م² وكان، مع

الإيتامانكي، يحتلان قلب بابل. وكانت له زقورة ترتفع 90 متراً فوق الأرض. وتعني كلمة إيساجيل (معبد الرأس العالي).

4. علاقة المؤسسة الدينية بالمؤسسة السياسية:

أصبح لرجال الدين، في بابل، سيطرة كبيرة على الملك ومؤسساته بحكم نفوذهم في حياة العامة وثقل مكانتهم الاقتصادية، وكانوا يتحكمون بتعيين الملوك وتنصيبهم، فقد نصبوا آخر ملك بابلي هو (نبونائيد) الذي كان رجل دين له مكانة كبيرة في عبادة الإله القمر (سين). وكانوا هم من يبارك الملوك ويبررون سلطتهم.

”يمكن القول إن الملك كان يتوازع النموذج الإلهي، ولكن دون أن يصبح إلهاً. إنه يمثل الإله، الأمر الذي اقتضى في مراحل قديمة من الثقافة، أن يكون بنوع ما ممثلاً لصورته.. على كل حال، وبوصفه وسيطاً بين عالم البشر وعالم الآلهة فإن الملك (الميزوبوتامي) كان ينجز في شخصه ذاته، إتحاداً شعائرياً بين الوضعين في الوجود، إلهي وبشري، وأنه بفضل هذه الطبيعة المزدوجة كان الملك يُعتبر، على الأقل، مجازياً خالقاً للحياة والخصب. إلا أنه ليس إلهاً عضواً جديداً في البانثيون (كما كان فرعون مصر). إن المؤمنين لم يكونوا يتوجهون إليه بصلواتهم، بل على العكس، إنهم كانوا يدعون الآلهة ليباركوا مليكهم لأن الملوك رغم علاقتهم الصحيحة مع العالم الإلهي، ورغم الزواج المختلط Heiros games مع بعض الربّات، لم يتوصلوا لتحويل الشرط البشري. وفي نهاية المطاف، لقد بقوا خاضعين للموت. ولا ننسى أنه حتى ملك أوروك الأسطوري جلجامش قد أخفق في شروعه الهادف لاكتساب الخلود.“ (إلياد: 1986 - 1987: 101).

رابعاً: معتقدات الأبدية

دوّن البابليون أجراً محاولة لنيل الخلود في وادي الرافدين عن طريق ملحمة جلجامش من أصول سومرية ما زال بعضها مفقوداً، كانت النسخة البابلية القديمة (في زمن حمورابي تقريباً مكوّنة من ثمانية ألواح، ثم ازدادت النسخة البابلية الوسيطة إلى أحد عشر لوحاً وفي العصر الآشوري أصبحت مكوّنة من إثني عشر لوحاً).

وفي المقابل كانت هذه آخر محاولة للبحث عن الخلود، فقد خُلف الفكر البابلي إلى أن الخلود الجسدي أمرٌ مستحيل وأن من الصعب التماثل مع الآلهة في خلودها الأثري. لكن خلود الإنسان يكمن في اسمه وعمله وما يقدّمه للناس وفي نسله الذي يحفظه من الضياع.

المبحث الثاني: الأساطير والمثولوجيا البابليّة

أولاً: شجرة الآلهة البابليّة

تتكوّن شجرة الآلهة البابليّة من أربعة أجيال كبيرة من الآلهة هي:

1. الآلهة العتيقة (الهيولي): وتضم ثلاثة آلهة آباء هم:
1. أبسو: إله المياه العذبة.. ماء النهر وهو الإله الأب الأول البابلي.
2. تيامت: إله المياه المالحة.. ماء البحر وهو الإلهة الأم البابليّة الأولى.
3. ممو: إله الضباب وهو ابنهما الأول وخادمهما.

وحين دبّت الحركة في الآلهة الثلاثة السابقة نتج عنها أزواج من الآلهة هم:

1. لخامو إله الطمي + لخمو إلهة الطمي.
2. إنشار إله الأفق الأعلى + كيشار إلهة الأفق الأسفل.
3. آن إله السماء + كي إلهة الأرض.
2. آلهة العناصر الأربعة: ظهوروا من تزاوج إلهي السماء والأرض وهم:
1. آنو: إله السماء الذي يظهر لمعانه في النار السماويّة للنجوم.
2. إنليل: إله الهواء.
3. إيا: إله الماء.
4. كي (نمّاخ): إلهة الأرض.
3. آلهة الكواكب السبعة، هي:

1. ننورتا: زحل ابن الإله إنليل (الهواء).
2. مردوخ: المشتري ابن الإله إيا (الماء).
3. نرجال: المريخ ابن الإلهة كي (الأرض).
4. نبو: ابن الإله مردوخ (المشتري) وهو الإله عطارد.
5. سين: إله القمر ابن الإله مردوخ.
6. عشتار: إلهة الزهرة ابنة الإله سين إلهة الحب والجمال والحرب.
7. شمش: إله الشمس ابن الإله سين إله الشمس والعدل.
وكانت الإلهة أرشكيجال إلهة العالم الأسفل نظيرة للإلهة عشتار تحت الأرض.
أما الإله نرجال (زوجها) فهو إله العالم الأسفل نظير الإله شمش تحت الأرض.
وكان أبناء الإله الشمس من (آيا) هم: بونينه (سائق عربة الشمس)، خار (سيد الحيوانات البرية)، سموكان (سيد الحيوانات الجبلية، سيسكال (العاصفة)، نكجينا (الحق)، مامو (الأحلام).
4. آلهة العالم الأسفل: وهم نرجال وزوجته أرشكيجال ونسلهما والحكام المتألهون وهم (جلجامش، تموز.. إلخ) ويسمى العالم الأسفل باللغة الأكديّة (إرستو: الأرض، صرو: البداية... إلخ).

ثانياً: الرموز الدنيّة

استمر البابليون بوضع الرموز الدنيّة سيراً على نهج السومريين فكانت مقارنة لها، وستناولها حسب شجرة الآلهة التي وضعناها.

1. تيامت: رمزها هو الأفعى والتي ظهرت في الرسوم البابليّة والآشوريّة بشكلين هما الأفعى الزاحفة ذات القرن واليدين، والأفعى المجنّحة بيدي أسد وقدمي نسر وجسد حرشفي وقرنين

في الرأس ونتوء بارز بين الفخذين. وهي تينية البحر المتوحشة ورسمها هذا جاء من ريليف في مُرود الآشوريّة.

2. إيا: إله الماء البابليّ ويناظر الإله السومريّ (إنكي) وكانت رموزه على شكل رأس خروف مع ساقه (1800 ق.م)، وعلى شكل خروف سمكي على ظهره معبد تظهر منه رقبة ورأس كبش (1200 ق.م). وعلى شكل دكة المعبد المقرّنة (1200 ق.م). وعلى شكل خروف مجنّح يخرج من معبد على قمته رأس كبش حرشفي (نهاية الألف الثاني ق.م ومن هذه الفترة يظهر أيضاً على شكل سلحفاة.

3. آنو: إله السماء البابليّ الذي يظهر رمزه على شكل نجمة ثمانية تمثل الحيّات الأربع، وما بينهما، وكذلك المعبد المقرّن.

4. موش خوش Mush. Kuush، موشوشو Mushussu، سرّوش Sarrush، بشمو Bashmu: وهو التنين المصاحب لمردوخ والمكون من تركيب بضعة حيوانات (جسد حرشفي أفعواني ورأس أفعى، أرجل خلفية تشبه مخالب النسر، أرجل أمامية تشبه أقدام الأسد...). صيغة موشوشو أكديّة مترجمة عن الصيغة السومريّة موش خوش التي تعني (الأفعى الحمراء) أو الثعبان العنيف، نجدها على بوابة عشتار. وهو الحيوان المقدّس لمردوخ وإبنة نابو في الإمبراطوريّة البابليّة الحديثة، وقد استولى مردوخ على هذا الكائن من تشباك الإله المحلي لأشونونا.

تسمى كوكبة هيدرا في النصوص الفلكية البابليّة باسم بشمو (الثعبان موش) الذي يحتوي على جذع سمكة وذيل ثعبان ومقدمة أسد وساقين خلفيتين للنسر مع أجنحة وبرأس يشبه التنين.. وقد يكون هذا الكائن هو الملهم في تصوير هيدرا الإغريقيّة.



The Sarrush, the "Dragon of Babylon"



رمز تنين بابل: سرّوش

[/https://nl.pinterest.com/pin lp=true/?484559241149652477](https://nl.pinterest.com/pin lp=true/?484559241149652477)

صورة منحوتة لتنين بابل

<https://nl.pinterest.com/pin lp=true/?406520303854840514/>

5. كي (ننخرساج) زوجة إيا وأم مردوخ وكانت تحمل رمزاً بابلياً عبارة عن معبد عليه شكل الرحم.

6. أسد بابل: هناك أشكال ورسوم عدّة للأسد في بابل، والأسد المعروف بـ(أسد بابل) والذي عثر عليه في مدينة بابل الأثرية في العراق في سنة 1776 من قبل بعثة حفريات أثرية ألمانية، مصنوع من حجر البازلت الأسود الصلب، يظهر على شكل أسد يقف على شخص بشري، ويرجّح بناؤه من قبل الملك البابلي الكلداني نبوخذ نصر الثاني (605 - 562 ق م)، لكن بعض العلماء رجّحوا أنه يعود إلى فترة الحيثيين، أو أنه من غنائم البابليين أثناء فترة حكم نبوخذنصر الثاني أثناء إغارته على بلاد حاتي.

وبشكل عام فإن الأسد في جدران شارع الموكب وعلى جدارية نبوخذنصر يظهر حوالي (مئة وعشرين مرة) بهيئة أخرى، وهو تجسيد لقوة بابل وفرض سلطتها على الشعوب، وهو يمثل رمز تموز حين يظهر مع عشتار البابلية.

7. ثور بابل: هو ثور الإله أدد إله الطقس والعواصف، ويظهر أحياناً على أنه رمز للقمر.

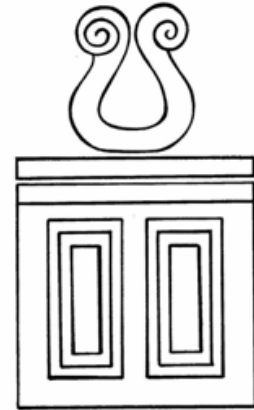


أسد وثور وتنين بابل المرسومة على بوابة بابل

<https://nl.pinterest.com/pin/496944140115019466>



لوحة تصور زوجاً من الثيران، مع الهلال الذي يرمز إلى إله القمر سين على قمة جبل على ظهريهما. المرحلة البابلية القديمة، النصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد. متحف القدس



كي (ننخرساج) زوجة إيا وأم مردوخ وكانت تحمل رمزاً بابلياً عبارة عن معبد عليه شكل الرحم.

ثالثاً: أساطير الخليقة (التكوين)

تعتبر أسطورة الخليقة البابليّة أندر وأوسع أسطورة خليقة أو تكوين (Gensis) في العالم القديم، وهي بسبب عراققتها هذه كانت مصدراً أساسياً لأغلب أساطير التكوين في ذلك الوقت. وتبدأ الأسطورة بذكر (الاسم) باعتبار أن إطلاق الكلمة هو فعل الخلق الأساسي في العقيدة الدنيّة البابليّة.

1. ثيوغونيا (خلق الآلهة)

يبدو أن العماء الكونيّ الأول كان مكوناً من ثلاث إلهيّ هو (تيامت، أبسو، مُمُو). بدأ فعل الخلق عندما تحركت هذه الآلهة وظهر من حركتها آلهة جدد هم آلهة (الطمي، الأفق، السماء) ثم أنجبت السماء الماء الذي هو (إيا) ويلاحظ اختفاء الإله إنليل من هذه المنظومة الكونيّة البابليّة، لأنه الإله القوميّ لسومر، ولذلك عبر عليه الكهنة البابليون عندما دوّنوا هذه الأسطورة وأصبحت قدراته كلها في الإله مردوخ الذي سيتحوّل إلى الإله القوميّ لبابل.



تيامت في ختم أسطوانيّ بابليّ

إذا كانت تيامت تمثّل مياه البحار المالحة، وأبسو يمثّل ماء الأنهار العذب، فإن مُمُو الذي يوصف بأنه حاجب أو وزير أو ابن أبسو يمثّل الضباب الذي يخيم على اختلاطهما. وواضح أن هذه الصورة مأخوذة من مصبي دجلة والفرات (آنذاك) في الخليج العربيّ وربما في الأهوار كما يلمح النص لذلك. إن قتل (إيا) لأبيه (أبسو) هي أول إشارة لفكرة قتل الأب التي ستكرر صدها في أساطير الخليقة ونشوء الآلهة.

أختار (إيا) هيكل المصائر لسكناه. أختار (إيا) (دام - كينا) الآلهة زوجة له وأنجب منها ولده العظيم مردوخ، شمش كالطود كان مديد القامة، نظراته كالبرق ومشيته كالفحل، عندما رآه (أنو) فرح وامتلاً قلبه بهجة وحبوراً، رفع شأنه بين الآلهة وزاد قدره عليهم فكان أرفعهم مقاماً وأسبقهم في كل شيء، بفن بديع تشكّلت أعضاؤه لا تدركه العقول ولا يحيط به خيال، أربعة كانت أذانه وأربعة عيونته تتوهج النيران كلما تحركت شفتاه اتسعت أذانه الأربع كلما اتسعت عيونته فأحاط بكل شيء.. كان الأعلى بين الآلهة، ما لهيئته نظير، هائلة أعضاؤه سامقة قامته، عظّموه، بجّلوه الإبن الشمس، شمس السموات، مثل نوره كنور عشرة آلهة معاً، الجبار العتيّ، أسبغت عليه الجلالة النورانية المهيبية، خلق (أنو) الرياح الأربعة وأنشأها وأسلم أمرها لسيد الرهط، (مردوخ) الذي أحدث الأمواج فاضطربت لها (تيامت) قلقة. صارت، تحوم على غير هدى ونسيت الآلهة القديمة الراحة، وفي خضمّ العواصف أضمررو الشر في سرائرهم وجاءوا إلى أمهم (تيامت).

تشير الأسطورة إلى أن تيامت تنجب هذه الأسلحة أو الكائنات المسخ الرهيبة دون الحاجة إلى

ذكر وقد يوحي بأن هذه الكائنات هي باطن تيامت المليء بالشور والمسخ. ومعروف أن الأسطورة عندما تصم الإلهة الأم البابلية الأولى بالشور هكذا فإنها تشير إلى ماضٍ أمومي مقيت بالنسبة لمؤلفيها، ويكتمل هذا الانقلاب الذكوريّ تماماً عندما سيقوم مردوخ بقتل تيامت وتفسخ جسدها.

هذه النظرة للأُم والماضي الأمومي غير موجودة عند السومريين، ولذلك فهي صنع كهنة يعكسون طبيعة العقل السامي المتميز بالذكورية والمركزية وحب السلطة. يبدو أن خوف وتراجع الآلهة الجدد كان مقدماً لجعل مردوخ بطلاً ويوضح هذا أيضاً جعله إله بابل القومي حيث تصبح الآلهة في المحيط، بينما يصبح مردوخ في المركز وهذا هو ما يسميه علم الأديان بالتفريد Henotheism وهو مرحلة دون التوحيد فوق التعدد. ويمثلها هنا مردوخ خير تمثيل.

تأتي فكرة الأسماء الخمسين للإله مردوخ من أن الرقم الرمزيّ أو السري لهذا الإله هو (50)، وسبق لنا أن عرفنا أن الرقم السري للإله (إنليل) هو (50)، وبذلك يتأكد لنا من أن مردوخ ورث صفات إنليل السومري. وكان الإله إنليل يتأس مجلساً إلهياً يسمّى (الانونا) أي مجلس الخمسين إله. ويبدو أن استبدال مردوخ بالإله إنليل عند البابليين وإمعاناً في تفريد مردوخ جعلهم ينسبون لمردوخ أسماء هؤلاء الآلهة، بدليل أن أسماءهم في هذه الفقرة ترد باللغة السومرية، ولها معانٍ خاصة. إن إعطاء الإله مردوخ هذه الأسماء هو نوعٌ من سلب صفات هذه الآلهة وتهميشها وجعلها في مردوخ.



الإله مردوخ مع كائنه ورمزه موش خوش

وقد تكوّن رمز مردوخ وهو موش خوش من سبعة حيوانات معروفة في حيوان خرافي واحد يسعى ليخدم مردوخ ويرافقه، وربما جاءت فكرة القطة بسبع أرواح من مطابقتها مع هذا الحيوان الخرافي.

إن ألواح القدر الذي يذكرها النص هي حسب التصوّر الأكدي ألواح مكتوب عليها مصير وحياة البشر والعالم، ومَن يستطيع امتلاكها فإنه يستطيع حكم العالم والكون. وعند السومريين كان الإله إنليل هو الذي يملكها. أما عند البابليين فقد كانت أولاً ملكاً للإلهة تيامت ثم تسلّمها وزيرها كنجو ثم أصبحت ملك مردوخ وتسلّمها (نبو) ابن مردوخ الذي سيظهر في ما بعد وكأنه هو الذي كتبها. وهناك ألواح قدر خاصة بالعالم السفلي مؤلفتها والمسؤولة عنها الإلهة (بلت صيري) ويمكن أن تكون حاوية على أسماء الموتى ومصائرهم. الصراع بين البطل والتنين موضوع أثير في عوم أساطير العالم وملاحمه.

ومن أجل تمجيد مردوخ كانت الآلهة الأولى (عصر البدء)، وعلى رأسها تيامت، مثقلة بالقيم الشيطانية. إن تيامت ليست فقط المجموعة العمائية البدائية التي تسبق كل نشكونية Cosmogony، بل ظهر أيضاً أنها صانعة الغيلان التي لا حصر لها.

إن إبداعيتها سلبية تماماً. ذلك هو ما تثيره الإينوما أيلش، فالتقدم الخلاق تعرّض، في وقت مبكر جداً، للخطر برغبة أبسو إعدام الآلهة الشباب، أي باختصار لوقف الكون في بذرتة. صارت تيامت المصدر الأول للسحر الأسود عند البابليين بسبب جيشها العفاريّتي وأسلحتها الشيطانية وسمومها، ويتضح لنا من الأسطورة أنها استعملت السحر في أول وهلة للصراع بينها وبين تيامت ويبدو أن قتال مردوخ حصل بالدرجة الأساس مع تيامت، وما أن صرعاها حتى هرب جندها فأسرهم ثم أسر قائدهم كنجو الذي سيكون الإله المذبوح.. مادة جسد الإنسان عندما تقرر الآلهة خلق الإنسان.

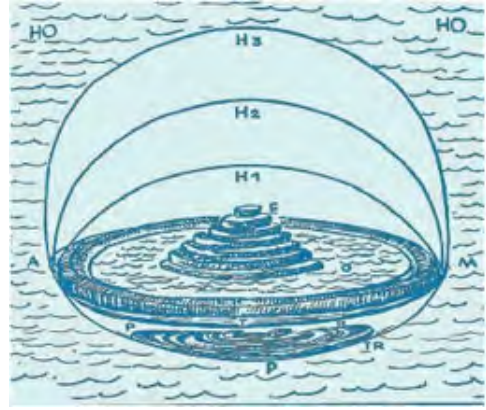
2. كوزموغونيا (خلق الكون)

الكون البدائي انتهى دوره بموت تيامت، وهاهو الإله الشاب مردوخ يصنع الكون من جديد، إن مادة صنع الكون، هذه المرة، لم تكن من المادة الهيولية الكاوسية الأولى، بل من جسد تيامت، ولذلك تكون مادة الكون مادة شريرة قابلة لقذف الشر في أية لحظة.

لكن مردوخ لا يصنع السماء والأرض. فقد تكونا قبله بل يصنع من جسد تيامت (شقها العلوي) السحاب، ومن شقها السفليّ البحار، والسحاب والبحار يتناسبان مع الطبيعة المائية لتيامت.

ويُقرّر موقع الآلهة: فالسماء لآنو والأرض لإنليل ومياه الأعماق لإيا ونراه بعد أن نظم النجوم والكواكب يتجه لتنظيم الزمن من خلال القمر الذي يعتبر مصدر تنظيم الزمن في العراق القديم بسبب من طبيعته المتغيرة التي تؤشّر لتغيّر الزمن.

إن الكون ينقسم، إذن، إلى طبيعة مزدوجة: مادة شيطانية ومادة إلهية والقبة السماوية مشكّلة من نصف جسد تيامت، ولكن النجوم والأفلاك تصبح مقار أو صوراً للآلهة. وإن الأرض ذاتها تضم النصف الثاني من تيامت، وأعضاؤها المختلفة، ولكنها تقدّست بالمدن والمعابد وبنتيجة الحساب فإن العالم يظهر حصيلة لخليط من (أولية) عمائية وشيطانية من جهة، وإبداعية حضور وحكمة إلهية، من الجهة الأخرى. وهذه قد تكون الصيغة النشكونية الأكثر تعقيداً التي توصل إليها التفكير والتأمل البابليّ.



الكون البابليّ

3. أنثروبوغونيا (خلق الإنسان)

جمعنا في هذه الفقرة أكثر من أسطورة بابليّة في خلق الإنسان ووضعناها في سياق واحد، منها الجزء الخاص بخلق الإنسان في أسطورة الخليقة البابليّة وحقيقة الأمر أن خلق الإنسان (أنثروبوغونيا) البابليّ يتم بطرق عدّة منها خلق الإنسان من الطين ودم الآلهة، وعن طريق الكلمة. ولكن الأسطورة الشائعة هي خلقه عن طريق مزج دماء آلهة العمل مع الصلصال.

الأسطورة الأولى للإينوما إليش: مردوخ يخلق الإنسان من دم كنجو والطين ولا يأخذ الإله إنليل دوراً في هذه الأسطورة، في حين يأخذ مردوخ هذا الدور واضحاً في ملحمة الخليقة البابليّة ويبدو أنه هو الذي رسم لإيا كيفية خلق الإنسان.

وتبدو حركة الآلهة التمردية وكأنها حركة تمرّد حقيقية، تشبه ما يضعه الإنسان وهذا بالطبع يؤكّد إحدى صفات الألوهيّة عن البابليين وهي تشبيه الآلهة بالإنسان (Anthropomorphism).

الأسطورة الثانية: في أوزوموا خلق الإنسان

تبدأ قصة خلق الإنسان البابليّة من ثورة الآلهة الصغار ومطالبتهم للآلهة الكبار برفع العناء عنهم، وخلق كائن يقوم بخدمة الآلهة والعمل بدلاً عنهم.

في أوزوموا التي هي رباط السماء والأرض، أوزوموا المنطقة التي ما زالت الأرض تتصل فيها بالسماء، في منطقة دور أنكي، في اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر، في أوزوموا قال الإله (إيا):

- سأقيم طقوس الغسل، سأقيم الحمام وليذبح الآلهة إلهاً من بينهم إذ لا بد للطين من روح، جسد الأرض سيكون من الأبسو، نفسه، روحه ستكون من إله.

كان الآلهة يدورون وراء (إيا) و(مامي) يذهبون إلى حيث يذهبان يتطلّعون إلى قرارهما وعملهما، كانوا كالزنابير على قطعة العسل فهموا وتداركوا الأمر وفكروا بالإله الذي يذبحونه فقال مردوخ لـ (إيا):

- عظم رأيك يا (إيا) وعلت مشورتك ولكن أيتها الآلهة.. أيتها الآلهة العظيمة.

فانتبه الجميع إلى مردوخ وأعطوه أذاناً صاغية، فقال:

- أريد منكم قول الحق.. وأقسم أي سأنفذ ما عليّ، من الذي بدأ أول الاضطراب في نواميس الخلق والآلهة، من الذي خلق النزاع والثورة، من الذي بسببه لم يهدأ العالم الأسفل حتى الآن ومن بسببه أصبحتم تحملون السلة والفأس؟ أعني من دفع (تيامت) للثورة وأعدّها لقتالنا؟

رابعاً: أساطير العمران

1. ثيو (عمران الآلهة)

يرى الباحثون أن صعود الإله مردوخ إلى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية يعود إلى أسباب سياسية محضة، فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لا يذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي استطاع أن يمد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أقاصي حدود عالم الشرق القديم، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية، ومركز إشعاعها الحضاري.

وعبارة (ملك الآلهة) هي الإفصاح الدقيق عن مذهب التفريد الذي خطه الكهنوت البابلي متأثراً بتفريد إنليل عند السومريين ولفظ (لوكال. دم. أن. كي. أ) (Lugal Dimmer An. Ki. A) تعني حرفياً (ملك آلهة الما فوق والما تحت) وهو لقب التفريد كما نرى.

تأتي فكرة الأسماء الخمسين للإله مردوخ من أن الرقم الرمزي أو السري لهذا الإله هو (50)، وسبق لنا أن عرفنا أن الرقم السري للإله إنليل هو (50)، وبذلك يتأكد لنا من أن مردوخ ورث صفات إنليل السومري. وكان الإله إنليل يتأس مجلساً إلهياً يُسمى (الانونا) أي مجلس الخمسين إلهاً. ويبدو أن استبدال مردوخ بالإله إنليل عند البابليين وإمعاناً في تفريد مردوخ جعلهم ينسبون لمردوخ أسماء هؤلاء الآلهة، بدليل أن اسمائهم في هذه الفقرة ترد باللغة السومرية، ولها معانٍ خاصة. إن إعطاء الإله مردوخ هذه الأسماء هو نوع من سلب صفات هذه الآلهة وتهميشها وجعلها في مردوخ.

2. كوزمو (عمران الكون)

يواصل مردوخ صناعة وتنظيم الطبيعة من جسد تيامت، وأصبحنا نعرف أن نهري دجلة والفرات ينبعان من عينيها وأن كل جزء من جسدها له علاقة بالطبيعة، ولنلاحظ أن الإله (إنكي) أو (إيا) هو الذي ينظم الطبيعة في سومر، أما الإله إنليل فيعتني بالكواكب والظلام والأنواء.

لكن مردوخ هنا هو الذي يقوم بهذا الدور كاملاً.

وستصبح استعادة لحظة أو حادثة الخلق هذه من خلال العيد البابلي (أكيو) هي عماد هذا العيد، حيث يتضمّن هذا السيناريو الأسطوري - الشعائري التمجيد للملك وأسر مردوخ (ويرمز هذا إلى ارتداد العالم للعلماء ما قبل الكوني).

وفي مقبرة مردوخ كان الكاهن الأكبر يجرد الملك من شاراته (الصولجان والخاتم، والسيف والتاج). وكان خروج مردوخ إلى العالم هو بدء خلق الكون من جديد.

يوزع مردوخ الآلهة الأنوناكي (وهم آلهة السماء والأرض).

ثم يبني مركز الأرض (آنذاك) بابل، ويبني في مركز معبده (إيساجيل) الذي يضم الآلهة الخمسين العظام وآلهة المصائر السبعة.

ما زال تكاثر الآلهة وتوالدهم وتكوين شجرة نسلهم وتعيين مناصبهم ومسؤولياتهم هو العمل الأساس.

فأبناء مردوخ من زوجته صربانيت، الذي يعني اسمها الفضة اللامعة، وتلقب بـ(أروي)، ومعناه بالبابلية (ذربيتو) أي باذرة الذرية وخالقة النسل، ويقابله بالآشورية شرويا زوجة الإله آشور.

شكلوا في أغلبهم آلهة الكواكب حيث سين (القمر) وابنه نبو (عطارد) ومن سين ظهر شمش (الشمس) وعشتار (الزهرة)، وظهرت أرشكيغال التي ستصبح في ما بعد إلهة العالم الأسفل.

أي أن مردوخ يلد النور والظلام، والنور يتجسد في الكواكب أما الظلام فيتجسد في ما يحيط

بهذه الكواكب وفي العالم الأسفل الذي يقع تحت الأرض. وتبدو فكرة النور والظلام هذه (السومرية الأصل مع إنليل) هي أساس الديانات الثنوية التي ظهرت بشكل خاص في الديانات الفارسية المجاورة ثقافياً للديانات العراقية القديمة والتي أخذت منها الكثير. وإذا كانت الديانات العراقية القديمة قد امتازت بـ(التعددية والتفريدية والتوحيدية) فإن الديانات الفارسية امتازت بـ(التعددية ثم الثنوية).

3. أنثروبو (عمران الإنسان)

إن فكرة الفردوس الأرضي، أو جنة عدن السومرية تعطي انطباعاً عن إمكانية نشوء عصر ذهبي للإنسان. ولكن هذا العصر لا يمكن تحديده، وربما أمكن معرفة مواصفاته ومنها الحياة العادلة الهائلة لكن نضاً بابلياً يوحى لنا أن الإنسان كان في ما مضى لا يموت موتاً طبيعياً بل يموت بسبب غضب الآلهة عليه، لكنه بعد الطوفان أصبح كذلك.

وبفتح وعي الإنسان يبدأ معرفته بالآلهة وإحساسه بها، وكذلك اتخاذها إلهاً حميماً له. وكان هذا النوع من الآلهة يعمل على حراسة ذلك الشخص أو ممتلكاته وقد سُمي بـ(لاماسو) أو (شيدو).. وهي آلهة صارت في ما بعد تحمي المدن والدول.

قدّم التراث العراقي وصفاً لذلك العالم الذهبي وحدوده، فقد كانت أرض سومر وبابل في جنوب هذا العالم الذي يحده الخليج (البحر الأسفل) أما شرقه فكانت جبال حمازي التي تمتد إلى جبال شوبور الشمالية وكان شماله أرض أور التي عرفت في ما بعد بأرض أكد وأشور، وكانت (مارتو) هي الأرض الغربية التي تمتد إلى سواحل المتوسط آنذاك قبل أن تبدأ الحروب وحركات الغزو والهجرات الكبرى. وسيبدأ العصر الذهبي بالأفول ويبدأ عصر الشرور الذي سينتهي بالطوفان.

خامساً: أساطير الخراب

حوار ساجل - كينا موييب

تسمى هذه القطعة الأدبية من أدب الحكمة البابلي باسم (الحوارية البابلية) أو (حوار العدالة الإلهية) وقد كتبها كاهن الأشيبو المعزم (ساجل - كينا موييب Saggil - Kenamoubbib) الذي يقدر أنه عاش في زمن حكم الملك نبوخذ نصر الأول (1124 - 1103) ق.م. ويعتبر هذا الكاهن من (حكماء الأزمنة القديمة). فإذا أخذنا المقطع الأخير من اسمه (أوييب) فإن ذلك يوحى لنا أن هناك بين هذا الاسم واسم (أيوب)، ويمكن أن يكون كتبة التوراة قد أخذوا بهذا الاسم وصخفوه قليلاً فأصبح (أيوب).

ويعتبر هذا النص مع نص (لأمجدن رب الحكمة من أعظم نصوص الحكمة في العالم القديم وهما يطرحان مشكلة العدالة الإلهية على شكل حوار بين يائس معذب وبين مؤمن. ومعنى آخر يجسّد هذا النص الوجودي مسألة الشك بوجود الآلهة وعدالتها عبر حوار مليء بالحيوية والجمال.

لأمجدن رب الحكمة

هذه واحدة من أشهر قطع أدب الحكمة البابلي وقد اشتهرت باسمها البابلي أيضاً (لدلول بيل فيقي Ludlul Bel Nemeqi) وترجمت ترجمات عدّة.

وسمي هذا العمل بـ(أيوب البابلي) وظهرت دراسات عدّة حول المقارنة بين (أيوب التوراتي) و(أيوب البابلي)، وقد سبق البابلي التوراتي بأكثر من ألف سنة.

ويبدو أن صاحب هذا النص أو المقصود بأيوب البابلي هو: شوبشي مشري شكّان (Shubshi)

(Meshher - Shkkan) - وهو رجلٌ عادل ومقرَّبٌ من الآلهة والملوك وكانت سيرته وضاءاً، لكنه فجأة تعرَّض إلى تجربة قاسية على المستوى الاجتماعي والنفسي والصحي أدت إلى انحداره تماماً. وقد عرف محاوره الأول من نقر والثاني من بابل، وكان لأيوب أيضاً ثلاثة من المحاورين.

سادساً: أساطير الموت

تعتبر الملحمة الأسطورية التي يمكن أن نسَميها (ملحمة أتراحاسس) أول ملحمة بشريّة كبيرة تشير إلى أقدم الأزمان (منذ الخليقة وحتى الطوفان) وتسمى هذه الملحمة من قبل البابليين أنفسهم (حينما الإله مثل الإنسان) أي (اينوما إيلو أو ييلوم). وقد قام الناسخ البابلي كسف آية (Kasap - Aya) أو نور آية (Nur - Aya) ومعنى اسمه (نور الشمس)، قام بجمعها ونسخها وعرضها كملحمة كبيرة (وهي ملحمة لأن الإنسان بطلها، ولو كان بطلها إله لاسميناها أسطورة) ويمكننا تقسيم مراحل هذه الملحمة كما يلي:

- 1 - قبل خلق الإنسان وتمرد الآلهة.
- 2 - خلق الإنسان من الصلصال ودم الإله.
- 3 - تكاثر البشر وضجيج الإنسان.
- 4 - ضجر إنليل وإطلاق البلاء الأول: الوباء.
- 5 - ظهور أتراحاسس وتدخله واستجابة إنكي وعبادة نمتار.
- 6 - تكاثر البشر من جديد وتوسع البلاد.
- 7 - البلاء الثاني: الجفاف والمجاعة.
- 8 - تدخل أتراحاسس واستجابة أدد.
- 9 - ضجر إنليل واقترح مشروع الطوفان.
- 10 - تدخل إنكي واتفاقه مع أتراحاسس.
- 11 - صناعة السفينة.
- 12 - الطوفان (البلاء الثالث).

كان الإله أدد (في الغالب) إلهاً للعقاب والغضب الإلهي. وكان صوته المدوي في السماء إنذاراً للناس بالعقاب والدمار، أما الإله (شمش) فقد غلبت عليه صفة العدالة، ولم يظهر كإله غاضب مدمر، وكان الناس يلجأون إليه باعتباره صاحب ميزان العدالة، وهو الذي يدير حركة الشمس بحكمة والشمس تعبر عن العدالة لأنها ضد الظلام الذي يرمز للخطيئة والانحراف والجريمة. وكان الأذى ينشأ من ظهور الكائنات الشريرة في العالم والتي تخرج من العالم الأسفل وتهدد نواميس العالم الأعلى وتهجم على الناس وتسبب لهم الآلام.

لو أننا حللنا ملحمة الطوفان تحليلاً رمزياً لخرجنا بنتائج مدهشة حقاً، ولو اكتفينا بتحليل بسيط لها لدرجناها ضمن أساطير الشعوب القديمة دون أي امتياز لها. إن أسطورة أو ملحمة الطوفان مثقلة بالمعاني الرمزية.. (كما يرى ذلك مرسيا إلياد) وإن جوهر أسبابها يكمن في ذنوب البشر وفي عجز العالم، أي أن الكون الحي يُنتج ويفسد تدريجياً وينتهي إلى التلف. وهذا هو السبب الذي من أجله تجب عودة الخلق. وبعبارة أخرى إن الطوفان يحقق على المقياس الكوني الكبير Macrocosmic ما ينجز رمزياً أثناء عيد السنة الجديدة: نهاية العالم، وبشريّة آئمة. لتتاح إمكانية خلق جديد.

إن الطوفان يمثل عودةً أبدياً من مرحلة الكون إلى مرحلة العماء المائيّ ثانية ثم من هذه المرحلة إلى الكون والتكوين ثانية ويستعاد هذا العود الأبدي في أعياد رأس السنة البابليّة (الأكيتو).

ثم إن السفينة المكعبة التي ستحمل بذرة الحياة ستكون وسط أمواج البحر الهائجة مثل شكل المندالا (المركز والمحيط) حيث تجسدُ أيضاً فكرة رمزية عميقة. ويمثل عودة الجنس البشري إلى طين من جديد نوعاً من العود الأبدي، فقد خلق الإنسان من الطين بإشراف الآلهة وها هو يعود إلى الطين بإشراف الآلهة أيضاً وهذا أيضاً نوع من العود الأبدي.

روى برعوشا (بيروس) وهو كاهن بابلي عاش في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد رواية أخرى عن الطوفان ونشرت هذه الرواية في كتاب له عن بابل عام 275 ق.م. ولكن هذا الكتاب ضاع، وظهرت من مقتبسات في أعمال الكاتب الكسندر بوليستر في القرن الأول قبل الميلاد جاء فيها أنه بعد موت الملك أرديتس تولى ابنه (أكسوثروس) الحكم الذي وقع الطوفان في زمنه، فقد تجلى له ذات ليلة الإله (كرونوس) وهو يقابل الإله البابلي (إيا) وأنبأه في الحلم أنه سيقوم في 15 تموز بإهلاك الحياة على الأرض بواسطة طوفان مدمر لا يبقى على شيء. وأمره أن يكتب على ألواح بداية كل شيء وتطوره ونهايته أي الحفاظ على منجزات الحضارة كي لا تضيع، وأن يطمر هذه الألواح في مدينة (سيبار مدينة إله الشمس، وأمره أن يبني سفينة ويقلع فيها مع عائلته وأقربائه، وأن يخزن فيها الماء والطعام ويحمل إليها الحيوانات الحية من الطيور والحيوانات الدابة، وإذا سئل إلى أين يبغى الذهاب عليه أن يقول (إلى الآلهة لأصلي لها عسى أن تكون رفيقاً بالبشر) ففعل الملك ذلك وبنى سفينة.

وصار الطوفان وأرسل الملك الطيور ورست السفينة على جبل، ونزل الملك من السفينة مع زوجته وابنته وملاح السفينة فرفعتهم الآلهة إلى السماء، وأخبرهم صوت من السماء أن مكانهم هذا في أرمينيا وعليهم العودة إلى بابل واستعادة الألواح من (سيبار)، فقدم الناس الأضاحي إلى الآلهة وعادوا إلى سيبار وأخرجوا الألواح وبنوا بابل من جديد ومعها مدناً وهياكل ومعابد أخرى.

رغم أن ملحمة گلگامش تسرد في لوحها الحادي عشر قصة أتونابشتم وتسميه منذ البداية بهذا الاسم، إلا أن اسم أتراحاسس يرد أيضاً. ويمكننا القول إن الآلهة أطلقت اسم أتونابشتم على أتراحاسس بعد أن منحته حياة خالدة، وفي معنى الاسمين ما يشير إلى ذلك فأتراحاسس (فائق الحكمة) يدل على حكمة هذا البطل.

معنى اسم أتونابشتم (وجدت حياتي أو الذي أدرك الحياة) تدل على الحياة الخالدة. ولذلك نرجح أن الآلهة هي التي حوّلت اسمه مع منحه الخلود وسنلتقي بأتونابشتم في ملحمة جلجامش بشكل خاص.

المبحث الثالث الطقوس والشعائر البابلية

1. الشعائر اليوميّة

1. **الاعتسال والوضوء:** كانت طقوس الاعتسال والوضوء تجري عند الأنهر أو أحواض الماء في المعابد، وكانت أنظمة الاعتسال مختلفة، لكن الكهنة كانوا يحرصون على إجرائها عند أداء طقوس أكبر أو عند الصلاة، وكان الاعتسال يجري برش ماء الفرات على أجزاء الجسم الظاهرة.

2. **الصلاة:** كانت دون مواعيد محددة وأساسها أن يؤدي المتعبد صلاته أمام إله أو حين يتذكره في أي وقت، وكانت تؤدي منفردة أو بصحبة كاهن، وهناك نماذج من أوضاع المصلين، جسديتها التماثيل، وهم يركعون أمام تماثيل الآلهة. وهناك صلاة للتوبة يحرقون فيها البخور ويسكبون السوائل المقدّسة، وكانت تؤدي في المعبد أو في غيره، وفي ما يلي هذا النموذج من صلاة بابليّة موجهة للإلهة عشتار:

”أيتها البطلة العظيمة عشتار الإلهة الخالية من الدنيس
أنت مشعل السماء والأرض والإشعاع المسلط على القائدات.
أنت سيّدة السماء وأول مولودة للإله سن والإلهة نيغال.
أنت الأخت التوأم ل... البطل شمش (إله الشمس)
يا عشتار، أنت أنو (الإله العظيم) أنت تحكمين السموات.
وبمساعدة إنليل أنت تنصحين الإنسانيّة.
أنت خالقة الطقوس لغسل اليدين...
وحيث تكون المحادثة فإن شأنك شأن شمش سوف تبذلين الانتباه التام..
أنت تغيرين مصائر البشر وتجعلين الحوادث السيئة حوادث جيدة.
إنني أتوجه إليك بين الآلهة وذلك لأن الاسترحام يُقدم لك.
إليك ومن بين جميع الآلهة لقد توجهت وأتوسّل إليك
وذلك لأنه يقع أمامك الجني شيدو وخلقك لاماشو (وهو جني آخر)
وعلى يمينك تقع العدالة وإلى يسارك تقع الجودة.
وقد ثبت فوق رأسك هناك السلام والعطف
وجانباك محاطان بالحياة والأخلاق
كم من الجودة أن أصليّ لك كم من البركة أن تستمعي لي
إن نظرتك هي الجمهور وإن ما تقولينه هو النور
اشفقي عليّ عشتار، دعيني أتمتع بالازدهار والسعادة
انظري إلى نظرات المحبة والثقة واقبلي صلاتي وتضرعي
لقد تحمّلت نيرك أتوسّل إليك أن تهيبيني الهدوء والسلام
لقد ابتغيت وجهك الساطع وأرجو أن يكون وجهي لامعاً
ولقد توجهت إلى ملكوتك ألا تهيبني لي الحياة والعيش الآمن
ألا أستطيع أن أمتلك (شيدو مناسباً كالذي أراه أمامك؟
ألا أستطيع أن أمتلك لاماشو كالذي يجري خلفك؟
ألا أستطيع أن أؤمن الازدهار الواقع عند يدك اليمنى؟
ألا أستطيع أن أمتلك المعطف الإلهيّ الواقع عند يدك اليسرى؟
أتوسّل إليك أن تُطيلي أيام عمري، وتهيبيني الحياة
دعيني أعش، دعيني في صحة جيدة ودعيني أعلن ألوهيتك
ودعيني أصرف ما أربغ به وأتمناه...
وفي نهاية الصلاة تأتي الخاتمة:

هذه الكلمات الموجهة إلى عشتار؛ وأما عشتار فسوف تضع مبخرة من خشب شجر العرعر وسوف تصب الإراقة وسوف تتلو الدعاء ثلاث مرات“.

(ساغر 2008: 347 - 348).

3. الصوم: كان الكلدانيون يصومون 30 يوماً أي بعدد الأيام التي تقطعها الشمس من كل برج من أبراجها، لا يأكلون ولا يشربون من شروق الشمس إلى غروبها، وكان الصوم طقس موجه للشمس (شمش)، ويكون الإفطار خالياً من اللحوم ويركز على الألبان والنباتات.

4. التراتيل: كانت التراتيل الموجهة للآلهة كثيرة وبعضها يؤدي على أدوات موسيقية كالقيثار، هناك تراتيل موجهة للإله مردوخ وللإله نبو والإلهة عشتار، وهناك تراتيل غريبة من نوعها فهي موجهة للإله المعبود، دون ذكر اسمه، ولكنها تعطيه صفات بقية الآلهة وكأنها نوع من التراتيل (التفريديّة) أي التي تجمع صفات الآلهة في إله واحد دون نكران بقية الآلهة، ومنها هذه الترتيلة:

”إن عينيك يا سيدي هما إنليل ونليل

وأما أسنانك فهي السبعة الذين تغلبوا على الشرّ

إن طلةً وجنتك يا سيدي هي ظهور النجوم

وأما أذنك فهما (إيا) إله الحكمة والفهم، ودوما كينو زوجته وهما أمراء الحكمة

أما عنقك فهي مردوخ قاضي السماء والأرض“ (ساغز: 2008: 351).

5. الأدعية: كانت الأدعية تؤدي مع الصلاة أو بدونها، وخلالها يرفع المتعبد يده عند الدعاء، والأدعية على أنواع منها ما يطلب من الآلهة خيراً للمتعبد وللآخرين ومنها ما يطلب المتعبد شراً بالآخرين الذين سببوا له الأذى.

2. الأدعية:

دعاء:

أيها المبتهج غيرا ابن آنو البطل أنت أشد إخوانك شراسة، أنت الذي تحكم بالعدل مثل الإله سن وشمش، أرجو أن تحكم في قضيتي وقرّر شيئاً لمساعدتي، إحرق الساحر والساحرة إحرقهم، اربطهم يا غيرا إقض عليهم، آه يا غيرا اطردهم خارجاً.
(ساغز 2008: 327).

دعاء:

”إن بإدا - آه - إيدينا يخاطب الإله العظيم نينوترا بقوله: يانينوترا، أيها السيد العظيم مرقّ القلب، واطفئ الحياة، واقتل الزوجة، والأولاد والأقارب والموالين، والاسم والبذرة والأنسال التي تخصّ باوا - آه - إيدينا“.
(ساغز 2008: 340).

ب. الزواج: من طقوس المناسبات وهو طقس ديني عند البابليين ومُودجه زواج الملك بالكاهنة العليا وكانت مراسمه تقام في المعبد ”وتحت إشراف الكهنة ويتم زواجهما في الكييارو إذ يُعدّ فيه للعروسين سريرا خشب الأرز مطعمين باللازورد، وعند وصول الملك موكبه إلى المعبد يأخذه الكاهن من يده إلى حجرة الكاهنة العروس وهي في أجمل حللها وزينتها ثم تنشد أغنية تدعوه إلى وصلها، ثم يتصل الملك بالكاهنة والذي هو محاكاة طقوسية لزواج ربّة الخصب إنانا من تموز“. (الأحمد: 2013: 54 - 55).

2. الشعائر الدورية أكتبو: عيد رأس السنة

في وادي الرافدين ظهرت طقوس رأس السنة مبكراً في حضارات الإنسان كنوع من العود الأبدي والتكرار المثلولوجي لموت عالم قديم وولادة عالم جديد. ونرى أن احتفالات عيد رأس السنة الرافدينية كانت هي رحم المسرح الديني الحقيقي الذي لم يتطور إلى مسرح دنيوي إلا بوجهه الشعبي العام.

كانت أسطورة التكرار الأبدي والنماذج البدئية قد تأسست منذ عصور ما قبل التاريخ وقبل مجيء السومريين والمصريين والبابليين وبعده على أسس مثلولوجية معروفة، وكان ميكانيزم العود الأبدي يجري على شكل طقوس وأعياد رأس السنة وغيرها من الأعياد الدورية. تتضمن استعادة الزمن الميثيقي، بالإضافة إلى التطابق مع النماذج البدئية والالتحام مع رموز الأسطورة، طرداً للأخطاء والشياطين والظلام والخطايا والأمراض ولكل ما هو سلبي: ففي هذه الاستعادة تتم عملية تطهير السنة الجديدة من الشرور المحيطة بها المقبلة من تاريخية السنة الماضية. وهو ما يجعلنا نتصور أهمية الطقوس التي يقضى بموجبها على غولة الماضي وثعبانه. العود الأبدي، إذن، هو التكرار الدائم للظاهرة وما يرافقها من طقوس وشعائر تؤكد هذا التكرار وتوضحه وتحتفي به أملاً في الخلاص أو العودة إلى زمن أسطوري لا يمارس فيه الزمن التاريخي فاعلية قسرية في حياة الإنسان الهارب من هذا الزمن التاريخي الدنيوي والملتجئ إلى الزمن الأسطوري الديني.

العود الأبدي زمن ساكن مطلق قياساً إلى التاريخ الذي هو زمن دنيوي تحركه الصيرورة "إن إلغاء الزمن الدنيوي والزج بالإنسان في زمن ميثيقي لا يحدثان إلا في أوقات ذات صفة جوهرية، أي في الأوقات التي يكون فيها الإنسان هو نفسه حقاً: في الولادة، الاحتفالات، القنص، الصيد، الحرب، العمل... الخ.. (إلياد 1987: 72)

يرتبط العود الأبدي بمفهوم نهاية دورة زمنية وبداية أخرى. وهو ما يؤكد (مرسيا الياد) الذي يراه قائماً على أساس ملاحظة الإيقاعات الحيوية الكونية ويدخل في إطار نظام أوسع هو نظام التطهيرات الدورية والنظافة، الصوم، الاعتراف بالذنب.. الخ عند نهاية الموسم، وتجديد الحياة دورياً. فهذه الضرورة من التجديد الدوري الذي يفترض خلقاً جديداً أي تكراراً كوسموغونياً (تكرار فعل وولادة كونية)، هذا المفهوم من الخلق الدوري، أي تجديد الزمان دورياً يطرح علينا مشكلة إبطال التاريخ. (إلياد 1987: 100)

وقد اعتاد سكان وادي الرافدين المعاصرون النظر إلى يوم 21 آذار من كل سنة كعيد قومي للأكراد. وأصبح هذا العيد الذي يسميه الأكراد (عيد نوروز) يرمز إلى الربيع والذي تكرر لهم، بصورة خاصة، كمناسبة قومية تمثل انتصار البطل الكردي (كاوه) الحداد على الملك الطاغية (الضحك) فأصبح هذا اليوم رمزاً للربيع والحريّة. لكن هذا اليوم، في حقيقة الأمر، يمثل عيداً لكل القوميات والأديان والطوائف العراقية في الحاضر والماضي. وهو أقدم عيد عراقي على الإطلاق لأنه يمثل عيد رأس السنة السومري منذ أكثر من خمسة آلاف سنة، ولا يصح اعتباره عيداً لقومية واحدة أو لديانة واحدة أو لمذهب واحد بل هو في حقيقته نوع من طقوس العود الأبدي التي تمثل أعياد رأس السنة نموذجاً فريداً لها.

يشكل عيد رأس السنة في وادي الرافدين نمطاً فريداً من مسرح الترانيم ومسرح الاحتفالات وبعمق روحي وطقسي نادر، ولا بد من دراسته بدقة لكشف جذور الترانيم الدرامية الأولى. الجذور السومرية: زكمك الأول والثاني.

أدرك السومريون، من خلال مراقبتهم طول الليل والنهار، أنهما يتساويان مرتين في السنة، المرة

الأولى في 21 آذار والمرة الثانية في 21 أيلول ويقل طول الليل بعد 21 آذار ويزداد النهار، بينما يزداد طول الليل بعد 21 أيلول ويقل النهار، ولذلك جعلوا عيد رأس السنة السومرية في 21 آذار (ويسمى شهر آذار عند السومريين شيكوركو) واسمونه عيد (زغمك الأول) الذي يعني عيد الولادة والتجدد وهو عيد الاعتدال الربيعي حيث يصادف الحصاد ونشاط ولادة الحيوانات وانتعاش الرغبات الجنسية عند الإنسان ولذلك أصبح أسطورياً عيد بعث وولادة دوموزي وزواجه من الإلهة إنانا في زواج مقدس يقوم به الملك والكاهنة العليا رمزياً بين المعبد والقصر. أما في 21 أيلول (ويسمى شهر أيلول عند السومريين آكيتي) فيحصل الاعتدال الخريفي، حيث يكون عيد (زغمك الثاني) الذي يعني الموت والبذر (دفن البذور) وموت دوموزي ونزول إنانا ودوموزي إلى العالم الأسفل ومواكب العزاء الجماعي.

ويتضح من ذلك أن السنة السومرية منقسمة إلى قسمين الأول ربيعي يبدأ في 21 آذار بعيد زغمك الأول ويستمر ستة أشهر والثاني خريفي يبدأ في 21 أيلول بعيد زغمك الثاني ويستمر ستة أشهر. وتكتمل السنة بهذين القسمين. وقد أصبح هذا الناموس الذي وضعه السومريون عن وعي وترصد للطبيعة أساساً بُنيت عليه أعياد رأس السنة في العالم القديم كله بشكل خاص.

وبتقدم الزمن أصبح السومريون يطلقون على هذا العيد اسم (آكيتو) الذي كان عيداً منفصلاً عندهم يعتني بطقوس استنزال المطر وتنصيب الملك. وأخذت الترانيم الرافدينية أخذت شكلها المسرحي الطقس في احتفالات رأس السنة السومرية والبابلية (زكمك وأكيتو).

البابليون والآشوريون:

وضع البابليون والآشوريون تقويماً جديداً لهم يبدأ من 21 آذار السومري وكان عندهم 1 نيسان (نيسانو) أي أن نيسان عندهم لا يطابق نيسان الحالي في تقويمنا بل يطابق 21 آذار في تقويمنا. وربما كانت بداية العيد تبدأ مع ظهور أول بدر بعد (21 آذار). وهو احتمال وارد في التقويم البابلي. وهو بداية السنة عندهم وقد أصبح عيد رأس السنة عندهم يُسمى بـ(آكيتو). وكلمة (آكيتو) البابلية ذات جذر سومري لأن أقدم صيغة لها جاءتنا بحدود 2400 ق.م. وعلى شكل (آ - كي - تي)، العلامة (آ) تعني الماء ومجازاً المطر و(كي) تعني الأرض و(تي) فعل بمعنى يقرب، فيكون بذلك معنى الكلمة كاملاً (تقريب الماء إلى الأرض) أي الاستسقاء. (رشيد 1981: 85).

ونرى أن طقوس الاستسقاء تعود إلى فترة حضارة سامراء في الألف السادس قبل الميلاد، حيث شكلت هذه الطقوس بذرة العيد الأكبر آنذاك.

كانت مدة العيد إثني عشر يوماً (أي بعدد أشهر السنة) تبدأ من الأول من نيسان وتنتهي في الثاني عشر منه. ففي بداية هذه الأعياد من كل سنة جديدة يأتي الإله نابو من معبده، البيت الحصين (E - Zida) في بورسيبا (برس نمرود) لزيارة والده الإله مردوخ في بابل والاشتراك في هذه الاحتفالات التي تقام فيها. (الأمين 1962: 16).

كان للاحتفالات بيت يُعرف ببيت الأكيو يقع خارج المدينة كما في الوركاء وآشور وبابل وكانت الأربعة أيام الأولى لتقديم الضحايا والقربان وتعيين درجات الكهنة وقراءة ملحمة الخليقة البابلية. وفي اليوم الخامس يُحمّل تمثال الإله نابو من بورسيبا إلى بابل في سفينة مذهبة وفي اليوم السادس تُجرى محاكمة الملك ونزع شاراته الملكية في معبد الإيساجيل في بابل ويُسحب من أذنيه حتى يركع أمام الإله ويؤدي صلاة الغفران.

وفي اليوم السابع تمثل دراما محزنة لموت الإله مردوخ وصعوده إلى السماء وتسود الفوضى المدينة، حيث تجري عربة هائجة في شوارع بابل وتخربها بسبب غياب مردوخ ويُصب ملك

مزيّف للحكم في هذا اليوم. وفي اليوم الثامن يعود مردوخ إلى الحياة وتتنظم بعودته الأشياء وتجتمع الآلهة في مخدع المصائر ويقرّرون مصائر البشر للسنة الجديدة، وتعاد شارات الملك إلى الملك الحقيقي ويسير الكهنة في موكب نحو بيت الأكيّتو خارج المدينة ليتمكنوا ثلاثة أيام لتمثيل دراما رمزية للخليفة وفي مساء اليوم الحادي عشر يعود الكهنة إلى المدينة ويدخلون المعبد ويقضي الإله مردوخ ممثلاً بالملك ليلة مع الكاهنة العليا في معبد الإله وفي اليوم الثاني عشر تغادر الآلهة بابل فيذهب كل إله إلى معبد مدينته.

إن هذا العيد الذي يمثل أكبر احتفال درامي في بابل كان راسخاً في حياة العراقيين القدامى وقد جرت ممارسته لأكثر من ألفي سنة وكان علامة مهمة من علامات وادي الرافدين وتراثها. كان يُجرى في 21 آذار (حسب توقيتنا من كل سنة) وهو الرحم الذي ظهرت منه الدراما الكوميدية والتراجيدية في ما بعد عند الإغريق. وهناك وصفٌ مطوّل له في رقم طينيّة ترجمها عن اللغة الأكديّة (ثورو دنجان) و(بريشارد) و(ساكن).

لقد كان إحياء ذكرى الخلق إعادة فعلية لولادة الكون، والبرهان على ذلك نجده في الطقوس، كما نجده في الصيغ التي كانوا ينطقون بها أثناء الاحتفال. أما القتال بين تيامت ومردوك فكانت تجري محاكاته في المبارزة التي كان يؤدّيها فريقان من المشخّصين. هذا الاحتفال نجده دائماً في إطار دراما العام الجديد عند الحيثيين، كما نجده عند المصريّين وفي أوغاريت. إن الصراع بين فريقين من المشخّصين لا يحيي ذكرى القتال البدئي بين تيامت ومردوك وحسب، وإمّا كان يكرر ويخلق فعل ولادة الكون، أي الانتقال من العماء إلى الكون وبذلك يكون الحدث الميطيقي حاضراً. (إلياد 1987: 106)

كان هذا العيد أحد الأسباب الذي سقطت من أجله بابل الكلدانيّة (539 ق.م على يد الفرس الأخمينيّين فقد قرّر آخر ملوك بابل نبونائيد عدم إقامة عيد الأكيّتو لذلك العام، وكان كورش الذي يتربّص ببابل يُرسل الرسائل للبابليّين بأنه سيدعم بقوة إقامة هذا العيد ونبذ عقيدة نبونائيد القمرية المؤيدة للإله (سين) فرحّب كهنة مردوخ بكورش لأنه ناصرهم ونبذوا نبونائيد لأنه غير تقاليدهم.

ولكن كورش بعد أن فتح بابل ورعى هذا العيد لسنوات قام هو الآخر وأتباعه من بعده بتغيير جوهر العيد وفرض الغزاة الفرس إلههم (أهورا مزدا) بدلاً من (مردوخ) على بابل وتحول العيد تدريجياً إلى عيد فارسيّ وترجموه إلى نوروز أي اليوم الجديد الذي يقابل الاسم البابليّ الآخر وهو (يومو نيسانو) أي يوم نيسان أو اليوم الجديد.

ومع ذبول بابل وصعود الفرس انتعش نوروز وغاب الأكيّتو وبقي في الذاكرة هذا العيد بصورته الفارسيّة في 21 آذار وانتقل إلى كل شعوب إيران ومن ضمنهم الشعب الكردي. وتغيّرت مضامينه الأسطوريّة والطقسية حسب الشعوب التي دخل إليها.

ولا بد من التنويه أن هذا العيد انتقل إلى الفينيقيّين تحت اسم (الأدونيات) وتحديداً عيد الهفريس وهو عيد القيامة وبعث أدونيس في بداية الربيع ومثله عيد بعل عند الكنعانيّين وعيد أيزيس وأوزيريس عند المصريّين وعيد ديونسيوس عند الإغريق. كل هذه الأعياد كان مصدرها عيد الأكيّتو البابليّ الذي انتشر شرقاً وغرباً وكان هو مصدر إلهام عيد رأس السنة الحالي الذي تحول بداية السنة الميلاديّة المسيحيّة.

وربما تحوّرت كلمة (أكيّتو) مع الزمن لتتحول في اللغات الساميّة إلى (حاكيّتو) و(حجيتو) ثم إلى (حج) والتي ما زالت في السريانيّة تعني (عيد)، وربما تضمّن ذلك ظهور كلمة (حكاية من حكيّتو) بسبب ما كان يبدأ به احتفال الأكيّتو من سرد قصصيّ لأسطورة الخليفة البابليّة وفي الأيام الأخرى لحكايات وقصص أخرى مثل جلجامش.

وينطبق هذا على (نيسانو) الشهر الذي كان يمثل بداية رأس السنة، حيث كان يعني في البداية

شهر الخصب والتلاقح الجنسي (نیش) ثم أصبح شهر البشارة والنیشان (نیشانو) أي العلاقة الفارقة ومنه ظهرت كلمة (نیشان) في مراحل الزواج.

كان عيد الأكيثو قد نشأ كعيد من أعياد الطبيعة وهو يتميز بنوعين من المظاهر، فيعبر المظهر الأول عن حزن الطبيعة على موت كل الأشياء النامية ويعبر المظهر الثاني عن فرحة الطبيعة بعودة الحياة إلى هذه الأشياء. وأضيف إلى هذا العيد تمجيد مردوخ فيحتفل بالمآثر التي دفعته إلى مقامه الجليل بين الآلهة (أنظر كونتينو 1979: 474).

ونرى أن عيد الأكيثو البابلي استبدل الإله الشعبي السومري دوموزي بالإله الرسمي مردوخ وأسبغ عليه من صفات دوموزي ما ليس فيه مثل علاقته بالخصب واختطافه المشابه لنزول دوموزي إلى العالم الأسفل والزواج المقدس وغيرها. أي أن الزكّمك عيد سومري شعبي والأكيثو عيد بابلي رسمي يكون الملك ومردوخ ونبو عناصره الأساسية.

ومثل الاحتفال بعيد رأس السنة البابلية (أكيثو) نموذجاً جيداً لهذا النمط من استعادة الزمن الأسطوري. وكان هذا يجري في الأول من نيسان (الذي يُصادف الآن 21 آذار) ويستمر العيد لمدة إثني عشر يوماً. ولهذا العدد دلالة هامة جداً. فكل يوم من أيام الاحتفال يمثل أو يرمز لشهر جديد مقبل من أشهر السنة الجديدة. ولذلك عمد المحتفلون إلى وضع جدول طقسي لكل يوم.

ويُظهر تحليلنا لاحتفالات عيد الأكيثو أن هذه الأيام الأثني عشر مقسمة بالتساوي بين طقوس تراجمية لآيام الستة الأولى وطقوس كوميدية لآيام الستة التالية.

وهذا ما دعانا إلى التفكير بأن التراجيديا والكوميديا بمعناهما الدرامي الديني الاحتفالي كانا يجريان في هذا العيد وفق أساليب منظمة ودقيقة في الدراما الدينية السومرية والبابلية قبل ظهورهما المنظم والديني في المسرح الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد.

في تراجيديا الأكيثو تدل الطقوس على ظهور الفوضى والغرق في العماء ومحاسبة الملك وتحول العبيد أسياداً وظهور الملك الكاذب وإزاحة الرتب والاعتراف السلبي.

وفي كوميديا الأكيثو يولد عالم جديد وتُعاد هيبة الملك والإله مردوخ وتعم الاحتفالات والأفراح ومآدب الطعام ويتيح الزواج المقدس ولادة جديدة للأرض والبلاد والإنسان.

إن النصف التراجيدي الأول يقتضي العودة إلى العماء والظلام في حين يتصف النصف الكوميدي الثاني بولادة كون جديد وتكوين زمن جديد وسنة جديدة.

وهكذا يكون عيد الأكيثو متضمناً للاركتيايب السلبية التي يغرق فيها العام الماضي وللاركتيايب الإيجابية التي يولد منها العام الجديد. وهكذا يُعاد خلق الكون من جديد، في عيد الأكيثو، كترميز لتطهير الزمن من التاريخ وعودته إلى الأسطورة. وبلغه أخرى لتخليص الزمن من الإنسان وإعادته إلى الله أو الآلهة كنوع من تطهير فساده الذي اكتسبه من أفعال البشر.

ومن هنا، بالضبط، يمكننا فهم الطوفان (والكوارث الكونية الكبرى) على أنها غسل تطهيري للعالم من شروره التاريخية لإعادة ولادته بمباركة الآلهة والآباء الكبار المرتبطين بها. وفي حادثة كالطوفان يلتقي الآلهة بالأبطال الأسطوريين ويمنح هؤلاء الأبطال مسحة إلهية ربما تكون عن طريق الخلود.

إن نوح وزيوسدار وأتونابشتم هم الأبطال الملحميون الذين يلتقون في لحظة نهاية الطوفان مع الآلهة، فُمنح نوح طول العمر وزيوسدار وأتونابشتم الخلود في دلمون، إن منطقة التحام السنة القديمة بالسنة الجديدة هي منطقة تعايش التناقضات، فأرواح الموتى غالباً ما تحضر جنباً إلى جنب مع الأحياء، والسماء والأرض والعالم الأسفل تكون متصلة مع بعضها، لأن نهاية العام القديم الإسكاتولوجية تعني بداية العام الجديد الكوزموغونية. وهذا الجدول يتضح تماماً في احتفالات أعياد رأس السنة تحديداً.

1. تراجيديا وكوميديا الأكيثو

اليوم	المحور	المعاني	الطقس الأساسي	الشخص الأساسي الذي يقوم به	النص الروحي	مراحل الطقس
1	الإيساجيل (معبد مردوخ في بابل)	التطهير	فجرًا: التطهير والاعتسال ثم الصلاة. الكهنة	الشيشكالو (كبير الكهنة) الشيشكالو	الصلاة	1. بعد الوضوء يدخل إلى معبد مردوخ ويصلي له وللآلهة. 2. يفتح المعبد للكهنة الآخرين - طقوس
2	=	الإنشاد	قبل الفجر: إنشاد (عند الإيساجيل)	نحاتان ماهران	التراويل	إنشاد التراويل الدينية
3	=	النحت	النحت	الشيشكالو	-	نحت تمثالين خشبيين صغيرين مرصعين بالذهب والأحجار الكريمة مكسوين بالثوب الأحمر أحدهما يُمسك حبة بيده اليسرى يُحفظ التمثالان في المعبد.
4	=	التلاوة والتمثيل	قبل الفجر: الصلاة مراقبة الكواكب مساءً: تلاوة وتشخيص ملحمة الخليقة البابلية	منشد الملحمة	الصلاة ملحمة إينوما إيلش	ينهض بعد 3. 20 ساعة من شروق الشمس ويصلي لمردوخ والآلهة ويراقب شروع مجموعة (أكرا) ويتلو تعويذة قبل شروقها. إنشاد - دراما دينية تمثل أثناء التلاوة (نخبة قليلة تمثل).
5	الإيساجيل ومركز بابل	تحرير الملك من ذنوبه ومردوخ من أسرته	مساءً التقدمات	1. نص النجوم 2. الاعتراف السلبي 3. ابتهاج سربانيت	1. صلوات اعتيادية 2. تطهير المعبد ورشه بالماء والزيت المقدسين 3. ذبح كبش وتلطبخ دمه بجدران المعبد ليتمض الشر - خروج الكاهن وحامل السيف خارج المدينة ويرميان الكبش في النهر. 4. قراءة (نص النجوم) أمام تمثال مردوخ. 5. الكاهن يجرد الملك من شاراته ويضعها على كرسيه ويضعه ويركعه ويجعله يتلو الاعتراف السلبي. 6. يتلو الكاهن (إبتهاج سربانيت). 7. وصول مركب الإله (نانو من برسبيا إلى زرائب الخنازير والمجرم يقتلهم ويعلق رأس المجرم. 8. الناس يفتشون في باحة البرج عن مكان مردوخ الذي اختفى فيه (الشعب يمل). 9. الفوضى تعم في المدينة - عربة مردوخ بدون قائدها تطلق باتجاه بيت أكديترم وال... يسير خلفها. 10. تعليمات درب الآلام. 11. نيو يحزر مردوخ من سجنه.	
6	بين النهر والإيساجيل	استقبال وفود الآلهة		الملك	تراويل	1. وصول سفن الآلهة من المدين إلى بابل يستقبلهم الملك. 2. ينثر الملك تقدمات سائلة أمام الآلهة. 3. يرافقهم الملك إلى معبد مردوخ.

الأكيتو هو نواة الدراما الشعبيّة والدينيّة التي ظهر منها المسرح في التاريخ القديم، وقد بدأت أعياد الأكيتو بالظهور في سومر مبكراً قبل أن تظهر في أي مكان آخر وكانت طقوس دوموزي وتنصيب الملك الجديد هي قوامها القديم، ثم نضجت وأصبحت كاملة المعمار والبناء عند البابليين والآشوريين.

ويُظهر تحليلنا لاحتفالات عيد الأكيتو أن هذه الأيام الأثني عشر مقسّمة بالتساوي بين طقوس تراجيدية للأيام الستة الأولى وطقوس كوميدية للأيام الستة التالية. وكما يلي:

تراجيديا الأكيتو: وداع العام الماضي

اليوم الأول: التطهير

اليوم الثاني: الإنشاد

اليوم الثالث: النحت

اليوم الرابع: التلاوة والتمثيل

اليوم الخامس: تحرير الملك ومردوخ

اليوم السادس: استقبال وفود آلهة المدن

إن إلغاء السنة القديمة والزمن الماضي بأكمله هو إيقاف لمسرى (التاريخ) بواسطة حضور (الأبد) الذي هو (أسطورة) لا زمان ولا مكان لها. وبمعنى آخر إن إلغاء التاريخ هو وسيلة لولادة عالم جديد يبدأ أسطورياً لكنه سرعان ما يندرج في التاريخ، من جديد، بسبب سيادة الأعمال الدينيّة وندرة الأعمال الطقسية.

كان الإنسان في عصور ما قبل التاريخ يعيش نوعاً من (الأبد) حيث تتعرع (النماذج البدئية) و(الأسطورة) ويختفي التاريخ بسجلاته الكرونولوجية. ولذلك ظهرت في تلك العصور فكرة الخلود، لأن الإنسان لا يمكن أن يتصور حياةً فانيةً في ظل دورة أبدية يحركها هو والقوى الغيبية التي يعتقد أنها تحيط به. ولذلك حين بدأت العصور التاريخيّة (بعد الكتابة) بدا الإنسان وكأنه يدون يومياته عن طريق الكتابة رغم أن ظلّ الآلهة لم يكن غائباً، لكن الكتابة كانت، بطريقة أو بأخرى، نوعاً من التاريخ في حين كان الرسم نوعاً من الأبدية.

هل يمكننا وفق هذا تفسير العدد الهائل من الصور الذي تحفل به الكتابة الهيروغليفية المصريّة التي تنسجم كثيراً مع التراث المصريّ المثقل بفكرة الخلود والأبد، في حين تختفي الصور نهائياً في الكتابة الرافدينيّة بسبب من عقائدهم التي لا تهتم بالخلود كحقيقة ثابتة مطلقة بل تسعى إليه مغامراتهم وأخيلتهم أحياناً.

ما قبل التاريخ أهد مزروع بالرموز والصور والأخيلة والنماذج البدئية والأشكال التي تعطي للإنسان إحساساً باللامتناهي. أما العصور التاريخيّة وظهور الحضارات فكانا تدويناً للتاريخ وابتعاداً متدرجاً عن الأسطورة والأبدية باتجاه الحياة اليوميّة المادية الواقعية.

كوميديا الأكيتو: استقبال العام الجديد

اليوم السابع: الاحتفال

اليوم الثامن: التمثيل

اليوم التاسع: الاحتفال والطعام

اليوم العاشر: الزواج المقدّس (الملك والكاهنة العليا)

اليوم الحادي عشر: تسجيل الأقدار والمصائر

اليوم الثاني عشر: وداع وفود آلهة المدن

وقد سعينا إلى تنظيم الجداول المرفقة لكل فعاليات عيد الأكيتو بأيامه الإثني عشر التراجيدية والكوميديّة.

اليوم	المحور	المعاني	الطقس الأساسي	الشخص الأساسي الذي يقوم به	النص الروحي	مراحل الطقس
7	قرب الإيساجيل	الاحتفال بالآلهة	احتفالات	الآلهة	أهازيج	احتفالات بقدم الآلهة
8	الإيساجيل - بيت أكيثو	اجتماع الآلهة - تمثيل المعركة	ديني	الآلهة والملك	مقاطع من الملحمة	1. اجتماع الآلهة في (غرفة الأقدار) في الإيساجيل لتقرير المصائر ومبايعة الآلهة. 2. الملك يقود مردوخ خارج أسوار بابل وخلفه حشد الآلهة (تمثيل) إلى (بيت أكيثو) مشاهد تمثيلية من ملحمة الخليقة تشير إلى معركة مردوخ مع تيامت وانتصاره عليها وشطرها وقتل كنجو وخلق الإنسان.. (الشعب يشاهد).
9	بيت الأكيثو	حفل النصر	ديوني حفل (المأدبة)	الكهنة	-	1. حفل ديوي 2. مأدبة الطعام
10	بيت الأكيثو	الزواج المقدس - العودة ليلاً	ديني زواج إلهي	الملك - الملكة	نصوص الزواج المقدس تراويل العودة	1. زوج مردوخ من سربانيم ممثلاً بالملك من الكاهنة العليا. 2. العودة إلى بابل - إيساجيل.
11	بابل - إيساجيل	تسجيل الأقدار (نبو)	صمت (تسجيل الأقدار)	الملك مردوخ نبو الآلهة	نصوص تقرير المصائر	الاجتماع في (غرفة الأقدار) بين مردوخ والآلهة ونبو يسجل مقرراتها.
12	إيساجيل - النهر	عودة الآلهة	وداع الآلهة	الملك والآلهة	نصوص وداع الآلهة	عودة الآلهة (تمثيلهم) إلى مدنهم مودعين من قبل الملك في مواكب.

المبحث الرابع: نهايات وأخرويّات الإنسان

لا شك في أن ملحمة الطوفان سومرية الأصل وقد وسّعت الرواية البابليّة للطوفان تفاصيل هذه الرواية، ونقلتها التوراة بصياغة جديدة. وهناك ما يشير إلى حصول الطوفان في جنوب العراق في حدود 3000 - 2900 ق.م. حيث فاض نهر دجلة والفرات بسبب سقوط وابل هائل من الأمطار في جبال أرمينيا فغمر الطوفان قري سومرية عدّة تزيد مساحتها على أربعين ألف ميل بعمق ثمانية أقدام من الغرين استناداً إلى السير ليوناردوولي في كتابه أور الكلدانيين، ولم تسلم من الدمار سوى بضع مدن مشيئة بالأجر. وقد أشار يوسفوس نقلاً عن بيروسوس وسواه إلى آثار حطام السفينة في أارات (جبل الجودي قرب بحيرة وان)، وذكر بيروسوس إن الأكراد من أبناء المنطقة ما يزالون - أي حتى زمانه - يقتطعون القطع من قار السفينة لاستعمالهم الشخصي (?) ويزعم فريق من الأميركيين أنهم عثروا هنا على جذامات خشبية شبه متحجرة يرقى تاريخها إلى ما يقارب 1500 ق.م. ويطلق المؤرخ الأرمني موسى خورينه على هذا المكان المقدّس اسم ناخيدشوان (أي مكان النشوء الأول).

وتؤكد التوراة صراحة على الأسباب الأخلاقية وراء قرار دمار الإنسان. فالأرض قد فسدت وامتلأت بالعنف والشر. أما النص البابليّ فيعطي تلميحاً بالأسباب الأخلاقية حيث نجد (إيا) في آخر النص يخاطب (إنليل)، قائلاً: (حمل المذنب ذنبه والآثم إثمه.. امهله كي لا يفنى ولا تهمله كيلا يفسد). وهذا يدل بوضوح على أن غرض إنليل الأساسي من الطوفان كان القضاء على الشرور والآثام فدمّر الجميع دون تمييز بين الصالح والطالح، لكن ملحمة أتراحاسس تطرح سبباً غريباً للطوفان يذكّرنا بالسبب الأساسي للصراع بين الآلهة في أسطورة التكوين، فإنليل يشعر بالانزعاج من صخب البشر ووضوئهم فيقرر إفناءهم بعد أن أعبته الحيل في التقليل من عددهم. ولكنه بعمله هذا يناقض العلة الرئيسيّة لخلق البشر، ألا وهي حمل عبء الكدح عن الآلهة فهل كان يخطط لخلق جديد يعقب الطوفان؟

تختتم ملحمة الطوفان البابليّة بصعود إنليل فوق السفينة وهو يمسك بيد أتراحاسس ويجعل زوجته تصعد معه وهو يقف بينهما ويلمس رأسيهما وباركهما، قائلاً:
- لم يكن (أتراحاسس) قبل الآن سوى بشر، ولنمنحه الخلود هو وزوجته فيكونا مثلما نحن الآلهة، وسيعيشان بعيداً في دلمون الأرض التي لا يصلها المرض ولا الشيخوخة، الأرض البيضاء النقية، سيعيشان عند فم الأنهار.

وهكذا حلّ أتونابشتم في أرض دلمون، وبقي حياً خالداً إلى الأبد مثل الآلهة. في ملحمة أتراحاسس وردت ثلاث نهايات للعالم، الأولى حصلت من خلال إبادة الجنس البشريّ بالطاعون، والثانية من خلال الجفاف، والثالثة من خلال الطوفان وهي التي كانت موضوع الملحمة. وقد وردت في الأدب المندائي ثلاث نهايات للعالم تشبه هذه النهايات أما النهاية الرابعة التي نتظرها، حسب الأدب المندائي، فهي من خلال الريح والعاصفة وهو أمر طبيعيّ، لأننا في النصين عرفنا أن نهايات العالم الأربع حصلت موازية للعناصر الأربعة ولم يبق سوى كارثة الريح أو العاصفة التي يمثّلها عنصر الهواء.

المثولوجيا البابليّة لم تفصح عن هذا، لكننا بحكم الاستنتاج العقلي نضعه هنا، فهل ستكون النهاية الأخيرة من خلال العصف الهوائي أو العاصفة؟ ربّما نعم.

القسم الثاني: المكوّنات التاتويّة في الديانة البابليّة المبحث الأول: الشرائع والأخلاق

بلغت الشرائع الرافدينيّة ذروتها مع شريعة الملك حمورابي سادس ملوك بابل (حكم بين 1792 - 1750 قبل الميلاد)، حيث وضع قوانينه في شريعة موسّعة أصبحت مثار اهتمام العالم القديم والحديث في صيغتها وبلغ عدد قوانينها 282 مادة قانونية سجّلها على مسلّة كبيرة أسطوانية الشكل. وجاءت كما يلي:

من الأول إلى الخامس خاصة بالدعاوى اتهام الباطل وشهادة الزور وتغيير.
من السادس إلى الخامس والعشرين خاصة بالأموال والسرقات وخطف الأطفال وإيواء العبيد وقوانينه.

من السادس والعشرين إلى الحادي والستين إلى مئة وستة وعشرين خاصة بالتجارة والمواصلات والحانات ومحلات السكن والطرق والديون والرهن والأمانات والودائع وقوانينه.
من مئة وسبعة وعشرين حتى مئة وأربعة وتسعين خاصة بالزواج والطلاق والإرث وتبني الأطفال والزنا، وقوانينه.

من مئة وخمسة وتسعين حتى مئتين وأربعة عشر المخالفات والشتائم والاستهانة.
من مئتين وخمسة عشر حتى مئتين وأربعين خاصة بالمهنة كالأطباء والبيطريين والحلاقين والبنائين والملاحين وبنائي السفن.

من مئتين وحادي وأربعين وحتى مئتين وثلاثة وسبعين خاصة بالماشية والفلاحين والآلات الزراعية وتأجير العربات والحيوانات والعمال.
من مئتين وأربعة وسبعين وحتى مئتين وثمانية وسبعين وحتى مئتين وثمانين خاصة بالعبيد.

المبحث الثاني: السير المقدّسة

أولاً: سير الملوك

للكتير من ملوك بابل سيرٌ مقدّسة بسبب ارتباطهم بالآلهة التي اعتبروها آباءً لهم أو اعتبروا أنفسهم نواباً لها وحاكمين باسمها، ولا يمكننا تناول جميع هؤلاء الملوك في جانبهم المقدّس، لكننا سننتخب ثلاثة من أبرزهم:

1. حمورابي:

حمورابي (ويكتب اسمه: أمو - رابي، ومعناه الولي الشافي، من أمو، الولي الأب، ورابي، الشافي) سادس ملوك بابل (من الأسرة البابليّة الأولى)، حكم، حسب التاريخ الطويل، من عام 1792 ق.م. حتى 1750 ق.م. وحسب التاريخ القصير من (1728 ق.م. - 1686 ق.م. وأصبح أول ملوك الإمبراطوريّة البابليّة بعد تنازل والده (سين مبلط) عن العرش، وعرف بانتصاره في سلسلة حروب ضد الممالك المجاورة. وهو أسرة حاكمة أموريّة، وأقام دولة / إمبراطوريّة مترامية الأطراف، ضمّت مناطق بلاد ما بين النهرين، دجلة والفرات كلها، ووصل نفوذه إلى مناطق مجاورة في شمال سوريا وجنوب غرب إيران (عيلام)، وأصبحت دولته أكبر دول الشرق القديم وأكثرها قوة وازدهاراً، ولغة بابل صارت لغة التجارة والأدب والدبلوماسية في العالم القديم، وبقيت كذلك حتى حلت محلها اللغة الآراميّة منذ القرن السادس قبل الميلاد. تمسّ القداسة حمورابي من كونه على علاقة مميّزة بإله الشمس (شمش) الذي هو إله العدالة والذي سلّم إلى حمورابي بنود مسلته القانونية المعروفة، ويظهر هذا جلياً في قسمها العلوي ذي الشكل الهلالي، حيث يظهر عليه مشهد يمثّل الملك حمورابي واقفاً أمام إله الشمس، إله العدالة، وتأخذ هذه العلاقة منحىً نوعياً حين يصرّو حمورابي نفسه على أنه متّصل بإله شمش. ولا شك في أن سيرته المدوّنة في الرقم والنصوص المسماة بـ"توضّح مكانته وسيرته الاستثنائية.



تمثال رأسي للملك حمورابي



حمورابي واقفاً يصلي ويتسلّم رمزي العدالة (المستقيم والدائرة من الإله الجالس (شمش))

2 نبوخذنصر:

يعتبر الملك نبوخذ نصر الثاني (605 - 562) ق.م. أعظم ملوك هذه الإمبراطورية، رغم أن عصره كان عصر فتوحات عسكرية إلا أنه كان عصرًا ذهبيًا لبابل وعمرانها. وقد حاصر أورشليم وسبى اليهود مرتين، مرةً إلى مصر حيث نصب فيها ملكاً تابعاً له هو صدقيا (597 - 586) ق.م. ومرةً ثانية إلى بابل عام 587 ق.م. بعد أن دحر الجيش المصري ثانيةً. وكان مجيء اليهود إلى بابل حدثاً هاماً في تاريخ اليهود والمنطقة. ففي بابل، رغم أسرهم، تنبّهوا إلى ضرورة جمع تراثهم الشفوي وخطه بتراث وادي الرافدين والتراث الكنعاني وسرقه الماضي الروحي العظيم للمنطقة ونسبه لهم، وقد ظهرت كل هذه الصياغة الجديدة في أسفار العهد القديم قبل السبي، ثم في كتابة التلمود باللغة البابلية الكلدانية. وبالطبع فإن هناك عدداً من الشخصيات العلمية والدينية البابلية التي أثرت وحفزت على مثل هذا المشروع، ولا نستبعد أن يكون للملك والكاهن البابلي العظيم نبونائيد (نبونائيد) دوراً في ذلك.

لقد كان عصر نبوخذ نصر آخر عصور الرافدين القديمة المزدهرة، وبغياحه بدأ الانحدار نحو الهاوية.. وكانت هذه الهاوية تطلّ على أكثر من ألف سنة من الغياب. دام حكمه ثمانية وخمسين عاماً، فرض سلطانه على دمشق وصور وصيدا وأورشليم ودمر عسقلون وحشد جيوشه وقاتل فرعون مصر ولكن يهوياكيم ملك يهوذا انقطع عن دفع الجزية، فحاصر نبوخذنصر أورشليم ومات يهوياكيم وأسر من اليهود ثلاثة آلاف ونصب على مملكة يهوذا (صدقيا) ولكن فرعون مصر حوفاً حاصر صور وصيدا وأمال صدقيا له، فخلع ولاءه لنبوخذنصر فحاصر نبوخذنصر أورشليم واستسلمت له وقتل صدقيا ودمرت أورشليم ودكت معالم هيكل سلمان وأسر من اليهود أربعين ألفاً وكان أغلبهم من الكهنة والعارفين وجاء بهم إلى بابل، ووضعهم داخل سور كبير فاجتمعوا على كتابة أسفار العهد القديم والتوراة والتلمود حيث دام أسرهم سبعين عاماً ونهبوا من سفر سومر وسفر بابل وتشبّعوا بثقافتها وهناك داخل الأسوار اكتمل دين يهود، وكادوا كيداً شديداً لنبوخذنصر وبابل وظهر في بابل أنبياء يهود ودوّنوا توراة بابل. وعاقب نبوخذنصر مدن كنعان وأخضع قبائل العرب والتفت إلى حضرته بابل فعمرها، وأصبحت في عصره أعظم مدن الأرض، انظر إليها بابل العظيمة باب الإله وهي اري دوع المدينة العامرة واري شار مدينة الكل فيها ثلاثة وخمسون هيكلًا لكبار الآلهة وخمسة الأنوناي ومئة وثمانون مذبحاً للإلهة عشتار ومئة وثمانون مذبحاً للإلهة نرجال وأدد واثنان عشر مذبحاً لآلهة أخرى، ولها ثلاثة مجاري مياه وثمانية أبواب وفيها قصر الصيف ومتحفه العظيم وقصر نبوخذنصر الكبير مقر سلطانه المطلق، الذي دك جداره الخارجي بالآجر ووطد أساسه على سطح الماء وجعل أبوابه من خشب الأرز المغلف بالنحاس وزينه بالنقوش وكُدس فيه الفضة والذهب والأحجار الكريمة واستعمل في سطحه جذوع الأرز الضخمة سليلة الجبال الشاهقة وجذوع الصنوبر والسرو وجعل مصارع أبوابه من خشب الأبنوس والأرز والسرو والشمشاد والعاج المغطى بالفضة والذهب، ووضع في أبوابه عتبات وجاور النحاس وأحاطه بسور كبير وزين صالة العرش بزخارف ولوحات صيد.

3. نبونائيد:

ما زالت البحوث الخاصة بالملك البابلي (نبونائيد) الذي نرى أن اسمه الصحيح هو (نبونائيد)، لأنه يجمع بين الإله نبو إله الحكمة البابلي وأناهيت إلهة المياه المقدسة والإلهة الأم في إيران

القديمة ورفيقة أهورا مزدا.

وتحيط بشخصية هذا الملك أحداث غامضة، وتحفّ دعوته الدنيّة أسرار ما زال الكشف عنها صعباً ومعقداً، وربما كان الكشف عنها مدعاةً لإعادة النظر كلياً بالديانة اليهودية وأصولها، فعلى الأرجح أن نبونائيد لعب دوراً هاماً في إعادة صياغة الديانة العبرية وتحويلها إلى الديانة اليهودية المعروفة.

لقد كان نبونائيد موحداً، وقد أدرك ببصيرته الثاقبة أن مأزق بابل الحقيقي ليس سياسياً، وأن العقيدة الدنيّة لها كانت بحاجة إلى ثورة جذرية لكي تجابه نزعات التفريد العبرية من خلال (يهوه) ونزعات الثوية الزرادشتية من خلال إلهيّ النور والظلام.

كان لا بد من القيام بثورة توحيدية تنطلق من أرض بابل التي كانت مصدر ديانات الشرق الأدنى القديم والعالم كله. وكان نبونائيد قد تربّى في أحضان عقيدة أمه (أدد كبي) النزاعة نحو التوحيد من خلال تفريدها للإله (سين) واعتباره أعظم الآلهة وأعلاهم. أما هو فقد قرر، على ما يبدو، نهائياً الإطاحة بجميع آلهة بابل وأعلن الإله سين إلهاً واحداً للعالم كله.

ولا نملك أدلة كافية ومفصلة على تفاصيل دعوته هذه، ولكن شذرات منها ومن سيرته تدلّ على هذا، لقد شعر نبونائيد أن الإله مردوخ لم يعد صالحاً لتقديم عقيدة دنيّة جديدة ولذلك رفض المشاركة في احتفالات رأس السنة البابلية لعدم إيمانه بمردوخ.

وكان كهنة بابل المحافظون ينظرون إلى عقيدته وتصرفاته بريية وخوف، ولذلك دبّروا فاجعة هائلة يوم تأمروا مع اليهود داخل بابل والفرس خارجها للإطاحة بنبونائيد وحكمه والتخلص من الدين الجديد الذي كان يبشّر به في حران ويثرب وخيبر وتيماء وددان... الخ.

وهكذا أعدوا هاوية لعقيدة نبونائيد التوحيدية وقد حسبوا أنها ستكون فقط له ولدعائه، ولكن الهاوية ابتلعت بابل كلها، بل وابتلعت أمجاد وادي الرافدين والعراق القديم بأكملها. ولم ينهض هذا البلد إلا بعد أكثر من ألف عام من هذه الفاجعة.

وذهبت أوهم كهنة مردوخ سدىً إذ إن الفاتح الأخميني كورش ومن تلاه قدّموا شكلياً الولاء لمردوخ في بداية احتلالهم، ثم فرضوا عبادة أهورا مزدا إله فارس الجديد الذي كان يمضي باتجاه التوحيد.

وهكذا فلتت عن بابل أعظم فرصة تاريخية كان يمكن أن تقوم بها وهي فرصة دعوة التوحيد التي تقوم على أسس لاهوتية راسخة.

وتلقف هذه الفرصة أنبياء يهود وفارس في صيغ مربكة للتوحيد، فهي بين أن تكون صيغاً تفريديّة أو غارقة في أشباح التعددية القديمة.



نبونائيد وهو يحمل صولجان الملوكية وأمامه الكواكب الثلاثة: القمر، الشمس، الزهرة



أسطوانة من الطين المشوي من زمن نبوخذنصر الثاني

المبحث الثالث: الجماعة والطوائف والمذاهب

عبادة مردوخ وعبادة سين:

يرى الباحثون أن صعود الإله مردوخ إلى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية يعود إلى أسباب سياسية محضة، فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لا يُذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي استطاع أن يمد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أقاصي حدود عالم الشرق القديم، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية، ومركز إشعاعها الحضاري.

وعبارة (ملك الآلهة) هي الإفصاح الدقيق عن مذهب التفريد الذي خطه الكهنوت البابلي متأثراً بتفريد إنليل عند السومريين ولفظ (لوكال. دم. أن. كي. أ) (Lugal Dimmer An. Ki. A) تعني حرفياً (ملك آلهة الما فوق والما تحت) وهو لقب التفريد كما نرى. كان الإله مردوخ ابن الإله إنكي، وقد ورد ذلك في مقدمة حمورابي وهي واحدة من أقدم الوثائق البابلية "وتقول إن الإله (آن) والإله (إنليل) حمّلاه الإنليلية (نسبة إلى إنليل) ليحكم بواسطتها البشر". (أدزارد 2000: 160).

وهذا يعني انقلاباً ذكورياً مزدوجاً وضع مردوخ في مركزية ذكورية عالية، حيث نقل نسب مردوخ من كونه ابناً لإنكي إلى إنليل، ثم أنه طوبق مع ابن إنكي (أسالوحي) إله الغيوم والطقس وأخذ صفاته ثم وضع في الإنليلية التي تعني السلطة والحكم. ويرى أدزارد أن السبب في صعود الإله (مردوخ) إلى قمة الهرم الإلهي في مجمع الآلهة البابلية يعود لأسباب سياسية محضة "فبعد أن كان إلهاً هامشياً يكاد لا يُذكر أصبح الإله القومي للشعب البابلي الذي استطاع أن يمد أطراف الدولة البابلية في عهد حمورابي منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أقصى حدود عالم الشرق القديم، وأصبحت بابل عاصمة الدولة الفتية، ومركز إشعاعها الحضاري، ونجد التبرير اللاهوتي المقنع في القصيدة التعليمية (إنوما إيش) حيث تصوّر القصيدة أمجاد مردوخ وانتصاره على (تيامت) التي كانت تهدّد أجيال الآلهة الشابة بالفناء، وتذكر القصيدة أسماءه الحسنى الخمسين". (أدزارد 2000: 161).

كان صدى إله القمر السومري (ننار، نانا) والذي كان يُسمى (سين) يتردد قوياً بعد سقوط الدولة السومرية الحديثة ومدينة أور التي كانت مقره، حيث زقورته الشهيرة هناك، وقد بقي إلهاً كبيراً وانتشرت عبادته في بلاد بابل في العصر البابلي القديم، وتحول شيئاً فشيئاً إلى إله سري يتداول ذكره وعبادته الكهنة والخاصة من المتعبدين، وبقي يعبد كإله مهم في أور وفي حرّان، وقد اهتمت كاهنته العليا (أدد كبي) بعبادته ونشرها وجعلت ولدها الكاهن (نبونائيد) وهو آخر ملك بابلي يتأثر بها ويتخذ منها ديانة شاملة للتوحيد.

أصبح الصراع واضحاً بين عبادتين بابليتين هما عبادة مردوخ الرسمية المعلنة وعبادة سين الخاصة السرية والتي بدأت بالنمو والوضوح.. وقد قاد كهنة مردوخ حرباً شعواء على عبادة سين انطلاقاً من مصالحهم الدينية والمادية وهو ما دفعهم للاتصال بكورش الذي كانت عبادته شمسية قريبة من عبادة مردوخ، وكان هذا الاتصال بمثابة حسان طروادة الذي أسقط بابل بيد الفرس الأخمينيين.

عبادة تموز البابليّ الشعبيّة:

تموز البابليّ هو وريث دوموزي السومريّ الذي يعني اسمه (الإبن المخلص) فهو إبن الإله (إبن الله) وهو الذي سيكون مخلصاً للآلهة والبشر، ربما بسبب صفاته الخصيبة ولكونه راعياً يقدّم خدماته لهم جميعاً، وهو أحد حارسي بوابة السماء (الحارس الآخر هو أخوه نكشزيديا إله الطب وأحد آلهة العالم الأسفل) والغريب أننا نجدهما في السماء مثلما في الأرض، وهو والمسؤول عن دورة الفصول عندما يبعث حياً كل ستة أشهر عند شهر تموز رابع شهور التقويم البابليّ ويموت في شهر أيلول، ومن ألقابه الراعي والثور الوحشي ومن وظائفه الأخرى الإشراف على المراعي وهو إله الحظائر ويمثل عنصر الذكورة في الطبيعة وزوجته هي الإلهة عشتار. هذا الإله ظلّ هو الإله الشعبيّ المفضّل عن البابليّين لأنه أقرب لهم في صفاته البشريّة، ولأنه يمنحهم الشعور بالحب والتضحية ويمنحهم فصل الربيع ومسافة الأبقار والأغنام، وهو الذي يزيد من وجدهم العاطفيّ والجنسيّ، فهو أفضل من مردوخ (ملك الآلهة) البعيد في كوكب المشتري وأفضل من (سين) البعيد في كوكب القمر. ولهذا شكّل هذا الإله وأسطورته البابليّة فضاءً شعبيّاً وعبادة خصيبة بين الناس.

رُمز إلى تموز بالنخلة، حيث يمثّل قوة الحياة فيها، وكان الرمز عبارة عن جذع النخلة التي تحمل في قمّتها نجمة ثمانية أو تاج النخلة (سعفها)، أما كوكبه فهو الجوزاء وكان رمزه الحيوانيّ هو الثور البري ولذلك يلقّب بثور السماء العظيم (أمو شومكال أُنّا). سادت صفة "الإله المتوفّي والمرتفع" وكانت هذه الصفة تشير إلى الموت والانبعاث، وهي إشارة تقترب كثيراً من صفة السيد المسيح الذي توفي ثم ارتفع إلى ملكوت السماء، وهذا أيضاً مثل نوعاً من العزاء للفتات الشعبيّة في بابل كي يكون شفيعهم بعد الموت.

المبحث الرابع: الباطنيّات

السحر والعرافة والخيّمياء

السحر البابلي

كانت النُصُب المصوّرة، غالباً ما تمثل الشياطين بعدد سبعة وبشكل حيواني: فهد، أسد ذو أذنين كبيرتين، ذئب، كبش، تيس، طير جارح، حيّة - أو فهد، كلب خطّاف، أسد حيّة، تيس - أو ظبي، حيّة، ثعلب، ذئب، تيس، فهد - أو ثعلب، كبش، ظبي، خطّاف، تيس، حيّة، فهد.. إلخ وكانت تكتب ضدها التعاويذ والرقى السحرية.

التعاويذ والرقى السحرية:

كان الشياطين مصدر أذى للناس، فهم بمثابة جراثيم الأمراض "وكانوا أيضاً يجتاحون أرض البشر، فيلازمون الليالي والأماكن المظلمة والعزلات والخرائب والرياح والمياه الجارية أو الراكدة. وكانوا في الغالب غير منظورين، إلا أنّهم كانوا أحياناً يظهرن ذواتهم بمختلف الأشكال، القبيحة منها والفاتنة. وكانوا ينقضّون فجأة على الضحية المختارة، فيُشبعونها ضرباً ويسحرونها ويستحوذون عليها أو يفقدونها صوابها. للاحتماء ضد هذه الهجمات، العنيفة أو الماكرة، كان الناس يلجأون إلى خدمات الكهّان المعزمين. وكانت رتب هؤلاء وتعاويذهم غنية ومتنوّعة إلى أقصى حد، إذ كان ينبغي، كي تبلغ الأقوال وحركات اليد هدفها، أن تكون مطابقة بدقة لكل حالة أو ظرف. وكان ثمة عدد كبير من رتب منعزلة، ولكن كانت هناك أيضاً رتب أخرى لا تقلّ عنها عدداً، وكانت مجموعة ومنظمة ضمن مجموعات قانونية طويلة". (لابات 1988: 151).

أحد "الكتب السحرية البابلية" تمثل نموذجاً للرقى والتعاويذ السحرية حيث المقطع الأول يذكّر بدور الشياطين في خسوف القمر. أما المقطعان الآخران فيتعلّقان بعمل المتعوّذ، في صراعه ضد العوامل الشيطانية في أمراض الإنسان. وأن نصّ هذا اللوح السادس عشر من السلسلة منشور. وقد جاء كله بلغتين ويتضمّن عادة ترجمة بابلية مقرونة، سطرّاً فسطراً بالترجمة السومرية.

"أوتو كُو الأشرار" الفصل 16

إنهم عواصف صادمة، هؤلاء الآلهة الأشرار،
إنهم جنّ بغير رافة، ولدوا في قبة السموات،
إنهم عملاء الشؤم،
إنهم عملاء الشر الذين، كل يوم، لا يفكرون إلا في الشر،
وهم دوماً في المقدمة لاقتراف الاغتيالات.
من سبعتهم، الأول هو "رياح الجنوب" (المجففة)،
الثاني هو تنين مفعور فمه،
الثالث هو نسر تائر، (مثل الوحش الذي) سلبوا منه صغاره،
الرابع هو حيّة مرعبة (...).
الخامس هو أسد هائج لا يمكن دحره،
السادس هو (كبش مدربّ) (يهاجم حتى) الإله والمملك،
السابع هو عاصفة، ريح شريرة لا ترحم أحداً،

سبعتهم هم مرسلو الملك أنو.
هم الذين يجذبون الظلمة على مدينة إثر مدينة،
إنهم الإعصار الذي يصطاد بضراوة في السموات،
إنهم السحب الكثيفة التي تجلب الظلمة إلى الماء، إنهم هبوب الرياح المائية
التي تجلب الظلام في النهار النير،
إنهم أولئك الذين يضربون بالمرض الخبيث الآتي من الريح الرديئة،
إنهم الواابل الطوفاني لأدد واضطراباته القديرة،
(إنهم أولئك الذين) يسرون عن يمين أدد،
والذين، في قاعدة السماء مثل البرق، يصعقون من كل جهة،
أنهم في المقدّمة دوماً لاقتراف الاغتيالات.
في سَمَاوَات الملك أنو الفسيحة،
إنهم هناك، بوقاحة، ولا خصم لهم.
يمكن حينما سمع إنليل الخبر،
تأمل فيه طويلاً في نفسه
ويتفاوض بشأنه مع أيا، مستشار الآلهة السامي،
وضعا سين وشمس وعشتار لضمان النظام في قبة السموات.
وجعلاهم، مع أو وإنليل، يشاركون السيادة على مجموع السموات:
هؤلاء الآلهة الثلاثة أبناؤه،
أعطى مهمة الحضور دوماً فيها، ليلاً ونهاراً.
إذ ذاك، هم الآلهة الأشرار
هاجوا في قبة السموات.
مهاجمين سين، النير الإلهي، وأحاطوه بوقاحة من كل جهة،
وغرروا، من جهتهم، بالبطل، شمش وأدد الباسل...
... ..
سين، الذي يحب البشرية (يجلب الآن) اضطرابات للبلاد،
ظهوره مضطرب، وقد أصبح صامتاً وخائر القوى.
غنهم الآلهة الأشرار، رسل أنو،
هم عملاء الشر، يخبطون في كل موضع في الليل،
هم في كل مكان ودوماً، يبحثون عن الشر.
من وسط السموات، مثل ريح، انطلقوا نحو البلاد.
حينما رأى إنليل في السماء تعتيم سين، البطل،
هو السيد، دعا نوسكو رسوله:
نوسكو، رسولي، احمل أقوالي إلى أبسو،
وأبلغ الخبر إلى إيا في أبسو،
إن أبني، سين، في السماء، قد أظلم، بصورة مؤلمة. ”
أذعن نوسكو باحترام إلى أقوال سيده،
فذهب مسرعاً إلى أيا في أبسو
وللأمير، المستشار السامي، السيد نوديمود،

أعاد حرفياً كل ما قاله له سيده.
 وإذ سمع أيًا في أبسو هذه الأقوال،
 عضّ شفته وملاً فمه من الأسف.
 ثم دعا ابنه مردوخ وأطلعه على الأمر:
 ”أهذب، يا ابني مردوخ
 من أجل ابن الأمير، النير الإلهي، سين الذي أظلم في السماء بصورة مؤلمة،
 كي يعود ظلامه مشعاً في السموات،
 إنهم السبعة، الآلهة الأشرار، الذين ينطلقون كالطوفان ويعبرون فوق البلاد،
 هم يحتاجون البلاد، مثل عاصفة،
 فهاجموا النير الإلهي سين وأحاطوا به من كل صوب بوقاحة،
 وغرّروا من جهتهم بالبطل شمس وأدد الباسل“. (لابات 1988: 152 - 154).

”أوتوكو الأشرار“، الفصل 3

حينما أدنو من المريض، حينما أدخل إلى بيته وأضع يدي على رأسه، وأفحص أوردة جسمه
 وعضلاته، حينما ألفظ تعويذة ”أزيدو“، حينما أطلق التعويذة على المريض، ليكن من جانبي
 حارس خير. أناشدك بنخرسو، الإله الشرير، رابيزو الشرير. فلا يدن مني هؤلاء الأشرار، ولا
 يجتاحوا أمامي، ولا يذهبوا ورائي. لا يدخلوا بيتي، ولا يصعدوا إلى سقفي، ولا يدخلوا منزلي. (أيًا
 كنت) أناشدك بالسماء، أناشدك بالأرض.

إنهم رابيزو الأشرار. لقد خرجوا من عالم الجحيم. أنهم مرسلو إنليل، سيد البلدان: أوتوكو
 الشرير الذي، في الصحراء يقتل الإنسان المتمتع بصحة جيدة. ألو الشرير الذي يغطي مثل
 ثوب، أتيمو الشرير، جالوا الشرير اللذان يقيدان الجسد، لامشتو، لابازو، اللذان يجعلان الجسم
 متألماً، ليلو الذي يتجول في كل موضع من الصحراء، إنهم اقتربوا من الإنسان الذي أصبح لذلك
 مضطرباً. وضعوا في جسمه أزاكو المؤلم، إنهم في جسمه ماميت السيئة، وضعوا في جسمه دمًا
 فاسدًا، إنهم في جسمه المصير السيئ، إنهم في جسمه السم الرديء، إنهم في جسمه اللعنة
 السيئة، إنهم في جسمه الشر والخطيئة، إنهم عليه السم والعقاب، لقد وضعوا (عليه) الشؤم.
 أيها الرجل الشرير، العين الشريرة، الكلمة الرديئة، اللسان السيئ، السحر، الحيلة السحرية،
 الفتن، الحيل المؤذية، التي توجد في جسم المريض والتي تجعله يئن مثل جرة، أيها الحيل
 المؤذية التي تقيّد الفم، الحيل الرديئة التي تمنع اللسان، سيد الشر، الإله الشرير الذي، على
 الطريق الواسع، توجّه تواء نحو هذا الإنسان... أنا، رجل أيًا، أنا رجل دمكينا، أنا مرسل مردوخ.
 إنما لشفاء هذا الإنسان من مرضه قد أرسلني السيد الكبير. لقد وضع تعويذته المقدسة في
 تعويذتي، ووضع فمه المقدس في فمي، ووضع ريقه المقدس في ريقني، ووضع صلواته المقدسة
 في صلاتي. حتى إذا كان بوسع ما في جسم المريض أن يهدم المعابد، فهذه التعويذة. كلام أيًا،
 ليكن الأشرار منتزعين.

في يدي أحمل القرانية، السلاح السامي لأنو، فمي لحياتي وخالصي، أن يسير دوماً ورائي دوب -
 ساك - أونوك، المنادي الحرري لكولاب. (أنظروا) روحاً مؤتية تسير عن يميني وحارساً مؤتياً
 يسير عن يساري. نينانًا، الكاتبة السامية للجحيم، أمامي، تتلو التعويذة المقدسة. بنخرسو،
 ملك الأسلحة، كونوا مناشدين“. (لابات 1988: 155 - 156).

التنجيم والعرافة البابلية

التنبؤات البابلية تنقسم إلى قسمين هما:

1. التنبؤات العالية المستوى: وهي التنبؤات الخاصة بالملوك والموظفين الكبار في البلاط والتي تخص البلاد بعمامة، فهي، كما يعتقدون، تؤثر على مصائر البلاد. وكانت تتم عن طريق التنجيم أو تفسير الأحلام أو تفسير حركة الحيوانات والرياح والأشجار.

2. التنبؤات العادية للأفراد وهي أعمال روتينية يقوم بها العزافون للناس بعمامة كنوع من الحرفة الخاصة.

وفي كلتا الحالتين تكون التنبؤات عن طريقين أساسيين هما قراءة الكبد وقراءة الأفلاك أي (التنجيم).

يمكننا اقتباس بعض التنبؤات النموذجية الآتية:

” إذا كانت المدينة مبنية على تلة فإن ذلك لن يكون خيراً بالنسبة للقاطنين في تلك المدينة. ويتبع ذلك ما يلي:

إذا كانت البلدة مبنية في مكان منخفض من الأرض، فإن ذلك خير لقاطني تلك المدينة. وهناك تنبؤات أخرى تشمل:

إذا رؤي في البيت المالك القديم الميتم فإن ابنه سوف يموت.

إذا رؤيت في البيت السيدة المالكة القديمة للبيت فإن زوجها المالك الجديد للبيت سوف يموت.

إذا رؤي النمل الأسود في أسس البناء، فإن ذلك البيت سوف يتم بناؤه ولسوف يعيش صاحبه طويلاً. إذا رؤي النمل الأبيض فإن صاحب البيت سوف يموت.

إذا رؤي النمل الأحمر في البيت فإن مالك البيت سوف يموت في غير أوانه.

وكانت التنبؤات أحياناً تأتي من السلوك العرضي لبعض المخلوقات الأخرى.

إذا صادف أن عَضَّ ثعبان معتدٍ رجلاً، فإن أوقاتاً عصيبة سوف تصيب خصم ذلك الرجل.

إذا مرَّ ثعبان من يمين رجل إلى يساره، فإن هذا الرجل سوف يُصيبه حظ جيد ويصبح اسمه مشهوراً.

أما إذا مرَّ الثعبان من يسار الرجل إلى يمينه، فإن هذا الرجل سوف يصادف وقتاً عصيباً.

إذا ظهر ثعبان في مكان كان الرجل وزوجته يتكلمان فيه فإن الرجل وزوجته سوف يتطلقان.

إذا استمر الثعبان في الحركة داخل البيت فإن هذا البيت سوف يتهدم.

إذا قتل عقرب ثعباناً في بيت رجل فإن أبناء ذلك الرجل سوف يقتلونه وسوف يموت.

إذا قتل النمس ثعباناً في بيت أحدهم، فإن هذا يعني وصول الشعير والفضة إلى البيت.

إذا سقط ثعبان من السقف وأصاب رجلاً وامرأته فإن هذين الزوجين سوف يتطلقان.

إذا تحركت عقرب في فراش رجل، فإن هذا الرجل سوف يصبح غنياً.

إذا وقف عقرب على رأس رجل مريض فإن هذا الرجل سوف يشفى من المرض.

إذا صادف أن داس رجل على سحلية وقتلها فإن هذا الرجل سوف ينتصر على أعدائه.

إذا كثرت النمل على مدخل بيت كبير، فإن المدينة سوف تسقط.

إذا حدثت معركة بين النمل فإن جيشاً عظيماً سوف ينهزم.

إذا وُجد مَل ذو أجنحة سوداء في المدينة، فإن المطر والطفوفان سوف يسودان المدينة.

إذا وجد ثور وكان قرنه الأيسر بارزاً بشكل مستقيم وكان قرنه الأيمن متجهاً إلى اليمين، فإن المواشي سوف تكثر في ذلك البيت.

إذا انهمرت الدموع من عيني أحد الثيران فإن شراً عظيماً سوف يصيب مالك البيت.
إذا ركب حمار رجلاً فإن ذلك الرجل سوف يباع دفعاً لديونه.
إذا وجد حمار له رأسان، فإنه سوف يحصل تغيير في العرش.
إذا دخل حصان بيت رجل وعطس حمار أو رجل فإن مالك البيت سوف يموت وسوف تتناثر أمتعة البيت.
إذا صادف أن كان رجل نبيل راكباً عربة وسقط الرجل خلف العربة فإن الحكومة سوف تسأله حول ماضيه.
إذا ركض حصان ودخل منزل أحد النبلاء وكسر أحد الكراسي (البقية غير مفهومة)
إذا رأى رجل السحالي تتراوح وأمسك بها وقتل إحداها فإن الفضيحة سوف تصيب هذا الرجل وسوف يموت من الفضيحة.
إذا ظهر ثور أمام إحدى البوابات الكبيرة، فإن العدو سوف يخترق المدينة.
إذا صادف ثور بريّ قطيعاً من البقر وبدأ يركض مع البقر يوماً فإن هذا نذير خير أما إذا انفصل الثور عن القطيع وذهب بعيداً، فإن هذا لا يدل على الخير.
إذا ركض ثعلب في ساحة عامة فإن البلدة سوف تُدمر.
إذا صادف أن بدأت الخنازير تُصرُّ بأسنانها فإن المدينة سوف تتفرك شذر مذر.
إذا ولدت خنزيرة ثلاثة خنازير وكانت رؤوسهم بيضاء وأذنانهم سوداء فإن مفروشات ذلك البيت سوف تُرهن من أجل الحصول على الفضة.
إذا حدث وبال كلب أسود أمام رجل (الكلمات الباقية مفقودة).
إذا اضطجع الإله على فراش أحدهم فإن إله ذلك الرجل غضبان.
إذا بال كلب أبيض على رجل فإن هذا الرجل سوف يصادف أوقاتاً عصيبة.
إذا ركب كلب كلباً آخر فإن المرأة سوف تمارس السحاق.
إذا حدث الطوفان في شهر نيسان وبدأ النهر وكأنه مغطى بالدم فإن أمراضاً سوف تحدث في البلاد.
إذا كثر السمك في النهر، فإن هذا يعني العيش المريح لأهالي تلك المنطقة.
إذا وجد بئر مفتوح في مكان ما وكان ماؤه أصفر، فإن السمك والطيور سوف لا تضع البيوض في تلك البلاد.
إذا ظهر البيطومين في أحد الآبار فإن البلاد سوف تخرب.
إذا ظهر البترول في أحد الآبار فإن العدو سوف يقترب من تلك البلاد.
إذا أكل الصقر طيراً وهو على سطح بيت رجل فإن شخصاً ما سوف يموت". (ساغر 2008: 343 - 344).

نبذة عن الدين الآشوري واختلافه عن الدين البابلي

رغم التقارب الشديد في كل مكونات الدين البابلي والآشوري، لكن هناك صفات خاصة امتاز بها الدين الآشوري عن الدين البابلي على مدى تاريخه الممتد من حوالي 2000 ق.م. وحتى سقوط الدولة الآشورية في حدود 612 ق.م.

كان الإله القومي للآشوريين هو (آشور) الذي ولد من لخممو (وهو إله بدئي سبق أنو)، في حين ولد الإله البابلي مروخ من الإله (إيا) إله الأرض والماء والحكمة. وقد أخذ الإله آشور أغلب صفاته من الإله إنليل، فقد قام شمسي أدد الأول في مطلع القرن الثامن عشر قبل الميلاد بنقل

الفكر الدينيّ لمدينة (نيبور) التي كانت العاصمة الدينيّة لسومر وإلهها هو (إنليل)، ومع بداية السلالة السرجونية بدأ نقل صفات الإله مردوخ البابليّ للإله آشور. وهكذا أصبح هذا الإله حاملاً لصفات الإلهين القوميّين لسومر وبابل فضلاً عن حمله لرمزية القرص السماويّ للشمس الذي كان يتّصف به الإله شمش الأكدي، وهكذا بدا كما لو أنه يجمع كل إرث الآلهة القوميّة في بلاد الرافدين. كان الإله آشور مرتبطاً بالقرص السماويّ المجنّح والذي يظهر أحياناً في وسطه وهو يرشق السهام. وكانت زوجته هي الإلهة (عشتار) التي تظهر نزوعاً حربياً مقاتلاً أكثر من كونها إلهة خصبٍ وتكاثر. ونرى أن آشور هو الاسم الذكريّ لعشتار، حيث آشور وإشتار يتناظران في نطقهما ومعروف أن حرف التاء الموجود في عشتار هو للتأنيث. أعطى الآشوريّون دوراً مهماً للإله (نبو، نابو) إله العرافة والمعرفة والكتابة، وهو ابن آشور. وكذلك للإله أدد الذي كان إله الصواعق والبروق.



أدد الآشوريّ وهو يُمسك علامتيّ برق الصاعقة



الإله آشور يرشق بسهامه

أخذ الآشوريّون عقيدتهم في تكوين العالم والخليقة عن ملحمة الخليقة البابليّة، وأصبح الإله القوميّ "آشور" محل الإله القوميّ البابليّ "مردوخ"، لكن مضمون الملحمة بقي واحداً في أغلب مكوّناته.

كان المعبد يُسمّى (أشراً) وتعني (بيت الجميع)، والغريب أن المعبد الرئيسيّ والوحيد تقريباً لآشور ظل فريداً في المدينة التي تسمّت باسمه ولم يظهر في مدنٍ أخرى، أما الطقوس والشعائر الآشوريّة فكان يقوم بها الكهنة الآشوريّون الذين كانوا يتكوّنون من مراتب تشبه مراتب الكهنة البابليّين. وهو كهنة طقوسٍ وشعائر، في غالبيتهم، وكان فيهم، فضلاً عن ذلك، الرائي والمتنبئ والعراف والطبيب الخاص بطرد الأرواح الشريرة مثل (لابارتو) الذي يهاجم الأطفال والشياطين السبعة الذين يتسبّبون بالأمراض.

”هم سبعة! هم سبعة!
 في أعماق البحار هم، وعددهم سبعة
 ليسوا ذكوراً ولا إناثاً
 بل هم الريح الهائمة
 لا نسوة لهم ولا يلدون الأولاد
 ولا يعرفون للرحمة معنى ولا للشفقة
 كلا.. ولا يُصغون للصلوات والتوسّلات“.
 وقد صوّرت الكثير من الآلهة بصيغة ثيرانٍ مجنّحة مثل نرجال ونسروخ.



نسروخ الكائن الآشوريّ بهيئة الثور المجنّح



الإله نرجال بهيئة الثور الآشوريّ المجنّح

كذلك انتشرت التماثيل الضخمة لحماية المدن الآشوريّة والتي كانت تسمى الشيدو واللاماسو.



كائن لاماسو: حامي المدن الآشوريّة



كائن شيدو: حامي المدن الآشوريّة بصيغة الثور المجنّح

الفصل الثاني الدين الكنعاني (دين شام)



الإلهة عشيّرا والإله بعل

المبحث الأول: المعتقدات الدينيّة

أولاً: المعتقدات الألوهية

كانت الألوهية عند الكنعانيين تعني عبادة قوى الطبيعة المخصصة بشكل خاص. ورغم أن الكنعانيين وبعدهم الفينيقيون والبونيون عبدوا آلهة مختلفة إلا أن الإله إيل كان أكثر آلهتهم تقديساً، فقد كان "الشعب الكنعاني يؤمن بالآلهة إيماناً عميقاً كما يؤمن بإله أكبر، رب الأرباب يُدعى إيل.. إنه إله غير شخص خالق السماء والأرض وجميع البشر وهو بنوع خاص "إله الشعب المختار" (شعب إيل) أي (الكنعانيين) أو شعب السيد "ولفظة السيد هي لقب من ألقاب الإله ومثل هذا اللقب يشير بوضوح إلى فكرة التوحيد الآخذة في الرسوخ، إنهم يقولون (شعب إيل) أو (شعب السيد) ولا يقولون شعب الآلهة". (ميديكو: 1980: 180).

إن الآلهة الكنعانية القديمة جداً قد حذفت من البانثيون الكنعاني وحورت أساطيرها (كما كشفنا عن ذلك)، وذلك لاعتبارات دينية تتعلق ربما بمحاولة تكريس الإله إيل كإله أعظم وأقدم وقد كان يُسمى (أب الآلهة والبشر) وربما لأسباب لاهوتية كان يقوم بها الكهان المنحازون لهذا الإله أو لآخر، وربما تعمد أخبار اليهود القدامى تدمير كل ما يدل على الماضي الروحي الكنعاني في إشارات التوحيدية ليثبتوا أنهم أول من قاد ثورة التوحيد وخصوصاً خلال الإله إيل. ورغم ذلك فقد رأينا غزارة ووفرة البانثيون الكنعاني الذي نرى أنه أساس البانثيون الإغريقي ولا نؤمن بالفكرة التي تقول إن آلهة الإغريق هي آلهة آرية نزلت من عبادات الهند القديمة. فهذا رأي ضعيف ومرتبك أمام الأسانيد الجديدة.

كانت الآلهة الكنعانية تتضمن عقائد التوحيد والتفريد والتعددية في الوقت نفسه، فقد كنا نلمح التوحيد مع الإله إيل والتفريد (وهو رفع إله قومي على حساب الآلهة الآخرين مع الإله بعل والتعددية من خلال تنوع مراكز القوى الإلهية في شجرة الآلهة الكنعانية. ولا شك في أن الآراميين هم أكثر ميلاً إلى التوحيد من الكنعانيين ولذلك نرى أن اندماج الدين الآرامي مع الكنعاني في العصور المتأخرة أدى إلى ظهور ثالوث إلهي قوي مكوّن من (بعل هود واثرغاتس وسيميوس الذي كان بمثابة (الأب والأم والإبن) والذي شكّل الأرضية الأساسية التي قام عليها الأقباط المسيحي (الأب والإبن والروح القدس) حيث استبدلت الأم بالروح القدس وهو أقنوم توحيد في نهاية الأمر.

كانت عبادة إيل تميل إلى المثل العليا ذات الطابع السماوي، أما عبادة بعل فقد كانت تميل إلى الطابع الأرضي والحياة الحسية الدنيوية المرتبطة بالعنف والقوة والإباحية رغم أن (عناة) كانت تخفف منها بسبب ميلها إلى المثل العليا والحق والأمومة والزواج وغيرها.

كان الاتجاهان متعارضين ويصعب تصالهما "من هنا كان من الصعب جداً على الاتجاه الإيلي أن يتعايش مع الاتجاه البعلي - العشتاري الأقدم عهداً والأرسخ في التقاليد. وكان من المستحيل من جهة أخرى على بعل وعشتارت أن يتحوّلا مجرد وكيلين لخصب الطبيعة متنازلين تماماً عن مكانتهما السابقة التي تبوأها منذ عهد المستوطنات النيوليتية الأولى. وكان الصراع ينتهي لصالح إيل في فترات أخرى ومناطق أخرى. وبين الشدّ والجذب كانت تسود في بعض الأحيان تسوية دينية تجمع الإلهين في بانثيون واحد في حالة تعايش ووثام". (السواح: 1993: 473).

لقد انتقلت فكرة الشعب المختار من قبل إيل إلى الفينيقيين الذين هم الشعب المختار من

قبل أدون الذي هو مرة أخرى يعني السلام، أما اليهود وقبلهم العبرانيون فقد تأثروا بهذه الفكرة البسيطة التي تشير إلى حميمية كل شعب مع إلهه القومي وأصبحوا الشعب المختار من قبل يهوا: إله العبريين القومي، ولأنهم استخدموا يهوا في ما بعد كتعبير لاحق يدل على الله بصفة عامة لذلك سرقوا وشوهوا فكرة الشعب المختار من قبل الإله القومي المعين وأصبحوا يوهمون الناس (بعد أن ساد التوحيد في المسيحية والإسلام) أنهم شعب الله المختار، وهم ببساطة شعب إلههم القومي القديم يهوا. وهو إله عاصفة لا يختلف في صفاته عن بعل وحدد وإنليل وغيره من آلهة الطقس التي كوّنت بصورة عامة فكرة التفريد لا التوحيد. لقد خضع اللاهوت الكنعاني إلى تبدلات جوهرية منذ نشأته وصولاً إلى القرون الميلادية الأولى. فبعد أن كان لاهوتاً قديماً لا ينفصل عن اللاهوتين الآرامي والأموري، كان أول تحولاته من خلال سيادة اللاهوت الإيلي الذي استمرّ فترة طويلة حتى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد حيث بدأ اللاهوت البعل في أوغاريت ورأس شمرا هو الذي يظهر ثم يجتاح المدن الفينيقية ويسود فيها ومع رسوخ تقاليد اللاهوت الفينيقية شهد الدين الكنعاني تبديلاً عميقاً في عقائده فقد سادت عبادة الإله بعل وأشكاله وتراجعت في الوقت نفسه عبادة إيل واختفت عناية لتحل محلها عشتروت بسبب طغيان اللاهوت الأدوني.. وارتبطت عشتروت مع بعل لتمثيل صورة الطبيعة المتبدلة الخصوبة.

ثانياً: المؤسسة الدينية

1. المؤسسة الإلهية:

كان الكنعانيون على طول تاريخهم مؤسسة دينية متماسكة تبدأ من السماء حيث الآلهة ومجمعها ثم الأرض والأماكن المرتفعة كالجبال بشكل خاص والمعابد ثم الكهنة ورجال الدين الذين كانوا وسطاء بين الآلهة والناس. ورغم أن كل مدينة كنعانية أو فينيقية تتمتع بمؤسسة دينية مستقلة لكن هناك ما يجمع هذه المدن على جميع مستويات هذه المؤسسة من آلهة ومعابد وكهان.

كانت العلاقة بين السماء والأرض تتجسد بشكل خاص، في العبادة الكنعانية، من خلال مظاهر الطبيعة كالأمطار والعواصف والبرق والرعود والخصوبة والجفاف. وكانت هذه المظاهر تنعكس على العلاقة بين مستويات المؤسسة الدينية.

لقد لعبت دورات الخصب والجفاف السبعية دوراً مهماً في تحديد هذه العلاقة وتحويرها بما يتناسب مع إيقاع الطبيعة وكانت الآلهة تتمظهر وفق هذه الإيقاعات.

1. الآلهة: حذف اللاهوتيون القدامى، لأسباب سياسية ودينية، الآلهة القديمة ثم جعلوا من بعضها تابعة للإله إيل أو بعل. ومنذ ظهور الإله إيل بدأت شجرة الآلهة الكنعانية بالظهور قوية وتحاول أن تغطي جبل هذا الإله المرتمي في أحضان الطبيعة الرطبة. أما جبل الإله بعل فجبل تتصارع فيه قوى الخصوبة والجفاف.

كان الإله يعبر عن الطبيعة، وكان الإله الذكر هو هذه الطبيعة أما الإلهة الأنثى فلم تكن سوى إعلان لقوة الإله الذكر تظهر خواصه وتقابله، كما أن البعل كان الإله العظيم وكذلك كانت عشتروت الإلهة الكبرى كانت البعلة تمثل القمر، ولبعل السماييم إلهة توازيه يدعونها (ملك السماييم). ومن الأزواج المذكورة في الكتابات الفينيقية بعل صيدون وعشتروت في صيدا، وتموز وبعلة جبل في جبيل. (أنظر اليسوعي: 1982: 45).

وكانت الآلهة تظهر أحياناً كالثوث في مرتبة عليا يسير على بقية الآلهة مثل ثالوث صيدون (البعل وعشتاروت وأشمون) وثالوث جبيل (إيل وتموز وبعلة) وثالوث صور (البعل وعشتاروت)

وملكارت) وغيرها. أو أن هناك ثالوث بنات بعل (أرصاي، بدراي، طلاي) أو الآلهة السبعة من معاشره إيل وبعليتس هكذا.

كذلك ظهرت آلهة مزدوجة مثل (شهار وشاليم) (نجمة الصباح والمساء) وريح ونيكال إله القمر، وبعل وعناة وأدونيس وعشترت وغيرها. وكانت الآلهة تهيبط من السماء وتحل في الأحجار والتمائيل المخصصة لها أو في الجبال المسماة باسمها مثل جبل حرمون وجبل صنون... إلخ وربما كان لها مقار مائية مثل منبع النهرين ومغارة أفقا وغيرها. وكان الإله بمثابة الأب بالنسبة للملك، وتحولت أسماء الآلهة إلى ألقاب كبيرة مثل (إيلي - إلهي) (بعلي - سيدي) (أدوناي - سيدي).

2. المؤسسة الكهنوتية:

كان رجال الدين الكنعانيون يتمتعون بمركز اجتماعي رفيع وكانوا يقومون بإدارة الشؤون الدينية في البلاد، أي في كل مدينة كنعانية مستقلة، ولا شك في أنهم كانوا ينتظمون في مراتب ودرجات، وكان الكاهن الأكبر عادة هو كاهن إله تلك المدينة وهو الذي يعين الملك. وتخبرنا آثار أوغاريت أن الكاهن الأكبر في عهد الملك الأكبر (ربما كان إيمالك) كان (إيلي ملكو) الذي قام بكتابة ملحمة اللالئ حول هذا الملك وقد اعتبره مجرمًا في حق شعبه وخارجًا على قانون الإله (إيل) وأنه باع نفسه لبعل زعيم الأبالسة ولذلك استحق الموت رجماً وستذهب روحه إلى جهنم، حيث تعيش في الظلام بجوار حارس الأموات ودليل المتوفين، وهكذا انتهت مأساة هذا الملك الذي أراد (نقمد) خلفه كتابتها لتلقى دروساً إلى أبناء عائلته عبرة وعظة. (أنظر ميديكو: 1980: 11).

وكان الملك المستبد يقوم أحياناً بالاستيلاء على وظيفة الكاهن الأكبر، فالملك الأكبر كان يقوم بأعمال الكاهن الأكبر إيلي ملكو ولكنه في حقيقة الأمر كان يستغل منصبه ليصلي إلى آلهة كاذبة وليسرف في استعمال (كأس الألوهية) وجمع الذهب وغيرها.

وعند البونيين كان الكاهن يعرف باسم (كوهن) وكان الكاهن ينتمي إلى واحدة من المراتب مثل (أمير كهنة، كاهن من المرتبة الثانية، زوج عشتارت... إلخ).

وكانت الكهانة عند البونيين وراثية وكانت لها سلطة قوية، ولكنها محصورة في المجال الديني وليس السياسي. كان الكاهن البوني يلبس ثوب كتان شفاف وطويل يمتد من كتفه الأيسر شريط مستقيم ويربط الكاهن شعره برباط من المعدن النفيس، وأحياناً يغطي رأسه بقبعة عالية تشبه الطربوش. (أنظر ميادان: 1981: 99).

والكاهنات في قرطاج يغطين رأسهن بوشاح ويرتدين ملابس طويلة. وكان هناك من يتبع الكهنة والكاهنات مثل الحلاقين والموسيقيين وحملة المصابيح والمشاعل وغيرهم.

3. المعابد والمباني الدينية:

تركزت أماكن العبادة الكنعانية القديمة في نوعين من الأماكن هي: هياكل العراء، والأماكن المرتفعة (المعلبات). ثم صارت المعابد والساحات وبعض الجبال وربما ساحات القصور أماكن للعبادة. وكانت لفظة قادش Qadesh تعني (مكان مقدس). أما لفظة بهل Phil فكانت تعني مكاناً مرتفعاً وربما عنت التماثيل الفضية للآلهة التي كانت تقام لها طقوس التبخير (بهلو Pihilu).

وكانت المعابد الكنعانية تتعدّد وتتنوّع، خصوصاً تلك التي كانت للإله (بعل)، حيث يعتبر في البداية مسكناً له ولقواه ولكن هذه القوى سرعان ما تنفصل عن بعضها ويصبح بعل ظاهراً في أشكال عدّة حسب المدينة أو الظاهرة.

كان المعبد في بدايته الأولى في العراء تمثله حجرة منتصبة مشحونة بالقداسة تدلّ على الإله وخصوصاً إيل. وتمثل هذه في رأينا امتداداً للعبادة الميغاليّية التي ظهرت مبكرة في بلاد الشام منذ النيوكش في الألف السابع قبل الميلاد. ثم تطوّر المعبد إلى حجارة الأماكن المرتفعة، ثم وضعت الحجارة في غرفة مربعة. وكان لهذه الغرفة المربعة (المكعبة) باب واحد فقط. ثم تطوّر بناء هذا الصرح أو المقصورة أو الغرفة المكعبة إلى بناء بغرف عدّة وأصبح المذبح في وسط القاعة الكبيرة وعلى هذا المذبح يتم تقديم القرابين للآلهة.

”ولم يكن بناء المعابد لعبادة الإله (بل) لحبس قواه بين أربعة جدران وسقف لقد ساد الاعتقاد بضرورة بناء معبد باسم الإله بعل من أجل ضبط تصرفاته وحبس قواه أكثر مما هو من أجل عبادته، فكانوا يعتقدون بإمكانية وقف المصائب عندما يكون بالإمكان حصرها في مكان معين“. (مديكو: 1980: 38).

بيت إيل: وهو أبسط أنواع المعابد التي تنحدر منذ الماضي البعيد لأرض الشام، فهي عبارة عن نُصَب أو حجارة منحوتة منتصبة في العراء كان يرى فيها المتعبّدون مكاناً حلّت فيه الذات الإلهية ”وأكثر ما كانوا يختارون لعبادتهم حجارة الرجوم ولا سيما تلك التي رأوها ساقطة من الهواء على شكل شهب نارية فيجدونها لذلك هبة سماوية، وإذا كانت هذه الرجوم مركبة من مواد بركانية ذات لون أسود وتوفر عددها في لبنان فلذلك شاعت عبادتها في أنحاءه، ومما كان يزيد في اعتبارها عند القوم أن يروها على شكل مخروط لما يجدون في هذا الشكل من الرموز الدنيّة“. (السوعي: 1982: 44).

وربما كان إيل يعبد أيضاً على (جبل إيل) الذي يُعتقد أنه جبل حرمون. **أشيروث Asheroth**: وهي النصب المقدّسة (السواري) فوق المرتفعات والتي كانت بمثابة المعابد الأولى القديمة للإلهة الأنثى (عشيرا)، وكانت الأماكن العالية توصف دائماً بـ(العارية) وتقع عادة في أعلى التلال القاحلة، وكان أبناء عشيرا يعبدون في الساحات. وكانت أماكن عبادة عشيرا بشكل عام تسمّى (الأوقاف المقدّسة).

بيت اللعنات: وهو مكان مضاد للعبادة، مضاد للمعبد حيث يتم فيه التجديف على الآلهة أو القيام بأعمال مخالفة لطقوس (إيل) و(عشيرا) وقد ورد ذكر هذا البيت كثيراً في ملحمة الملك الكبير. وربما تحول بيت اللعنات إلى مكان لعبادة إلهة مضادة للآلهة السائدة، مثل عبادة بعل في مقابل عبادة إيل.

الهيكل: وهي أبنية متطورة قياساً إلى هياكل العراء. وبعضها له واجهة من الأعمدة ويصعد إليها بدرج وتحتوي في مكان بارز على تمثال الإله المعبود كما هو واضح في هيكل مدينة جبيل بيلوس المنقوش على قطعة نقدية تعود إلى القرن الثالث الميلاديّ.

هيكل فقرا: وهو هيكل عظيم يقع في قلعة فقرا في لبنان، يتكوّن من صخرة جعلت أساس الهيكل وأبعادها 34 × 14 م. وفيها بقايا أعمدة وأركان منحوتة في قلب الصخر، وأمام الهيكل ساحة رحبة الجوانب (30 × 38 م. يطلّ على قسم منها الصخر المنتصب فوقها عمودياً. ويبدو هذا الهيكل المبني على قمة جبل بشكل مهيب جداً.

وفي شمال الهيكل برج عظيم مربع الشكل كان ينتهي سابقاً ببناء مخروطي وهناك قرب الهيكل بناءان أحدهما مربع والآخر مستطيل.

هيكل أفقا: ويقع عند رأس نهر إبراهيم، ويعتقد أن هذا الهيكل مبني لإكرام (زهرة أفقا) التي هي عشتروت، حيث يحج إليها الناس قديماً من كل بلاد الشام. وما يميّز هذا الهيكل عن هيكل فقرا أنه بني على ركائز متدرجة. ويبدو أنه كان هيكلًا لممارسة طقوس من الجنس

المقدّس.

وقد هدم الهيكل مرتين إحداهما في عهد قسطنطين الكبير والأخرى في عهد ثاودسيوس الكبير. وكان قبلهما مكاناً لممارسة الشعائر السنوية الفينيقية.

4. علاقة المؤسسة الدينية بالمؤسسة السياسيّة: لم تكن علاقة الإله بالإنسان علاقة المطلق البعيد بالكائن الضئيل، بل كانت علاقة متداخلة. فقد عرفنا أن الإنسان نشأ مع الجيل الأول من الآلهة بعد خلق الأرض والسماء. بل وعرفنا أيضاً أن أسماء الآلهة الأولى هي التي شكلت أسطورة الإنسان الأول وأبناءه (آدم، حواء، قابيل، هابيل، شيت... إلخ) وهو ما انتحله كتاب سفر التكوين في العهد القديم.

وكان الملك يحظى أحياناً بتعبير (ابن إيل مثل الملك الأكبر و(ابن داجون مثل ملك دمشق. وكانت كلمة إيل مقدّسة لا تتزعزع ومثبتة الحكم القضائي حتى أن إيل إذا ما نطق بخبر سيئ فلا يُحى إلا بطقس تطهيري.

الإله يقود الإنسان ويشير إليه بيده نحو ما يجب عمله والإله يُمسك الموت بيديه، كما يُمسك الدواء الشافي بأصابعه.

كانت أعضاء الجسد البشريّ كلها معرّضة للدمار، وكانت الأحشاء الداخلية والأمعاء هي مركز الحياة العاطفية ولذلك تخرج الشكاوى من الأحشاء وكانت الصلوات درع الأحشاء تقيها من المرض. وكان الدم هو جوهر الإنسان ودلالة حياته ولا مكان للروح بل هي تحتوي الإنسان.

المبحث الثاني الأساطير والمثولوجيا الكنعانية

أولاً: شجرة الآلهة الكنعانية

تتكوّن شجرة الآلهة الكنعانية الشاميّة من مجاميع على شكل أجيال متسلسلةٍ نسبياً، سنبدأ باستعراضها العام مبتدئين بالآلهة الأقدم:

1 - **الآلهة القديمة:** وهي الآلهة الأولى التي يُفترض أن تكون آلهة الهيولى القديمة التي ظهر منها الكون وآلهة الخلق لاحقاً. ولم نجد في أي مرجع أو مصدر ذكراً لهذه الآلهة، ولذلك قمنا باستنتاج هويتها واسمائها من خلال قراءة خاصة. وتتكوّن هذه الآلهة من ستة آلهة هي يمو (يم) إلهة/ إله المياه الأولى الهيولية، و(شتمم) المحيطان السماوي والأرضي، والإله شم (محيط السماء) الذي ظهر منه إله السماء (شاميم) والآلهة (إديم) أو (أرسو) إلهة الأرض.

2 - **جيل الإله إيل:** حيث تلد السماء والأرض (شاميم وأدمة) الإلهة الخالق إيل ومعه ثلاثة أخوة ذكور هم (بيتيل، داجون، أطلس) وثلاث أخوات إناث (عشيرة، عشتارة، رحيا) وبشكل إيل لاحقاً الإله الأب وعشيرة الإلهة الأم. رغم أن إيل يتصل بإنث هذا الجيل كلهن ومعهن حورية اسمها أنوبرت يظهر منهما سلالة من الآلهة.

3 - **جيل الإله بعل:** ويمثل الإله بعل لابن الوارث لإيل، حيث الآلهة الأب (إيل) والآلهة الأم (عشيرة) جيلاً كاملاً من الآلهة هم بعل وإخوته، ويعكس الذكور منهم صفات الإله بعل رغم أن لكل واحد منهم شخصية مستقلة وهم (أدون، حرون، إشمون شدرافا، شاليم، شهار) ويتزوج الإله بعل أخته (عناة) التي لها وجهان هما الحب والحرب. وهناك أخوات عناة اللائي يعكسن صفات عناة مثل (عستارت، إيلات، قادش، فرسفونه، أثينا، سديد).

4 - **أبناء وأشكال بعل:** وهم عددٌ هائل من البعول الذكور والبعلات الإناث وكلهم يعكسون وظائف بعل الذي أصبح هو المسيطر على فعاليات الأرض بل والكون بعد أن تعالي إيل وأصبح شيخاً منعزلاً.

ورغم أن بعض الأساطير أو الأخبار الواردة في الكتب الهيلنستية والرومانية والمسيحية تعطي أنساباً أخرى لبعض أبناء بعل، لكننا وجدنا الكثير من عدم الدقة فيها. ولذلك وضعنا في ست صيغ لا تشكل بالضرورة علاقة أبوة وبنوة بين بعل والآلهة الذين معه، وهي:

أ - الآلهة الذكور الذين نرى أن أغلبهم كانوا لبعل من عناة، ولكننا نرى في الوقت نفسه، أن بعضهم أقحم لاحقاً مثل الإله يم وآلهة الكواكب.

ب - الإلهات من نسل بعل واللائي يحملن الملاحظة السابقة نفسها.

ج - بعول الصفات والمظاهر الحضارية.

د - بعول المدن حيث البعل يحل في هذه المدن فترتبط باسمه وليسوا أبناءً له.

هـ - الإله بعل حدد، الذي هو البعل ذاته في صيغته الآرامية بشكل خاص. والذي اتخذ له زوجة أخرى هي (أترغاتس) وشكلا مع ابنه سميون ثالوثاً تطوّر شيئاً فشيئاً حتى صار ثالوثاً كوكبياً يمثل الشمس والقمر وعطارد.

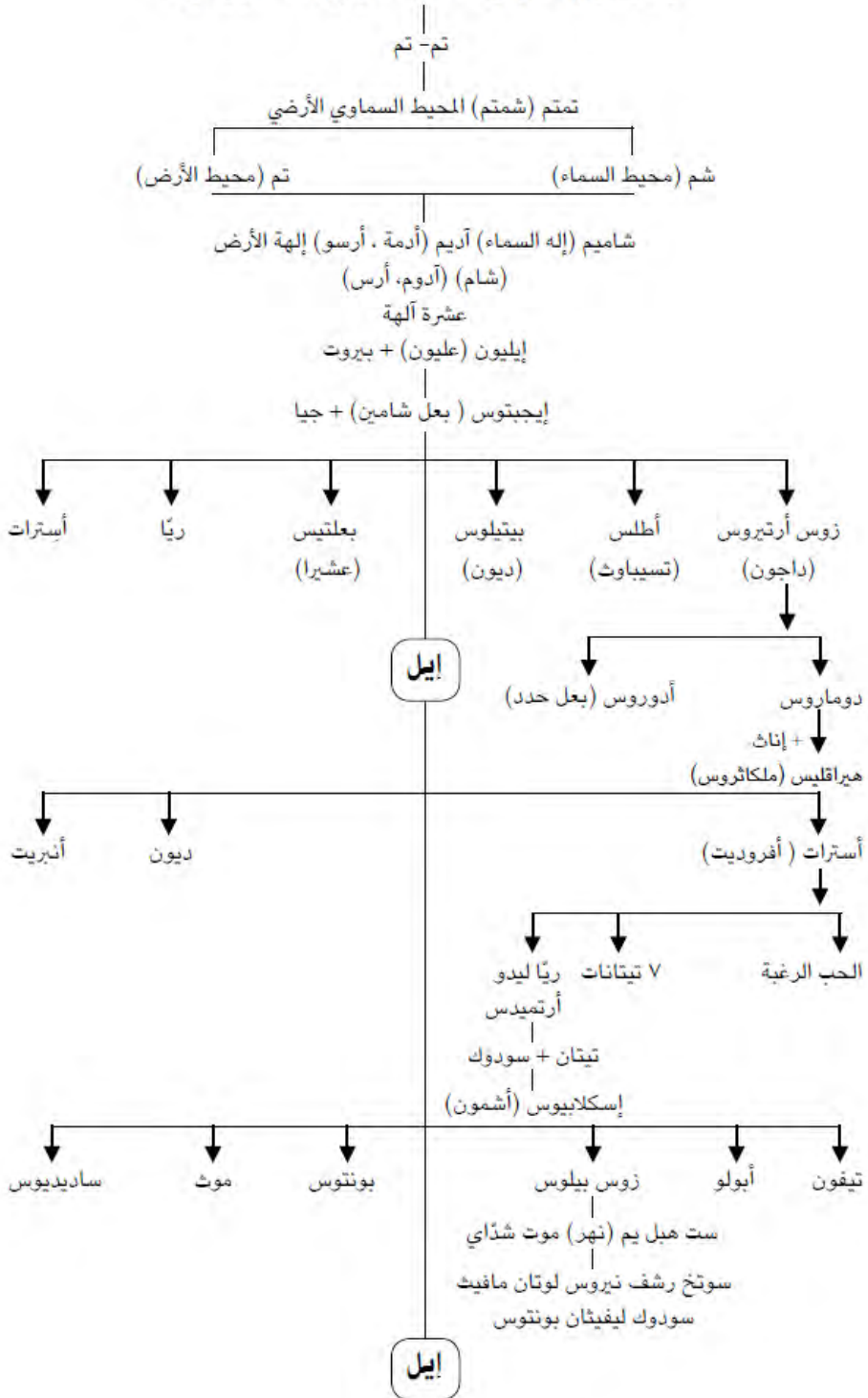
و - صور البعل أو بعل حداد (كإله للعاصفة والهواء والبرق والرعد) أي كإله طقس بشكل عام والذي تمثل في بقاع عدّة من الشام بصور عدة هي (رمان، ميكال، يهوا، ملكوم، كموش، قدس، هبل) وهي صور تعبير عن الخصوصية المحلية للأقوام الكنعانية الآرامية داخل أرض الشام،

والتي ظهرت بعد العصر الحديديّ بشكل خاص أي تقريباً بعد 1200 ق.م.
ز - صورة البعل العبرية في يهوا وعلاقته بأسيرا واسم أدون وغيرها من الأسماء العبرية المرتبطة
بالآلهة الشامية الكنعانية.

وفي تقسيمنا هذا للبعول حاولنا، قدر ما استطعنا، أن نكون دقيقين في حصر مجاميع البعول
في أطر متميزة. فقد كان ظهور بعل وانتصاره وتحوّله إلى إله قومي كنعانيّ، وانحسار الإله
إيل شيئاً فشيئاً وعزله مدعاة لتحويل كل الآلهة ومظاهر الحياة إلى شكل من أشكال البعل
ونشاطاته وتضجّ المراجع العبرية والأجنبية بعمليات الخلط والإبدال والإحلال، وخصوصاً في ما
يخص البعل، ولذلك نرى محاولتنا هذه في تصنيف البعول أقرب إلى الصواب، لكننا لا نعمّم
ذلك بصورة مطلقة.

تحتوي شجرة الأنساب التي وضعناها حوالي (112) إلهاً أساسياً في الديانة الكنعانية (الشامية)،
وربما احتاجت إلى آلهة أخرى صغيرة ونادرة، ولكننا لن نخرج عن السياق العام الذي وضعت
فيه مراتب وأجيال هذه الآلهة. وسنلاحظ أن ثلاث مراحل كبرى تنتظم في هذه الشجرة وهي
مرحلة الآلهة القديمة، مرحلة إيل، مرحلة بعل. وهو ما نلاحظه في أغلب شجرات أنساب
الآلهة في الشرق الأدنى والعالم القديم بصفة عامة. وتمتاز شجرة أنساب الآلهة الكنعانية بصلة
قوية جداً مع شجرتي بلغة محلية شامية لهاتين الشجرتين.. ولا بدّ من الإشارة إلى اختفاء التأثير
المصريّ، رغم أننا نرى أن شجرة الآلهة اليونانية ظهرت من رحم شجرة الآلهة الكنعانية في
أوقات مبكرة.

يمّو (يم) الإلهة الأم الأولى (الكاؤوس)



ثانياً: أساطير الخليقة (التكوين)

تعتبر الأساطير الكنعانية نموذجاً لمتولوجيا الصراع بين الخصب والجذب فهي تدور في أغلب مواضيعها حول هذه الثيمة. وكان الكنعانيون يحرصون على وفرة المطر في الشتاء والندى في الصيف وكان أكثر ما يخشونه هو الشتاء عدم المطر والصيف عديم الندى وهبوب الجراد. ولذلك ظهر ذلك في أساطيرهم. ولكن طبيعة كنعان كانت تمتاز بميزة خاصة وهو تعاقب سبع سنوات من المطر والندى والخصوبة بعد سبع سنوات من انحباس المطر والندى واليباب. وهكذا ظهر إيقاع الطبيعة هذا واضحاً في أساطيرهم. وسنرى أن الأساطير الكنعانية تهمل كثيراً الكواكب ولا تتعامل مع مظاهرها إلا بما ينفع الخصب والجذب على عكس الأساطير الأوروبية ذات الطابع الكواكبي والأساطير الآرامية المهتمة بجدل النور والظلام.

إن هذه الصفات شكلت بإجمالها أساطير بلاد الشام منذ القدم قياساً لطبيعتها المتنوعة ومشارب أقوامها النازحين من طبيعة مختلفة وبيئات متفاوتة. رغم عدم وجود أسطورة خليقة كنعانية خاصة في ألواح أوغاريت إلا أننا نرى أن هذه الأسطورة موجودة في القسم الأول المحذوف من أسطورة صراع بعل ويم وستثبت ذلك. لكننا قبل الدخول في هذا الأمر لا بدّ من القول إن الرواية الأسطورية التي وردت على لسان سنخونيت ثم فيلون الجبيلي حول بداية الخليقة يمكن أن تكون مرشداً لنا في استنتاج المحذوف من أسطورة صراع بعل ويم والخاص بالخليقة الكنعانية، رغم أن هذه الرواية الأسطورية تحمل مؤثرات هيلنستية واضحة.

ما هو المحذوف عمداً من أسطورة بعل ويم؟

كنا قد توصلنا إلى وضع نسب الآلهة القديمة الكنعانية، تلك التي بدأت الخليقة، وقد وضعنا فرضية تقول إن الإله (يم) كان الإلهة الأم الكنعانية الأولى التي أطيح بها من قبل الإله (بعل) فتحولت تدريجياً إلى إله ذكر هامشي لا قيمة له.

ونرى أن أسطورة صراع (بعل ويم) هي الأسطورة التي يمكن أن تمنحنا أسطورة الخليقة الكنعانية، ولكن كيف يحصل ذلك وهذه الأسطورة تبدأ بداية أخرى لا علاقة لها بما نريد؟ إن مفتاح الحل هو في قناعتنا الراسخة بأن هذه الأسطورة التي تبدأ بصراع بعل ويم تشبه أسطورة صراع مردوخ وتيامت (خصوصاً أن مردوخ يطلق عليه اسم بيل أو بعل)، ولذلك نرى أن هذه الأسطورة ما هي إلا أسطورة الخليقة الكنعانية وقد أعيدت صياغتها وأن إعادة الصياغة هذه تمت من خلال حذف الجزء الأول الخاص بالخليقة الكنعانية حيث خلق الكون والآلهة حتى وصولنا إلى بداية الصراع بين (بعل/ مردوخ، ويم/ تيامت).

كما أن إعادة الصياغة شملت أيضاً تغيير شخصية (يم) الذي تحول إلى ذكر مناوئ، للإله بعل في حين أنه إلهة أنثى هي الإلهة الأم الكنعانية الأولى وهي (يموه). وهكذا يكون من الطبيعيّ تتبع سياقات اسطورة الخليقة البابلية في أطرها العامة لاستنتاج كيفية خلق الكون عند الكنعانيين.

1. ثيوغونيا (خلق الآلهة)

1. بدأت الخليقة من ظهور المياه الهولبية الأولى (يمو) وهي مياه البحر الأول الساكن الذي يبدو أنه تحرك إما بفعل ازدواج عنصري الأنوثة والذكورة فيه (يمو ويم)، أو أن ريحاً هبّت على هذه المياه من داخلها.

ولكي نثبت وجود هذه الرياح أو الروح أو الهواء نقول: إن الإلهة الأم الكنعانية ترتبط بشكل

حميم مع الإلهة الأم الأموريّة والآراميّة وهي الريح (إم)، وهو ما يفسّر الأصل الواحد للكنعانيّين والأموريّين.

وهكذا يمكن أن تكون الإلهة الأم الكبرى للأموريين والكنعانيّين هي (م) التي تكون (إم) الريح عند الأموريّين و(يم) عند الكنعانيّين وهكذا اجتمعت منذ البداية قوتا الهواء والماء في الإلهة الأم الكبرى.

لقد تحدثنا بتوسع عن الإلهة (إم) في كتابينا عن الدّين الأموريّ والآراميّ، ولاستكمال صورة الخليقة القديمة نفضل العودة إليهما.

إن الهواء والماء هما أهم عناصر الآلهة الكنعانيّة اللاحقة لأنهما يجسدان المطر الذي يتجلى أولاً في (إيل) ثم ابنه (بعل). ولذلك لا بد أن يظهر منذ بداية أسطورة الخليقة الكنعانيّة ما يشير إليهما.

وإذا عدنا إلى أسطورة (صورة البهية) الواردة على لسان فيلون الجبيلي فسنرى أن الخليقة الكنعانيّة تبدأ من تصور وجود هواء يتعاقب مع فضاء، ثم يبدأ هذا الهواء بالتكاثف فينتج عنه عاملان هما الريح والشهوة.

ومن تزواج الريح والشهوة يظهر (موت) على شكل بيضة ثم تلقح الريح البيضة وتبعث فيها الحياة ثم تفقس البيضة وتخرج منها الكواكب والنجوم والشمس والقمر وبفعل ظهور النور تنفصل المياه واليابسة عن السماء.

ونلاحظ أن هذه الموتيقة الأسطوريّة الكونيّة متأثرة بالخليقة المصريّة حيث تذكر بعض أساطير الخليقة المصريّة أن الإله (بتاح) خلق الكون على شكل بيضة ثم فقس فتخرج منها الكون وهي كذلك متأثرة بأسطورة الخليقة الإغريقيّة التي ترى أنه لم يكن يوجد شيء سوى (خاؤوس) وهو العنصر الذكريّ الذي يمثل الخواء في الأسفل وهو يحتضن (نوكوس) العنصر الأنثويّ الذي يمثل الظلمة في الأعلى وأنهما عن طريق الحب (أيروس) أنتجا (أثير)، وهو قبة الفضاء و(تيرا) أي: الأرض الأولى. وهناك رواية أخرى تقول إنهما عن طريق الرغبة (باتوس) أنتجا (أورانوس)، وهو إله السماء و(حيا)، وهي إلهة الأرض. (أنظر غريمال 23: 1982).

ويتضح من هذه الروايات الهيلنستيّة خلط التراث الكنعانيّ بالتراثين المصريّ والإغريقيّ لذلك تفضل العودة إلى الرواية التي افترضناها حول (يم) و(إم) عنصري (الماء) و(الهواء)، حيث حرك الهواء الماء، لأنه عنصر الروح والريح. ونتجت عن ذلك كثافة في الماء كونت في ما بعد الكون البدائيّ.

وإذا كنا نفتقد لظهور صورة أو رسم لهذه الآلهة الهيولية عند الكنعانيّين فإننا نجدها عند السومريّين، فقد استنتجنا أن الإلهة (إم دوكد) هي الإلهة الأم القديمة للريح وهي التي تعبّر عن الإلهة (إم) التي كانت موجودة في بدء الخليقة مع الإلهة (يم) والتي تعبّر عنها المنحوتات والرسوم السومريّة.

2. بعد أن ظهر الكون الأول الذي نرى أن اسمه يمكن أن يكون (ير - مر) أو (مر - ير) وهو الاسم القديم الصحيح الذي يعني (السماء - الأرض)، ولكن هذا الاسم تحوّل (وفق اللغة الكنعانيّة وانفصالها عن اللغات التي كانت من ضمنها) إلى اسم مرادف لها هو (ثم - تم) أو (شم - تم) حيث (شم) تعني السماء و(تم) تعني الأرض.

ويرد اسم (Thmtm) ليدل على المحيط المزدوج السماويّ والأرضيّ في الكتابات الأوغاريتية القديمة (أنظر شفيمان: 1995: 75).

يشبه هذا الكون الأول الكنعانيّ ما يرد عند السومريّين (آن - كي) الذي يخرج من المياه الأولى

(تمو)، كذلك يشبه ما يرد عن البابليين (لخمو ولخامو) و(انشار وكيشار) وهما الطمي الأول والأفق الأول لذلك الكون البدائي منقسم إلى ذكر وأنثى في حالة اتصال وانفصال.

3. ينفصل الكون البدائي (شتمتم) إلى عنصرين الأول سماوي أو يمثل قبة السماء (شم) والثاني ارضي يمثل هاوية أو محيط الأرض (تم) أو (دم) ونرى في الاسمين ما يقترب من المساء (شماء) والأرض (أدمة).

4. يظهر من (شم) الإله (شميم) أو (شامّيما) وهو إله السماء الذي عبرت عنه المثلولوجيا الكنعانية باسم (بعل شماين) أو (بعل شمين) إله السماء واعتبرته أقدم الآلهة، ولكننا حفاظاً على السياق نفضل تسميته (شميم).

ويظهر من (تم) الإلهة (أديم) أو (أدمة) إلهة الأرض التي عبرت عنها المثلولوجيا الكنعانية باسم (أرسو)، أي الأرض وهي إلهة قديمة جداً تعبر عن الأرض الأم الأولى.

ويبدو أن الإله شميم كان منتشرًا بشكل واسع جداً في فينيقيا كلها وفي قبرص وسردينيا وتدمر ويذكر أسحق الانطاكي من القرن الخامس الميلادي أن عبادة بعل شميم كانت منتشرة في إديسا، ويعني الاسم سيد السماء، ولذا من المفترض أن يكون واحداً من الآلهة السماوية، وكان فيلون الجبيلي يضع اسمه إلى جانب اسم (زيوس) على رأس قائمة الآلهة، وليس لدينا ما يثبت أنه كان إله طقس أو إله شمس وعلى كل حال لم تزل شخصيته مجهولة ومجال عمله غير معروف، ولكن نفترض أن يكون مساوياً لإله السماء (أنو/أورانوس). (أزارد 1987: 203).

أما الإلهة (أرسو) فيظهر اسمها كإبنة للإله بعل بصيغة (أرصو) أو (أرصاي مع اختيها (بدراي = البدر) و(طلاي = الندى) ويظهر اسمها مرتبباً بلقبها (بت يعبود دار) الذي يعني (بنت العالم الواسع) (أنظر أزارد 1987: 170).

وهذا إلحاق متأخر للإلهة أرسو بعل التي ستستولي على كل المقاليد.

5. تذكر الأساطير الفينيقية أن هناك أخاً للإله (شميم) هو الإله (عوص) أو (عوش) أو (أوسوس)، وهو الإله الذي بنى مدينة (صور).

يذكر المؤرخ الفينيقي (سانخونيتن) قصة خلق الإنسان التي سنذكرها في موقعها ثم يصل إلى أن جيلاً من العمالقة (وهم أنصاف آلهة وأنصاف بشر) ظهر من اتحاد النور مع النار وتكون اللهب. أي أن هذا اللهب هو الذي أخرج ستة من العماليق اخترع كل منهم شيئاً ينفع العالم أي كل ما تحتاجه البشرية لرفاهيتها. وهؤلاء العماليق هم (أنظر بنت بطوطه ب. ت.: 203 - 201):

1. العملاق الأول: اخترع الصيد والقتل.

2. العملاق الثاني: اخترع فن تشغيل المعادن.

3. العملاق الثالث: اخترع الزراعة.

4. العملاق الرابع: اخترع صناعة الطوب.

5. العملاق الخامس: أقام العدل.

6. العملاق السادس اخترع فن الملاحة وكان اسمه أوسوس (Ousoos)، وهو الذي بدأ بمغامرة السفر في البحار فوق جذع شجرة حيث قادته إلى شواطئ سورية، وعلى البحر أقام عمودين أحدهما تكريماً للريح والثاني تكريماً للنار وبنى مدينة صور ووضع نظام العبادة.

أن (أوسوس) أو (أوس) هذا هو ذاته الإله (عوص) الذي تصفه الأساطير الشعبية على أنه كان صياداً في بداية حياته وعادياً، لكنه اهتدى إلى لبس الثياب من جلود الحيوانات التي كان يصطادها وأنه بنى هيكلين لإلهتي النار والريح.

وتخلط هذه الأساطير بين كونه إنساناً أو إلهاً. لكنها تضعه مع أخيه (شميم) في مستوى واحد ويبدو أن عداوة أو تنازعاً ما قد جرى بين الأخوين (أنظر عبد الحكيم 1982: 498). فإذا أردنا تحليل ذلك وفق منظور علمي فإننا نقول: إن الإله (عوص) هو نفسه ذلك الإله الذي ظل وما زال غامضاً في المثلولوجيا الفينيقية والبربرية والليبية وهو الإله (أش) وهو إله النار وكي ندلل على ذلك نقول إنه خرج من (النور والنار)، أي من (اللهب) ثم أنه أقام هيكلين أو معبدتين للنار والريح وهو ما يجعل النار دائماً الاستعار ثم أن هناك تقارباً بين (أوس) و(أش) ولذلك نرى أن هذا الإله إنما يمثل كتلة اللهب السماوية التي كانت في السماء (شاميم). أما عن الملاحظة فنرى أنها وظيفة أخرى له لها علاقة بجذع الشجرة الذي يمكن أن يشتعل ليلاً ليضيء مسرى الماء.

وفي بحثنا عمّا آل إليه الإله (عوص) وجدنا، صدفة، أن هذا الإله قد تجلى بشكل واضح في آخر سلم الآلهة الكنعانية بصيغة الإله (حاسس) الذي يرد دائماً برفقة الإله (كوثر) وهما إليها الصناعة والأعمال الحضارية، والإله (حاسس) هو ذاته الإله (أوسوس) أو (عوس) واسمه بالأكديّة يعني (الذكي) أو الحساس (اسمه موجود باسم أتراحاسس البابلي. منقذ الناس من الطوفان). ويذكر فيلون الجبيلي أن (أوسوس) أول من استخدم جلود الحيوانات كلباس للجسم وأول من استخدم جذع شجرة كقارب وهو ما أتينا على ذكره.

ونرى أن الإلهين (كوثر) و(حاسس) كانا إلهين قديمين جداً أنزلاً أيضاً من مكانهما القديم إلى إلهين صانعين عند بعل (لترسيخ قوة بعل). وأن في اقترابهما من النار ما يشير إلى أنهما أصل إله النار الكنعاني (ملكارت) الذي سنراه كإبن للإله (عوص). وهكذا نتجت عند هذا المستوى ثلاث قوى هي (السماء، الأرض، النار).

2. كوزموغونيا (خلق الكون)

خلق آلهة العناصر الأربعة:

في هذا المستوى ستفصح السماء والنار والأرض عن عناصرها العميقة المكوّنة لها ولذلك نرى ظهور آلهة عديدة يمكننا في نهاية الأمر القول إنها تمثل عناصر الطبيعة الأربعة (الماء، الهواء، التراب، النار).

1. تزاوجت السماء والأرض بصيغة الإلهين (شميم) و(أديم) وظهرت منهما مجموعتان أساسيتان من الآلهة الذكور والإناث.

المجموعة الأولى من الذكور تشير كلها إلى قوى الماء الممزوجة بقوى الهواء، وهي لذلك تحوي آلهة الطقس والمطر والمياه وهذه الآلهة هي: داجون: وهو إله الطقس الذي ظهر في المدونات الأكديّة والسومريّة وكان أحد أهم الآلهة الرئيسيّة عند الأموريين.



داجون في هيئة آشورية

أطلس: وهو (بيت إيل) ويسميه فيلون الجبيلي (بتلوس) وقال بأن الأنصاب الحية تمثله، وهي أنصاب الحجر التي لها قوة سحرية، كما أن بيت إيل الذي كان على المياها عند ملتقى النهرين (لا نعرف أي نهرين؟) يمكن أن تشير إلى طبيعته المائية، ويقال إن العبريين قد عبدوا هذا الإله إضافة إلى الكنعانيين (أنظر عاموس: 604: 5، سفر التكوين 3: 31 و7: 35). وربما دلّ (بتيل) على بلاد لبنان كلها.

إيل: وهو أعظم الآلهة الذكور من أبناء السماء والأرض ويعتبر الإله الأب لكل الآلهة وسنتناوله بالتفصيل عند الحديث عن أساطيره.



الإلهة أشيرا



إيل الكنعانيّ

سيتون: وهو إله الصيد البحري والبري ومن اسمه جاء الإله (صيد) وبوزيدون ويمكن أن يكون هو الإله المؤسس لمدينة صيدا.

عاي: وهو الإله أيا (إله الماء عند البابليين) وعلى اسمه سُمّيت مدينة (عاي).

بعلتيس: وهي الإلهة الأنثى التي تلقّب بـ(ديوفه) التي ربما كانت الوجه الأنثوي للإله (أدون) أو (دونسيوس)، أما اسمها (بعلتيس) فيشير إلى ارتباطها باسم الإله بعل الذي يحمل الصفات التهتكية الداعرة ذاتها لديونسيوس وأدون، وقد تكون هي الإلهة القديمة بعلات (Baalat) ذاتها التي ذكرتها أختام جبيل في الألف الثالث قبل الميلاد على أنها (سيده جبيل)، والتي تصف شعرها على الطريقة المصريّة وتحمل قرصاً بين قرنين على رأسها مما يجعلها مشابهة للإلهة المصريّة حاتور (أنظر Larousse 73: 1995).

ولهذه الإلهة سبع بنات من الإله إيل.

ريا: تحتل هذه الإلهة الكنعانيّة مكانة مهمة جداً في البانثيون الإغريقيّ، فهي زوجة الإله (كونوس)، الذي يقابل إيل، ومعنى اسمها في اللغة الكنعانيّة (الأرض)، فهي إلهة الأرض، وفي العربيّة تعني المطر الساقط على الأرض. وهذه الإلهة تمثّل جديد لإلهة الأرض في جبيل الإله

إيل، فهي سليلة أمها (أديم، أدمة، أرسو) والتي امتلكت صفاتها نفسها، وهي عند الإغريق أيضاً سليلة الإلهة الأم (جيا) وقد جعل الإغريق البدائيون من جيا الأم العظمى وخالقة لجميع الكائنات، هكذا تأكدت أفضلية ريا من حقيقة كونها قد جعلت أمّاً لجميع آلهة الأولمب العظام. وبالرغم من أصل ريا الأجنبي إلا أنها سرعان ما اكتسبت ملامح إغريقية خالصة وأدعى العديد من الأقاليم اليونانية شرف كونها كانت مسرحاً لسلسلة حوادث إلهية لأسطورتها.. وتبدلت شخصية ريا الهيلينية بتأثير (سيبيل)، الإلهة الأيجية العظيمة التي أدخلت عبادتها قديماً إلى اليونان، إلا أن كلاً من الإلهتين دمجتا معاً في النهاية. (الخوري: 1990: ج 50: 2). ويبدو أن الإلهة ريا كانت أحد احتماليين، فيما أنها كانت الإلهة الأم الجديدة زوجة إيل، وإما أنها كانت إلهة هامشية قبل أو بعد أن رحلت إلى البانثيون الإغريقي. وفي كلتا الحالتين حلت الإلهة عشيرة القادمة من البانثيون الأكدي أو البابلي محل ريا وتحولت عشترار الأكديّة إلى عشيرة وأضيفت إليها صفات الأمومة بعد أن تهدّبت فيها صفات العذراء المغامرة والمحاربة. ويرى فيلون الجبيلي: أن الإله إيل اتصل جنسياً بالإلهة ريا وأنجب منها سبعة أبناء منهم الإله (موت) وهو إله الأرض السفلى (العالم الأسفل)، ويطلق عليه فيلون اسم ثانا توس -Tha notos أو بلوتون Ploton، لأن (موت) الكنعاني سيقابل إله الجحيم اليوناني والرومانيّ.

عشتارة: ورد ذكرها بأسماء عدة وهي (عشتارت، عشتارة، عشتارته، عشترة، عشتورة)، ويجمع الاسم بلفظة عشتروت، ويعني هذا الاسم بصورة عامة الإلهات (إشتارتي)، الذي يقابل اسم الجمع المذكر (إيلاتي)، ويعني آلهة. والأهم في كل هذا هو التفريق بين هذه الإلهة والإلهة (عشيرة) زوجة إيل.

ويبدو أن هذه الإلهة امتصت صفات العذرية والغنج والجمال والحب من (عشيرة) التي أصبحت إلهة أمّاً فقط. وبلغة أخرى يبدو أن عشتار الأكديّة أو البابليّة عندما دخلت إلى البانثيون الكنعانيّ انشطرت إلى إلهتين الأولى هي عشتارت إله الحب والجمال والثانية هي عشيرة الإلهة الأم زوجة إيل.

وقد حملت هذه الإلهة ألقاباً عدّة منها (سيده المعارك وإلهة الآسيويين) حيث تظهر في إحدى المسلات المصرية كمقاتلة عادية وهي تمتشق قوساً مشدود العنان إلى جسدها وهي ترمي سهامها. أما لقبها الآخر (ذات القرنين)، حيث ظهرت وهي تلبس رأساً على شكل ثور يرمز إلى السلطة. أو تاجاً مخروطي الشكل تحيط به من الأعلى ريشتان يبرز تحتها قرنان وتحمل بيدها اليسرى عصا طويلة ويدها اليمنى صليب الحياة المصريّ (عنخ) وتلبس ثوباً طويلاً شفافاً تظهر من خلاله تقاطيع جسدها وهو ما عثر عليه كنصب كلسي في بيت شان (بيسان) في فلسطين، وكان الحصان حيوانها المفضل وربما رمزها (شكل منشور سابقاً)، وتلقب أيضاً ب(سيده المشاعل)، حيث عبرت بهذا اللقب في (أفقا) قرب بحيرة (يمولة) في لبنان، وقد هربت هذه الإلهة بعد أن لاحقها الثعبان تيفون. وكانت عبادتها هناك مرتبطة بالنار حيث كانت تحمل المشاعل وتشعل النيران على شكل كرات فوق سطوح المعابد، ويروي زوسيموس أنها كانت تلقي كرات ضخمة من النيران من أعلى جبال لبنان باتجاه نهر أدويس إيذاناً ببدء الاحتفال المقدّس (أنظر أذارد 1987: 225).

أما اللقب الأخير لها فهو (ضجيعة إيل)، حيث ضاجع إيل إلهتين ظهرتتا على شكل مشاعل، وهما (عشتارة) و(عناة)، وأنه بعد مضاجعته لعشتارة ولدت له سبت بنات (تيتانيدس أو ارقيدس) وصيين هما (باثوس) و(إروس) وأحياناً تندمج الإلهة عشتارة مع عشتارت من جيل بعل.

عشيرة: وهي الإلهة الكنعانية الأم زوجة إيل، والتي صارت أماً لكل الآلهة الكنعانية من إيل حيث استمر نسلها إلى الأجيال القادمة، وقد حملت ألقاباً عدة، منها (خالقة الآلهة) و(الأم) و(إيله، إيلاتو، إيلات) و(سيدة العموديين) و(ربة اليم) و(سمكة البحر) و(السارية)، وكان الحمار حيوانها المفضل. وقد كانت لها مظاهر عدة، أو صور عند العبريين والعرب والأنباط وفي بلاد الشام ووادي الرافدين.

”يظهر اسم عشيرة لأول مرة، خلال حكم السلالة العمورية السورية في بلاد الرافدين، كزوجة لإله الرعاة (عمورو) ”أشات عموري“ أي ”أنثى عموري“. ويفصها حمورابي بكنة إله السماء ”آن“ وبسيدة النشوة والعظمة وقد ورد في نص من نصوص تل العمارنة في مصر، اسم ملك يُدعى عبدي عشيرة. كما أن عشيرة، تذكر في المصادر العربية في جنوب الجزيرة العربية باسم ”أثيرة“ كإلهة للنخيل وقد تسربت عبادتها على شكل تقديس الشجرة. أو العمود في النصوص التوراتية (أنظر سفر الخروج: 34: 13 والتثنية 7: 5 ويوشع 17: 8) ويعني هذا الاسم في العربية إلى جانب الصديق والعزيز، الضياء والبريق، وهذا ما يشير إلى وظيفتها الكونية ثم انتقلت إلى اليونان على شكل عشتارته وعشترت قبل أن يصبح اسمها أفروديت، وبحكم موقع أوغاريت على البحر كان عليها أن تتلاءم مع الوضع الجغرافي، فقد جاء في إحدى القصائد الأوغاريتية ما يلي: يا سكان الجزيرة، يا أبناء البحر.. يا من ترضعون من ثدي عشيرة“. (إدزرارد 2000: 194 - 195).

نرى أن الإلهة عشيرة ظهرت من إضفاء صفات الأمومة على الإلهة الأكديّة عشتار، وربما اختلطت مع إلهتين واحدة من جيلها هي عشتارة والأخرى من الجيل اللاحق هي عشتارت. كذلك يجب فرزها عن ولدها أو ولد (بعل) عشتار (عشتار). ولا بد من تذكر أن الإلهة الآرامية (عتر) ظهرت من عشتار أيضاً وكونت أساس اسم عترجاتس التي ننفي عنها كونها ظهرت من دمج (عناة + عتشارة) بل هي الإلهة الآرامية عتر اندمجت فيها صفات عناة. أنوبرت: وهي حورية مائية تزوّجها الإله إيل وأنجب منها الإله (وحيد) أو (جنود) وهو الإله الذي ضحى به لوالده الإله شميم إله السماء عندما أصاب الوباء والجرب الأرض. وفي تأملنا لاسم أنوبرت وجدنا أن لهذا الاسم علاقة بالإلهة (بيروت) أو (برت) التي ستظهر في جيل بعل.

والإلهة بيروت مشتق اسمها من الكلمة الكنعانية (برت)، أي: (الروح)، فهي حورية مائية تمثل إحدى تجسّدات الروح الكلي المائي عند الكنعانيين.

وقد ذهبنا لأبعد من ذلك فنحن نرى أن هناك علاقة بين اسم برت أو بيروت الكنعانية والكلمة المصرية بيريت Peret تعني (بذور) وربما كانت لها علاقة بكلمة (بر) التي تعني (بيت) وفي كلا الحالين فإننا نرى أن البذور تدل على صفة الخصب وأن البيت يدل على المكان والمستقر الأرضي. وهذا يعني أن هناك إيقاعاً خفياً بين الاسمين الكنعاني والمصري.

وقد حمل الكنعانيون الإلهة بيروت أو بارات عبر البحار وعبر مضيق جبل طارق وأطلقوا اسمها على الجزر البريطانية التي ما زالت تحمل هذا الاسم (باريتانيا).

وتظهر بارات كإلهة مصرية تحمل صليب الحياة بيد وعصا الملوكية بيد أخرى، وهي من الفترة المصرية الفرعونية، وهناك نقش نقدي مصري هيلنستي يطابقها مع تاريخي حيث تظهر حاملة قرن الخصب. وهناك نقش آخر من العصر القبطي المسيحي يظهرها حاملة الصليب تحيط بها كتابة لاتينية.

هكذا يظهر لنا جلياً أن جيل إيل الذي يمكن أن ينطلق عليه اسم (الإيليون)، هو جيل

يتضمن بشكل أساسي عنصريّ (الماء والتراب من خلال آلهته التي تعرفنا إليها. أما عنصرا (النار والهواء) فيرتبطان بالأصل السابق الذي نشأ في جيل الآلهة السابقة (السماء والأرض)، حيث تخبرنا الأساطير التي ترد تواتراً عن سنخونيتين أن الإله (عوص) أو (أوسوس) أنجب ولدين الأول هو (دامور) أي النخيل أو التمر ثم أعقبه هرقل أو هرقل (أول من اخترع الإرجوان وقُلد به عشرون) (أنظر عبد الحكيم 1982: 468 - 499).

وتمنحنا هذه الإشارة الفرصة لتأمل طبيعة هذين الإلهين فالإله (دامور) هو الإله (ذ. مر) الذي أطلق عليه (أمورو) إله الأموريين، والحقيقة أن مثل هذا التخريج حسن الهدف وسيئ النية فهو يريد القول إن الأموريين يعبدون إلهاً ضمن البانثيون الكنعاني، وبذلك يجعلهم فرعاً من الكنعانيين وقد أوضحنا الأصل الواحد لهما من خلال الإلهتين (يم وام).

يرد اسم الإله دامور أيضاً بصيغته الإغريقية (دماروس)، حيث تقول الأسطورة الهيلنستية إن الإله أطيختون (وهو مقابل شميم الكنعاني) كانت له محظيات كثيرات يغيظ بهن زوجته (أدمة)، وقد أنجب من إحداهن الإله دماروس، الذي أنجب بدوره الإله ملكارت، الذي هو (هرقل)، وعمورو هو الإله القومي للأموريين والذي كان ينظر إليه كإله كواكبي أو سماويّ أو إله عاصفة وهواء.

إن الإله (دامور) هو مصدر كلمة (تامور) ويسمى أحياناً بها، وهي كلمة تدل على (التمر) ثمرة النخيل ويدل على النخلة كلها، ومنه اشتقت كلمة (ثمر) الشاملة.

وقد تأملنا كثيراً في مصدر هذه التسمية فوجدنا أنها إما أن تكون قد أتت من اسم الإله (ذ. مر) وهو الإله الأموري القديم الدال على السماء أو الأرض (ذات اللون البني أو الأحمر). أو من الإله (دوموزي) أو (تموز) وهو الأرجح عندنا، لأن هذا الإله مخضّب بالدم وهو اللون الأحمر الذي يدل على كيس خضاب النخلة أو يدل على التمر الأحمر اللون.. ولسبب آخر لعله الأهم في استنتاجاتنا هذه هو أن الرمز السومري والبابلي للإله (دوموزي) أو (تموز) هو النخلة التي تعلق قمتها دائرة الألوهيّة وهو حصراً رمز الإله (دوموزي أشموغال أنا) إله الإخصاب المسؤول عن تلقيح النخيل ثم صار يُشير إلى قوة الإخصاب في الحيوان والنبات والطبيعة كلها. والحقيقة أن كل هذه الإشارات تريد أن تفصح عن اللون الأحمر الذي هو جوهر الآلهة الثلاثة (عوص، تامور، ملكارت) وهو ما يجعلها مرتبطة بفكرة النار ذات اللون الأحمر أيضاً. وهو ما كان من أصل تسمية الكنعانيين والفينيقيين كما أسلفنا في الفصل السابق، وهو ما يجعلنا نظن بأن (تامور) هو نفسه (تاموز) أو (تموز).

الإبن الثاني للإله عوص هو الإله (ملكارت) وهو نظير (هرقل) الإغريقي ونظير (نرجال) السومري البابلي الذي كان إله النار والأمراض والعالم السفلي، وكان الإله ملكارت إله مدينة صور وإبنها قرطاج.. ولعل وضعه أحياناً للإله (دامور) يأتي من فكرة وجود (تموز) و(نرجال) سوية في العالم الأسفل بعد أن ينزل تموز إلى العالم الأسفل.

الإله (ملكارت) هو إله النار الكنعاني بامتياز، ويبدو أن الأساطير الهيلنستية الكنعانية وحدثه مع الإله (عوص) ودمجتهما في شخصية واحدة، ويبدو أن الإله ملكارت هو الذي أشاع العدل في مدينة (صور) ثم بنى أسطولاً بحرياً وغزا البحر المتوسط وجزره مثل (رودس، مالطة، كريت) حتى وصل إلى مضيق جبل طارق وسمّى هذا المكان ب(أعمدة ملكارت) التي أبدلها الإغريق ب(أعمدة هرقل) ثم سار باتجاه السواحل الأطلسية جنوب غرب إسبانيا وأسس مدينة (قادش) الساحلية و(هسباليس) في الداخل وتقول الرواية إنه بنى (200) منشأة على سواحل إسبانيا والبرتغال تابعة لصور، وتوجه نحو السواحل الأفريقية وأسس قرطاج التي تحمل بعضاً

من اسمه حيث ملكارت يعني (ملك المدينة) وقرطاج تعني (المدينة الجديدة). وأسس المدين الأخرى على الساحل الأفريقي ثم استولى على كورسيكا وسردينيا (التي أخذ اسمها من اسم ولده سرد) ثم دخل صقلية وأسس مدناً عدّة فيها ثم توجه ملكارت إلى إيطاليا حتى وصل إلى شواطئ الغال وبنى مارسيليا أو مرسيليا (أنظر بنت بطوطة ب. ت.: 203 - 201). وتعطينا هذه الرواية انطباعاً بأن الفينيقيين حملوا الإله ملكرت وغزوا به سواحل وجزر ومياه البحر الأبيض المتوسط الذي أصبح إذا صح التعبير (بحر ملكارت)، وكانت (صور) هي عاصمة هذه الإمبراطورية البحرية.

ولا نغالي إذا قلنا إن جزيرة ربما سُميت باسم هذا الإله (كرت) أي القرية أو المدينة وأن أول من حكمها هو الملك مينوس الذي كان ابن زوس من الأميرة الفينيقيّة أوروبا وهي ابنة الملك الفينيقيّ (أجينور).

وكان البحر الأبيض المتوسط بالذات، يُسمّى (راش ملكارت) ولذلك كانت عبادته مرتبطة بالبحر مثلما ارتبطت بالنار فقد أقيمت له معابد عند سفوح الجبال الساحلية. وينطبق مثل هذا على نهر بيروت الواقع شرق بيروت "وأكثر الكتاب المحدثين يرون أنه هو النهر الذي دعاه بليينوس الطبيعيّ نهر ماغوراس، وأنه كان من أنهار الفينيقيين المقدّسة إذ دعوه بذلك اشتقاقاً من اسم الإله ملقار وهو اسم زحل بلغتهم". (اليسوعي 1982: 4).

ويبدو أن الإله (ملكارت) كان إلهاً شمسيّاً حيث تظهر رموزه (الأسد والنسر) لتدل على طبيعته الشمسيّة وما ارتباطه بالنار إلا نتيجة طبيعته لذلك فقد كانت النار لا تنطفئ شعلتها فوق مذابح معابده، وهو ما يشير إلى علاقته بهرقل.

كانت مدينة صور تحتفل مهابة ووقار في شهر كانون الثاني من كل عام باحتفال يُسمّى (بعث ملكارت).. وهو احتفال يختلف عن الاحتفالات الخصبية لمنظومة الآلهة البعلية من الجيل القادم.. فقد كان يجري على محرقة وذلك بحرق تمثال كبير للإله ملكارت وحده أو وهو يركب حصان البحر (وهنا يجب أن نتذكر إله البحر اليوناني ملكرتيس الذي هو ملكارت البحري). وكان محضوراً على الغرباء حضور هذا الاحتفال الناري، وهناك إشارات إلى أن إنساناً أو كاهناً كان يُحرق باعتباره الإله ملكارت. وكانت تجري طقوس تمثيلية في هذا العيد تتضمن طقوس الحرق أولاً ثم طقوس بعث ملكارت التي كانت تتم بحركات درامية، حيث تستعاد أسطورة رحيل ملكارت إلى ليبيا وقتل التنين (تيفون) لملكارت وهو في طريقه إلى هناك، حيث تتم عودته إلى الحياة عندما يقوم (أيولوس) بوضع طيور السلوى وهي حية في أعياد ملكارت التي كانت تضبط أوقاتها، في غير موعدها المعروف، عندما تعود الآلاف من هذه الطيور إلى أرض كنعان في ليلة واحدة من ليالي آذار، "ولعل الإغريق كثيراً ما راقبوا في دجى الليل السنة اللهب تحرق ملكارت على كل شاطئ وفي كل ميناء حيث أقام الفينيقيون متاجرهم ومصانعهم، فعلموا، وقد امتلأوا دهشة. إن هؤلاء الغرباء العجيبين إما يحرقون إلههم، وربما نبئت أسطورة هرقل ورحلاته وموته في النار من هذه المحارق، بيد أن الإغريق لم يستعيدوا الأسطورة فحسب، بل عادة حرق الإله أيضاً وسط اللهب على جبل أوتيا، ونظن - وإن لم يكن لدينا نص صريح على ذلك - أنهم كانوا أيضاً في كل مرة يحرقون تمثالاً لهرقل في المحرقة". (فريزر 1979: 106 - 105). وإذا كان النظر الإغريقيّ له هرقل فإن نظيره الرومانيّ هو (باخوس) أو على الأقل أنه كان يعبد في روما إلى جانب باخوس أو ديونسيوس وهذا يعني ارتباطه بأعياد القصف والمجون والخلاعة والخمر.

وكان الإله ملقارت سيد الآلهة في صيدا وقرطاج. وقد ذكره هيرودوس وقال: إن معبده يحتوي

على عمودين طويلين أحدهما من الذهب والثاني من الزمرد، وكان العمودان يضيئان في الليل. وارتبط ملقارت بالبحر والملاحة ويوجد مرفأً باسمه في صقلية، ولا يستبعد أن تكون أعمدة هرقل هي نفس أعمدة ملقارت وقد قتل بالنار واحتفل الكنعانيون بصحوه السنوي في شهر كانون الثاني. (أنظر كورتتل: 51 - 50: 1993).



صورة للإله إشمون وهو يحمل النهشتان وهو
التعبان الملتف على العصا كرمز للطب

ملكارت إله النار والأضاحي

لقد ظهر اسم الإله ملكارت دائماً مع اسم الإله (أشمون) على أنهما إلهما قَسَم وهو ما أظهره العقد الموقع بين الملك الآشوريِّ أَسْرحدون مع بعل ملك صور. (أنظر أدزارد: 1978: 242). وقد كان الإله (أشمون) إله النار في الجيل البعلي الذي كان يرتبط بعلاقة مع الإله (أدون من جيله نفسه، أي أن الإيقاع المتمثل بظهور الإلهين (دامور وملكارت) في جيل إيل هو ذاته الذي أظهر الإلهين (أدون وأشمون) في جيل بعل لتطابق وظائف هذه الآلهة مع بعضها.. وهي وظائف تتراوح بين (الخصب والنار) ويجمعها نبض العالم الأسفل. الأرض:

كان الكنعانيون يعتقدون أن الأرض مغطاة بثلاثة أغطية مختلفة الطبيعة فأقربها إلى الأرض هو الغطاء الخفيف المتكون من الطل أو الندى الذي ربما عبرت عنه ابنة الإله البعل (طلاي) التي كانت تلقب بـ(ابنة المطر). وكان هذا الغطاء يعبر عن رحمة السماء ونياتها الطيبة. أما الأغطية الأخرى فتسمى بالخشنة ويرد تعبير غطاء (رصاص الأمراض) ليعبر عنها وهي لحماية الأرض من الأمراض. (أنظر ميديكو: 1980: 37 - 38).

وكانت ابنة بعل (ارضاي، أرضي) هي التي تمثل الأرض وكان لقبها (بت يعبود دار) يدل على معنى الدوران والانتساع ”وبذا يكون معنى اللقب الذي أصبح اسم علم (بنت العالم الواسع) ربما أن اختيها تمثلان ظواهر الطقس والنوء. لذا يُعتقد أن لها الوظيفة نفسها. ولكن هذا الافتراض لم يتأكد بعد. وانطلاقاً من معنى الاسم يفترض أنها تجسد الأرض الواسعة التي تستقبل إخصاب الإله بعل الممثل بالمطر“. (أدزارد: 1987: 170).

ولكننا لا نعرف على وجه الدقة شكل الفضاء الخارجي والكواكب والنجوم في المعتقدات الكنعانية.. وقد ذكرنا بعضها وأكدنا أن الكنعانيين لم يهتموا كثيراً بالنجوم والأفلاك ومداراتها

لتركيزهم على دورات الخصب في الطبيعة. ”ويمكن الظن أن الأوغاريتيين أخذوا عن ميزوبوتاميا مفاهيم في علم النجوم إن لم يأخذوا عنهم في الفلك، ولكننا لا نستطيع أن نذكر بهذا الشأن إلا تلميحاً خفياً إلى سير الكواكب التي كانت معرفتها من اختصاص بنت ملك أسطوري اسمه دانيل Danela. (تاتون 1989: 136).

ويذكر تاتون أيضاً أن السنة الفينيقية كانت تتألف من إثني عشر شهراً قمرياً وليس بالإمكان القول ما هو الترتيب الذي نتابع به هذه الأشهر تماماً، ولكن الأسماء التي أعطيت لهذه الأشهر، باستثناء واحد أو اثنين، لا علاقة لها ببابل ولا آشور.

3. العماليق والجبابرة والشياطين:

لقد ظهر في جيل الإله إيل مع الآلهة الممثلة للعناصر الكونية الأربعة مجموعة من المردة والعماليق والجبابرة والشياطين. بعضها اكتسب صفات إيجابية خيرة مثل عماليق الحضارة وبعضهم اكتسب صفات سيئة شريرة مثل تيفون.

وتذكرنا هذه الصورة بما ظهر في جيل التيتانات (جيل كرونوس) في البانثيون الإغريقي حيث ظهرت بالإضافة للنسل المرتبط بكرونس مثل ربا وأوقيانوس مجاميع أخرى من الكائنات المخية مثل الصقالبة (السايكلوب ذوات العين الواحدة) والعمالقة ذوو المئة يد وغيرهم. أما في البانثيون الكنعاني فإن الصورة هنا ما زالت مشوشة بعض الشيء حول هذه المخلوقات والتي يمكن أن نصفها كما يلي:

عماليق الحضارة (معلمو البشر):

وهم مجموعة من الكائنات الإلهية الضخمة التي ذكرها كل من فيلون الجبيلي وسنخونيتن لكن هناك اختلافاً حول عددها وأسمائها، ولكننا نذكرها هنا لأنها التي قدمت للإنسان نواميس الحضارة وسبل الحياة وهم يشبهون من هذه الناحية ال (ابكالوا) السومريين وهم الحكماء السبعة الذين قدموا الحضارة للبشر وكانوا مثل مخلوقات الإله (إنكي) أو (إيا) يظهرون بأشكال سميكة).

ويمكننا أن نحصي من هذه المخلوقات أو الأبالو الكنعانية ما يلي:

1. فوس الذي اخترع الضوء.

2. فير اخترع النار.

3. فلوكس اخترع الشعلة.

4. هفسورايلوس الذي اخترع أو استعمل ألواح القصب.

5. خوسور الذي استعمل المعادن.

6. صيد إله الصيد البري والبحري.

7. تحوت (توتوتوس) الذي اخترع الكتابة.

8. إله الزراعة والري.

9. إله الماشية.

10. إله الطوب.

11. إله صناعة الألبسة.

12. إله العجلات.

ويضاف لهؤلاء ملكارت: إله العدل وأوسوس: إله الملاحه.

وظهر من أول الآلهة والبشر نسل (النور والنار واللهب) وكان عددهم حوالي مئتين من ذرية كنعان الأولى الذين تزوجوا وأنجبوا أولاداً ضخام الأجسام، طوال القامات، وسميت الجبال التي

ملكوها باسمائهم وهي (قاسيون، لبنان، انيتلبانان، براتي) الذين يميلون لكونهم آلهة أكثر من كونهم بشراً أو أنهم أنصاف آلهة مثل عماليق الحضارة.

تيفون:

وهو التنين الكبير الذي يقابله بنفس الاسم تيفون الإغريقي الذي يقابله هرقل، في حين يقاتل ملكارات هذا التنين وهو في طريقه إلى ليبيا. وسيظهر هذا التنين تحت اسم (يطفن) في أسطورة بعل وأمهات، وتطابق كلمة (طفن معنى (قتل)، ونرجح أن يكون تيفون هو جذر الأفعى في أسطورة الجنة التوراتية).

4. أنثروبوغونيا (خلق الإنسان)

ظهرت الطبيعة والآلهة في أساطير الخليقة السابقة وكأنها شيء واحد، فهل اختلف خلق الإنسان عن ذلك؟

الإنسان من الأساطير الكنعانية خلق مع الآلهة الأولى، الكونية منها بالذات، وبدا كما لو أن الإنسان كان في بدايته إلهاً، أو أن الآلهة، كلها، كانت بشراً ثم وقع التأليه عليها. ورغم أنه لا توجد صراحة أسطورة خلق أنثروبوغونية (خاصة بالإنسان) كنعانية في مدونات أوغاريت أو نصوص بيبيلوس أو النصوص الهيلنستية، إلا أن ذلك لا يمنعنا من استنتاج خاص لهذه الأنثروبوغونيا.

إن هذه الأنثروبوغونيا التي ما زالت قيد الغيب ولم تكشف عنها الآثار حتى يومنا هذا تحف بها أنثروبوغونيات مشابهة سومرية وبابلية وإغريقية، ولكننا يجب أن لا نندفع بسهولة وراء مثل هذه المغريات إلا إذا وجدنا مسوغاً حقيقياً ومقنعاً لذلك. إننا لا نجد، بصراحة، ما يشير إلى ذلك ولذا نحذر من الاندفاع في الاستنتاجات والفرضيات. ماذا نفعل إذن؟

لقد اهتدينا إلى حل آخر انطلاقاً من منطقة مثولوجية أخرى هي: المثولوجيا العبرية، فهي القادرة على الإيحاء بما كانت عليه الأنثروبوغونيا الكنعانية وهذا يعني أن الكنعانيين هم الذين ابتكروا أسطورة خلق الإنسان الأول، ثم أخذها عنهم العبريون، وهو ما يتفق مع آراء العلماء حول الجذور الكنعانية للمثولوجيا الأولى.

كيف يمكن تخيل الجذر الكنعاني لهذه الأسطورة (على مستوى الأسماء)؟ لنعد إلى شجرة الآلهة الكنعانية حيث نرى أن الإله الأول (يم) يلد (شمتم) الذي يظهر منه إله ذكر هو (شم) وإلهة أنثى هي (تم) ومنهما ظهر نسل الآلهة اللاحقة.

لقد نظر الكنعانيون إلى خلق الآلهة والبشر سوية ووضعوا سياقاً واحداً لهما واعتبروا أن الآلهة والبشر والكون قد ظهروا من إله واحد أزلي قديم هو الإله (يم). وهو ما يختلف عن نظرة السومريين والبابليين لخلق الإنسان، ويتفق مع نظرة المصريين لخلق الإنسان.

رأى الكنعانيون أن الإله (شمتم) أظهر منه وفق سياق واحد الآلهة والبشر، ولذلك كان يجب التمييز بينهما على صعيد الأسماء وهكذا نرى أن (شم) الإله يتحول إلى (شاميم) وأن (تم) الإلهة تتحول إلى (أديم) وهي أدمة أو أرسو إلهة الأرض.

أما (تم) المرأة الأولى فهي (دم) و(دمة) و(أدم) لكنها بهذه التسمية تطابق إلهة الأرض ولذلك أعطيت اسماً آخر كان موجوداً في المثولوجيا السومرية هي (ننتي).. التي كانت توصف بأنها ابنة إله السماء وهي إحدى إلهات الشفاء وتسمى (السيدة التي تحيي)، أي: (حواء) هكذا طوبقت (أدمة مع (حواء) وأصبح اسم حواء هو الدال عليها، ولكي نثبت هذا نقول إن اسم الإلهة (ننتي) كان يعني أيضاً (سيدة الضلع)؛ لأن كلمة (تي) تأخذ معنيين هما (حياة) و(ضلع). وهكذا استدعى هذا الخلط ابتكار الأسطورة العبرية الشهيرة التي تقول بأن حواء خرجت من

ضلع آدم خصوصاً أن أسطورة (إنكي ونخرساج) تشير إلى عندما تقوم الإلهة (ننتي) بمشافة ضلع إنكي (أنظر كرير 1957: 205).

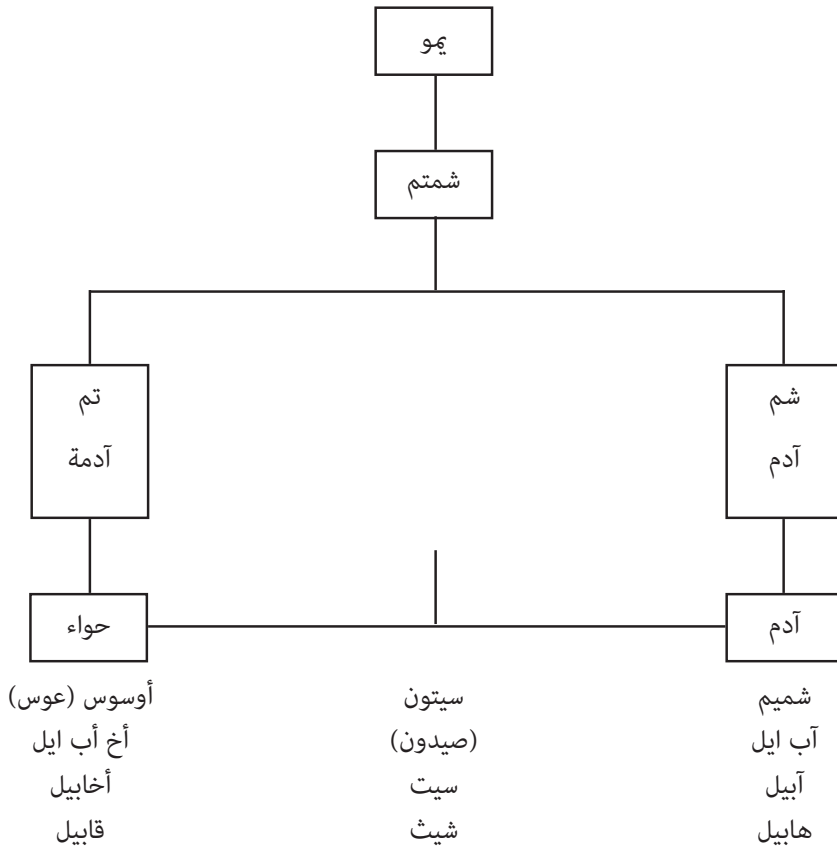
والآن بقي لدينا الإله (شم) الذي كان يجب أن يتميز أيضاً عن الرجل الأول (شم) وقد تم ذلك عن طريق تذكير اسم حواء القديم (أدمة) وجعله مرادفاً له كي يتم التخلص من اسم الإله (شم) وهكذا أصبح (شم) الرجل هو (آدم).

وأصبحنا الآن أمام أربعة أسماء متداخلة ومتناظرة هي (شم) الإله الذكر ومعه (آدم) و(أدمة) الإلهة الأنثى ومعها (حواء).

وبالطبع فإننا لا نعرف على وجه الدقة ما هي الأسطورة الكنعانية لخلق آدم وحواء، رغم أننا كشفنا عن أصل اسميهما، ولا نعرف كيف حوّر العبريون وتصرفوا بهذه الأسطورة ونحتوها وفق معتقداتهم.

وإذا مضينا في الاستنتاجات فسنجد أن أبناء آدم وحواء في الأسطورة العبرية تتفق مع تسلسل الآلهة الكنعانية ويمكن استنتاج اسمائهم منها أيضاً.

تناظر الآلهة والبشر الأوائل في الخليقة الكنعانية



يظهر إلهان رئيسيان من (شم وتم) هما شميم وأوسوس (عوس) ويجري استبدال صورتهم البشرية بأسماء جديدة حتى لا تختلط بأسماء الآلهة. هنا يجري نوع آخر من نحت الأسماء. الإله (شميم) هو أب للإلهة إيل ولذلك يسمى (أب إيل) ثم يتحول هذا الاسم ليتكون اسم (هابيل) وهو اسم الإبن الأكبر لآدم وحواء والذي يناظر الإبن الأكبر للإله شم أو شام. الإله (أوسوس) أو (عوس) أو (أش) وهو الإله المرتبط بالنار يسمى بشرياً (أخ أب إيل) لأنه فعلاً أخ شميم ويتحوّر هذا الاسم إلى (أخابيل) ثم تتحوّل الخاء إلى قاف فيكون (قابيل) وهنّ اسم الإبن الأصغر لآدم وحوار والذي يناظر الإبن الأصغر للإله شم.

وقد ذكرنا أن عداوة تنشأ بين الإلهين (شميم) و(عوص)، ولذلك تنسحب هذه العداوة بين الولدين (هابيل) و(قابيل) ويأخذ هابيل شكل الراعي أما قابيل فيأخذ شكل الفلاح، وتعيننا الأسطورة السومرية التي تتحدث عن المنافسة بين الفلاح والراعي.

ويقوم قابيل بقتل هابيل وهكذا ينجح نسل قابيل نحو الجنس البشري أكثر ويظهر من نسل عوص معلمو الحضارة الأوائل. أما نسل هابيل فيبقى في إطار الآلهة رغم أنه ينقطع على مستوى البشر لكن نسل قابيل هو نسل نارّي شرير في الجوهر. لذلك اخترع مؤلفو الأسطورة العبرية شخصاً آخر من آدم وحواء من نسل (شميم وأدمة) هو الإله (سيتون) الذي يتحول بشرياً إلى الإله (شيت) الذي تنحدر من سلالته البشر الأتقياء ويظهر منه بقية المصلحين القدماء (أنوش، مهليليل، يارد، اخنوخ، متوشالغ، لامك، نوح) عند العبريين.

ولا نملك كنعانياً ما يدعونا للاسترسال مع بقية هذا النسل. ونكتفي بإثباتاتنا السابقة حول أصل أسماء آدم وحواء وقابيل وهابيل وشيت. وهو في رأينا استنتاج جديد لم يذهب إليه أحد قبلنا. ونضيف هنا إلى سلسلة الاستنتاجات السابقة التي فصلناها.

ورغم أن الحديث الغامض والملتبس الذي يتحدث به فيلون الجبيلي حول البشر الأولين لا يمكن أن يكون مقنعاً إلا أننا نذكره هنا على سبيل التوثيق فهو يرى أن الريح تزاوجت مع باعو وأنجبت أيون (الحياة) و(يون) الأول وهو الإبن البكر الذي هو آدم وبيننا التي هي حواء. ومن تزاوجهما ظهر النور والنار اللذان أنجبا العماليق.

هذا الكلام المشوّش والذي تشوبه المسحة الهلينيستية لا يمكن أن يكون دقيقاً رغم أنه يحوم حول الاستنتاج الدقيق الذي وضعناه. إن البشر وفق الأساطير الكنعانية تعلموا الحضارة من آلهة الحضارة أو عماليق الحضارة الذين تختلط شخصياتهم بالشخصيات الإنسانية مثل صيدون وملكات وتوتوس (تحوت) و(خوسور).. إلخ. وهذا التداخل طبيعي جداً بالنسبة للشخصيات المتعايشة مع بعضها والحالة واحدة مكان الأخرى.

ثالثاً: أساطير العمران

أساطير إيل:

لا تُسَعَفنا الآثار الكنعانية بالكثير من أساطير إيل التي نرى أنها المركز الأول الكبير الذي تلتفت حوله المثلوجيا الكنعانية يليه في ذلك الإله بعل.. لكن أخبار وحكايات وإشارات الإله كثيرة إضافة إلى أساطيره الصريحة أو التي يأتي ذكره فيها.

”وفي سوريا الغربية كان الكنعانيون يشددون على فكرة أبوة ”إيل“ للبشر، وعطفه وحنوّه. فإيل يظهر في ملاحم أوغاريت كخالق وكأب للإنسان. وهو يتكشف في الحلم لمن صفت نفوسهم ويكلّمهم بعطف أبوي (ملحمة كرت مثلاً). والطريف أنهم لم يحتكروا أبوة الإله لهم، كما فعل غيرهم من الأقوام (بنو إسرائيل مثلاً). وإنما جعلوه أباً للبشرية جمعاء. وكانوا من مبدعي وحاملي الفكرة الاعتقادية القائلة ببنوة الناس للإله، ومسواتهم جميعاً في هذه

البنوة. أي ليس ثمة من فرق طبيعي بين إنسان وآخر. وهذا تعبير عن سمو نظرتة إلى الكون والإنسان. والأطرف أن إيمانهم لم يكن وليد خوف أو رغبة، بل كان نتيجة معرفة وثيقة بالنفس. فالكنعاني يخاف الله خوفه على القيم. وهو يحب الله لأنه يحب الكمال. وفي الله وحده جميع الصفات الكمالية. فهو أب شفوق رحيم قادر عادل، وأم رؤوم تفعل الخير وتنصح به. وهو باعتبارهم برّ بمخلوقاته، يسبغ على الجميع أفضاله. والناس يسبحون بحمده لا خوفاً ورهبة، ولكن بدافع الشكر لنعمه. وقد كان هذا المفهوم في أذهانهم تعبيراً عن صفاء نفوسهم ونقاء سرائرهم. وكان انتصاراً للقيم الإنسانية العليا التي آمنوا بها ودافعوا عنها“. (كنعان: 1999: 180).

”الديانات التاريخية تُعزى بمفهوم أتباعها إلى مصدر إلهي. ومن هنا كان الناس الذين توجّه الدعوة إليهم يعتقدونها غير مجادلين فيها. يضاف إلى ذلك أن المنطق الديني لا يأخذ بالعلل الطبيعية التي سلّم بها المنطق العقلي. وإنما يقوم على الإيمان بوجود قوة علوية تجب خشيتها ومداراتها لأنها ذات أهواء وتأثيرات في أفعالنا جميعاً. أما المنطق العقلي في المعتقدات الطبيعية فهو حرّ، يسعى إلى التعرف على حقيقة ”العالي“ بطرقه الخاصة، وعلى حقيقة الكون عن طريق العلم التجريبي. ومن هنا كان اعتقاد القدماء في سوريا الطبيعية بأن ”العالي“ خلق الكون ووضع له نواميس أو قوانين طبيعية، يسير وفقها من دون تدخل العالي“. (كنعان: 1999: 353).

أ. أساطير مرحلة القوة:

* ولادة الإله إيل وحجزه لأبيه: حيث يرى فيلون الجبيلي وسنخونيتن أن الإله (شاميم)، إله السماء كان له زوجات كثيرات أنجب منهن ذرية لا حصر لها، ومنها أنه هجر زوجته إلهة الأرض (أدمة) وحاول قتل أبنائها مراراً وبلا هوادة، لكن ابنه البكر إيل عندما كبر واتخذ من الإله (تحوت) أو (توت) إله الكتابة (الذي عرفه الساميون في ما بعد في الملاك جبرائيل كاتباً أسراره ثم أشعل حروباً طاحنة ضد أبيه لإهاتته لأمه الأرض. وهكذا تمكن بعد ذلك من الانتصار على أبيه وتمكن من اصطياده وحبسه في أعماق الهاوية. ثم بدأت مرحلة البناء فبنى الإله إيل مدينته الأولى (جبيل) أو (بيلوس) في فينيقيا وسُمي، بعد أن أصبح ملكاً للآلهة مكان أبيه، باسم (إيم الوهيم) أو (رب الأرباب).

وبذلك يشبه إيل الإله الإغريقي كرونوس إله الزمان. ويرى فيلون أن إيل يملك أربع عيون: عينين إلى الأمام، وعينين إلى الخلف، عينين مفتوحتين وعينين نائميتين. ومعنى هذا أنه كان في مقدور هذا الإله إيل أن ينام متيقظاً ويستيقظ وهو نائم. (أنظر عبد الحكيم: 1978: 47). ويذكر أن له ستة أجنحة وسبع رؤوس.

* شاميم يبعث له إبنتيه: سئم والده شاميم من الحجز فبعث له إبنتيه (عشروت) وأختها (ريا) التي كانت تسمى أيضاً (ديونا) و(سميرنا) و(بعلتي) للإيقاع به، لكن إيل تمكن من استمالتها وتزوّج بهن، وإذا اتفقنا مع الشجرة الإلهية الكنعانية فإن (ريا) ستكون غير بعلتيس، وهكذا تلد أخواته الثلاث مجموعة من أبنائه وكما يلي:

1. من (عشروت) يُنجب سبع بنات تيتانات (طيطات) أو الترايات.
2. من (ريا) ينجب سبعة ذكور هم الكررويم ومنهم الإله (موت) وهم آلهة الأرض السفلى أو الشياطين.

3. من (بعلتيس) أو (ديوني) ينجب سبع بنات.

* زوجته الكبرى (عشيرة): لكن زوجته الأساسية هي عشيرة وهي الإلهة الكنعانية الأم وريثة

أما إلهة الأرض (أدمة). ومن عشيرة ينجب الإله أيل سبعين إلهاً هم آلهة الطبيعة الجدد، وهم نسل الجيل القادم وعلى رأسهم بعل وعناة اللذان سيرثان مقام أيل وعشيرة.
 * قتل لأبيه شاميم: بعد أن حكم إيل (32) عاماً عاد فأوقع بأبيه الذي حاول أن يتخلص من أسرهِ وحين أمسكه مزق أطرافه وأعضاءه وألقى بها مع دمه في مياه الينابيع والآبار والأنهار.
 * توزيع الأرض على زوجاته وأبنائه: بعد أن أصبح الإله إيل الملك المطلق للكون والأرض وزّع الأرض على زوجاته وبناته وأولاده وكان من حصة زوجته عشترت أتيكا في اليونان، أما بعلي فأخذت عاصمته (جيل)، أما بيروت فقد منحها لبوصيدون إله البحر. واكتفى هو وزوجته بمكان إقامته الدائمة عند منبع النهرين (ولا نعرف أي نهرين) وقرب مصدر المحيطين (ثمت thmtm). وتشير هذه الكلمة إلى مفردتها (ثمت أو تمت) وربما أشرت إلى تيامت إلهة المياه الأولى البابلية وبذلك يمكن أن يكون النهران هما دجلة والفرات لأنهما ينبعان من مياه المحيطين عند البابليين.

ويقال إن إيل كان يسكن جزيرة عند منبع النهرين، وبذا يقربنا هذا المشهد من صورة (دلمون) جزيرة البحرين في الخليج العربي التي يمكن أن تكون أرض إيل.. ولمَ لا؟ فقد كانت في الأساطير السومرية أرض إنكي (إيا) إله الماء القريب في صفاته من إيل وهي الجنة السومرية القديمة، وقد يقربنا هذا الاستنتاج من الأصل الرافديني للكنعانيين الذين تحدثنا عنه سابقاً.
 * منح مصر للإله تحوت: كان الإله (تحوت) أو (توت) هو الذي أعان إيل في شبابه وأصبح مودع أسراره وموجهه في التعامل مع أبيه واحتجازه ولذلك أعطاه إقليم مصر تحت حكمه. والإله (تحوت) يرجع في أصله إلى الإله (توت) أو (توتو) وهو لقب الإله البابلي الآشوري (تيو) إله الحكمة والكلمة وابن الإله مردوخ.

ب. أساطير مرحلة الضعف:

يبدو أن تقسيم مملكة إيل واعتزاله الحكم في جزيرة نائية تشكل بداية مرحلة الضعف وبدء الشيخوخة، ولكنها لم تأت دفعة واحدة بل استغرقت زمناً طويلاً، فقد أصبح الإله إيل مشرفاً ومرشداً رمزياً للعالم والبشر.

1. أسطورة التضحية بولده جنود أو وحيد:

ربما كانت كارثة الوباء أو الجفاف هي ذاتها السنوات السبع العجاف التي عالجها إيل بالتضحية بأبنه (جنود) أو (وحيد من حورية البحر (أنوبرت) أو (عين عبريت) أو (عفريت) والتي نرى أنها الإلهة (بيروت) أو (بارات) إلهة مدينة بيروت التي رفعها فيلون الجبيلي إلى مستوى الإلهة الأم قبل إيل وزوجها بالإله (عليون) الذي جعل منه إله السماء مكان شاميم، كما أسلفنا.

وكان ابنها هذا وحيداً، ولكنه لاقى المصير نفسه الذي لاقاه سديد، فقام بالتضحية به فوق المذبح وهو يرتدي ملابسه وإشارات الملوكية في سبيل والده إله السماء (ربما لأنه شعر بالذنب وربما دعاه لينزل المطر في هذه السنوات العجاف). وتشبه هذه الحادثة ما فعله إبراهيم مع ولده إسماعيل (في الرواية العربية) ومع ولده إسحاق (في الرواية العبرية) خاصة أن هناك من يطابق بين إبراهيم وإيل.

2. أسطورة ولادة الآلهة الجميلة والقيحة والسابع الإلهي:

ويمكن أن نسميها أيضاً أسطورة نهاية السنوات السبع العجاف وبداية السنوات السبع السمان (دورة السنوات السبع). ويتكوّن نص هذه الأسطورة من حوالي (12) مشهداً هي كما يلي:

1. دعوة الآلهة والمملك والمملكة لحضور الاحتفال في الهيكل ونجد معهم أتباعهم والقادة

- العسكريين والمدنيين والكهان، وهذا الحقل مخصّص لتجديد قوى إيل التناسلية بعد تقدّمه في السن لتنتهي السنوات السبع العجاف وتعود قوى الخصب والخير إلى الأرض.
2. طقس فرك الكروم: حيث تجري عملية تهذيب الكروم التي ترمز إلى الموت، ثم تجديد الحياة، وهي نوع من القداس الإلهي تجري فيها قطع وبتر شخصيّة إلهية تسمّى (الموت والشّر) صاحب صولجاني الحرمان والترمّل. وهو الكرم أو إله الكرم ويشير لون الكروم الأحمر المائل إلى السواد إلى هذا القداس الإلهي.
3. تلاوة نشيد الولادة وحفظ الآلهة السبعة الخيرة (السابع الإلهي) الذي سيرعى فيه كل إله سنة من السنين السمان المقبلة.
4. طقس طبخ الجدي في لبن أمه: وهو طقس كنعاني قديم معروف (تذكره التوراة معترضة عليه) ويتم ذلك في حقول عشيرة الفردوسية زوجة إيل ومعها عناية إبنتها.
5. صراع عناة (رحمائي لاس مع البطل الطيب. وهو مشهد يصور شخصيّة عناة (ابنة إيل) وقوتها أمام الأبطال.
6. مشهد مساكن الآلهة والشعائر ذات الأركان السبعة.
7. الغيرة على الأسماء الإلهية لمعبودات (أبناء شاروما).
8. دعاء الآلهة الطيبة التي ستلد وترضع ثدي عشيرة، ويقوم كبار القوم بتحضير الضحايا الطيبة للمأدبة.
9. مشهد حقول الفردوس حقول عشيرة وعناة.
10. المشهد الرئيس الأول: ولادة إلهي الفجر والغسق.
- ويبتدئ هذا المشهد عند ساحل البحر حيث يظهر الإله إيل الشيخ وهو يخلق إلهتين على النار. وربما كان هذا المشهد هو قيام الإلهتين عشيرة وعناة بالرقص قرب النار على الساحل، حيث يردّد الراقصون أمامهما نشيداً لإكثار حليب الثدي لأنّ وظيفتهما إرضاع الآلهة القادمة الجديدة، وتتم الإشارة إلى أن إيل في هذه السنوات العجاف ما زال فاقداً قواه الجنسيّة، فهل ستقوم الإلهتان بإحياء قواه الجنسيّة؟ ثم يدخل إيل والإلهتان إلى منزله وهناك يتعرّى إيل لكن قضيبه ينزل (غير قادر على الانتصاب). فيتدارك الموقف وينطلق إلى السماء ويصيد طائراً ينتف ريشه وينظفه ثم يشويه على النار، ويحاول مجامعة الإلهتين:
- ” إذا صاحت النساء أيّها الزوج الزوج
لقد أنزل قضيبك
وسقطت عصا يدك
حين يشوي الطائر على النار
نعم يشوي على الفحم
ثم أن النساء زوجات إيل
زوجات إيل وله إلى الأبد
ولكن النساء إذا صحن: يا أبتاه، أبتاه.
هبط قضيبك
وسقطت عصا يدك
حين يُشوى الطائر على النار
نعم يُشوى على الفحم
والبنات بنات إيل

بنات إيل إلى الأبد". (جوردن 1974: 163).

ولكن العجز الجنسي يكون قد دبّ نهائياً في أوصال إيل ولا ينجح في مضاجعتهم جنسياً، ولكنه يخترع طريقة أخرى هي الاتصال العاطفي بدلاً من الاتصال الجنسي، فيحنى عليهما ويقبل شفاههما الحلوة كالرمان (ومن التقبيل يكون الإخصاب ومن الإخصاب يكون الحمل) كما تقول الأسطورة. وهكذا تدخلان في المخاض وتلدان إلهين هما الإله شهار والإله شاليم، إله الفجر والغسق وهما إلهان جميلان يمكن أن تكون وظيفتهما في مساعدة فعل الإخصاب في السنوات السبع السمان ولكنهما ليسا إلهي إخصاب بالمعنى الدقيق.. إنهما إلهان حب وعاطفة وهكذا يرفعهما الإله إيل بعد ذلك إلى السماء ليكون (شهار) هو نجم الصباح الذي يشير إلى الخير، وليكون (شاليم) نجم المساء، الذي يشير إلى العطاء (شكل) ثم يستمر الإله إيل بهذا النوع من الاتصال العاطفي مع عشيرة وعناة.

11. يلد منهما إلهين طيبين آخرين، ولكنهما ماردان نهمان لهما شفة تمتد إلى الأرض وشفة إلى السماء بحيث تدخل فيهما طيور السماء وأسماك البحر. وكان هذان الإلهان نهمين ولا يشبعان. فأمر إيل بأن يوضع في أرض القفر (الصحراء) حتى يصل ذات يوم إلى فلاح يزرع الحنطة فيطلبها منه أن يقدم لهما طعاماً وشراباً فيجيء لهما بالطعام والشراب.. وهنا ينقطع النص. ويبدو من قراءة متأنية للنص ولنصوص أخرى محاثة أن هذين الإلهين ينتميان إلى آلهة تسمى (جزريم) وتعني (الآلهة القاطعة أو القاتلة) وربما عنت نوعاً من الآلهة الملتهمة التي يضعها إيل في العالم الأسفل (بدلالة الصحراء) وهي تشبه الغيلان والسعال.

12. والسؤال الآن.. ماذا عن السابوع الإلهي وكيف سينجبه إيل ليزيح به جذب السنوات السبع؟ لأنها لا تذكر صراحة في النص.

ونرجح أن الإله إيل ينجب هؤلاء الآلهة السبعة أما بالطريقة العاطفية نفسها (الاحتضان والتقبيل) أو عن طريق الكلمة حيث كلمة إيل هي المطر. ثم يخاطب إيل أبناءه السبعة ويوجههم إلى البرية:

(أنتم هناك ستقيمون بين الأحجار والأشجار

سنين سبعاً سوياً

بل ثمان دائرة (سنين)

حتى تزرعوا أيها الآلهة الخيرون الحقل

حتى تزرعوا أركان البرية). (جوردن 1974: 170)

تمثل لنا هذه الأسطورة المركبة الطويلة نسبياً عدداً من المشاهد الأسطورية المؤلفة في نص واحد طويل غلبت عليه الصفة الدرامية، ولذلك انقسمت موجات النص الطينية إلى "أقسام بخطوط أفقية رسمها الكاتب، أما النص ففي شكل تمثيلي مع إرشادات مسرحية تبين الموضوع وشخص المسرحية في مختلف المناظر. وكانت أصول التمثيلية دينية حيث يقوم النص علماً من أعلام الطريق إلى فجر تاريخ التمثيلية الكلاسيكية (الإغريقية)". (جوردن 1974: 161).

وهذا يعني أن هذا النص يشير إلى إمكانية تنفيذه درامياً في شكل مسرحي شرقي قديم. وقد قادتنا كل هذه الإشارات الصغيرة وغير المباشرة بعد قراءة تحليلية معمّقة في هذا النص إلى وضع فرضية جديدة حوله لعلنا نهتدي من خلالها إلى وصف حقيقة هذا النص وهي أن هذا النص يمثل نص (عيد رأس السنة الكنعانية الأكبر). ونرى أن هذا العيد كان يمثل في بداية رأس السنة الكنعانية ولنقل بشكل أدق السنة الأوغاريتية.

ويشبه هذا النص في بعض أوجهه نص الـ (أكيتو) البابلي الذي يتحدث في سيناريو شعائري

محكم عن الأيام الإثني عشر لعيد رأس السنة البابلية رغم الخلافات الجوهرية بينهما، خصوصاً في ما يخص الملك وعلاقته بالإله الذي يشكل أساس عيد الأكيبتو بينما يكفي النص الكنعاني بحضور الملك والملكة والأعيان في الاحتفال دون أن يكونوا جزءاً منه.

أما الاستنتاج الثاني الذي نود أن نضعه هنا فيخصّ الإلهين (شهار) و(شاليم). فقد وجدنا أن هذين الإلهين المتلازمين لعبا دوراً كبيراً في مثولوجيات الأمم الأخرى، كما سنرى. أما حضورهما في المثولوجيا الكنعانية فما زال غامضاً فهما يوصفان على التوالي بإلهي الخير والعتاء وهما إلهان جميلان خيّران.

ويدل الإله شحر (سحر) على وقت السّحر أو الشفق قبل الفجر وأصبح يشار له بنجم الصباح (الزهرة قبل طلوع الشمس). أما الإله شالم (سالم) فهو إله التسليم أو الوداع ويدل على النجم الذي يطلع قبل غروب الشمس في الغسق وهو (الزهرة قبل الغروب) ويسمى نجم المساء أو نجم العشاء.

وكان الأمريون يعبدون إلهين شبيهين بهما هما (عزيز) و(منعم) وهما أيضاً إلهما (الخير والعز) و(الأنعام أو العطاء) ونجد لهما تسمية إغريقية باسم (أيزوس) و(موميموس) ويُشار إليهما أيضاً بنجمي الصباح والمساء. وكانا يُسميان أيضاً في مدينة تدمر بـ(عزو) و(أرصو) (أنظر جدول) ويرد اسم مدينة القدس (في فلسطين) في النصوص المصرية في عهد الأسرة الثانية عشر بصيغة (أورشالم) أي (مدينة سالم) أو (نورشالم) ونجد اسم شالم يندس في اسمي ولدي داوود (سليمان وابشالم) وفي الأسماء الآشورية (شلمانصر). ولذلك المؤابي (شلمانو) وكان اسم (العزى) و(شالم) مرتبلاً بقوة بمدينة القدس وضواحيها منذ الألف الثاني قبل الميلاد حيث تجسّد في نجم بيت لحم. (أنظر أذارد 1987: 218 - 219).

ونرجح ارتباط اسم الإلهة (إيزيس) باسم (عزيز) و(عزو) و(العزى)، خصوصاً أن الإلهة أيزيس ترتبط بالنجم الذي يظهر في السّحر وهي بذلك تتطابق مع الإله أو الإلهة (سحر) وكذلك نظيرة أيزيس وأختها (نفتيس) التي يرتبط اسمها بالنجم الذي يظهر في الغسق وهي بذلك تتطابق مع الإله أن الإلهة (شالم). وقد قادتنا كل هذه الاستنتاجات إلى وضع فرضيتين هامتين حول الإلهين (سحر) و(شالم) هما:

1. إن هذين الإلهين هما الجذر القديم للإله (أيروس) إله الحب الإغريقي والإله موت إله البيضة التي خرج منها العالم. وقد حصل هذا عندما رفع مرتبة هذين الإلهين من الهامش الكنعاني إلى القمة الإغريقية، فهكذا نجد بأن الخليقة الإغريقية تتحدث عن جود إلهين أوليين عتيقين هما: (أيريب) و(نيكس) ينفصلان عن السديم الهولي الأكبر ويمثلان الظلام والظلمة، لكنهما ما يلبثان أن يفصلا فينزل أيريب ويحرر أخته (نيكس) التي تتجوّف فتصبح كرة كبيرة في الفلك، ثم يفصل نصفها كما بيضة تنشق نصفين ليخرج منها (أيروس) إله الحب وليرتفع النصف الأعلى وبشكل قبة الفضاء وينبسط النصف الأسفل ويشكل سطح الأرض. وهكذا تكتسب الأرض والفضاء واقعاً مادياً ويصير الحب قوة طبيعتهما الروحية وصار أيروس هو الذي يؤمن تماسك الكون الناشئ، ومن أنحاء الفضاء على الأرض، وجماعهما، بدأت السلالات الإلهية. (أنظر غريمال 1982: 22 - 23).

أما الإله (موت) فيظهر في رواية كوزموغونية أخرى حيث يتيوم الإله أيروس (الذي قد يُسمى بوئوس أو الرغبة) الذي يظهر (موت) وهو البيضة الكونية التي تفقس وتنقسم إلى قشرة عليا هي السماء (أوارنوس) ومادة سفلى هي الأرض (جيا). ونحن نرجح أن (أيروس) و(موت) هما إلا (سحر) و(سالم) الكنعانيين حيث يقابل اسم موت

الغروب والأفول والغسق، بينما يقابل أيروس الظهور والشروق والحب والرغبة (سحر).
 2. إن هذين الإلهين هما الجذر القديم للتالوث العريي الوثني القديم (اللات وعزى ومناة).
 وهنا الغرائيق العلا وبنات الله كما كانت تسميهم قريش قبل الإسلام. فقد عرفنا أن الإله
 / الإلهة (سحر) ظهرت باسم (إيزيس) و(عزى). أما الإله / الإلهة (شالم) فتدل على الغروب
 وموت الشمس واختفائها، ”والإلهة (مناة) في منشئها إلهة الموت والقدر عند البابليين العراقيين
 وعرفت باسمها العريي ذاته عندهم (مناتو)، وعن البابليين عرفها الكنعانيون والآراميون
 والأنباط إلى أن وصلت عبادتها العرب الجاهليين في ما بعد فعرفوها بالاسم نفسه أو ما يقاربه
 (منى)، وذكرت منى متوحدة مع الإله (حاد) إله قبيلة جاد في العهد القديم“. (عبد الحكيم
 1982: 644).

إن ربطنا بين (سالم) و(مناة) له ما يبرره لأن كلمة (سالم) تعني التسليم والوداع والموت.
 كما أن العزى ومناة تشكلان وجهين لعملة واحدة. فالعزى إلهة الصباح ومناة إلهة الليل أو
 المساء وهما تعبيران عن إلهة واحدة هي إلهة (الزهرة) التي كانت تمثلها الإلهة عشتار التي
 تلقب ب(الإلهة) عند البابليين أما عند الكنعانيين فتلقب الإلهة (عشيرة) زوجة إيل ب(إيلات) أو
 (اللات) كإلهة للشمس والعزى وجهها المشرق ومناة وجهها المغرب.
 والثاني نجمي تظهر فيه اللات كإلهة للزهرة والعزى ظهورها الصباحي كنجمة للصباح ومناة
 ظهورها الليل كنجمة للعشاء.

تحوّلات إلهة الزهرة بشكليها النهاري

نوع الأساطير	نجمة الصباح		نجمة السماء	
	اسمها	مدلولها	اسمها	مدلولها
الكنعانيّة	شهار	السّحر	شاييم	مدلولها
الأموريّة	عزيز	الخبر	منعم	الغسق
البابليّة	عشتار	الحب	مناتو	العتاء
المصريّة	إيزيس	الحب والأمومة	نفبتيس	الموت والحرب
الإغريقيّة	إيروس	الحب	موت	سيدة الدار (الشفق)
التدمرية	عزّو	النهار	أرض	البيضة الكونية الأولى
العربيّة	العزى	الحب، النهار، النار	أرض (العالم السفلي)	أرض (العالم السفلي)
			مناة (منى)	الموت والقدر

وهكذا تتفق الإيقاعات المصريّة (إيزيس ونفتيس مع الكنعانيّة (اللات، مناة) و(سحر، سالم مع
 العربيّة (اللات، العزى، مناة) وبذلك نكون قد أضحنا الغموض في شخصيّة الإلهات العربيّات
 الثلاث وفتحنا لغز اسمائهن وأصولهن الكنعانيّة القديمة.
 النقطة الثالثة التي نود الإشارة إليها هي ظهور الرقم (7) في صيغ عدّة (سبع تلاوات لنشيد
 حفظ السابوع، مساكن الإلهة ذات الأركان السبعة).
 ولادة السابوع الإلهي، السنوات السبع العجاف والسبع السمان.. إلخ) وبرغم أن الرقم 7 رقم
 مقدّس عند السومريين بشكل خاص إلا أن ما يستوقفنا فيه هنا هو السنين السبع العجاف
 والسبع السمان فقد عكست البيئة الكنعانيّة نظاماً دورياً سبوعياً للخصوبة والجفاف.
 وكان تعاقب السنين من الجفاف والجراد نقمة مروعة يحرص الكنعانيون على تجنبها بأي ثمن،

وسوف نرى أن موضوع الإلهة الميئة والحياة ليس موسمياً أو سنوياً ولكنه يحدث مرة كل سبع سنوات فهو يتصل بدورات من سبع سنين مخصبة وأخرى مجدبة. (أنظر جوردن 1974: 160). لكن الأسطورة تظهر أحياناً رقم (8) وتتفق مع جوردن أن نصف القرن الواحد أي (خمس سنين) فيها سبع دورات سبعية (7×7) تتكوّن من (49) سنة، أما السنة المتبقية فتكون ثمانية بالنسبة للدورة الأخيرة هكذا يحتوي القرن الواحد على سنتين مجربتين إضافيتين بعد كل سبع دورات. وتشير هذه الملاحظة إلى دقة مراقبة البيئة والمناخ عند الكنعانيين.

3. أساطير بعل

أ. تطوّر شخصية بعل:

قبل الدخول في دورة الأساطير البعلية علينا معرفة هذا الإله بشكل دقيق لأنه يشكل جوهر العبادة الكنعانية.

كان لقب (بل) الرافدينيّ يطلق على ملك الآلهة (مردوخ) وكان يعني (السيد). ولا نعرف ما إذا كان الأموريون هم الذين ابتكروا هذا اللقب أم أنه وجد قبلهم عند السومريين، لكن هذا اللقب سرعان ما انتشر عند الكنعانيين وأصبح يطلق على إله الطقس الشبيه في صفاته بالإله (مروдох). ولكنه أصبح يلفظ (بعل). وكان يعني الرب، المالك، السيد، الزوج.. إلخ وتدرجياً أصبح (بعل) لقباً لكل إله. وكان بعل يلقب بألقاب عدة في النصوص الأوغاريتية منها:

1. ألين: أي العظمة والقومة: وقد ورد لفظ (ألين قدم) أي أقوى الأبطال.
2. راكب الغمام (السحاب): وهو لقب مألوف رافدينيّاً.
3. ذيل: الأمير وقد ورد بصيغة (ذيل بعل أرض) أمير وسيد الأرض ومنها جاء بعل ذبوب أي سيد الذباب أو صائد الذباب.
4. علي: المرتفع ويقصد به السحاب. ورد في ملحمة كرت ومنه جاء لقباً (عليون) و(عاليان).
5. جمر: وكان يرد بصيغة (جمر هدد) و(جمر علي).
6. هدد: بمعنى الطقس أو المطر وهو لا علاقة له بالإله السومريّ (أدد).
7. ابن داغون: يرد أحياناً بهذا النسب، حيث ينسب إلى الإله داغون إله الغيوم والحبوب والاسماك الذي يناظر الإله إيل، ولكي يتم التفريق بين عبادة إيل الخيرة، وعبادة بعل المدنسة بشكل خاص عند الأوغاريتيين.

الإله بعل من اليمين والثور
رمزه يساراً
http://www.gridclub.com/subscribers/info/fact_gadget_2009/1001/history/biblical_times/448.html



لقد حصل خلط كبير في شخصية الإله بعل سببه جهل الكثير من الباحثين وعدم دقتهم في تناول شخصيته ولعل أهم أشكال هذا الخلط دمج المبرك مع الإله (هدد) وهو الإله الآرامي والذي لم يحصل إلا في عصور متأخرة جداً وربطه بالثور أو الأسد وهو ما نتحفظ عليه تماماً. ولكي نراعي الدقة ذهبنا إلى آثار أوغاريت الأقدم والأعرق فوجدنا عدم ارتباط اسم بعل مع هدد (ربما يرد لقب هدد نادراً لتقريب صورة بعل) ولكنه لا يلائمه مطلقاً. ثم أن المنحوتات المعدنية القديمة لبعل في أوغاريت هي الفيصل في هذا الموضوع، فقد ظهرت أقدم هذه المنحوتات مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد، حيث يظهر بعل على قدميه يمد يديه إلى الأمام أو يمد يداً ويسدل أخرى، أما غطاء الرأس فيظهر بسيطاً مثل حز في الرأس مع أنف منقاري، أو أن غطاء الرأس مخروطي مع وجه صغير وجسد نحيل.

وفي حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (حوالي 1500 ق.م لا يظهر مع بعل أي حيوان كالثور أو الأسد، بل نشاهد الشكل العنيف القاسي لبعل (وهو ما يناسب صفاته) ويسمى عادة (بعلو الجبار) حيث يظهر بخوذة مدببة أو مخروطية ويبدو قصيراً. ويقف غالباً وهو يمد يده اليسرى ويرفع يده اليمنى. ويبدو وجه الإله بعل شيطانياً بعيون غائرة أو جاحظة مشوهة وفم مفعور.

ثم يستقر شكل الإله بعل على ذلك الكائن الذي يعتمر قبعة مخروطية تتشابه أحياناً مع غطاء الرأس المصري بسبب الصلات الثقافية بين مصر وكنعان. وفي الغالب تبدو مستقلة مخروطية تميل إلى أن تكون مدببة وما زال الإله راجلاً دون أن يعتلي على حيوان. أما ما يمسكه في اليد اليمنى فمفقود وكذلك في اليد اليسرى الممدودة.. وتكاد هذه الحركة (رفع اليمنى ومد اليسرى) هي التي تسيطر على شكل البعل من الآن فصاعداً.

ونرى الصورة الشائعة جداً عن بعدل (الكنعاني/ الأوغاريتي) في نصب أكتشف في رأس شمرا (أوغاريت) حيث يظهر الإله بعل وهو يحمل باليد اليمنى هراوة وباليسرى الرمح المورق، حيث يظهر قسمه الأسفل كرمح نابت على الأرض أما الأعلى فيظهر كغصن مورق، ولا نميل

إلى الخلط بين الرمح المورق ورمز الصاعقة (البرق) الذي اعتاد أن يظهر به هدد وليس بعلم. أما القبة المخروطية الشكل فيظهر لها قرنان يرمزان إلى الألوهية وربما الخصب. ويتبدل شعر الإله من تحت الخوذة على شكل جديلتين معقوفتين. ويظهر شعر لحيته كثيفاً فوق صدره. ويظهر بعلم بتنورة قصيرة مخططة يحمل خنجرًا تصل نهايته عند رأس تمثال صغير لا يعرف مغزاه، ويقف بعلم على أرض تشير تلونها المخططة على أنها العالم الأسفل. ونرى أن هذا النصب يمثل الصورة المثالية لبعل الكنعاني قبل اختلاطه بأشكال أخرى. منذ بدايات الألف الأول قبل الميلاد طرأ تغيير جوهري على شخصية بعلم الكنعانية عندما بدأت بالاختلاط بالآلهة الطقس والعاصفة المشابهة له وخصوصاً الإله الآرامي هدد (حدد) الذي اندمج معه وشكل الإله (بعلم حدد) الذي ركب ثوراً وأمسك صاعقة شوكية مفردة أو مزدوجة. ونلاحظ إله العاصفة يتشوب وهو يقف على ثور ويمسك شوكة مفردة قصيرة ويرفع يمينه فاساً ونرى فوقه قرص الشمس المجنحة. كذلك نرى الإله حدد الآرامي يمسك شوكة مفردة طويلة ويقف على ثور ثم نراه يمسك شوكتين مزدوجتين في ارسلان طاس شمال سوريا. هذه الصور الثلاث ليست للإله بعلم بل لآلهة مجاورة تشبه بعلم ستختلط صورتها مع بعلم لاحقاً.

ولكي نوضح الصورة أكثر فإن آلهة الطقس الأخرى الآشوري (أدد) وهو يحمل صاعقتين مزدوجتين وله صور كثيرة يركب على الثور، إله العاصفة الحيثي (يتشوب) الذي يحمل صاعقة مفردة وكذلك إله العاصفة الحوري (تاهوندا) ثم إله العاصفة الآرامي (هدد) وكل هذه الصور امتازت بظهور الشوكة المفردة أو المزدوجة في اليد اليسرى والتي لا علاقة لها بالرمح أو الرمح المورق في يد بعلم. ثم ظهور الفأس في اليد اليمنى والتي لا علاقة لها بالهراوة في يد بعلم. وعندما تظهر هذه الآلهة ممتطية الثور فإن بعلم يبقى دون حيوان يرافقه أو يركب عليه. وهذه فروق أثرتنا توضيحها بالصور بسبب الخلط الكبير الذي تسببه النظرة العامة والتي تطمس ملامح بعلم بملامح غيره من الآلهة القريبين منه عند الأقوام الأخرى مما يسبب لبساً خطيراً في دراستنا له.

في المرحلة الهيلنستية ثم الرومانية تغيرت المسألة باتجاه جديد تماماً فقد دمجت شخصية بعلم الكنعانية أو بعلم حدد الكنعانية الآرامية مع الإله (زوس) الإغريقي (جوبتر) الروماني. وهكذا تحول الإله (بعلم بقاع) وهو (بعلمك) (شكل) حيث يظهر بغطاء رأس مركب يحتوي على طبقتين من القرون حلزونية وجانبية حادة ويرفع يده اليمنى إلى الأعلى ثم بعلمك بشكل الثور الذي اكتشفه رزنفال وسمه الرومان جوبتر كابتولان، أو الإله الصالح الأعظم ثم جوبتر هليو بولتيانوس الذي يحتوي في جسده مشاهد آلهة كثيرة.

دورة أساطير بعلم:

من أجل تتبع منطقي لأساطير بعلم سنقوم برسم مخطط فرضي يناسب أساطير بعلم ويحصيها بشكل متسلسل:

1. أساطير مرحلة القوة:

لا تملك أسطورة محددة عن ولادة الإله بعلم، ولكننا بشكل عام نعرف أن هذا الإله ولد من تزواج الإله إيل مع عشيبة. وقد وصفته إحدى النصوص: الثور إيل أب بعلم. وهكذا يكون بعلم عاجلاً في صباه وثوراً في نضجه. وإذا كانت بعض النصوص تصف بعلم بأنه ابن داجون (دجن) فمرد ذلك هو المساواة بين (إيل وداجون)، أو جعل بعلم (الشير من غير نسل إيل الطيب). ويظهر بعلم الكنعاني/ الأوغاريتي واقفاً على العالم الأسفل ويده رموز قوته وهما

الرمح المورق والهرأوة والخنجر في حزامه.

ويظهر الإله بعل برفقة الثور في بعض المنحوتات الكنعانية لكنه يظهر واقفاً على رموز العالم الأسفل في أوغاريت. ورغم ذلك كان بعل يقوم بمعاشرة البقرة جنسياً وينجب منها البعول وهذا يشير إلى قدرته الجنسية وأثرها على إخصاب النباتات والحيوانات والإنسان.
أ. بعل الفتى:

انتزع بعل لقب الثور من أبيه إيل بعد أن احتل عرشه. وهناك ما يشير إلى أن بعل خطط للهجوم على إيل وانتزع منه العرش، إلا أن إيل خطط هجوماً مضاداً وكسب إلى جانبه إله البحر (يم) الذي سمح ببناء قصر له واعترف به من أبنائه.
هكذا يشبَّ بعل ويدخل هو وأخته (عناة) المعارك ويكسبها حيث تذكر إحدى الأساطير أن الإلهة عشيرة كانت منهمة بإعداد أحد الطقوس الدينية حيث تدير رأس مغزله وتعرى لترمي بثيابها المتساقطة إلى البحر ثم ترتب صفاً من الآنية على النافذة وتبتهل إلى الإله (إيل) الغائب عنها. وعندما يطول انتظارها تتوجّه إليه، وفي وقت لاحق يفاجئها (بعل وعناة) بحضورهما إليها فيسقط المغزل من يدها وتصاب بنوبة صرع خوفاً من الأخبار السيئة، لكنها تستعيد وعيها عندما ترى الذهب والفضة مقدمان إليها من بعل وعناة، وعندها تهلل فرحاً.
(أنظر أذاراد 1987: 165).

ومعروف أن اسم بعل مأخوذ من كلمة (بل) التي كان يلقب بها الإله البابلي (مردوخ) وتعني (السيد) أو (الزوج) وأصبح (بعل) مناظراً للإله مردوخ في صفاته حيث أصبح إله طقس كنعاني. وهو يذكرنا بجذر مردوخ الطقسي وهو الإله إنليل السومري إله الهواء والطقس.
”تعتبر عناة من أهم آلهة الخصب في مجمّع الآلهة الكنعاني. وقد انتشرت عبادتها وتقديسها، ليس فقط على الأرض السورية، بل عمت كافة منطقة الشرق العربي، لكن بأسماء وأشكال مختلفة. وقد وصلت عبادتها من الأرض الكنعانية إلى الأرض المصرية عن طريق الهكسوس، وتصدّرت مجمّع الآلهة المصري في القرنين التاسع عشر والعشرين ق.م. ونراها على إحدى المسلات الموجودة حالياً في المتحف البريطاني، مرتدية ثوباً طويلاً يصل حتى قدميها، ومعتمرة خوذة، تلوح بالفأس والرمح. أما النص المنقوش بجانبها، فيصفها بسيدة السماء وعشيقة الآلهة. وقد أغرم بها فراعنة مصر، حتى أن رمسيس الثاني، أطلق على ابنته اسم عناة. أما رمسيس الثالث فاعتبرها مع عشتاروت مجنّه الحامي“. (أذاراد ، 2000: 180).

ب. أسطورة صراع (بعل) و(يم)

وهي كما عرفنا سابقاً جزء من أسطورة الخليقة الكنعانية، وتضعنا هذه الأسطورة بصيغتها الكنعانية الحالية أمام حال لا مناص من قبوله وهو تحول الإلهة (يمو) إلى الإله (يم) إله البحر وظهور تقارب بينه وبين الإله (إيل) وعداوة مع الإله (بعل). وهكذا يطلب (يم) من (إيل) السماح به ببناء قصر له ويحصل على موافقة إيل بعد تردد، ثم يقوم (يم) بإرسال رسله إلى الآلهة المجتمعمة برئاسة (إيل) ليحضروا له بعل ويوافق مجلس الآلهة على تسليم (بعل) الذي يثور ويزمجر ويهم بإشهار أسلحته:

”إيل فحل أبيه يجيب

بعل عبدك يا يم

بعل عبدك إلى الأبد

إبن داجون رفيقك

سوف يحمل تكريمك كآلهة

نعم يحمل قرابينك كأبناء القداسة.
ولماذا يجد بعل الخيانة لجن أب الآلهة المبجل المخرف مع ذلك يندفع في سورة من غضب.
و (يمسك سكيناً) في يده سكين جزار في يمينه.
ليذبح الرسل“ (جوردن 1974: 168).

ثم تقوم الإلهتان عناة وعشترتي بمنعه من ذلك، حيث ينقطع النص لنلمح في اللوح الآخر الإلهين الحصانين الماهرين (كوثر وخاسيس) وهما يصنعان الأسلحة السحرية للإله بعل وهي (همدم) وربما كان النير أو اللجام الذي يستعمل لصيد أو كبج فرس البحر المجنح والسلاح الآخر هو (يجرش) التي هي عصا الضربة الأولى على الكتف ثم السلاح الثالث وهو (أيمر) وهو عصا الضربة الثانية بين العينين، حيث يتهاوى العدو صريعاً. ثم يوصف لنا الصراع بين بعل ويم حيث يستخدم بعل هذه الأسلحة الثلاثة:

”تنقض العصا من يد بعل

كالصقر من أصابعه

فتضرب منكبي الأمير يم

بين يدي النهر القاضي...

فتنقض من يد بعل

كالصقر من أصابعه

فتضرب رأس الأمير يم

بين عيني النهر القاضي

فيترنح ويسقط على الأرض“. (جوردن 1974: 170)

وهكذا يقتل بعل يم ويقوم عشترتي بتعنيف بعل لأنه قتل يم. ويتزع منه ملكية الآلهة التي كاد يأخذها من إيل ويحرمه منها، وقد كان (يم مقرباً من (إيل) حيث تصفه النصوص بـ(حبيب إيل) حيث كان يعده إيل لمواجهة طموحات ابنه الشاب (بعل). وبذلك يكون انتصار بعل خذلاناً لإيل وتنجيحاً منه لملوكية بعل. وهذا يعني أنه لم يتم قتل (إيل) كما فعل هو مع أبيه... بل كان هناك تنازل عن العرش ثم تشعرننا النصوص أن إيل قد غاب نهائياً في الجزر النائية أو في العالم الأسفل. ربما؟

وقد نوّهنا أكثر من مرة أن هذه الأسطورة وأسطورة بناء بيت بعل تشكّلان جزءاً من ملحمة الخليقة الكنعانية المفقودة والتي شوّهت وحصلنا على بعض ألواحها التي تبدو مستقلة عن الخليقة الكنعانية التي فصلناها في بداية هذا الفصل.

بعل يدعو عناة لزيارته (الكشف عن سر الطبيعة):

رغم أن عناة ترافق سيرة بعل بأكملها فهي أخته وزوجته وعشيقته لكن عناة كانت تظهر مزاجاً حاداً وعنيفاً، ورغم أنها تمثل الزواج الشرعي وتسمى (عناة الخطابية) حيث تمثل عشترت أو عشترت المعاشرة الجنسية الإباحية رغم كل هذه الصفات، لكن عناة تحتفظ إلى النهاية بقوتها الخاصة الماحقة.

ونرى أن اسم عناة مشتق من اسم (إنانا) حيث تم تحويل حرف الخاء حيث يشتركان في مخرج صوتي واحد ثم تم تأنيثها بإضافة (ت) فأصبحت عنانات التي اختصرت فتحوّلت إلى (عناة) وأنابا آلهة الحب والجنس السومرية الشبقة التي كانت تظهر أيضاً صفات حربية قاسية في وجهها الآخر كما عناة. ولا نرى في تفسير معنى اسم عناة عبرياً (عنوة) بمعنى العناية والتبصر أو الغاية والهدف وأرامياً بمعنى الشأن والمهمة والعمل وعربياً بمعنى العناية

دلالة على عنايتها بحبيبتها وأخيها بعل كما يذهب إلى ذلك أدزارد لا نرى في كل هذه المرجعيات دقة لأن الجذر السومريّ للاسم هو الأبعد وهو الأقوى بل هو الدال على (ملكة السماء)، وهو ما يتطابق مع صفات (عناة).

لقد كانت أسطورة عناة وبعل تتجلى في تلك الألواح التي تتحدث عن عناة كربّة للصيد والحرب (مثل أرتيمس أو ديانا عند الإغريق والرومان)، فقد كانت رائحة الصيد تملأ أجواء وأبواب بيت عناة وهكذا تنطلق بداية النص من عزم على إبادة أهل المشرق وأهل المغرب لسبب نجهله وهي تشبه في سلوكها هذا الإلهة المصريّة (سخمت) في أسطورتها عن إبادة البشر.

وتؤدي عناة معركتين من معاركها ببسالة وقسوة، فتبدأ بالمعركة الأولى التي تمتاز بدمويتها: ”من تحتها (طارت) رؤوس كالعقبان.

ومن فوقها (طارت) أيد كالجراد.

تنزل حتى الركب في دماء الأبطال

عالياً حتى العنق في دماء الكتائب“. (جوردن 1974: 173).

ثم تبدأ المعركة الثانية التي تمتاز بالإضافة إلى دمويّتها بأسلوب الشجار ورمي الأثاث. ”تحارب بعنف

وتعترك مع أبناء المدينتين

وتقذف بالكراسي على الجيوش

والمواطن على الكتائب“. (جوردن 1974: 174).

وهناك مَنْ يرى بأن معنى اسم عناة هو (سيدة الجبل)، وربما كان هذا قريباً من الصواب أيضاً (شكل) بعدها تحقّق عناة النصر وتُبسط كبدها بالسُرور ويمتلئ قلبها بالحبور، لأن في يدها الانتصار. ثم تقوم عناة بغسل يدها في دماء الجنود وأصابعها في دماء الكتائب، غير أن بركات السلام تعقب ذلك فتستنبط من الطبيعة ماء وتغتسل بالندى من السماء بالرهن من الأرض وبالطر من راكب السحب (بعل). وكل هذه العلامات تشير إلى خصوبة الطبيعة ووفرة الصيد.

وفي هذه الأثناء يبعث (بعل) برسالة إلى (عناة) يُخبرها فيها بأن تكفّ عن القتال وتجنح نحو السلام، ويعدها بأن يكشف لها سر الطبيعة ويعلمها فنونها إن هي حضرت إلى مسكنه الجبلي:

”إليّ.. دعي أقدامك تسابق

إليّ.. دعي أرجلك تسرع.

لأن عندي كلمة أخبرك بها

كلمة الشجرة وهمس الحجر

وصوت السماوات للأرض

والأعماق للنجوم

إنني أفهم البرق الذي لا تعرفه السماوات

والكلمة التي لا يعرفها الرجال

ولا كذلك تفهمها جماهير الأرض

تعالني وسوف أكشفها لك

في وسط جبلي، الإله صفون

في المحراب، في جبل ميراثي

في المكان الطيب على تل القوة“. (جوردن 1974: 175 - 176).

حاول العلماء تفسير عناة بأكثر من رأي ”فمنهم من فسرها على أن القتلى هم رسل وأتباع إله الموت والجفاف وبعضهم الآخر وعلى رأسهم الأستاذ (دومر) الذي رأى في حمام الدم هذا طقساً من طقوس الولادة الجديدة وتعبر عن ظاهرة التضحية بالبشر التي كانت تقوم بها النساء بشكل أساسي في عصور أقدم، ولا يبتعد الأستاذ (غراي) في تفسيره للحادثة عما سبق، إذ إن المذبحة التي قامت بها عناة حسب رأيه لا يمكن أن تكون بلا سبب ولمجرد إرضاء نزعة بواسطة فعل طائش من طقوس العبادة التي كانت تُقام سنوياً في نهاية فصل الخصب لتجديد دماء الحياة“. (أدزارد 1987: 231).

ونحن نرجح الرأي الأخير، فهذا هو الوجه المحارب والقاسي من وجوه الإلهة الأنثى تظهره عندما يختل توازن الطبيعة ويسود الشر أو الجذب لأن الحياة المعبر عنها بالدم تمثل الخصب رمزياً.

وتمضي الأسطورة عندما تستقبل عناة رسوليّ بعل (جوبان) و(أوجار) اللذين يبلغاها برغبة بعل في لقاءها. لكنها ترتاب أولاً ثم تبدأ بذكر انتصاراتها على أعداء بعل ومؤازرتها له ضد (يم، النهر، التنين، الأفعوان الأعوج، الوحش ذي الرؤوس السبعة، إيل زبوب) الذين سنذكر أساطيرهم مع بعل لاحقاً. ثم تقبل دعوة بعل وتتوجه حلالاً إلى جبل صفون وهو مقرّ بعل، وتصل إلى هذا الجبل ويكرّمها بعل بثور مشوي وذبح سمين فتستنبط الماء وتغتسل بندى السماء ودهن الأرض، الندى الذي تصبه السماء والمطر الذي تصبه النجوم ويتقاطر حيوان الصيد لسعادتها لأنها سيّدة الخصب والصيد.

ثم يكشف لها بعل (سر الطبيعة) وهذا يتفق مع بداية الأسطورة ويفسرها أيضاً، فبعد أن عمّدت عناة الطبيعة المجدية بالدم الحي الذي هو شكل الحياة، أي بعمل شعائري مباشرة يعتمد على الأضاحي البشريّة يدعوها (بعل) إلى الكشف عن سر الطبيعة سلماً وعن قوتها المخيبة الأبدية، وربما كان ذلك عن طريق الجنس الذي يشكّل نمطاً معرفياً طبيعياً في العالم القديم. ولكن بعل يطلب منها في مقابل ذلك أن تتوسّط له عند أبيها (إيل) لبنني بعل قصره الذي يريد فهو ما زال يسكن جبل صفون، ولكنه يحتاج إلى بناء قصر له يتناسب مع مكانته ويساويه مع بقية الآلهة.

ج. بناء قصر بعل:

تستجيب عناة لطلب بعل وتؤكد له أنها ستفعل ذلك وستذكر (إيل) بأن لكل الآلهة قصوراً، ولذلك يجب بناء قصر للإله بعل؛ وإذا رفض إيل ذلك فإن عناة ستهدده بأن تدوسه كالشاة على الأرض وستجعل شعره الأشمط يقطر دماً وتخضب لحيّته بالدم.

وتذهب عناة إلى مسكن أبيها عند النهرين الكونيين ومنبعهما الغوريين وتطلب منه ذلك، لكن إيل لا يستجيب لها فتهدده بعنف فيختبئ في أقصى غرفه الداخلية خوفاً من ابنته الوحشية ويكرّر عليها السؤال فتجيبه ومن ورائها عشيرة وأبنائها ليضمّوا صوتهم إلى صوتها:

”وأجابت عناة العذراء:

إن كلمتك يا إيل حكيمة

وحكمتك إلى الأبد

الحياة السعيدة كلمتك

ملكنا عليان بعل

قاضينا الذي لا أحد فوقه

هناك تصبح عشيرة وأبنائها
الآلهة والجماعة من أقربائها
بعل ليس له بيت كالآلهة

ولا بلاط كأبناء عشيرة". (جوردن 1974: 180).

وفي النهاية يُدْعَن إيل لمطالِب الإلهة ويأذن ببناء قصر بعل.. وإذا عدنا إلى أسطورة الخليقة البابليّة فإننا نرى أن مردوخ بعد انتصاره على تيامت يتوجّ ملكاً على الآلهة ويطلب مباشرة ببناء قصر له يكون منزل سعادته وفي داخله يؤسس مكان العبادة والحجرة المقدّسة حتى يتاح له تأكيد ملوكيته، واستقبال الآلهة وأن يكون اسم القصر هذا هو اسم بابل نفسه، الذي يعني (باب الآلهة) أو (حي الآلهة). (أنظر لابات 59: 1988).

وهكذا ينقل الآلهة أوامر إيل إلى الإله الصانع (كوثر وخاسيس) ليقوم ببناء القصر لبعل. ويمكننا (لأغراض الدرس والتحليل) تقسيم مراحل بناء قصر بعل إلى المراحل التالية:

1. جميع المواد الأولية والأثاث: حيث نشاهد مجموعة من آلهة البناء تقوم بجمع هذه المواد مثل الذهب والفضة واللازورد وشجر الأرز والموائد والآنية والكراسي وغير ذلك. وهنا نشاهد الطبيعة هي التي تأتيه بهذه المواد:

”حتى تأتيك الجبال بالفضة الكثيرة

والتلال بأحسن الذهب

وتبني بيتاً من الفضة والذهب

بيتاً من اللازورد“. (جوردن 1974: 182).

2. حفلة ما قبل البناء التي يحضرها (كوثر وخاسيس مع الإله بعل، حيث تذبح الماشية وتصبّ الكؤوس وبعد شرب النبيذ والعشاء يأمر بعل إله البناء ببناء القصر في الحال وسط مرتفعات صفون على أن تكون مساحة المكان ألف فدان والقصر عشرة آلاف هكتار. و”تذكر نصوص أوغاريت ان جبل صفون هو مقرّ الإله بعل، وقد بنى له الإله كوثر قصرًا فوقه، ومن علياء سكناه كان يدير شؤون العالم وهناك وارته الثرى أخته عناة عندما تمكّن منه الإله (موت) وأرداه قتيلاً، ويرى كثير من الباحثين في جبل الأقرع الذي يبعد حوالي 50 كم شمال أوغاريت عند مصب نهر العاصي أنه جبل صفون المقصود في الأساطير“. (أدزارد 1987: 185). وقد تحوّل اسم هذا الجبل عند الحثيّين إلى جبل (حازي) وتدور عليه أسطورة إله الطقس الحثي (أولي كومي) وتحوّل (حازي) إلى (كاتيوس) في المرحلة الهلنستية ودارت عليه أسطورة إله العاصفة (زيوس كاسيوس) واستمرّ كذلك في المرحلة الرومانية ثم احتفظ بقدسيته في الديانة المسيحية حتى العصور الوسطى.

ويظهر جبل صفون كإله مقدّس تقدّم له الذبائح ويذرف الدموع على الملك المريض. كذلك يظهر اسم بعل مرتبطاً به باسم (بعل صفون) الذي وصلت عبادته إلى مصر. ونرى أن العبريين اتخذوا لإلههم القومي (يهوه) جبلاً يقترب اسمه من صفون هو (جبل صهيون) ومعروف أن يهوه شكل من أشكال بعل، أو إله من آلهة الطقس والعاصفة في بلاد الشام.

3. بناء القصر والخلاف على نافذته: يبدأ الإله كوثر ببناء القصر وبينه كوثر على طراز القصر ذي النافذة، ولكن بعل يرفض ذلك خوفاً من قيام الإله المقتول (يم) ودخوله من النافذة وخوفاً من تعريض بنات بعل (بدراي، طلاي، أرصاي) لأجنبي قد يطمع فيهن، ولكن كوثر يقول لبعل بأنه سيعود ويصنع نافذة لقصره، وبعد الانتهاء من القصر توقد النار فيه لمدة سبعة أيام من دون أن تطفأ وبعد انطفاء النار تُطلى جدران القصر بالذهب والفضة.

حفل ما بعد البناء: وبعد الانتهاء من بناء القصر يدعو بعل اصدقاءه من الآلهة لمأدبة عظيمة احتفالاً بالحادث وتحوّل العجول والشياه والماعز والذبائح السمينة والعجول الحولية تكريماً لضيوفه، ويحضر أبناء عشيرة السبعون وكذلك آلهة الحيوانات والأشياء المشخّصة. ويسقيهم بعل النبيذ:

”سقى (بعل) الكباشي من الآلهة نبيداً
وسقى الشاة الآلهة نبيداً

وسقى العجول من الآلهة نبيداً

وسقى الكراسي من الآلهة نبيداً

وسقى العروش من الإلهات نبيداً

وسقى الجرار من الإلهات نبيداً“. (جوردن 1974: 184).

بعل يستولي على تسعين مدينة: بعد انتهاء الحفل يهيمن بعل على الأرض ويستولي على 90 مدينة. وهو ما يجعله يزداد ثقة بنفسه وأماناً من حوله فيأمر كوثر بفتح نافذة في القصر فيذكره كوثر بأن رأيه كان هذا منذ البداية. ولعل وظيفة النافذة هنا والإطار وسط القصر مرتبطان بوظيفة بعل الطقسية السماوية حيث يفتح بعل طاقات السماء، وكانت تجري طقوس حقيقية في معبد لأجل ذلك.

2. أساطير مرحلة الضعف:

أ. أسطورة صراع (بعل) و(موت):

تبدأ هذه الأسطورة من حيث انتهت أسطورة بناء القصر، فبعد أن فتح بعل النافذة والإطار تظهر النذر الكارثية بسقوط المطر وظهور الرعد والعواصف. وكأن سطوع قصر بعل يغيض أعداءه فيقومون بالاستيلاء على الغابة وسفوح الجبال ويظهر صوت الإله (موت) إله العالم الأسفل وهو يصرخ (أنا وحدي سيحكم الآلهة، بل ويقود الآلهة والناس وسيطر على شعوب الأرض).. ويخاف بعل من تهديد (موت) ويرسل رسوليّه (جوبان) و(أوجار) إلى (موت) للتفاوض معه ويحذرهما من أن يتلعهما موت حينئذ.

وموت هذا هو إله الموت الكنعاني، والذي نرى أن اسمه مشتق من اسم (تيامت) وأنه مع اسم (يم) وجهان لاسم تيامت. فبينما يمثل اسم (يم) الماء والحياة يمثل (موت) الجفاف والموت.

ويدعى المكان الذي يسكن فيه (موت) في العالم الأسفل (حمري) والتي ظهرت في ما بعد في الدين العبري تحت اسم (محمروت) أي (نار الجمر) وتقابلها في العريية (جهنم الحمراء). وتصوّر تماثيل موت بأنه يرتدي تنورة قصيرة ذات نطاق علّق عليه سيف وينتعل حذاء معكوفاً من الأمام ويحلي جيده عقد ويحمل بيسراه رمحاً برأس إلى الأعلى ويحمل بيمناه صولجاناً يشبه صولجان الإله المصري (أوزيريس). ويعتمر الإله موت قبعة سنبلية الشكل (تشبه الريشة أو تشبه تاج مصر السفلي) وينهض فوق شكل يشبه شجرة رمزية (شكل...). ولا نعرف السبب الرئيسي الذي جعل موت يهدّد بعل، ولكن هناك إشارات تقول: أن بعل بعد استقراره في قصره المحتفي به مع زوجته عناة وبناته الثلاثة ينطلق صوته من نافذة قصره مجلجلاً مدوياً يهز أركان العالم ويبث الرعب في قلوب أعدائه، وعند ذلك يعلن بعل بأنه لن يدفع من الآن فصاعداً الجزية إلى الإله (موت) ويقوم بإرسال هذه الرسالة إلى الإله (موت) عبر رسوليّه (جفان واوجار) ولكنه يحذرهما بأن موت يمكن أن يتلعهما كما يتلغ الخروف. ويتضح نهم (موت) في جوابه للإله بعل عندما يقول بأن شهيته لا يمكن إشباعها وأنه سوف

يبتلعه، كما يبتلع حبة الزيتون ثم يفتح فاهه من أقاصي الدنيا إلى أقاصي السماء ويلعق بلسانه نجوم المساء. (أنظر أذارد: 224: 1987).

ويتوافق استدعاء موت لبعل مع انتصار بعل على (لويثان) ذي الرؤوس السبعة وتفسير ذلك أن موت الإله الأكبر للعالم الأسفل شعر بأن آلهة العالم الأسفل مثل لويثان سينقضون إذا ظل بعل ينتصر عليهم بهذه الطريقة، وأنه لا بد من وضع حد له وإنزاله هو نفسه إلى العالم الأسفل. ونستغرب من الموافقة النهائية لبعل واستجابته دون مقاومة لطلب موت:

”لقد خشيه عليان بعل

لقد خافه راكب السحاب

وعاد الكلام إلى الإله موت

ونقلت إلى البطل حبيب إيل

رسالة عليان بعل

جواب المحارب الشديد:

يا أيها الإله موت

إنني عبدك، بل لك إلى الأبد“. (جوردن 1974: 186).

وهكذا ينزل بعل إلى العالم الأسفل ومعه سحبه ورياحه وأمطاره وسبعة من خدمه وثمانية خنازير وثلاث زوجات. ولكنه قبل أن يصل إلى أرض العالم الأسفل يضاجع عجلة وينجب منها عجلاً، ثم ينقطع النص ونرى بعل ملقى على أرض (حمراري)، أي العالم الأسفل الكنعاني.

يحمل الرسولان الخبر إلى الأب (إيل) فينزل من عرشه ويجلس على موطن القدمين ثم على الأرض ويصب رماد الحداد على رأسه ويتشع بثوب خاص للحداد وبهيم حزناً وسط الجبال والغابة.

أما عناة، أخته وحبيبته وزوجته، فتهيم حزناً حتى تعثر على جثة بعل القليل وتقيم مراسم التعازي والحداد وتخدش وجهها وذراعيها بمرارة ولوعة ثم تساعدها إلهة الشمس (شيش) لتنتقل جثمان أخيها إلى جبل صفون لتدفنه مع الأضاحي تكريماً له، ثم تتقدم عناة إلى مسكن إيل وعشيرة وتصرخ بسخرية ومرارة (لتفرح عشيرة وابنها وأقاربها فقد مات بعل وهلك سيد الأرض).

وهكذا يفرغ مكان بعل ولا بدّ من اختيار إله بديل مكانه فيقع الاختيار على (عثر) أحد أبناء عشيرة ليكون خليفة بعل على عرشه فيصعد إلى جبال صفون ويجلس على عرش بعل فلا تصل قدماه إلى موطن القدمين ولا يصل رأسه إلى قمته فلا يستطيع ملاً الفراغ الذي أحدثه غياب بعل.

تطلب عناة من (موت) أن يعيد (بعل) فيسخر منها ويعرض عنها فتصعد روح الانتقام فيها وتنقض فجأة عليه، وبسرعة خاطفة تشطره بسيفها وتحرقه بنارها وتطحنه برحاه ثم تنثر رماد جثته على الحقل وترعه ويكون جسد موت بمثابة سماد الأرض الذي يبث الحياة في الأرض ويكون مقدّمة لبعل.

يتخيّل إيل حتماً يتضمن عودة بعل إلى الحياة وعودة خصوبة الأرض، وكأن هذا الحلم هو نبوءة لبعل وعودة خصوبة الأرض، ثم ينقطع النص ويظهر الإله بعل بعد ذلك وهو يخوض معارك عدّة ضد بعض الآلهة في محاولة لاستعادة عرشه.

وبعد مرور سبعة أعوام يظهر (موت) مزمجرأً بعد أن استرد أنفاسه والتأمت جراحه التي سببتها له عناة فيطالب بعل بالمنزلة:

”بسببك يا بعل رأيت العار

بسببك رأيت البعثة بالسيف
بسببك رأيت الاحتراق بالنار
بسببك رأيت الطحن في الرحي
وسرعان ما يشتبك موت وبعل في صراع مميت
إنهما يشتبكان كأفراس النهر
موت قوي وبعل قوي
إنهما يتناطحان كالجاموس
موت قوي وبعل قوي
إنهما يعضّان كالأفاعي
موت قوي وبعل قوي
إنهما يركلان كالمُتسابقين
موت بأسفل وبعل بأسفل“. (جوردن 1974: 190)

وبعد أن يستنفذ الإلهان قوتيهما تشرق الشمس وتظهر الإلهة (شباش) وتتدخل بينهما وتخبر موت موبخة إياه بأن إيل سينتزع منه دائم عرشه ويكسر صولجان حكمه إذا استمر في قتال بعل، فيترك موت قتال بعل، ويستعيد بعل عرشه وتعود سبع سنوات من الخير والوفرة والخصوبة.

ويبدو أن الكنعانيين قد توصلوا من خلال مراقبتهم للحياة الزراعية في أرضهم أن دور الخصب كان يدوم سبع سنوات فربطوها بموت (موت) وعجزه عن مجابهة بعل وبعد انقضاء هذه المدة يعود القتال بين بعل وموت من جديد وينتصر موت على بعل الذي يختفي في العالم السفلي فتنحبس الأمطار وتجف الأرض ويموت البشر والحيوان ويسود القحط ويحل الجفاف والجذب مدة من الزمن تطول أحياناً أو تقصر. وهكذا يتناوب الدوران اللذان يسود في كل واحد منهما بعل أو موت. (أنظر هبو 1999: 235).

3. صراع بعل مع قوى العالم الأسفل:

يخوض الإله بعل صراعات أخرى مع قوى العالم الأسفل التي تحاول جرّه نهائياً إلى الموت لكنه ينتصر عليها، وقد أحصينا سبعة صراعات أساسية مذكورة في سبع أساطير كنعانية ينتصر بعل في ست منها، لكنه يموت في الأسطورة السابعة في صراعه مع (أكلييم وعقيم) ولذلك وضعناها ضمن أساطير الغياب التي تنذر باختفاء بعل من الوجود. ولا شك في أن هذه الأساطير هي وجوه أخرى من أسطورة صراع بعل مع موت، ولكنها تختلف قليلاً فهي تشبه الأساطير البابلية الخاصة بالصراع مع مردوخ مثل إيرا وزو واللابو وغيرها. وهي أساطير توضح الغياب المؤقت لمردوخ في العالم الأسفل.

كذلك هذه الأساطير تفسر الغياب المؤقت لبعل عن وجه الأرض وربما كانت تكرر فترات الجفاف القصيرة أو الانحباس المؤقت والقصير للمطر أثناء فترات الخصوبة والوفرة.

أ. صراع بعل مع لتن (لوثان):

هناك إشارات سريعة لصراع بعل مع تنين مائي له سبعة رؤوس يعتقد أنه (لتن) أو (لوثان) وهو مقابل التنين العبري الذي يرد في أسفار العهد القديم (لويثان) (مزمو 14: 74) (أنت رضضت رؤوس لويثان) والمقصود به هنا الإله (يهوه) وهو المقابل العبري للإله بعل الكنعاني. ”وفي أحد النصوص تتحدّث الآلهة عناية عن انتصار بعل على النهر والتنين ذي السبعة رؤوس، كما يحدثنا الإله (موت) عن انتصاره على تنين مشابه يرد ذكره في أسفار العهد القديم باسم

لويانان“. (أدزارد 1974: 189).

والتنين المائيّ ذات الرؤوس السبعة مشهور في العالم القديم فهو يرتبط قديماً بالإلهة (تيامت) البابليّة، وب (هيدرا) ذات الرؤوس السبعة التي قتلها هرقل وغيرها. وفي كل الأحوال نلمح صراعاً (لتن) وانتصار بعل عليه سواء أكان (لتن) هذا تابعاً لـ (يم)، أو (موت)، أو تيناً من تنانين العالم الأسفل.

ب. صراع بعل مع شليط:

توصف شليط بأنها الأفعى ذات الرؤوس السبعة ونحتمل أنها تين آخر مائيّ يشبه (لتن).

ج. صراع بعل مع أرش:

يحتمل أن تكون هذه الإلهة هي (ارشكيجال) نفسها، إلهة العالم الأسفل السومريّة والبابليّة الشهيرة وتعني (سيده الأرض الكبيرة)، حيث (أرش معناها (الأرض الكبيرة) والمقصود بها (العالم الأسفل) وهي حاكمة هذا العالم واسمها يرتبط بالموت. وهي زوجة إله العالم الأسفل (نرجال) إله الأمراض والأوبئة. وربما حشرتها الأساطير الكنعانيّة كإلهة شريرة للعالم الأسفل وجعلتها تصارع (بعل).

د. صراع بعل مع عتك:

يوصف (عتك) بأنه عجل إيل ولا نعرف شيئاً عن هذا الكائن لكنه بالتأكيد خاض صراعاً مع بعل وانتصر بعل عليه ويمكن أن يناظر هذا الإله (عجل بعل)، وهو إله القمر، وربما كان في مصلحته السفلى قبل البزوغ.

ه. صراع بعل مع إيل زبوب:

هناك إشارة في أسطورة بناء بيت بعل تشير إلى أن عناة وقفت مع بعل في القضاء على (إيل زبوب) وتدمير بيته وواضح أن هذا الإله يشبه (بعل زبوب) فكلاهما إله الذباب والأمراض. ويمكن أن يناظر هذا الإله نرجال الذي كان الذباب رمزاً له كناية عن المرض.

و. صراع بعل مع أشت:

عرفنا أن الإله (أشت) هو إله النار القديم ولا شك في أن (إشت) هي الاسم المؤنث لهذا. وهي بذلك تكون إلهة النار التي دفنتها الذاكرة الكنعانيّة في العالم الأسفل وأصبحت تدل على (النار كلية الآلهة)، كما تصفها النصوص. وهو وصف دقيق فلهب النار يبدو وكأنه نباح كلب بسبب تقطع اتصاله.

ز. صراع بعل مع الإله زيب:

توصف زيب بأنها النار الملتهبة ابنة إيل، وهي ترافق الإلهة إشت لتوحّد وظيفتهما. وربما دلّ على نار الصيف الملتهبة التي تسبب الجفاف وهو يصارع الخصوبة (بعل).

4. أسطورة الغياب:

ربما كانت أشهر هذه الأساطير هي صراع بعل مع المواشي المتوحشة (أكليم) و(عقيم) حيث يقترح الإله إيل خلق مواشٍ متوحشة من وصيفتي الإله (يرح) إله القمر والإلهة عشيرة (زوجة إيل) وهما تاليش و(دمجي). وبعد أن تولد الوصيفتان الماشية المتوحشة (اقليم) و(عقيم) التي تشبه الثيران والجواميس ذات القرون يقرّر الإله بعل الذهاب لاصطيادها، لكنه يصطدم بها فتصرعه ويسقط في الأوحال وتتتابه الحمى التي تهدّد جسده لمدة سبعة أو ثمانية أعوام (لنتذكر صراع بعل مع موت) ويبدو أن هذا العقاب قد حصل بسبب أن الإله بعل ارتكب خطيئة ما (لأنه يحمل دم أخيه في رقبته مثل الثوب الذي يرتديه، مثل ثوب دم عشيرته) ونرى بعدها يعثر على الإله المفقود وتُقام له الطقوس والتعاويد على الماء وتفسّر هذه الأسطورة من

منظور آخر غياب بعل وجفاف الأرض.

ونرى أن هذه الأسطورة هي الأقرب إلى أسطورة أدونيس، حيث يقتل الخنزير الإله أدونيس. ويمكن أن تكون هذه الأسطورة هي جذر أسطورة أدونيس لأنها الأقدم، حيث يُستبدل بعل بأدونيس، خصوصاً أن اسم كليهما يعني (السيد). لكن أسطورة بعل تجسّد صراع الإله الرسمي الكبير، أما أسطورة أدونيس فتجسّد صراع الإله الشعبي. وهو ما يذكّرنا أيضاً بأسطورة مردوخ الرسمي في مقابل تموز الشعبي في وادي الرافدين أو أسطورة رع الرسمي في مقابل أوزيرس الشعبي في وادي النيل.

البعول (البعليم)

لا شك في أن نظرة متفحّصة لشجرة الآلهة تُعطينا صورة كاملة وواضحة لأشكال، وربما لأبناء بعل الذين اتخذوا لهم ما يناسبهم من المدن والصفات والمياه والمنار والكواكب والحرب. وهناك بنات لبعل أيضاً. ولا نريد هنا أن نتوسّع في دراسة كل منهم، إلا أننا سنمرّ سريعاً على بعضهم.

من خلال بعول المدن والأماكن نتعرّف على (بعل بقاع، بعل كرم اللوز، بعل دوليخ، بعل صفون، بعل لبنان، بعل صهور، بعل جدمشق.. إلخ) وبعل دوليخ هو إله مدينة دوليخ الواقعة في شمال سوريا (100 كم عن حلب) وهي الآن ضمن الأراضي التركية، وكان له لقبان الأول عربي هو (عزيز) والذي يطابقه مع الإله الصحراويّ (عزيزو)، والثاني رومانيّ هو (جوبيتر دوليخينوس). وكان بعل دوليخ يمثل إلهاً حورياً حيثياً للعاصفة والخصب ثم أصبح إلهاً للجنود ثم أصبح إلهاً سماويّاً يشير إلى النصر والسلام، وكان يرتدي عادة لباساً عسكرياً رومانياً ويقف على ثور حاملاً صاعقة وفأساً مزدوجة.. وكانت له رفيقة أنثى تُعبد معه.

ومن بعول الصفات نتعرّف على بعل أدير (بعل القدير) الذي كان أحد آلهة جيبيل منذ القرن الخامس ق.م. ونراه في شمال أفريقيا كإله حرب.

أما بعل مرقد فهو (بعل الرقص) الذي كان له معبد في دير القلعة ببيروت ونبع يشفي من الأمراض. وربما كان له علاقة بإله الرقص المصريّ (بيس) واسمه الآخر (ملك المآدب والولائم) أي أن هيكله كان للقصف والمرح والمتعة، وشيّد له الرومان معبد جوبيتر (المشترى بعل مرقد) وكانت زوجته الملكة جونون وهي هيرا إلهة الأسرة والزواج وتقابل تانيت عند الفينيقيين الغربيين وعشتروت عند الفينيقيين الشرقيين. وتكره النقوش اليونانية واللاتينية على شكل (بلمركوس)، أي أن ماركوس أو ماركس تقابل مرقد التي تعني مرقص.

أما من بعول المياه فنشاهد عليان أو عاليان الذي يوصف بأنه ابن الإله بعل ويختص بالينابيع. ومن آلهة الكواكب نتعرف على الإله (عجل بعل) ويسمّى (أغلبيل) وهو إله القمر الذي يظهر على شكل عجل صغير ذي قرنين يحتويان على علامة الألوهية وفي أذنيه قرطين دائريين. ولبعل بنات عيديات منهنّ الثالوث (أرصاي، بدراي، طلاي)، وهن آلهة (الأرض، البدر، الندى) وثالوث آخر... إلخ.

وهكذا نرى هذا السيل الكبير من الآلهة التي كانت تسمّى باسم بعل ”والسؤال الذي ما زال قائماً هو: هل أسماء بعل الكثيرة والمختلفة تشير إلى آلهة عدّة متباينة؟ أم أنها تصف ظواهر الإله الواحد في كل موقع أو مدينة، والاعتقاد السائد حتى اليوم أن اسم بعل كان يُطلق على كل إله باستثناء (بل)، الرافدي، ولم يتحوّل إلى اسم علم إطلاقاً.“ (أدزارد 1987: 182).

ولا نتفق مع هذا الرأي لأن كتاب العهد القديم هم الذين كرّسوا تعميم بعل هذا. فهو إله محدد قائم بذاته ساد في الديانة الكنعانية منذ بداياتها المبكرة، رغم أنه ظهر بعد إيل، أما

كثرة ذكره مع آلهة أخرى فهي أشكال متعدّدة له، حسب الأماكن والمدن والصفات والحالات كما أوضحناه أعلاه وفي شجرة الآلهة الكنعانيّة.

يرى ماسيرو مايلي: "1. كان لكل مدينة في فينيقية ربّ خاص بها (بعل) وله عشتاروت (أسطارطوس وهي إلهة إنثى) وكانت البعليم والعشاروتات تمثل قوى الطبيعة والشمس والكواكب، أو الأغراض التي تتجه إليها نفوس بني آدم مثل العشق والقتال. وكانت هذه الآلهة متوطنة في المرتفعات والمشارف وفي الغابات وفي المياه وفي الأحجار الخام (بيت إيل - بيت الإله).
2. وكانت هذه الآلهة تؤوّل إلى زوج واحد أعلى أو إلى سبعة آلهة كبار تحفّ بأشمون الذي هو الإله الخالق، وكانت عبادة هذه الآلهة غير منتظمة ومحفوفة بأساليب القسوة. فكان القوم يحرقون الأطفال تمجيداً لها، وإذا حل الانقلاب الصيفي أخذوا يندبون موت أدونيس. ثم إذا جاء الخريف احتفلوا ببعثه ونشوره. 3. ثم دخلت بعض القواعد الدينيّة المصريّة في ديانة الفينيقيّين، وكذلك أخذت فينيقية عن مصر حروف الهجاء، ومن الحروف الهجائية الفينيقيّة اشتقت حروف الهجاء الأوروبيّة". (ماسيرو 2014: 152).

لكنه يُخطئ حينما ينقل عن مؤرخي الإغريق والرومان عندما يذكر الأضحيان البشريّة للآلهة وخصوصاً الأطفال، وربما ما أشاعته التوراة عن الكنعانيّين والفينيقيّين.

4. أسطورة عناة:

تحدثنا عن الإلهة (عناة) عندما سردنا أسطورة بعل، ونرى أن اسم (عناة مشتقّ من اسم (إنانا) وهي إلهة الحب والجمال السومريّة وملكة السماء، ولكن شخصيّة عناة تختلف عن إنانا فبينما تميل عناة نحو القسوة والقوة تنحو إنانا نحو الرقة والخصب والعذوبة. ويبدو أن التأنيث الساميّ، بإضافة حرف التاء، هو الذي حول اسم إنانا إلى (إنانات) الذي تحول تدريجيّاً إلى (إنات) و(عنات)، ومع ذلك فإن عناة تظهر في النصوص الأوغاريتية بصفتها المزوجة كإلهة حب وإلهة حرب. أما أهم ألقابها فهي:

1. بتلت: أي البتول أو العذراء.
2. رحم: العذراء الرحيمة والحنونة.
3. عت أم: أي (عناة أمي) أو عناة الأم.
4. عت نر: أي (عناة نوري) وعناة نورنا.
5. عت نتن: أي عناة العاطية أو المانحة.
6. عت كبر: عناة الكبيرة.
7. يكون عتث: عناة قوية كالوجود.
8. عناة هرتي: عناة السعيدة (لقب مصريّ).
9. عناة تحمي.
10. عناة المنتصرة.
11. يمامة الشعوب.

وتظهر الإلهة عناة في أقدم منحوتاتها الأوغاريتية من الفضة بصفة امرأة ذات شعر قصير وأنف منقاري يشبه أنف بعل في أقدم منحواته ويدان تمتدان إلى الأمام. وتظهر مسلّحة بأسلحتها المختلفة. وتظهر جالسة على العرش.

وإذا تتبعنا جذور عناة فسنجدها بالدرجة الأساس سومرية ثم مصرية تمثلها (نوت) إلهة السماء (نيت) إلهة القواسة لمدينة سايس وهي إلهة خالقة أيضاً ونرجح أن الاسمين كليهما جاء من (إنانا ملكة السماء السومرية. ونرى أنهما تظاهرا في تشكيل الإلهة الكنعانية (عناة). هناك إمكانية كبيرة لأن يكون اسم (عناة) قد تحوّل إلى (إنات). ونرى أن كلمة (أنثى) العربية مشتقة من هذا التحوير، وأن اسم (إنات) قد جرت عليه بعض التحويلات اللفظية فتحوّل إلى أسماء ثلاثة لإلهة معروفة في العصور اللاحقة وهي:



الإلهة عناة

1. أناهيت: وهي الإلهة التي شاعت عبادتها بصيغ مختلفة في إيران والعراق والشام. ففي إيران سُميت (أناهيت) زوجة الإله أهورامزدا إله النور الأكبر. وفي العراق ظهرت بصيغ مختلفة تدل عليها مدينة (عناة) الحالية في العراق والتي كان اسمها باللغة السومرية (إناثا Anatha)، أنات Anat، An - At ، أ - نا - أت. (أنظر علي 1980: 82).

ويقال إن اسم (أناهيت) أُطلق على اسم مدينة واحدة كانت تضم عناة وهيت، فلما انتهت عبادة أناهيت انقسمت المدينة إلى مدينتين هما (عناة) و(هيت) العراقيتين.

كذلك تظهر أناهيت عند الآراميين تحت اسم (أنحت) و(أنهت) وهي زوجة ورفيقة الإله حدد. ويمكن أن تكون هذه الإلهة قد نشأت مباشرة من اسم (إنانا).

2. تأنيت: وهي الإلهة التي شاعت عبادتها في شمال أفريقيا عند البربر أولاً ثم عند البونيين وكانت رفيقة الإله بعل حمون، وقد ظهر رمزها الشهير في بعض المدن الفينيقية الشرقية مثل بيروت. وتظهر صفاتها مشابهة لصفات الإلهة (عناة مع ميل أمومي أكثر.

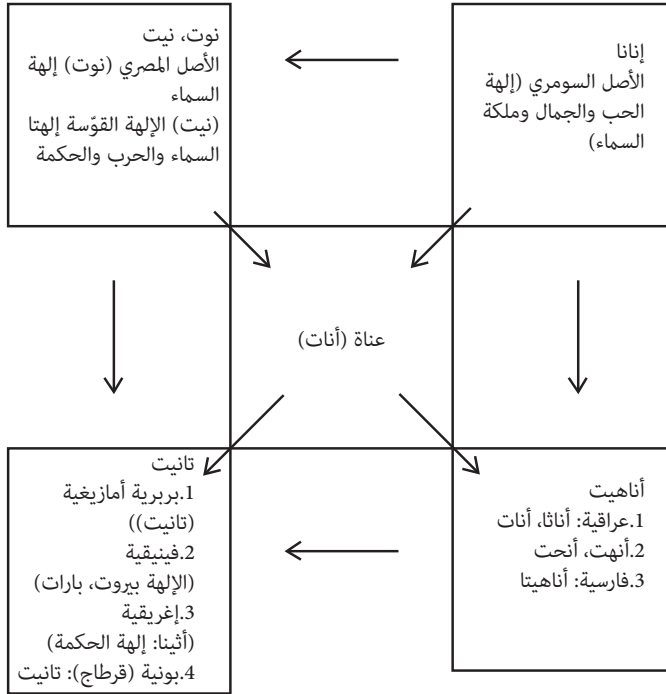
3. أثينا: وهي إلهة الحكمة وسيدة عاصمة الإغريق التي نرى أن أصولها المثلولوجية هي أصول مشرقية تمتد إلى (عناة) التي تمتد بأصولها إلى (أنانا).

ويرى مارتن برنال في كتابه (أثينة السوداء) أن هناك علاقة كبيرة بين أثينا والإلهتين المصريتين (نت) و(نيت) وهما إلهتان عذراوان للحرب والنسيج والحكمة. كانت عقيدة الإلهة نيت متمركزة في مدينة سايس في غرب الدلتا، وقد كان اسم (سايس) هو الاسم المدني للمدينة بينما كان اسمها الديني هو (حت نت) أي معبد أو بيت نت، والذي تحور إلى آث - نت. ثم اختلفت التاء في العصور المتأخرة في كل من اللغتين الإغريقية والمصرية. (أنظر برنال 1997: 141 - 142).

”رغم كل أنواع الحيطة والحذر، التي تحصّن بها كهنة اليهود، ضد الديانة الكنعانية وآلهتها، إلا أن عناة، استطاعت أن تتسرّب إلى صلب عبادة يهوه ”رب اليهود القومي“، وأصبحت شريكته كما كانت شريكة بعل. وقد ورد اسم يهوه مركباً من ”عناة يهوه“، وقد حاول بعض المدافعين عن أصالة الديانة اليهودية، تفسير الاسم، على أن الشق الأول

منه (عناة)، هو صفة للإله يهوه، أي "عناية يهوه"، لتنزيه وحدانية يهوه عن الشرك، إلا أن هذا التفسير مرفوض، فاسم عناء نفسه. مشتق من الفعل "ع. ن. ي) الذي يعطي معنى العناية والاهتمام. " (أذارد 2000: 182).

ونرى أن الإلهة أثينا اشتقت من (عناة) وهو ما كان يشير إليه المؤرخون السوريون القدامى وما تشير إليه التشابهات الواضحة بين تماثيل (عناة) وأثينا من خوذة الراس إلى الأسلحة وحتى ملامح الوجه (أنظر المخطط) وبذلك يمكننا وضع المخطط التالي لاشتقاق هذه المنظومة من الأسماء المتداخلة والمتشابهة.



جذور وأغصان الإلهة عناء

إن المعنى الراسخ لكلمة (عناة) هو (سيدة الجبل). ونرى أن الإلهة عناء أزهت في المرحلة الأوغاريتية ثم طبقت مع بداية الألف الأول قبل الميلاد مع عشتروت التي حلت محلها مثلما حل أدونيس محل بعل تدريجياً. وفي جيبيل كانت عناء قد سُميت مبكراً بـ(بعلات) ربّة جيبيل وأخذت ملامح إيزيس أو حاتحور المصريتين.

5. أسطورة أدونيس: مع ظهور الفينيقيين الواضح في بداية الألف الأول قبل الميلاد وصعود المدن اللبنانية الساحلية كانت أسطورة بعل تتوارى في السهول والوديان وتنشأ محلها أسطورة أدونيس ذات الإيقاع المحلي والمختلف لمناخي الرافدين والنيل.

كان الكنعانيون يسمون إله مدينة جيبيل (آدون) ومعناه (السيد) أو (الرب) وهو يطابق في معنى اسمه ذي الإيقاع المحلي والمتوسط مناخي الرافدين والنيل.

وآدون هو إله رافديني الأصل يمثله دوموزي السومري وتموز البابلي وهما إله المراعي والخصب والجمال وقد ارتبطا بعلاقة عشق مع إلهتين هما إنانا مع دوموزي وعشتار مع تموز. وكان

هذا الثنائي العاشق أصل أساطير الحب في العالم القديم. كذلك يرتبط أدون بعلاقة متناظرة مع أوزيريس الإله المصري وزوجته إيزيس. وقد رحلت عبادة أدونيس إلى مصر وكان له معبد في مدينة فاروس (الأسكندرية) القديمة وبالمقابل امتد أثر اسطورة أوزيريس إلى مدينة جبيل وكان له ولزوجته معبد فيها. لكن أدون انتقل في الألف الأول قبل الميلاد إلى بلاد الإغريق ثم الرومان وأصبح يسمّى (أدونيس)، أما حبيبته عشتروت (والأصح عستروت أو عشترتا) فقد قوبلت بالإلهة افروديت اليونانية (فينوس الرومانية). (شكل)

وما زلنا نفتقد الأسطورة الأصلية الكنعانية أو الفينيقية للإله أدون، ولكن الرواية الرومانية لها هي التي بين أيدينا وهي على لسان الشاعر الروماني أوفيد في (مسخ الكائنات. الكتاب العاشر).

ويبدو أن عبادة أدونيس في سوريا ولبنان كانت متأخرة نسبياً، لكننا نعثر على ما يشير إليها إغريقياً في القرن الخامس قبل الميلاد.

وتتحدث الوثائق عن الاحتفالات السنوية التي كانت تُقام من أجله، حيث يكثر فيها البكاء والنحيب في كل من أثينا والاسكندرية في عصر البطالمة (بطليموس الثاني)، ثم في جبيل وأنطاكيا حوالي القرن الثاني للميلاد وقد وصلت عبادته إلى روما حوالي القرن الأول قبل الميلاد. وسنقوم بتلخيص أسطورة أدونيس، كما وردت عند أوفيد (أنظر أوفيد 1971: 296 - 303).

ولادة أدونيس: كانت مورا (مورها) فتاة جميلة جداً تفاخرت ذات يوم مع الإلهة فينوس بنعومة شعرها فحقدت عليها فينوس وحكمت عليها بأن تقع في حب آثم لوالدها. فوجهت ملاك الحب كيوييد ليرشقها بسهام الحب وهي نائمة، فرشقها وإذا بها تتعلّق بحب والدها. وبدأ الخطّاب يتقاطرون عليها لكن (مورا) كانت ترفضهم جميعاً وكان حب أبيها ينمو بين جنباتها حتى أسرت به ذات يوم إلى مربيته التي دبّرت لها حيلة لتلتقي بأبيها وتمارس معه الحب.

وانتظرت حتى تُمل الأب فدخلت المربية عليه وأخبرته بأن هناك جارية من جواربه تريد أن تعاشره فوافق الأب ودخلت عليه ابنته (مورا) واضعة وشاحاً على وجهها حتى لا تسمح لأبيها بالتعرّف عليها، وهكذا مارست الحب معه. وبعد وقت حملت من هذا الحب المندس جنيناً ثم عاودت ممارسة الحب مرات عدّة مع أبيها حتى كشفها ذات يوم فنهض من فراشه وأمسك بيده السيف يريد قتلها، لكنها هربت في الظلام وخرجت من القصر هائمة على وجهها.

ولما يقرب شعور حملها التسعة ظلت هاربة في القفار، ولما اقترب موعد ولادتها تضرّعت للآلهة بأن تصبح بين الحياة والموت وتحوّل إلى شجرة.

وكان لها ما أرادت فإذا بالأرض تتجمع حول قدميها وأصابعها تمتد وتتحول جذوراً رفيعة تحفر الأرض وتحوّل ساقها ساق شجرة وارفة ثم تتحوّل أيديها أغصاناً متشعبة وعظامها خشباً ودمها عصارة نباتية ويتحوّل جلد لها لحاء. وهكذا تحولت شجرة الـ (مر) التي تستخدم كبخور في أعياد أدونيس.

وعندما دنت ساعة ولادتها أنشق لحاء الشجرة وخرج الوليد من جذعها وأسرعت الحوريات بالتقاطه وغسله بدموع أمه ووضعه فوق العشب وكان الطفل جميلاً جداً يشبه الإلهة.

ب. خلاف فينوس وبرسفونه على أدونيس: كانت فينوس تراقب مشهد ولادة أدونيس فتعلق فؤادها به لجمالها. فهبطت من السماء وأخذت الطفل ووضعتة في صندوق وأرادت أن تخفيه

عن عيون الناس والآلهة فهبطت به إلى العالم الأسفل وطلبت من أختها (برسفونة ملكة الجحيم وإلهة العالم السفلي) الاحتفاظ به والعناية بتربيته.

كبر أدونيس في أحضان برسفونة فتعلقت به هي الأخرى وتخاصمت الاختان ورفعتا شكواهما إلى رب الأرباب (زوس) أو (جوبيتر) حتى يحكم بينهما. فأمر بأن ينقسم عام أدونيس إلى ثلاثة أقسام (كل قسم في أربعة أشهر) فيكون الثلث الأول مع فينوس والثلث الثاني مع برسفونة والثلث الأخير يُترك لأدونيس يقضيه بحريته مع إحداهن. فاختار أدونيس أن يقضيه مع فينوس في العالم الأرضي. ومعروف أن فينوس هي النظير الروماني للآلهة الأصل (أفروديت) التي يرتبط اسمها باسم أدونيس "ويدل اسم هذا الإله على منشئه الكنعاني، فأدون هو السيد وأدوني سيدي. وجاء حرف السين من اللغة اليونانية ليصبح أدونيس، ورغم كونه كنعاني الأصل، لم يرد ذكره في الكتابات الكنعانية على الأرض السورية إلا في وقت متأخر جداً. وأقدم ذكر له يرد في الوثائق اليونانية من القرن الخامس ق.م. ويفسر المختصون غياب اسم هذا الإله المحبوب من قوائم الآلهة الكنعانية بأنه لم يكن رباً رئيساً في مجمع الكهنوت السوري. لذا لم يحظ كغيره من الآلهة بمعبد وسدنة. إلا أنه رغم ذلك كان يتمتع باحترام وتقدير كبيرين في العالم القديم كله. وأدونيس في الحقيقة ما هو إلا صورة أو جانب آخر من شخصية الإله الكنعاني الشاب بعل والإله الرافديني تموز، وقد يكون اكتسب اسمه المعروف (أدونيس) في وقت متأخر بعد انتشار الثقافة اليونانية في ربوع الأرض الكنعانية". (أذارد 2000: 177 - 178).

ج. فينوس وأدونيس: كان أدونيس يقضي ثلث العام مع فينوس وكانت هواية أدونيس هي الصيد وكان يصيد دون مبالاة بشيء، ولكن فينوس كانت تراقبه من مركبتها السماوية فتعلقت به حباً وكانت تحاول إغواءه (شكل)، لكنه لم يكن يبالي بها فاشتعل جها له حتى استطاعت أن تجرّه إلى حب جسدي شهواني عنيف وكانت تحدّره من الحيوانات التي يصطادها وحكت له ذات يوم قصة اتلانتا التي غلبها في العدو هيبومينيس فتزوّجته. لكنهما ارتكبا خطأ كبيراً عندما مارسا الحب في أحد المعابد ودنّسا محرابه فتحولاً أسدين يسكنان الغابة. لكن أدونيس لم يبالي بهذه التحذيرات، فخرج له خنزير بري كانت كلاب الصيد تعدو خلفه فرشقه أدونيس برمحه، لكن الخنزير اقتلع الرمح وتعقب أدونيس وعض فحذه قريباً من خصيته بنابه فتلوى أدونيس محتضراً على الرمال وحيداً.

5. دم أدونيس: سمعت فينوس أنين أدونيس وكانت فوق عربتها التي تقودها البجعات المجنحات نحو قبرص (حيث قصرها في بافوس) فأدارت طيورها البيضاء نحو جبيل في لبنان (شكل) وعندما وصلت إلى هناك شقت ثوبها ولطمت وجهها وجرت شعرها وهالها منظر دماء أدونيس فقررت أن تحوّل دم أدونيس حمرة تجتاح الزهور البيضاء (نكاية بما فعلته أختها برسفونة التي حوّلت مورا شجرة عطرة). وهكذا صبّت فينوس على دم أدونيس رحيق زهرة عطرة فعلى الدم وتساعدت منه فقاعات صافية ثم انبثقت من بين الدماء زهرة بلون الدم تشبه زهرة الرمان وهي زهرة شقائق النعمان.

ولتحليل هذه الأسطورة الرومانية الرواية وإرجاعها إلى الأصل الكنعاني سنقوم بمجموعة من المقارنات التي تعيننا على تلمّس ذلك والتي ستسهم في تعميق شخصية أدونيس ومعرفة أغواره.

أدونيس وعلاقته بالسماء: لا يمكننا المرور عابرين على اسم والدة أدونيس (مورا) أو (مورها). فهذا الاسم يذكّرنا باسم (مورا) وهو الاسم الذي كان يطلق على أرض فلسطين. وهو في رأينا اسم له علاقة كبيرة بالأموريين الذين كان إلههم (مارتو) هو الإله القومي لهم إضافة إلى أن

اسم (مر) كان يدل على إله السماء القديم عند الأموريين. ويؤكد هذا أيضاً أن أم أدونيس تحوّلت شجرة الـ (مر).

فأدونيس والحالة هذه يبدو لنا وكأنه ابن السماء وهي صفة تنسحب أيضاً على بعل وإيل قبله.

أدونيس وعلاقته بالشمس: نرى أن (أدون) هو تصحيف عميق لكلمة (أتوت) التي تعني الشمس وأصلها إله الشمس السومريّ (أوتو) صديق دوموزي (الإله الراعي)، وهو إله الشمس المصريّ الذي رفعه أخناتون لمستوى التوحيد المطلق (أتون).

وهناك ما يشير إلى علاقة أدونيس بالشمس في ظهوره واختفائه كل ستة أشهر، حيث يبدو خلال فصلي الربيع والصيف قوياً ساطعاً ويختفي أو يقلّ ضوءه خلال فصلي الخريف والشتاء، وهو ما يفسر الظهور الدوري لأدونيس كل ستة أشهر، فإذا كان بعل يفسر دورة خصب الأرض السبعية فإن أدونيس يفسر دورة الفصول الأربعة.

وهناك من يرى أن "ظهور أدونيس في الستة الأشهر الأولى كظهور الشمس قوية على نصف الكرة الشماليّ حيث المنطقة التي عبد فيها أدونيس، أما اختفاؤه فيعني انتقال الشمس إلى نصف الكرة الجنوبي، واتسامها بالضعف والاختفاء وراء الغيوم في النصف الشماليّ من الكرة الأرضية، وهكذا تكون دورة الشمس بين شمال وجنوب، أو بين قوة وضعف وما ينتج عن ذلك من تعاقب الفصول". (جمعة 1981: 55 - 56).

أدونيس وعلاقته بالنباتات: يمثل أدونيس من وجهة نظر الكثير من الباحثين روح النبات فقد ولدته أمه شجرة المر وكان يتغذى قبلها على عصارة النباتات. ودورة حياته تمثل دورة حياة النبات عندما يكون بذوراً في باطن الأرض ثم يظهر في الربيع وحتى يأتي الخريف فيذبل وتتساقط بذوره على الأرض وهكذا. وكان الناس يعبدون أدونيس ويفرحون بولادته ويكون لمماته حباً في النباتات وخصوصاً القمح الذي يشكل مصدر طعامهم الأول.

كذلك تشير شقائق النعمان إلى اتحاد دم أو روح أدونيس مع النباتات وتحوله لونهاً أحمر. وتذكر الأسطورة أن دماء أدونيس قد سالت إلى نبع أفقا حيث ينبع هناك نهر إبراهيم الذي كان يسمّى (نهر أدونيس) حيث تختلط دماء أدونيس بمياه النهر فتتحول مياه النهر حمراء (وهي إشارة إلى الظهور الموسمي للظمي الأحمر بعد ذوبان الثلوج). (أنظر جمعة 1981: 55).



أدونيس (تمثال في اللوفر) ومقتله بالخنزير (تمثال في سانت بطرسبرغ)

http://en.wikipedia.org/wiki/File:Giuseppe_Mazzuoli_-_The_Death_of_Adonis_-_hermitag.jpg

jpg

جذور أدونيس التمزوية والأوزيرية: وقد أشرنا إلى هذا الأمر مراراً حيث اكتسب أدونيس أسطوره من أسطورة تموز وعشتار (السومرية الأصل: دوموزي وإنانا) إذ يغيب تموز في العالم الأسفل وتبحث عنه عشتار عندما تنزل إلى هذا العالم فتقتلها أختها أرشكيجال ثم تقضي الإلهة بأن يبقى تموز ستة أشهر على وجه الأرض وستة أشهر تحت الأرض. حيث تنوح عشتار على حبيبها عندما يغيب:

”ترفع صوتها في النواح إذا فارق الدنيا

ترفع صوتها في النواح قائلة: واولداه!

ترفع صوتها في النواح إذا فارق الدنيا قائلة: أواه يا دامو!

ترفع صوتها في النواح لتقول: يا ساحري، يا كاهني!

هناك حيث أرسلت شجرة الأرز المشرقة جذورها في المكان الفسيح في

(عيانا) في التلال والوهاد، ترفع صوتها في النواح.

وهي تنوح نوحها على الحشيشة التي لا تنمو في تربتها تنوح نوحها على القمح الذي لا ينبت في سنابله“. (فريزر 1979: 20 - 21).

وتشكل أسطورة أوزيريس وأيزيس المصرية جذراً آخر من جذور أسطورة أدونيس كما علمنا. أدونيس وعلاقته بعمون ومؤاب: تذكرنا أسطورة أدونيس بقصة لوط في العهد القديم، حيث تلد ابنتا لوط من أبيهما (بعد أن أسكرتاه)، ابنين هما بنعمي ومؤاب، وهما على التوالي أب العمونيين وأب المؤابيين. وفي قراءتنا للمثولوجيا الأردنية القديمة نرى أن الإلهيين ملكون وبعل هما إله عمون ومؤاب. وهما صورتان من صور الإله أدونيس ويشترك بنعمي ومؤاب مع أدونيس بأصلهم الخاطئ حيث ضاحج أب مورا إبنته وأنجب بذرة خاطئة هي أدونيس وكذلك فعل لوط مع إبنتيه.

أدونيس وعلاقته بالإله (أدد): كان الإله أدد يُسمى أيضاً (أد) (أدد)، وهو إله المطر والصواعق السومري والذي له علاقة بالخصب والزراعة ويمكن أن يكون هذا الاسم قد تحوّل إلى (أدون). وهو بذلك يلتقي مع البعل في أن البعل هو المقابل الكنعاني للإله الآرامي أدد أو حدد الذي التحم به في ما بعد وأصبح يعرف بـ(بعل حدد).

والجدير بالذكر أن هناك منحوتات ووثائق كثيرة في لبنان جسدت أسطورة أدونيس أو بعض مشاهد منها تلك النقوش التي عثر عليها في (غينة) وفي (المشنة) قرب وادي نهر أدونيس أو نهر إبراهيم. ففي آثار غينة نشاهد نقشاً بارزاً لبطل يصارع حيواناً يُعتقد أنه أدونيس يصارع الخنزير. وهناك نقش لامرأة حزينة بالقرب منه. إن نقش غينة يمثل أدونيس يصارع الخنزير وفينوس الحزينة وكذلك نقوش المشنة التي توضح بطلاً في أوضاع مستعدة للتقال، ونقش امرأة حزينة أيضاً.

- أدونيس وعلاقته بالإله (هاي - تاو - Hay - Tau): في مدينة جبيل (بيبلوس) عثر على أسطوانات أو أختام تختتم بها صفحات الكتابة في العصر التيني المصري حوالي 3000 ق.م. وعلى هذه الأختام الأسطوانية صور مصرية الطراز للإلهة جبيل وهي إلهة بلامح إيزيس - حاتحور وقد جعل على رأسها قرناً بقرة وجلست إلى جوار إله يدعى هاي - تاو وهو الذي دعاه الإغريق في ما بعد أدونيس. (أنظر بنت بطوطة، د. ت: 92)

وقد استحال هذا الإله شجرة صنوبر كما في أسطورة أوزيريس الذي ليس جثمانه بمعجزة جذع شجرة الأثل. ونرجح أنه يكون اسم هاي - تاو شكلاً مذكراً من اسم حاتحور أو هاتحور. وربما كان مقطع تاو Tau يشير إلى إله الكتابة تاؤوس الذي هو تحوت المصري الذي وصف بإله القمر والذي ربما لاقى مصيراً يشبه مصير أدونيس.

- أدونيس وعلاقته بالإلهة (إشمون): وهو إله الطب الذي يشبه اسكلابيوس الإغريقي، وله علاقة بروح الأعشاب والنباتات الأرضية وخصوصاً الأشجار. وكان لتشبيه أدونيس بأشمون وما رآه الإغريقي من تحويله إلى أدونيس صدى بعيد الأثر يلفت النظر في ما تخلف من كتابات جنائزية من عصر بيبي الأول من فراغة الأسرة السادسة، فإن بيبي في ناووسه الخشبي قد قارن نفسه بالإله هاي - تاو أي أوزيريس (أنظر بنت بطوطة، ب. ت.: 92 - 93). ومثل علاقة أشمون بأدونيس مظهراً من العلاقة المشتركة بينهما وبين النباتات.

6. أسطورة إشمون:

تناظر شخصية الإله اشمو وتماهى مع شخصية الإله (ملكارت) فهو إله النار، وهو إله صيدا أو صيدون.

وعبد هذا الإله في قرطاج وبني له فيها معبد يقع على قمة بيرسا وباتت أسماء العلم التي تضم لفظة أشمون كثيرة الاستعمال وفي قرطاج كما في صيدون مائل هذا الإله أسكولاب. (أنظر ميادان 65: 1981).

وتشير الآثار إلى أن بيروت كانت المكان الأول لعبادة الإله أشمون، ثم انتقل إلى صيدا ومنها إلى قبرص وسردينيا وأفريقيا وقرطاج. وكان اسمه في صور (ياسومون) وهو إله الطب والشفاء، ويشير لهذا مقطع ياسو أو آسو في اسمه والذي يشير إلى الطب، وهو المقطع ذاته الذي في اسكولاب إله الطب اليوناني، حيث كان إله الطب السومري اسمه (ننازو) أو (نناسو) أي سيد الأطباء وربما كان اسم (ياسمين) للدلالة على هذه الزهرة العطرة بما له علاقة بكونها عشبة طبية.

وقد ظهرت التفسيرات القديمة التي حاولت تفسير اسم أشمون غير دقيقة، تلك التي قام بها فيلون "مسكيوس على اعتبار أن اسمه يعني الثامن (شامون معتمدين على أساس أن أسكولاب هو الابن الثامن للإله إيل من صديقه. وهو أمرٌ غير دقيق. (أنظر أذارد 174: 1978). وتتداخل أسطورة وشخصية أشمون مع شخصيتي أدونيس وبعل. ويذكر المؤرخ دمسقيوس (من القرن الرابع الميلادي مقارنة بين أسطورتَي أدونيس واسكلابيوس (إله بيروت) ويقول (ليس أدونيس مصرياً ولا يونانياً بل فينيقي وإنه يُسمى ايسمونوس وإنه ابن صاديقوس، وربما كان اسم أدونيس غطاءً أو لقباً وضع فوق اسم أشمون على نحو يُخفي لقب (بعل) وهو الاسم الحقيقي الذي يسمّى به الإله الأعظم، وأما ارتباط مولده بشجرة فهو تصوّر طبيعي في بلد ذي غابات. (أنظر عصفور 15: 1981).

وإذا كان الإله (هاي - تاو) الذي ذكرناه سابقاً يشكل صلة للعلاقة بين أدونيس وإشمون وتحوت (إله الكتابة والمعرفة في مصر من الممكن تماماً أن يكون اشتقاق الإله الإغريقي اسكلابيوس (شكل) المناظر لتحوت منطقياً، وبذلك يتطابق مع اشمون خصوصاً أن الاثنين يبدأ اسمهما بـ(اش) التي هي النار والتي لها علاقة بالطب.

وربما وقع الإله رشف بالمكانة ذاتها فهو إله النار والحرب من ناحية وهو إله الأوبئة وأحد آلهة العالم الأسفل ومعنى اسمه (الوباء) أو (النار) ويلفظ بأشكال متعدّدة (رشف، رشف، روشفن، روشفون) ويظهر كاسم مكان في العهد السلوقي على شكل أرسوف ويوصف على أنه (رشف الطيور) و(رشف التيوس) (أنظر أذارد 214: 1978) ويظهر في تمثال برونزي من مجدو وهو يمسك هراوة أو سيفاً بيده اليمنى ودرعاً باليسرى.

أما الأسطورة التي تروى عن اشمون فتقول إن أشمون كان شاباً فتياً يحب الصيد وبينما هو في رحلة يد وقعت بحبه الإلهة (أسترونه) وهي إحدى مظاهر الإلهة عشتار وبدأت تلاحقه بلهفة دون هوادة، مما اضطره لأن يخفي نفسه فيموت أثر ذلك، ولكن الإلهة تمكنت من

إعادته إلى الحياة بحرارة الدفاء الإلهي وجعلت منه إلهاً ومن هنا جاءت تسمية أشمون حيث أن كلمة (إش) تعني النار. (أدزارد 1978: 174).

وجوهر هذه الأسطورة لا يختلف عن أسطورة أدونيس. وفي رأينا أن آلهة الخصب والزراعة تتماهى دائماً مع وظيفة الطب والشفاء والنار. ونجد في الأساطير السومرية أصدق الأمثلة على ذلك فشخصية دوموزي (أصل أدونيس) ترتبط دائماً بشخصية نكشزيديا إله الطب السومري، وإلهات الزراعة (باو) كولا، ننتي ننسينا.. إلخ) كلهن إلهات طب وشفاء وهكذا.. وكان لأشمون معبد كبير في قرطاج على قمة بيرسا استبدل في العهد الروماني بمعبد إله الطب (أسكولابيوس).
7. أسطورة شدرافا:

وهو إله الطب والشفاء أيضاً ويتماهى مع ملكارت وإشمون، وقد فسر اسم شدروفا أو شدرافا بمعنى (شد الشافي) وكلمة شد أو شيدو أو شدو هو الإله الحامي وهو إله شفاء متخصص بالشفاء من لسعات الثعابين والعقارب والحشرات. ولذلك كانت المنحوتات تصور شدرافا مع الثعابين والعقارب، ويعتقد أن له علاقة بالإلهة (سديد).
رهباً كانت له علاقة كبيرة مع كائنات تُدعى (رفائيم) أو (رفوم) التي لها علاقة بالشفاء والإخصاب وهي كائنات أو عفاريت عملاقة؛ ولذلك جاء أول ذكر لهذا الإله مع عمريت (في القرن الخامس قبل الميلاد). وأهم المدن التي عبد فيها هي صور وصيدا وإيليس ومعبد وقرطاج.

ونرجح أن أسطورة شدرافا لا تختلف في جوهرها عن أسطورة أدونيس أو أشمون، ولكننا لا نملك نصاً صريحاً عن هذه الأسطورة ويظهر الإله شدرافا (شدوفا) في نقوش أنصاب عمريت على الساحل السوري بهيئة قريبة من هيئة الإله (بعل) ولكنه يحمل، في أحد النصبين، بيده اليمنى سلاحاً غير واضح المعالم أما في النصب الآخر فيحمل ما يشبه البلطة أو الفأس على شكل مرآة مثلومة. في حين حمل بيده اليسرى في النصب الأول حيواناً صغيراً رهباً كان جدياً أو أرنباً أو شبل أسد ويعتمر الإله في النصبين بغطاء رأس مخروطي له ذيل اتضح طوله في أحدهما، يقف على أسد يظهر في أحدهما واقفاً على تلوال العالم الأسفل الرمزية. ويظهر الشمس والقمر وفوقهما جناح الأفق أعلى رأس شدرافا في أحد النصبين. ونرى أن ظهور الأسد له علاقة بالإلهة المؤنثة التي رهباً كانت لعنة بشكل عام، ولكنها هنا مأخوذة من ربيعة شدرافا وهي الإلهة (سديد) التي تظهر هي الأخرى واقفة على أسد في أحد منقوشاتها متخذة شكل عنة وهي تمسك البردي واللوتس (رهباً الريحان).

8. أسطورة حرون:

كانت كلمة (حر) و(حور) التي اشتق منها اسم الإله حرون مرتبطة بالشمس، وكذلك تعني كلمة (حور) حفرة أو جوف. وكان العرب يشيرون إلى كوكب المشتري بهذه الكلمة. وكان الطائر الصغير القصير الذنب المائل إلى الخضرة والذي كان يرتبط بالشمس يُسمى (حُر). وكان الإله المصري (حور) أو (حورس ملك الآلهة المصرية وابن إيزيس وأزوديس ووريث (رع) وهو إله الشمس وكان الصقر رمزه الأعظم.

والإله الكنعاني (حورون) يرتبط بالقوة والحرب والشمس، ويعتقد أن اسمي (حوران) و(حوران) لهما علاقة بهذا الإله. وهناك من يرى أن إله العهود والمواثيق لأنه (لا ينطق إلا بالحق)، كما تروي بعض النصوص ذلك. وكذلك ظهر هذا الإله مرتبطاً بالإله (رشف) والإله (شلمان أو شاليم) والإلهة (عنة) ويشبه في صفاته صفات الإلهين السومريين (نرجال) و(نورتا) وهما إلهة العالم الأسفل والعاصفة.



مسلة شيحان مؤاب حيث يظهر رمز الإله حورون على شكل عقاب

<http://eu.art.com/products/p12264029-sa-i1641254/posters.htm?ui=8F-CE7EE9E1984592BD9889B851719849>

وفي مصر ظهر الإله (حورون مصوراً على شكل عقاب كإله أمام الفرعون رمسيس الثاني فوق أحد تماثيله المكتشفة في عاصمته (ممفيس) في الدلتا، وكان تمثال أبو الهول الكبير في الجيزة من عصر السلالة الثامنة عشرة يُعبد على أنه الإله (حورون). (أنظر أذارد 1987: 210). ونرى أن مدينتي حوران (جنوب سوريا) وحران (شمال سوريا) لهما علاقة بعبادة قديمة كانت قائمة للأله (حورون) فيهما. ويعتبر (حورون) إلهاً رئيسياً في مدينة يمينا (حورون يبن) في القرن الثالث ق.م. كما اقترن اسمه مع هرقل (ملقارت) في نصّ مدون باللغة اليونانية فوق مسلة عثر عليها في جزيرة (دلوس). وتسميه النصوص الأدبية المندائية بـ(عبقري حوران وظل الوجود). (أنظر أذارد 1987: 211).

وظهر الإله حورون على مسلة شيحان في مؤاب (في منطقة رجم العبد) حوالي القرن الثاني عشر أو الثالث عشر. بصفة إله محارب يمسك رمحاً بيديه ويأتمر بتنورة المحاربين. ويعتمر بكبوس ظهر منه الذيل المعقوف المدلى خلف ظهره وهو يشبه كبوس الإله بعل ويظهر إلى جانبه صورة الإله حورس وقد اتخذ شكل العقاب (رمزه الشمسي)، وهكذا تترسخ الصفات الشمسية والسفلية والحربية لهذا الإله وتضعف عنده الصفات الخصبية. ولذلك نرجح أن تكون أسطوره مختلفة كلياً عن منظومة أسطورة أدونيس التي شملت أشمون ورشف وشدرافا. ونعتقد أنها أقرب لأسطورة إله شمسي أو سفلي.

9. أسطورة شبش:

لم تحظ الشمس بأهمية دينية أو مثولوجية في بلاد كنعان. ولذلك ظلت هامشية، وقد مثلتها خير تمثيل الإلهة شبش shapash وربما كان بعل أو حورون يأخذان صفات الإلهين الشمسيين. لكن النزعة الشمسية في الديانة الكنعانية ظهرت في نهاياتها وتحديداً في المرحلة الهيلنستية فصارت الشمس تغمر بصفاتها حتى الثالوث الإلهي (بعل حدد، اترغاتس، سيمسو) وصارت بعلبك مدينة الشمس وظهرت مظاهر أخرى مع طغيان الديانة الرومانية. لقد كانت عبادة الطبيعة المخصبة المباشرة هي الأساس في الديانة المصرية ذات الطابع الشمسي أو في الديانة الأكديّة ذات الطابع الشمسي أيضاً بل ظلت أمينة لبيته أو إيقاعه الخصب. ويظهر دور الإلهة (شبش) في صراع بعل مع موت عندما تعثر على جثة بعل وعندما تهدد بعنف (موت) حين يعود لصراعه مع بعل.

10. أسطورة يرح (القمر):

كان القمر أوفر حظاً من الشمس في حضوره الأسطوري (على قلّته). ومن الطريف أن يأخذ القمر شكلين مختلفين عند الكنعانيين أولهما أنثوي والآخر ذكري.

كان الشكل الأنثوي للقمر هو الإلهة (نيكال) التي هي من أصل رافديني معروف، فهي إلهة القمر السومرية التي يرد اسمها على شكل (نتكال)، أي السيدة العظيمة، ويرد اسمها كثيراً في قوائم الأضاحي في أوغاريت. "ويعتقد أن الإلهة كانت تتمتع بطقوس شعبية لائقة في أوغاريت، ومن المحتمل أن مركز عبادتها الأساس كان في حران، التي كانت إحدى مراكز عبادة إله القمر الرافديني (سن) الرئيسية وانتقلت عبادتها من هناك في وقت مبكر إلى سورية" (أدزارد 1987: 248).

أما الشكل الذكري للقمر فهو الإله (يرح) ويسمى أيضاً (ياريش) وسنرى كيف يكون الإله (يرح) مصدر العبادة القمرية في جزيرة العرب واليمن من خلال الإله (ورخ). وهناك أسطورة زواج يرح من نيكال توصف فيما الإلهة العروس على أنها ابنة إله يلقب ب(ملك ثمار الصيف) وتحضر حفل الزواج الإلهات المسؤولات عن الحمل والولادة (كوثرات)، ويهتم القسم الأول بخطبة العريس وطقوس عقد القران وحفل الزواج حسب التقاليد الكنعانية القديمة. أما القسم الثاني من الأسطورة فيخص مرحلة ما بعد الزواج وكيف أن الإلهات كوثرات يتهيئن لاستقبال الطفل الجديد من هذا الزواج الذي هو ثمرة مباركة تنبئ بخصب الأرض والطبيعة أيضاً.

وهكذا تصبح أسطورة القمر أسطورة هامشية على متن الفاعلية الخصبة التي يشكل أساسها إيل وبعل وعناة بالدرجة الأساس. وهو أيضاً ما يعكس عدم اهتمام الكنعانيين بالشمس والقمر والكواكب بشكل عام في أساطيرهم وحياتهم لعدم أهميتها المباشرة قياساً إلى دورات الخصب والجفاف والمطر والري.

11. أسطورة حمون:

لا نملك نصاً صريحاً يشرح لنا بدقة أسطورة حمون وتانيت في شمال أفريقيا، رغم وجود إشارات كثيرة إلى وجود مثل هذه الأسطورة، لكننا نستطيع أن نخمن أنها مزيج من أسطورة بعل وعناة وأسطورة ملكارت، وذلك بسبب من الطبيعة النارية للإله حمون. كان الإله حمون، أو (بعل حمون) إلهاً كنعانياً/فينيقياً انتقلت عبادته مبكراً إلى شمال أفريقيا، وساعد على ترسيخ وجوده اتخاذ صفاته مع صفات الإله المصري (أمون) الذي كان له معبد كبير ومشهور في واحة سيوه الغربية باتجاه الصحراء الليبية. "وقد اقترح الأستاذ ستاركي تفسيراً لمعنى الاسم (سيد المبخار معتمداً في تفسيره على وجود عدد كبير من الأنصاب في قرطاجه عليها مشاهد تقدمه البخور)". (أدزارد 1987: 202).

ويبدو أن الإله بعل حمون عبد من قبل البربر كإله قومي خالق وكانت أنصابه في قرطاج قبل القرن الخامس قبل الميلاد تذكره لوحده، ثم تغيرت العقيدة الدينية القرطاجية واستبدلت ملكارت وعشتار ببعل حمون وتانيت، وأصبح يحتل المرتبة الثانية بعد تانيت. والتجسيد البشري لبعل حمون يأتي من قرطاجه حيث جسد على شكل إنسان جالس على عرشه وبجواره تمثال لأبي الهول المجنح ويمسك رمحاً بيده اليمنى (شكل). وكان قرص الشمس المجنح الذي تظهر بقاياه في النقش البارز يظهر كرمز له بالإضافة إلى القرنين في مقدمة رأسه في أحيان كثيرة ولذلك أن يُسمّى أحياناً (بعم قرنيم)، وكانت تقدم له الأضاحي البشرية. وكان حمون في شمال أفريقيا ينبع من علاقته المقربة مع (أمون) المصري "وربما كان ذلك لأن الإله أمون كان له معبد ذائع الصيت بالنسبة للساحل الأفريقي الشمالي بأسره وهو المعبود الموجود في واحة سيوه، ومما يزيد في تأكيد هذا التشبيه أن الإله بعل حمون كان يُمثل بقرنى الكباش وملتحياً مثل الإله أمون المصري". (عصفور 1981: 147).

وقد عبد البربر هذا الإله قبل مجيء الفينيقيين إلى شمال أفريقيا. وكان حمون سيد البانثيون البوني ومطابقاً للالهين (زوس) و(أبولو) والإله (ساتون) في الحقبة الرومانية حيث عرف بهذا الاسم.

وقد تعني كلمة (بعل) سيد الألواح النقشية، وربما اشتقت كلمة حمون من كلمة حمامين التي تدل على الألواح النقشية كما ترى ذلك ميادان. (انظر ميادان 1981: 64). ولكننا نرى العكس حيث يمكن أن تكون كلمة الألواح النقشية مشتقة من (حمون) لارتباط هذه الألواح به بصورة مركزة. ثم تحوّل اللقب إلى إيل الذي لقب أيضاً بـ(سيد الألواح النقشية).

وارتبط (حمون) بالأضاحي البشرية، وخصوصاً الأطفال الذكور والإناث للتقرب منه وكف غضبه. وقد عرف حمون في الفترة الرومانية باسم (ساتون) وكانت تقدم له الألواح النقشية. وأحياناً الذبائح البشرية سراً.



بعل حامون
رموز تانيت



12. أسطورة تانيت:

تطرقنا سابقاً إلى الجذور القديمة التي شكلت اسم تانيت وشخصيتها. ونرى أن الإلهة عناة هي أصل تانيت فقد جلبتها الهجرات الكنعانية المبكرة جداً (ربما في الألف الثاني قبل الميلاد) إلى شمال أفريقيا. وتحوّل الاسم عندما تداوله المهاجرون الذين صاروا في ما بعد بربر شمال أفريقيا. حيث يرد اسم (أناتا) في أسماء الآلهة الكنعانية، ولن البربر يؤنثون الاسم بتاء متقدمة، فإن الاسم تحوّل إلى تاناتا أو تانيت.

ولكننا نرجح رسوخ الاسم في شمال أفريقيا بتأثير مصري أيضاً حيث عبدت في الواحات الغربية ثم في مدينة (سايس) ذات المناخ الصحراوي الإلهة (نيت) وهي الإلهة التي ورد ذكرها في مصر منذ عصر ما قبل الأسرات على فخّار نقادة واعتبرت في الدولة القديمة ابنة رع. وقد شَبَّهها الإغريق بمعبودتهم (أثينا) ذات الصلة بعناة أيضاً. وكان ظهور رمزها مبكراً منقوشاً على الصخور الليبية موحياً بالعبادة المبكرة للإلهة الأنثى دون أن نعرف لفظ اسمها الدقيق.

وهكذا اجتمعت كل هذه المرجعيات لتشكيل شخصية تانيت ورمزها واسمها وأصبحت الإلهة الأم الخالقة.

أما الصفة السماوية لتانيت فاعتقد أنها أتت من (نوت) إلهة السماء المصرية (القريبة من اسمها) إضافة إلى الجذر السومري البعيد لملكة السماء إنانا التي نرى أنها أصل كل هذه الألوهية المؤنثة.

وتظهر السماء في اسم تانيت مع حرف (ن) الذي يدل على السماء (آن). هكذا إذن ترسخت شخصية تانيت في شمال أفريقيا عبر البربر أولاً ثم عبر البونيين. وقد عبر البربر والقرطاجيون عن تقديسهم لهذه الإلهة، فقد عثر على تمثال مجسم يجسدها مثل سيّدة تحمل طفلاً بين ذراعيها وعلى حضنها فهي إلهة الأمومة والخصوبة عندهم، وكان قرينها الدائم هو الإله بعل حمون.

تانيت القرطاجية:

سُميت تانيت القرطاجية بـ(تانيت بانيبال) أي (تانيت المواجهة لبعل) أو (تانيت وجه بعل). وكانت تُعبد عندهم منذ القرن السادس والخامس ق.م.

وبرغم أنها كانت قرينة الإله بعل حمون، إلا أنها كانت تقتن أحياناً مع الإله (إشمون) إله الشفاء، وهو اسكولاب الإغريقي ويجاور معبدها معبده في قرطاج عند خليج بيرزه.

وإضافة إلى أن الإلهة تانيت كانت إلهة أم، لكنها كانت "في تصور العابدين عذراء رغم أنها إلهة من إلهات الخصب، ومن رموزها ثمر الرمان والتين وسنابل القمح والسمكة، وتلعب دوراً كإلهة من إلهات السماء وتتميز عن عشتار - نجم الزهرة - بأن مجال عملها كان على الكواكب - الأقمار. وقد استمرت عبادتها حتى القرن الثالث الميلادي في شمال أفريقيا وإسبانيا وبنى لها القيصر (سبتيموس سيفروس) الذي هو من أصل أفريقي معبداً في روما". (أدزارد 1987: 208).

وظلت عبادة تانيت صامدة قوية في قرطاج حتى بعد سقوطها، فعندما رحل (غراكشوس) سنة 122 ق.م. إلى قرطاج ونزل في خرائبها حاول أن يسميها (جونون) وهو الاسم الروماني المقابل لتانيت والذي كان يستعمل في الشرق الفينيقي الذي خضع للرومان أيضاً. ويشير إلى زوجة بعل (وبشكل خاص بعل مرقد إله الرقص). وجونون (جونو) هو اسم إلهة الأسرة والزواج عند الرومان وزوجة كبير الآلهة (جوبيتر) وتقابل الإلهة هيرا الإغريقية زوجة (زوس).

وفي حدود القرن الثالث الميلادي لاقى معبد الإلهة (جونون - كايلتس) (وهي تانيت اليونانية) شهرة عالمية ونافست كاهناتها كاهنات معبد دلفي في استكشاف الغيب وتكاثر عبادها من الرومان واكرم تمثالها في الكابيتول. وبقي معبدها الملجأ الأخير للدين الوثني الرسمي ولم يُهدم إلا في سنة 426 م. (أنظر ميادان 1981: 125).

وقد أظهرت التنقيبات في أسبانيا تمثالاً يعتقد أنه لـ (تانيت) الأيبيرية (الأسبانية) تشبه سيّدة الشبيبة Lady of Elche وتزين بأغطية راس براقه وحلي أيبيرية قديمة.

الكائنات الأسطورية غير الإلهية

(الشياطين والكائنات الخرافية)

ظهرت الكائنات الأسطورية الأولى، أو القديمة في بداية شجرة الآلهة، ومنذ أول اتصال للسماء مع الأرض فقد ظهر عماليق الجبال وعماليق الحضارة وعماليق الممالك، وظهرت أيضاً الشياطين وكان على رأسهم (تيفون) الذي كان يقاتل ملكارت بشكل خاص.

ثم ظهرت أنواع أخرى من هذه الكائنات الأسطورية مع ظهور الإلهين إيل وبعل وكانت لها بعض الصفات الإلهية الشريرة أو الخيرة، ولكنها لا ترقى إلى مستوى الآلهة، ويمكننا فرز هذه الكائنات إلى ثلاثة أنواع هي:

1. أبناء إيليم:

ويُنسبون إلى الإله إيل، وعندما يحجم إيل عن التدخل كان يكلف أبناء إيليم أن يحملوا غيوم الشقاء، وكان الموت بيد أبناء إيليم. وكان الموت الذي يحملونه يسمّى (الموت الأبيض) و(الموت الأحمر)، وحين يصل إلى الأرض يكسر شوكة المجد والكبرياء، لأن روح الحي يمكن أن تكون مركز بعض الشياطين حيث يتمجدون بالكبرياء. (انظر ميديكو: 1980: 126).

2. الكروبيم:

وهم قوى طبيعّية تأتمر بواسطة بعل ويسمون الأبالسة الذين يمكن أن يتغلبوا على البلاد الأجنبية بواسطة (الأيدي الخفية) ويسحقون كل شيء تحت أقدامهم. وكانوا كثيري العدد ويحاربون كالجيوش وزعيمهم المباشر كان يسمّى (حارس الأموات) و(دليل المتوفين) وهو سفير بعل، وكان البعض يدعونه إلى المائدة ويتذللون إليه ويقدمون إليه الذبائح كما لو كان إلهاً. وشكله قاس يمكن أن يتبدل بأشكال عدة ولا تؤثر فيه اللعنة وإذا ما أسدى النصح لأحد فيجب أن يعمل بعكس نصيحته لأنه كاذب. ولحارس الأموات ودليل المتوفين طقس خاص به يمتاز بخاصية المكر المؤدي إلى تدنيس المقدّسات وهو يفرح للخزي ويضحك ممن يتخبط في سبيل التخلص منه. (انظر ميديكو: 1980: 87).

وكان الكروبيم أبالسة يقال إنهم أبناء الإله إيل والإلهة ربا آلهة الأرض ومنهم الإله (موت) الذي هو بمرتبة إله.

وهناك أسماء كثيرة لبعضهم مثل (الذي يعمي البصيرة) و(الذي يجعل الشفاء مستحيلاً) و(الذي يسحق بعملية تدمير مظهره).. إلخ وكان هؤلاء الأبالسة يظهرون بشكل طبيعي في العالم الآخر، حيث تكون مهمتهم السهر على الأموات وتعليمهم عادات الحياة بعد الموت. وكان فعل الموت الذي يقوم به الأبالسة يسمّى (التطهير بالتدمير)، أي أن الفناء هو نوع من تطهير الإنسان أو الوجود من هذا الإنسان حيث يذهب الإنسان ليستريح قرب الأرض أمه الكبرى.

وقد ذكرت ملحمة الملك الكبير (اللائئ) مثل هذا الفعل:

”والآن هذا هو كلام إبليس معمي البصيرة، حامل علة الموت، الطاغية سأحابه، السير الأعظم.

سأطرح جانباً الشكاوى وأقاتله - إنه إعلان من فمي - حتى النهاية

وبتدمير مطهر سأكسره“. (ميديكو: 1980: 113).

3. الرفائيم:

وهم كائنات طيبة تمثل جنس العمالقة في عصر جيل إيل وكان اسمها الكنعانيّ (رفوم) والعبري (رفائيم). ولهذه الكائنات علاقة بأمور الشفاء من الأمراض، خصوصاً أمراض العقم، وقد تشير مفردة رفائيم إلى مجموع سكان العالم الأسفل.

وخلاصة أسطورة الرفائيم، التي تدور حول حفل تتويج ملكي إلهي، هي: إن الإله إيل يوجه دعوة إلى الرفائيم ليحضروا حفلة في الهيكل لكنهم يتباطأون فيلح عليهم فيسرجون خيولهم ويسيرون حتى يصلوا البيدر في مزرعة إيل فيرحب بهم دانيال ويقدم لهم فاكهة.

وفي الهيكل ينحرون عجلًا ويقدمون شراباً ويعلن إيل أن البعل سيتوج ويجلس على العرش ملكاً ويصادفون إلهين هما (رفأ - بعل) و(حيلي) فيشكرهما إيل لحضورهما حفلة (سكب الزيت) على راس بعل والتي تتوّج بعل ملكاً.

وفي آخر الأسطورة يظهر شخص (ربما كان إلهاً) يخاطب قائلاً معلناً اكتمال بناء بيته، وأن عناية ستقبل شفّيته وتقوده إلى الهيكل حيث يجد هناك من يسبح بذكر إيل وحمده، وتغادره عناية

بعد هذا وتطير إلى السماء، ونحن نرجح أن هذا الفتى هو (بعل) نفسه وأن والده (إيل) هو الذي خاطبه.

ثم يقوم سدنة الهيكل بنحر الذبائح وسفح الخمور ويستمر الحفل سبعة أيام. لكننا لا نعرف ما الذي حصل بعد ذلك. (أنظر فريجة: 1980: 337 - 346).

هذه الأسطورة الناقصة للرفائيم لا تتفق مع كونها جزءاً من قصة دانيال، بل هي أسطورة بعل وبناء بيته وتتويجه ملكاً لكن الرفائيم فيها أصحاب حضور قوي ويفهم من النص أنهم أشبه بخدام الإله إيل يحضرون له حفلاته وولائمه وأنهم يعملون على إنجاح هذه الحفلات وضيبتها.

4. أقنعة الشياطين:

انتشرت في قرطاج بشكل خاص صناعة الأقنعة التي استعملت لأغراض سحرية ودينية في محاولة لطرده الأرواح الشريرة والتغلب عليها، ولذلك كانت هذه الأقنعة بمثابة الأشكال والمسوخ الشيطانية التي كان الإنسان يستعملها في طقوسه الخاصة بطرده الأرواح الشريرة أو التي يحتفظ بها في مقبرته لأغراض ما بعد الموت وإضافة الأرواح الشريرة وطردها.

ويُعتقد أن مثل هذه التقاليد أتت من التراث الزنجي الأفريقي الذي كان يعتني باستعمال هذه الأقنعة.

وكان بعض هذه الأقنعة يحمل العلامة (x) الدالة على العالم الأسفل والتي كانت توضع عادة على جبين التمثال، كما في هذه الأشكال الخاصة بالأقنعة.

لا نميل إلى الاعتقاد بأنها كانت جزءاً من مستلزمات عروض مسرحية مثلاً. كان قناع (دويمس) الشهير (ح) أكثر الأقنعة القرطاجية محلية من دون ما يكون هناك ما يناظره شرقاً وغرباً.

5. الكائنات الخرافية:

1. أبو الهول الكنعاني: يظهر أبو الهول الكنعاني (وهو رجل بجسد أسد متأثراً بأبي الهول المصري إلى حد كبير. فقد وصلنا من مدينة أرواد (في حدود القرن التاسع قبل الميلاد نقش مرمري جميل مزين من الأعلى بنقش زخرفي رائع ويظهر أبو الهول مجنحاً يلبس التاج المزدوج المصري. وفي أسفل اللوحة مذبح منخفض أو منضدة. (أنظر عصفور: 1981: 163).

وهناك نقش آخر لأبي الهول على تاج لولبي من الأعمدة الأيونية المبكرة عثر عليه في قبرص يظهر لنا شكلاً متناظراً لأبي الهول تتوسطه شجرة الحياة.

2. العنقاء أو الفينيق: وقد تحدثنا عنها طويلاً في المبحث الأول وقلنا إنها طائر بجسد حيوان، قد يكون أسداً. ولها علاقة بالنار والانبعاث من الرماد.

أخذت شكلاً آخر حيث لها رأس الطير وتمتلك أجنحة وجسداً بشرياً. وهي أشكال مختلفة لأبي الهول والعنقاء كما في الشكل أدناه.

3. الجن: وهي عموماً الكائنات المجتحة التي تظهر في المنحوتات والنقوش الكنعانية، ومنها الجن الذي يُمسك سوطاً بيده اليسرى وكرة بيده اليمنى. وله رأس طير وجسد بشري ومزود بأجنحة. وكانت مثل هذه الكائنات تتكرر مراراً في التراثين الآشوري والآرامي، وتدل على كائنات شبه إلهية.

رابعاً: أساطير الخراب

أساطير مرحلة الضعف الجنسي:

تستمر قوة إيل بالهبوط وتصل إلى مرحلة الضعف الجنسي، ويبدو أن الإله إيل في هذه المرحلة يختار العزلة في مقامه المائي عند النهرين، وتتعد عنه زوجته (عشيرة) حيث تختار منزلاً مستقلاً ربما كان على ضفة البحر أو النهر ولا تتصل بإيل إلا في حالات خاصة حيث تذهب إليه بين الحين والآخر فقد أصبح إيل شيخاً لا نفع من الاتصال الجنسي معه. ويتعزز هذه الاستنتاج مع قصة أسطورة حيثية من أصل كنعانيّ تروي زيارة إله الطقس الحيثي (تيشوب)، وهو الإله المناظر للإله الكنعانيّ بعل، إلى الإله إيل الذي تسميه الأسطورة الحيثية (إيل كونيثا) في منزله ولا يجده هناك فتستقبله عشيرة في مخدعها وتراوده عن نفسه إلا أنه يقاوم إغراءها ويشكوها إلى زوجها ويسرد على مسامحه إتهام زوجته له بأنه أصبح عاجزاً عن التصرف تجاهها فيغضب إيل ويطلب منه أن يستجيب لرغباتها الشبهة ثم يعمل على إذلاله وتحطيم عزته. (أنظر أذارد 1987: 166).

وربما كان من بعض إحياءات هذه الأسطورة تعاضم دور الإبن (بعل) وبدء سيادته وحلوله مكان الأب (إيل). وهو ما سنراه بوضوح في أساطير المرحلة المقبلة.

أساطير غياب إيل:

لعل أهم ما يميز هذه المرحلة اختفاء إيل المتمثل باختطافه إلى العالم مؤقتاً. فقد حدد بلوتارك مكان إقامة إيل (في جزيرة) أو (الجدبة، التي هي خلف الأوقيانوس الكروني)، وفي بعض أساطيره، أن حيتان البراري أسرته واحتجزته في إحدى الجزر القريبة من الجزائر الإنكليزية. (أنظر عبد الحكيم 1978: 47).

وربما كانت هذه الأساطير تمهد لاختفائه الكلي في العالم الأسفل، أي موته. وهنا نكون بانتظار ظهور الإله الإبن الذي يتحوّل إلى ملك الآلهة (بعل). وهكذا نرى أن إيل في مكانته وقوته من مقره الأول في السماء حتى مقره عند النهرين ثم في البحر ثم غيابه في البحر نهائياً.

أساطير جيل إيل:

أما الآلهة المجايلة لإيل فقد أتينا على ذكر أساطيرها، فقد تحدثنا عن الآلهة الذكور (سيتون، داجون، أطلس، بتيل) وتحدثنا عن الآلهة الإناث (عشيرة، عشتروت، ريا، يعلتيس، انوبرت) كذلك فقد قفزنا إلى الآلهة المجايلة لإيل من الإله أوسوس، وهما الإلهان دامور وملكات.

المبحث الثالث الطقوس والشعائر الكنعانية

1. الشعائر اليوميّة

1. الاغتسال: كان طقس الاغتسال والتطهير من الطقوس اليوميّة التي يقوم بها المتعبّد أو الكاهن الكنعانيّ وكان الاغتسال والتطهير يجري وفق أربعة أنواع معروفة هي:

1. الماء: حيث التطهير بالماء هو الأساس، وكانت من المعتقدات السائدة أن عمليّة التطهير بالماء ترضي الآلهة فترسل المطر إلى الأرض.

وكان الاغتسال والتطهير بعد الحرب ضروري جداً لأنهم يعتبرون الحرب جريمة لا بد من غسل آثارها. وكانت طقوس التطهير تجري لغسل البيت بجميع غرفه وجميع محتوياته وما تحتها. وكانت هناك أنواع أخرى من الاغتسال كانت تتم بقصد الوقاية من الأمراض ووضع حد للأوبئة والأرزاء. كما أن التكريس بالماء يساعد على طرد الأبالسة وإبعاد السرية (المخفية) التي يبدو عليها الختل والكذب. كما أن دق الطبل يدخل في بعض الطقوس. (أنظر ميديكو: 1980: 37).

2. الزيت (الدهان): لم يكن طقس المسح بالزيت طقساً مقتصرّاً على الملوك والكهنة في بداية ظهوره عند الكنعانيين فقد كان طقساً عاماً لعامة الشعب يقوم به الإله إيل حيث تُبدّل هيئة الشخص كي لا يقع عليه الشقاء.

كذلك كان (دهان الأرجوان مفضلاً عند الكنعانيين سحرياً ضد بعض الأمراض أو استرضاء لبعض الآلهة.

لكن الشائع هو أن استعمال الزيت كان يخص الملوك حيث تنتقل السلطة للملك بعد الدهان ويُعتبر ابن الإله إيل، وكان الزيت يحفظ في أوعية خاصة. وربما كان القرن يستخدم لحفظ الزيت وهو قرن حيوان كبير مجوّف تماماً من الداخل.

3. النار: كانت النار أعظم وسائل التطهير فالذبائح تطهرها النار والمعادن تطهرها النار عندما تُصهر فيها. وكانت النار وسيلة التبخير. وكان طقس التطهير بالتدمير يجري عادة عن طريق النار. والنار مقدّسة طقسياً لأنها تعود إلى الإله (ملكارت) وقبله الإله (اش).

وكان هناك في بعض المعابد أو خارجها ما يشبه المحارق التي تستعمل لطقوس الحرق.

2. الصلاة:

وتسمى بالكنعانية رجم Rgm ومن مدلول اللفظة يفهم أنها كانت تتلى بتضرعات صارخة. إن البشر والآلهة على السواء يؤدون الصلاة كما تؤديها أيضاً الحجارة والنباتات. وفي تكون الصلاة مجدبة يجب تكرارها دون ازعاج الآلهة. وللصلاة مراحل وتقاليدها فهي تبدأ بعرض الحالة الحاضرة ثم يأتي تعداد الصفات الإلهية مع الإشارة إلى حالة المتضرع. وفي الغالب تتركز الدعوات على إنهاء المصائب وعودة الازدهار والبعث. وتكون الصلاة خالية من أية دعوة ضد الغير إلا في حالة توجيهها ضد الشياطين والأرواح الضارة. (أنظر ميديكو: 1980: 36 - 37).

تتضمن الصلاة بعض الحركات مثل التذلل أمام الإله، والارتقاء على الأرض (السجود).

وهناك نمط خاص من (صلاة الشكاوي) التي تكرر شكواها فقط.

وقد تُقام الصلاة من أجل الملك أو من أجل رفع مصيبة عن البلاد.

في الصلاة المرفوعة إلى عناية مثلاً يقف المصلي أولاً ويرفع عينيه إلى السماء ثم يركع وأخيراً يرتقي على الأرض، وهذا مقطع من صلاة مرفوعة إلى عناية من قبل الملك الكبير الكنعاني:

”إني ألوذ بك، أطلب نصحك
هو ذا شعبيّ (... عند) قدميك، شعبيّ الذي
وسفوحك - الصلوات خرساء
ولكن النار تضطرم في أحشائي فأصرخ إليك
بحزن وأكرر الصلاة
الخشب والبلاط الحجريّ
يشكوان إلى السماء - شعب البلاد.
في الهاوية، شعبنا يتوهج من الآلام

بسبب البرد والصاعقة والشقاء فلتعلنهم السماوات بالصلاة“. (ميديكو: 1980: 19).

3. صب الخمور على الأرض: كان طقس صبّ الخمور على الأرض عادياً. وكان الكنعانيون يعتقدون أن السماء تلتدّب به ويمكن أن ينهي حالة الجفاف وهو ترميز لسقوط المطر من السماء إلى الأرض.

4. العربون (النذور): كانت النذور تختلف من إله لآخر ومن مناسبة لأخرى، ولكنها بشكل عام كانت توضع عند قدمي تمثال الإله في هيكله أو معبده للتأثير عليه.

5. دق الطبول: كان طقس دق الطبول تطهيرياً والغاية منه هي طرد الأرواح الشريرة.

6. صهر التماثيل: كان صهر التماثيل يعد طقساً تطهيرياً ونذرياً في الوقت نفسه، فهو تطهيري لأنه يجعل النار تلامس المعادن التي تعرضت للرجس البشري والتي أخذت شكل آلهة معينة مرفوعة من قبل صاهر التماثيل. وكان صهر التماثيل يعقبه صب تمثال جديد لإله معبود. ولذلك كان زق الحداد مكاناً أساسياً لصهر وصب التماثيل. ويعبر هذا الطقس عن ولاء العابد لمعبوده.

وتختلف قيمة التماثيل المصهورة والمصبوبة حسب نوع معدنها، فهناك التماثيل الذهبية والفضية والبرونزية والنحاسية والحديدية وهي تماثل طبقات الناس وقدرتهم المالية على تقديم هدايا الآلهة.

7. تعرفات الذبائح:

كشفت النصوص البونية المعروفة بهذا الاسم عن أهمية النذور المشفوعة بنصوص ونقوش توضح طبيعة هذه النذور المقدمة إلى إله محدد في معبد محدد، وتبين هذه النصوص حصة الكاهن وحصة الناذر، وأغلبها مقدم إلى الإله بعلم حمون والإلهة تانيت. (أنظر ميادان 1981: 62 - 63).

وكانت الذبائح نظرياً تقوم على فكرة مثلثة أساسها أن الذبيحة تربط الإنسان بالإله وتوضح مدى وفاء ذلك الإنسان له ثم أنها تحرره من أخطائه وتوحي بفكرة الفداء التي من أسسها أن يفدي الإنسان نفسه للإله، لكنه يقوم باستبدال نفسه بحيوان يقدم بديلاً عنه.

وكانت الذبائح في العالم البوني (الفينيقيّ الغربيّ أو القرطاجي) على ثلاثة أنواع هي:

1. الذبيحة المحرقة: وهي التي تتلف كلياً بالنار.

2. ذبيحة الاشتراك.

3. ذبيحة التكفير.

وهناك نوع آخر ظهر بشكل واضح في الطقوس البونية وهو (ذبيحة الأبقار) حيث كان الأطفال الرضع والأولاد يقدمون كضحية ثمينة للآلهة وخصوصاً (بعلم حمون) عندما يدرك الناس الخطر الجسيم.

وقد كشف مذبح (سلامبو) في قرطاج عن مذبح يحتوي على عظام محروقة وتمائم. وكانت طريقة تقديم ذبيحة الأبقار تتم بأن "يوضع الحجر داخل تجويف الصخر وتغطي بطبقة من الحصى الدقيقة، وعندما تصبح هذه القطعة المسورة ممتلئة، تظمر بطبقة من الرمل الأصفر، ثم تدفن فيها من جديد مجموعة من الأنية التي تحتوي على رفاق المولودين الجدد، وكانت هذه الأنية تجمع كل ثلاثة أو أربعة منها ليعلوها لوح نقشى أو حجر كبير مقصب. وفي الطبقات العليا تحل الأنصاب محل الألواح النقوشية المزخرفة". (مبادان 1981: 72).

8. **القرابين:** كانت النذور والقرابين من غير الذبائح توضع أيضاً مع الميتم. وقد عثر في مدن قرطاجية عدّة مثل سنتاس على إناء بقرابين يمثل حيواناً أقرب إلى الشاة. وهناك إناء غريب خاص للقرابين متعدّد الأوعية به سبعة أوعية منفصلة كل منها في هيئة زهرة السوسن.

9. **اللعنات:** كانت اللعنات قوة سيئة التأثير على الإنسان من قبل الآلهة وكانت القوة المقابلة لللعنة هي (الشفاء وقوة الحياة) أو (البعث أو الانتصار). وكانت المطالبة بالبعث واردة في حالة الموت فقط. وكان الإنسان يحاول الشفاء من أي داء أو الانبعاث خلاصاً من أية علة ناجمة عن لعنة. (ميديكو: 1980: 89).

وكان (بيت اللعنات مكرساً للعن بعض الآلهة، مثل إيل حيث يحرص بعل على ذلك. أما (تجربة الآلهة) فكان كل إله يجرب عباده لمعرفة إيمانهم به وهو نوع من الامتحان عند الشدائد.

وكانوا يؤمنون بالفعال الحسن والفعال السيئ ويعتبرون إنجاب الأبناء فאלاً حسناً ويحذون من تقديمهم كنوزاً للآلهة إلا في ظروف استثنائية جداً وخصوصاً عند الغرب البوني. وطبيعي أن الرقم (7) كان مقدساً عند الكنعانيين فهم يقدمون سبع ذبائح وهناك سبع سنوات رفاه وسبع جافة وهكذا...

10. **التمائيل:** برغم أن الكنعانيين كانوا يقيمون لبعض آلهتهم تماثيل ونقوشاً ويجسدونهم على هيئة الإنسان مع إضفاء هيئة إلهية خاصة من خلال رموز ذلك الإله الذي تكمن قوته في الرموز. رغم ذلك كان الكنعانيون ينفرون من عبادة الأصنام أو التماثيل بذاتها.

ويندر وجود تماثيل صخرية أو حجرية للآلهة بل إن هناك تماثيل معدنية صغيرة كانت توضع في المعابد وهناك نقوش ورسوم. أما الأوثان الحجرية فتكاد تنعدم، ولذلك فإنهم كانوا ينفرون من عبادة هذه الأوثان لذاتها. وكانت الأصنام أو الأوثان هذه على نوعين:

أ. البسل Psi وهي أصنام فينيقية تقوم عبادتها في الغابات وقد تعلم الكنعانيون هذه العادة من الفلسطينيين في عهد الملك الأكبر (ربما ابيمالك)، حيث كانت تقدم لها الأضاحي والذبائح. ب. الأل Eli فتعني تماثيل الفضة وتسمى أحياناً (بوميلو Pumilu)، أي تماثيل من الفضة بوزن ثلاثة مكاييل وهي تماثيل الآلهة الكنعانية المعبودة وليست أصناماً، وهي اللفظة التي أطلق عليها اليهود في التوراة ترافيم Teraphim، وربما دلت أيضاً على آلهة عائليّة أو تماثيل منزليّة. (أنظر ميديكو: 1980: 80).

2. شعائر المناسبات

1. **العمل والبناء:** لعل بناء الهياكل والأنصاب والمعابد كان يتوافق مع مجموعة من الطقوس التي ما زلنا نفتقد صورتها الواضحة في النصوص الآثارية، لكن هدم المعبد كان نذيراً بالشر.

2. **الزواج:** لعل لأسطورة زواج (نيكال من يرح) توضح لنا بعض طقوس الزواج الكنعانية القديمة.

كانت الإلهة عناة راعية الخطوبة والزواج وطقوسها تكرر القران الزوجي الشرعي. وهذا ما يعاكس بعل وطقوسه الإباحية التي كانت ترعى الحب المحرّك. (ميديكو 1980: 34). وكانوا يرون في الحبّ والزواج تأثيراً على قوة إخصاب الطبيعة وحفزاً لها على القوة والنماء. أما طقوس المداعبات والحب المحرّم فكانت تضرّ بالطبيعة وخصبها. كانت عناة ترعى خطوبة الرجل والمرأة. وكانت كوثرات ترعى حمل المرأة وولادتها. وكانت المرأة تحظى بنوع من التقديس عند الكنعانيين ولها كل أنواع الاحترام. أما المرأة المومس (السريّة) فكانت منبوذة ولا تسكن بيت الرجل بل تسكن في خيمة. وكانت المرأة العاقر تحظى بالعطف ويُقدّم لها الطعام والشراب. ولم تكن عادة التضحية بالأطفال شائعة بل كانت في حالات نادرة جداً أثناء الأزمات كالحروب والمجاعة وغيرها. وقد كانت الإلهة تانيت ترعى الأطفال الصغار بشكل خاص. وكانوا يرون أن من لم يستطع الزواج على الأرض فإنه يتزوج بعد الموت في مملكة الجحيم (العالم السفلي) عندما تصبح روحه ظلاً، أي شيئاً معتماً وليس نورانياً. (ميديكو 1980: 123 - 134).

3. الموت: كان الموت استراحة للإنسان بعد حياة مليئة بالألام، وكان الموت في حالة الحياة الآثمة عقاباً سواء كانت همشيئة الإله أو الشيطان.

وكان الموت نهائياً ولا مجال لحياة في العالم السفلي إلا ما تبقى عليه الروح من حال يرثي لها وهو ما يشابه العقائد العراقية القديمة. وربما كانت عملية استحضار أرواح الموتى واردة في الطقوس الكنعانية حسب ما يرى ميديكو. ولكننا نعتقد أنها حالة خاصة ونادرة تشبه الحالة النادرة لعبادة الموتى.

إذ لا يوجد ما يشير إلى أن الكنعانيين مارسوا (عبادة الموتى) ولكن الطقوس الجنائزية المهيبة للميت كانت ترمي إلى ضمان حماية الميت من قبل الآلهة في العالم الآخر. "وتحمل بعض الألواح النقوشية التي اكتشفت في مذبح سلميو زخارف تتعلق بخلود النفس، ومن هذه الزخارف الأوراق المصورة على شكل قلب، وأكاليل الورق، والآية الخمرية ويكتمل فن التصوير هذا ببعض المشاهد من الولائم الجنائزية. (ميادان: 1981: 73).

كان الكنعانيون والفينيقيون واليونانيون يضعون الموتى في القبور المزينة بأنصاب جنائزية، وكانت هذه القبور تشبه الآبار الضحلة. والأنصاب ذبيحة بشرية أو حيوانية (وخصوصاً في قرطاج) وتوضع بقايا الذبيحة داخل جرة تدفن تحت النصب الذي يحمل في أغلب الأحيان نقشاً مهدي إلى الإلهة تانيت والإله بعل حمون. (أنظر ميادان: 1981: 100 - 101).

وتنقسم الأنصاب الجنائزية إلى:

أ. الأنصاب الناوسية: وهي مربعة الشكل مزينة بمشكاة مجوّفة يعلوها أفريز وكورنيش مصريّ ويسندها عمودان مستطيلان بارزان قليلاً. وفي داخل التجويف صورة إله أو حجر مقدس أو مسلة أو رسم على شكل مومياء فوقه هلال غالباً.

ب. الأنصاب المذبحية: وهي على شكل دلّة المذبح المستطيلة الحاوية على تجويف فيه الجرة التي تحتوي على الذبيحة.

ث. الأنصاب العرشية: والتي على شكل عرش غلة، فهي قواعد مربعة يرتفع جانبها الخلفي على شكل مسند يتصل بمرفقين ويلاحظ في وسطها تجويف مُعدّ لصورة الإله.

وأغلب هذه الأنصاب عثر عليها في مداخل قرطاج، كما تذكر مادلين ميادان، وتحتوي على رموز إلهية ودينية وطقسية، وأحياناً تنقش الأضاحي الحيوانية في أسفل اللوح (الخراف، الطيور،

الثيران، إلخ). أو صورة الكاهن أمام المذبح، أو الكاهن بثوبه الطويل وهو يحمل الطفل أو الحيوان المضحى به أو المرأة التي تريق الخمر، أو الإلهة تانيت برموزها أو وهي تحمل ولداً وهلالاً.

أما التوابيت الحجرية فكان بعضها على شكل آدمي وهي بذلك تشبه النواويس المصرية. كالتي عثر عليها في جبيل وصيدا. وكانت التوابيت المتأخرة تشبه التوابيت الإغريقية. إن لوحة (بعلبانون من أم العمد التذكارية الموجودة في كوبنهاجن حالياً تصور الكاهن بعلبانون وهو يرتدي غطاء رأس قصيراً مستديراً ورداء طويل، وفي أعلى اللوحة قرص مجنح وثعابين والكاهن يؤدي طقوساً دينية واضحة.

وتظهر النواويس الحجرية من قرطاج متميزة وجميلة جداً. فقد استُخرج من مدافن (سانت مونيك) في قرطاج ناووسان يعودان للقرن الرابع ق.م. يصور الأول في نقش بارز مستدير امرأة ممددة ويغطي رأسها الصغيرة حجاب ذو أطراف مزينة بصف من الشرايب، ويلتقي عند ركبته جناحان طويلان مطويان وتمسك بيدها اليمنى حمامة وبيدها اليسرى علبة حلي ويتوهج الناووس بكامله بالألوان الفاقعة. والناووس الثاني لكاهن يحمل في يده اليسرى مجمره بخور ويرفع يده اليمنى إشارة للصلاة. (انظر ميادان 1981: 99).

وكانت المقابر الخاصة للحكام وأبناء الطبقة العليا أما العامة فكانوا يدفنون في مكان عادي وأحياناً بشكل جماعي، خصوصاً لقتلى الحروب.

ث. الألواح الجنازية: وهي أشبه ما تكون بـ(شواهد القبور) التي شاع استعمالها منذ القرن الرابع قبل المسيح حتى نهاية الحقبة الرومانية في قرطاج. كانت تثبت قاعدة هذه الألواح فوق القبر بواسطة الطين وكان أعلى اللوح عبارة عن زخرف مثلث. وكان بعضها يصور الميتم من ناحية الوجه وهو في وضع الصلاة فاتحاً كفيه وماداً راحتيه إلى الأمام. (انظر ميادان 1981: 98).

ح. طقوس الدفن أو الحرق: كانت الأجساد تكفن وتدفن أو تكفن وتحرق. وتتضح طقوس حرق الأموات وحفظ رمادهم في وعاء داخل القبور في قرطاج (القرن الرابع ق.م) وكانت منصبة على الأطفال المضحى بهم حيث يحفظ رمادهم داخل جرار في مذبح، كما في مذبح سلامبو.

وقد عثر في بعض المقابر البونية على أمواس حلقة اتضح أنها كانت أدوات طقسية أو سحرية تدفن مع الميتم قرب رأسه. ويمكن أن تشير إلى ضرورة حلق شعر جسم الميتم كله أو بعضه بعد الموت مباشرة كي يتهيأ خالياً من الشعر إلى حياة العالم الآخر.

ولا زال بعض المسلمين يمارسون هذه العادة. وتتكوّن أمواس الحلقة من قبضة على هيئة عصفور أو رأس بطة ثم تنتهي بنهاية حادة تشبه الفأس. وتنقش على القبضة مشاهد طقسية للآلهة مثل تانيت.

أو ملكارت الذي يمسك بطاس من النار أو بعل حمون أو النخلة (دامور) أو تانيت ترضع طفلها أو الصقر المصري حورس.. إلخ ويقف الأشخاص المرسومون على ما يشير إلى العالم الأسفل مثل علامة (x) المتكررة الزخرفية أو على طفل مدفون في العالم الأسفل. وتشير هذه الأمواس إلى اختلاط الفن الديني البوني مع نظيره المصري والإغريقي. وقد عثر على أغلبها في قرطاج وسردينيّا وأبيزا.

3. الطقوس الدورية

الطقوس الدورية هي الطقوس التي تتبع نظاماً زمنياً متكرراً وثابتاً، وتظهر الطقوس الدورية على شكل أعياد جماعية كبيرة تحتفل بها الجموع لتعبر عن مخزونها اللاواعي الجمعي في

صيغة استعادة لاواعية أيضاً لمثولوجيات قديمة حصلت أو اعتقد الإنسان أنها حصلت لمجمل الجنس البشريّ مع بداية الخليقة أو مع انطلاق الأصول التي كوّنت جذر العادات والتقاليد الدنيّة الكبرى.

وتشكل نظرية العود الأبديّ اساس فكرة الطقوس الدورية حيث يصار إلى تمثيل العودة الدورية (أسبوعية، شهرية، فصلية، سنوية أو كل سبع سنوات) إلى الزمن الأول، زمن الآلهة وزمن تحول الوجود من هيوليته الكاؤوسية إلى شكله الكوزموس المفضل.

إن هذا الحنين إلى الأصول الميثية هو الذي يدفع الإنسان إلى تذكّر احتفالي لزمن الخلق والبدائيات وجعله في صيغة طقس خارج الزمن التدرّجي التاريخي التقليدي، أي أن الطقس الدوري يضع نفسه في الزمن المطلق أو في الزمن (صفر) ليعلن بدء السنة أو بدء الشهر أو بدء الفصل أو بدء السنوات السمان وغيرها.

أ. الطقوس الأسبوعية والشهرية: لا نعرف على وجه التأكيد ما إذا كانت الكنعانيّون يحتفلون في نهاية كل أسبوع أو كل شهر بالدورة القمرية أو الشمسية، وهو ما فعله السومريّون عندما اتخذوا من نهاية الأسبوع عيداً أسموه (إش إش)، وهو انتقال القمر من حجم إلى آخر. لكننا نرجح أن الكنعانيّين عرفوا عيد القمر الأسبوعي بظهور الإله (يرج).

ب. الطقوس الفصلية والسنوية:

1. الأدونيات (أعياد أدونيس): لم تقتصر الأعياد الأدونيسية على الفينيقيّين بل شملت أقواماً مجاورة كاليونانيين والإيطاليين والمصريّين، فقد كانت كل هذه الأمم تحتفل بعيد الإله أدونيس. ونستطيع أن نصنّف الأدونيات كأعياد فصلية لأنها كانت تقام مرتين في السنة عند الفينيقيّين والمصريّين أما الإغريق والرومان فكانوا يحتفلون بها مرة واحدة عند موت الإله أدونيس، لأنهم لم يكونوا يقيمون وزناً كبيراً لمسألة البعث والعودة من الموت وكانت تراتيل عيدهم التابيني هذا موقعة على ضوء بحر شعري جنازّي خاص عرف باسم (بحر أدونيس) لأنه يستعمل عادة في مرثي هذا الإله فقط.

وتنقسم أعياد أدونيس إلى قسمين هما: (انظر جمعة 1981: 580 61).

أ. عيد الأفيانيزم **Aphanisme**: وهو عيد موت أدونيس حيث يوقت موته الموهوم مع بدء الربيع في جبال لبنان عندما تذوب الثلوج وتحمل معها ذرات من التراب الأحمر فتختلط هذه الذرات مع مياه نهر إبراهيم (أدونيس) وكأنها بمثابة إعلان وتذكير بموت أدونيس فيسارع الفينيقيّون بتأبينه والنواح عليه. وكان يتقدم الاحتفال كهنة يحملون تابوتاً وضعت فيه جثة رمزية للإله أدونيس وتكون صفراء اللون يتدفق منها الدم. وتسير جنب الكهنة كاهنات (أو بنات الملك أو الحاكم) يحملن فراشاً منفرداً عليه تمثال عشتروت الباكية.

ب. عيد الهفريس **Hevrese**: وهو عيد القيامة وبعث أدونيس حيث يتم اكتشاف جثته على ساحل النهر أو البحر وفي سواحل الشام يستلم أهل فينيقيا سلّ البردي الذي كانت نساء الاسكندرية يلقين به في البحر رمزاً لامتنان إيزيس المصرية لأدونيس الفينيقيّ بعد أن عثرت إيزيس على جثة أوزيريس في جبيل حيث كان أدونيس يعبد ويعيش. وفي ذلك إشارة لتطابق شخصيتي أدونيس مع أوزيريس. وإيزيس مع عشتروت ويحتوي سلّ البردي على رأس مصنوع من الورق السميك ومعه رسالة لفينيقياً بنهاية الحداد وقيامة أدونيس من الموت.. وكان هذا البردي يخصّ مدينة جبيل (بيلوس) أكثر من غيرها.

2. أعياد ملكارت: ملكارت أو (سيد المدينة) هو إله مدينتي صور وقرطاج، كما كانت عبادته شائعة في مدينتي أسبانيتين هما (قادس) و(لكسوس) القائميتين على جانبي مضيق جبل طارق.

وقد طابقه الإغريق مع الإله (هرقل) لتشابه صفاتهما ومغامراتهما "ويبدو أنه في أول الأمر كان يعتبر إلهاً للشمس، لكنه بعد ذلك، وبعد أن أصبح الفينيقيون أهل ملاحه، اكتسب صفات بحرية أيضاً، وكانت لعبادته في قرطاجة أهمية كبرى حيث إن هذه المدينة ظلت قروناً عدّة ترسل في كل سنة المكوس وتقدم الولاء لمعبد الإله (ملكارت) في المدينة الأم (صور)". (عصفور 1981: 145).

وكانت أعياد هذه الإله مرتبطة بالنار بحكم ارتباطه بالشمس وخلفيته المثلولوجية النارية التي شرحناها في الفصل الأول. وقد كان كهنة هذا الإله يعتنون بالنار في معبده ويسرون حفاة الأقدام بملابس كتانية.

ونرجح أن تكون طقوس موته وبعثه مشابهة للأدنيات باستثناء إحراق النار المتصل في معبده.

3. أعياد رشف: وهو إله العالم الأسفل وإله النار والأوبئة ويقابل الإله أبولو ونرجح أن له أعياداً تشبه أعياد ملكارت، وارتبط اسمه بالطيور (رشف الطيور) أو التيوس (رشف التيوس) وربما كانت تعني قيامته من العالم الأسفل عودة العافية والصحة إلى العالم.

4. أعياد اشمون: وهي أعياد فصلية لإله الطب المرتبط بالنار والعالم الأسفل أيضاً، وهو إله مدينة صيدا، وكانت شخصية هذا الإله تشير أيضاً إلى ما يشبه طقوس ملكارت النارية.

5. طقس فتح طاقات السماء: ربما كان هذا العيد دورياً مع بدايات الخريف وهو نوع من طقوس الاستسقاء وإنزال المطر القديمة التي مارسها الكنعانيون بواسطة السحر. ولا نعرف ما هي تفاصيل هذا الطقس أو العيد، لكن بعض الباحثين يرون في (عيد المظالم) اليهودي تقليداً لهذا العيد حيث تجلب المياه من أحد الأحواض وسط موكب احتفالي ثم تسكب هذه المياه فوق المذبح وتخرج المياه ثانية من فوهة في أسفل الوعاء وتسيل فوق الأرض. (انظر أذارد 1991: 1987).

ج الطقوس السبعية:

وهي الطقوس التي كانت تجري كل سبع سنوات، وكانت في الماضي القديم تجري محورياً مع الإله إيل ثم أصبحت تجري مع الإله بعل. وقد رجحنا أن تكون السبعية الإيلية هي أعياد الأكيثو الكنعانية، وفصلنا ذلك في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

أما الطقوس السبعية البعلية فرمما كانت أعياد سنوية وسبعية معاً، فهي بين طقوس إيل السبعية وطقوس أدونيس السنوية، ولكننا لا نملك ما يفصل لنا هذه الطقوس إلا ما عرفناه من أعياد بعث بعل أو موته وما يرافق ذلك من فرح أو حزن.

وخلاصة القول: إن الأعياد الدورية بشكل خاص كانت مناسبة لممارسة الطقوس والشعائر التي كان يغلب عليها الطابع الجنسي بسبب من ارتباطها بعقائد الخصب وتخللها أعمال العهر والفجور التي كانوا يتقربون من خلالها إلى الآلهة التي كانت تمثل هذه المظاهر. ولذلك كانت النساء اللائي يمارسن هذه الطقوس الدينية لا يمارسها خارج المعبد وخارج هذا الغرض.

أما الكهنة والكاهنات الذين يمارسون هذه الطقوس فكانوا يلبسون ملابس النساء ويطلقون وجوههم باللون الأحمر (الغمرة) ويُعزّون أذرعهم ويشهرون السيوف ويصرخون ويرقصون كالدرائيش وبعضهم يزحف على الأرض بشعورهم المشعثة ويخدشون وجوههم ويشرحون أبدانهم ويطنون بطونهم فإذا سالت دماؤهم واصطبغت أجسامهم قدموا ذلك ضحية لألهتهم. (انظر اليسوعي 1982: 45 - 46).

4. طقوس التضحية (القربان)

لا شك في أن الكنعانيين عرفوا جميع أنواع الأضاحي النباتية والحيوانية والبشرية، فقد كانوا يقدمون القرابين من الخبز والطحين إلى تماثيل الآلهة في الغابات. وكانوا يذبحون الحيوانات ويصبون الخمر فوق الأضحية لتشربها الأموات في العالم الآخر. ومن المرجح أن دم الذبائح كان يُهرق في المقابر. (أنظر ميديكو 1980: 127).

ويكمن المنطلق اللاهوتي للتضحية البشرية بشكل خاص في الاعتقاد بأن الشخص المضحى به سيبقى حياً بعد الموت بل وسينال حياة سعيدة فهو أوفر حظاً من الآخرين لأنه سيكون مقرباً من الآلهة. وكانت طريقة التضحية تتناسب مع طبيعة الإله المضحى له. فالإله ملكارت كانت تقدم له الأضاحي حرقاً بالنار، وكذلك الإله (بعل حمون) في الغرب البوني. وعند الأوغاريتيين كانت الأضاحي الحيوانية تُذبح بأعداد سبع أو بمضاعفات السبعة. وفضلاً عن الثور والخروف كانت تذبح الأيائل والأوعال والظباء. (أنظر ميديكو 1980: 127).

المبحث الرابع النهايات والآخرويّات (الإسكاتولوجيا)

نهايات وآخرويّات الإنسان

كان الكنعانيّون يؤمنون بوجود حياة بعد الموت، ولكن فكرتهم عن هذه الحياة كانت بسيطة للغاية، فهي لم تكن مثل عقائد ما بعد المصريّة وربما اقتربت من العقائد العراقية القديمة بشكل أقوى.. رغم أن الكنعانيّين أضافوا لها فكرة اصطحاب الميت لأدواته وحاجاته بعد أن يدفن في القبر.

وكانوا يرون أن الجسد يبلى في القبر، ولكن الروح تتحول إلى (ظل) يشبه الجسد، وهكذا يمتلئ العالم الأسفل بحشود من الظلال المعتمة غير النورانية التي هي بمثابة أرواح الموتى. ولا تمتلك معرفة تفصيلية لعالم ما بعد الموت أو العالم الأسفل وكيف تعيش فيه أرواح الموتى مع آلهة وشياطين العالم الأسفل. ويبدو أن الروح تنحصر معرفتها بالموتى وتستقر في قعر البحر وتسلك في الظلمات وفي أعماق الهاوية.

وكانت القبور القديمة التي عثر عليها في أوغاريت مبنية تحت القصور الملكية وهي تشبه إلى حد كبير قبور الثالوس التي عثر عليها في كريت. وربما كانت القبور الكنعانيّة هذه هي أصل القبور الكريتية لأنها الأقدم. ويبدو أن القبور ظلت في قرطاج محافظة على تقاليد الفينيقيّة القديمة فقد عثر على قبور قرطاجيّة تعود إلى القرن السابع على شكل حجر معدة للدفن وغطيت بسقف من البلاط المرصوف وكانت هذه الحجر محفورة في الصخر أحياناً.

ثم نزلت القبور إلى عمق الأرض حتى وصلت إلى عشرين متراً تحت سطح الأرض تؤدّي إلى حجرتين أو ثلاث تقع الواحدة منها فوق الأخرى، وكانت الأجساد توضع في داخلها على مقعد أو في ناووس بعد أن تلف بكفن. أو تمدد في نعش مدهون باللون الأحمر، وقد تدفن مع الميت جواهره وأنيته ومصايحه وأباريقه وأدوات زينته. (أنظر ميادان 1981: 97).

وكان القرطاجيون يستخدمون نوعاً آخر من المقابر الهرميّة الشكل متأثرين بالمصريّين في ذلك. وكانوا يزوّدون بها بالاحتياجات الرئيسيّة التي تلزم المتوفى وبتماثيل الآلهة والأقنعة الطاردة لقوى الشر. (انظر الناطوريّ 1981: 214).

كانت الروح تسمّى (برت) عند الكنعانيّين وكانت معزولة عن الجسد، رغم أن بعض النصوص توضح أنها الإناء الذي يحتوي الجسد وليس العكس.

ويبدو أن الروح يجب أن تستقر هادئة مع الجسد، فإذا ضجت أكثر فإن ذلك يؤدّي إلى المساس بالآلهة، ولذلك يجب على الروح أن تذهب وتستريح في الأرض لتتحوّل إلى (ظل من ظلال العالم الأسفل، وكان الأوغاريتيّون يرون بأن شكل الروح يشبه النخلة.

القسم الثاني: المكوّنات الثانويّة في الديانة الكنعانية المبحث الأول الشرائع والأخلاق

أولاً: الأخلاق الفرديّة

أ. العائلة والزواج والأطفال: كان الزواج القاعدة الأساسيّة لتكوين العائلة ثم المجتمع وكانت الإلهة (عناة) ترعى الزواج والخطوبة وغيرها وكانت هناك أعراف وتقاليد كثيرة لهذا الزواج. وفي الغالب كان الزواج من امرأة واحدة هو الزواج الشائع. وكان معاشرّة المحظيات أمراً منفراً. وكان الإنجاب أمراً محبباً ومفرحاً وكانت الإلهة ترعاه، وكانت العائلة تكفل رعاية الأبناء ولا تفرط بهم. ويندر أن يكون الأطفال الكنعانيّون ضحية الحروب لأن الشعب الكنعانيّ كان مسالماً ولا يحب الحرب.

وكان الأبناء يُوشمون عادة لأغراض دينيّة وللحماية من الأرواح الشريرة، أما الختان فكان يمارس عند الكنعانيّين والفينيقيّين ويرمز إلى دخول الطفل في دين آبائه وأجداده وإلى اندماجه في المجتمع. (الجرني 1996: 110).

ب. حرق الآثام: كان الكنعانيّ يحرق آثامه عندما يريد التوبة فكانوا يكتبون خطايا وآثام الشخص على لوح من الطين ويقومون بحرقه وقطعه بالسيف وذره في البحر أو دفنه في الحقول أمام الجميع ليكون طقساً شاهداً على التوبة وإنهاء السلوك الخاطئ والمنحرف. وقد ورث اليهود هذه العادة فكانوا يصطادون تيساً من الصحراء ويذبحونه ويذرونه. (أنظر ميديكو 1980: 125).

ج. التسامح والتواضع والأمانة والصدق:

كان المجتمع الكنعانيّ يزرع المثل النبيلة في أفراده وكان التسامح أحد هذه المثل حيث يرد على لسان الإلهة عناة في ملحمة اللالئ (إن عدم التسامح لا يقود إلا للخراب). وكان ارتكاب الأخطاء والآثام أمراً مشيناً لكن المجتمع كان يسامح المخطئ عن طريق توبته. وكان التواضع سبيل الكنعانيّ إلى الحياة المزدهرة ولولا الأمانة والصدق لما تمكّن الكنعانيّ أن يتحول إلى أكبر تجار العالم القديم، فالتجارة كانت تستوجب الأمانة والصدق.

كل هذه الصفات التي منبعها حب السلام وكره الحروب كانت تتوافق مع الطبيعة المرنة للعبادة الكنعانيّة.

ثانياً: الأخلاق الاجتماعيّة

أ. الإيمان والخوف من الآلهة ونبذ الشياطين: كان المجتمع الكنعانيّ مجتمعاً متديناً مؤمناً يخشى آلهته (مخافة الإله دليل على نهاية الشموخ) وكانت الآلهة (التي تمثل القيم العليا محترمة ومهابة عندهم إضافة إلى أنهم يحترمون تفاصيل الأساطير في حياتهم. فمثلاً كان الملك الكبير يتقرّب من بعل ويترك عبادة إيل وكان ذلك يظهر على شكل توغل أعمال بعل الشهوانية في حياة الناس، كان الناس يذهبون إلى معبد الإله إيل يتوسّلونه كي يبني للإله بعل بيتاً كي يهدأ ويقلل من دعمه الشهواني للملك الأكبر. وفي هذا السلوك صدى لتداخل تفاصيل أسطورة بناء بيت بعل في حياة الناس واعتقادهم أنه طالما كان بعل هامماً على وجهه فإنه سيقوم بأعمال طائشة وسيسبب للناس الأذى.

وإذا كان بعل قد وضع في تناقض مع إيل فهذا لا يعني نبذ بعل الكلي بل إن احترامه سيوف يجري كاملاً عند إقامة طقوس الخصب ونهاية الجذب فهم ينتصرون لبعل في صراعه مع موت أملاً في رفاه العالم وسعادة الناس.

وفي كل الأحوال كان المجتمع الكنعانيّ ينبذ الشياطين والأبالسة والعفاريت. وهو عندما يعبد بعل فإنه لا يرى فيه شيطاناً أو رئيساً لطائفة الأبالسة كما حاول (العهد القديم) أن يصوّر ذلك، وكما كان يدعي العبريون إزاء الكنعانيّين، لأن عبادة بعل هي عبادة إبن إيل أو إبن داجون. وهي عبادة إله كان له الوزن الأكبر في العقائد الكنعانيّة. وما كان التشويه الذي مارسه العبريون يبدو عنيفاً وقاسياً ضد الكنعانيّين إلا لأن العبريّين كانوا لا يريدون لبعل أن ينافس يهوا إلههم وإذا كان إلههم يهوا خيراً عظيماً (في نظرهم) فإن منافسه (بعل) سيكون بالضرورة شراً هامشياً (في نظرهم). وإن كره الكنعانيّين للشياطين والأبالسة يتجلّى في نبذهم لـ (موت) ولأتباعه من الكروبيم سكنة العالم الأسفل.

2. **الحرب والسلام:** كان المجتمع الكنعانيّ محباً للسلام وكارهاً للحرب، وقد تجلّى ذلك في ميل الكنعانيّين إلى التجارة وإقامة العلاقات الطيبة مع الأمم الأخرى. وقد دفعهم كرههم للحرب إلى الانتشار خارج بلاد الشام. وكذلك ظلوا بسبب ذلك محافظين على نظام دولة المدينة دون أن تغلي في عروقهم نزعات التوسّع والتوحّد وإقامة الدولة والإمبراطوريّات الكبرى.

3. **مكانة المرأة الكنعانيّة:** كانت المرأة الكنعانيّة تتمتع بقدر وافر من الاحترام والنظرة الرفيعة المستوى، ولذلك جاءت دعوات الزواج وتكاثر النسل كثيرة في النصوص الكنعانيّة. وكانت الإلهة عناة ترعى المرأة والزواج الشرعي. وكان ظهور عدد كبير من الإلهات يعكس نظرة الإنسان الكنعانيّ إلى الكون وأهميّة الأنوثة.

إن الأخلاق الجماعيّة التي رسمت ملامحها الأساطير والحكايات والقصص التاريخيّة تشير بوضوح إلى أن المجتمع الكنعانيّ كان مجتمعاً متوازناً حكيماً محباً للخير والسلام.

إن عدم وجود نصوص تشريعية واضحة في المجتمع الكنعانيّ لا يعني مطلقاً غياب العدالة، ففي أوغاريت مثلاً كانت هناك محاكم يرأسها القاضي الذي يسمح بالمحاكمات العلنية، حيث يعرض المتخاصمون قضاياهم ويحكم هو بينهم وقد يضطّرون إلى أداء اليمين والقسم بالآلهة "لقد انطلق المجتمع في ممارسة التشريع وأعمال القضاء من أن الإنسان الحر هو القانون ذاته وأنه في المقام الأول عضو في مجتمع معين: جماعة عائلية، عشائرية، مشاعة، ناس، ولم يعترف بأنه يمكن للإنسان أن يوجد خارج هذه العلاقات والمؤسسات، فهو مضطهد وليس له أية حقوق خارج الجماعة، جماعته نفسها والوثائق الأوغاريتية". (شيفمان 1988: 43).

المبحث الثاني السير المقدّسة

دراسة السير المقدّسة تضيء بعض الجوانب التي خلطت بين الآلهة والبشر، وتفرز في الوقت نفسه الأساطير عن القصص والملاحم فقد تعودنا مصادفة العبارة الخاطئة (أسطورة كرت) أو (أسطورة إمهات).. إلخ وقد أمدتنا الكتب والروايات الشعبيّة بما يحكى عن أبي الكنعانيين (كنعان) وعن أبي الفينيقيّين (فينيق) وهذه كلها شوشت صورة المثلولوجيا الكنعانيّة وزادتها غموضاً.

أولاً: سير الجيل الأول من البشر (الآباء: آدم وسلالته)

ذكرنا مفصلاً في الفصل السابق أسطورة خلق الإنسان الكنعانيّة وقد وضعنا الهيكل الفرضيّ لهذه الأسطورة التي تتمنى أن تكشفها الآثار ذات يوم، واعتمدنا في ذلك على الأسطورة العبرية التي نرى أنها نهلت من الأسطورة الكنعانيّة المفقودة.

أ. آدم: لا نملك القصة الكنعانيّة الآثاريّة عن آدم، لكن ما في حوزتنا من أخبار متواترة هي خليط من الروايات الكنعانيّة والعبرية والعربيّة عن آدم توضح لنا بعض ما يشبع الفضول. إن قصة آدم في الفردوس الإلهيّ وقصته مع حواء والأفعى التي نرجح أن تكون (تيفون) هي أمور لا نستطيع تأكيد ما إذا كانت كنعانيّة أم لا.. رغم أن هناك ما يشير إلى وجود مؤثرات سومريّة معروفة فيها وهو ما يقرب لنا صورة الصلة بين السومريّين والكنعانيّين الذين كانوا في أصولهم الأولى يقطنون مكاناً واحداً هو جنوب العراق.

كذلك تبقى قصة السقوط من الفردوس إلى الأرض غامضة، رغم أن هناك ما يشير إلى أن آدم هبط إلى جبل حرمون الكنعانيّ (جبل الشيخ) وأن ولديه (قابيل وهابيل) أقاما طويلاً شرقيّ الفردوس في سهل البقاع ويستدل على صحة هذا التقليد اليوم من قبور هابيل وقابيل وشيت المقامة في المحل المشار إليه. (أنظر عبد الحكيم 1978: 66).

وإذا قمنا بتحليل اسم آدم فلا شكّ في أن معنى اسمه هو مذكر الأدمة الإلهة وقشرة الأرض، وفي اسمه ما يفيد وجود الدم وهو سر الحياة عند الأولين. كذلك نرى أن اسمه يمكن أن ينقسم إلى قسمين هما (آد + أم) ويعني مقطع (آد) الإله (أم) يعني الريح وهو إله الريح والأصح (الكائن الذي فيه ريح الإله) أو روح الإله. وهذا يتطابق مع ما ورثناه من أن الله نفخ في صورة آدم من روحه أو نفسه.

ويروي فيلون وسانخونيتن رواية تحمل مؤثرات مصريّة وإغريقيّة عن خلق الإنسانين الأولين وهما (يون = الدهر أو الزمن) و(بروتوجون = حواء البكر) ومنهما جاءت ذرية فينيقيا وعددهم متتان، فسّمّوهم النور والنار والذهب، وبعد ذلك أنجب هؤلاء الكنعانيّون أولاداً ضخام الأجسام، طوال القامات وسمّيت الجبال التي ملكوها باسمائهم وهي قاسيون ولبنان والتيلبنان وبراتي. (انظر عبد الحكيم 1978: 45).

ويؤكد سانخونيتن من ناحية أخرى على أن (بوتوس = الهواء المتحرك) لقح نفسه فوق الخواء فأنتج (موت = البيضة المضيئة) التي جعلت مياه المطر تنهمر بالحرارة وظهر منها الشمس والقمر والكواكب والنجوم والزوابع والعواصف. وظهرت من هذه كائنات تتحرك وهي غائبة عن الوعي ثم ظهرت منها كائنات ناطقة تتأمل السماء فيما الذكر والأنثى فوق اليابسة وتحت الماء.

لكن سانخونيتي ومعه فيلون يؤكدان أن بوتوس هذا كان يمثل الرغبة التي تزوجت مع (أوميثيل)، أي الظلام وتنج عن ذلك العقل المحض (إر) والصورة الحية من العقل (أورا)، حيث نتج عن ذلك العقل الأول (أوتوس) وكل هذه الأفكار الغنوصية والهيلنستية تطلي تلك الروايات القديمة عن الخلق البشري.

ب. قابيل وهابيل: هناك ما يروى عن أن دمشق كانت أرض آدم وأنها الأرض التي شهدت الجريمة الأولى: قتل قابيل لهابيل، حيث إن اسم دمشق يعني شراب الدم إشارة إلى إراقة دم هابيل عليها.

وينتشر بين سكان جبل قاسيون (شمال دمشق) الاعتقاد بأن هذه الجريمة وقعت أعلى قمة الجبل، وينسب القزويني لصخرة دمشق الكبيرة أنها كانت المكان الذي قدم عليها قابيل وهابيل قربانهما وحين لم يقبل قربان قابيل قام بقتل هابيل وسال الدم على هذه الصخرة التي تجاوزها مغارة تسمى (مغارة الدم). (أنظر عبد الحكيم 1978: 66).

ج. شيث: أما شيث الذي نرى أنه المقابل البشري للإله (سيتون) فهو الذي انحدر منه الجنس البشري بعد مقتل هابيل وفرار قابيل إلى منطقة بعلبك، حيث بنى فيها هذه المدينة وسكن فيها البشر والأشرار من نسله.

وربما اشتق اسم صيدا من شيت، رغم أن الإله صيد هو أساس الاشتقاق لكن ذلك يدفعنا إلى المقاربة بين شيت وصيد واعتبارهما مرتبطين بالصيد البري والبحري.

وإذا اتخذنا من الرواية التوراتية مؤشراً، فسيكون نسل الأنبياء والرجال الصالحين القدماء منحدرًا من شيث (مثل أنوش، قينان، مهليل، يارد، أخنوخ متوشالح، لامك، نوح) وبالطبع فإننا لا نعرف الأسماء الكنعانية الدقيقة المقابلة لهذه الأسماء والتي نرى أنها تشكل مع آدم وحواء وأبنائهما الجيل الأول من البشر الذين نحتهم الذاكرة الكنعانية من تراثها أو من تراث من سبقها ممن كان يعيش معها في مناطق نزوحها الأول.

ثانياً: سير الجيل الثاني من البشر (البشر المؤلهون بعد الطوفان)

لا مملك، لحد الآن، رواية كنعانية خاصة بأسطورة الطوفان ونستغرب غيابها أو عدم ظهورها في حين أن صلة الكنعانيين بالمياه قريبة.

إن ظهور جيل آخر من البشر بعد الطوفان أمر لا نلمسه بصراحة بعد خلق السماء والأرض مباشرة أي أنهم يشبهون (آدم وسلالته).. وهذا غير جائز، لذلك نرجح أن يكون هؤلاء قد ظهوروا بعد الطوفان (إن وجد عند الكنعانيين) لأن أولهم وهو كنعان يتطابق مع سام أو ينحدر من حام وهما أبناء نوح بطل الطوفان.

لا بد أن نشير أولاً إلى مسألة نظرية في غاية الأهمية تفسر لنا علاقة الأسطورة بالدين من جهة وبالتاريخ من جهة أخرى، حيث ينتج عن علاقتها بالدين مثولوجيا خالصة، أما عن علاقتها بالتاريخ فينتج نوع من المثولوجيا التاريخية.

المكان الطبيعي للأسطورة هو الدين، والآلهة محور الأساطير وجوهرها. وعندما تزحف الأسطورة نحو التاريخ فإنها تؤسطره وينتج عن ذلك إما ملاحم ترفع الأبطال والملوك إلى مكانة الآلهة وتنسبهم لها، أو مدناً تقوم الآلهة ببنائها فتكون مقراً أرضياً لهم.

ولأن التراث الكنعاني كان على صلة كبيرة مع التراثين العبري والعربي فإنه تحوّل في بطون التاريخ إلى فولكلور وملاحم تاريخية ذات طابع شعبي وديني. وهكذا أصبحت المقابلة بين الأصول الأسطورية والتأجج الفولكلورية الشعبية صعبة للغاية.

ولكننا رغم ذلك حاولنا أن نرصد مجموعة من التحوّلات التي خاضت فيها المثولوجيا مع

التاريخ. فقد تحول شام إلى كنعان وطرد من العائلة السامية بل وأصبح ابن حام (وهذه مفارقة توراتية معروفة) وأصبح فينيق (الذي ربما كان دامور مثلوجيا) ابن كنعان؟ في حين أنه اسم مرادف له.

وأصبحت صيد إبنة كنعان وأصبحت صور إبنة صيدا. وهكذا تحول الآلهة إلى ما يشبه الملوك أو الأجداد المؤسسين لكنعان ومدنها.

ونرى أن الأسطورة تكون راسخة ثابتة قوية عندما تكون جزءاً من الدين، أما عندما ينهار ذلك الدين أو يُستبدل بدين جديد، فإن عناصر الأسطورة تنهار معه وتتخفى وتتوارى وراء التاريخ بل وتتحول إلى حكايات وخرافات شعبية وتندس في الملاحم الشعبية والقصص الخرافية. ولا شك في أن التوراة أولاً ثم كتب أخبار الرواة وكتب المؤرخين القدامى هي المكان الذي شهد انهيار الأساطير القديمة ورحيلها نحو التاريخ.

أ. كنعان: تُعتبر التوراة المصدر الرئيسي للمثلوجيا التاريخية الكنعانية فقد لعبت التوراة دوراً رئيسياً في تحريف وتشويه سيرة الكنعانيين وتغيير حقيقتهم التاريخية وصياغة حكايات أسطورة عنهم .

يذكر سفر التكوين أن كنعان هو أحد أبناء حام الأربعة (كوش، مصرايم، فوط، كنعان) (التكوين 6: 10).

وهذه هي المغالطة الأولى، حيث يُستبعد كنعان من الساميين ويُنسب إلى الحاميين، ولأن اللغة الكنعانية تنتسب إلى اللغات السامية الغربية فلا مجال لوضع الكنعانيين ضمن النسب الحامي الذي اتسم بسمرة البشرة والسكن في شمال وشرق أفريقيا بشكل خاص. ويبدو أن حمرة البشرة الكنعانية أبعداها عن الساميين (في نظر كتبة التوراة) وجعلها تنحسر مع البشرة الحامية السمراء. ثم أن ربط الكنعانيين بمصر أمر يدعوننا إلى الاستغراب والمزيد من التأمل في الوقت نفسه.

إننا نرى أن العلاقة المبكرة المتميزة التي ربطت بين بعض المدن الكنعانية الساحلية مثل جبيل وبين مصر كانت سبب هذا الربط. فقد ظهرت هذه العلاقة بوضوح منذ عهد الأسرات العتيقة والقديمة، أي من الأسرة الأولى وحتى السادسة بوضوح شديد. وكانت العلاقة اقتصادية ودينية وقد اعتبر المصريون أن أوزيريس كان أخاً لكنعان. "وكان كنعان أول مَنْ سُمي (فينيقس)، فكانت أعياد قيامة الإله المصري أوزيريس، تقام في مدينة جبيل الكنعانية أو اللبنانية، كما أن في مكان الاسكندرية القديمة، أو فاروس، كانت تُقام أعياد وشعائر أدونيس الفينيقي، فقد جعلوا من كنعان أخاً لأوزيريس، دلالة على وحدة نسب الأمتين". (عبد الحكيم 1978: 41). ورغم أننا لا نملك في المثلوجيا المصرية أو الكنعانية ما يشير إلى ذلك لكننا لا نستبعد وجود معابد متبادلة بينهما.

إن العلاقة بين الكنعانيين والمصريين أمرٌ مؤكّد، ولكنه لا يصل إلى حد وحدة النسب، بل ربما كان هناك تأثر وتأثير ثقافي كبير بينهما. ويعزز ذلك الوجود المصري الطويل الأمد في المدن الكنعانية الساحلية، والبرية في فلسطين، والصراع الطويل الذي خاضه المصريون مع الحوريين والحيثيين لإخضاع بلاد الشام وخاصة قسمها الكنعاني.

المغالطة الثانية هي في جعل الفلسطينيين والكريتيين يخرجون من أبناء مصرايم، حيث يقول سفر التكوين "ومصرايم ولد لوديم وعناميم ولهاييم وفتوحيم وفتروسيم وكسلوجيم الذين خرج منهم فلشتيم وكفتوريم". (التكوين 10: 13، 14).

وفلشتيم يشير إلى فلستو أما كفتوريم فيشير إلى جزيرة كريت التي كان المصريون يسمونها

(كفتور) ومعروف أن الفلسطو هم أقوام بحريّة إيجية ساهمت في الهجوم على مصر وبعد أن هُزمت اتجهت نحو السواحل الكنعانيّة، فاحتلت مدنه الجنوبية واستقرت فيها. أما جزيرة كريت فقد هاجر إليها الكنعانيون مبكراً ونقلوا إليها ثقافتهم التي كانت السبب المباشر في ظهور الحضارة الكريتيّة، كما أن اسم كريت نفسه يمكن أن يكون كنعانيّاً حيث كلمة (كريت) تعني (قرية أو مدينة) ولا يُعرف إلى اليوم من هم سكان كريت الأوائل، رغم أن الاعتقاد السائد أنهم من أصل آسيوي.

المغالطة الثالثة هي في اللعنة التي لحقت بكنعان بعد أن صُبت على حام، حيث يروي سفر التكوين أن نوحاً بعد الطوفان أصبح فلاحاً وعرس كرمّاً وصنع من الكرم خمراً وشرب فسكر وتعزّى داخل خيمته ودخل عليه حام (أب كنعان) فشاهده عارياً ورأى عورته فأخبر أخويه (سام ويافت) فأخذ أخواه الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء لئلا يريا عورة أبيهما ووجهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من غفوته وعلم ما عمل به ابنه الصغير حام قال ”ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخوته“. وقال: مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم.“ (التكوين 9: 25 - 27).

ونلاحظ هنا أنه بالرغم من أن حام هو الذي أخطأ لكن اللعنة تنصب على (ابنه المزعوم) كنعان. وهكذا نجد كنعان مهمّشاً ملعوناً في التوراة لا لشيء إلا لأن العبريين احتلوا أرض الكنعانيّين وأصبحوا أعداء لهم، ولا بد من وصمهم دائماً بالعار والخطيئة وهو منهج سار عليه التوراتيون واليهود في علاقتهم مع مجاوريههم ومن حاربههم أو عاداهم. وعندما نَمعن النظر في مسلسل اللعنات الذي يبدأ من قاييل إلى حام إلى كنعان، فإننا نراه يستمر إلى إسماعيل، ونرى أن التوراتيين همّشوا كل هؤلاء، لأنهم أرادوا إبعاد كل ما هو خارج نسلهم بدءاً من آدم. وهكذا وصموهم بالخطيئة وعلّقوا بهم دائماً لعنات القتل (قاييل) واللون (حام وكنعان) والخطايا الجنسيّة (لوط وبنعمي ومؤاب) وشكل الجسد (عيسو) وضعة النسب (إسماعيل)... إلخ.

وحذت كتب التراث العربيّة حذو التوراة فحقرت الكنعانيّين واعتبرتهم مع المصريّين من نسل حام. وقام العرب بمساواة الكنعانيّين مع البربر والنوبيين ”فكان كنعان أخصاً لهم كما يقول النسابة العرب، فبعد اللعنة ولدت امرأة حام غلاماً لونه أسود، وسّموه كوشاً، وولد لكوش الحبشة بن كوش، أما شقيقه الثاني الذي لحقته أيضاً لعنة أبيه فهو ماريح بن حام، فقد ولد ثلاثة أولاد أو أجناس وهم كنعان وبربر والنوبة“. (عبد الحكيم: 1987: 40). هكذا نُسج تاريخ الكنعانيّين وفق مخيّلة مثولوجيّة اندفعت بقصد وبدون قصد - من منبع عدائيّ لهم ومن نظرة استعلائية وقد تكون عنصرية لها علاقة باللون الأسود أو الأحمر، وهو خطأ قاد إلى أخطاء أخرى كثيرة. ولذلك لا نستبعد أن يكون تكريس اسم (كنعانيّون) له علاقة بمفهوم (الشعب الواطئ)، أو (الشعب الأحمر). وهو ما تفضحه الكثير من الجمل والعبارات التوراتيّة والعبارات التوراتيّة الصريحة.

ب. فينيق: فينيق هو الاسم الذي أشاعه الإغريق للدلالة على الكنعانيّين الذين كانوا يسكنون سواحل المتوسط الشرقيّة ويجوبون البحر وينشرون فيه حضارتهم. وهناك مجموعة من الأفكار والمثولوجيات التاريخيّة التي رافقت ظهور وانتشار هذا الاسم ومصادره البعيدة والقريبة وسنبداً بأبعدها.

1. طائر الشمس أو الطائر المحترق:

هناك احتمال قوي أن يكون مصدر هذا الاسم من اسم الطائر الأسطوري المصري (بنو)، وهو الذي يوصف بأنه إله الشمس الذي ظهر على شكل (أتوم) في بداية الخليقة من البحر الأول (نون)، وعندما لم يجد له مكاناً صعد فوق حجر على هيئة مسلة (بن بن Bin bin) في مدينة أون. (شكل)

ويقرب شكل هذا الطير من شكل اللقلق أو أبو قردان أو مالك الحزين يرمز للشمس وربما كان هو مصدر فكرة ارتباط الشمس بالنسر عندما تحوّل بعد ذلك طائر (بنو) إلى النسر الذي يمثل طوراً أكثر إفصاحاً عن الشمس المحرقة وهو رمز الإله (حورس) إله الشمس الأقوى في مصر.

وتذكرنا هذه المرجعية المثلثية بالفكرة الشائعة عن طائر اسمه طائر الفينيق الذي يمثل فكرة الانبعاث الدائم، حيث يحترق هذا الطائر ومن رماده ينبعث من جديد، ولعلنا نجد جذراً لهذه الفكرة في دورة الشمس، حيث يظهر النسر في الأساطير المصرية وهو يحمل في كل فجر الشمس بقدميه من الشرق ويغرب أو يموت مع غروبها لينبعث مرة أخرى صباح اليوم التالي. وهو يبعث الشمس معه من جديد وهكذا.

لقد وُحِدَ المصريون الإله (بنو) بالإلهين (رع) و(أوزرس)، بل إنهم عدّوه في هيلوبوليس كروح لأوزريس، وهذا يعني أنه روح الخصب والشمس معاً.

واستطاع هيرودوت أن ينقل لنا صورة شائقة عن هذا الطائر عندما قال إنه يشبه العنقاء وقال إنه يظهر في مصر كل (500) عام مرة واحدة، وإنه يولد أولاً في أعماق الصحراء وما أن يولد حتى يطير مباشرة وهو يحمل جثمان أبيه ويقف بعد ذلك على مذبح معبد هيلوبوليس (معبد مدينة الشمس) حيث يحترق بأعشاب المر وتجري عملية الحرق هذه في احتفالات جنازية ضخمة يقوم فيها موكب من الناس والكهنة بدفنه بعد ذلك مصحوباً بالعويل والبكاء. (أنظر 1995: 46 Larousse).

وهذا يعني أن فكرة احتراق طائر الشمس، أو الفينيق أتت من مصر ودخلت في العقائد الفينيقية.

ولكن القديس هيرونيم يذكر لنا شيئاً مخالفاً يرجع أصل هذا الطائر إلى الهند، حيث يولد هذا الطائر هناك ويعيش لمدة 50 عاماً وبعد ذلك يجيء إلى فينيقيا ويبقى فيها لمدة ثلاثة أيام ثم يعود إلى الهند ويحصل له خلال وجوده في فينيقيا عبر هذه الأيام الثلاثة ما يلي: اليوم الأول: يجمع الأعشاب الطيبة الموجودة في فينيقيا ليصنع منها عشاً يضعه على هيكل الأسرار في معبد الشمس (هيلوبوليس) ربما في بعلبك بشكل خاص. ويضخ طائر الفينيق هذا العش برائحة العنبر التي تخرج منه وينام فيه الليل كله.

اليوم الثاني: مع شروق الشمس تمس أشعة الشمس هذه الأعشاب والطيوب فتحترق ويحترق معها طائر الفينيق، وتبقى في العش دودة وسط رماده.

ج. اليوم الثالث عندما تمس أشعة الشمس هذه الدودة تنبت لها أجنحة وتستعيد هيئة طائر الفينيق وتطير عائدة إلى البلاد الأصلية.

وتصير الدودة في الأساطير العبرية بيضة حيث يعيش طائر الفينيق ألف سنة وبعد انتهائها ينبعث في عشه لهب فيحرقه، لكن بيضة تبقى في العش يعاود منها الحياة، وأن هذه القيامة أعطيت لفينيق من عند الله، لأنه كان الطائر الوحيد الذي استنكر أكل حواء من الثمرة المحرمة. (أنظر عبد الحكيم: 1987: 60).

ولا نستبعد أن يكون (أبو الهول)، ذكر (العنقاء)، له علاقة بهذا الطير الشمسي الخالد.

2. النخلة والتمر (شجرة الفينيق) (فوانيكس):

كانت النخلة شجرة مقدّسة عند عموم شعوب الشرق الأدنى السامية، وكانت تُعتبر شجرة الحياة عند السومريين وكان ثمّرها يحظى باحترام وتقديس خاصين. ومن السومريين انتقل هذا التقديس إلى الشعوب السامية حيث تفصح لوحة طينية عن ظهور رجل وامرأة (ربما كان آدم وحواء) وبينهما نخلة محمّلة بالتمر وتظهر الأفعى خلف المرأة وقد عدّ الباحثون هذه اللوحة أصل فكرة الخطيئة التوراتية في الجنّة واعتبروا النخلة شجرة الحياة أو شجرة المعرفة.

وتطابقت النخلة مع الإلهة عشتار، وكانت النخلة تسمّى (فينيق)، التي تعني هنا (الدامي)، إذ إن شعوب البحر الأبيض عامة ارتبطت وربطت بين عمليّات إخصاب النخيل، أو ما يُعرف بـ(الطلوع)، أو التلقيح التي بدونها لا تطرح النخلة أو تثمر. فهناك علاقة بين النخيل وبين الموت ثم القيامة أو توالي الولادة والاستمرار. (انظر عبد الحكيم 1978: 59).

وهكذا رمزت النخلة أيضاً، مثلما رمز طائر الفينيق، إلى البعث المستمر. إن ثمار شجرة الفينيق التي هي النخلة كانت تُسمّى أيضاً باسم يدلّ على الآلهة فقد كان ثمّرها يشير إلى الإله (دامور) أو (تامور) أو (تامير). وهو كما نرى التمر وقد عثر على آثار هذا الإله في جزر البحر المتوسط التي أسسها أو استوطنها أو استعمرها الفينيقيون وقد سكّت بعض النقود التي تحمل شكل النخلة الوافرة الثمر للدلالة عليه.

وإذا ذهبنا إلى أعماق الآلهة القديمة لوجدنا أن هذا الإله موجود ضمن الآلهة الأمورية بصيغة (ذ. مرت)، وهو ابن الإله (دجون) إله الطقس الأموري، ويعني الإله الشديد القوي. وهو ما عبّرت عنه بعض الكتابات الهيلنستية على أنه الإله (دماروس) الذي تطابق مع الإله (أمورو) وأنجب الإله ملكارت إله النار.

وإذا قارنا بين الآلهة الكنعانية والأمورية فإننا سنجد أن هذا الإله (ذمر)، الذي هو (دامور)، يطابق من حيث الموقع إله صور (عوس) أو (عوص) أخ إله السماء (شاميم). وينكشف لنا سر هذه المطابقة عندما نعرف أن لون (عيسو) ابن إبراهيم، كان لونه أحمر وذا شعر كثيف وهو السبب الذي أقصاه لأجله التوراتيون عن النسل الرسمي لهم.

وهكذا تكون النخلة وثمرها موحية بالاسم النبائي لفينيق، وهذا يعني أن فينيق والفينيقيين كان لهم طوطم مقدس نباتي هو النخلة والتمر، وحيواني هو العنقاء.

كان التمر هو الثمرة التي ينتج عنها الخمر بعد تخميرها وبسبب طبيعتها المسكرة تنكشف أسرار النفس وأعماقها ويلهو بها الإنسان عن مشاكله وعن الموت والفناء، وعن طريق خمرة التمر كان المصريون يحتظون الجثث بنقعها في الخلّ. فهي قرينة الخلود ومضادة الموت. وهذا سبب علاقة الخمر بحام وكنعان في المثلوجيا التوراتية.

وهكذا نجد أنفسنا في مترادفات واحدة هي النار والشمس وأبو الهول والعنقاء والاحتراق والبعث والخلود والنخلة والتمر والخمر. وهي كلها تجتمع في اسم فينيق الذي صار لزاماً علينا الاعتراف بشرفيته السابقة على اسمه الغريبي الإغريقي.

ولكننا يجب أن نتساءل: لماذا أصبحت النخلة رمزاً فينيقياً في حين أن فينيقيا تخلو من النخيل؟ وقد تدفعنا الإجابة على هذا السؤال للبحث في أصل الفينيقيين الذين هم أجداد الكنعانيين الأوائل.. وتعود بنا الإجابة هنا أيضاً إلى وادي الرافدين رمز النخلة أساساً لهم، لأن النخل في جنوب وادي الرافدين كان لا حصر له وهو دون بقاع الأرض كلها الأغزر في هذا المكان.

النخلة إذن رمز فينيقيّ يشير إلى الأصول العراقية القديمة للفينقيين أما ربطه بالشمس والنار وأبي الهول فأمر لاحقة فرضتها ظروف الفينقيين الجديدة، بل فرضتها بالدرجة الأساس مسألة عدم وجود النخيل في فينيقيا وضرورة ربط هذا الرمز بمدلولات أخرى.

3. الشعب الأحمر (فوانوس):

كان اسم (فوانوس) الذي يعني في اللغة اليونانية القديمة (أحمر) هو الاسم الذي يُشير إلى الشعب الذي ارتبط باللون الأحمر سواء في بشرته، أو في المكان الذي أتى منه أو في الصبغة التي كانت ينتجها ويصدرها. وسنتناول ما يخص هذا الشعب الأحمر في نظر القدماء الذين أشاعوا عنه هذه التسمية.

أ. البشرة الحمراء (النحاسية):

كان الكهنة المصريون، في ما مضى، يصنّفون البشر إلى أربعة أصناف على أساس لون بشرتهم وهم:

1. روى: الشعب الأحمر ويضمّ شعبين مرتبطين حضارياً وهما الشعب الكنعانيّ في بلاد الشام والشعب المصريّ في بلاد وادي النيل.

2. أمون: الشعب الأصفر وهو الشعب الآسيوي.

3. هلاسيو: الشعب الأسود وهو الشعب الأفريقيّ الزنجي، وربما كان هذا الاسم أصل كلمة (خلاس) العربية، بمعنى المضرب باللون الأسود.

4. تمحو: الشعب الأبيض وهو الشعب الليبي الذي كانت تمثله قبائل التمحو آنذاك.

وربما كان تقسيم الكهنة المصريّين هذا هو الذي أوحى بالأصل المشترك بين الكنعانيّين والمصريّين وربطهما باللون الأحمر. وهذا التقسيم كما نرى يفتقر إلى سعة الاطلاع على شعوب الأرض القديمة آنذاك وهو في حقيقة الأمر يقسم شعوب مصر وجيرانها أكثر مما يقسم شعوب الأرض. لكن الإغريق القدماء رأوا في الشعب الكنعانيّ أو الفينيقيّ ما يدل على البشرة الحمراء أو النحاسية المختلفة عن لون بشرتهم البيضاء فأطلقوا عليهم اسم (فوانوس) الذي كان أحد مصادر كلمة فينيقيا.

ب. البحر الأحمر (الإرتيري):

ربما كان الاعتقاد القائل بأن الكنعانيّين قد نزحوا من البحر الأحمر الذي كان يُسمّى (الإرتيري) والذي كان يتميّز باحمرار لون مياهه بسب تراب قاعه وضافه الحمراء اللون والحاوية على أكاسيد الحديد الحمراء، ربما كان هذا الاعتقاد سبباً في إطلاق اسم (فوانوس)، الذي يعني (الأحمر) على هذا الشعب القادم من هناك.

كان المؤرخ هيرودوت أول من رأى بأن الكنعانيّين قد خرجوا من شواطئ (بحر ارتيرية) على أثر زلزال مدمر حصل هناك فنزلوا على ضفاف الممرات المحاطة بالمستنقعات ثم وصلوا السير إلى شواطئ البحر المتوسط (البحر الداخلي) وأسسوا صيدا.

وقد أيّد سترابون هذه الفكرة وأضاف إليها أن سكان الخليج العربيّ أخبروه بأن أصل الكنعانيّين من شواطئ البحر الإرتيري التي ما زالت تحوي مدناً بأسماء (صور، صيدا، آراد) وأن هياكلها تشبه هياكل الفينيقيّين.

أما المؤرخ يوستينوس فلم ينف آراء هيرودوت ولم يرفض آراء سترابون عن بلاد الفينيقيّين الأصلية، ولكنه قبل أن يجعل مقرّهم على شواطئ البحر المتوسط حيث شيّدوا مدناً اسموها (صيда)، قالوا بأنهم أقاموا أولاً على ضفاف (البحيرة الآشورية) دون أن يأتينا بأي معلومات عن

تلك البحيرة التي ربما كانت بحيرة (برس) جوار بابل أو هي (البحر الميت)، الذي كان يسمّى (بحر الإسفلت) الذي أطلق عليه يوستينوس اسم (بحيرة آشورية). (أنظر بنت بطوطة: د. ت.: 22).

ج. القارة الأطلسية (أطلنطا).

وتسمى أيضاً القارة الكوكبية (استرال Astral)، وهي القارة التي رأى أفلاطون في كتابه (كربتياس)، بأنها القارة الغارقة في المحيط الأطلسي وأن هذه القارة كانت قبل غرقها مسكونة بجنس الأطالساة الأحمر القوي والذي قام بغزو مصر قبل عصر (ميناء) وشواطئ إتريريا وما وراء بلاد الكلدان وأن فروع هذا الجنس العملاق، أو بعبارة أدق ما تبقى منه قد يكون أصل هؤلاء الفينقيين. (بنت بطوطة: د. ت.: 41 - 42).

وقد ناقش المؤرخون المحدثون قضية هذه القارة المفقودة في بحوث وكتب كثيرة وذهب بعضهم إلى أن هذه القارة كانت مسكونة بالجنس الأحمر ثم تعرّضت إلى كارثة عظيمة أجبرت سكانها على الهجرة شرقاً باتجاه البحر المتوسط، حيث استقروا في مصر وبلاد الشام وهم (الكنعانيون والمصريون). وغرباً باتجاه قارة أميركا وهم الهنود الحمر في أميركا الشمالية وقبيلة الازتيك في المكسيك، وانتشر بعضهم في جزر الباسفيك على شكل سلالات بولينيزية كثيرة. وهؤلاء أصحاب حضارة معروفة. وقد يُفسّر هذا الرأي الصلات المشتركة بين حضارات أميركا والحضارة المصرية القديمة. وهكذا يكون الشعب الأحمر وفقاً لهذه النظرية هو شعب القارة الأطلسية الغارقة أو المفقودة.

4. الصبغة الحمراء (الأرجوان):

اشتهر الكنعانيون بإنتاج نوع من الأصباغ البحرية المنشأ ذات اللون الأحمر، وكانوا يصبغون بها الملابس التي تسمى الملابس الأرجوانية واشتهروا بتجارة هذا النوع من الأصباغ والأقمشة، ومن المرجح أن تكون شهرتهم هذه المرتبطة بالأصباغ والأقمشة الأرجوانية سبباً إضافياً لاعتهم بكلمة (فونوس)، التي يرى البعض أنها ترجمة لكلمة (كنعان) التي تدل على هذه الصبغة الأرجوانية.

وكان الكنعانيون يحصلون على هذا اللون الأرجواني من حيوان بحري قشري يدعى (موركس Murex) الشائع الانتشار على شواطئهم.

وكانوا يصبغون أشرعة سفنهم بهذا اللون أيضاً، ويقال إن سفينة كيلوبترا التي كانت تقود الأسطول البطلمي في معركة اكتيوم عام 31 ق.م. كانت تحمل شراعاً أرجوانياً.

وتروي الأسطورة أن الإله (ملكارت)، ملك وإله صور، كان يتنزّه مع الحورية تيروس (صور) على طول شاطئ البحر المتوسط وكان معهما كلبهما الذي عضّ حيواناً رخوياً (محاراً أو أفعى بحر) فتلطّخ فمه باللون الأحمر الأرجواني. فلاحظ ملكارت ذلك وصبغ عباءته بهذا اللون وقدمها لرفيقته.

ويرى العلماء أن هناك أنواعاً من الرخويات في البحر المتوسط تحمل غدداً تحت خياشمها تمثل المادة الكيميائية الخام للصبغ الأرجواني، وقد تخرج هذه الحيوانات باتجاه المياه الضحلة والسواحل الصخرية لتتزاوج في أواخر الربيع وهذه الحيوانات هي (أنظر مكفرن 1992: 4).

Purpura hameostoma، Murex brandaris، Murex trunculus

وقد تمّ وصف عمليّات الصباغة لأول مرة في كتاب (التاريخ الطبيعي) (الكتاب التاسع: ج من 60 إلى 65 الفصول، 3 - 41). لبليبي الأكبر من العهد الإمبراطوري الروماني. حيث وصف كيفية صيد تلك الرخويات باستعمال سلالة خادعة بعد بزوغ نجم الكلب، ثم تجتث وتقطع غدد

هذه الرخويات وتوضع في قدر معدني. ويضاف إليها الماء والملح وتبقى على النار مدة عشرة أيام يتم خلالها، من حين لآخر، قشط المواد العضوية الطافية في ذلك المزيج وكيفية فحصه للحصول على خواصه الصبغية. (أنظر مكفرن 1992: 5 - 6).

وقد اكتشف الآثاريون في مدينة (ساربطه) التي تقع في منتصف الطريق بين صور وصيدا، مجموعة من القدور الفخارية التي تحمل راسباً أحمر منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ووجد قربها ركام من الأصداف المسحوقة من نوع موركس ترنكلوس. وقد أثبت التحليل الكيميائي لهذه الرواسب إنها تتكوّن من أرجوان حيوانات رخوية. (أنظر مكفرن 1992: 5 - 6).
5. الجد الأسطوري: فونكس أو (فينيق). وهو إله مدينة صور القديم جداً والذي يرجح أن يكون ابناً من أبناء صيدون من زوجته صور، هو ومجموعة من الآلهة ذات الملامح البشرية مثل: قدم، أوروبا، قليلق، فينيق، سور، تاس، سيبول، فينين دريال.. إلخ. ويُعتقد أن فينيق وقدم أسسا مدينة طيبة في مصر، ثم قدما إلى سواحل لبنان وسكنا مدينة صور.

ج صيدا (صيدون):

إذا كان كنعان ابن حام مثولوجيا، وإذا كان فينيق ابن كنعان فإن صيدا هي الإبنة البكر لكنعان. وقد سُمّيت مدينة صيدا على اسمها فكانت العاصمة الأولى للفينيقيين. وترد صيدا في العهد القديم على أنها مدينة صيدون ابن كنعان البكر (التكوين: 15: 10) أما صور فهي مثولوجيا إبنة (صيدا) أو (صيدون).

وتُعتبر صيدا وصور أقدم المدن الكنعانية "ومع ما كان من تناوب السيادة بين المدينتين العظيمتين (صيدا وصور)، فإن بعض ملوك صور كانوا يحملون لقب ملك الصيداويين ويغلب على الظن أنه كان معقوداً لأولئك الملوك لواء السيادة الفخرية على مدينة صيدا، ومن جهة أخرى فإن نقود صيدا تشير إلى صور باعتبارها إبنة صيدا، وقد أطلق هوميروس نفسه على الفينيقيين اسم (الصيداويين)" (بنت بطوطة: د. ت: 50 - 51)

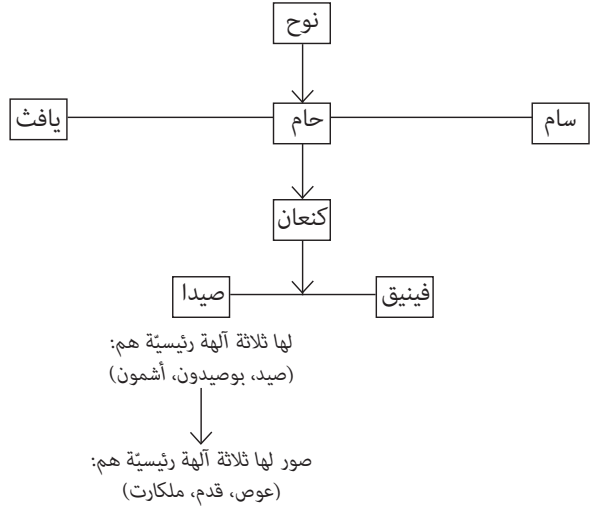
وأغلب الظن أن (صيد) هو إله كنعانيّ قديم ظهر في أسماء الأعلام الكنعانية على شكل (صيدياتون) بمعنى: الإله صيد يعطي والاسم مشتق من جذر في اللغات السامية يظهر في الأوغاريتية على شكل (ص. و. د) وفي الأكديّة (صادو) وفي العربيّة (صيد) ومعناه كما هو في جذر الكلمة العربيّة (صيد). وقد عثر على معبد لهذا الإله في قرطاجنة (أنظر أذارد 1987: 220).

وهذا يعني أن الإله (صيد) هو إله الصيد عند الكنعانيين. ومعروف أن مدينة صيدا دُمّرت ثلاث مرات تدميراً كاملاً. المرة الأولى على يد الآشوريين عام 678 ق.م. عندما أحرقتها أسرحدون، ثم على يد الفرس في عصر أحشويرش الثالث 346 ق.م.، ثم على يد الرومان عام 14 ق.م. على يد اوكتافيوس أغسطس.

ونرى أن الإله الإغريقيّ (بوزيدون مشتق من الإله (صيدون) حيث (بوصيدون) تعني خادم صيدون، وهو إله نظير للإله صيدون ومعروف أن بوزيدون ارتبط مثل صيد أو صيدون برعاية الصيد البحري والبري وكان أهم عباده من البحارة ومدربيّ الخيول ومرؤضيها وأهم الألعاب التي أقيمت له في اليونان هي (ألعاب البرزخ) كل أربع سنوات. وأن واحداً من رموزه الدلافين وأداة صيد السمك ذات الأنياب الثلاثة، وقد عثر في جرش (في الأردن) على عصا بوزيدون هذه منقوشة على لوح يُحيط بها اثنان من الدلافين.

ونعود إلى ما سبق أن ذكرناه "وهو أن أصل بوزيدون من بوصيدون وأصل هذا من صيد وأصل هذا من سيتون الذي هو أخ إيل مثلما كان بوزيدون أخ زوس. وهذا يعني أن بوزيدون أصله من صيدا مثلما كانت أئينا أصلها من عناة.

أنساب المثلوجيا التاريخية لكنعان:



د. صور:

ربما وضعت الأسطورة التي وردت على لسان فيلون الجبيلي ثم سنخونيتن مدينة صور في بداية الخليقة، حيث تتبعا فيها مشهد الخليقة الأولى من (الهواء والرياح) حتى ظهور أنصاف الآلهة العماليق السبعة (أنظر المثلوجيا الكنعانية).

وقد يكون اسم صور مشتقاً من اسم الإله (أوسوس)، الذي يُعتبر إله الملاحاة الأول الذي بنى مدينة صور ووضع فيها نظام العبادة والحضارة وأول من قاد سفينة في البحر. وقد اختلط اسم هذا الإله بالإله ملكارت الذي يعني اسمه (ملك المدينة) والذي قابله الإغريق بالإله (هرقل) وهو إله شمسي ناري.

وربما كان لاسم صور علاقة بكلمة (سار) التي تعني في السومرية الملك، السنة، المحيط الكوني، ثم صارت دالة على إله كنعاني هو إله القمر وهو (شار) أو (سحر) أو (شهار).

ويرد اسم إله آخر هو الإله (عوس) كإله حام لمدينة (صور) ويرجح أنه نفسه الإله (أوسوس)، حيث تحكي الأساطير عنه وعن شقيقه الإله (شميم)، أي إله السماء بأنهما أقاما هياكل لإلهي الرياح والنار بعد أن شب حريق هائل في صور. وكان لـ (عوس) ولدان هما (دامور)، أي: النخيل والتمر و(هرقل) الذي هو ملكارت والذي أنجب ولداً اسمه (سرد) أسس مدينة على جزيرة سردينيا. وكان ملكارت سيد الأرجوان والنار.

الرمز الثالث الذي ارتبط بـ(صور) هو قدموس وأخته أوروبة اللذين نسجت أسطورتها المحلية الإغريقية على ضوء أسطورة كنعانية قديمة وربطت فيها بين كنعان والإغريق من خلال زواج أوروبة من زيوس وولادة الملك مينوس ملك كريت.

ثالثاً: سير عصر البطولة الكنعاني (الملاحم الأوغاريتية)

لكل أمة من الأمم القديمة عصر بطولة تظهر فيه مجموعة من الأفراد المتميزين الذين يحملون، دون غيرهم، مهمة صياغة الشعور الجماعي وبلورة شخصية الأمة أو الشعب الذي

ينتمون له. وقد وجدنا أن بعض الملاحم التي عثر عليها في اوغاريت يمكن أن تحقق هذا الغرض فهي تروي حكايات ملوك وحكماء وأبطال ينحدرون من الآلهة ويقومون بأعمال جليلة. وربما كانت أعمال بعضهم (مثل الملك الكبير) عبرة من عبر التاريخ لذلك جاءت قصص هؤلاء أقرب إلى الملاحم الصغيرة التي شاعت في حدود منتصف الألف الثاني قبل الميلاد والتي لا نجزم بوجودها في التاريخ، بل هي نسج بين الأسطورة والتاريخ أو ما عبرنا عنه بالمتولوجيا التاريخية التي تميل نحو الملحمة أكثر من ميلها نحو الخرافة. وسنستعرض قصص أربعة من هؤلاء:

كرت:

ما زالت ملحمة كرت ناقصة إذ لم يُعثر على بدايتها ونهايتها، ولكنها تخبرنا في ثلاثة ألواح من أوغاريت عن قصة كرت (ملك خوبور) المفجوع بموت عائلته وأولاده ومرضه، فيظهر له إيل في المنام ليواسيه ويطلب منه الاغتسال وتقديم الأضاحي والقيام بحملة عسكرية على مملكة (أدوم) على أن لا يقبل من ملكها أي تنازلات أو إغراءات ويُصرّ على طلب يد ابنته (حورية) التي ستعوضه عائلته الأولى التي تبددت وتنجب له الأبناء. ويفعل كرت ذلك ويتزوَّج حورية وينجب (ثمانية أبناء منهم ولدان هما (يصيب والحاء) وبنات أصغرهن (ثمنانه) التي يعني اسمها (الثامنة) التي نال حق البكورية أي: (مساواتها مع يصيب). ويصاب كرت بعد سبع سنوات بالمرض ويكاد المرض ينهي أمره فيعجب لذلك ولده يصيب لأن كرت نصفه بشر ونصفه إله ولا يناله الموت وهو من الخالدين. يتدخل الإله إيل ويستدعي أولاً الإله (الش) وهو الإله الصانع أو النجار الذي يستنزل المطر عن طريق تعاويذه ليقوم بدوره في شفاء كرت وإعادة الخصب والوفرة للمملكة، وبعد أن يسأل الإله إيل الإلهة سبع مرات يتدخل هو فيشفي كرت لكن ابنه (يصيب) يطلب من كرت أن يتنازل له عن العرش، فيغضب منه بشدة ويدعو الآلهة لمعاقبته ولا نعرف بقية القصة.

ولهذه القصة ما يوازئها في آداب وأحداث المنطقة فهي تشبه في بدايتها قصة (أيوب) وفي نهايتها قصص محاولات الاستيلاء على العرش من الأبناء عند الآلهة والملوك. إذا حاولنا العثور على شخصيّة الملك كرت التاريخية فإننا سنخفق لكن مكتشفات رأس الشمرا تقول إن كرت هو ابن إيل وربما كان اسمه (كريت) وكان ملكاً على (سدوم). وقد أمره أبوه إيل بالقيام بغزوة تقودها الإلهة (تيرا) أو (طيرة) لتأديب شعب زبولون، وبعد أن عاد كرت من حروبه اشترى زوجة أنجب منها طفلاً جميلاً هو دانيال. (انظر عبد الحكيم: 1978: 50).

ب. دانيال:

عرفنا أن كرت أنجب أبناء منهم دانيال الذي تتحدث عنه حكايات فتقول إنه ما أن ولد حتى دوى صوته صارخاً بعبارة أنا أكره الأعداء. وقد كان طفلاً عجيباً في قصة مولده يروي عنه الدميري في كتابه حياة الحيوان قصة غريبة فحواها أن دانيال ولد في زمن ملك ظالم تنبأ له العرافون بأن طفلاً ولد في تلك الليلة سيفسد عليه ملكه فأمر بقتل كل من ولد تلك الليلة لكن أم دانيال وضعت في حظيرة أسد ولبوه يلحسانه الليل كله حتى نجاه الله. ويبدو أن دانيال لما كبر أصبح حكيماً وتبحر في فن العرافة حتى أنه أورث الفن لأبنته التي سُميت (ملكة كل الأسرار). (انظر المرجع السابق).

ج. إقهاث:

لا نعرف في ما إذا كان دانيال الذي تحدثنا عنه هو نفسه دانيال والد إقهاث الذي سنتحدث عنه في هذه الملحمة الصغيرة رغم أننا نرجح أن يكون هو. وتروي الملحمة أن الرجل الصالح الحكيم دانيال كان يخاف آلهته ويقدم لها الأضاحي وقيم الشعائر الخاصة بأسلافه الموق

ويعمل على حماية والده ضد الأعداء ويحافظ عليه ويغسل ثيابه، ويشارك في ولائم بعل في معبد الإله بعل، وكان يقيم العدل بين الناس لأنه كان قاضياً معروفاً. ولكنه كان يبتهل دائماً إلى الآلهة لأن ترزقه بولد يخلفه وبعد سبعة أيام من الإبتهالات المتواصلة للإله بعل يرق له قلب هذا الإله ويتوسطه عند الإله إيل ليمنحه الخصب، ويتم له ذلك فتلد زوجته ولداً يسميه (إقهات). يقيم دانيال احتفالاً بهذه المناسبة لمدة سبعة أيام تحضره (كوثرات) إلهات الولادة والنسل إكراماً لها. وذات يوم يرى دانيال الإله (كوثر) إله الفنون والحرف، يحمل قوساً مدهشاً ويقترّب منه فيدعوه إلى بيته ويأمر زوجته (دينيتيا) لتُعدّ وليمة فاخرة له يهدي في نهايتها الإله كوثر القوس إلى دانيال فيقوم دانيال بإهداء هذا القوس إلى ولده اليافع (إقهات) ليتعلم به الصيد والقنص في البراري.

وعندما تشاهد الآلهة (عناة) هذا القوس بيد إقهات تحاول إغراءه بالفضة والذهب ليعطيه لها لكنه يرفض بحزم ويعدّد لها فضائل هذا القوس المصنوع من خشب أرز لبنان وأوتار الثور البري وقرور الماعز الجبلي وأوتار ركب الثيران ومن القصب وينصحها بأن تجلب هذه المواد إلى الإله (كوثر) ليصنع لها مثل هذا القوس، لكنها تصر على امتلاك هذا القوس بالذات وتعرض على إقهات بأن تمنحه الخلود مقابل ذلك فيرد عليها إقهات بحزم أيضاً ويقول لها بأنه لا يفضل الخلود ويود أن يعيش مثل الناس ويتهمها بالخداع لأنها لا تستطيع ذلك أصلاً ثم أنها لا تعرف استعمال القوس. فلماذا تريد ذلك؟

فتخسر عناة معه وتذهب إلى والدها (إيل) وتهدّده بأن تخضب شعره الأبيض بالدم إن لم ينتقم لها من إقهات، فيرضخ إيل لذلك ويسخر لها الكائن (يطفن) ليقتل إقهات. وتمسخ عناة يطفن وتحوّله عقاباً وتخبئه في حزامها وتطير به مع سرب من الصقور فوق رأس إقهات وينطلق يطفن كالبرق ليخطف روح إقهات، فتبكي عناة على ما فعلت إذ لم تكن تقصد قتله بل خطف قوسه الذي ينكسر هو الآخر ويختفي.

وهكذا تجذب الأرض وتجف النباتات، ويحلّ القحط بسبب موت إقهات. وعندما يعلم دانيال ويرى الصقور وهو تحوم في السماء ينتابه البكاء والحزن، ويمزق ثيابه متضرعاً إلى السماء لتنجده باملطر المحبوس في السماء. وهنا تشاهد ابنته (يوغات) والدها والعقبان تحوم حوله وهو ممزق الثياب فتجهش بالبكاء، ثم يمتطي حماره ويتجول في الحقول المبتة عطشاً ويمسك سنبله بيده مداعباً إياها نادباً (إقهات متمنياً أن يجمع سنابل الحقل ويخزنها في المستودعات فيتقدّم إليه الخدم ببيكون نادبين فيقسم دانيال أن ينتقم من القتلة شر انتقام.

ويقدم دانيال بالدعاء إلى بعل ليكسر أجنحة الصقور التي تحوم حوله، فيفعل بعل ذلك، وتسقط الصقور عند قدميه ويبحث في بطونها عن رفات ابنه وعظامه ليدفنها في قبر يليق به ويفشل أولاً ثم يعثر عليها في أحشاء الصقر (صمل) ويدفن رفات ولده ويهدد بقية الصقور بأن بعل سيكسر أجنحتها أن هي حامت فوق قبر ولده ثم يعود إلى قصره ويأمر بالحداد على ولده سبع سنوات.

وتقوم (يوغات) أخت (إقهات) بالدعاء إلى الآلهة لتأخذ بثأر أخيها فتتبرج بالمساحيق وتعطر نفسها وتلبس عدتها المحاربة وفوقها الملابس النسائية وتذهب إلى مجموعة من البدو ليدلوها على كائن اسمه (يطفن) قد يقوم بمساعدتها في ذلك فتلتقي به دون أن تعلم أنه قاتل أخيها ودون أن يعلم هو أنها أخت القتل، ويستضيفها في بيته ويشرب معها الخمر ويخبرها بأنه قاتل إقهات فتعطيه المزيد من الخمر حتى تتمكّن يوغات من قطع راس يطفن بالسيف الذي تخبؤه تحت ثيابها. وهناك ما يشير في نهاية الملحمة إلى بعث إقهات (الذي ربما كان بعثاً

رمزياً) وعودة الاخضرار للمراعي والخصب للحقول والحياة.

ونرى أن هذه الملحمة تتشابه في بعض أوجهها مع:

1. أسطورة (أوريون) الإغريقية التي ربما أخذت من الملحمة الكنعانية حيث تغضب ديانا على أوريون وتقتله ثم تحوله إلى نجم (أوريون) في السماء يختفي مع نهاية نيسان ليشرق في تموز وخلال ذلك تنحبس الأمطار وتجنّي الأرض. وهو ما أشار إليه (ت. هـ. غستمر). (أنظر أدزارد: 1987: 173).

ونرى أن الحادثتين تعودان إلى مرجع حيث أسطورة إنانا مع الفلاح شوكليتودا الذي تحوّل إلى نجم بعيد.

2. حكاية يوديث وهولوفيرن في العهد القديم في نهاية الملحمة.

3. ولادة إقهاث المشابهة لولادة إسحاق وشمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان في العهد القديم.

4. صبر دانيال المشابه لصبر كرت وصبر أيوب وبطل (حوارية العدالة الإلهية البابلية) ساحل كينا موبيب وبطل حوارية (لأمجد رب الحكمة) البابلية المسمى شوبش مشري سكان. والحقيقة أن هذه التشابهات تأتي عن طريق البنى الأسطورية والملحمية المتداخلة التي سادت في منطقة واحدة هي الشرق الأدنى القديم.

لكن ما نود تأكّيده هو أننا وجدنا تسلسلاً مدهشاً لمجموعة من الأبطال شبه الأسطوريين القدماء في كنعان، فقد ولد الإله إيل ابناً نصف إلهي هو (كرت) امتاز بالصبر والورع والذي ولد ابناً نصف إلهي هو (دانيال) امتاز بالصبر والحكمة وهذا ولد ابناً نصف إلهي هو (إقهاث) الذي امتاز بالحيوية والشباب. وبذلك يكون تسلسلهم كما يلي:

إيل ← كرت ← دانيال ← إقهاث

وربما أشار ذلك في بعض من الوجوه إلى أن هؤلاء المنحدرين من أصل إلهي يشكلون ما اصطلح عليه بـ(عصر البطولة الكنعاني)، حيث تنتج الأمة في عصورها الذهبية القديمة سلالة شبه إلهية من الأبطال والحكماء والملوك يشكلون مادة عصرها البطولي وهو ما حصل مع عصر البطولة السومري المكون من (مسكيكاشر ثم امركار ثم لوكال ثم جلجامش) وعصر البطولة الإغريقي وغيرها.

ثم أن جيل الآلهة الأقدم من إيل كان قد أنجب أبطالاً عظاماً مثل قدم وفينيق وأروبة... إلخ، لكن إيل أنجب هذا الجيل من العصر البطولي الكنعاني.

2. الملك الكبير

وهي ملحمة كبيرة عثر على نصوصها الطينية في أوغاريت (رأس شمرا) وقام بترجمتها ودراستها العالم هـ. ي. ديل ميديكو والتي نشرها كجزء من كتابه الشهير (التوراة الكنعانية)، وهو اسم أدبي مستعار يحتوي على التراث الكنعاني والفلسفي والديني والاجتماعي الذي كتبه الأوغاريتيون قبل ظهور الشعب العبري والديانة اليهودية والتي تشكل الظهير الروحي للتوراة الحقيقية أو ما نسميه بـ(العهد القديم).

أما الجزء الخاص بملحمة (الملك الكبير) فهو نصّ كتبه كاهن أوغاريت الأكبر رئيس مقدّمي القرابين والمطهرين المدعو (إيلي ميلكو) وقد كتبها بناء على أمر الملك الأوغاريتي (نيقمد) خلف الملك الكبير وقد أطلق عليها إيلي ميلكو اسم (اللائئ) ليشير إلى (المرأة ذات اللائ) وهي سرّية أو محظية الملك الكبير التي لعبت دوراً كبيراً في حرف ديانتته من عبادة إيل إلى عبادة بعل.

ويرجّح ميديكو أن المقصود بـ(الملك الكبير) ربما كان ملك اوغاريت (يربعل - ابيمالك) ويركز على (ابيمالك) ضمن استنتاجاته الخاصة بذلك لأنه يسبق (نقمد) الذي أمر بكتابة قصة سلفه ليكون عبرة لمن اعتبر، خصوصاً أن هذا الملك حكم أجزاء كبيرة من بلاد كنعان منها فلسطين ولبنان وصادف عهده اجتياح القبائل العبرية بقيادة يشوع ثم يهوذا الذي أدى إلى احتلال أورشليم في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. (انظر ميديكو 1980: 129 - 135).

وخلاصة الملحمة أن الملك الكبير كان قد تعرّض إلى كارثة حربية وغضب فيها الإله بعل على الملك والبلاد وسلّط عليه أتباعه الكروبيم كي يصرعوه وبعث له سرية (محظية) أجنبية تحرّضه على تغيير معتقداته الدينية من الإيمان بالإله (إيل) الذي يدين عبادته الشعب ويعتبر نفسه شعب إيل إلى الإيمان بالإله (بعل)، وهكذا شنّ الملك الحرب على إيل وأشيرة وترافق ذلك مع هجوم بعض القبائل على فلسطين مما اضطره للانكفاء على المدن الشمالية التي كانت تعبد (بعل)، وأراد الملك أن يوحد العبادة نحو طقوس بعل. وتحاول عناة أن تتدخل عند الإله إيل ليرفقه عن الملك، لكن الملك كان قد فتح (بيت اللعنات) وأعلن إلحاده بالإله إيل.

ويبدو أن الملك يخسر أمام قوة أجنبية أخرى ويخذه حلفاؤه، وهكذا تسقط البلاد في الفوضى والخراب فلا يجد الملك سوى عناة يركع عند قدميها، خصوصاً أن إيل مدّ يده المنتقمة حتى أحشاء القصر الملكي فتبددت ثروة العاهل في الذلّ، وتقوم عناة بالتأكد من خراب المدينة بمحرانها (قرنها) وأجنحتها حيث تتجول في سماء المدينة، وتتدهور أمور الملك الكبير أكثر من ذلك فيؤدي طقوس التوسّل لبعل وهو عار ليعينه على وضعه.

وفي هذه الأثناء يهجم أعوان (عدي عشيرتا) وهو ملك عمور والمسمون (الأشريتيم) وهنا تظهر عشيرة لتنصح الشعب بأن يصهر ما يملكه الملك من ذهب وفضة ثمائيل الآلهة الأجنبية ليسدوا بها حاجة الحرب. وعلى الملك أن يذوق طعم الجوع ليشعر بآلام الناس.

وبدلاً من أن يستجيب الملك لهذه الطوارئ نراه يرفض ذلك وينغمس في شرب الخمر ويرمي بتمائيل أجداده في النار ويتراءى له موكب إله الجحيم بعل وزوجته اشتار (عشروت) ويرتمي الملك خاضعاً لمساعد بعل حارس الأموات وتفشل محاولات عناة في إنقاذ الملك من حالة التردّي. ويفسر النص تحالف رؤساء اليوديم مع أنصار عدي عشيرتا ضد الملك التصدي الروحي للملك. وهكذا تغرق البلاد في الشقاق والمجاعة ويتظاهر الشعب أمام قصر الملك ويقترح بناء معبد لبعل، إذ ربما لكونه لا يبت له، فإنه فعل كل هذا بالبلاد ويستحسن إيل هذا المقترح لكن الملك رفض ذلك وزاد كنوزه واعتمد على شعوب مريام الشمالية بل إنه تمادى في غيّه ومن أجل أن ينفرد بالثروة قتل إخوته وكل ذكر في عائلته.

وفي جلسة أشبه ما تكون ببيع النفس إلى الشيطان، يدعو الملك، ملك الأموات، وبعل ويتوسّلهم أن يطهروا قصره، لكنهم لا يصغون إليه فيقوم الملك بإحراق القصر وتحترق كنوزه كلها ويستمرّ الحريق سبعة أيام ويعمد الملك في نوبة غضب إلى ذبح ورجم مواشيه وقتلها وتسوء الأمور أكثر ويخذه الحلفاء والشعب ولا يبقى أمام الملك سوى انتظار الموت.. إذ هو غير قادر الآن على العودة لعبادة إيل وبذلك يغرق في شرب الخمر ويغضب جميع الآلهة عليه بمن فيهم بعل وعناة، وعندما يضع الملك التاج على رأس السرية الأجنبية ينتهي كل شيء. وتبدأ جموع الشعب بالزحف إلى قصره بينما الملك الكبير يطلب من بعل أن يبعث من الموت إخوته الصغار. فيتضايق الشعب إثر ذلك معتقداً أن أمراً ما سيقع، وهكذا تهجم جموع الشعب على الملك وتضربه وتعضه فيطرح أرضاً ويدوسه الناس وينزف حتى الموت وهو يسمع تهكم

الناس من حوله. ويرحل إلى العالم الآخر مرافقاً الأبالسة وحارسي الأموات حيث تنحدر روحه نحو الهاوي.

وهكذا توضح لنا هذه الملحمة قصة ملك متجبرٍ يحتقر الشعب ويُشغله بحروب خاسرة ويزيد من جوعه وعذابه ويتك عقائده ويصغي لملذاته حتى يأتيه عقاب الشعب الذي يقتله علناً. ويبدو أن الملك (نيقمد) يأمر الكاهن (إيلي ميلكو) بكتابة هذا النص ليكون عبرة للملوك القادمين، رغم أن نيقمد يخصص ضريحاً جديداً للملك الكبير الذي ذهب إلى الظلمات احتراماً منه لتقاليد دفن الملوك السابقين.

رابعاً: سير عصر البطولة الفينيقيّ (أبطال صيدا)

لا تمتلك النص الكنعانيّ الذي يروي لنا أسطوريّ أوروبة وقدموس، وكل ما في حوزتنا النصّ اللاتينيّ الذين رواه لنا الشاعر الرومانيّ أوفيد في كتابه (مسخ الكائنات).

قبل أن نعيد رواية الأسطورتين معاً لا بد لنا من البحث عن الجذور الكنعانيّة/ الفينيقيّة لها. والحقيقة أننا لا نملك إلا بعض مرويات الأخبار والأنساب التي تُعيد خلط الأوراق بين نسل كنعان ونسل إيل ولا تفرّق بينهما.

ويمكننا غربلة تلك الأخبار والأنساب المختلطة والخروج بنتيجة مفادها أن الإله (سيتون) ابن (شميم: إله السماء) يوصف في قصص الأخبار بأنه ابن كنعان وأحياناً أخ إيل. ونرى أنه ذاته الذي أصبح اسمه يطلق على مدينة (صيدون) حيث تحرّف اسمه قليلاً من (سيتون) إلى (صيدون) وربما إلى (زيدون)، ويبدو أن "اسم صيدون، ابن كنعان، عمّ فشم كل القبائل الكنعانيّة. كما أن التوراة لقبّت الكنعانيّين بالصديونيّين في أماكن عدة، وذلك لأسباب عدّة منها: أن صيدون كان بكر كنعان الذي تضخّم فأصبح أمماً بدوره، ومنها أنهم كانوا أمماً ساحلية، تعمل بالصيد والتجارة، فلفظ صيدون يدلّ في أصله على صيد السمك والطيور. (عبد الحكيم 1978: 52).

وصيد أيضاً هو أحد معلمي البشر من العماليق الذين كانوا مهتمّين بالصيد البحريّ والبرّي. وتمضي الأخبار بذكر أن صيدون بعد أن تمّلك مدينة صيدا أصبح ملكاً على كل فينيقيا، وتزوّج (صور) وأنجب منها بدوره أبناء كثيرين كرمّل البحر منهم (قدم، فينيق، قيلييق، سور، تاس، سيبول، فيني، دريال، أوروبة). وتمّلك هؤلاء الأبناء الآلهة، بدورهم على كل الممالك الكنعانيّة ومصر وآسيا الصغرى، بحسب ما تشير به أساطيرهم. (عبد الحكيم 1978: 52).

هكذا يكون قدم (قدموس)، أوروبة من نسل صيدون وصور. وهما يشيران إلى العصر الفينيقيّ، أو عصر البطولة الفينيقيّ.

أ. أوروبة:

إن الرواية الرومانيّة تنسب أوروبة وقدم إلى (أغينور) أو (أجينور ملك صيدا الفينيقيّ الثريّ). وتبدأ أسطورة أوروبة بالحلم الذي تراه في منامها ابنة غينور (أوروبة) الفتاة الجميلة، حيث ترى في حلمها أن مرضعتها ومربّيّتها (آسيا)، التي تمثّل قارة آسيا، كانت تختصم مع امرأة أخرى تمثّل القارة الشماليّة التي تنفصل عن آسيا بواسطة البحر (وهي قارة أوروبة في ما بعد). وكانتا المرأتان/ القارتان تتخاصمان على الفوز بالإلهة (أوروبة)، وكانت النتيجة تنازل آسيا عن الفتاة لصالح المرأة الأخرى، وهو ما أفزع الإلهة أوروبة وأيقضها من نومها.

صلّت أوروبة لتحميها الآلهة من الشرور وارتدت ثوباً أرجوانياً (لون كنعان) وخرجت مع صديقاتها من بنات صيدا إلى مرج أخضر على شاطئ البحر تقطف الورد الحمراء فوقعت عليها أنظار الإله (زيوس) وهو ما يقابل الإله بعل، الذي كان يطارد السحب فعزم على

اختطافها ومسح نفسه إلى عجل جميل وهبط إلى المرج فهبت بنات صيدا نحوه يداعبه وتقدمت نحوه أوروبية وصارت تداعبه وهو يلحس يدها ويتملقها فأحاطت رأسه بيديها وقبّلته فركع عند قدميها وكأنه يطلب منها أن تحتلي متنه، واعتلته أوروبة وهمت الفتيات بالركوب إلى جانبها، لكن العجل نهض فجأة وانطلق نحو البحر. ومضى يخر عباب أمواجه الذهبية كالدلفين، وخرجت النيرندات (حوريّات البحر) يسبحن معه وكذلك خرج الإله بوزيدون (إله البحر) ليفسح السبيل أمام أخيه زيوس حتى لاحت جزيرة كريت فحلا فيها وتزوجا وأنجبت أوروبة من زيوس ثلاثة أبناء هم:

1. مينوس (الذي أصبح أول ملك لكريت).

2. رادامانت.

3. ساربيدون.

وكان هؤلاء الثلاثة أبطالاً وحكماء في العالم القديم. (أنظر حاتم 1988: 204 - 206).

وتوضح هذه الأسطورة مجموعة أمور لعل أهمها هو أن إلهة صيدا الفينيقية هي التي منحت اسمها للقارة (أوروبة)، ويشير هذا أيضاً إلى انتقال نواميس الحضارة من فينيقيا إلى كريت ثم إلى أوروبة.

كذلك تفسّر هذه الأسطورة المنشأ الإلهي لملك كريت الأول مينوس، ولا بد من الإشارة إلى أن الإلهة (آسيا) التي كانت بمثابة أم (أوروبة) أخذت اسمها، كما نعتقد، من (آش) أي النار أو الشمس، وهي دلالة واضحة إلى هذه القارة المشمسة، وإلى نزوح الحضارة نحو الشمال من آسيا عبر البحر وانتماء أوروبة حضارياً إلى فينيقيا.

ب. قدموس:

حزن أغينور حزناً شديداً على اختطاف ابنته واستدعى أبناءه الثلاثة (فوينيكس، كليكس، قدموس) وهم يقابلون كنعانياً (فينيق، قليق، قدم) وأمرهم بأن ينتشروا في الأرض ويبحثوا عن أختهم فانتشروا وأسس فوينيكس مملكة فينيقيا، وكيلكس مملكة كيليكيا أما قدموس فظل يبحث عن أخته حتى وصل إلى (دلفي) في بلاد الإغريق وذهب ليستشير كاهن أبولو فيها عن المكان الذي يؤسس فيه مدينته فأشار عليه الكاهن بأن يذهب إلى مرج معزول ويتبع بقرة تخلو رقبتها من النير وعندما تتوقف وتترك فوق عشب أخضر. فهناك ستكون مدينة قدموس التي اسمها (بيوتيا).. ففعل قدموس ذلك وكان برفقته أتباعه من صيدا وهم يمجّدون أبولو، وعندما بركت البقرة أقام قدموس معبداً، وأراد أن يقدم قرباناً للإله زوس فاحتاج إلى الماء وأرسل أصحابه ليجلبوا له الماء من نهر يجري في مغارة عميقة مجاورة، فذهب أصحابه ورأوا عند المغارة ثعباناً ضخماً يدعى (اريس) ملتفاً يغطّ في نوم عميق، وعندما حاول أصحابه جلب الماء من النهر استيقظ الثعبان وفتك بهم جميعاً.

ولم طال انتظار قدموس شهر سيفه وذهب باتجاههم ورأى الكارثة ودارت معركة قاسية بينه وبين الثعبان الشرس استطاع في نهايتها قدموس قطع رأس الثعبان وتعليقه على بلوطة قديمة. وما أن استرخى قدموس وهو يتأمل ما فعله حتى ناداه هاتف خفي بأن لا ينظر إلى رأس الثعبان هكذا لأنه سيتحول ثعباناً ذات يوم.

ثم نادته الإله أثينا - بالادا بأن ينتزع أنياب الثعبان وينثرها كالبدور في حقل بعد أن يحرقه. وفعل ذلك قدموس فنبتت الأرض من هذه الانياب محاربين مدججين بالأسلحة والتروس والسيوف وأراد قدموس أن يحاربهم، لكنهم تواجهاوا في ما بينهم ودارت بينهم معركة شرسة تساقطوا فيها قتلى ولم يبقَ منهم سوى خمسة من المحاربين الذين رموا أسلحتهم واصطلموا

وصاروا أتباع قدموس وبنوا معه قلعة (طيبة) التي اسمها (كاداميا) ذات البوابات السبع. ثم بنى قدموس مدينة (طيبة) وشرع للناس القوانين ونظم شؤونها وأهدت الآلهة لقدموس زوجته (هارمونيا) ابنة الإلهين اريس وأفروديت.

أصبح قدموس واحداً من أغنى ملوك الأرض، وصار اسم كل واحد من قواده الخمسة (سبارتي)، أي الذين أنبتهم الأرض وكان كل منهم على رأس جيش عظيم. وعاش قدموس زمناً طويلاً حافلاً بالمسرات.

ثم بدأت الأحزان بالنزول إلى ساحته فقد ماتت ابنتاه (سميلا واينو). ومات حفيده أكيون وحزن عليه حزناً شديداً.

وهجر قدموس وهارمونيا طيبة عندما أصبحا عجوزين وذهبا إلى (ايليريا) البعيدة، وهناك تذكر الهاتف الذي صاح به ذات يوم بعد أن قتل الأفعون. فصرخ بالسماء أن تحوله إلى ثعبان إذا كانت خبيثة قتله للثعبان هي سبب المصائب التي حلت به. فتحول قدموس شيئاً فشيئاً ثعباناً، وطلبت هارمونيا أن تتحول هي الأخرى أفعى لتشارطه مصيره فتحوّلت وأخذها يجوبان الغابة وهما على هذه الهيئة حتى أدركهما الموت.

ارتبطت أسطورة الأبجدية الفينيقية بقدموس، لكن حقيقة الأمر على أرض الواقع استغرق قرناً طويلاً بين كنعان ومصر، "لكن هذا لا يعني أن الأبجدية السورية أنبثقت من ذاتها دفعة واحدة دون سابق تمهيد فقد كتب المصريون في عصور أقدم لغتهم بالخط الهيروغليفي والأكاديون بالخط المسماري الذي اقتبسوه عن السومريين، كما كانت هناك محاولات في جيبيل للكتابة بخط هيروغليفي مستقل. وطور الأوغاريتيون الخط المسماري المعقد إلى أبجدية ذات أعداد محدودة من الحروف، وتعكس هذه الأبجدية بترتيب حروفها المتتابعة (أبجد هوز...) الأصل الأول للكتابات السامية المعروفة، وأقدم الكتابات الفينيقية المعروفة لدينا كانت مدونة على رؤوس الرماح، وهي عبارة عن تعداد للأملك الشخصية للأفراد وتعود إلى القرن الثاني عشر ق.م. ثم تلي ذلك أقدم كتابة مطولة نعرفها مدونة على قبر أحيرام ملك جيبيل حوالي الألف الأول ق.م." (إدزارد 2000: 209).

* * *

ولكي نكمل صورة الأسطورة الفينيقية الأصل حتى تخومها النهائية نود أن ننوه بأن الإله الإغريقي (ديونسيوس) ومقابله الروماني (باخوس)، هو إله الخمر والقصف والمجون، هو ابن زوس (جوبيتر الروماني) جاء به سفاحاً من سيميله (وهي من بني الإنسان ابنة قدموس ملك طيبة). وتروي الأساطير عنه أن زوس أراد أن يُري سيميله قدرته بناء على طلبها فأرسل عليها صاعقة قضت عليها وهي حامل بديونسيوس وعندما انتقل جنينها إلى فخر أبيه، حيث قضى ما بقي له من مدة الحمل، ثم وضعه أبوه بجبل تيرا حيث قامت بحضانتها إحدى حوريات الماء، ولما اشتد ساعده تعلم زراعة الكرم من سيلين الذي كان بمثابة نصف إله ووظيفته إضحاك الآلهة كهمرّج. (أنظر وافي: 1979: 45).

ونرى أن الإله ديونسيوس يكاد يتطابق في بعض صفاته مع الإله أدونيس وأن اسميهما يقتربان من اشتقاق واحد.. وأن أصلهما التمزوي هذا هو الذي وُحد صفاتهما وإن لم يوحد أسطورتيهما كلياً.

خامساً: سير عصر البطولة القرطاجي (أبطال صور)

تعرفنا بإيقاع متساق على الأبطال الملحميين أو الأسطوريين لكل مرحلة من مراحل التاريخ الكنعاني. وبقينا أن الآثار تخبئ الكثير من قصص هؤلاء لكننا، للأسف، لا نملك الحيلة للوصول

إليها.

إن ارتباط (صور) كأمّ لمدينة (قرطاج) على الساحل التونسي كان له الأثر البعيد في ظهور قصص حول هذا الارتباط. وقد ظل الحبل السري بين صور وقرطاج قوياً حتى القرن الخامس قبل الميلاد حين تغيرت العقائد الدينيّة الصورية في قرطاج وظهرت عقائد قرطاجية ذات طابع محلي. ولا شكّ في أن فجر قرطاج ظهر من صور وظهرت معه أساطير تاريخيّة تحمل ذكرى الولادة هذه وتشير إلى الأفواج المتدفقة من صور إلى سواحل تونس وتأسيسها لهذه المدينة.

إليسا: مؤسّسة قرطاج:

لعل أشهر أسطورة تاريخيّة ترتبط بقرطاج هي الأسطورة التي تم تأسيسها على يد الملكة الصورية الأصل (إليسا Eliasa).

وتتلخص حكاية (إليسا) في أنها كانت مع أخيها (بجماليون) إبني الملك الصوري (متان الأول) و(مطو الأول) الذي حكم في النصف الثاني من القرن التاسع قبل الميلاد ملكاً على صور، وكانت (إليسا) تتمتع بذكاء وجمال نادرين فتزوجها عمها أو خالها الكاهن الأكبر (عاشر باص) الذي كان بمثابة نائب الملك وصاحب الكنوز الكبيرة التي أخفاها في مكان بعيد عن منزله. وهو كاهن الإله ملكارت.

كان (بجماليون) طامعاً بعرش أبيه وكان خائفاً من حب الناس للكاهن الأكبر وطامعاً بكنوز عاشر باص ولذلك قام بقتله فما كان من زوجة عاشر باص أخت بجماليون إلا الهرب مع حاشيتها إلى قبرص حيث تلقاهم كاهن الجزيرة واختفى بهم.



أليسا قرطاج على قطعة نقد معدنية

[/http://elishat.com](http://elishat.com)

وكان من العادات الدينيّة في قبرص إرسال الفتيات إلى معبد الإله (فانوس) للتضحية ببتولتهن على يد الكهنة، فاختارت (إليسا) ثمانين عذراء منهن ليكن زوجات للشباب الذين انتقلوا معها من مدينة صور إلى قبرص. وسرعان ما شدوا الرحال جميعاً إلى رحلة مجهولة في البحر الأبيض المتوسط.

ورست سفن (إليسا) وأصحابها على سواحل بلاد البربر في تونس، فرحب بها ملك البربر (يوباس)، ثم قرّرت أن تبني مدينة في مكان نزولها ففاوضت ملك البربر الذي كان يملك الأرض. وتقول الأسطورة التاريخيّة إن إليسا اختارت شبه جزيرة خارجة من البحر لها شبه كبير بالموقع الجغرافي الذي تأسست فيه مدينة صور، وكان حولها خليج يسمى خليج عوتيقة (أوتيكا) المسمى باسم مدينة فينيقية قديمة كانت قد تأسست هناك قبل هذا الوقت بحوالي قرنين. وقد فاوضت إليسا ملك البربر على أن تشتري أرضاً مساحة جلد ثور تملأه ذهباً.. فلم يصدّق ملك البربر هذا العرض ووافق فوراً فأعطته إليسا الذهب وأخذت جلد الثور وقطعته على شكل سيور أو خيوط نحيفة جداً حتى حصلت على أرض واسعة.

وعلى هذه الأرض بنت إليسا مدينتها التي سمّتها (قرت حدشت) التي تعني (القريبة الحديثة) والتي صار اسمها في ما بعد قرطاج، ثم أقبل سكان مدينة (عوتيقة) أو (عتيقة) واختلطوا بمواطنهم الفينيقيين بعد أن طارت شهرة إليسا في الآفاق وعرفوا نفوذ أصحابها.

وقد أطلق الشاعر الروماني فيرجيل اسم (ديدو) أو (ديدون) على (إليسا). وكان تأسيس المدينة حوالي 814 ق.م.

وتستمر الأسطورة التاريخية لإليسا على لسان فرجيل في الإينادة (الأنشودة السابعة) لتقول لنا إن إليسا أحبّت القائد الطروادي الذي قاد فلول الطرواديين (ايناس) وهو ابن أسطوري من زواج الإلهة فينوس من أنخيس ملك طروادة، لكنه هجرها فغرقت في الحزن. وخلال ذلك يقوم ملك البربر (يوباس) بعرض الزواج عليها فيكون ردّها بين حزنها ورفضها بأن تقيم لها محرقة كبيرة عند أبواب المدينة وتقدّم أولاً ضحايا كثيرة ثم تطعن نفسها منتحرة فوق حطب المحرقة ثم تحترق لتقدّم نفسها ضحية لروح زوجها الأول الكاهن الأكبر والإله ملكارت. وبعد موتها ظلّت تُكرّم كل عام في مكان موتها، مثل إله، حتى سقوط قرطاج. (أنظر دبوز: 1964: 109 - 115، الناضوري 1981: 162 - 163، ميادان 1981: 37 - 40)

لا تخلو هذه الأسطورة التاريخية من حقيقة وخيال معاً ويسهل علينا فرز الحقيقة عن الخيال. فلا شكّ في أن الفينيقيّين استقروا في قرطاج في هذه الفترة "فاسم بيجماليون الذي شاع استعماله في قرطاج وجد مكتوباً في النقوش، والوشائج النبويّة التي تربط قرطاج بصور، أكدها قصة تلك البعثات التي كانت تنطلق كل سنة من قرطاج، لتحمل الجزية إلى الوطن الأم بمناسبة عيد ملكارت". (ميادان 1981: 40).

ويقول المؤرخ اليوناني العلماني (أبيان) في القرن الثاني الميلاديّ: إن قرطاج انشئت بمجهود مهاجرين سياسيّين من فينيقية هما زوروف Zourf وكرشيدون Carchedon والاسم الأخير يذكرنا باسم قرطاج، لكن هذا لا يمنع من لجوء إليسا إلى قرطاج هاربة من تسلط بجماليون مع مجموعة من المعارضين لحكمه في جزء من أسطول صور.

كذلك تبدو لنا حادثة جلد الثور رمية أكثر من كونها واقعية، وكذلك ظهور إيناس كعشيق لإليسا. وهو يحمل ذلك النسب الأسطوري من فينوس ليكون سبباً في نهايتها. أما المحرقة أو المذبح الذي انتحرت فيه إليسا فقد عثر على ما يؤكد وجوده هو ومرفأ (سلامبو) وهي امرأة فينيقية أخرى شبه أسطوريّة كتب عنها الروائي الفرنسي الشهير فلوبيير رواية باسمها. ويمكنا ترتيب الأسطورة التاريخية لإليسا كما يلي:

متان الأول (مطو)

ملك صور حوالي 840 ق.م.

بجماليون

الأمير الذي قتل عاشر باص
وصار ملكاً لصور بعد أبيه

عاشر باص + إليسا

- كاهن ملكارت) أميرة صور
نائب الملك (عمها)
- إيناس (ابن انخيس ملك
طروادة من فينوس)
- يوباس (ملك البربر)

وإذا عدنا إلى إينادة فرجيل فسرى أن السبب الرئيسي في موت إيسا التي تسمى (ديدو أو ديدون) هو هجران إيناس للملكة ومغادرته لمملكته.

وإيناس هو الأمير الطروادي الشهير الذي قاد الفلول المتبقية من الطرواديين بعد خسارتهم في حرب طروادة عبر البحر الأبيض المتوسط في رحلة مغامرات تشبه رحلة يولسيس ليصل إلى أرض هسبيريا (إيطاليا). ويكون هناك سلالة من الملوك يؤسسون في ما بعد مدينة روما التي تتطوّر وتسيطر على كل أرض إيطاليا ثم تكون الإمبراطورية الرومانية. ولكن إيناس هذا يصادف في رحلة التيه التي بدأ بها من طروادة مدينة قرطاج وتستقبله ملكتها وتقع في هواه ثم تتزوّجه، لكن الآلهة تحثّه بعد أن استرخى في أحضان ديدو (إيسا) ومملكته على المضي إلى هدفه فيغادرها فجأة وتحاول منعه لكنها تفشل في ذلك، فتتهيئ محرقة كبيرة تضع فيها كل ما تبقى من إيناس، سيفه وثيابه وصورته مدعية بأنها ستحرق ما يخصه بينما سفينته تستعد للرحيل. ثم تصعد المحرقة وتسل سيف إيناس وتحرق من غمده وتشعل النار وترمي نفسها على الفراش قائلة:

”إنني أسلم الآن روحي، وقد أنهيت عملي، فبنيت مدينة جبارة وانتقمت لزوجي من قاتله، ولو لم تأت سفن الطرواديين إلينا لسعدت بل لثمت لي السعادة. ثم قبلت الفراش وأجشعت قائلة: هل أموت من غير أن يثار لي؟ ومع ذلك فلأمت، وسيشاهد رجل طروادة هذه النار من البحر الذي يخره فيحمل معه شؤم الموت“. (فرجيل 1978: 98).

وهكذا يبدو لنا السبب المباشر والوحيد لموت إيسا هو غرامها الشديد بإيناس وهجره لها دون أن يكون هناك ذكر لملك البربر وطلبه الزواج منها ورفضها ذلك ثم انتحارها. ويبدو لنا إيناس رمزياً وكأنه (البحر المتوسط) الذي تنتقل سيادته من قرطاج إلى روما وهو ما شهدته التاريخ في ما بعد.

الفصل الثالث: الدين الآرامي

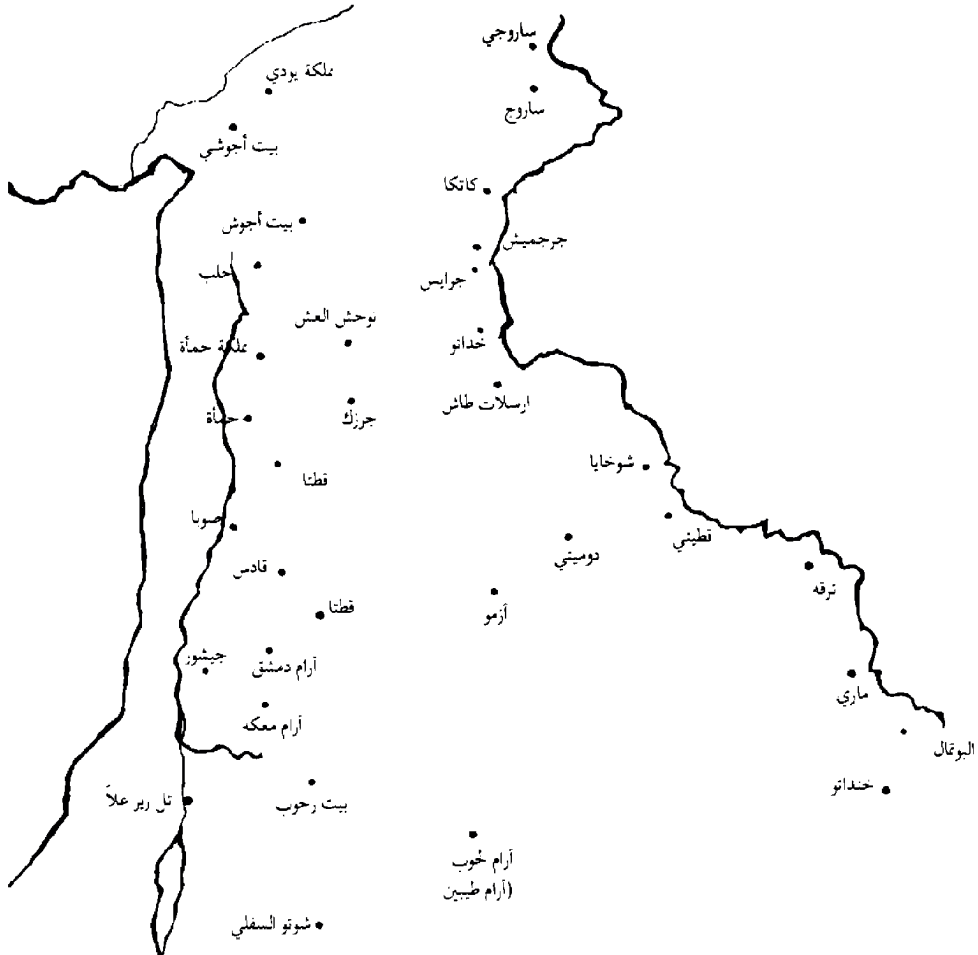


ملك آرامي في جلسة شراب

القسم الأول: المكوّنات الأساسيّة في الديانة الآرامية المبحث الأول: المعتقدات الدينيّة الآرامية

أولاً: المعتقدات الألوهيّة

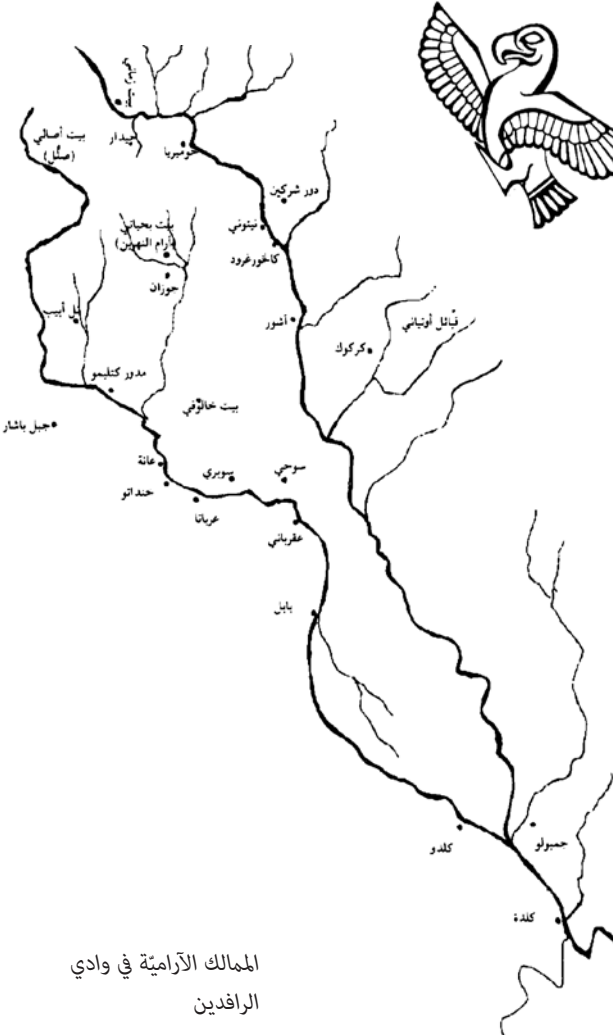
إنّ تتبّعنا لأبعد النقاط التي انطلقت منها العقائد الدينيّة الآرامية، يضعنا في منطقة يشوبها غموض شديد. ولا أعتقد أن من السهولة إمكانية معرفة طبيعة تلك العقائد في مراحلها الأولى. لكننا نستطيع القول، قياساً على بعض استنتاجاتنا، إن العقائد الدينيّة الآرامية القديمة كانت بسيطة جداً، وكانت تدور حول عبادة إله واحد هو الإله (ور) أو (مر) ويبدو أن هذا الإله يرقد قصيماً في ذاكرة شعوب منطقة الشرق الأدنى، والسامية منها بشكل خاص.



الممالك الآرامية في بلاد الشام

ويأتي ذكره القديم من وادي الرافدين ومصر، ففي وادي الرافدين يرد ذكره في نصوص ماري من العصر البابلي القديم بصيغة (ور - مر) ويرافق الإله (دجن) و(أدد) فهو إله طقس قديم. وفي مصر القديمة تصادف في عبادة إله الشمس (رع) أحد رموز هذا الإله بصيغة الثور المسمى (مر - ور Merwer).

ونرى أن هذا الإله العتيق كان إلهاً واحداً آمن به الآراميون، بعد أن انتقل إليهم من الأموريين الذين ربما اكتسبوا اسمهم منه (أمورو) أو (عمورو). ولكن الآراميين نزهوا هذا الإله لأزمان طويلة ولم يضعوا معه شريكة أو شريكاً. وعندما عرفوا عبادة الإله (حدد) الإله الواحد جعلوا (ور - مر) أحد أشكاله أو العكس. ومع ذلك ظل الإله حدد إلهاً واحداً لا شريك له.



الممالك الآرامية في وادي الرافدين



الثور والطيور رمزا للإله (ور - مر) ثم الإله حدد

ونرى أن نزعة التوحيد عند الآراميين، كانت هي الغالبة على نزعة تعدد الآلهة، بدليل أن إلههم (حدد) ظل إلى قرون بعد الميلاد هو الإله ذاته. وكانوا يدمجون صفات أي إله قوي بصفاته مثلما حصل مع الإله (إيل) والإله (بعل) الكنعانيين. ولعلنا نرى في الآلهة المتعددة التي ظهرت في العهد البابلي الآشوري انعكاساً لتمزق الآراميين في دويلات صغيرة تتأثر بما حولها، وذلك واضح من تماسهم مع الكنعانيين والفينيقيين سياسياً وثقافياً. فقد أخذوا عنهم البعول، ثم دمجوا البعل الرئيسي مع (حدد) فظهر (بعل حدد).

ولذلك نميل إلى القول إن نزعة التوحيد الآرامية كانت الجذر الأعمق والأعرق للتوحيد في المنطقة. أما التوحيد العبري فإننا ننظر إليه بريية شديدة، ونجده متأخراً ومشوباً بالتفريد. وقد جاء التوحيد اليهودي أكثر تأخراً وعزلة، ونهل من النزعة الغنوصية للفلسفة الهيلنستية. وهكذا يمكننا أن نوصل بيسر التوحيد المسيحي مع التوحيد الآرامي.. ويمكننا أيضاً مقارنة الثالث المسيحي مع الثالث الآرامي، كما مر ذكره.

إن الوقت ما زال مبكراً للحديث بثقة كاملة حول مثل هذه الموضوعات، بسبب شحة مادة التراث العقائدي الآرامي.. ولكنها رغم هذه الشحة توحى لنا بالكثير حول هذا الموضوع. إن تفسيرنا لبقاء اللغة الآرامية وشيوعها في منطقة الشرق الأدنى لما يقرب من ألف عام بعد زوال الممالك الآرامية، ينبع من تفسيرنا نفسه لبقاء فكرة ونزعة التوحيد الإلهي عندهم طيلة الفترة ذاتها، وهي الفترة التي ظهرت فيها الأديان الموحدة الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الإسلام)، ولا بُعدها عن المحيط الزرادشتي الذي كان ينبض بالتوحيد والثنوية معاً.

ونرى أن من المفيد أخذنا بنظر الاعتبار مثل هذه الأمور، لأنه يعيننا في تفسير تاريخ حضارات المنطقة وعقائدها. إضافة إلى أن الإله الواحد في الأديان الموحدة الثلاثة نبع من إله طقسي كالإله (حدد) الذي لم نر له تمثالاً واحداً (صنماً) على شكل بشري، سوى ذلك التمثال الذي يُسك برمزي الصاعقة، والذي كان مكتسباً من أديان البعول أو المعتقدات الحثية والهورية الأكديّة وغيرها بدليل شكله الذي يشبهه.. وهذا ما يدفعنا إلى القول إن الآراميين عموماً امتنعوا عن وضع إلههم في تمثال أو صنم، لشعورهم بصفاته الوحدانية المطلقة.

ثانياً: تعدد أشكال العقائد الدينية

1. المندائية: الغنوصية الآرامية

الغنوصية (Gnosticism) وقد تُرجمت إلى العرفان، وهي معرفة الأسرار الإلهية عن طريق الذوق والقلب لا عن طريق العقل والحكمة، وكان الغنوصيون يدعون المعرفة الكاملة بطبيعة الله وصفاته.

وهي "من جهة الأديان تشكل عقيدة باطنية قياساً إلى العقائد الظاهرية لكل دين. أما من جهة الفلسفة، فهي فلسفة تمخضت عن خرافات وحكايات أسطورية تتسع لجميع صور المعتقدات الدينية التي تسكن العقل الشرقي، وعن عبادات وممارسات تطهيرية تراامت أنصابتها وآثارها على امتداد الإمبراطورية الرومانية، وصلتها غير مباشرة بتاريخ الفلسفة". (أنظر برهيهه 1982: 310).

ونرى، خلافاً لما يراه الكثيرون، أن الغنوصية شرقية المنشأ، وأن تاريخها كنزعة تعتنى بالسري والباطني يغوص في التاريخ ليصل إلى سومر، التي كانت عقيدتها التموزية عقيدة غنوصية النزعة.

لكن المناخ الذي ظهرت فيه الغنوصية كتيار عقيدة فلسفية كان مناخاً آرامياً وقد ساهم هذا المناخ وهذه النزعة بظهور الأديان التوحيدية.

لقد حرّكت شرارات الفلسفة الإغريقية الوافدة إلى الشرق الآرامي والمصري تيارات هذا الشرق العقائدية، التي كانت نزاعة نحو عبادات الأسرار والغموض. وقد نتج عن ذلك ظهور تيار خليط بين الفلسفة والمعتقد الآرامي بشكل خاص هو الغنوصية.

ولذلك لا نستغرب أن يكون اسم رائد هذا التيار، في القرن الميلادي الأول، هو (سيمون الساحر) لأن اسم سيمون هو اسم الإبن في الثالوث اللاهوتي الآرامي المتأخر والمتكوّن من (حدد، عتر، سيمون)، ونرى أن هذا التطابق بين الاسمين ليس اعتباطياً.

ولعل أبرز مظاهر الغنوصية الآرامية قد تجلّت في العقيدة المندائية، وهي معتقد ما يُعرّف بـ(صابئة البطائح) في جنوب العراق، حيث كان المناخ الآرامي الهيلنستي في هذا المكان مناخاً مناسباً لظهور مثل هذه العقيدة الدينية.

ظهر في الآثار الآرامية ما يشير إلى وجود بيت أو إمارة آرامية في جنوب العراق تسمّى (بيت يدع)، ويعني اسمها (بيت الدعوة) أو (بيت المعرفة). ويبدو أن هذا الشعب الآرامي العريق الجذور أعاد صياغة عقائده القديمة وفق نوع جديد من العرفان أطلق عليه اسم (مندع) أو (مندا).

و(مندا) هو الاسم الآرامي للـ (غنوص) إذ إن كليهما يعني (العرفان) أو المعرفة الذوقية التي تدّعي معرفة صفات الله وأسراره.

وهناك في سوريا تل اسمه (تل النبي مند) لعل له علاقة بالمعتقدات المندائية. لقد ترعرعت النزعة الغنوصية المندائية في المعتقد الآرامي كما قلنا في جنوب العراق، في منطقة مملكة ميسان الهيلنستية الآرامية وما حولها، حيث كان المندائيون ينتشرون في هذه البيئة، وكان طابع مملكة ميسان الممتدة حتى نهر الكرخة طابعاً إغريقياً هيلنستياً، لأن مؤسسي هذه المملكة هم من بقايا الجيش السلوقي الذي انحدر إلى جنوب العراق وعاش فيه ونسي موطنه. وقد حصل ذلك ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الميلادي الثاني. ولذلك نرجّح أن الغنوصية نشأت هنا من مؤثرات إغريقية هيلنستية، ولكن (بيت يدع) الآرامي هو الذي أعاد صياغة هذه المؤثرات، بطريقة شرقية محكمة وجديدة.

ونرى أن هذه العقيدة قد انتعشت في القرون الأولى للميلاد وسُمّي أصحابها بـ(المغتسلة)، وكانوا ينتشرون من ميسان حتى الكوت وبابل.

وتذكر المراجع التاريخية أن أب (النبي ماني كان من هؤلاء المغتسلة، وأن ماني نفسه قد شبّ على العقيدة المندائية في بداية حياته، ثم قام بدمجها مع العقيدتين المسيحية والزرادشتية بطريقة غنوصية، أدّت إلى ظهور المانوية التي كان لها شأن خطير في منافسة المسيحية الأصولية منذ القرن الثالث الميلادي.

وتظهر لنا اللغة المندائية كلغة عقيدة آرامية للصابئة المندائيين في جنوب العراق إلى يومنا هذا، وما زال الكهنة يستعملونها في حياتهم الدينية وفي طقوسهم، وما زالت الكتب المندائية المقدّسة مكتوبة بها، وأكثر هذه الكتب قداسة هو كتاب الـ (كنزا ربّاً) المكتوب بالمندائية. إن عالمي النور والظلام في الديانة المندائية يشيران إلى الغنوصية الآرامية القديمة، حيث كانت الآلهة التي يرأسها (حدد) تنقسم إلى آلهة نور علوية وآلهة ظلام سفلية. ويمكننا بنوع من التقصي الدقيق في أسماء كائنات هذين العالمين، ومقارنتها بالآلهة الآرامية القديمة العثور على الكثير من التوافقات بينها.

إن نظرية الفيض الإلهي المندائية تشير أيضاً إلى العقيدة الغنوصية النزعة، وهي التي تفسر مصدر العقيدة والمعرفة، وهي تعاكس العقيدة الدينية الشائعة التي تقول بالوحي.

وتتضح علاقة المندائية بالغنوصية من خلال قوى النور العشرة، التي تنحدر عنها الحيوانات النورية الأربعة، وهو ما يذكر بمدارج الصعود والهبوط في الغنوصية حيث يهبط فيض العقل من مدارج عشرة، وتصعد النفس في هذه المدارج العشرة. ويزداد هذا اليقين، في معرفتنا لعقائد الموت المندائية، وتتبع حركة الروح بعد الموت.

إن عقائد الأسرار هو ما تشترك به المندائية والغنوصية، حيث تتشكل هذه الأسرار الإلهية وفق رؤى باطنية سريعة عميقة لا يستطيع الإنسان العادي إدراكها.. بل تستوجب نوعاً نادراً من المعرفة الإلهية الخاصة. ولذلك ليس من الغريب أن يسمي المندائيون أنفسهم بهذا الاسم لأنه يعني بالضبط (المعرفيون) أو (العارفون) أو (العرفانيون).

واعتقد هنا أن استبدال كلمة الغنوصية بالكلمة السامية مندائية، هو ما يناسب هذه الكلمة لأن منشأ هذه العقيدة منشأ شرقي آرامي تحديداً، وكلمة غنوصية كلمة يونانية أو لاتينية لاحقة لنشوء هذه العقيدة.

2. الزرادشتية وعلاقتها بالمعتقد الآرامي

نزعم أن الزرادشتية والعقائد الثنوية الفارسية السابقة لها، كانت على صلة وثيقة بالمعتقدات الرافدينية القديمة، بل كانت السومرية هي منهلها الأول. فقد اتخذت المعتقدات الإيرانية القديمة من التضاد في شجرة نسل الإله (إنليل)، التي كانت منقسمة إلى عالمي النور والظلام، الكواكب والعالم السفلي. هذا العالم الهوائي الطقسي، كان ملهماً للإيرانيين القدماء، لظهور أول أفكار النور والظلام والخير والشر. ثم وسع الإيرانيون هذه الثنوية واتخذوا منها عقيدة أساسية.

ولم تكن تعني حتى زرادشت وجود إلهين فقط، فقد كانت زوجة إله النور (أهور مزدا) الإلهة (أناهيت)، وهناك آلهة أخرى عدا (أهرمان) إله الظلام.

إن هذا يعني بوضوح، أن النظام الإلهي واللاهوتي الإيراني قبل الزرادشتية وبعدها، كانت له علاقة بما يقابله عند العراقيين القدماء، وهو نظام تعددي وليس ثنويًا فقط.

وقد كان الآراميون قد تبّنوا فكرة عالمين بإلهين متضادين هما عالمًا النور والظلمة، ويرأسهما حد، و(ليس إله عالم النور كما في العقائد الإيرانية). ونعني بقولنا هذا أن إيقاع الثنوية أتى بعد إيقاع التوحيد في الآرامية.. ونرى أن القبائل والإمارات والممالك الآرامية شرق بابل وجنوب العراق والمتاخمة للحدود الإيرانية، كانت تؤثر وتتأثر بالعقائد الدينية الإيرانية.

وكذلك نزع أن علاقة الدولة الميديّة بالآراميين والآشوريين وتسرب العقائد بينهم، كان له شأن في ظهور الملامح الدينية المشتركة.

وربما نخالف في آرائنا هذه أغلب المتعصبين لأصالة وتأثير التراث العقائدي الآري عبر فارس، ومنهم لاروس وجريم وتيودور بنفي وغيرهم.

ولكننا نثبت آراءنا هذه من خلال ما تركته لنا مدينة حرّان، من عقيدة ذات طابع ثنوي وإشراقي يعتني بعبادة الكواكب. وقد كانت حرّان منطقة آرامية ظهرت فيها عبادة الإله القمر (سين مبكرًا، وتكون فيها ثالث كوكبي، ثم ظهرت عبادة الكواكب السبعة كهياكل نورية.

إن تراث حرّان الهرمسيّ النزعة يشكل الوجه المعاكس للتراث الآرامي في البطائح. فبينما أنتجت البطائح العراقية في ميسان وحولها غنوصية آرامية متصلة بالماء. أنتجت حرّان في الشمال هرمسية آرامية إشراقية متصلة بالكواكب.

وهذا ما يفسر في رأينا تسمية الإثنين بالصابئة، رغم اختلافهما الواضح. فبينما ينزل المندائيون

إلى مناطق الأسرار والغموض في الماء والهيولى الأولى.. يصعد الإشراقيون الهرمسيون الحرانيون إلى مناطق الأسرار والغموض في النور والكواكب. وهذان تياران متضادان ظهرا في الآرامية، وكشفا عن جوهرهما في عصور لاحقة وصلت إلى قرون عدة بعد ظهور الإسلام.

وهنا نود القول إن الثنوية الآرامية، أثرت وتأثرت بالعقائد الثنوية الإيرانية، ولا يهمنا كثيراً البحث عن الأولويات في هذا المجال لكننا نود أن نثبت الصلة.

لم تتعارض الثنوية الزرادشتية، عندما شاعت بعد سقوط بابل، مع المناخ الآرامي للثقافة واللغة الذي وجدت نفسها فيه، واعتقد أن ذلك يعود إلى إيقاع خفي كان مشتركاً بينهما. وكان هذا الإيقاع يقبع في الجذر السومري البابلي لكليهما، حيث تكمن عقيدة النور والظلام واضحة في هذا التراث.

إن العقيدة الإشراقية الحرانية هي المقابل للعقيدة الغنوصية المندائية، وهما وجهان متضادان للغنوصية الآرامية، التي ترتبط بالغنوصية الإيرانية قبل الزرادشتية وبعدها.

فهل هذا كل ما في المشهد الآرامي؟

نرى أن المشهد الآرامي أكثر ثراء بما أسلفنا، لأننا إذا ما فحصنا عقائد الأقوام والمدن التي ظهرت في بادية الجزيرة الفراتية والصحراء العراقية السورية، فإننا سنرى مشهداً باذخاً.

ثالثاً: المؤسسة الدينية

تتكوّن المؤسسة الدينية السماوية من الإله الواحد (حدد)، وما دار حوله من آلهة عرفناهم في التراثين البابلي والكنعاني، وهي المؤسسة الإلهية. أما المؤسسة الأرضية فقوامها الكهنة والمعابد.

الكهنة:

كان الكهنة الآراميون يختلفون في مهامهم وطبقاتهم، ويصعب علينا القيام بتصنيف دقيق لهم، ويمكن تقسيمهم حسب الآلهة الذين يخدمونهم، فهناك مثلاً كاهن الإله (القمر) (سن زير ابني) في مدينة النيرب قرب حلب.

ويظهر الكاهن وهو يخطو نحو اليمين ويرتدي ثوباً ذا طيات وينتهي بنهايات متموجة أو قطع صغيرة وهو يحمل بيسراه رمزاً من رموز الكهانة، ويرفع يده اليمنى مباركاً.

ولا شك في أن الكاهن كان يؤدي طقساً دينياً، وقد وجدت عليه كتابة آرامية هذه ترجمتها: "التي لسن زيري بن كاهن شهر بالنيرب مات، وهذه شهادته وجثته. وأنت يا من ينقل الشاهدة والجثة من مكانها فأن شهر وشمس ونكال ونسكو ينسخون اسمك وأثرك من بين الأحياء. يميتونك موتاً قبيحاً ويقتلونك ويبدرون زرعك. وإذا صنت هذه الشاهدة وهذه الجثة، فإن الآلهة المذكورين يصونون الذي لك". (أنظر أبو عساف 1988: 111 - 112).

ولا شك في أن كهنة الإله (حدد) كانوا أكبر الكهنة. وكان الكهنة وفقاً للتصنيفات الوظيفية ينقسمون إلى:

1. الجامر: وهو اسم الكاهن بصفة عامة، ويبدو من اسمه أنه كان يعتني بالطقوس.
2. كمر: وهو يقترب من اسم ووظيفة السابق.
3. الحازي: وهو الكاهن الذي ينظر في أمور العامة، ويبدو من اسمه بأنه المتبصر أو الرائي أو المتنبي (حزو: من أحزى الشيء أي أظهره ورفع له ليريه). وكان اسم - حزائيل - يعني نبي الله وتحديد الذي رأى الله أو الله يرى. وهو اسم ملك من مملكة آرام. فهل كان لقباً أم اسماً؟
4. الكهنة المنشدون: وهم الكهنة الذين يتزنبون بحبل يحمل إشارة الصاعقة كما ذكرنا، ويمكن أن يكون تمثال أحد الرجال في مدينة جوزن أو تمثالاً لكاهن قدير يظهر بتسريحة خاصة ويضع

على مائدته كأساً من الشراب حيث يُمسكه بيده.

المعابد:

يرى الدكتور علي أبو عساف أن المعبد الآرامي نشأ عن تجانس بين أسلوبين معماريين هما: المعبد أو الهيكل الكنعاني الأموري، والمعبد العالي أو البيت العالي الآرامي الأصل (كان المعبد في الآرامية يسمّى بيت). وبالرغم من أن المعابد الآرامية نادرة، لكن مثالها النموذجي هو معبد عين دارا الذي يُعتقد أنه للإلهة (عتر) زوجة الإله (حدد)، اعتماداً على ما ورد في كتاب أبي عساف. (أنظر أبو عساف 1988: 186 - 191)

رابعاً: معتقدات الأبدية

كان الآراميون مثل غيرهم من الساميين، يؤمنون أن الإنسان عندما يموت فإنه يذهب إلى العالم السفلي، وكان القبر مدخلاً لهذا العالم الذي تتجمع فيه أرواح الموتي. كان السومريون يسمّون العالم الأسفل (كور) أو (كيكال)، وكان البابليون والآشوريون يسمونه (آرالو)، أما المصريون فيسمونه (دوات)، والعبريون يسمونه (شيؤول). ولكننا لا نعرف اسم هذا العالم بالآرامية، رغم أننا نعتقد أن المندائية (وهي معتقدات آرامية غنوصية)، تخبرنا أن اسم هذا العالم هو عالم الظلام (ألبي دهشوخا). ولكننا لا نستطيع تعميم مفاهيم المندائية على الآرامية بشكل عام.

وكان للقبور عند الآراميين حرمتها ولذلك كانوا يحافظون على القبور، وكانت توضع بهذا الغرض شاهدة (صلم: بالآرامية). وقد ذكرنا سابقاً كيف وضع كاهن إله القمر في النيرب هذه الشاهدة على قبره، وحدّر فيها كل من يمسّها أو يمسّ القبر بسوء، أو ينقلها إلى مكان آخر فإن الآلهة ستقبض على روحه، وستميته شرّ ميتة وتنقرض ذريّته.

وكان هذا التقليد يسري على العامة والملوك، حيث وضعوا قداسةً لجثة الميت وشاهدته. فقد كانوا يخافون من تعريض جثة الميت إلى العبث أو التلف، وكانت جثة الميت تسمّى (عرضه، عرصه)، لأن ذلك يؤدي إلى عذاب روح تلك الجثة في العالم الأسفل وقلقها، وهو اعتقاد سامي عام.

كان الآراميون يميزون بين الروح، وهي على قيد الحياة ويسمونها (فممو)، والروح بعد الموت أو بشكل عام ويسمونها (روح).

ويبدو أن طقوس النواح والبكاء على الميت كانت موجودة عند الآراميين، ويظهر لنا من بعض النصوص بأن فلسفة الموت والحياة عندهم شديدة البساطة والوضوح، فالحياة التي نعيشها ونطلبها على الأرض ونسعى إلى إطالة أمدها بالتوسل إلى الآلهة لتحقيق أمانينا. أما أشدّ قصاص يُنزله الإله بنا فينحصر في الموت المبكر، والحرمان من كل شيء حتى من القبر، وكم نتمنى أن نعيش حتى سن الشيخوخة، مع تمتعنا بنظر ثاقب ومقدرة على النطق، محاطين بأطفالنا وأحفادنا. (أنظر دوبون - سومر 1988: 190 - 191).

لا تخبرنا النصوص الآرامية القليلة عن طبيعة عالم ما بعد الموت بالتفصيل، كما أنها لا تخبرنا عن وجود أو عدم وجود حساب أو عقاب أو ثواب أو جنة أو نار.. وإذا استعنا بمجمل التراث السامي وقبله السومري، فإننا لا نرى أثراً لهذه العقائد في فكرها العقائدي. ولذلك نستطيع أن نستنتج أن الآراميين لا يملكون أفكاراً عن الحساب والعقاب والثواب والجنة والنار، فقد اكتفوا بالفكرة البسيطة عن الموت المحتم للإنسان وعن نزول الروح سجيناً في العالم الأسفل.

وبالطبع فإننا لا نستطيع أن نتكهّن بأي شيء أبعد من ذلك. أما الرأي الذي أورده (دوبون - سومر من أن الصلاة التي يقيمها وارث الملك على روح الملك في معبد الإله (حدد)، ستعمل على

أن تأخذ روح الفقيد (الملك) طريقها بيسر إلى العالم الآخر، لتكون قرباناً للعليّ الأعلى وحينئذ يتحقق حلم الوصول إلى السعادة الأبدية. ويستشف من هذه الفكرة أن ثمة اتحاداً بين الملك والإله، وأنه بالرغم من أن الملك، كإنسان قابل للفناء، إلا أنه يبدو دوماً شخصيّة خاصة مميزة ومقدّسة، (دوبون - سومر 1988: 191 - 192).

إن هذا الرأي يعتمد على المقارنة مع بعض آراء الحثييين التي يرى (دوبون - سومر)، أن الآراميين (وخصوصاً في الشمال) اقتبسوها. ولكننا نرى خطأ هذا الرأي لأنه يخرج عن نظام الإسكاتولوجيا السامية. وهو بهذا يقترب من الإسكاتولوجيا المصرية التي ترى توحيد روح الملك بالشمس أو بالإله الأعظم (رع).

المبحث الثاني: الأساطير والمثولوجيا الآرامية

إن البحث في الآلهة الآرامية يستوجب دقة كبيرة لتلافي الخلط، وتجنب التعميمات التي تعجّ بها الكتب التي تتحدث عن معتقدات بلاد الشام، فالآلهة الآرامية قديمة قدم الآراميين أنفسهم، ولا يجوز لنا تعميم التطوّرات اللاحقة التي طرأت عليها وعلى بدايات المعتقد الآرامي. لقد شاعت بين مؤرخي الأديان والذين يكتبون في حقل الأديان والمثولوجيات القديمة عموماً نزعة خلط الآلهة الآرامية، بل والمعتقد الآرامي كله دون عناية ودقة وتمحيص، كما استسهلوا دمج وتغيير أسماء الآلهة الآرامية بالآلهة الكنعانية والبابلية. ورغم أن النصوص التي تتحدث عن الآلهة الآرامية قليلة، لكننا سنحاول جهد إمكاننا فرز الأمور كما يليق بها، أخذين بنظر الاعتبار مراحل التطور والاختلاط التي مر بها المعتقد الآرامي والآلهة الآرامية.

إن الخطأ الكبير الذي يرافق هذه البحوث هو أنها تبدأ بالحديث عن المعتقد والآلهة الآرامية من نهاياتها الهيلنستية والرومانية وكأنها هي الثابت. وهي طريقة انتهجها الكتاب والمؤرخون القدامى في تلك العصور مثل (فيلون الجبيلي) و(لوقيانوس السميساطي) وغيرهم. وهو ما يجب أن يترث أمامه الباحث العلمي الحديث ويستخدم تلك الكتابات للمقارنة والتنقيب أكثر مما يستخدمها للانطلاق وتتبع النمو.

شجرة الآلهة الآرامية:

تقف صعوبات كثيرة أمام تنظيم شجرة أنساب دقيقة للآلهة الآرامية بسبب قلة النصوص، وعدم معرفتنا الدقيقة بأنساب هذه الآلهة وكيفية متابعتها وتوالدها، وبسبب غياب الأساطير الثيوغونية الآرامية.

ومع ذلك فقد حاولنا (بحذر شديد) تنظيم مثل هذه الشجرة ولا نستطيع أن نسّمينا شجرة أنساب بالمعنى الدقيق لعدم تأكدنا من علاقات النسب فيها، بل هي شجرة بانثيون (مجمع) للآلهة الآرامية تتابع النمو والتطور التاريخي الذي مرّ به الآراميون والأقوام التي خالطوها حرباً وسلماً، وسنشير في حالة اكتساب الآراميين لآلهة غريبة عنهم ودخولها في منظومتهم إلى كيفية وأصل حصول هذا الاكتساب.

سنقوم بتقسيم شجرة الآلهة الآرامية إلى سبعة أجيال حسب تطورها التاريخي، وسنتناول هذه الآلهة جيلاً بعد آخر بالشرح والتحليل، مشيرين إلى الأساطير المرتبطة بها، وعلاقتها بالآلهة الأديان الأخرى القريبة منها والمؤثرة أو المتأثرة بها.

بعد بحث مطوّل وتأمّل عميق في شجرة الآلهة الآرامية التي وضعناها، توصلنا إلى أن هناك جذوراً قديمة للآلهة الآرامية. وسنضع مقترحنا في تصور تلك الجذور القديمة هنا أملين أن تزودنا الآثار بما يعزّز هذا التصور.

نرى أن الآلهة القديمة الأولى للآراميين تبدأ بالآلهة الآرامية الأم (إم)، والتي يعني اسمها بالسومرية (الريح أو الهواء). وبالطبع فإننا لم نجد ما يذكر بهذه الإلهة الأم القديمة عند الآراميين، ولكننا وجدنا بعض آثارها عند السومريين فهي إلهة الريح القاسية التي يُطلق عليها (إم دوجد) إلهة الريح القاسية التي تظهر دائماً على شكل طائر ضخم، وتعطينا قطعة أنثوية عثر عليها في تل العبيد تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد، فكرة عن هذه الإلهة، فهي إلهة

برأس لبوة وبجسد نسر أو رخمة (أنثى النسر)، وتضع مخالبيها على (أَيْلَيْن). ولا شك في أن هذا يدل على السرعة والحركة وهكذا تكون رموزها هنا كلها تشير إلى الريح والهواء، أما اللبوة فتشير إلى أنوثتها المصحوبة بالقوة، إضافة إلى اللبوة والأسد أصبحا يشيران إلى الألوهية المؤنثة التي ارتبطت لاحقاً بعشتار.



الإلهة (إم دوجد) إلهة الريح القاسية التي تمتطي أَيْلَيْن، والتي نرى أنها الإلهة الآرامية الأم

ويرى (أدزارد) أن (أمدوكد) تشير إلى شكل من أشكال إله الطقس في الأصل "ويطالعنا على المنحوتات منذ عصر (جمدت نصر محلقة فوق زرائب الحيوانات الأهلية أو ضاربة إياها مخالبيها الحادة، وهنا تجسد (أمدوكد) قوى الشر التي تهدد حياة الحيوانات الأنيسة، وترتّب من اسمائها أسماء أشخاص في عصر (فارا)". (أدزارد: 1987: 51).

ونرى أن (إم) هي الإلهة الآرامية القديمة الأولى وأن لها أسطورة خليقة قد تشابه أسطورة (تيامت) الـ (إينوما إيليش)، لكن بطل هذه الأسطورة هو الإله (حدد) أو (أدد) وهو الإله الآرامي الذكر الذي قضى على الإلهة الأم.

لقد تمت تصفية الإلهات الأم في كل أساطير الأمم القديمة التي عاشت في مناطق وادي الرافدين وسوريا، وقد قضى (مردوخ) على (تيامت)، وقد أثبتنا في كتابنا (الآلهة الكنعانية) أن الإله (بعل) قضى على الإلهة الكنعانية الأم (يم) وكذلك حلّ الإله (إنليل) السومري محل الإلهة السومرية الأم (تمو).. ولا يختلف مصير (إم) الآرامية التي يكون (حدد) أو (أدد) من قضى عليها. ربما كانت الصورة التي عُثر عليها منحوتة على أحد الجدران الآشورية، والتي تمثل الإله (أدد) الذي يمسك بصاعقتين مزدوجتين وهو يهاجم إلهة مجنحة تمثل جانباً من مشهد الصراع بين (أدد) و(إم). ولذلك نختلف مع الذين رأوا بأنه صراع بين (مردوخ) و(تيامت) لأن الأجنحة دلالة الريح وهي ميزة لكل من (أدد) إله البرق والصواعق و(إم) الإلهة الآرامية الأم الأولى.



الإله (أدد، حدد) يصارع الإلهة
الآرامية الأم (إم)

هكذا كان لا بدّ من تصحيح اسم هذه اللوحة الشائعة والتي كانت تُنسب إلى مردوخ وتيامت، وهكذا يمكننا تصور قصة خليقة آرامية يهاجم فيها (حدد أو أدد) الإلهة الأم (إم) ثم يشطرها إلى نصفين هما (أ) و(م) اللذين يرتبط بهما عادة حرف الراء الذي يدل على الأرض وهكذا تتكوّن آلهة الأفق (أر - مر) ثم (مر - أر) ثم (مر - ور) الذي ينشطر نهائياً إلى الإله (مر) إله السماء، حيث أطلق الآراميون لاحقاً اسم (بعل شممين) أي سيد السماء والإلهة (ور) التي هي إلهة الأرض، ووجد اسمها بصيغة مؤنثة هي (أرقوم) و(أرضو) التي تقترب من كلمة أرض العربيّة.

وفي مرحلة لاحقة سيأخذ الإله حدد مكان (مر) وسيتحول بشكل نهائي إلى الإله الذكوري الأكبر الأب، إله الفضاء والسماء والعواصف والأمطار. وستصبح مركزيّة (حدد) أكبر من أي إله سامي آخر عند قومه ويكاد يصل إلى التوحيد حيث تنطفئ الآلهة الأخرى أمامه إلا زوجته المرافقة (عتر).

وهكذا تأخذ (عتر مكان أمها (ور) وتبقى فيها صفة الطيران التي ترمز لها الحمامة أو الطائر أو الأجنحة. ويبدو لنا أن التوحيد الآرامي المتمثل ب(حدد)، قد اتخذ شكلاً متطرفاً فعمد الآراميون إلى إلغاء أو إخفاء أو محو كل الآلهة الأخرى التي كانوا يتعبّدونها، ولم تبق إلا آثار ذاوية مبهمّة تدلّ عليها. ولأهميّة هذه النقطة سنناقش مفصلاً طبيعة الإله (حدد) والتوحيد الذي ترسّخ من خلاله أكثر من غيره من آلهة الكنعانيين مثل (إيل) أو البابليين مثل (مردوخ) أو السومريين مثل (إنليل).

2. إله الآراميين الأوائل (حدد):

بعد تمحيص وتدقيق وتتبع طويل للحياة الدنيويّة الآرامية وخصوصاً في مراحلها الأولى، توصلنا إلى وضع فرضيّة جديدة تختلف عمّا هو مألوف، في معالجة مثل هذا الموضوع وسنقدّمها هنا. نرى أن الآراميين الأوائل القدامى الذين ظهروا منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، استقروا على عبادة إله واحد ولم يكونوا يعرفون سواه، وهو الإله (حدد). وهذا يعني أن الآراميين هم أصحاب نزعة التوحيد الأوائل.. إذ لم يكن التوحيد عندهم أحد المعتقدات إضافة إلى التفريد والتعدّد (كما هو الحال عند السومريين والأكديين والبابليين والآشوريين في العراق القديم) أو العموريين والكنعانيين في بلاد الشام القديمة)، بل كان هو العقيدة الأساسيّة بعد أن نُسبت أو

أهملت قصة الخليفة الأسطورية التي كانت (إم) مركزها. ولكن هذا التوحيد لم يبق طوال تاريخ الآراميين صامداً نقيماً دون أن تشوبه عقائد التعدد والتفريد، خصوصاً بعد أن احتك الآراميون بالأقوام المجاورة لهم كالأشوريين والحثيين والبابليين والكنعانيين. ورغم ذلك فقد بقي الإله (حدد) هو الإله الأعظم للآراميين، بعد أن كان الإله الأوحد، ولم يُنحَ عن مركزيته وسط دوائر الآلهة الجديدة المحيطة به، ولم يصرعه إله أعداء أو أصدقاء بل ظل قوياً واخترق أكثر من ألفين ونصف الألف من السنوات، حتى بدأ يذوي عندما صار تجسيده شاملاً في الديانة المسيحية وذاب (حدد) في الأب.. وحلّ الثالوث المسيحي القديم مكان الثالوث الآرامي تماماً.

ولنبداً من البداية.. فما هو أصل هذا الإله؟ وما طبيعته؟ وكيف كان يُعبَد في الأزمان الأولى للآراميين؟

يوحي اسم الإله (حدد) في الآرامية بالمقابل العربيّ له (أحد، واحد، وحد) وهذا صحيح إلى حد بعيد، فكلمة (حد) الآرامية تعني الواحد الأحد وهذا أول ما دعانا لاعتبار الإله (حدد) هو الإله الواحد الأحد للآراميين في أزمانهم الغابرة.

لكننا عندما نعود إلى اللغة السومرية والمثولوجيا السومرية فإننا سنجد أن الإله (إشكور) هو إله الطقس (العواصف والبروق والرياح) عند السومريين، وكان بمثابة إبن للإلهة (إنانا) وكانت زوجته (شالا) أو (شلس) إلهة النار، التي يمكن أن تكون من أصل حوري. وكان الإله (إشكور) السومري يسمّى بالأكدية (أدد) ويُعتبر أيضاً إبناً للإله (آن) إله السماء. وكان يوصف بأنه (يرعد في السحب)، وعندما يقوم فإن الريح تعصف. وفي أسطورة الطوفان البابلية يظهر (أدد) بصورة الإله الراعد في المقدمة ويعاونه إلهان مساعدان هما (شولات وخنيش) الإلهان التوأمان اللذان يحملان العروش الإلهية، قبل الشروع بالمطر والظوفان:

”وإذا بغمامة دكنا تصعد الأفق

وداخلها لم يكف أدد عن الرعد،

في المقدمة، كان الإلهان شولات وخنيش يسيران

يتقدم حاملا العروش، في الجبال والسهول

ونزع نرگال عارضا (السدود الإلهية)

وتقدم نينورتا الذي يهدم سدود السماء

ورفع الآلهة الأنوناكي المشاعل

وجعلوا الأرض تلتهب بوهج أنوارها

اجتاز صمت أدد الرهيب عبر السماء

وأحال إلى الظلمات كل ما كان نيراً

وتحطمت أركان الأرض مثل جرة

هبت العاصفة يوماً كاملاً،

وعصفت بجنون (وأثارت الفيضان)“. (لابات 1988: 255).



حدد وهو يحمل الصاعقتين
ويقف على الثور



حدد في تل بارسيب وهو يحمل
الصاعقة والنفاس

أما الإلهة (عتر) فلا نحبذ تناولها هنا، لأننا لا نعرف عنها شيئاً في مرحلة الأقوام والممالك الآرامية القديمة، سوى ذكرها العابر. ووجودها كمقطع في بعض أسماء الآراميين. ورغم أنها بلا شك تطابق الصفات الحربية للإلهة (عشتار) التي عبدت كزوجة لـ (آشور) عند الآشوريين، إلا أننا نعتقد أيضاً باكتسابها عناصر خصوبة وكونية وجعلها إلهة أمماً لكي تناظر الإله الأب (حدد). ولكننا مع ذلك نذكرها فقط دون الخوض في التفاصيل. ونشير أيضاً إلى اسم (مرتوم) كزوجة للإله القديم (مر) التي نعرف عنها أيضاً تفاصيل محددة.

وبرغم أن المنحوتة التي عثر عليها في (عين دارا) يمكن أن تعطينا فكرة عن (عتر) الآرامية القديمة، حيث تظهر عشتار الآرامية (عتر) على لوحة بازلتية وهي تملك ثلاث صفات: الأولى هي صفة المحاربة حيث تمسك بيدها اليمنى رمحاً وباليسرى صولجاناً قصيراً تسنده إلى كتفها.. والثانية هي صفة السمكة التي تظهر كعباءة سميكة تشبه عباءات كهنة إله الماء (إنكي) أو (إيا) في وادي الرافدين.. والثالثة هي صفة الطيران التي تظهر كجناح على كتفها اليمنى. وتجمع هذه الصفات الثلاث صورة مبكرة للإلهة (عتر) كإلهة سميكة وكسيدة للحمام وكإلهة محاربة.

أما صفاتها الأثوية فتظهر في المثلث الأثوي البارز في المنحوتة. ولعل هذه الصورة واحدة من أندر صور الإلهة (عتر) القديمة أيام الممالك الآرامية. وربما كانت جذراً للإلهة الآرامية الهيلنستية التي ستخلفها في ما بعد وهي (أترغاتس)، حيث تظهر فيها صفة السمك والحمام بوضوح كما سترى.



الإلهة (عتر) الآرامية في لوحة بازلتية منقوشة لعشتار الآرامية في
معبد عين دارا

3. آلهة الممالك الآرامية وأثر البابليين عليها (آلهة النور والظلام)

نعرف أننا نجازف بإطلاق تسمية (آلهة النور والظلام) على هذه المرحلة التي نشأت فيها الممالك الآرامية في بلاد وادي الرافدين شمالها ووسطها وجنوبها، وفي بلاد الشام شمالها ووسطها وجنوبها. ولكننا بعد دراسة وإحصاء الآلهة الآرامية التي ظهرت في النقوش والنصوص في النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد وجدنا أنها تنقسم في النهاية إلى نوعين من الآلهة: آلهة علويون لهم علاقة بالنور والكواكب المضيئة، وآلهة سفليون لهم علاقة بالظلام والأمراض والمياه الآسنة.

ونحن لا نجازف حين نقول إن هذه الآلهة ظهرت من تزواج الإلهين (حدد وعتر)، أو من حدد وحده.. لأننا لا نملك نصوصاً واضحة عن أصولها، ولأننا لا نملك قصة خليقة آرامية توضح لنا ذلك.

ولكننا نقول كما يقول الآراميون أنفسهم، إن هناك (آلهة الرحبا) أي آلهة الكون، ونصنفهم نحن إلى علويين وسفليين، ونضع على رأسهم الإله (حدد) رئيساً لمجمعهم الإلهي، لأن الإله (حدد) لم يتنح أو يُستبدل من قبل الآراميين بأي إله ممن سنذكرهم، ولذلك فإننا نقول إن البانثيون الإلهي لجميع الممالك الآرامية، عبارة عن هرم يقف (حدد) على رأسه. ثم يأتي بعده الآلهة العلويون (وهم آلهة نور)، ويأتي في قاعدة الهرم الآلهة السفليون - الأرضيون - وهم في الغالب (آلهة ظلام).

وسنرى أن أغلب آلهة البانثيون الآرامي هذا جاءت من آلهة بابلية (ذات أصول أكديّة أو نهايات آشورية). وأن هذه الآلهة فقدت الكثير من صفاتها التي كانت عليها في البانثيون البابلي، واكتسبت صفات أو ملامح آرامية بحسب ما فطر عليه الآراميون، وما أضفوه عليها بالتالي من هذه الصفات.

أ. آلهة العالم الأعلى (آلهة النور)

تمتاز مجموعة آلهة العالم الأعلى بأنها الآلهة التي تتحكم بالسماء وتسيطر بقوتها على الأرض وآلهة الأرض، ولكن هذه الآلهة غير منسجمة في مجموعها، ويمكننا أن نقسمها إلى ثلاث مجموعات متجانسة نسبياً وهي:

1. مجموعة الآلهة العلوية (مجموعة إيل):

وأغلب الظن أن هذه المجموعة ذات مصدر كنعاني، فقد ظهر الإله إيل (إل) في البانثيون الآرامي بعد أن اتصلت الممالك الآرامية الموجودة في الشام بشكل خاص مع الكنعانيين الساكنين في مدن سواحل وداخل سورية القديمة.

ويقع على رأس هذه المجموعة الإله (إيل) الذي يقع على قمة هرم البانثيون الكنعاني "حيث إن الرأي السائد، يزعم أن فهم معنى الاسم فهماً صحيحاً يساعد على فهم أصول المعتقدات السامية منذ نشوئها. وأكثر التفسيرات قبولاً هو أن اسم (إيل مشتق من الجذر (أول)، ولا يخفى على الضالعين في اللغة أن كلمة (أول) تعني أشياء كثيرة من بينها (الرئاسة والسيادة والسلطة) أي أن الأول في كل شيء يتميز عما يليه في الرفعة والسمو، ثم طرأت على الجذر الأجوف تغييرات وتحولات أدت به إلى الشكل الذي هو عليه الآن". (أدزارد 1987: 177).

إن ظهور الإله الكنعاني (إيل) في البانثيون الآرامي، كان يمكن أن ينافس مكانة (حدد)، ولكنه كان يظهر دائماً بعد الإله (حدد) وهكذا ظلت المسافة بين (حدد) (الأحد) وإيل (الأول) لا تسمح بتوحدهما، لأن بقاء أحدهما وذوبان الآخر فيه يعني بقاء قوم ذلك الإله وذوبان قوم الآخر فيهم.

ولكن (إيل) لم يتمتع بصفاته وقوته التي كان عليها وهو في البانثيون الكنعاني عندما دخل البانثيون الآرامي. بل أصبح مجرد إله كبير وظل ولاء الآراميين الأكبر لإلههم القومي (حدد). ورغم ذلك فقد ظهر اسم الإله (إيل) في أسماء الآراميين دلالة تعظيمهم له. كذلك لم تدخل زوجة (إيل) (أشيرة أو عشيرة أو أثيرة) في البانثيون الآرامي لأن اسمها وصفاتها تشابه صفات (عتر) زوجة (حدد).

وإذا كنا نستطيع الحديث بالتفصيل عن صفات (إيل) المعروفة في المثلولوجيا الكنعانية.. فإننا لا نستطيع ذكر أساطير إيل الكنعانية على أنها جزء من الأساطير الآرامية.. إذ ربما جرى تحويل قصص ودور (إيل) في المثلولوجيا الآرامية التي نشكو من شحة نصوصها قياساً إلى النصوص الكنعانية.

لا شك في أن (إيل) كان يجسد قوى الخصب السماوية، ولكنه من المؤكد أنه كان يعتبر شيخاً طاعناً في السن، أي أنه كان في العهد إلى أن تبنى الآراميون فيه عبادته، قد تحول إلى إله قصي وبعيد بفعل صعود ابنه الإله (بعل) الذي دخل هو الآخر في البانثيون الآرامي. ولذلك نعتقد أن إدخال الإله (إيل) في العبادة الآرامية كان اعتبارياً ومعنى أدق كان رمزياً. فقد كان يُنظر إليه كإله عتيق، وكشيخ يجلس في أفاضي السماء ولا علاقة له بمقادير الأمور التي كان يتولى توجيهها الإله (حدد)، الذي سيطابق مع الإله بعل الكنعاني. وسنحصل على الاسم المركب (بعدد حدد) وهو الاسم الذي فاق جميع الآلهة شهرة وسطورة.

شهد النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، صعوداً عظيماً لمكانة الإله الإبن (بعل) على حساب الإله الأب (إنليل) في الديانة الكنعانية. ولذلك جاءت مطابقة (حدد مع (بعل) في هذا الزمن (النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد متفقة مع الوقائع الدينية في المنطقة. وإذا كان الإله إيل قد حصل على ألقاب (أبو الآلهة) و(الملك أبو السنين) و(الأب المتعالي)، فإن (بعل) ومن ثم (بعل حدد) حصل على ألقاب أخرى أقرب إلى الإنسان والحياة مثل (راكب الغمام) و(البطل) و(العلي).

أما الإله الثالث في هذه المجموعة فهو الإله (ركب إيل) أو (ريكوب إيل)، الذي يبدو معناه الحرفي وكأنه يشير إلى (عربة الإله إيل). والذي شغل المقام الأول في مجمع الآلهة الآرامية في

مملكة (يادي) وعاصمتها (سمأل). حيث يظهر كإله للعائلة المالكة، كما يرد في هذا النص الذي وجد على نصب تذكاري في القصر الملكي في (سمأل):

”إذا ما أقدم أحد على

تحطيم هذا النصب فإنه بعمله هذا، يكون قد أساء إلى كل من:

بعل سيميد إله (جبار)

وبعل خامان إله (باماخ)

ومن ركب إيل إله الأسرة المالكة“. (دوبون سومر: 1988: 75)

و(جبار) و(باماخ) هما ملكان من (سمأل).

وكان الإله (ركب إيل) يختلط بإله آخر هو (رب البيت)

الذي كان إلهاً محلياً مؤسساً في (سمأل).

وكان يرد أحياناً مع هذه المجموعة الإله (عليون) أو (أليون)، الذي كان مرادفاً للإله (إيل). وهو في الأصل إله محلي رفع إلى مرتبة الإله الأول قبل (إيل) ويبدو أنه شكل من أشكال (إيل) أو (بعل). وكذلك الإله (عليان) الذي يرد في بعض النصوص وهو شكل من أشكال أو أبناء (بعل) المختص بالينابيع، ولقد لاحظنا أن هذه المجموعة الإلهية رغم كونها تسكن العالم الأعلى إلا أنها لم تكن آلهة نور بالمعنى المباشر للكلمة، ولكنها كانت آلهة طقس وذات علاقة مباشرة بالخصب والأرض. ولكنها لا يمكن أن تنتسب إلى آلهة الظلام أو آلهة العالم الأسفل.

2. مجموعة آلهة الكواكب والنجوم:

أغلب هذه الآلهة ذات مصدر بابلي آشوري، ويبدو التأثير البابلي عليها أكثر وضوحاً لتجنب الآراميين السقوط في عبادات أعدائهم الدائمين من الآشوريين، ولذلك نلمح وجود (مردوخ) و(صربانيت) وغيرهما من الآلهة البابلية. ويمكننا من حيث المبدأ ذكر هذه الآلهة كما يلي: الإله شمش: وهو إله الشمس المنحدر من أصول أكديّة، ثم تبناه البابليون ثم العموريون في عصر حمورابي كإله للعدالة أيضاً. وتصف النصوص الآرامية هذا الإله بأنه (إله الخلود)، وكان يرمز لهذا الإله بالقرص المحنّج وهو تقليد آشوري من ناحية الإله (آشور)، وتقليد مصري من ناحية الإله (حور). وقد تعاضمت عبادة الإله (شمس في منطقة الشرق الأدنى ولكنها لم تتفوق عند الآراميين على عبادة الإله (حدد).

إله الجبل:

كان إله الجبل إلهاً قديماً، وقد عبد بشكل خاص في مدينة (حمص) وكان إله الجبل يمثل بإله مقرن يرفع يديه إلى الأعلى، ويبدو دالاً على العالم الأسفل من خلال الجبال التي تظهر على تنورته، ولكنه يبدو أيضاً إلهاً للنار من خلال ألسنة اللهب التي تحيط بتنورته.

وقد رمز لهذا الإله بنوع من (الحجر الأسود) في العهود الرومانية في مدينة حمص. وربما لموقع مدينة حمص بين بعلبك وحمه اللتين طغت عليهما عبادة الإله الشمس ”فقد امتزجت عبادته مع عبادة إله الشمس، تماماً كما حصل في بعلبك، جرياً على مذهب التوفيق بين المذهبين وسمي بعدئذ بـ(إله الشمس والجبل)، وإلى هذا الإله انتمى الإمبراطور (إيلاجيل) السوري الأصل معتبراً نفسه كاتم سرّه وخادمه. وبعد أن كرّس عبادته له، أطلق على نفسه اسم (هيلوجيل)“. (دوبون - سومر: 1988: 185).

ونود أن نذكر هنا أن صفات إله الجبل هذا تذكّرنا تماماً بالإله السومري القديم (اليجييل)، وهو إله العالم السفلي الذي أنجبهته الإلهة (نليل من الإله (إنليل) في أسطورة نزولهما إلى العالم الأسفل وكان يمثل النار أيضاً.



إله الجبل

الإله سن:

وهو الإله (سين) إله القمر، وقد اشتهرت عبادته في مكانين بشكل خاص، هما (حرّان) عاصمة آرام فدان ومدينة (النيرب) الواقعة إلى الجنوب الشرقي من حلب، ويرجع تاريخها إلى القرن السابع قبل الميلاد.

وفي مدينة حرّان كان الإله القمر يسمّى بـ(سين) أو (سن) تأثراً بالتراث البابلي الآشوري العريق لهذا الإله الذي كادت عبادته في العصر السومري الحديث أن تكون شاملة وطاغية. ولم تخفت عبادة (سين) عند الأكديين والبابليين والآشوريين بل أصبح هذا الإله من أعظم الآلهة عندهم. وقد كانت له مكانة خاصة عند الآراميين. وكان يذكر دائماً ضمن ثالوثه المعروف والمكون منه ومن زوجته (نيكال) وإبنة (نسكو) إله الضوء والنار. وكانت حرّان قبل الآراميين وبعدهم عريقةً في عبادة إله القمر. وظلّت كذلك حتى القرن الأول من الدولة العباسية الإسلامية.

أما في (النيرب) فيسمّى إله القمر الآرامي بـ(سأهار)، وهذا تأثير كنعانيّ لأنه الإله (شهر) أو (سهر) وهو إله كنعانيّ كان يشير إلى (نجم الصباح)، وهو إله الخير الذي هو ابن (إيل من عشيرة).

وفي كلمة (شهر ما يدل على اتخاذ هذا الإله مصدراً للتقويم وحساب الزمن، رغم أن الإله (يرخ) أو (يرح) يظهر عند الكنعانيين ليشير صراحة إلى الإله القمر الذي هو مصدر التقويم والتاريخ.

وقد عثر في النيرب على مسلّتين الأولى لكاهن (سن زير ابني) وهو كاهن الإله (سأهار) في النيرب، والثانية لكاهن آخر في النيرب هو (أجبار) كاهن (سأهار). ويوضّح النص الثاني وظيفة الإله سأهار في إطالة العمر والسعادة والشهرة ورعايته لروح الميت، وكيف أنه يريه ماذا يفعل أهله بعد موته. وقد جاء في النص:

”إنها صورة أجبار كاهن الرب سأهار في النيرب. نظراً للعدالة، التي حققتها في حياتي، كافأني سأهار بأن وهبني شهرةً واسعة ومدّ في عمري. وفي اليوم الذي متّ فيه، توقف فمي عن النطق، غير أنني كنتُ أرى بعينيّ كيف بكاني الجميع وناحوا عليّ كثيراً بمن فيهم الأطفال، الذين انحدروا من صليبي حتى الدرجة الرابعة، ومع ذلك لم يضعوا معي في القبر أي أشياء لازمة مثل

النقود والبرونز والطعام، عدا ثوبي الذي ألبسوني إياه قبل وفاتي، حتى لا يفسد مرقدي الأخير. وليعلم الجميع، إن كل من يسيء إليّ ولسمعتي فإن الآلهة: ساهار ونيكال ونوسكو له بالمرصاد وسيميتونه شرّ ميته مع ذريته“. (دوبون - سومر 1988: 190).

كان هذا الثالوث الإلهي معنياً بنور الليل، بينما كان الإله (شمش) والإله (يوم معنيان بضوء النهار).

الإله مردك:

وهو الإله البابلي المعروف (مردوخ)، الذي كان بمثابة ملك الآلهة وسيدها في البانثيون البابلي، وهو الإله القومي للبابليين، وهو إله خالق، وإله كوكب المشتري وقد ظهر عند الآراميين كإله كوكبي باسم (مردك) وفقد صفاته الأخرى، وحافظ على عائلته التي كانت في البانثيون البابلي زوجته (صربانيت) وابنه (نبو) إله الحكمة. فقد ظهرت في البانثيون الآرامي عائلته المكوّنة من زوجته باسم (زرفته) أو (زرفته)، وهو تصحيف آرامي للاسم البابلي (صربانيت) الذي يعني اسمها (اللامعة أو الفضة اللامعة أو المضيئة) وهي مختصة بشؤون الحمل والولادة: أما إنه فقد ظهر باسم (نبا) أو (نبو)، وهو إله الحكمة والمعرفة والكتابة وحامي الأدباء، ويشير إلى كوكب عطارد.

وقد بلغت أقصى قدسية للإله (نبو) عند الكلدانيين (وهم أبناء عمومة مع الآراميين)، فقد كانوا يسمون به أسماءهم مثل (نوبلاصر، نبوخذ نصر... إلخ). رغم أن الآشوريين أعطوه هذه المكانة نفسها من قبلهم.. وقد حاول الكلدانيون في العصر البابلي الحديث وضعه ملكاً على جميع الآلهة، لكنهم لم يستطيعوا من تحقيق ذلك أمام سطوة الإله (مردوخ). وكانت زوجة (نبا) الآرامي هي (تشمث)، وهو اسم زوجة (نبو) البابلي (تشمثو) نفسها التي يمكن أن تكون إلهة الكتابة والشرائع واشتهرت كذلك بالهة مردك وزرفته ونبا.

الإلهة سبت:

وهي مجموعة من النجوم السبعة التي تعرف بـ(ثريا) وهي (نجوم الثريا المعروفة)، وتسمى أيضاً عند الآراميين بـ(سبتي).

ويبدو أن الآلهة السبعة (سبتيو) كانت على نوعين في تراثها الأكدي القديم، الأول علوي وهي آلهة سماوية طيبة تمثلها نجوم الثريا السبعة، والثاني سفلي وهي آلهة أرضية شريرة وهم مساعدو إله الأمراض (إرا).

وفي المثلوجيا الآرامية تمثل (سبت) كواكب الثريا السبع وتعني كلمة (سبت) سبعة. وهي آلهة مضيئة خيرة.

3. مجموعة آلهة النار والنور: وهي الآلهة التالية:

نر: إله النور.

يوم/ إله النهار.

ملقرت: إله النار الذي يعتقد أن أصله عموري (فهو ابن الإله عمورو)، وقد دخل في البانثيون الكنعاني ثم تسرب إلى البانثيون الآرامي. وكان معبوداً بصفة خاصة في مملكة آرام دمشق، حيث وجد له معبد هناك.

ب. آلهة الأرض والعالم الأسفل (آلهة الظلام)

تنقسم هذه الآلهة في حقيقتها إلى ثلاث مجموعات هي:

1. مجموعة آلهة الأرض (آلهة أدمة): وهي آلهة الأرض التي وردت في النصوص الآرامية مثل (أر) و(أرق) والإله (أرض) في حقيقته هو (أرق) ولكن تبديلاً لاحقاً حصل في حرف (ض) وتحوّل إلى حرف (ق). وهي آلهة خصب.
2. مجموعة آلهة العالم الأسفل: وهي آلهة الموت والأمراض والجحيم ويظهر على رأسها الإله (نرجل) وهو إله الأمراض وتذكره النصوص الآرامية على أنه إله (وباء شباط). ويعتقد أنه زوج الإلهة لص (لاصو) أو لات (لاتو)، وهي الإلهة (اللات) التي ستظهر في بانثيون الآلهة العربيّة القديمة، ويعتقد أنها (إيلات) أو (عشيرة) زوجة الإله (إيل)، ولكنها ظهرت هنا إلهة سفلية.
- ويظهر أيضاً الإله (ليل) إله الظلام والليل، وكذلك الإله (رشف)، الذي يظهر في النصوص الآرامية بصيغة (رشف خطر)، وهو الطاعن بالرمح أو الرامي بالصولجان أو المقلاع. يماثل هذا الإله (نرجال)، ومعنى اسمه في الأصل (الوباء) أو (النار) ويظهر كاسم مكان في العهد السلوقي على شكل (أرسوف)، ويظهر في العهد القديم بصيغة النار والمشاعل والشرارات والجوع والوباء على نفس المستوى. (أنظر العهد القديم: المزمير 3: 76، سفر أيوب 7: 5، سفر التثنية 24: 32). واستمرت عبادته في الممالك الآرامية السورية حتى القرن الثامن قبل الميلاد، وهو أحد الآلهة الذين ناصروا الملك (بانامو) كما تذكر ذلك منحوتة زنجري وتسميه الكتابات الفينيقية بأسماء عدّة (رشف الطيور، رشف التيوس، رشف الصاعقة، رشف الفرس) (أنظر أذارد: 1988: 214).
- وهكذا يحاول الإله (رشف) أن يكون مكافئاً سفيراً للإله (حدد من خلال الصفات التي بدأ يمتلكها. يظهر في الآرامية باسم (رشف أرق) أي (رشف الأرض).
3. آلهة الماء والرطوبة: نعتقد أن الأصول العميقة لهذه الآلهة هي الهياكل المائية القديمة، ونحن لا نعرف عنها شيئاً سوى اسمائها وبعض وظائفها، وهي كالآتي:
- أ. معنين: إله عنت الماء وشدته وقوته.
- ب. صو: إله الطوفان والهبجان.
- ج. أنهت (أنحت): وهي إلهة شرقية إيرانية هندية تعنى بالرطوبة والظلام وأصلها (أناهيث).. وكانت بمثابة قرينة إله الخير (أهرامزدا). أما هنا فليس لها وظيفة واضحة.
4. آلهة غامضة: وهي آلهة لا نعرف عنها شيئاً سوى اسمائها أما وظائفها فمجهولة:
- أ. كداه.
- ب. نكر.
- ج. ملس (ملش).
4. الآلهة المزمّنة للكنعانية (الآلهة البعول)
- احتكت الممالك والمدن الآرامية الموجودة في سوريا القديمة، بشكل خاص، بالتراث الديني الكنعاني، واكتسبت منه الكثير من الآلهة والطقوس والعقائد. ويعتبر المعتقد الآرامي هو الامتداد الطبيعي للمعتقد الكنعاني بالرغم من أن المدن الفينيقية كانت أيام الممالك الآرامية هي الوارثة الحقيقية للعبادة الكنعانية الأم. ولذلك كان انصهار المعتقدين الكنعاني والآرامي في بعضهما خلال الألف الأول قبل الميلاد ظاهرة مميزة وواضحة.
- كان زحف الآلهة الكنعانية قد بدأ منذ ظهور الإله (ريل) في البانثيون الآرامي. ولكن صعود الإله الكنعاني (بعل) في الديانة الكنعانية، وظهوره بصفة الإله البطل والقومي والوارث لصفات (إيل) الذي أصبح عجزواً خائر القوى وبعيداً عن الأحداث الإلهية والكونية الكبرى.. جاء هذا

الصعود متزامناً مع الانتعاش الحضاري والسياسي للممالك الآرامية السورية. ولذلك فرض الإله (بعل) نفسه بقوة على المعتقد الآرامي.

وكان الإله الأعظم للآراميين (حدد ما زال في مركزيته وقوته، ولذلك لم يكن هناك من حل سوى اندماج الإله (بعل) الكنعاني مع الإله (حدد) الآرامي في هيئة إله واحد هو (بعل حدد)، خصوصاً أن كليهما يمثل إله طقس، وأن هناك الكثير مما هو مشترك بينهما من رموز وطقوس وصور وأساطير.

ولكننا من أجل توضيح الجذور الحقيقية لهذه العلاقة بين (بعل) و(حدد) واندماجهما معاً، لا بد أن نقول إن الأصل الأول لكليهما لم يكن آرامياً أو كنعانياً بالمعنى الكامل بل رافدينياً. حيث تكمن جذور (حدد) في (أدو) و(أدد) السومري والأكدي. وجذور (بعل) في (بل) أو (مردوخ) البابلي. وكان (أدد) الأكدي مختلفاً عن (بل) البابلي. وهكذا نرى أن كلاهما نما في البداية مختلفاً عن الآخر، حيث ظهر (حدد) كإله قومي للآراميين، وأكد صفاته الطقسية في الوقت نفسه. أما الإله (بل) فقد ظهر إلهاً قومياً للكنعانيين كـ (بعل) وتركزت صفاته الطقسية، إذ تراجعت صفاته الخالقة والكوينية في البداية، ولكنه عاد واكتسبها بعد فترة من الزمن، عندما تراجع أمامه الإله (إيل).

ولذلك نرى أن اتحاد الإله (حدد مع (بعل) لم يكن قديماً بل جاء بعد اقتراب الممالك الآرامية من المدن الكنعانية، ومهدت لذلك صفاتها الطقسية المشتركة. واستمر هذا الاتحاد حتى مطلع القرون الميلادية الأولى حتى ترسخ في الفترتين الهيلنستية والرومانية، كما سنرى ذلك. ورغم أن الحياة السياسية للآراميين اختفت في منتصف القرن السادس قبل الميلاد.. لكن ظهور اللغة الآرامية كورثة للغات السامية القديمة حولت الأساطير الكنعانية والكلدانية وغيرها إلى الآرامية وصارت وكأنها آرامية المبنى والمعنى.

ولكننا، مع ذلك، ومن أجل الدقة، لن نتناول أساطير (بعل) التي وردت في التراث واللغة الكنعانية على أنها أساطير آرامية تمثل (بعل حدد).

إذن في هذه المرحلة تبلورت شخصية (حدد) في شكل (بعل حدد)، الجدير بالدراسة والتحليل هنا على أساس اتصال التراثين الآرامي والكنعاني.

في البداية نقول إن معنى جذري الاسمين في اللغة العربية (التي هي وريثة الآرامية واللغات السامية كلها مختلف تماماً).

فـ (بعل) تعني في العربية والسامية والآرامية السيد أو المالك أو الزوج، و(حدد) تعني في الآرامية من حد الواحد أو الأحد، وفي العربية من حد وهو الفصل بين شيئين أو جعل الشيء حاداً أي قاطعاً أو مدبباً. أما (هدد) فمن هد الذي يعني كسر ودمر والهاد هو صوت البحر وصوت الرعد والهدد هو الصوت الغليظ.

وإذا كان (بعل) هو الزواج والتملك واتحاد الأشياء، فإن (حدد) أو (هدد) هو فصل الأشياء وقطعها وإبعادها عن بعضها وصوت تكسرها وهديرها.

وهكذا اجتمعت في شخصية الإله (بعل حدد) اللين والقوة، الوصل والفصل، الحياة والموت. وهذا يعني تحوُّلاً باتجاه الشمول والكلية حيث اجتماع المتناقضات الكبرى.

ومما يؤكد ذلك أن النصوص الأوغاريتية (الكنعانية) تُلَقَّبُ الإله (بعل) بلقب (ألين)، وهو مجرد لقب للإله ولا يعني اسماً لإله آخر، وربما كان مشتقاً من جذر الكلمة (ل. أ. ي) التي تؤدي معنى العظمة والقوة، وبشكل مواز للكلمة يظهر اللقب (أ. ل. ي. ق. ر. د. م) في النصوص مرتين ويعني أقوى الأبطال (أنظر أوزار: 1988: 183).

ويلقب (بعل) أيضاً بالأمير (ذ. ب. ل) وأمير الأرض وسيدها. وهذا يعني أن اللين والذبول من صفات (بعل).

زلطم صفتن حرة كثل (علي) و(أ. ل. ي) ترتبط به، ونقرأ في كتاب المزامير التوراتي ظهور كلمة (بعل عليون)، وتظهر بعض المزامير أن كلمة (ج. م. ر مساوية لكلمة علي، ولا ترد هذه الكلمة العبرية في مواضع أخرى من الكتاب المقدس، غير أن الاسم (جمر هدد معروف جيداً في نصوص أوغاريت على أنه لقب من ألقاب الإله (بعل). ولذا يعتقد أن (جمر هدد) و(جمر علي) اسمان مختلفان لمسمى واحد هو الإله (بعل) (أدزارد 1988: 184).

وهكذا بدأت صفات الإله (بعل) تقترب من صفات الإله (حدد)، خصوصاً بعد حلول الإله (بعل مكان أبيه الإله (إيل)، وظهوره بصفة المخلص الدوري من الإله (موت) إله القحط والجفاف. وارتبطت صفاتهما واسماؤهما ورموزهما، فأصبح الثور الذي كان رمز إله الطقس الرافديني هو حيوان (بعل) و(حدد) و(بعل حدد)، والثور له صفة إخصابية عالية كما أنه يحمل معنى القوة بجسده وقرنيه وقوة خواره الهادر.

وإذا كان الإله (بعل) قد وجد له بيتاً على جبل صفن أو على جبل الأقرع شمال أوغاريت "50 كم"، فإن (حدد) كان مكانه في السماء، إلا أنه أصبح بعد ذلك يحتل أماكن أرضية في دمشق (بعل ريمون) أو الجبل (بعل صمد). إن أساطير (بعل) التي أصبحت بعد ذلك تنسب لـ (بعل حدد معروفة وهي:

1. أسطورة انتصار بعل على الإله (يم).

2. أسطورة بناء قصر بعل.

3. أسطورة صراع بعل وموت (العود الأبدى لبعل).

ولا نريد هنا أن نتوسّع في شرح وتحليل هذه الأساطير التي عملنا على شرحها وتحليلها بشكل مفصل في كتابنا (الدين الكنعاني)، ولكننا نودّ أن نشير إلى أن هذه الأساطير الكنعانية للإله (حدد) هي أساطير مكتسبة بفعل اتحاد (حدد مع (بعل) وليست أساطير (حدد) الآرامي القديم.

كذلك لا بد أن نشير إلى أن هذه الأساطير، هي التي غطت أو طغت أو حذفت تلك الأساطير الآرامية القديمة للإله (حدد)، ولذلك نتجنّب ذكرها هنا. وقد نبذوا هنا مخالفين لآراء الكثير من الباحثين والكتاب الذين بحثوا في هذا الموضوع، فنحن نرى هذا الموضوع من غير الزاوية التي يرون، وننقد وجهة نظرهم من منطلق خلط الأوراق وعدم الدقة ومزج التراث القديم بطريقة مشوّهة منطلقين من دوافع غير علمية وأيديولوجية غير ذلك.

ما تبقى لنا الآن هو دراسة الأشكال الآرامية للإله (بعل حدد) التي ظهرت في المدن والممالك الآرامية السورية بشكل خاص، وهي كما يلي:

1. **بعل خمّن**: وهو إله يادي (شمال) ويمكن أن يعني الإله الغاضب، وقد يكون اسمه (بعل حمون) حيث إن (خمّن) تعني الغضب.

2. **بعل حامان**: وهو إله قد يتطابق مع الإله السابق حتى في اللفظ، ولكنه يعني إله النار أو الإله الحامي، وقد اتخذه الملك الآرامي في شمال (باماخ) واسمه الإله (حمان) وقد يكون إله الأمانوس وهي جبال تقع في مدينة (زنجري) على سفوحها، ويذكر الإله (بعل حمون) في المثلولوجيا القرطاجية البونوية كإله عظيم وقويّ.

3. **بعل صمد (بعل سميد)**: وهو الإله الذي اختاره في مملكة سمأل الملك (كيلامو)، وأنه إله جبار، وقد يكون معناه (سيد العبيد) أو شيخ الجبل.

4. **بعل شميين**: ويعني بعل السماء (بعل شميم)، وهو إله كنعانيّ فينيقيّ، ونرى أنه كان في أصوله الكنعانيّة القديمة أو البعيدة إلهاً قديماً عريقاً هو (شم محيط السماء الذي انبثق عن المحيط السماويّ الأرضيّ ثمثم أو شتمتم)، والذي تحول إلى الإله (شامّيم) أو (شميم) إله السماء، والإلهة (أديم) إلهة الأرض. ومن تزواجهما ظهر الإله (إيل).

وقد استعيد ولصق بالإله (بعل) عند صعود الإله (بعل) البطولي بعد الإله (إيل)، وأصبح الإله (بعل) إله السماوات من خلال (بعل شميين) واستعار البانثيون الآراميّ هذا الإله أيضاً. ولذلك اختلط اسم هذا الإله في بعض الأنصاب ومنها نصب ذكير (زاكير) الذي يقارنه بـ(الور)، وهو الاسم القديم للإله (حدد).

وبسبب سلب هذه العرافة وشحنها بالصفة الجديدة للإله (بعل حدد)، بقي اسم هذا الإله حتى العصر السلوقيّ حيث انتشرت عبادته، وعثر في كتابات تذكره في حوران وتدمر في معبد يعود تاريخه إلى سنة (131م)، وقد عثر فيه على مشاهد منحوتة للإله نفسه أيضاً. وفي دورا (كتابة نذريّة من العام 32م) وفي كل مناطق الشمال الرافدينيّ. ويذكر إسحاق الانطاكيّ (من القرن الخامس الميلاديّ) أن عبادة (بعل شميم) كانت منتشرة في (إديسا) ويعني الاسم (سيّد السماء)، وكان فيلون الجبيليّ يضع اسمه إلى جانب زيوس على رأس قائمة الآلهة (أنظر أذارد 1988: 203).

وهكذا نرى أن هذا الإله الكنعانيّ العريق اكتسب صفات فينيقيّة آراميّة واستمرّ في صورة سريانيّة وهيلينستيّة واضحة.

5. **بعل ريمون**: وهو شكل آخر من أشكال (بعل حدد) الذي عبد في دمشق إبان مملكة آرام دمشق العريقة. وكان يُدعى أيضاً (طاب ريمون) أي (ريمون الطيّب). وتعني كلمة ريمون (العاصفة أو الرعد) ولها علاقة بالفعل رمى، وقد تكون هذه الكلمة هي الجذر الآراميّ لكلمة (رحمان)، فالرحمان هو الغاضب الجبار القويّ وهي عكس معنى كلمة (رحيم)، أي المشفق اللين العطوف. وقد يكون جمعهما في اسم واحد دالاً على القوة والعطف وهي من صفات (بعل حدد). وكل هذا له علاقة بالفعل الآراميّ (رحم) الذي يعني شفق، والاسم العربيّ (رحم) الذي هو عضو الأنثى الذي تتم فيه الخليقة ومنه الولادة، ويعني أيضاً الصلة. والرحم قدر ما هو صلة، فهو فصل أيضاً عند الولادة، وفي هذا ما يشير أيضاً إلى الاتصال والانفصال، والقوة واللين معاً.

وفي دمشق بني لهذا الإله معبد كبير، أعيد تشييده في العهد الرومانيّ، وبني على أنقاضه الجامع الكبير (الأموي) في دمشق، وكان أيضاً مكاناً لعبادة زوجة هذا الإله (عتر). وكان اسم المعبد (بيت رمون). وفي داخله هيكل عجيب الطراز صارت له شهرة واسعة.

ويروى عن (أحاز ملك (يهودا)، أنه عندما كان تابعاً للملك الآشوريّ (تغلات بلاصر الثالث)، زار دمشق واقتبس طراز هذا الهيكل وهندسة بنائه، وحين عاد إلى القدس (أورشليم) بنى هيكلًا مشابهًا له تمامًا في معبد القدس المشهور، مكان الهيكل القديم (أنظر دوبون - سومر 1988: 186).



بعل حدد في صورة العجل أو الثور بعل في صورته
التقليدية عند الكنعانيين والآراميين

6. هناك آلهة بعول أخرى ذكرت في النصوص الآرامية، كان أغلبها يشير إلى (بعل حدد). لكن بعضها لا يشير إلى ذلك مطلقاً مثل بعل بيت (بعل بت)، الذي كان يشير إلى (راكب إيل) وهو سيد البيت، وقد رأينا أنه حوذي الإله (إيل). وكذلك (بعل حرّان) الذي كان يشير إلى الإله (ساهر) أو (سين) في حرّان وهو إله القمر، ولا يشير إلى (بعل حدد مطلقاً).

”بعد انتصار بعل وسيادته التدريجية على مقدرات الكون بدلاً من إيل أصبحت مظاهر الكون كلها بعلية، وتحوّلت المدن والأماكن كلها لصالح بعل.. وأصبح كل شيء إما شكلاً من أشكال بعل أو ابناً له، والدليل على ذلك وجود بعول المدن والأماكن، وبعول الصفات، ومنها بعل أدير أو القدير، وبعل قرنيم، أي ذو القرنين، وبعول الصناعة وأغلبها آلهة تابعة للإله بعل، وهي تعمل بمثابة الخدم له ومنها كوثر وخسيس وهما إلهما الفنون والحرف، وإلش منزل المطر، وهو بخار بعل، وجفن إله الكروم، ورسول بعل وآجر وهو إله الأرض الزراعية، والإله عليون الذي ارتبط اسمه بالحدادة، رغم أن عليون كان أحد أسماء إيل، ويعني اسمه الأكثر علواً. وبعول الكواكب، مثل: عجل بعل إله القمر، وملك بعل إله الشمس. وبعول النار، مثل رشف، والإله حموت إله المبخار، والإله بعل حارات إله الثأر. والثالوث الأول لبنات بعل: وهن الإلهات اللواتي ارتبطن بالزراعة البعلية (المطرية). والثالوث الثاني لبنات بعل: وهن الإلهات اللواتي ارتبطن بمظاهر الكون الكبرى، مثل أرضاي إلهة الأرض، وبدراي إله البدر أو القمر، وطلاي إلهة الندى أو الطل الذي يسقط فجراً على النباتات في الصيف“. (حمود: 2014: 58 - 59).

المبحث الثالث: الطقوس والشعائر الآرامية

1. الشعائر اليومية

1. الصلاة: كانت الصلاة طقساً أساسياً من الطقوس الآرامية، وكانت تؤدى بمختلف الطرق وكانت تُسمى بالآرامية (صلاة) وفعل (صلي) يعني (صلى). كانت الصلاة تؤدى في المعبد تبركاً، فقد كان معبد عين دارا مجهزاً بحوض الاغتسال والتطهر، وهذا يعني أن الاغتسال أو التطهر كان ملزماً قبل الدخول إلى المعبد والصلاة فيه. وكذلك كان يرافق الصلاة في المعبد نوع من الطقوس التي تُشعر المتعبّد بالهيبة والترثت والوقار، مثل وجود شكل القدمين على بلاطة الدخول حيث يتوجّب الوقوف والترثت والدعاء، ثم شكل القدم اليسرى على البلاطة التالية لتشير إلى تقديم القدم اليسرى أولاً ثم الدخول إلى مدخل الهيكل. وبعد مسافة تلي الدرج هناك بلاطة منقوش عليها شكل القدم اليمنى، حيث يتوجّب تقديم القدم اليمنى ثم الدخول إلى حرم الصلاة. وفي حرم الصلاة (المصلى) كانت تجري الصلاة جماعية أو مفردة أمام محراب واضح على الجدار الأمامي.

وكانت الصلاة تؤدى على أرواح الموتى أيضاً في المعابد كي تستريح تلك الأرواح، فمثلاً نجد الملك (بانامو الأول من مملكة (سمأل)، الذي شيّد معبداً ونقش عليه كتابات تقول "لقد شيّد هذا المعبد ونصب في داخله تمثالاً للإله (حدد)، قام بكل ذلك (بانامو بن قرل ملك (يؤودي). وأصدر تعليماته إلى من سيخلفه على العرش من أبنائه بعد موته، أن يصلي في هذا المعبد من أجل، وأن يقدم القرابين إلى الرب (حدد) وأن يقرّ بمقدرته على قبض روح باناموا" (دوبون - سومر 1998: 191)

ويبدو من هذا النص أن الصلاة تريح روح الميت في العالم الأسفل، وكان هذا تقليد يسري بين الملوك في الممالك الآرامية.

2. الدعوات والتراتيل:

كانت الدعوات المكتوبة على شواهد القبور والأحجار والنصب، تشير إلى نوع من الشعائر والتقاليد المتداولة عند الآراميين. وكانت هذه الدعوات تسمى بأسماء مختلفة مثل (حلمة الفم) أو (كلمات لحيات) أي اللعنات أو كلمة عمل (أي كلام الغضب). فمن كلمة الفم نأخذ هذا المقطع من نص آرامي من مملكة بيت بحيانى من كتابة منقوشة على تمثال الملك (هدد يسعى) المنحوت من الحجر البازلتى:

"لتطول حياته، ولتستجاب كلمة فمه (أي دعواته من الآلهة والبشر، وطيوا الدمية التي صنعت ونصبت قدام الخالد، قدام هدد، المقيم من سيكاني، سيد الخابور، حيث نصب صنمه هناك. ومن يحي اسمي من ماعوني.. الذي في بيت هدد سيدي سيدي هدد! خبزه وماؤه لا تستقبل من يده. سول سيدي! خبزه وماؤه، لا تستقبلي من يده، ولو زرع فلا يحصد، وألف من الشعير ليزرع، حفنة ليجنى منه.. ومئة شاة ليرضعن خروفاً ولا يرتوي، ومئة بقرة لترضعن عجلًا ولا يرتوي.. ومئة نسوة ليرضعن غلاماً ولا يرتوي ومئة نسوة ليرضعن بالتنور خبزاً ولا يملننه.. ومن القلة ليلتقط الناس الشعر ليأكلوه.. ووباء شباط الذي ليرجال لا يبرح بلاده". (أبو عساف 1988: 92 - 93)

وفي نص آخر هو عبارة عن معاهدة بين (برجاية ملك (كتك) و(متع إيل ملك (أرفاد) على حجر بازلتوي هرمي الشكل، ارتفاعه نحو متر وربع المتر. يذكر النص طبيعة المعاهدة أمام الآلهة، والتحالف بين الملكين وأبنائهما وأحفادهما، ثم يذكر أن كل من لا يحترم ما ورد في هذه المعاهدة، فإن اللعنات ستقع عليه. وهذه اللعنات هي:

”شاة ولا تحمل وسبع مرضعات يمسن ثديهن ويرضعن غلاماً ولا يشبع.. وسبع أفراس يرضعن مهراً ولا يشبع، وسبع بقرات يرضعن عجلاً ولا يشبع، وسبع شياه يرضعن خروفاً ولا يشبع.. وسبع دجاجات يخرجن لبيحث عن الطعام ولا تجده.. وإذا نقض العهد متع إيل مع برجاية ومع أبنائه ومع ذريته تصبح مملكته كمملكة الرمال، ومملكة الأحلام التي تحكمها أشور. كلمات لحيات = اللعنات على الأرض والسما، وكلام الغضب.

وينزل على أرفاد (حجارة) البرد (أي حب الغمام)، وسبع سنين يأكل الجراد وسبع سنين تأكل الديدان وسبع سنين يسكن التوي (هلاك المال) على سطح أرضها فلا ينبت الأخضر ولا يظهر الورق ولا أحد يرى مراعيها، ولا يسمع صوت الكناري بأرفاد.“ (أبو عساف 1988: 99 - 100). أما التزاتيل فكانت ذات طبيعة ابتهالية موجهة للآلهة، ومضمونها توسلي ولأغراض إنزال الرحمة والخصب والتقرب من الآلهة.

3. تقديم التماثيل:

كان التمثال بالآرامية يُسمى بأسماء عدة هي:

1. دموتا: دمية وهي للملوك والأمراء والناس، ويُسمى أيضاً دموة.

2. صلم: صنم وهو للآلهة.

3. مشكي: وهو تمثال صنم يوضع فيه أو عليه المصباح.

وكان صنع التماثيل والأصنام وتقديمها إلى المعبد طقساً من طقوس التقدّمات والنذور والهدايا للمعبد.

وكان الصنم المقدم ينقش عادةً بنص يوضح اسم الإله وأحياناً اسم من يُقدّم هذا للإله.

4. القرابين:

كان القرابين يُسمى بالآرامية (قربن)، وكان يُقدّم إلى الآلهة نذراً أو تقدمة. ولكننا لا نعرف على وجه الدقة ما نوع الحيوانات التي كانت تقدم كنذور، وما هي الحيوانات المحرّم تقديمها. كذلك يصعب علينا معرفة وجود القرابين النباتية والبشرية من عدم وجودها. وكان وعاء الأضاحي يُسمى الدورق (أدقور)، وهو وعاء لرش السائل أو الماء. وهناك أيضاً المجامر التي كانت ترافق تقديم القرابين والأضاحي.

2. الشعائر الدورية

”إن أعياد الآراميين كانت ذات طابع عملي أكثر، حيث توجهت نحو الإنتاج وبذر الأرض والحصاد. وإذا ما قارنا ذلك مع الأمثال والحكم التي كان يطلقها الحكيم الآرامي أحيقار في أدبياته عن أهمية الزراعة والعمل، وحته لإبنه، ومن خلاله لكل أفراد المجتمع، على العمل والعتاء في الزراعة وفي كل شيء، (بني أحصد أي حصاد، أعمل أي عمل، عندئذ سوف تأكل وتشبع وتعطي لأولادك)، تجعلنا ندرك عملاية المجتمع الآرامي وجديته، ونفهم لماذا بقيت عناصر حضارتهم طويلاً، ووصلت إلى أبعد الأطراف، رغم الضعف السياسي الذي لازمهم طيلة تاريخهم تقريباً. لكن اقتصار الآراميين على احتفالات بعينها ذات طابع إنتاجي، قد لا يعني تخلي هؤلاء عن آلهتهم، واقتنائهم أثر الحياة الدنيا، بل يعني أن العمل لديهم هو العبادة، ومن يعمل ويتقن عمله جيداً، وينتج كثيراً ينل مرضاة الآلهة.“ (حمود: 2014: 334 - 335).

المبحث الرابع: نهايات وأخرويّات الإنسان

تحدّثنا عن عقائد الموت والعالم الآخر، وسنستعرض ما تيسّر من معلومات حول الطقوس الآرامية الخاصة بالموت.

كانت القبور الآرامية قبوراً عادية، فهي حفر داخل الأرض توضع فيها جثة الميت (عرضه). وكان الميت يُلبّس ثوباً أو ربما كان كفنّاً ويُغسل، ويوضع في تابوت (أرصه). وكان يوضع على القبر شهادة (سلم)، يكتب عليها أحياناً اسم الميت. أما عند الملوك، فقد كانت الشهادة تتضمن معلومات عن الملك، وكانت تحتوي بعض نصوص اللعنات كما أسلفنا.

ويبدو أن النواح والعيول كان يُقام من قبل عائلة الميت، ويشارك فيه الجميع حتى الأطفال، إذ يذكر نص مكتوب على مسلة جنازية تمثل الكاهن (أجبار)، عثر عليها في (النيرب) قرب حلب، ويبلغ طولها نحو المتر. وتتألف من نص آرامي بعشرة أسطر، وتحتها مشهد مائدة، حيث يجلس الكاهن ويبيده إناء وأمامه المائدة التي تحتوي على بعض الأطعمة، ويقف أمام المائدة من الجانب الآخر خادم الكاهن الذي يحمل مروحةً يرفعها باتجاه الكاهن. وهذه المسلة محفوظة في متحف اللوفر، وفي ما يلي ترجمة حرفية للنص الموجود على المسلة:

”التي لـ (أجبار) أكبر كاهن شهر بالنيرب هذه صلمته (شاهدته) لصدقي قدامه اسماني طيباً وأطال أيامي (حياتي) وبيوم مماتي فمي لم ينقطع عن الكلام وبعين رأيت أنا أبناء الربع (العشيرة) يبكوني. وهم مهمومون ولم يضعوا معي ماعوناً فصيلاً أو نحاسياً بلباسي سرجوني حتى لا تنقل في المستقبل جثتي من أنت (يامن) تستولي وتنقلني.. شهر ونكال ونسكو يجعلون صيته رخيصة وتباد سلالته“. (أبو عساف 1988: 112 - 113).

وتوضح لنا ترجمة أخرى للنص قام به دوبون سومر وترجمها ناظم الجندي، أن الكاهن أجبار كان ”يتباهى ويفخر بذلك العويل والنواح، اللذين يرافقان جنازته مع المراسم الرسمية، حسب الطقوس القديمة. وصورته المنقوشة على المسلة يظهر فيها جالساً وأمامه منصة جميلة في صنعها وزخرفتها وهو يتعاطى الشراب بينما يقف أمامه أحد أبنائه وهو يُقدّم إليه القرابين الجنازيتين، التي إليها يرجع الفضل في تخليد الفقيده في الحياة الآخرة المكتتفة بالأسرار والغموض“. (دوبون - سومر 1988: 191).

وفي جميع الأحوال كانت الطقوس المرافقة للوفاة من الغسل والدفن والصلاة والبكاء وغيرها لا تختلف بصورة عامة عن الطقوس السامية في هذا المجال ولا بما هو خاص ومتوارث عند الآراميين حصراً.



مسلة جنازية تمثل الكاهن أجبار عثر عليها في النيرب قرب حلب

الباب الرابع الأديان المشرقيّة القديمة المتأخّرة



ثالوث العبادة النبطية (الآت، العُزى، مناة)

الفصل الأول أديان الشام القديمة المتأخرة



الإلهة الشامية أترغاتس، وديونسيوس



المبحث الأول: عمّون (1000 - 600) ق.م.

مقدمة تاريخية: ثلاث ممالك قديمة تلد ثلاث ممالك جديدة

مع مجيء العصر الحجري النحاسي في الأردن كانت التجمّعات البشريّة المحلية قد شكّلت نمطاً من الثقافة المتطورة أهلّتها للدخول في عمليّات تعدين النحاس وتطويره وإدخاله في الصناعات البدائيّة. وكان الغسوليّون هم أبرز من ظهر في هذه المرحلة. وحين قدم العصر البرونزي كانت المجموعات الكنعانيّة التي اجتاحت الأراضي الشاميّة في العصر النحاسي قد استقرّ بعضها في مناطق أردنيّة هنا وهناك. ولا نستطيع أن نتوسّع في موضوع الكنعانيّين في الأردن لأن الأدلة الآثاريّة ما زالت قليلة، إلا أنّه من المؤكّد أن ثقافة الكنعانيّين في عموم منطقة الشام كانت قد بدأت بالدخول والتأثير في الحياة الاجتماعيّة والدينيّة لأقوام الأردن.

لكن الأقوام الأموريّة (وهم أصل الكنعانيّين والأشدّ منهم بداءة) بدأت بالتدفق إلى الأرض وشكّلت، مع الوقت، مدناً وممالك صغيرة وصرنا نلمح ممالك سياسيّة قوية في نهاية الألف الثاني ق.م. وهي ممالك باشان وحشبون. وباشان أرض سكنها الرفائيّون والكنعانيّون وكانت قبلهم أرضاً كنعانيّة شرق الأردن بين جبلي جرمود وجلعاد، وتحدها شمالاً أرض دمشق وشرقاً بادية سوريا وجنوباً أرض جلعاد وغرباً غور الأردن وقد قام موسى بطرد الرفائيّين واحتلّ باشان، وكان يسكن معهم الجشوريّون والمعكيّون الذين بقوا فيها (وهم من الكنعانيّين أصلاً) وكان المؤابيّون يسمّون الرفائيّين بـ(الأميين).

أما حشبون فأرض ملكها المؤابيّون لكن سيحون ملك الأموريّين استولى عليها مع كل أرض المؤابيين. واتخذ حشبون عاصمة له.

كذلك تظهر القبائل الأموريّة المسماة بـ(العماليق) في جنوب غرب الأردن، ويتضح لنا أن هذا الاختلاط الكنعانيّ الأموريّ مع الأقوام المحليّة في الأردن من غسوليين ويرموكيّين كان يمهّد الطريق لظهور حياة سياسيّة وحضاريّة وثقافيّة أردنيّة جديدة تمثّلت في الممالك الثلاث (عمّون وموآب وأدوم).

قبل ظهور هذه الممالك الثلاث ظهرت مقاطعات أو ممالك ثلاث عموريّة هي باشان وحشبون وسعير. وسبقت هذه الممالك جميعاً ظهور الأقوام البدويّة العموريّة والكنعانيّة. ومنها في الأردن قبائل الشوتو (Sheth) العليا شمال الأردن والشوتو السفلى وسط الأرض وقبائل الكوشو (-Kus hu) أو الكوشان (Kushan) في جنوب الأردن.



خريطة الأردن في العصر البرونزي المتأخر (الشمال: باشان وعمّون، الوسط حشبون ومؤاب، الجنوب سعيّر وأدوم)



خريطة الأردن في العصر البرونزي المتوسط (الشمال: شوتو العليا، الوسط: شوتو السفلى، الجنوب: كوشو - كوشان)

وهكذا بدأ المسرح يتهيأ، مع نهاية العصر البرونزي المتأخر، للممالك الأردنيّة الثلاث (عمّون ومؤاب وأدوم) وكانت تتاخمها ممالك باشان وحشبون وسعيّر. ثم اختفت الممالك الثلاث (باشان وحشبون وسعيّر) وظهرت مع بداية العصر الحديديّ ممالك (عمون ومؤاب وأدوم) قوية. وقد هضمت التراث الثقافيّ السابق المنحدر من النيوليت والكالكويت والمشعب بثقافات كنعانيّة وعموريّة مختلفة.

تاريخ عمّون

”كانت منطقة عمّان مسكونة بالناس منذ العصر الحجريّ القديم حيث استعمل الإنسان فيها أدواته الحجريّة الأولى في الصيد وإشعال النار. وظهرت الأنصاب في هذه المنطقة كنوع من الديانة الميغاليثيّة فقد كان هناك نصب حجريّ ضخم يرتفع إلى السطح الهابط من جبل القصور إلى وادي الحدادة أزالته الأبنية الحديثة بعد سنة 1950، وكانت هناك الكثير منها مع مطلع القرن العشرين كما وصفها الرحالة“ (العبادي 1971: 6).

وقد تحدّثنا عن الأنصاب سابقاً فهي بداية ظهور ما أصبح يُسمّى لاحقاً بـ(هياكل العراء)، حيث كانت هذه الأحجار أولى الأصنام التي عبت. وقد تكون أيضاً مدافن كبرى مقدّسة بسبب دفن كبار القوم، حيث كان تحفّز هذه العقيدة عقيدة متساوقة معها هي عبادة الجماجم.

وفي كلتا الحالتين فقد أقيمت هذه الأنصاب لتكون "مقادس أو هياكل لمظاهر الطبيعة كالشمس والماء والشجر. وقد أقيم أكثرها على مشارف الجبال أو عند عيون الماء أو أشجار الغابات. هنا كان الكهنة يقيمون الشعائر الدينيّة ويذبحون الضحايا التي تسيل دماؤها في الحفر والآبار لتشربها الآلهة السفلى أو يحرقونها لتستنشق روائحها الآلهة العليا. وقد وجدت حولها بعض الجرار التي كانت توضع فيها رفات الموتى بعد إحراقها، وفي بعض الأحيان وجدت في القبور تماثيل آلهة صغيرة لم يرسم عليها شكل ولم تحفر عليها كتابة". (العبادي 1971: 7 - 8).

ومجيء الميزوليت ظهرت الثقافة الكباريّة ثم النطوفيّة وتهياً للإنسان للزراعة ونشوء القرى الزراعيّة وظهر الفخّار والصوامع التي نشاهدها شمال غربي الدوار الرابع في جبل عمان، وكانت مساكن ومعابد ومقابر في الوقت نفسه. ومع مجيء العصر الحجريّ النحاسيّ صنع الإنسان أدواته من النحاس والقصدير. وفي نهاية هذا العصر قدمت أقوام غريبة إلى عمّان وظلت الحياة رتيبة حتى قدم الرعاة الهكسوس إلى عمّان بعد أن طردهم المصريّون من بلدهم ونقلوا معهم نوااميس حضارتهم مثل العربة والحصان والآلهة وفنون القتال الجديدة.

والهكسوس هم رعاة ساميون سكنوا أولاً في مناطق الشام وأهم مناطقهم هناك كانت (شكيم وأريحا وقطنا وشاروهين). وكان المصريّون يسمّونهم الـ (شاسو) أي البدو. وقد عرفت دولتهم بدولة البدو. وكان العرب يسمّونهم (العمالقة)، وغزوا مصر السفلى وحكموها زهاء قرنين (1785 - 1580) ق.م. ثم طردهم (أحموسى منها).

عاش الهكسوس بعد طردهم في أريحا أيضاً بالإضافة إلى عمان، وجعلوا منها مدينة جديدة بمعنى الكلمة. ثم أصبحت جنوب سوريا وفلسطين وشرق الأردن تحت سيطرة مصر منذ مجيء تحتمس الثالث (1490 - 1436) ق.م. ثم إنه امنحوتب الثاني لمدة عشرين سنة.

وبقيت هكذا حتى بعد مجيء أخناتون. وكان هناك نفوذ مصريّ خلال حكم صهره توت عنخ آمون. ثم قدم العمالقة (الرفائيون والمزمزيون) ومنهم (عوج بن عناق ملك باشان أي الجولان وهوران) واستقروا في عمّان زمنّاً طويلاً ثم نهض أهل البلاد من العمونيين وحاربوا العمالقة وانتزعوا ما سيطروا عليه.



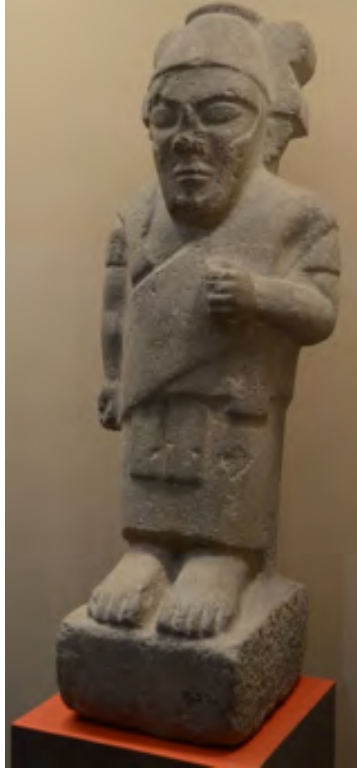
خريطة الأردن القديم في العصر الحديدي
(الشمال: عمّون، الوسط: مؤاب، الجنوب: أدوم)

وربما، في ذلك الوقت، دخل العبريون، وهم قبائل بدويّة صحراويّة متجوّلة، عمّون واختلطوا بمن حولهم من الجبابرة كالأموريين والرفائيين وقلدوهم في عبادتهم وألّوها مظاهر الطبيعة فعبدوا الشمس والقمر والنجوم كما عبدوا كاموش وملكوم وأخذوا يقدّمون لها أولادهم وبناتهم ذبائح في الهيكل. كما أخذوا عبادة عشتروت عن الفينيقيين والبعل عن الكنعانيين وجعلوا البعل المبدأ الفاعل وعشتروت المبدأ القاتل وزعموا أن الآلهة توالتت منهما. ثم انهزموا إلى ما هو الآن الضفة الغربيّة وتجمّعوا بعدها. وأعادوا تقدّمهم نحو عمّون فتماسك العمونيّون وقادهم ملكهم ناحاش إلى يابيش جلعاد (الوادي اليابس) غرب عجلون والتقاهاهم فيها، لكن هؤلاء طلبوا النجدة فانهمزم العمونيّون. (أنظر العبادي 1971: 12).

Map of Ancient Near East



وتتحدث الروايات الدنيية والتاريخية عن العبريين ومحاولتهم احتلال عمّون مرة بعد أخرى، وكان حانون ملكاً على عمّون وبعد جهد استطاعت قواتهم احتلال عمّون. وحاولت عمّون الاستنجاد بالآراميين وبعدها أصبح (شوي ملكاً على عمّون). وتحت كل هذه الظروف من الانتصارات والهزائم كانت عمّون تزدهر وتنمو وكان عمرانها يزداد أوقات السلم. وفي ذلك الوقت العموني الزاهي اتسعت رقعة الإمبراطورية الآشورية وتقدم ملكها (شلمانصر الثاني) إلى سوريا فقابله (بوح العربي) و(رحاب العموني) بجيوش كبيرة متحالفة مع (حدد السوري) وتمكنوا من كسر الجيش الآشوري عام 850 ق.م. ولما توفي (حدد) انهار هذا الحلف وتقدّم (شلمانصر) ثانية بجيوشه واحتل سوريا وعمّون.



ملك عمّون في حدود 750 ق.م.



ملك عمّون: قمثال بحجم 5.6
قدم من العصر الحديديّ

كانت هذه آخر أيام ازدهار عمّون وبزوغها القوميّ حيث انتفضت وأخرجت الآشوريّين من أرضها ولكن (تغلات بلاسر) الآشوريّ فتح عمّون ثانية وأجبر ملكها (سانيو) على دفع الجزية. وتقرّر تعيين حاكم آشوريّ على عمون.

وحين حاول السامريّون الثورة على حكم سنحاريب الآشوريّ عام 705 ق.م. وقف (بديرايل ملك عمّون موقفاً محايداً. فمنحه سنحاريب استقلالاً على بلاده، ولكن عمّون ظلت تدفع الجزية للآشوريّين. وحاولت عمّون إبان حكم آشور بانيبال آخر ملوك آشور الاستقلال لكن جيوش الآشوريّين حاصرتها. وتذكر السجلات أن سبياً عمونيّاً إلى آشور قد حصل سار فيه رجال الذين وكهنة ملكوم في مقدمة الأسرى إلى مدن الآشوريّين. وعيّن آشور بانيبال حاكماً آشورياً على عمّون.

ولما بزغت الدولة الكلدانيّة هاجم نبوخذنصر أورشليم عام 586 ق.م. وحطمها وأسر شعبها وأجلاهم إلى بابل ففرح العمونيون بذلك خوفاً من نبوخذنصر، لكن الملك العمّوني (بعليس) استقبل الثائر (إسماعيل) الذي حاول أن ينتصر لبلاده بوجه الكلدانيّين.

لقد كان سعي دولة عمّون لإقامة دولة كبيرة على أنقاض الممالك الفلسطيّية وغيرها سبباً في قضاء البابليّين عليها وإجلاء أهلها إلى مناطق بعيدة. ولا نكاد نلمح بعد هذا الإجلاء كياناً سياسياً واضحاً لعمّون، خصوصاً أن البدو اجتاحتها، ويمكننا القول إنها انتهت عام 600 ق.م.

ولما سقطت الدولة الكلدانية بأيدي الفرس الذين فكوا أسرى يهوذا في بابل وطلب العمونيون والمؤابيون والفينيقيون والآراميون من الفرس إعادة بناء ما يُعرف بالهيكل فسمح الفرس بذلك، ولكن البناء كان قاصراً فتملأ اليهود وثار (طوبيا) وساعدته عمون وقلته لاجئاً إليها. وعندما اجتاحت الاسكندر الشرق وتوجه لفتح مصر كانت عمون تتمتع باستقلال نسبي.. وكذلك كانت عندما ظهر السلوقيون.. لكن عمون سقطت فريسة البطالمة وكانت عند ذاك منهاراً القوى ومخربة أمام كل هذه المنازعات والمهاترات وأمام ضعف قواها الداخلية. وقاد بطليموس فيلادلفوس (285 - 247) ق.م. الذي احتلها، حملة كبيرة لإعادة بنائها وسماها باسمه (فيلادلفيا) التي كانت واحدة من المدن الهيلنستية في الشرق، حيث ازدهرت فيها الثقافة الإغريقية. وفي عام 218 ق.م. قام أنطيخوس الكبير ملك سوريا بالاستيلاء على عمون وقلعتها واستمر النزاع عليها بين السلوقيين والبطالمة ثم تركها البطالمة ليسيظروا على فلسطين فاحتلها السلوقيون. وفي فلسطين قام يهوذا المكابي بثورة تحريرية من البطالمة وحاول أن يوسع حدود دولته فاحتل عمون وكذلك فعل ابنه. وظهرت في ذلك الوقت دولتان قويتان هما (دولة الأنباط) في الأردن و(دولة اليهودية) في فلسطين وقد تنازعتا طويلاً على أراضي المناطق المحيطة بهما. واستغل الرومان بقيادة بومبي قائد الجيوش هذه النزاعات فدخل القدس وأنهى دولة اليهودية التي احتلها الفرس وقتاً ثم رحلوا.

واستمرت الخلافات بين دولة الأنباط المستقلة نسبياً والرومان في فلسطين. ثم وضعت عمون في طريق الاحتلال الروماني واهتم (بومبي) بالمدن العشر التي أنشأها الإغريق وعمرها وكانت (فيلادلفيا) واحدة منها. وعلى مدى هذه السنين انصهرت في عمان العناصر العربية والرومانية واليونانية فظهرت ثقافة عميقة فيها. وفي عام 31 ق.م. تمكن الرومان نهائياً من انتزاع عمون من أيدي الأنباط. وأصبحت عمون تتمتع باستقلال نسبي واهتم بها كثيراً أباطرة الرومان وخصوصاً الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي بنى فيها هيكل هرقل في القلعة والمدرج الروماني. ومع ظهور المسيحية واضطهاد دعائها، لجأ رجالها الأولون من القدس إلى عمان وبذلك استقبلت عمان الديانة المسيحية في القرن الأول الميلادي من أصولها المباشرة. وعندما أصبحت الديانة الرسمية للدولة البيزنطية، أصبحت عمان مدينة مسيحية تماماً وتنصر أهلها وقدم مسيحيو عمان الشهداء من اجل الديانة المسيحية منهم (اليانور وزينون وديناس) وقد صكّت عملات بيزنطية في هذا العصر وعثر على الكثير منها.

إن أهم المناطق التاريخية في عمان هي: (أم الصوينية) و(الويسية من العصر الحديدي، القويسمة) الرومانية البيزنطية، قصر النواقيس (ضريح النويجيس من أبنية القرن الثالث الميلادي، قلعة عمان، مغارة قاقيش وهيكل هرقل والبرج الجنوبي والمدرج المسرحي والملهي القديم وبقو السيل وسبيل الحوريات وهو حمام روماني).

وفي ما يلي جدول بأسماء ملوك عمون ورد في رسالة ماجستير الباحث الأردني عبد السميع علي أحمد أبو دية عام 1987. وهي أحدث من قائمة وضعها جورج ميلر لاندر عن البرابطة. (أنظر أبو دية 1987).

اسم الملك	الزمن التقريبي لحكمه
1 ناعاش الأول	حوالي 1020 ق.م.
2 ناعاش الثاني	حوالي 990 ق.م.
3 حانون بن ناعاش الثاني	حوالي 980 ق.م.
4 شوبي	حوالي 980 ق.م.
5 روحوبي	قبل عام 853 ق.م.
6 بعاشا	بعد عام 853 ق.م.
7 سانيب	قبل عام 723 ق.م.
8 زاكير	بعد عام 723 ق.م.
9 يراح عازار	قبل عام 701 ق.م.
10 بودئيل	1701 - 670 ق.م.
11 عمينا داب الأول	بعد 670 ق.م.
12 حزال إيل	بعد 667 ق.م. - قبيل 600 ق.م.
13 عمينا داب الثاني	حوالي 600 ق.م.
14 حنان إيل	بعد 600 ق.م. - قبل 582 ق.م.
15 باليس	حوالي 582 ق.م.

جدول لقائمة بأسماء الملوك العمونيين الذين حكموا المملكة العمونية

المثولوجيا العمونية

سرّ عمون:

لكي نمضي بسلاسة في طريق جمع وتحليل المثولوجيا العمونية لا بد من فك سرّ عمّون.. من أين أتت هذه التسمية؟ وهل تخفي وراءها تاريخاً أو آلهة مثولوجية أخرى؟ وسنحاول فك هذه التسمية بعرض مجموعة من الآراء أو النظريات في تسمية عمّون: الرأي الأول توراتي معروف، والرأي الثاني تاريخي، أما الرأي الثالث والرابع فمن اجتراحنا، حيث حاولنا الاهتداء إلى أصل تسمية (عمّون).

1. التسمية التوراتية: تذكر التوراة في (سفر التكوين)؛ أنه بعد كارثة سدوم وعمورة خرج لوط إلى صوغر ثم إلى الجبل هو وابنتاه وأقاما في مغارة "وقالت الكبرى للصغرى إن ابانا شاخ وليس في الأرض رجل يدخل علينا عادة الأرض كلها. تعالي نسقي أبانا خمراً ونضاجعه ونقيم من أبنينا نسلًا. فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة وجاءت الكبرى فضاجعت أباهما ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فلما كان الغد قالت الكبرى للصغرى ها أنا ذا ضاجعت أبي فلنسقه خمراً الليلة أيضاً وتعالي أنت فضاجعيه لنقيم من أبنينا نسلًا. فسقتا أباهما خمراً تلك الليلة أيضاً وقامت الصغرى فضاجعته ولم يعلم بنيامها ولا قيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما. وولدت الكبرى إنبناً وسمّته مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم". (سفر التكوين 19: 31 - 38).

وعلى ذلك تكون تسميته مؤاب من (إبن أب) فتحور وسمي (مؤاب) وتسمية عمّون من (إبن عم) فتحور وأصبح (بنعم) الذي تحول وأصبح (عمون). وتقع هاتان التسميتان في رأينا

ضمن أيديولوجية التسميات التوراتية التي تحاول أن تلتصق بالمدن أو القبائل المضادة لها أو العدو لها أساساً أخلاقية أو روحية مشينة: حيث يرتبط اسم (عمون) هنا بخطيئة أو أكثر من خطيئة، حيث لوط يجرجر معه خطيئة اللواط وابنتاه خطيئة الخمر ثم الزنا بالمحارم. وهذه تستبطن غوراً نفسياً عميقاً عند التوراتيين يحفل بكره مدينة (عمون).. لهذه الأسباب ولغيرها مما نعرفه عن المغالطات التاريخية في التوراة ونؤكد أن هذه التسمية غير صحيحة وتقع في منطقة الخرافة.

2. التسمية الأمورية: يطرح هذا الرأي تسمية تاريخية مرتبطة بالعموريين الذين وفدوا مبكراً إلى عمان وأعطوا اسمهم إلى هذه المدينة. فالعموريون كما يقول لاندز يعود أصلهم "إلى قبيلة من القبائل السامية الشمالية الغربية التي كانت تقيم في شمال البلاد السورية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بديل اكتشاف اسم تلك القبيلة (بن عمون) بين أسماء القبائل التي ظهرت اسمائها مدونة في ما عثر من الكتابات اليوجاريتية". (أبو دية 1978: 4).

وهذا يعني أن (عمون) قبيلة أمورية سكنت سوريا ثم انحدرت إلى منطقة في وسط الأردن سُميت في ما بعد على اسمها (عمون).

وهناك من الباحثين من يرجع اسم العمونيين إلى جد معين "وإذا عرفنا بأن تلك القبائل كانت قد تسمت في معظم الحالات إلى أسماء الجدود أو المؤسسين لها، فإننا نقرب من الحقيقة إذا تجرأنا بالقول بأن العمونيين كانوا يرجعون إلى جد معين، كان اسمه عمي، أو عميا أو عمين وأنهم كانوا يُعرفون بانتمائهم إلى ذلك الجد من الشمال، للتمييز بينهم وبين قبائل مشابهة لهم من حيث الأصل، وبالتالي فإن ذلك الشعب حمل تلك التسمية عند انتقاله إلى أواسط شرق الأردن، واستمر يُعرف بها". (أبو دية 1978: 4 - 5).

وفي جميع الأحوال وسواء كان الأصل قبيلة اسمها (عمون) أو جداً قديماً اسمه (عمين)، فإننا نرى أن اسم عمون يقترب من اسم (العموريين، الأموريين) الذي يضم قبائل عدة. وقد تكون هذه المنطقة قد سُميت على اسم (العموريين) الذين سكنوها وكُونوا معها مع نهاية الألف الثاني ق.م. ممالك عمورية مثل باشان وحشبون وسعير.

3. التسمية المصرية: نرى أن هناك احتمالاً آخر لتسمية (عمون) يرتبط بالوجود المصري المبكر في الأردن وفي منطقة عمان تحديداً، سواء كان هذا الوجود عن طريق الهكسوس المطرودين من مصر أو السيطرة المصرية اللاحقة على مناطق واسعة من الأردن وفلسطين.

ففي كلتا الحالتين كان المصريون في المنطقة. وكان من عادة الناس إذا ما رحلوا مجبرين أو طالبين العيش الأفضل أن يحملوا معتقداتهم وألتهم.. وكان الهكسوس قد عبدوا في مصر، ضمن ما عبدوه، الإله (آمون) أو (أمين) واسمه يعني (المخبوء) ويدل على الأمان. وكانت له زوجة اسمها (أمينة). واسم (آمون) معروف في صلوات الأديان السماوية الثلاثة. وكان كهنة هذا الإله يسمونه رب الأرباب، وقد كان أساساً إله جنوب مصر، ثم أصبح إله مصر الأكبر وأنه يمثل "المخبوء والقدرة الأسطورية التي خلقت الكون وراحت تضعه بصورة قيومية، كما صرّحوا بأن الشمس كانت رمز هذه القدرة المكتومة ولهذا فقد أضافوا اسمه إلى اسم (رع)، وبذلك استطاع أن يغتصب بالتدريج صفات (نو) وقدراته، كذلك (خنيمو) و(بتاح) و(هابي) وآلهة عظيمة أخرى". (بدرج 1985: 135).

غزا تحوتمس الثالث 1479-1425 ق.م، من الأسرة الثامنة عشرة شرق الأردن وأصبحت عمون تحت سيطرته، وقد يكون هو أو أتباعه أو الهكسوس قبله من أدخل عبادة الإله (آمون) إلى الأردن، وبقينا فإن المصريين وحكامهم الذين حكموا الأردن نقلوا عبادة هذا الإله وآلهة

أخرى مثل إيزيس وأوزيريس، بالإضافة إلى ما فعله الهكسوس حين نقلوا عقائدهم الدينيّة إلى الأردن بعد طردهم من مصر. ”وقد دلت الحفريّات في قبور الهكسوس ومن العصر البرونزيّ الحديث 1600 - 1200 ق.م. في عمان وناعر وجبل نبو غربي مادبا على أن هذه الأضرحة العائليّة الواسعة المليئة بجميع أدوات الفخّار والرّخام والعاج على أن موقع عمّان كان مأهولاً بالسكان.“ (العبادي 1971: 8).



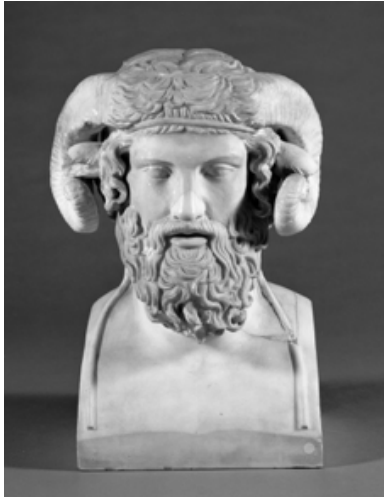
نواوويس أو تواييت ذات أشكالٍ آدميّة، وتبدو الحواجب في النواوس ممتدة إلى الأسفل، وللناووس أربع أيدي/ حفريّة قصر رغدان

ويبدو أنه بعد مضي زمن على الوجود المصريّ هذا بقي اسم الإله (آمون) يصف هذه المدينة ويطلق عليه اسم (عمون) المشتق من (آمون) على (مدينة الأمان) أو (مدينة السلام). وهو اسم يتناسب إيقاعه مع تلك العصور المحتربة التي كان نشدان الأمان والسلام غاية نفسية عميقة لأهلها. ثم أن الكثير من المدن المعروفة شرقاً وغرباً كانت تعطي لنفسها تسمية (مدينة السلام) بالإضافة إلى اسمها المعلن. وفي حالة (عمون) تطابق اسمها مع معناه. ونرى أنه لا بد من التذكير بلوحة بالوعة (التي عُثر عليها في وادي الموجب) والتي يظهر فيها إله مصريّ يحمل العصا ذاتها التي يحملها الإله (آمون) وهو يسلمها إلى ملك محلي. وهذه اللوحة بحد ذاتها تكشف عمق الوجود المصريّ الثقافيّ قبل ظهور ممالك عمّون ومؤاب وأدوم.



تحتومس الثالث 1425-1479 ق.م.، الأسرة الثامنة عشرة إله آمون والعصا المقدسة.

وقد تحول تأثير آمون من مصر إلى الإغريق والرومان فوضعوا شكلاً لزيوس أو جوبتر بشكل مقرن، ولا بد من التأكيد على أن ملكوم إله عمون هو إله مقرن أيضاً.



زيوس آمون الإغريقي

جوبتر آمون الروماني

. التسمية العشتارية: لن يقلل من أهميّة جميع افتراضات التسمية السابقة إضافة احتمال آخر لتسمية (عمون). فقد ذكر اصطيّفانوس البيزنطيّ أن عمّان كانت تُعرف باسم استارتي هذا وهو اسم مشتق من الإلهة عشتار، ولا نستبعد مطلقاً أن يكون اسم استارتي هذا قد ورث تسمية الإله آمون المصريّ الذي نسيت جذوره ثم أطلق هذا الاسم على اسم الإلهة الأنثى لمدينة عمّون عمون. ومعروف أن الإلهة عشتار تحمل صفات الحب والحرب وكانت الإلهة حاتحور المصريّة والتي لها علاقة بالإله آمون قد ورثت صفات عشتار الحربيّة منها بشكل خاص. وتكون بذلك هذه الخلطة العشتارية الآمونية ساهمت في ما بعد بتشكيل اسم (عمون) الذي تنبض فيه أنثى قديمة.

وقد رأينا شيئاً مشابهاً لذلك في اسم (بيروت) عاصمة لبنان، فالإلهة الأم الكبرى لمدينة بيروت اسمها (بارات) وتحوّر هذا الاسم بعض الشيء ليصبح (بيروت) وأطلق في ما بعد على اسم المدينة. وعمون وبارات أسماء واحدة لعشتار الحب والجمال ومعهما أسماء مثل ليبيا وبريطانيا وقبرص، فاسم بريطانيا مثلاً مشتق من اسم الإلهة بارات "إلهة مدينة بيروت الفينيقيّة وهو أحد أشكال الإلهة عشتاروت حملها الفينيقيّون معهم عبر مضيق جبل طارق فأعطت اسمها للجزيرة البريطانية. وكان الصليب رمزها الأساسي نراها محملة به بيدها أحياناً وأحياناً أخرى نراها محفوراً على كرسيها". (السواح 1986: 353).

ولعله من غريب الصدف أن تأخذ بارات أيضاً شكلاً عشتارياً مختلطاً بالمتولوجيا المصريّة، كما نرى في هذه الأشكال الثلاثة للإلهة بارات.



الإلهة بارات (اليمن: الأصل المصريّ العشتاريّ لها، الوسط واليسار: بارات كما يصوّرها عمل فنيّ مصريّ ويدها اليسرى الصليب أو عصا الملوكية، وتظهر الكتابة اللاتينية من العصر القبطيّ المسيحيّ).

أما تسمية (ربة عمّون) فهي تسمية حديثة نسبياً حيث كلمة (ربة) تطلق على المكان مثل كلمة ربة وهناك ربة مؤاب وربة جرش ولا تعني هنا اسماً مقابلاً لكلمة (إلهة). ويحق لنا الآن أن نسأل، ما اسم الإلهة الأنثى التي عبدها العمّونيون في فترة مملكتهم من حوالي (1200 - 600) ق.م. هل كان اسمها عمّون كما أسلفنا أم ماذا؟

صحيح أننا نعرف أنها عبادت في الفترة الهيلنستيّة والرومانيّة باسم تايكي. وهذا ما سنرجّوه إلى متولوجيا تلك الفترة، ولكن ما اسمها وما هي في هذه الفترة؟

نرى أن هذه الإلهة لم تكن اسماً ثابتاً نستطيع اعتماده، ولكننا ربما كان بإمكاننا إطلاق تسمية عشتار ملكوم، أي الإلهة رفيقة الإلهة الرئيسيّة لمدينة عشتار جريباً على ما سنلمسه في مؤاب عندما نرى إلهها الرئيسيّ اسمه (كموش) وإلهتها الرئيسيّة اسمها (عشتار كموش). لذلك نقترح أن نسميها (عشتار ملكوم) (هذا بالإضافة إلى احتمال أن يكون اسمها عمّون كما أسلفنا).

وقد تكون منحوتة السيدة ذات الوجه المزدوج، المعروضة في متحف عمان، هي هذه الإلهة لأن في نحتها ما يدل على اختلاف عن شكل امرأة اعتيادية.



إلهة عمونيّة من القرنين الثامن والسابع ق.م.



إله عمونيّ من القرنين الثامن والسابع ق.م.



عشتار ملكوم إلهة العمونيين

ملكوم:

يُعتبر ملكوم أو (مالكوم) أو (مولك) كبير آلهة العمونيين. ويرجع هذا الإله في جذوره إلى الإله الفينيقي في صور (ملكارت أو ملقارت) وهو بعل صور. وهذا الجذر الكنعاني يعطيه صفة الخصوبة. وهو إله طقسي زراعي يرفع احتفالات البذار والحصاد ومكاثرة الحيوان. ويرعى علاقات الحب والجنس بين الرجال والنساء. ويقتنأ أن هذه الصفة التموزية أو البعلية التي يملكها (ملكوم) تضعه في صف بعل بيبيلوس (أدونيس).

كلمة (ملك) عادةً ما تعني (الملك باللغة الأكديّة)، لقد استتر اسم البعل الكنعاني في أسماء محلية مثل ملكارت السوريّ وأدونيس البييلوسيّ ويهوا العبرانيّ وملكوم العمونيّ وكموش المويّ وقوس الأدوميّ وذو الشرى النبطيّ. وقد اكتسب وهو يتنوّع في هذه الأسماء صفات الأقوام التي عبده والبيئة التي نشأ فيها. وظهرت فيه عناصر جديدة ساهمت في قلب بعض وظائفه وجعلته في موقع آخر رغم أن (بعل) أصلاً جمع في شخصيته المتناقضات.

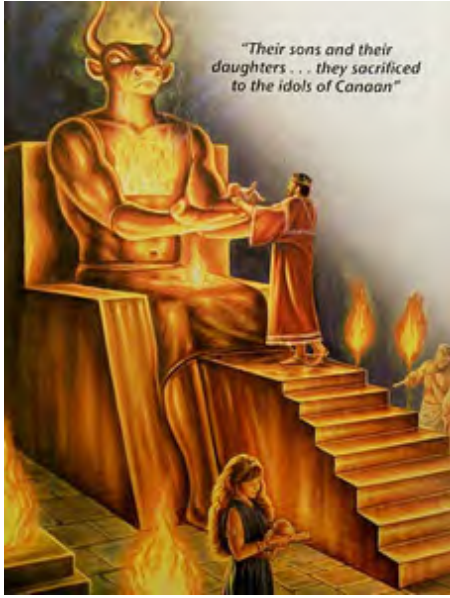
ونرى أن الجذر البعيد للإله (ملكوم) و(ملكارت) يعود في تسميته إلى الإله البابليّ (مردوخ) أو (ملك) الذي يعني اسمه (عجل الشمس). وهو الإله الذي كان يلقب في ملحمة الخليقة البابليّة بـ(ملك الآلهة) بعد انتصاره على قوى العماء وخلق الكون والإنسان. وإذا تمعنا في تسمية (مردوخ) أو (مردوك) الإله فسنجد أن كلمة (ملك) لها علاقة بـ(مردوخ) وأن كلمة (ملكوم) تلفظ أحياناً (مولوك) وهذا قد يعني أن الكلمة تطوّرت بهذا الشكل،

مردوخ ← مردوك ← مولوك ← ملك ملكوم ← وملكارت...
لخ .

وتتناسب صفات ملكوم مع صفات مردوخ، فهو ملك الآلهة العمونية الذي كانت تقدّم له الأضاحي، وتقام له الطقوس في وقت معين من السنة. وكان هذا الإله هو الذي يرفع ملوك العمونيين ويباركهم. وقد ورد ذكره كثيراً في العهد القديم.

ويبدو أن ملكوم كان يحب الذبائح البشريّة ولا سيما الأطفال وهي عادة دينيّة نزحت من عبادات النيوليت كما أسلفنا. وقد صنع العمونيون للإله ملكوم "صنماً من نحاس جالساً على عرش من نحاس أيضاً وجعلوا له رأس عجل ووضعوا على رأسه إكليلاً وكان العرش والصنم مجوّفين، وكانوا يشعلون في التجويف ناراً حامية حتى إذا بلغت حرارته درجة الحمرة وضعوا عليها الذبيحة واحتترقت عاجلاً. وفي أثناء ذلك كانوا يدقون الطبول لمنع سماع صراخها. ثم يتفرّق الناس وهم يضرعون إلى الإله أن يحقق آمالهم التي قدّمت الضحية من أجلها". (العبادي 1971: 19 - 20).

ورغم أن التوراة تذكر الإله ملكوم بالكثير من الغضب وتصفه بـ(الرجس) إلا أن اليهود سقطوا مراراً في عبادته ومارسوا طقوسه وكانت واحدة من الأماكن التي مارسوا فيها عبادته جبل الزيتون في وادي هندم مقابل الهيكل المقدّس في القدس.



الإله ملكوم تقدم له الأضاحي صورة افتراضية



الإله مولوخ صورة افتراضية من القرن الثالث عشر ق.م.

المبحث الثاني: مؤاب (900 - 530) ق.م.

مقدمة تاريخية

المؤابيون مجموعة من القبائل السامية الأصل التي كانت تسكن الصحراء السورية وبحكم طبيعتها البدوية هاجرت من أماكن إقامتها الأولى بعد رحيلها أقواماً بدوية أخرى كانت تسكن وسط الأردن وهي قبائل (الشاسو) وتعاملت معها بشكل ودي. واستطاع المؤابيون الانصهار مع سكنة مؤاب الأصليين من الأميين (وهم قبائل كنعانية) بسبب من نشاط المؤابيين الزراعي. فسيطروا على البلاد سياسياً. وانتقل حكم مؤاب إلى يد المؤابيين واتخذوا مدينة الأميين (أيمية) أو (بالوعة) عاصمة لمملكتهم. ثم بدأوا بالتوسع بعد القرن الثالث عشر ق.م. وامتد نفوذهم لأربع مدن هي (حشبون، ديبون، ينفعه، ميدبا) إضافة إلى حازر وقرياتم وبعل بور. وأطلق على منطقة نفوذهم (عربوت مؤاب).

وإزاء هذا التوسع هاجم الأموريون شمال منطقة النفوذ هذه بقيادة شيحون. واحتلوا حشبون ثم احتلوا بقية المدن المؤابية الشمالية (شمال وادي أرتون). انتشرت القبائل المؤابية وظهر الملك المؤابي (بالاق بن صفور) الذي كان كاهنه النبي المؤابي أو العراف المؤابي (بلعام). وحين دخلت القبائل العبرية مدينة شطيم الأمورية التي يسكنها المؤابيون عبدوا الإله (بعل فغور) هم وأهل مؤاب وقدموا الذبائح له وتزوجوا من النساء المؤابيات.

تروي المرويات الدينية أنه حين مات موسى دفن في أرض مؤاب مقابل بيت بور أو بيت فغور إلى تقع في أرض مؤاب. وفي هذه الأثناء وحّد المؤابيون قبائلهم تحت قيادة واحدة. وأرغمت أدوم الإسرائيليين على تغيير وجهة تقدّمهم والابتعاد عن أدوم. ففعلت مؤاب مثل هذا وأرغمتهم على البقاء شرق أدوم مما اضطرهم إلى السير شمالاً دون أن يدخلوا مؤاب. وهذا أول أسباب عداوة طويلة متلاحقة بين المؤابيين والإسرائيليين.

قام المؤابيون بعد ذلك بطرد قبائل روبن وجاد من مناطق في شرق الأردن. ثم أقام عجلون القائد المؤابي حلفاً مع العماليق والعمونيين وتوسّعت مؤاب تحت ظل هذا الحلف واصطدمت بجماعة من البنيامينيين الذين قتلوا عجلون غدرًا. بعد أن بعثوا له (أهود) ليدفع له الجزية فلما دفعها ضربه بالسيف المخفي تحت ثيابه. وفرّ (أهود) إلى جبال أفرائيم وقام بتحريض قومه على حرب المؤابيين فحاربوهم. وكانوا في فوضى عظيمة بعد وفاة ملكهم فانهزموا وارتدوا عبر النهر إلى الضفة الشرقية وتغلّب البنياميون على مؤاب.

وبعد زمن أعاد المؤابيون نفوذهم إلى المناطق الشمالية. عندما بدأ الملك العموني (نحاش) يضرب القبائل المقيمة شرق النهر.

وتروي المرويات الدينية أنه عندما فرّ داود من شاول التجأ إلى مؤاب ضيفاً، لكنه عندما تسلم الحكم بعد شاول أصبح عدواً لدوداً لمؤاب. وأجبر بعض المناطق على دفع الجزية ثم قام ابنه سليمان بالزواج من ابنة ملك مؤاب للحفاظ على نفوذه وقام بتشييد معبد مؤابي للإله كموش في الجنوب الشرقي من القدس، ويبدو أنه أقام للإله العموني ملكوم معبداً آخر وكذلك للإلهة عشتار إلهة الصيدونيين. وما أن مات سليمان حتى ثارت كل الشعوب المجاورة التي كانت تدين له بالولاء. وأعادت مؤاب نفوذها غرب النهر ووصلت شمالاً إلى ميدبا. لكن الإسرائيليين عادوا إلى مؤاب أيام عمري (لأن الإله كموش كان غاضباً على مؤاب؟) لكن الملك

المؤابيّ (ميشع) ثار على الإسرائيليّين خلال حكم أخاب ثم خلال حكم ابنه يهورام. وامتنعوا عن دفع الجزية. فشن يهورام حرباً على مؤاب، وقام ميشع بطرد الإسرائيليّين من منطقة بعد أخرى ووحد البلاد. لكن الإسرائيليّين حاولوا حصار ميشع حيث تحالفت مؤاب مع أدوم. فهضمت مؤاب واصطدمت بأدوم أولاً ثم تصالحتا وشنا حرباً مشتركة ضد يهوذا. لكنهم لم يربحوا الحرب وظلّ ميشع قوياً في الحكم ثلاثين سنة وكانت أكبر فترة عمران في تاريخ مؤاب. ولا بد من تأكيد أن كل هذه المرويّات الدنيّة لم يتم التأكد منها آثارياً ومصدرها الوحيد هو التوراة.

وبعد أن مات ميشع تقدّم الملك الآراميّ حزائيل وضرب الإسرائيليّين وكان هذا بداية سيطرة الآراميين على المنطقة وبداية ضعف مؤاب وتلاشي مملكتها بالتدريج، خصوصاً أن الآراميين مهّدوا، بإضعافهم دول المنطقة، الطريق للأشوريّين كي يتسبّدوا عليها. ثم أصبحت مؤاب ولاية بابليّة ومع نهاية القرن السادس ق.م. تلاشت مؤاب ولم يُعد لها ذكر. وفي ما يلي جدول بأسماء ملوك المؤابيين نقلًا عن (محمود أبو طالب) كتاب آثار الأردن وفلسطين (أبو طالب 1978: 83).

اسم الملك	مكان ذكره وسنوات حكمه
1. بالاق بن صفور	العهد القديم
2. كموش ياتي	ذكر في نقش ميشع ونقش الكرك
3. ميشع	ذكر في نقش ميشع وفي الأصحاح الثالث من سفر الملوك وكان معاصراً جزئياً لكل من أخاب (871 - 852) ق.م. وإبنه اختازيا ويهورام.
4. سلمانو	ذكر في أخبار سنة 722 ق.م. من حوليات الملك الآشوريّ تغلات بيلاصر الثالث.
5. كموش ناداب	ذكر في أخبار سنة 701 ق.م. في أحد نقوش الملك الآشوريّ سنحاريب.
6. موسوري	ذكر في أحد نقوش الملك الآشوريّ أسرحدون وآشور بانيبال.
7. كاماشالتو	ذكر في أحد نقوش آشوربانيبال.

قائمة بأسماء الملوك
المؤابيين الذين حكموا
مملكة مؤاب.

المثولوجيا المؤابية

الإله بعل بور:

تكاد المثولوجيا المؤابية تكون الأقرب من العمونية والأدومية إلى المثولوجيا الكنعانية. فأقدم ما عرفناه عنها هي العبادة الطقوسية المصاحبة لشعائر الزراعة والجنس والخمر والطعام للإله (بعل). ويبدو أن ظهور هذا الإله بشكل واسع وكبير في بداية التاريخ المؤابي يؤكد استيطاناً كنعانياً مبكراً في مناطق مؤاب كان قد حصل في العصر الحديدي. ولعل الأيميين الكنعانيين المكونيين من قبائل الرفائيين والززميين كانوا يمثلون مثل هذا الوجود الكنعاني. وربما أثرت عبادتهم على القادمين الجدد إلى أرض مؤاب.

ويبدو أن أساطير الإله بعل كانت كلها حاضرة عند المؤابيين ويمكن العودة إليها في المثولوجيا الكنعانية. ومعروف أن عبادة الإله بعل التي "تجعله تجسيدا لروح النبات التي تموت وتحيا في كل عام، لا تصمد أمام النقد، كما أن التفسيرات الأخرى التي تفسر أسطورة بعل بوجود دورة مناخية في سورية القديمة، كانت تسبب حصول جفاف الأرض وندرة المطر كل سبع سنوات وهي تفسيرات ضعيفة، رغم أننا لا نستبعدها تماماً؛ والحقيقة في رأينا، أن تفسير هذه الأسطورة يجب أن ينطلق من فكرة التجديد الدوري للقوى الإلهية، وهي فكرة قائمة في مثولوجيا وطقوس بعض الثقافات البدائية الحديثة، وثقافات أخرى موعلة في القدم". (السواح 1986: 313).

هذا يعني أن فكرة تجديد قوى إله الخصب بعل تستحضر فكرة موته. وهكذا ظهرت أسطورة موت بعل ونزوله إلى العالم السفلي مكتملة أسطورة غنجه وترفه وخصوبته والتغني بقواه الجنسية، خصوصاً إذا حملت الطبيعة روحاً جافة صحراوية قاسية بين فترات الخصوبة وإذا أخذ الجفاف طابعاً دورياً وهذا يعني أن إمكانية تبدل البعل إلى إله قاسٍ وقوي جاف واردة جداً، كما حصل مع الإله (حدد) السوري.

وفي مؤاب حفلت المثولوجيا الأولى بظهور هذا الإله بشكله الجنسي الخصيب وكان يأخذ في الغالب اسمين أحدهما (بعل - بور أو بعل فغور) و(بعل - معون) ويرجح أن يكون الاسم الثاني اسم كان يطلق على مكان. أما الاسم الأول فقد "أطلق النبي دانيال اسم (بشت) على الإله بعل بور. والاسم (بور) له علاقة بجذر الكلمة (بعر) والتي تعني في اللغة الأوغاريتية (أن تمنحه اسماً) أي (سمة) كذلك تعني (يصرخ) أي (يعلن) كما أنها تعني بالعبرية والسريانية (أن يفتح على مصراعيه أي فاغر من التعجب. وبالنتيجة فإن هذه الكلمات التي وردت في دانيال لم تساعدنا على معرفة طبيعة الإله بعل بور". (زيل 1990: 74).

أي أن الإله بعل المؤابي يتصف بصفتين فهو إما فاغر الفم يصرخ أو أنه جافٌ وقاسٍ. والكلمة (بور) جمعت في تكوينها معنى الخصب والجفاف، لأنها يمكن أن تدل على الأرض البور. وهكذا حمل بعل المؤابي منذ البداية وجهي الخصوبة والجفاف. ويتناسب هذا مع طبيعة أرض مؤاب الصحراوية والخصبة في آن.

لقد كان النبي أو العراف المؤابي (بلعام متعبداً للإله (بعل) في مؤاب وكان يقدم له الأضاحي ويقوم بالطقوس الخاصة به. وكان يرافقه الملك (بالاق) إلى معبده لتقديم الأضاحي ومرة "طلب بلعام من بالاق أن يقوم بإنشاء (7 مذابح كما أن عليه أن يقوم بتقديم الأضاحي من الكباش والثيران لكل واحد منها... هذا وقد مر معنا أن الفتيات المؤابيات قد طالبن من الإسرائيليين الذين ضربوا بخيامهم في شعليم أن عليهم أن يقدموا النذور والأضاحي إلى إلههن بعل بور وخلال قيام الإسرائيليين بهذه الطقوس انغمسوا في العلاقة الجنسية والتهام اللحوم التي قدمت أضاحي للإله". (زيل 1990: 74).



الإله المُوايِّ المحارب الذي يُشبه الإله بعل من راس الشمرا
(أوغاريت) في شمال سوريا، ومن منطقة رجم العبد على حافة
جبل شبحان، حوالي القرن الثاني عشر أو الثالث عشر ق.م.

لقد ظهر الإله بعل المُوايِّ ذو النزعة الحربيّة من جذر كنعانيّ قديم. فقد حملت الأساطير الكنعانيّة أفكاراً عن صراع الخصوبة والجفاف ممثلة بصراع (بعل) و(موت) إلى العالم الأسفل، حيث تظهر صفات (بعل) الخيِّرة التي هي ارتفاع شأن الحضارة والعمران والخصب والحب والجمال والتي يحاول الإله بعل توفيرها للإنسان من خلال حملته وحراسته لهذه الرموز ومن ثم تناولتها للإنسان. وكان يستعين بقوى الطبيعة فيسخِّرها للإنسان كالمطر وخصوبة الأرض. أما صفات الإله (موت) فمعاكسة بالكامل فهو إله الموت والجفاف والتدمير والفوضى والكره والقبح. ويتربّص الإله (موت) بالإنسان طيلة حياته فيقتنص روحه حين يضعف ويتهاوى ليسقط في العالم الأسفل (عالم الموت) بل ويسبب للإنسان أثناء حياته المشكلات والآلام والأمراض والكوارث علّه يعجّل بموته.

واللقاء بين بعل وموت في المثلوجيا الكنعانيّة يتم كل سبع سنوات. ويشير هذا إلى زمن دوري كان في بلاد الشام يظهر فيه الجفاف كل سبع سنوات. وهذا يختلف عن الصراع بين تموز والعالم السفليّ في المثلوجيا الرافدينيّة الذي يحصل مع بداية الصيف من كل سنة. ويقترّب من المثلوجيا المصريّة حول صراع (أوزيريس مع (ست). وحين يُقتل بعل يحلّ الجفاف وتسود قيم (الموت) السلبية ويرحل بعل إلى العالم الأسفل، ولكنه يعود مع ظهور بواكير الخصوبة الزراعيّة ليصارع أتباع موت وتقوم زوجته (عناة) بقتل (موت) وتقطيع جسده في الحقول فتستعيد الأرض خصوبتها وتعود الحياة لطبيعتها.

إن جوهر هذه الأسطورة الكنعانيّة ظل يجمع حوله حكايات وأفكار وخيالات محلية متعدّدة في بلاد الشام وما (بعل بور) المُوايِّ إلا واحداً منها.

الإله كموش والمثلث الذكوري:

ورث الإله (بعل بور) في مرحلة لاحقة (كموش) وهو الإله الكبير والقومي للمؤابيين، ويبدو أن تحوّل صفات (بعل بور) نحو الجفاف والقسوة والحرب تتناسب مع حياة المؤابيين التي ملأتها الغزوات والحروب مع جيرانها، ولذلك اكتملت صورة (بعل بور) لاحقاً في شكل (كموش)، حيث تحوّل نهائياً إلى إله للحرب والجفاف (تمثله الشمس). وهكذا نلمح في هذه المرحلة وهي مرحلة التكوّن السياسي والاجتماعي لمؤاب ظهور إله واحد يقع على رأس المثلولوجيا المؤابية هو (كموش) الذي يظهر معه إلهين آخرين كمثلث ذكوري يرمز تحديداً إلى صفات الإله (موت) الكنعاني. وهذان الإلهان هما الإله (عزیزو) أو (أزیزو) والإله الخيال والذي يوصف دائماً بأنه إله الحرب والقتال وأصنامة الصغيرة التي تظهره دائماً وهو يمتطي خيولاً استعداداً للحرب.



منحوتات صغيرة تمثل الإله كموش أو الإله عزیزو أو كليهما وهما إله الحرب والقتال عند المؤابيين، ويوصف كلٌ من هذين الخياليين، دائماً، عند الآثاريين باسم (راكب الحصان).

ويخيّل إلينا أن اسم الإله (أزیزو) مشتق من صوت الرعد. فالأزیز "هو صوت الرعد وصوت غليان القدر والأز التهيج والإغراء ومنه قوله تعالى (وتؤزهم أزا) أي تغريهم بالمعاصي". (الرازي 1978: 15).

وقد ظهر الإله عزیزو كثيراً في المثلولوجيا العربية خصوصاً عند عرب الجنوب فقد ظهر في نصوصها بالإسمين (Azizos) أزیزوس وكان يتقدم الشمس عند شروقها و (Monimos) مونيموس وكان يتبع الشمس حين غروبها. والكوكب الوحيد الذي يتقدم الشمس عند ظهورها ويظهر وراءها عند غروبها هو كوكب الزهرة. ولذلك نستنتج أن الزهرة كان إلهاً ذكراً أخذ دور الإين في الثالوث المقدس عند عرب الجنوب وحمل اللقبين (العزیز - أزیزوس) و (المنعم - مونيموس) ويذهب بعض الباحثين إلى أنه المقصود بالنجم الثاقب في القرآن الكريم". (القمني 1993: 121).

ويخيّل لنا، بهذا القدر أو ذاك، أن كلمة (عزیز) تدلّ كما هي على شخص قريب من النفس وعزیز، ولكنها تعني أيضاً ما يدل على (العزاء) وهو الحزن على الأموات. ولا تُعدم أن تكون هناك علاقة بينه وبين الإلهة السامية (العزى) التي ستظهر في النظام المثلولوجي النبطي وهي تمثل إلهة قاسية مهيبة.

ولن نخال إذا قلنا إن واحداً من أسماء الله الحسنى وهو (العزیز) له جذر لغوي في اسم هذا الإله مثلما هو اسم (الرحمن) المرتبط بجذر لغوي في اسم الإله (رامان أو هدد - رامان أو رحمانو أو رحمان) وقد يُجرينا البحث في هذا ونرى بأن الأسماء الحسنى في حقيقتها ترتبط

بوشائج لغويّة مع أسماء آلهة قديمة ذابت في اسم الله الواحد الأحد وصارت صفات أو أسماء له. وهناك ما يشبه هذا حين أصبحت صفات الإله البابليّ (مردوخ) خمسين اسماً لآلهة حوله بعد أن توجّ ملكاً على جميع الآلهة في أسطورة الخليقة البابليّة. الإله الثالث في المثلث الذكوريّ المؤايّ هو الإله (حورنان) وهو إله الحياة الأخرى أو العالم الأسفل أي أنه إله الموت تحديداً. ويذكرنا هذا الإله بالإله الكنعانيّ (حرون). ولا نستطيع أن نعرف على وجه الدقة ما إذا كان ”هذا الإله من بين الآلهة التي كانت تمارس عبادتها هنا. إن الاحتمال الوارد أن (الأيّمين) هم الذين نقلوا عبادته من أرضهم إلى أرض مؤاب“. (زيل 1990: 75).

لقد قلنا إن هذا الثالوث الذكوريّ يذكرنا بالإله (موت) الكنعانيّ. ولكننا نجد إشارة واضحة على أن الإله (كموش) كبير هذا الثالوث قد ”ورد في القائمة البابليّة جنباً إلى جنب مع اسم الإله نرجال. وقد كان سبب جمع الناسخ لأسماء هذه الآلهة في قائمة واحدة راجعاً إلى أن ديانتها متشابهة. أو أنها تشترك في دين واحد، علماً بأن هذه القائمة لا تذكر أن نرجال هو كموش. غير أنها تذكر أن ديانة كموش تشبه ديانة نرجال بأن كليهما إله الحرب“. (زيل 1990: 78). وبذلك تكتمل صورة كموش مع صورة نرجال تماماً، لأن (نرجال) إله العالم السفليّ البابليّ وزوجته (اريشكيجال) يحكمان هذا العالم. ويخفي نرجال في أعماقه البعيدة شخصية إله سماويّ قبل أن تجره اريشكيجال إلى العالم السفليّ وتزوّجه. فهو إله مغتصب رفض وهو في الأعالي سطوة اريشكيجال. أي أنه كان يعاكسها في الاتجاه وربما مثل وهو في صف آلهة السماء وظيفته إخصابية. لكنه انحدر بعد ذلك إلى مقام العالم الأسفل ورضي بأن يكون إله الموتى وإله الحروب وإله الأمراض وكل هذه الصفات تردد صفات كموش وثالوثه.

وعند فحص الجذر اللغويّ لاسم الإله (كموش) نجد أن هناك احتمالين لمصدر اسمه: الأول محرّف عن اسم الإله الأدوميّ (قوس) أو (كوش) وكان رمزه (قوس قزح) المرتبط بالشمس بعد المطر. وفي هذا ما يوحي باجتماع الجفاف والخصوبة أيضاً.

أما الاحتمال الثاني فهو اشتقاق هذا الاسم مباشرة من اسم إله الشمس البابليّ (شمس أو شמוש) وهناك من يرى أن أصل الاسم هو (أكو) و(ماشو)، حيث إن كلمة (أكو) تشير إلى (أخو) وكلمة (ماشو) تشير إلى الشمس فيكون اسم الإله هذا هو (أخ الشمس) وهذا أيضاً يتطابق مع صورته التي عبد فيها في مؤاب.

ويتردّد ذكر الإله كموش في أناشيد السخرية الأموريّة التي كانت جذراً لأناشيد السخرية العبريّة. كما يتردّد ذكر الإله كموش كثيراً في أسفار العهد القديم. وقد اعتقد المؤابيون أنه لم يكن بالإمكان الانتصار على الإسرائيليين لولا إله الحريق (كموش) الذي أمر بإعلان الحرب عليهم ثم ضمن لهم النصر. فقدمت له الغنائم في معبده وقضي على أسرى الأعداء تبركاً له. ويبدو أن الإسرائيليين عبدوا هذا الإله في وقت ما.

الإله كموش ومسلة ميشع:



تخطيط حرفي بالكتابة المؤابية لمسلة ميشع

صورة لمسلة ميشع

تقدم لنا مسلة ميشع (ملك مؤاب) صورة واضحة لأهمية هذا الإله في حياة المؤابيين ودوره في كسب حربهم ضد الإسرائيليين. وفي ما يلي هذا الملخص الوافي لما تضمنته مسلة ميشع التي نُصبت في ضاحية قرحة في معبد كموش عام 842 ق.م.:

كان الإله كموش غاضباً على مؤاب فسلب عليهم ملك إسرائيل عمري ثم ابنه أخاب فأذلا مؤاب. ولما أصبح ميشع ملكاً على ذيبان عاصمة مؤاب أمره كموش بمقاومة ملك إسرائيل فقام ميشع بالأعمال الحربية التالية:

1. انتزع أرض مادبا فبنى للإله كموش معبداً مرتفعاً في قرحي وبنى مدينتين.
2. انتزع أرض عطرت (خربة الطاووس) وأسر الحاكم الإسرائيلي فيها وسحبه أمام الإله كموش، فارتاح كموش وهنى.
3. أمره كموش أن ينتزع منطقة (بنه). ولعلها (نبو). فهياً ميشع جيشاً وداهمهم ليلاً وحارب حتى ظهيرة اليوم الثاني وقتل الإسرائيليين فيها (سبعة آلاف رجل وامرأة وصبي و بنت) كأضح للإلهة (عشتر كموش). أما الإله كموش فقد وضع بين يديه (موقد يهوا) إله بني إسرائيل هدية له.

4. أمره كموش بأن ينتزع مدينة (عليان) أو (بهض) فانتزعها وأضافها لمملكته ثم بنى ثلاث مدن بأبوابها وأبراجها. وبنى قصرأ وأقام آباراً في بيوتهم. وجعل أسرى بني إسرائيل يقطعون الأشجار في قرحة. وبنى مدينة (عرعر) وعبد طريقها إلى نهر (أردن) الذي يصب في بحيرة لوط ثم بنى مدينة (أم العمد) وبنى معبد (بيت باموت) المخرب. وثلاث مدن جعلها صالحة لرعي الأغنام. وكان شيوخ ذيبان الخمسون معه. وخضعت له مائتا مدينة حول ذيبان.

5. أمره كموش أن ينتزع (حورنان) وهي (خربة الذباب) فانتزعها مع مدن أخرى. وكان الإله كموش يباركه في كل مرة.
وزيادة في الإطلاع ننشر الترجمة الكاملة لنص مسلة ميشع للدكتور فواز طوقان، (طوقان 1970: 19 - 51)) و(زيل 1990: 74):

نقش الملك ميشع

1. أنا ميشع بن كموشيت ملك مؤاب الذيباني.
2. أب ملك على مؤاب ثلاثين سنة. وأنا ملكت.
3. بعد أبي. وأنشأت معبداً (أهراماً) لكموش، بقرحي. ولقد بني ذلك
4. بسرور لأن كموش أعانني على قهر كل الملوك، ولأنه أشمتني بكل أعدائي المبغضين. أما عمري.
5. ملك إسرائيل، فقد اضطهد مؤاب طويلاً. ذلك لأن كموش أضحى مكروهاً.
6. بأرضه. وخلف عمري إبنه فقال هو الآخر: (سأضطهد مؤاب!) أجل، لقد قال شيئاً كهذا الكلام.
7. ولكن كموش جعلني أراه مهزوماً من أمامي، هو وإلهه. وبادت إسرائيل، بادت إلى الأبد. ولكن عمري قد ورث أرض
8. مادبا. فأقام بها مدة حكمه. كما أقام بها الإسرائيليون من بعده مدة تبلغ نصف حكم أبناء عمري. فجميع ما أقاموه بلغ أربعين سنة.
9. وأرجع كموش مادبا في أيام حكمي ولقد بنيت خربة معين وحفرت فيها تلك البركة. ولقد بنيت.
10. خربة القريات. أما شعب جاد فقد كان يسكن خربة عطاروس من زمن قديم. وكان ملك إسرائيل قد بنى لشعب جاد.
11. خربة عطاروس. والتحمت بالمدينة مقاتلاً، وافتحتها. وذبحت كل سكان
12. القرية لأجل كموش ومؤاب. ورددت من هنالك موقد إيل إله ملك إسرائيل المحبوب.
13. وسحبته إلى بين يدي كموش بالقرية. وأسكنت بالقرية شران وشعب
14. محرت. وقال لي كموش: (إذهب! خذ بني إسرائيل).
15. فذهبت في نفس تلك الليلة. واشتبتك بالمدينة من وقت تبين الخيط الأبيض من الأسود حتى الظهر.
16. وافتحتها، وذبحت كل سكانها، وعددهم سبعة آلاف، رجالاً وصبياناً ونساءً وبناتٍ
17. وأماء. ذلك لأنني ضحيتها لعشتر كموش. كما أنني أخذت من هنالك موقد
18. يهوه وسحبته جميعاً حتى وضعتها بين يدي كموش. وكان كملك إسرائيل قد بنى
19. عليان وقت محاربتة إياي، ولكن كموش طرده من أمامي.
20. وأخذت من مؤاب متي رجل وهم قوام فرقتها العسكرية. ثم قدهم ضد عليان. وافتحتها.
21. مضيفاً إياها إلى مملكة ذيبان. وأن الذي بنى قرحي، وهي حمى اليعرن وبنيت كذلك سور
22. الأكروبولس في قرحي. وأنا الذي بنى أبواب قرحي وأسوارها.
23. وبنيتُ موقع بيت ملك. وأنا الذي حفر كلتا البركتين للماء بداخل
24. المدينة. ذلك لأن المدينة كانت خالية من أي بئر. فقد قلت يومها للشعب: (ليحفر
25. كل رجل منكم بئراً في داخل بيته). وأن الذي قطع الأخشاب بأيدي الأسرى الإسرائيليين لقرحي.

26. وقد بنيتُ عراعر. وعبّدت الطريق في وادي الموجب.
27. وأنا الذي بنى بيت في موت لأنها كانت مهدومة هدماً. وأنا الذي بنى أم العمد لأنها كانت وقد أصيبت بسوء.
28. كبار القوم في ذبيان كانوا خمسين بالعدد. فذبيان كانت كلها خاضعة لي. وأنا ملكت.
- 29... .. على متني مدينة قد أضفتها إلى المملكة. وبنيت
30. مادبا وخربة ديلة الشرقية وخربة معين. وهناك أطلقت النقد (وهو نوع من الغنم صغير الأرجل)
- 31... .. وضأن المملكة كي ترعى الكلاً. وأما خربة الذباب فقد سكنها...
- 32... .. وقال لي كموش: (أنزل والتحم بخربة الذباب) فنزلت والتحمت...
33. وأعادها كموش بأيامي. وكان بقربها من الطرف البعيد عشر...
34. سنة أربع وأربعين. وأنا... ..

Aramaic	Mosaic	Ammonite	Phoenician	Hebrew		
כ	כ	כ	ככ	ככ	כ	כ
צ		צ	צצ	צצ	צ	צ
ט		ט	טט	טט	ט	ט
ד	ד	ד	דד	דד	ד	ד
ה		ה	הה	הה	ה	ה
ו		ו	וו	וו	ו	ו
ז		ז	זז	זז	ז	ז
ח		ח	חח	חח	ח	ח
טו		טו	טוט	טוט	טו	טו
טז		טז	טזט	טזט	טז	טז
י		י	יי	יי	י	י
כ		כ	ככ	ככ	כ	כ
ל		ל	לל	לל	ל	ל
מ		מ	ממ	ממ	מ	מ
נ		נ	ננ	ננ	נ	נ
ס		ס	סס	סס	ס	ס
ע		ע	עע	עע	ע	ע
פ		פ	פפ	פפ	פ	פ
צ		צ	צצ	צצ	צ	צ
ק		ק	קק	קק	ק	ק
ר		ר	רר	רר	ר	ר
ש		ש	שש	שש	ש	ש
ת		ת	תת	תת	ת	ת

العبرية	الفينيقية القديمة	الفينيقية الحديثة	العربية القديمة	العربية الحديثة	اللاتينية	اليونانية	اللاتينية الحديثة
א	𐤀	𐤁	Ⲁ	Ⲁ	A	Α	α
ב	𐤁	𐤂	Ⲁ	Ⲁ	B	Β	β
ג	𐤂	𐤃	Ⲁ	Ⲁ	G	Γ	γ
ד	𐤃	𐤄	Ⲁ	Ⲁ	D	Δ	δ
ה	𐤄	𐤅	Ⲁ	Ⲁ	H	Η	η
ו	𐤅	𐤆	Ⲁ	Ⲁ	V	Υ	υ
ז	𐤆	𐤇	Ⲁ	Ⲁ	Z	Ζ	ζ
ח	𐤇	𐤈	Ⲁ	Ⲁ	H	Η	η
ט	𐤈	𐤉	Ⲁ	Ⲁ	T	Τ	τ
י	𐤉	𐤊	Ⲁ	Ⲁ	I	Ι	ι
כ	𐤊	𐤋	Ⲁ	Ⲁ	K	Κ	κ
ל	𐤋	𐤌	Ⲁ	Ⲁ	L	Λ	λ
מ	𐤌	𐤍	Ⲁ	Ⲁ	M	Μ	μ
נ	𐤍	𐤎	Ⲁ	Ⲁ	N	Ν	ν
ס	𐤎	𐤏	Ⲁ	Ⲁ	S	Σ	σ
ע	𐤏	𐤐	Ⲁ	Ⲁ	E	Ε	ε
פ	𐤐	𐤑	Ⲁ	Ⲁ	P	Π	π
צ	𐤑	𐤒	Ⲁ	Ⲁ	C	Κ	κ
ק	𐤒	𐤓	Ⲁ	Ⲁ	K	Κ	κ
ר	𐤓	𐤔	Ⲁ	Ⲁ	R	Ρ	ρ
ש	𐤔	𐤕	Ⲁ	Ⲁ	S	Σ	σ
ת	𐤕	𐤖	Ⲁ	Ⲁ	T	Τ	τ

الأبجديات الآرامية والموايية والعمونية والفينيقية والعبرية

جدول الأبجديات القديمة، تظهر الموايية ضمن الأبجديات الفينيقية القديمة (الرابعة من اليمين) وهي التي كُتبت بها نص مسلة ميشع

لاحظنا في مسلة ميشع المكانة الكبيرة التي يحتلها الإله كموش. فهو عندما يغضب تندحر البلاد ويحتلها الأعداء. وعندما يهنأ تنتصر ويعلو شأنها وقد لفت انتباهنا في الأوامر الخمسة التي أمر بها كموش ميشع لتحرير مؤاب من الإسرائيليين أن الفعل كان يتم بمباركة. ثم يقوم ميشع بتقديم هدية لكموش أو لعشتار. (وقد اتضح لنا أن عشتار كموش تحب ضحايا الحرب

وتأنس بقتل الأسرى). ثم يقوم ميشع بعد ذلك أحياناً ببناء مدن جديدة. إن هذه المتلازمة الإلهية/ الملكية من الأمر إلى الفعل إلى تقديم الهدية للإلهة إلى بناء المدن لتتم عن تماسك السلطتين الروحية والسياسية في بلاد مؤاب.

لقد كان الإله كموش هو الذي يحدد المدن التي يجب انتزاعها وكان هذا يتم عن طريق كاهنه الأكبر أو مباشرة عندما يزوره الملك. وعندما ينتصر الملك يكون هو الذي نصره، ويقتل الأعداء كأضحيات له ولزوجته ويقدم الأسرى خدماً له. وتقدم الغنائم له. خصوصاً الغنائم التي تخص إله أعدائه (يهوا)، فقد قدم ميشع بين يديه (موقد يهوا) ويجب على الملك بعد أي انتصار أن يقوم بأعمال عمرانية باسمه وأولها بناء معبد جديد له أو إعادة إعمار معابد قديمة.

تتكوّن معابد كموش من مذبح على مرتفع تتقدمه ساحة عامة تسمى (ماه) وكانت تقدم له الأضاحي من العجول والكباش دلت عليها آثار ولقى. وقد قدم (ميشع) ابنه كضحية بشرية للإله كموش. ولم يكن هذا التقليد شائعاً. ولكن المأزق الذي وقع فيه ميشع عندما تحالفت ضده في ما بعد جيوش إسرائيل ويهودا وأدوم جعلته يتصرف أمامهم بهذه الطريقة الرهيبة التي أجفلتهم وجعلتهم يتحسبون للانتقام الإله كموش. الذي كانت ستجعله مثل هذه التضحية جباراً في الانتقام من الأعداء. فانسحبت جيوشهم خوفاً ورهبة وتعالّت مكانة (كموش).

يرتاح الإله (كموش) عندما تقدم له الأضاحي والغنائم التي كانت تسمى (حرم) وعندما يقتل الأعداء باسمه. وعندما يتصاعد البخور في معبده. وعندما تختلط وتحزز الدمى المقدمة له باعتبارها مصابة باليأس وهي بين يديه وترتجيه ليعيد إليها الثقة. وكان الناس يتركون في معبده خلاً من شعر الرأس أو اللحية كشعيرة فيتشبية (سحرية) قديمة تساعدهم في الحصول على ما يبتغون.

الإله نابو (نبو):

تشبه تسمية الجبل المسمى حالياً بـ(صياغة) في مؤاب وهو جبل (نبو) أو (نابو) الذي ورد ذكره في العهد القديم وارتبط اسمه بموسى. تشبه هذه التسمية بجذر ومصدر الإله الوافد إلى منطقة مؤاب منذ عصور بعيدة. فالإله (نبو) هو إله الحكمة البابلي ثم الآشوري. وهو ابن الإله مردوخ. وكان ثاني إله بعد مردوخ يحتل أهمية قصوى في احتفالات رأس السنة البابلية (أكيتو). ولا نعرف على وجه الدقة كيف انتقل هذا الإله من بابل أو آشور إلى مؤاب، لأن اسمه قديم ويكاد يكون معبوداً قبل مجيء المؤابيين وتكوين مملكتهم "وحتى لو افترضنا أن الإله نابو قد تمت عبادته في أرض مؤاب غير أننا لسنا على يقين من أن المؤابيين هم الذين عبدوه. لأن هناك شعوباً أخرى كانت تسكن هذا المكان جنباً إلى جنب مع المؤابيين". (زيل 1990: 75).

ربما قام الأموريون أو الكنعانيون بنقل عبادة (نبو من وادي الرافدين إلى مؤاب. وربما كان اسم نبا يعود إلى إله التجارة عند البابليين؛ وربما قورن هذا الإله بإله التجارة والسفر عند الإغريق (هرمس) الذي كانت من رموزه الأفعى الملتفة على عصا والتي أصبحت مرتبطة حسب المكان الذي يقال إن موسى مات فيه فارتبطت حية موسى مع حية هرمس الذي يشير إلى الإله نبا البابلي.

لقد ارتبط جبل نبو بالنبي موسى الذي يبدو أنه صعد إليه ومات فيه أو على سفحه ونصب هناك نصباً للثعبان قبل موته.



عصا موسى على جبل نبو في مادبا



الإله نبو ابن الإله مردوخ إله المعرفة والحكمة

عشتار كموش:

أما الإلهة الأنثوية التي كان يتعبد لها المؤابيون (عشتر كموش) وهي زوجة الإله كموش. ولا نعرف ما إذا كانت تعبد في معبده أو أن لها معبداً خاصاً بها.. وواضح لنا أن وظيفتها كانت مرتبطة بوظيفة زوجها القتالية. فالملك ميشع عند انتصاره على الإسرائيليين في نبو أو جبل (الإله نبو) قتل لهذه الإلهة سبعة آلاف شخص بين رجل وامرأة وصبي وصبية.. وكأن قتل الأضاحي البشرية كان من نصيبها، ويعطينا هذا الأمر شعوراً بأن وظيفة عشتار أو عناة الخصيبة التي كانت ترافق الإله البعل قد ضخم منها الجزء الخاص بقتلها للإله موت وتقطيعها لجسده ونثره في الحقول ثم تحولت مع (عشتار كموش) إلى وظيفة محاربة قاسية تذكّر بالوجه المحارب القاسي للإلهة البابلية عشتار. وتذكّر بأختها (أريشكيجال ملكة العالم الأسفل المتجهمة الغاضبة وزوجة الإله (نرجال) إله الموت والحرب والأمراض. وهذا هو جوهر الأمر. فقد انقلبت الإلهة المؤابية بفعل الحرب والجفاف من آلهة خصيبة ممثلة بالبعل وزوجته إلى الإلهة المقابلة لـ (نرجال وأريشكيجال).. ثم أسبغت على صفاتها معاني الحب والجمال والخصب.. في حين أنهما يمثلان الحرب والموت والقسوة.. بل لنقل انصهرت هذه المعاني المتضادة كلها في إلهين؛ الأول ذكرى اسمه كموش والثاني أنثوي اسمه (عشتار كموش).

المبحث الثالث:

أدوم (750 – 530) ق.م.



مقدمة تاريخية

بدأ الاستيطان الأدومي قبل بداية العصر الحديدي بشكل محدود في قرى زراعية صغيرة شمال أرض أدوم. وفي جنوبها عند رأس النقب تكونت قرى صغيرة وقلاع ثم ظهرت المناجم وأماكن صهر النحاس في أدوم. وظهرت بعض مظاهر الدين المصري نتيجة لامتداد نفوذ المصريين خلال حكم الأسرتين (19 - 20) أي في حدود (1150 - 1300) ق.م.

وكانت أرض أدوم مسكونة من أقوام أطلقت عليهم التوراة اسم (الإيميين) الذين سبقهم (العيسويون في سعير) وكان قبلهم (الحوريون). ورد اسم أرض أدوم في المصادر المصرية القديمة بمواقع أخرى مثل شوتو العليا والسفلى. ومواقع كوشو أو كوشان الواقعة جنوب الأردن التي كانت تسكنها أقوام بدوية.

بالإضافة للإيميين ورد اسم قبائل الشاسو البدوية التي أقامت في أدوم وسعير. وبذلك يكون الأدوميون قد اختلطوا وورثوا أدوم من (العيسويين - أبناء عيسو بن إسحاق بن إبراهيم - والإيميين والشاسو والكوشو). وقد انصهر هؤلاء جميعاً في نظام اجتماعي وسياسي وكونوا في ما بعد مملكة أدوم. ويبدو أن أدوم كانت قد تكونت سياسياً عندما "طلب موسى من الأدوميين السماح له بدخول أدوم وهو يقود الإسرائيليين في التيه الصحراوي بينما كان مقيماً في قادش وأرسل رسله ليطلبوا من الأدوميين أن يسمحوا لهم بعبور بلادهم في طريقهم إلى فلسطين. غير أن الأدوميين رفضوا السماح لهم بالمرور وردوهم على أعقابهم". (ياسين 1994: 68).

يوم توطدت سلطة الأدميين أصبحت (بصيرة) أهم مدينة أدمية ومثابة العاصمة لأدوم. ويبدو أن إسرائيل كانت تحاربها، وكانت مصر تقدم العون لأدوم ولذلك استطاع (هدد) أن يعيد الحياة إلى أدوم ويجعلها تنهض من جديد. بل إنها نجحت في القيام بثورة عارمة هزمت فيها دولة يهوذا. وقامت أدوم مباشرة بعد حلف مع العرب والفلسطينيين أيام ملك إسرائيل يورام (847 - 845) ق.م. ثم قام هذا الحلف بمحاربة إسرائيل وانتقموا منها شر انتقام. وطلب يورام المساعدة من الملك (يوشافط ملك يهوذا).

لقد جاءت ثورة أدوم. وكان قد تنصّب فيها ملك قويّ "مباشرة بعد ثورة الملك المؤابيّ ميشع وقضائه على فلول الإسرائيليين. وأصبح من الواضح بأن الممالك الأردنية قد وصلت إلى درجة عالية من القوة في أوائل القرن التاسع ق.م. كما أننا نلاحظ ازدياد النفوذ الآشوريّ خلال هذه الفترة في فلسطين مما مهّد السبيل إلى استقرار أمور الممالك في شرق النهر. وكذلك سوريا حين استولى الملك الآراميّ حزائيل على إسرائيل". (ياسين 1994: 94).

تحالفت أدوم مع الملك الآشوريّ الزاحف نحو الشام (أدد نيراري) واستطاعت بمساعدة الآراميين تحرير (أيلة) والاستيطان فيها وبسبب تحالفاتها الكثيرة هذه قامت أدوم بضرب يهوذا، ثم احتل الفلسطينيين (حلفاء أدوم) أجزاء كبيرة من يهوذا. وبذلك امتدت حدود المملكة الأدمية إلى النقب وتوسّعت التجارة في هذه المنطقة وأنشأ الآشوريّون في الأردن ما أسموه بـ(الطريق السلطاني) الممتد من شمال الأردن حتى جنوبه قادماً من دمشق. ثم عين الملك الآشوريّ (تجلات بلاسر) الملك الأدميّ (قوس ملك) حاكماً على أدوم سنة (735 ق.م) ورغم أن الكثير من المدن الشامية التي كانت تدفع الجزية لآشور ثارت على آشور، إلا أن أدوم ظلّت محتفظة بعلاقات جيدة مع الآشوريّين. ثم عززت غزوات سرجون الثاني وسنحاريب ليهوذا موقع أدوم. واعتبر الآشوريّون تحرك الأنباط والعرب باتجاه أدوم عدواناً عليهم فحاربوهم مراراً. سقطت الإمبراطورية الآشورية عام (612 ق.م) وتقدّم الأنباط نحو جبل سعير مما جعل الأدميين ينزحون شمالاً نحو حدود يهوذا الجنوبية. وعندما بزغت الإمبراطورية الكلدانية تعاملت معها الممالك الأردنية الثلاث (عمون وموآب وأدوم) تعامل الولاء، لكن إسرائيل وقعت في قبضة الملك نبوخذنصر الذي دمّرها نهائياً.

وحين تولى نبونائيد (555 - 539) ق.م. حكم بابل قام بحملة عسكرية باتجاه جنوب الأردن، وحارب العرب شمال غرب الجزيرة، وقد أحرقت ودمّرت عاصمة أدوم (بصيرة)، ولكن الحياة في أدوم ظلت حتى القرن الخامس قبل الميلاد قائمة اجتماعياً. وبعد أن سقطت بابل على يد الفرس، حكم الفرس أدوم حتى القرن الرابع قبل الميلاد، وكانت العلاقات التجارية لأدوم في نمو وازدياد. لكن قوة جديدة يمثلها الأنباط كانت تزحف ببطء نحو هذه المنطقة، حيث كانت سبباً لنزوح الأدميين نحو جنوب فلسطين التي أسماها الرومان بعدئذ بـ(أدميا).

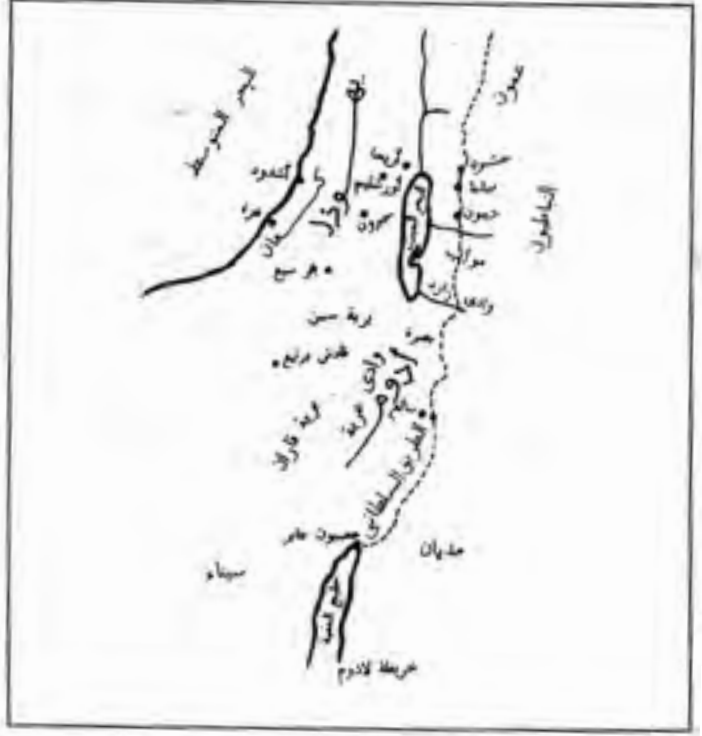
أما أهم مدن ومناطق أدوم فيه (بصيرة أو بصيرا، عويت، دنهابة، إيلة، عصيون، جابر، مجدئيل، مسريفة، مبصارفاعي، أوبوت، فينون، رحبة النهر، سلع، عارد، راقم، الصخرة، توفل، وادي الزرد، سوسيا).



آثار من مدينة سوسيا الأدميّة

وفي ما يلي أهم الملوك الأدميين نقلًا عن كتاب محمود أبو طالب (أبو طالب 1985: 84).

اسم الملك	مكان ذكره وسنوات حكمه
1. قوص ملك	ذكر في أخبار سنة 732 ق.م. من حوليات الملك الآشوريّ تغلات بلاصر الثالث.
2. أيارا مو	ذكر في أخبار سنة 701 ق.م. في أحد نقوش الملك الآشوريّ سنحاريب.
3. قوص جبار	ذكر مرتين في نقوش الملك الآشوريّ أسرحدون في أول سنة من حكم آشوربانيبال وعلى ختم ملكيّ من بصيرة.



خريطة عمّون ومؤاب وأدوم
وتتضح أرض أدوم بقطعها
الطريق السلطانيّ

المثولوجيا الأدوميّة لوحة بالوعة:

تشير اللوحة المسماة بلوحة بالوعة، نسبة إلى المكان الذي وجدت فيه (جنوب وادي الموجب)، أسئلة عدة. فهي لوحة تشير إلى النفوذ المصري المبكر في الأردن وفي مؤاب وأدوم. ولكنها في عين الوقت لوحة محلية متأثرة بالفن المصري. وهي منحوتة حجريّة لثلاثة أشخاص. ففي اليمين تظهر الإلهة إيزس المصريّة. إلهة الخصب والجمال والحب وهي بمثابة الإلهة الأم في المثولوجيا المصريّة. تحمل في يدها الصليب المصريّ المعروف باسم (عنخ) وهو يدل على الحياة والخصب. أما في يسار اللوحة فيظهر على ما نعتقد، الإله المصريّ أوزيريس الذي يلبس تاجاً مزدوجاً يمثل مصر العليا ومصر السفلى وفي يده الصولجان. وهو صولجان الحكم الذي رأيناه أيضاً في يد الإله (آمون).



لوحة بالوعة مصوّرة عن
متحف عمّان ميميناً، وتخطيط
توضيحي لها يساراً



وفي الوسط بين إيزيس وأوزيريس يظهر شخص ملكي يعتلي رأسه غطاء رَجَحَ الباحثون أن يكون غطاء رأس قبائل الشاسو التي سكنت في الأردن واختلطت مع الأدوميين. ويمكن أن يكون هذا الشخص حاكماً محلياً أو زعيم قبيلة من الشاسو أو من أدوم. ويظهر جلياً أن هذا الشخص مبارك من قبل إيزيس وأوزيروس. أي أنه يأخذ هنا دور (حورس) ابنهما الذي يرتبط به الملوك عادة. وربما دلت لوحة بالوعة في واحدة من تفاسيرها على هذا الألقوم الثلاثي (إيزيس وأوزيريس وحورس). وربما أشارت إلى الحاكم المحلي في الوسط على أنه يتسلّم الحياة والخصب والصولجان من الإلهين الزوجين.

يؤكد وجود لوحة بالوعة على وجود الآلهة المصريّة وتأثيرها المبكر على العبادات الأردنيّة. وأن لم يظهر هذا التأثير قوياً في المثلولوجيا الأردنيّة القديمة. ويرجح أن تكون هذه اللوحة بتأثير الاحتلال المصريّ المباشر وليس بتأثير الهكسوس الذين سبقوا هذا الاحتلال في مجيئهم إلى الأردن، لأن تاريخ اللوحة يعود إلى العصر البرونزي المتأخّر (الحديث) أو في بداية العصر الحديديّ.

أصل الإله (يهوا):

في إشارة سريعة تذكر التوراة ما يلي "أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتجلّى من جبل فاران وأتى من ربي القدس وعن يمينه قيس شريعة لهم". (التثنية 33: 2). وهذا يعني أن إله إسرائيل (يهوا) طلع أولاً من سعير ثم اتضحت ملامحه وتكرّس في جبل فاران. وسعير وفاران مكانان أدوميّان سكن فيه عيسو وأبناؤه وهو أب الأدوميين حسب الأسطورة التوراتيّة. كذلك فإن قبائل الشاسو المنتشرة في أدوم وسعير كانت تعبد هذا الإله. وهناك مَنْ قال بأن وجود هذه القبائل "في جنوب فلسطين ومَن قاربهم مع قبائل مشابهة وهم العبيرو الذين أقاموا إلى الشمال منهم. وقد ذهب المحللون مذاهب شتى فقبل بأن الشاسو هم من القبائل الآسيوية وأنهم أنصاف بادية. وكان مقر إقامتهم إلى الشرق من الدلتا في جنوب فلسطين. وهناك من قال إنهم كانوا من سكان جنوب سوريا وشمالها. وهناك من قال إنهم سكنوا بلاد النوبة. وعلى العموم ومهما تضاربت الآراء حولهم فإن الشاسو كانوا منتشرين في بلاد الشام بمعناها الواسع وإنهم كانوا في أدوم وسعير". (ياسين 1994: 59 - 60). إن عبادة الإله (يهوا) عند قبائل الشاسو سبقت كثيراً ظهور العبرانيين على مسرح التاريخ. فقد حصل هذا قبل أن يأتي موسى إلى أرض كنعان ماراً بأدوم، وأن مما يدلّ على انتشاره عندهم وجود أسماء عدد من الأسرى الشاسو من ضمنهم أسير اسمه (يهوا) في وثيقة من عصر رمسيس.

ومهما كان الأمر فإن أصل يهوا الذي يمكن أن يُلفظ بلفظ (ياه، ياهو، جهفا، جاهي، جاهوا مرتبط باسم "إله القمر الكنعانيّ (يرح)، ربما بشكله الأنثويّ أو الخنثى. و(يهوا) الذكر تزوّج من الإلهة الكنعانيّة الأم عناة في اليفانتين". (Walker 1993: 1095).

وهناك آراء أخرى تقول بأن يهوا إله زراعيّ من آلهة الخصب تعلم موسى عبادته من المديانيين الذين غني بإبادتهم بعد الخروج من مصر ليموت سرّه وسرّ يهوه معهم". (مقار 1987: 214). ولم تكن مديان بعيدة عن أدوم فلا حدود بينهما بل هما مختلطان مجتمعاً وديانة، ومهما كان الأمر وسواء أكان (يهوا) أدوميّاً أو مديانيّاً أو كنعانيّاً فإنه لا يخرج عن منطقة الشام عبادة وانتشاراً (رغم احتمال وجود أصل رافدينيّ أو مصريّ كما سنرى). وإنه يشير بصفاته إلى قطبين متناقضين، صحراويّ وزراعيّ. فقد جمع القطب الصحراويّ كل مظاهر القسوة والخشونة والانتقام والدمار. وجمع القطب الزراعيّ كل مظاهر الخصب والجنس "ويرى بلوتارك أن يهوه تابور ويهوه عيد المطال بات قريناً لديونيسوس، إله النبيذ. ويؤكد أن ما شاهدوه من شعائر

يهوه وشعائر ديونيسوس كان وثيق الصلة كبير الشبه بعضه ببعض إذ انطوى على طقوس استخدمت فيها حزم الشعير - وقد اعتبر يهوه الإله الحامي لزراعة الشعير والنبذ الجديد - والرقص على أضواء المشاعل، في الأماكن المرتفعة حتى طلوع النهار وإراقاة النبيذ على الأرض وعلى أجساد الأضحيات الحيوانية، وعموماً، الانجذاب الديني ويبدو أيضاً الاتصال الجنسي الطليق من القيود في تلك الممارسات شاع بين (شعب الإله) في طقوس ما قبل عصر السبي". (مقار 1987: 262).

وإذا كان الإله يهوا هو الإله القومي لقبائل العبيرو. فإنه بلا شك ليس الإله الوحيد عندهم، كما أنه لا يبدو إلهاً توحيدياً بل إلهاً تفردياً يشبه حالة الإله مردوخ عند البابليين ورع عند المصريين وبعل وإيل عند الكنعانيين أو زيوس عند الإغريق "فاسم يهوه ذاته يعني نفس ما يعنيه اسم زيوس إله اليونان: كلا الإسمين يعني (بذرة الحياة) أو (مني الحياة) ومنشأ كلا الإلهين كان عبادات الخصب بالشرق الأدنى القديم. وكما هي الحال بالنسبة إلى زيوس ويهوا، وكلا الاسمين غير سامي. نجد أن الآلهة سامية الأسماء هي الأخرى، كحداد وبعل وأيل، تشير أسماؤهم جميعاً إلى عضو الإخصاب عند الرجل". (مقار 1987: 212).

وإذا كنا نرى في أصل اسم (يهوا) جذراً سامياً مرتبطاً بـ(الهواء) الذي يعني الحياة، فإن هناك مَنْ يرى غير ذلك حيث إن اسم الإله الذي أطلق عليه "ياهو، لاهو، ليو، كان يطلق على زيوس - سابازوس كقمر ليلي: سيد الموت تحت الأرض مثل ساترن. وقد أطلق اليهود عليه اسم ساباثوث: سيّد الجند. وكان اسمه اللاتيني قد أتى من الجذور نفسها: لو - بسر، الأب ليو، والذي هو جوبتر أو جوف". (Walker1993: 1095).

ويكاد المصدر الراقديني البعيد يشكل جذراً قديماً من ناحية المعنى للإله (يهوا) لأن أقرب ما يقابله في الآلهة السومرية هو الإله (إنليل) الذي هو إله الهواء العاصف المدمر. والذي كان يُطلق مَنِيَهُ وبذوره على الأرض كي تتخصب وعند ذاك يقترب الإله إنليل من الإله (أيا) وهو إله الماء والذي يقترب لفظ اسمه من لفظ اسم (يهوا). ولننظر في هذه القصيدة السومرية عن الإله (إنليل):

"تقارب السماء - فيكون الفيض.

من السماء ينزل الفيض إلى الأرض

تلامس الأرض - فتكون الوفرة

من الأرض تصدر براعم الخصب

حكمتك - هي الزرع. كلماتك هي الحبوب

كلمتك - هي الماء الغامر. حياة جميع البلاد". (كرهيم 1986: 81).

وهناك قصيدة سومرية أخرى عن الإله (أيا) أو (إنكي بالسومرية) تزيد الصورة وضوحاً:

"عندما رفع الأب أنكي أعينه على الفرات

وقف بخيلاء كالثور الهائج

رفع قضيبه. وقذف المنّي

فعلنا دجلة بالماء الرقراق". (كرهيم 1986: 82).

وهذه الصورة السومرية تقترب كثيراً من الصورة العبرية. (التي أنت بعدها بقرون طويلة). والتي جعلت من يهوا إلهاً جنسياً مخصباً والذي صار اسمه يهوا سيباوث (Sebaoth) "ويعني حرفياً قضيب العاصفة. وكان يصوّر أسطورياً كعضو ذكورة مهول في السماء في حالة انتصاب. وعندما تبلغ العواصف ذروتها المزلزلة كان يقذف مَنِيَهُ على أخاديد الأرض، فيخصبها". (مقار

(1987: 212).

كذلك يمكننا أن نجد جذراً مصرياً قديماً ليهوا. فقد احتوى (كتاب الأبواب) المصري قبل 33 قرناً، وتحديداً في (نشيد الرياح الأربع) نقشاً يعبر عن اسم الله "بكتابة هيروغليفية قوامها رسوم تمثل الريش والطيور تقابل في ترجمة الأحرف الصوتية لكلمة (ي ه وه). أما الحرف الأخير من اسم الإله فهو رمز إلهيٍّ بمروحتين متقابلتين من الريش للتعبير عن شهيق وزفير هذا الإله الحي المحرّم اسمه. لأن تسميته تجعل منه (شيئاً) كسائر الأشياء، التي يتم تعريفها بمدلول أو بكلمة. فالله إذن ليس (كائناً) بل هو (فعل)، إنه حضور خلاق. وأصل كل وجود. وهو لا يمكن اختصاره بصفة واحدة من هذه الصفات". (غارودي 1988: 59).

وإذا كنا قد أشرنا إلى أن القطب الزراعيّ المخصب قد أتى من الديانة الكنعانية والسومرية قبلها فإن هذا لا يتعارض مع قطبه الصحراويّ الآخر، وفي أرض أدوم بالذات الزراعية والصحراوية في آن وكان يمكن للإله يهوا أن يظهر "وقد غالى البعض وأكد أن الرب قبل أن يكون إلهاً لليهود كان إله الأدميين وكان واحداً من ضمن الآلهة الأخرى التي كانت تعبد من قبلهم وكان هذا سبباً لإغفال كتاب العهد القديم ديانة الأدميين خوفاً من الاعتراف بأن (يهوا) لم يكن إله اليهود وحدهم بل نرى شعوباً أخرى كانت تعبده". (ياسين 1994: 147).

ولكي لا نجزم جزءاً قاطعاً في هذا الأمر، فإننا نرى بأن من الأهمية مكان الاعتراف بأن الإله يهوا كان إلهاً عادياً ضمن مجموعة كبيرة من الآلهة الكنعانية أو الآرامية. وأنه عبد في أكثر من مكان. وأن الأدميين عبده مع آلهة أخرى إلا أن التشكل القومي للعبريين من جهة وللأدميين من جهة أخرى. والاحتراب الواضح بينهما، قد يكونان سبباً في أن العبريين تمسكوا به بقوة وجعلوه إلهاً أعلى لقوميتهم. فما كان من الأدميين إلا أن طردوه من حظيرة آلهته ثم منعوا عبادته.. لأنه أصبح رمزاً لأعدائهم.

ورغم أن التوراة ذكرت ديانة وآلهة العمونيين والمؤابيين إلا أنها أغفلت ذكر الأدميين وأطلقت على آلهتهم (آلهة بني سعين) التي عبدها (أمصيبا ملك يهوذا بعد أن قام بغزو منطقة سعين فغضب عليه كتبه التوراة وشوّهوا سيرته.

الآلهة الأدمية:

عبدت في أدوم مجموعة من الآلهة المذكورة والمؤنثة. بعضها ذو منشأ كنعانيّ مثل الإله (إيل) وبعل وحدد ويهوا وعشتروت) وبعضها ذو منشأ مصريّ مثل (إيزيس وأوزيريس وحورس) ودليلنا الوحيد هو لوحة بالوعة. وبعضها الآخر صحراويّ جزيريّ مثل (عزیزو. قوس. اللات). يظهر الإله (قوس) واحداً من أهم الآلهة الأدمية. ويكاد يشكل الإله الزراعيّ للأدميين. ويبدو أنه قدم من صحراء الجزيرة العربية تحت اسم (كوز) أو (كوزي) الذي يمثل قوس القزح، حيث عبد الإله (قزح) في الجزيرة. ولا شك في أنه كان يمثل قوس القزح الرامي "الذي كانت نباله البرق وكان قوسه قوس القزح. فقد كان إله الجبال والبرق والرعد والمطر. وكان العرب يحافظون على عبادته بقرب مكة. فهو يقابل حدد (Hadad) إله المطر عند السوريين. وريشب (Resheph) إله الحرب عند البابليين. وصفة قزح توافق الآلهة التي كانت تمثل وظيفة إله الحرب مثل أبولو (Apolo) الإغريقيّ". (خان 1981: 141).

وبذلك يمتص الإله (قوس) صفات الإله (حدد) تحديداً ويظهر الجانب الحربيّ والصحراويّ القاسي، رغم أن الإشارة إلى المطر والرعد وقوس القزح تعطيه بعض صفاته الخصيبة. ولا شك في أن كلمة (قوس) سواء أشارت إلى القوس والسهام الحربية أو إلى قوس القزح فإنها تجمع في معناها الجانبين معاً. ويمكن أن تكون عبادة هذا الإله قد تعدت أدوم إلى مؤاب وخارجهما

”وإذا ما تتبعنا منطقة انتشار هذا الاسم لأدركنا أن عبادته، من الممكن العثور عليها، منتشرة على جانبي وادي عربة، في أدوم، وبيير السبع والنقب. كما أن اسم الإله قوس كان منتشرًا عند المهاجرين إلى بلاد ما بين النهرين، وإلى مصر، إلى نيبور في العراق وإلى برقة شمال أفريقيا“.

(ياسين 1994: 147).

وقد ذكر في تعاويذ التشخيص والإنذار في الطب الأكدي. ويمكننا تتبع انتشاره أو انتقاله في الشعوب المجاورة، فقد دلت الآثار على أن الأنباط عبده ضمن آلهتهم فقد ”جاء ذكره في نقش من بصرى ويذكر في النقش صنع نسر على شرفة، مما يشير إلى أن النسر كان رمزاً لهذا الإله، ونقش آخر عثر عليه في خربة تنور يذكر خبر تكريس محارب له“.

(الفاسي 1994: 238).

وإذا كان الإله (قوس) هو الشكل الأدومي للإله الكنعاني (حدد) في صورته الطبيعية المستكملة على رموز البرق والعاصفة والمطر وقوس القزح، فإن الإله (عزيزو) أو (أزيزو) يكمل صورة الإله (حدد) تماماً فهو إله الحرب كما ذكرنا وهذا الإله الصحراوي محارب ”وقد بينت الدراسات الأثرية أن دمي الفخار التي تمثل شخصاً يمطي حصاناً إنما تمثل إلهاً وهو الإله عزيزو أو (أزيزو)، لأن هذا الإله كان يصور دائماً على شكل خيال. ولعله في هذه الحالة يمثل آلهة الحرب التي تقابل أعداءها وهي على صهوة الجياد“.

(ياسين 1994: 145).

ويبدو أن هذا الإله ظهر في جنوب الجزيرة العربية بمظهر كوكبي. فهو واحد من ثالوث مكون من (إل) إله السماء الذكر أو القمر و(اللات) إلهة السماء الأنثى أو الشمس. والإله الثالث هو الوليد الإلهي (عشتر سمين) أي (عشتار السماء) وربما زهرتها ”اشارت إليه النصوص بالاسمين (Azizos) أزيزوس وكان يتقدم الشمس عند شروقها، و(Monimos) مونيموس وكان يتبع الشمس حين غروبها“.

(القمني 1993: 147).

ويمكن أن تكون (عشتروت) الكنعانية قد عبت كما هي أو تحت اسم (اللات) التي تمثل الشمس، هي إلهة جزيرية انتشرت عبادتها في الأجزاء الشمالية من جزيرة العرب ”ويرى بروكلمن أن اللات هي الإلهة التي كانت تعرف في الطائف بالربة أي السيّدة والتي شبهها هيروودوتس بإلهة الفلك رانيا (Rania) وهي تقابل الأم الكبرى للإلهة عشتروت عند الساميين الشماليين“.

(حسن 1988: 147).



إلهة أدومية ترتدي غطاء رأس بثلاثة قرون

وكان يمثلها العرب على شكل صخرة مربعة ويعتقدون أنهم يسمعون صوتاً من داخلها. واللات كلمة عربية مشتقة من الله وهي صورته الأثوية لفظاً. وقد انتقلت عبادتها إلى الأنباط بعد الأدوميين. وسماها السوريون (أترغاتس). ويكاد الإله حدد أو قوس أو عزيزو يتمثل بعض صفاتها فهو إله صحراوي وهي إلهة صحراوية وسيكون هذا النظام المثلوجي الأدومي تمهيداً لنظام مثلوجي نبطي أشمل ستتدرج فيه المثلوجيا الأدوميّة تماماً.

”يعتبر نيلسن الإلهين (إله الشمس والإلهة الأم) في الأسرة الإلهية السماوية التي تمثلها مع إله القمر وكوكب الزهرة. وتُدعى بعض الأحيان بـ(الإلهة). ويتفق ك. أ. كوك معه في احتمال أن تكون إلهة الشمس. بينما يرى رينيه ديسو أنها تمثل كوكب الزهرة وليس الشمس ويرى كذلك أنها صورة شمالية للإله عشر إله الزهرة الجنوبي وإن كان مذكراً. وأن في الصباح إلهة الحرب وتسمى حينذاك بـ(العزى) وفي المساء تمثلها نجمة المساء وتعد حينئذ بـ(مناة)“. (الفاسي 1994: 240 - 241).

وبهذا الاحتمال، تتواشج الآلهة الذكرية مع الآلهة الأنثوية فتصبح كل مجموعة مرآة للأخرى تعكس صفاتها وتمثلها. ولكن هذا يدعونا للقول إن الآلهة الأدوميّة بدأت تنحو في اتجاه سماوي كواكبي واضح. وتكون بذلك قد غادرت المنحى الأرضي الزراعي وتكون صفات الخصب والجمال قد أهملت كلياً في بيئة صحراوية حربية وسيتضح الثالث الكواكبي بصورة أفضل عند النبطيين كما سنرى.

الطقوس:

أما الطقوس الدينية والمثلوجية فقد كانت تجري في المعابد الأدوميّة التي يمثل نموذجاً لها المعبد المكتشف في موقع (هوفرت قطميط) الذي يبعد حوالي (10) كم من تل عراد في جنوب فلسطين. وهو مكوّن من ثلاث حجرات وساحة عامة أمامها ساحة ذات حوض حجري ومذبح وقد ”تم العثور على حوالي عشر دمي طينية تمثل نساء حوامل عثر معها على عدد من الدمى الفخارية الأخرى والفخار المزين بأشكال مختلفة بعضها يمثل أشكالاً إنسانية والأخرى حيوانية. واحدة من هذه الدمى تمثل الإلهة متوجة بثلاثة قرون“. (ياسين 1994: 144).

ويبدو لنا من آثار أخرى أن بعض طقوس العبادة كانت تمارس في العراء بدليل العثور على مذابح وحدها ومباخر فخارية. وهذا يشير أيضاً إلى استمرارية نمط الديانة الكنعانية في بناء المعابد أو في أماكن العراء المخصصة للعبادة.



مبخرّة فخاريّة أدوميّة

Bienkozi, piotr (1996) *The art of Jordan*

المبحث الرابع: الديانة العبرية (1200 - 580) ق.م.

العبرانيون قبائل أمورية آرامية صحراوية كانت تجوب صحارى المشرق في بدايات الألف الأول قبل الميلاد، ورأى البعض أنها تعود لجذور قديمة ربما كانت تسمى بد(عبيرو) و(أخلامو). وقد جرت محاولات من قبل المؤرخين والآثريين الذين يتبنون مدرسة الكتاب المقدس، وهي مدرسة دينية مؤدلجة، للربط بين العبيرو في النصوص القديمة والعبريين في القصص الواردة في التوراة على ضوء التشابه بين اسم العبيرو والجذر المشترك في اللغات السامية (ع بر)، إلا هذه المحاولات لم تلق قبول الاختصاصين في اللغة الأكادية من مثل الألماني لاندسبرج وجان بوتيرو وغيرهما.

كان ظهور العبرانيين في بلاد الشام سبباً لتأثرهم بالكنعانيين الذين تربطهم صلات مشتركة في اللغة والتاريخ والأصول مع الأموريين والآراميين، وتبنوا تكييف عقائدهم وديانتهم مع الديانة الكنعانية حين استقروا في السامرة وأورشليم مع اليبوسيين وعموم الكنعانيين فيهما. "إن الثراء الثقافي الناجم عن التنوع الديموغرافي في المجتمع السوري القديم، أمر ليس له مشابه في كل بقاع العالم. فعلى سبيل المثال؛ تشكل مجتمع أوغاريت علاوة على السكان الكنعانيين، من الحوريين، والحثيين، والمصريين، والإيجيين، واليونانيين وغيرهم. وبقدر ما حافظ هؤلاء على خصوصيتهم الثقافية، بقدر ما انخرطوا مع أقرانهم، من أبناء المملكة في بناء عزة أوغاريت ومجدها. إن هذا النوع من الانصهار الاجتماعي والتمازج الديموغرافي الأوغاريتي، ينسحب على كل الأراضي السورية التي ضمت تنوعاً إثنياً وديموغرافياً لا يقل عن أوغاريت. ويمكن أن نلمس مظاهر هذه التعددية في بعض الجوانب من العبادات، وفي أسماء الآلهة ووظائفها، والطقوس، والممارسات الدينية". (حمود 2014: 485 - 486).

كان العبريون من ضمن هذا التنوع الهائل، وكانت خصوصيتهم ضعيفة قياساً لخصوصيات كنعانية وأمورية وأرامية متنوعة، وهم خليط من هذه الشعوب التي انتشرت في بلاد الشام ووادي الرافدين.

1. مرحلة التعدد: ديانة كنعانية في مدن وقرى الشام (1200 - 800) ق.م.

كانت الديانة العبرية خليطاً من الأصل الأموري والفرع الكنعاني، ولعل أهم تحول نوعي حصل معهم هو تبني عبادة إيل وأشيرابنهما بعل الذي طابقوه مع إلههم (يهوا). كان العبريون، عند اختلاطهم مع الكنعانيين، قبيلة أمورية متشردة في الصحارى والوديان وكانت تعبد أحد أشكال الإله (أمورو) وهو (يهوا) وقد جاء هذا الاسم من أحد ألقاب (إنليل) السومري وهو (إياهو) أي الحماية السماوية، وربما كان أيضاً متماهياً مع إله من مدين أو هو إله براكين ونار في الأساس، ولكنهم عندما استقروا في مدن شامية معروفة مثل السامرة وبيوس (أورشالم) أسبغوا صفات الإلهين إيل وبعل الخصبية على يهوا فتهذبت صفاته الصحراوية النارية وتحول إلى إله خصب وحقول ومطر وبرق ورعد.

وتُظهر منحوتة من الطين المشوي اكتشفت في فلسطين تعود للقرن العاشر مكوّنة أربع طبقات من المشاهد التي تحمل معنىً رمزياً، وقد بلغ ارتفاعها حوالي 1,75 قدم، وربما استخدمت في العروض أو الإراقة، على الرغم من أن وظيفتها الدقيقة لا تزال غير معروفة.

الطبقة الأولى: يرتكز عمودان على الطبقة العلوية للحامل وتصور حصاناً (بعضهم يرى أنه ثور مع قرص الشمس فوق ظهره.

في الطبقة الثانية: تدور الأسود عند شجرة منمّقة.

في الطبقة الثالثة: اثنان من الكروبيم يقفان على حافة الطبقة مع وجود مساحة فارغة بينهما.

في الطبقة الرابعة: امرأة عارية تقف بين أسدين مشابهين للأسدين الموجودين في الطبقة الثانية. وتربط الأسود بين هذين المشهدين بصرياً، مما يشير إلى أن الطبقتين 2 و4 مرتبطتان بشكل أيقوني أيضاً.

وقد عُرِفَت الصور الموجودة على أنها تمثيلات لإلهين كنعانيين: الإله بعل والإلهة الأم المعروفة باسم "عشيرا". ويمثل البعل ثوراً في الطبقة الأولى، وتصور عشيرا كإمرأة عارية في الطبقة الرابعة وترمز إلى شجرة الحياة في الطبقة الثانية. لكن المؤلف تايلور J. Glen Taylor يرى بأن الإله يهوا - وليس البعل - وعشيرا هما أساس المنحوتة، مما يجعل الطبقة الأولى (حصان مع قرص الشمس) والطبقة الثالثة (إله "غير مرئي" بين الكروبيين من أقدم التمثيلات الأيقونية المعروفة للرب). وفي هذا التفسير، يصير من الواضح أن عشيرا هي قرينة يهوا.



منحوتة الطين المشوي ذات الطبقات الأربع/ متحف إسرائيل

الصورة العبرية لإله العاصفة والخصب دمجت بين إيل وبعل (الأب والابن) وكانت متمثلة بالإله (يهوا) وهو الإله القومي العبري، لأن كل صفات (يهوا) في العهد القديم كانت تشير إلى أنه إله الهواء العاصف واسمه يدل عليه. وكان هذا الإله صورة من صور الإله بعل حدد، لكن اليهود تمسكوا به وادعوا أنه الإله الخالق الأكبر، رغم أنهم اعتمدوا لمرات عديدة عبادة البعل وغيره.

ويظهر يهوا كأحد أشكال إيل، إله، إيلوهيم وربما كان ابناً له حيث يظهر يهوا (في نقش نقدّي متأخر) راكباً على عجلة مجنحة وعلى يده اليسرى الطير (الجناح والطير رموزه)، وهو ما نراه مناسباً لطبيعته الهوائية.



يهوا أحد أشكال إيل، إله، إيلوهيم وربما كان ابناً له
يظهر يهوا هنا راكباً على عجلة مجنحة وعلى يده اليسرى الطير
(الجناح والطير رموزه)

<http://tellivisions.blogspot.nl>

إن يهوه، بانطلاقه من البانثيون الإلهي الكنعاني - والشرقي عموماً - خطا خطوات إلى الأمام باتجاه التجريد والكونية (العمومية). فهذان العنصران المكتسبان - عبر مدّ وجزر من التحوّلات الاجتماعية والاقتصادية والتلاقح الديني بالصيغ التي أتينا على ذكرها في مواضيع سابقة - وإن لم يرحا نهائياً النسيج اليهودي الكهنوتي بنويّاً ووظيفياً، كما سيأتي معنا بعد قليل، فإنهما أتاحا ل (يهوه) أن يستوعب شخصية الرب (بعل) وأن يتجاوزها، واصلاً - عبر ذلك - أيضاً إلى أن يتضمن شخصية الإله (إيل). (تيزيني 1985: 318).

ونرى أن قرينته كانت هي الإلهة أشيرا (أسيرا) التي كانت تشير، هي الأخرى، إلى الخصب والوفرة، ونرى أن اسم (إسرائيل) ما هو إلا جمع بين اسمي (أسيرا) وزوجها (إيل) فيكون الناتج هو (إسرائيل) الذي أصبح (إسرائيل)، وهو ما يتوافق مع استنتاجنا الذي ذكرناه حول طبيعة يهوا المتصلة بإيل من ناحية وبعل من ناحية أخرى.

أما الرواية التوراتية حول أصل اسم (إسرائيل)، فمثيرة للانتباه حقاً حيث نرى أن اسم يعقوب يتحوّل إلى اسم (إسرائيل)، لأن يعقوب يصرع الله (إيل) وعبارة (يصرع إيل) تتحوّل إلى (يسرايل) أي (إسرائيل) حيث نقرأ في سفر التكوين في الإصحاح الثاني والثلاثين من الآية (22 - 32 ما يلي:

22 ثُمَّ قَامَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَأَخَذَ أَمْرَاتَيْهِ وَجَارَيْتَيْهِ وَأَوْلَادَهُ الْأَحَدَ عَشَرَ وَعَبَرَ مَخَاصَةَ يَبُوقَ.

23 أَخَذَهُمْ وَأَجَارَهُمُ الْوَادِي، وَأَجَارَ مَا كَانَ لَهُ.

24 فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ، وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

25 وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، ضَرَبَ حُقَّ فَخَذَهُ، فَأَنْخَلَ حُقَّ فَخَذَ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ.

26 وَقَالَ: «أَطْفَنِي، لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لَا أَطْفِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي.»

27 فَقَالَ لَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ».

28 فَقَالَ: «لَا يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ، لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ».

29 وَسَأَلَ يَعْقُوبُ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «لِمَاذَا تَسْأَلُ عَن اسْمِي؟» وَبَارَكَهُ هُنَاكَ.

30 فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ «قَنْيَيْلَ» قَائِلًا: «لَأَنِّي نَظَرْتُ اللَّهَ وَجْهًا لَوْجِهِ، وَنَجَّيْتُ نَفْسِي».

31 وَأَشْرَقَتْ لَهُ الشَّمْسُ إِذْ عَبَّرَ قَنْوَيْلَ وَهُوَ يَخْمَعُ عَلَى فَخْذِهِ.

32 لِذَلِكَ لَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ عِرْقَ النَّسَا الَّذِي عَلَى حُقِّ الْفَخِذِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، لِأَنَّهُ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِ يَعْقُوبَ عَلَى عِرْقِ النَّسَا.

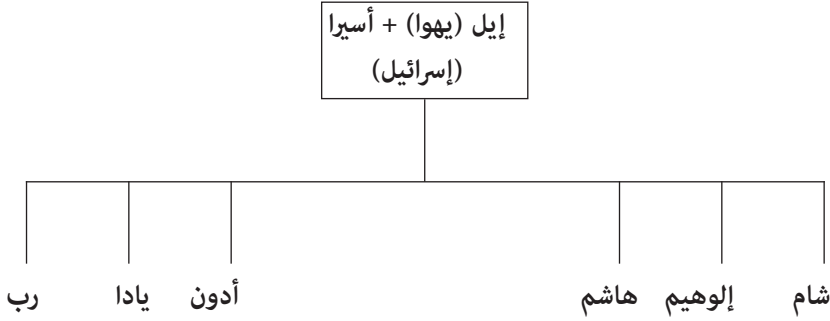
ولنقرأ تفسير القس أنطونيوس فكري لهذا المقطع من الإصحاح:

الله حاول تثبيت يعقوب وتشجيعه برؤيا للابان ثم برؤيا جيش الملائكة ولكن يعقوب ظل في رعب. ونجد هنا أن الله يتعامل معه بأسلوب جديد ليشرح ويعطيه ثقة بنفسه. وفي هذه الليلة التي بدأت بالصلاة المذكورة، من المؤكد أن يعقوب بعد أن أرسل هديته استمر يجاهد في صلاته. وظهر له إنسان وصارعه حتى طلوع الفجر. والله أعطى له هذه القوة للصراع والجهاد فهو لم يكن يملك هذه القوة. وهناك رأيان في هذا الإنسان أولهما أنه أحد ظهورات المسيح قبل التجسد وثانيهما أنه ملاك على شكل إنسان، لكنه يمثل الحضرة الإلهية. وكان هدف الله أن يعطيه ثقة بذاته حينما يغلب فلا يخاف من مقابلة عيسو. ولكن هذا الصراع يشير للجهاد في الصلاة وثمره الجهاد والتمسك بمواعيد الله، لذلك بدأ الصراع جسدياً وانتهى صراعاً روحياً وإلى هذا يشير هوشع النبي هو 4: 3، 12 بكى واسترحمه فهو لم يكن صراعاً جسدياً، ولكنه بكاء وطلب رحمة من الله. هو تمسك بالله ولم يرخه "نش 4: 3"، ولما رأى أنه لا يقدر عليه. بمعنى أن الملاك حين رأى يعقوب في جهاده لم يستسلم بل ظل يصارع طوال الليل. (انظر المزيد عن هذا الموضوع هنا في موقع الانبا تكلا في أقسام المقالات والتفاسير الأخرى). الأمر الذي بدا فيه الملاك كمن هو مغلوب ويعقوب كغالب. ولكن هل يُغلب الله؟ نرجع لسفر التثنية فنسمع "حوي عني عينيك فإنهما قد غلبتاني" نش 5: 6 "فاله يغلب بالدموع والتوبة ويعقوب هنا بكى واسترحمه. وحتى لا يأتي انتصار يعقوب بنتيجة عكسية فيدخل في الكبرياء ضرب الملاك حق فخذه فانخلع. كما سمح الله لبولس بشوكة في الجسد كي لا يرتفع من فرط الاستعلانات. وحُقُّ الفخذ هو مفصل الفخذ وكلمة ضرب في العبرية تأتي بمعنى لمسة خفيفة "لمس حُقُّ فخذه". وهذا لو أدى لخلع المفصل يكون من لمس يعقوب ليس إنساناً عادياً.

[http://st-takla.org/pub/Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-\(Takwin_01-Chapter-32.html](http://st-takla.org/pub/Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-(Takwin_01-Chapter-32.html)

وهذا يعني بجلاء ووضوح تفيقاً مزيفاً لأصل كلمة (إسرائيل) الذي فسّرناه أعلاه كما نعتقد، حيث تظهر بجلاء محاولة كتبة التوراة لإخفاء الأصل الكنعاني الشامي لهذه الكلمة وجذورها المثلوجية التي تُبنى عن عبادة (أسيرا) و(إيل) في إسرائيل وتفضح تكوين الكلمة القديم الذي لا علاقة له بالتوحيد، خصوصاً أن التوراة تهاجم (أسيرا) وتذمها أكثر من (33 مرة في التوراة. وقد تدرج توحيد (يهوا) عند العبريين من إله قومي لهم إلى إله تفريدي كان أهم من الآلهة الأخرى التي عبدوها، لكنهم عندما كانوا في بابل لم يجدوا إمكانية وضعه في معبد وهم في حالة الأسر، ولذلك وضعوه، إلى الأبد، في السماء وأصبح شيئاً فشيئاً إله التوحيد بلا منازع رغم أنهم عندما كتبوا التوراة بعد الأسر البابلي وقعوا في أفكار الشرك والتجسيد له.

بالرغم من كتابة الاسم (يهوه) في التوراة، لكن رجال الدين يحرمون على اليهود لفظ الاسم هذا، ويقومون باستبداله بأسماء أخرى مثل (أدوناي، هاشم، شيما). وتشقي كلمة (شيما) بالجذر البعيد لكلمة (شام) التي هي الأصل الأساس لكل المعبودات الكنعانية والتي كانت العبرية إحداهما وتعني شام في العبرية الاحترام والسلطة والسُلطان. وكذلك هاشم لأن حرف الهاء هو حرف مناداة، وهناك أسماء أخرى ليهوا (يهوه) يفضل اليهود النطق بها وهي (إيلوهيم، العارف، yad - dah، يادا، رب). وكان المؤرخ اليهودي يوسفوس قد ذكر: أن اسم يهوه قل استخدامه من قبل أي إنسان واستخدموا بدلاً منه اسم أدوناي وإيلوهيم. كان العرب الشماليون الصفويون والثموديون يستعملون (إل) للتعريف، وكان الجنوبيون من اليمن يستعملون (ها) للتعريف، ولا شك بأن لهما علاقة بـ(إيل ويهوا) على التوالي. ومن الأمور الشيقة فعلاً ادعاء اليهود أن اسم يهوا يجب أن يكون خفياً وأن الاسم المعلن له هو (أدون) أي (السيد) أو (الرب). وهذا أيضاً يفصح حقيقة زواج أسيرا من إيل وإنجابهما ابناً اسمه (أدون) الذي عبده الهيلنستيون أيضاً باسم (أدونيس).



مخطط أصل اسم يهوا وإسرائيل والأسماء الظاهرة له

لم تكون صورة الإله يهوا كاملة منذ بدايتها، فقد تدرّجت من صورة كانت فيها عبادة العبريين متعدّدة الآلهة، حيث كان للإله يهوا زوجة وابن ومعها عبادت آلهة أخرى مثل عشيروا (إسيرا) وأدوناي.. وكان يهوا إلهاً كنعانياً عُبد في أوغاريت مثلاً وتذكر الألواح الطينية المكتشفة في مدينة أوغاريت عام 1200 ق.م. الإله "يو" الذي يظهر اسمه مختصراً بالكتابة المسماة كإبن للإله إيل عليون وهو إله كنعاني معروف. كان ذلك أثناء وجود السامرة ويهوذا كمملكتين أو عاصمتين لمملكتين "فديانة المملكتين كانت استمراراً طبيعياً لديانة كنعان في عصر الحديد الأول وما سبقه، والآلهة التي عُبدت هنا هي آلهة كنعان التقليدية، وكل ما تمّ الكشف عنه من معابد ومقامات دينية كان مكرّساً لعبادات الخصب المتأصلة منذ القدم. أما الإله يهوه الذي اختاره التوراتيون المتأخرون ليعبده وحده من دون بقية آلهة كنعان، فلم يكن إلا واحداً من آلهة فلسطين القديمة وعضواً في مجمع آلهة موسّع يضمّ العديد من الآلهة والإلهات، وكان متزوجاً من الإلهة عشيروا، وهي الإلهة التي نعرفها جيداً من المثلوجيا الكنعانية منذ عصر أوغاريت الذهبي الذي أمدنا بالنصوص الأدبية والدينية الشهيرة". (السواح 2003: 198).

ورد ذكر عشيرا في الكتاب المقدس حوالي 40 مرة يرى البعض أن أشيرا كان يمكن تمثيلها في نصب مجردة كالأعمدة والسواري، أو في شجرة، وفي جرة طويلة مثل التي نراها هنا، وكل هذه رموز لها، وربما تظهر في صورة.

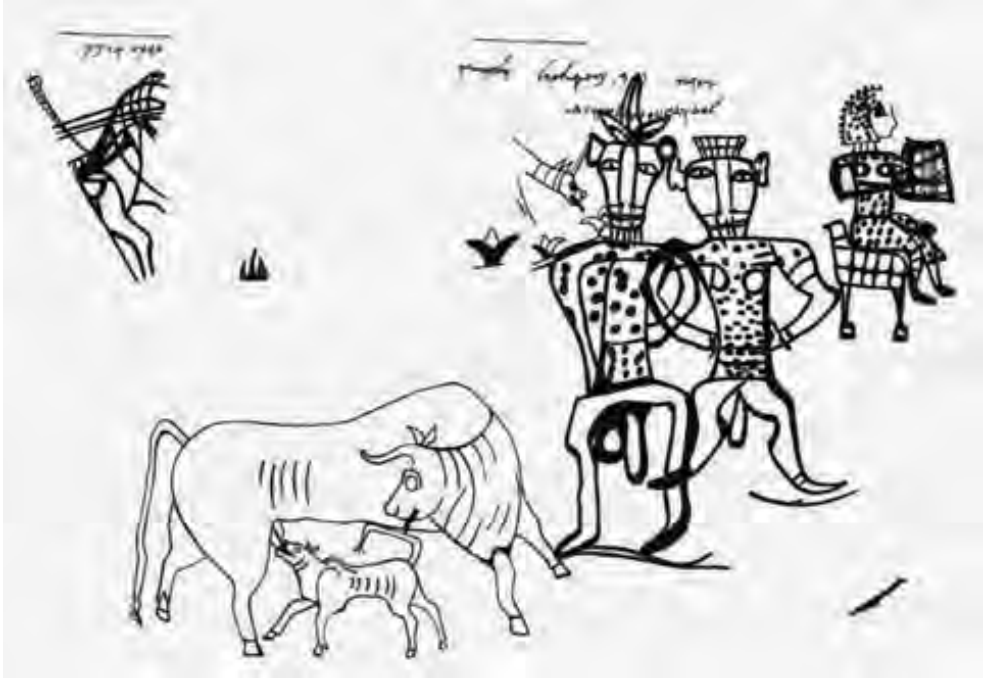


صورة للإلهة عشيرا في كوز من لخيش

جرة من بيت شان يُعتقد أنها تمثل الإلهة عشيرا

. مرحلة التفريد: الديانة العبرية في السامرة وأورشليم (800 - 539 ق.م).

وللدلالة على تفريده فقد كان يُسمّى بـ(إله السامرة)، "في موقع خربة الكوم على مسافة ثمانية أميال إلى الشرق من مدينة حبرون (الخليل)، تم مؤخراً اكتشاف قبر على شكل غرفة مبنية بالحجر نُقشت على جدارها الجملة التالية: «لتحلّ عليك بركة الإله يهوه وعشيرته». وتحت الجملة، هناك كَفّ ليد إنسانية محفور على الصخر (انظر الصورة رقم 5 في القسم المصوّر). وفي موقع عجرود بسيناء الشمالية تم اكتشاف محطة قوافل وفيها معبد صغير عثر فيه على نقوش متفرقة تذكر أسماء الآلهة إيل وبعل ويهوه. كما ورد اسم يهوه مقترناً بزوجه عشيرة منقوشاً على جرار فخارية ضمن نصوص قصيرة مبطية يقول أحدها: «لتحلّ عليك بركة يهوه، إله السامرة، وعشيرته». ويقول آخر «لتحلّ عليك بركة يهوه إله تيمن، وعشيرته». والاسم تيمن يرد في التوراة للدلالة على المناطق الصحراوية إلى الجنوب من يهوذا بشكل عام. ويقول ثالث: «قال أماريو لسيدي... فلتحلّ عليك بركة يهوه وعشيرته، ليباركك يهوه ويحفظك ويكون إلى جانبك»، وقد أرجع علماء الخط السامي القديم هذه النقوش إلى القرن الثامن قبل الميلاد». (السواح 2003: 204).



رسم لقطعة من جرة فخار وجدت بمنطقة كونتيلة عجرود في سيناء يبيّن تصوراً للإله يهوه وزوجته عشيرة، القطعة موجودة حالياً في متحف الأركيولوجيا في جامعة تل أبيب.

ثم انتقلنا إلى مرحلة التفريد حيث كانت هناك آلهة أخرى متعدّدة من بيئته ومن بقية الشعوب والحضارات ودياناتها ومعتقداتها المختلفة، لكنه كان بمثابة الإله القومي للعبريين وكان ملك هؤلاء الآلهة الذين معه، وكان ذلك يعني أن له زوجة وأبناءً من دون شك. وقد عرفنا أن زوجة يهوه هي عشيرا. وقد أكدت الحفريات الأثارية ذلك وهذا ما يؤكده العالم الآثاري وليم ديفر الذي يقول في مقابلة معه "إننا لا نعرف بالضبط ما الذي كان عليه معتقد الإله يهوه بالنسبة إلى الإسرائيليين العادي. ورغم أن النص التوراتي يقول لنا بأن معظم الإسرائيليين كانوا يعبدون يهوه وحده، إلا أننا نعرف الآن عدم صحة ذلك... إن مكتشفات الخمس عشرة سنة الأخيرة قد أعطتنا الكثير من المعلومات عن عبادات الإسرائيليين القدماء، ويبدو أننا يجب أن نأخذ عبادة الإلهة عشيرة الآن بجديّة أكثر من الماضي". عن مقابلة أجرتها مجلة علم الآثار التوراتي مع وليم (Biblical Archaeology Review، July - August 1996. Pp. 36 - 37) ديفر. عن (السواح 2003: 201).

"وبحلول القرن الثامن (ق.م)، رغبت مجموعة صغيرة من الأنبياء في جعل الناس يقتصرون على عبادة يهوه دون شريك، لكن تلك الخطوة لم تحظْ بالشعبية. كان يهوه لا يُشَقُّ له غبار كمحارب، إلا أنه لم يكن لديه أية خبرة بالزراعة، ولذلك حين أرادوا الحصول على محصول طيب، كان من الطبيعي أن يلجأ شعب إسرائيل ويهوذا إلى ديانة بعل إله الخصوبة المحلي وإلى زوجته وشقيقته عنات، ويمارسون طقوس الجنس المعتادة لجعل الحقول خصبة. وفي أوائل القرن الثامن، هاجم هوشع، وهو نبي من المملكة الشماليّة، هذه الممارسة، فقد كانت زوجته جومر تعمل كعاهرة مقدّسة لبعل، وكان ما يشعر به من ألم لخيانتها، مماثلاً حسبما تخيل، لما

يعانيه يهوه عندما يمارس شعبه البغاء بعبادة آلهة أخرى“. (أرمسترونج: 2010: 19).
أما توحيد (يهوا من قبل أهل يهوذا فقد جاء متأخراً، وربما كان واضحاً في العصر الهيلنستي
أكثر منه في أي زمن آخر.

المبحث الخامس: الأنباط 300 ق.م. - 106 م

يشكل الأنباط مجموعة من القبائل السامية من سواد العراق ظهرت في العصر الحديدي في جنوب وادي الرافدين ثم انتشرت باتجاه بلاد الشام والجزيرة العربيّة، فهم من الناحية التاريخيّة موجة لاحقة للموجة الآرامية وقد تكون فرعاً من موجة كبيرة غير متجانسة أتت بعد الموجة الآرامية بزمن بعيد. وقد يشكّل الأنباط مع الصفويين والثموديين واللحيانيين والأدوميّين والقيداريين موجة متساوقة الظهور تُعرّف، بنوع من التعميم، بعرب شمال الجزيرة القدماء.

لم تكن هجرتهم منتظمة فقد كانت على شكل مجموعات هنا وهناك في حدود القرنين السابع والسادس قبل الميلاد نحو جنوب بلاد الشام بشكل خاص "لكن الأدوميّين هاجروا مبكراً وسكنوا جنوب الأردن ثم تبعهم إلى نفس المكان القيداريون ولم يكوّنوا دولة هناك، وربما كان الصفويّون قد وصلوا واستقروا في شمال الأردن، ثم زاحم الأنباط سكنة جنوب الأردن وضغطوا على الأدوميّين بشكل خاص مما اضطر الأدوميّين إلى النزوح عن بعض مناطق سكناتهم الرئيسيّة كالبتراء والذهاب إلى جنوب فلسطين تاركين بعض أماكن سكناتهم للأنباط ثم لما تم التزاوج بين الفريقين ذابت العناصر الأدوميّة مع الزمن ثم تسلط الأنباط ووسعوا نفوذهم، وكان الأدوميّون قد بنوا قلاعاً كثيرة ورثها الأنباط وكانت لهم آلهة خصب اقتبسها الأنباط عنهم ومهروا في شؤون الزراعة وحذا الأنباط حذوهم في هذا المجال واستعملوا اللغة الآرامية في كتاباتهم، وكذلك فعل الأنباط". (عباس 1987: 22).

بعد أن هاجروا من سواد العراق انخرزت جذور الأنباط قوية في الصحراء العربيّة، وربما احتوتهم قديماً مناطق صحراويّة أخرى غير جزيرة العرب كالشام والعراق لكنهم رغم قوة جذورهم الصحراويّة، عملوا على إنضاج وفمو ملكاتهم الحية والروحيّة وهضموا سريعاً الأجواء الزراعيّة الخصيبة التي ترعرعوا فيها ثم استطاعوا تمثّل الحضارات الوافدة خصوصاً اليونانيّة والرومانيّة بطريقة تدعو للإدهاش، فقد انفتح نظامهم الروحيّ من جذورهم الصحراويّة إلى آفاق زراعيّة واسعة، من جديد، ثم كاد يشكّل آفاقاً عالميّة وكانوا على مشارف اكتساح المنطقة العربيّة كلها، لولا الضربة التي وجّهت لهم من قبل الرومان (خوف ازدياد نفوذهم)، لكن هذا الدور المجهّض للأنباط سينتشله العرب من بعدهم بقرون عدّة وسيكون لهم دور حضاريّ عالميّ إبان ظهور الدعوة الإسلاميّة.

نرى أن كلمة (نبط) تشبه في المعنى كلمة (عرب)، فمعنى الاثننتين هو الظهور والإفصاح، ويكمن في جذر كلمة (ن. ب. ط معنى نبأ، ينبو أي يُظهر ويُفصح، وتأتي التاء لتعطي معنى النبات الذي يشق الأرض ويطلع، والطاء لتعطي معنى الماء الذي في الأرض.. يطلع أو ينبط. أما كلمة (ع. ر. ب) فتشير إلى الإفصاح والنبو والظهور أيضاً. ويفيد معنى كلمة (نبط) في المعاجم العربيّة ما يدل على البياض وعلى الماء الذي يظهر في أوله في البئر وما يسيل من الجبل كأنه عرق يخرج من الصخر، ويعكس هذا المعنى ارتباط الأنباط بالماء وسواء كان يسيراً في البطائح أو عسيراً في المياه الجوفيّة، فهم الباحثون عنه هنا وهناك.

لكننا نستبعد أن يكون الاسم العربيّ هو الدال عليهم وعلى تاريخهم القديم ولذلك توجب العودة إلى اللغة الآرامية التي انحدرت اللغة النبطيّة منها ومعرفة معنى كلمة نبت ونباتو.

فالمندائيون، مثلاً، وهم من الناطقين بلهجة آرامية قريية من النبطية يعنون بكلمة (نبا) نبع وبرز وانشق. وبكلمة (نبط) بمعنى يتفجر ويتدفق ويرتفع. (السعدي 2008: 334). وستظهر لنا أن من أهم ميزات الأنباط معرفتهم الدقيقة بآبار الماء الخفية وصلتهم بالماء تبدو غريبة حتى أن هناك من يقول إن النبط يعني الماء، كذلك عُرفوا بحبهم للحرية وتقديسها ولذلك لم يخضعوا في تاريخهم إلى حكم الأقوام التي تتالت على المنطقة ولم يستطع أحد السيطرة عليهم، كما أن الأنباط أظهروا قدرة هائلة على استغلال موارد الأرض الطبيعية مثل مناجم النحاس والحديد والأسفلت وصناعة الأدوات منها. ثم أخذوا لاحقاً عن اليونان تنظيم المدن وضربوا النقود وكانوا واسطة لنقل الهيلينية إلى العرب الجنوبيين. يمكننا أن نقسم تاريخ الأنباط إلى أربع مراحل هي:

1. المرحلة القديمة (الأصول) (1200 - 333 ق.م): وهي مرحلة العصر الحديدي التي تبدأ بظهورهم في وادي الرافدين وتنتهي بغزو الإسكندر المقدوني للشرق وبدء المرحلة الهيلنستية في المنطقة.

2. المرحلة الوسيطة (الممالك النبطية) (333 ق.م. - 106م) وهي المرحلة الهيلنستية وظهور الممالك والدول النبطية في العراق والشام والجزيرة.

3. المرحلة الحديثة (تفرق وانتشار القبائل النبطية) (106 - 611م) وهي مرحلة انفتاح الأنباط على العرب وإعارتهم لهم معظم آلهتهم القديمة وخطهم النبطي ليكون أصل الخط العربي.

4. المرحلة المتأخرة (ذوبان الأنباط في البيئة العربية) (611 - الآن) وهي مرحلة ظهور الإسلام وذوبان قبائل الأنباط في المجتمع العربي الإسلامي الجديد.

يذكر "فيليب حتي" أن حضارة الأنباط "كانت حضارة مركبة، وإن كانت حضارة عربية في جوهرها، فهي عربية في لغتها، آرامية في كتابتها، سامية في ديانتها، يونانية ورومانية في فنها وهندستها المعمارية". ويشيد "استرابون" بنشاط الأنباط واجتهادهم في أعمالهم، لزيادة ثروتهم، مما أدى إلى ازدهار اقتصادهم، وخلو مجتمعهم من الفقراء والمعدمين، وفي ذلك يقول: "يمتاز الأنباط باعتدالهم وجدهم حتى أنهم يفرضون عقوبة علنية على كل شخص تتناقص ثروته، أما الشخص الذي ينمي ثروته فيزداد تكريماً وشرفاً. وإذ إن الأنباط لا يقتنون سوى عدد قليل من العبيد، فإنهم يستخدمون أقاربهم في أعمالهم، أو يخدمون بعضهم بعضاً، أو يخدمون أنفسهم بأنفسهم، حتى أن الملوك يتبعون هذه العادة..". (إسماعيل: 1977: 265).

بعد الاجتياح الآشوري والبابلي للشام جاء الاجتياح الفارسي الذي استمر مدة قرنين انتهى مع احتلال الاسكندر الكبير وتدميره للإمبراطورية الفارسية ثم خضع أغلب مناطق الشام لإمبراطوريتين يونانيتين هما السلوقية والبطليموسية.

وفي عام 312 ق.م. قامت أول محاولة سلوقية لإخضاع الأنباط بعد أن خضع كل ما عداها من بلاد الشام للسيطرة اليونانية. وبعد سنوات أخذ البطالمة يتحرشون بالأنباط حتى أنهم انتزعوا منهم لفترة النشاط التجاري وحوّلوه لمصلحتهم. وكانت دولة الأنباط تنمو في شكلها الحضاري. وفي حدود منتصف القرن الثاني قبل الميلاد قامت دولة اليهود المكابية جوار دولة الأنباط ودخلت في صراعات طويلة مع الأنباط تخللتها فترات تحالف.

واكتملت مرحلة تحضر حياة الأنباط بعد احتكاكهم بالهيلنسيين ثم عندما قدم الرومان إلى الشام وأزاحوا البطالمة من بلاد الشام بقيادة بومبي عام 64 ق.م. الذي حاول تقليص (اليهودية) إلى أصغر حجم بلغته.

وقد أثارت الطرق الواسعة والنوعية للأنباط حسد البطالمة والرومان فقرروا غزوهم والسيطرة عليها .

طرق التجارة النبطية التي
أثارت حسد البطلمة والرومان
[http://www.flickr.com/
photos/60647640@
N06/5534778557/in/pho-
tostream](http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/5534778557/in/photostream)



تخبرنا الآثار أن أول ملك نبطي معروف هو حارثة الأول في حدود 169 ق.م. ثم مالك ثم حارثة الثاني ثم عبادة الأول ثم حارثة الثالث الذين دخلوا في صراعات مع (اليهودية) والسلوقية وملك أرمينية، وفصل هذه المجموعة من الملوك الأنباط. وقام مالك الأول بمحاولة الاستيلاء على اليهودية ولكنه جلب لمملكته الدمار ثم خلفه عبادة الثاني الذي خاض ضد اليهودية حرباً ثم حارثة الرابع الذي ظهر السيد المسيح في زمنه وظهرت في عصره إصلاحات عمرانية واسعة ومنجزات زراعية وكان عصره هو العصر الذهبي للأنباط، وقد خاض أيضاً ضد اليهودية حروباً عديدة ثم خلفه مالك الثاني ورب إيل الثاني الذي بدأ يركز على بصرى عاصمة له دون البتراء التي استولى عليها قائد روماني تابع لتراجان وسماها (العربية) أو (كورة العربية) وجعل تراجان من بصرى عاصمة لدولة (العربية) وكان آخر ملوك الأنباط هو مالك الثالث حيث بدأت مملكة الأنباط بالأفول نهائياً وأصبحت ولاية رومانية تضم كل ما كانت تضمه دولة الأنباط في أقصى توسعها.. وامتزج أهل الأنباط بعناصر سورية وعربية وقد وجدت خطوط نبطية بلغة عربية في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي وفي القرن الثالث بزغت تدمر فأخذت مكانة البتراء نهائياً. أما في المرحلة البيزنطية فقد فقدت البتراء مكانتها التجارية وأصبحت مكاناً دينياً.



مملكة الأنباط في أقصى توسعها
<http://www.alzakera.eu/music/vetenskap/Historia/historia-0130-3.htm>

وكانت تجارة الأنباط مثار اهتمام الجميع وسبب معاركهم، خصوصاً مع المكابيين اليهود الذين كانوا يتنازعون معهم على طرق التجارة، خصوصاً مدينة أفودات باتجاه غزة على طريق العطور (في منتصف الطريق بين ساحل المتوسط والبتراء) حيث كان يصدّر الأنباط البضائع لميناء غزة الذي سيطر عليه الرومان أخيراً.



أفودات على تلة العطور في الطريق لغزة التي تقاتل عليها المكابيون والأنباط
<http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/5535360916/in/photostream>



أفودات: نقش الزهرة المتكرر في مدائن صالح والأسد اليميني الموجود في البتراء النبطية
[/http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page5](http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page5)

وفي القرن الرابع فقدت البتراء اسمها وأصبحت تُدعى (الرقيم) وهو اسمها الثاني بعد (الصخرة). وكان ذلك يوم أصابها الزلزال عام 363 م.، ولم تعد البتراء في القرن السادس مسكونة بالناس ثم ضاع اسمها تماماً في العصور الإسلامية.

أما أهم المناطق التي شملت الامتداد النبطي فكانت ثلاثاً (عباس 1987: 85)

1. منطقة النقب: أهم مراكزها عبده وكرب ونصتان وخلصه.
 2. منطقة جنوب سورية: أهم مراكزها بصرى (سيحا) وفيها مسرح ومعبد للإله ذي الشرى، والسويداء وهي مركز ديني معماري.
 3. منطقة شرق نهر الأردن: أهم مراكزها إطلاقاً هي البتراء ووادي رم وهناك مئات المواقع الأخرى مثل ذات راس وقصر به وخربة المشيرفة وخربة براك.
- وقد توسّعت مملكة الأنباط كثيراً وشملت في أوج أيامها منطقة واسعة، ضمت دمشق وCoele Syria، والأقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحووران وأدوم Idumaea ومدين إلى (ددان) وسواحل البحر الأحمر. وثبت أيضاً أن جماعة النبط سكنت في الأقسام الشرقية من (دلت) النيل، وقد تركت لنا عدداً من الكتابات". (علي 1953: 14 - 15).

واختلفت الآراء في تقسيم تاريخ المملكة النبطية فمنهم من يرى أنها بدأت مستقلة مع بداية القرن الثاني قبل الميلاد رغم الهيمنة السلوقية والبطلمية، ثم ازدهرت منذ حكم الحارث الثالث حتى نهاية حكم الحارث الرابع ملكها ثم تبعت للرومان ثم زالت نهائياً بعد هجر عاصمتها البتراء. وهناك آراء أخرى تضع حكم الحارث مركز الثقل في تاريخها، فالدكتور إبراهيم السايح يرى أن تاريخ مملكة الأنباط مرّ بثلاث مراحل سياسية هي "المرحلة الأولى هي تلك التي تتمثل في نقوش الملك الحارث، وهي ترجع إلى القرن الثاني ق.م. على الأرجح، وهذه الفترة تمثل ازدهار المملكة النبطية واستقلالها ورخاءها الاقتصادي ونفوذها السياسي. والمرحلة الثانية هي المرحلة التالية لحكم الحارث وترجع إلى النصف الثاني للقرن الأول ق.م. والنصف الأول من القرن الأول الميلادي على وجه التقريب، وفي هذه المرحلة استمر الاستقرار السياسي

للمملكة، ولكنها لم تكن قادرة على مواصلة لعب الدور نفسه الذي لعبته في المرحلة الأولى. ففي هذه الفترة كانت القوى المناوئة للرومان في سبيلها للرحيل وأصبحت الساحة في الشرق مهية لسيطرتهم الكاملة. وكان دور الأنباط في هذه الحالة أن يتحولوا من دولة مستقلة مضطرة إلى التحالف أو احترام سيادة واستقلال الأنباط. والمرحلة الثالثة من تاريخ هذه الدولة هي تلك التي نقرأها من النصف الثاني من القرن الأول الميلادي - منذ عهد ماليكو الثالث - وحتى بدايات القرن الثاني الميلادي حيث تحولت المملكة إلى مجرد ولاية رومانية وفقدت استقلالها وصار حكامها تابعين للرومان". (السايج 2000: 81).

ملوك الأنباط

لا يمكننا التكهن بالوقت الدقيق الذي أصبح فيه للأنباط ملوك، ولكننا نعتقد أن ما أحدثته حروب الأسكندر المقدوني وخلفائه سمحت بقيام دول وممالك جديدة بعيداً عن الهيمنة الفارسية، فقد ظهرت ممالك ودول كثيرة نرى أن الأنباط من ضمنها في مستهل القرن الثالث قبل الميلاد. ويمكننا النظر في قائمة ملوك الأنباط بحسب ثلاث قوائم أعدّها العلماء. (كاميرير وباورسوك وميشورير):

Meshorer	Bowersock	Kammerer
-----	حارثة 1 168 ق.م.	حارثة 1 169 ق.م.
-----	رب إيل 1	مالك 145 ق.م.
حارثة 2 110 - 96 ق.م.	حارثة 2	حارثة 2 110 - 96 ق.م.
-----	عبادة 1	عبادة 1 95 - 87 ق.م.
حارثة 3 84 - 71 ق.م.	حارثة 3 84 - 72	حارثة 3 87 - 62 ق.م.
عبادة 2 62 - 30		دمشق
مالك 1		عبادة 2 62 - 47 أو 62 - 60
عبادة 3 30 - 9	مالك 1 56	مالك 1 (?) 47 - 30 أو 60 - 30
سيلابوس 9	عباد 3 30 - 9	عبادة 3 30 - 9
حارثة 4 9 ق.م. - 40 م	-----	-----
مالك 2 40 - 70 م	حارثة 4 8 ق.م. - 40 م	حارثة 4 9 ق.م. - 40 م
رب إيل 2 71 - 106 م	مالك 2 40 - 70 م	مالك 2 40 - 75 أو 38 - 71 م
المملكة النبطية سنة 106 م.	رب إيل 2 71 - 106 م	رب إيل 2 71 - 107 م
	اء	انته

ملوك الأنباط حسب ثلاثة من موثقي ملوك الأنباط، نقلًا عن كتاب (هتون أجود الفاسي)

وعلى ضوء دراستنا لتاريخ الأنباط والمراحل التي مرّوا بها من ظهورهم الأول كقبائل صحراوية حتى أفلو دولتهم وزوال تراثهم الروحي والثقافي، يمكننا أن نقسّم المثلوجيا النبطية إلى ثلاثة أقسام: المثلوجيا الصحراوية التي تمثل الجذور والتي تأثرت بما أسميناه بالمحيط النبطي، والثاني: المثلوجيا النبطية الزراعية التي أتت بعد استقرارهم في مستوطنات ومدن. والثالث: المثلوجيا النبطية المركبة حيث اختلطت بمثلوجيات مشرقية وسامية ويونانية ورومانية مختلفة، وأعدت صياغة مكوّناتها.

2. المثلوجيا النبطية الصحراوية

وإذا كانت المثلوجيا الصحراوية قد نزحت مع الأنباط منذ هجراتهم الأولى، فلا شك في أنها أخذت في طريقها ما صادفتها من مثلوجيا أقوام صحراوية اتصلت بها إلا أننا يمكن أن نعثر على ثلاث صحراويّ أنثويّ يتمثل بـ(اللات، العزى، مناة) وثالث صحراويّ ذكريّ يتمثل بـ(ذو الشرى، هبلو، شيع القوم).

الثالث الصحراويّ الأنثويّ

(العزى، اللات، مناة)

لكننا لا نستطيع أن ننفي صورة اختلاط اللات بالعزى وتبادل صفاتها ولا نعرف على وجه التحديد مصدر العزى، رغم أننا رجّحنا الجزيرة العربية، إلا أنها تظهر أيضاً مبكرة في المثلوجيا السورية، واللحيانية حيث اسمها (هن - عزى) أي (ذات العزة) ”ويبدو أن عبادتها ذات صلة بالمعليات (Hight Places) ورمز الآلهة الأسد. ويرى ف. وينيت أنها من أصل سينائي، وأنها عبت في مدينة العزى (Elusa) (الخلصة حالياً) النبطية في النقب. وكانت لها أعياد تُقام بها، بل وكانت المدينة بمثابة مقرّ أو بيت للعزى. كما أنها توازي الآلهة الرومانية فينوس، ويُعتقد أنها كانت تمثل إلهة الحرب لدى العرب، لذا كانت أضحيتها في بعض الأحيان بشرية“.

(الفاسي 1994: 244)

صورة توضيحية للثالث الإلهيّ الأنثويّ للأنباط ثم للعرب: من اليمين العزى، اللات، مناة ورموزهن الكوكبية فوق رؤوسهن وهي على التوالي: القمر، الشمس، الزهرة. ورموزهن الأرضية: كأس البخور، حزمة القمح، السيف والقطّة.

<http://www.thaliatook.com/AMGG/arabtriple.html>



ويمكن أن يكون اشتقاق اسمها من جذر سومري قديم هو الـ (أزو) أي (العارف بالماء) وكان يُطلق على الطبيب، وارتباط العزى بالماء والخضرة حاضرٌ في الأذهان، لكن هناك من يرى أن ”العزى تأنيث الأعز، مثل الكبرى تأنيث الأكبر، والأعز بمعنى العزيز، والعزى بمعناها العزيزة وهي أحدث من اللات ومناة“. (الحوت 1955: 71).

لكن صلة العزى بالإلهة المصرية (إيزيس) واضحة جداً من جميع النواحي اللغوية والدينية والوظيفية وتضعها في مقامها كإلهة أم.

العزى:

أما الإلهة الثانية في الثالوث النبطي.. فهي العزى التي تمثل الوجه الشتوي لـ (اللات) ويرمز لها بالقمر وبنجمة الصباح (كوكب الزهرة) وهي الإلهة (ذات القناع) في البتراء. ولا شك في أنها أكثر تمثيلاً للإلهة عشتار بصفتها الخصبية، وستصبح هذه الإلهة في مرحلة المثلوجيا النبطية المركبة أهم من اللات، وترتبط بالهتين وافدتين على شاكلتها هما إيزيس وأفروديت، كما سنرى لاحقاً.



العزى في البتراء (معبودة حيان بن نبط) وفي مدائن صالح

<http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page6>

<http://www.matrifocus.com/BEL09/spotlight.htm>

ويبدو أن اسمها مشتق، أيضاً، من الإله الجزيري (عزيزو) الذي ظهر في الجزيرة العربية وعند المؤابيين والأدوميين، ويقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام ”أن العزى قد عبدت مجسّمة في ثلاث شجرات من شجر السمار بوادٍ اسمه حراض، وتقول الروايات إن الرسول قد أمر خالد بن الوليد بهدم بيت العزى وقطع شجراتها الثلاث. فأناها فقطع الشجرة الأولى ثم الثانية، وعندما همّ بالثالثة خرجت عليه امرأة حبشية عريانة، نافشة شعرها، واضعة يدها على عنقها، تصرّ بأنيابها، وخلفها سادنها ينشد: أعزاء شدي شدة لا تكذيبي على خالد القي الخمار وشمري. فقال خالد: يا عز كفرانك لا سبحانه أي رأيت الله قد أهانك. ثم ضربها ففلق رأسها وقتل السادن وقطع الشجرة، ثم أتى رسول الله فأخبره، فقال: تلك العزى ولا عزى بعدها للعرب، أما أنّها لن تعبد بعد اليوم“. (ابن الكلبي 1965: 25).

إن ارتباط العزى بالأشجار أمرٌ طبيعيٌ لما تمثله العزى من صورة الخصب ذكرناها، في حين ارتبطت اللات بالأحجار، لأنها تمثل الوجه الصيفي الجاف من (الإلهة الأم) النبطية.



التماثيل الموجودة في الخزنة يُعتقد أنها كانت تجسد العزى
<http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/>
/page5

أشكال الإلهة أثينا في البتراء
كأثر هيلنستي

اللات:

في الثالوث الصحراوي الأنثويّ تظهر (اللات) في قمة الهرم الإلهي، وتمثل الشمس وهي أم الأرباب والإلهة الأنثوية والذكرية ”و حين يتحدث لبيفانوس عن عيد سنويّ يقيمه الأنباط في بترا لأم الرب النبطي الأكبر ذي الشرب فالأرجح أن كلامه ينصرف إلى اللات وإن كان يسميها (كعبو) وهو شكل الصنم الذي كان يرمز إليها كما يرمز إليها أيضاً إلى ذي الشرى في الطور الأول من حياة الأنباط“. (عباس 1987: 128)

وتعني كلمة (كعبو) الكاعب الحسنة باللغة العربية، ويبدو أن أصل الصنم كعبو هو صخرة مربعة (بيضاء اللون في الغالب) تمثل الربة (اللاتو). فإذا صارت سوداء وكبيرة الحجم مثلت (ذو الشرى) ويبدو أن العلاقة بين اللات وذي الشرى تتبدل فمرة تبدو أمه وتسمى (شامو) العذراء وهي الشمس، وهذا يجعلنا نتأمل في واحدة من المثلوجيات المسيحية (الأم العذراء تلد الرب)، ولكن اللات توصف غالباً بأنها زوجة ذي الشرى وحببته، ويمكن أن يكون اسم الإله الذي ورد في النقوش النبطية تحت اسم (إل له) هو المقابل الذكري لاسم الإلهة (اللات). ويعكس هذا الترادف اللغويّ أمراً في غاية الأهمية سيتشكل لاحقاً في اللغة العربية في ضميرين رئيسيين هما (هو) و(التي)... ويصلح التجريد الذي وصفت به الإلهة اللات والإله (ال له) نمطاً للتعبير عن مطلق مذكر بصيغة (هو) فعندما يُعرف سيكون (ال هو) أي (ال له) أي (الله) وعن مطلق مؤنث بصيغته (التي) فعندما يعرف سيكون (ال التي) أي (اللات).

لقد صادفنا (اللات) كإلهة رئيسة في المثلوجيا الأدومية. ويحتمل أن يكون مصدر (اللات من أدوم. هناك من يرى أن اللات دخلت بين سكنى حوران المتكلمين باليونانية فنقلوا اسمها إلى اليونانية على صورة (أثيني). وهو عند اليونان إلهة الشمس ثم لتكون أمّاً لكل الآلهة النبطية، لكننا سنراها تتراجع في المرحلة الزراعية لتحل محلها العزى ثم مناة. وقد انتقلت

عبادة اللات إلى تدمير وظهر هناك تمثالها وأسدها الذي يرمز لها.



الأسد (تمثال رخامي) رمز اللات في معبد اللات في تدمر ويقف بين
قامتي الأسد غزال وعليه كتابة تدمرية تقول (مَن دخل المعبد فهو
آمن)، نسخة رومانية تعود للقرن الميلادي الأول
<http://www.baghdad4ever.net/vb/baghdad71776.html>

ثم ستنقل من الأنباط إلى العرب في الجزيرة ثم في قريش لتشكّل مع العزى ومناة ثلوث
قريش الأنثويّ.



اللات في الجزيرة 100 م. (التمثال الأصلي
والمصنوع)
<http://www.wheeloftheyear.com/images/2006/allat.jpg>

مناة:

تسمّى عند الأنباط (مناتو أو مناواة) واسمها مشتق من (المنيّة) و(القدر) فهي الوجه الذي يمثل العالم السفليّ للإلهة الأم. أي أنها تقابل صورة أرشكيجال السومريّة أو البابليّة، فهي تمسك بقوانين عالم الأموات وبأسرار هذا العالم. وقد مثلها العرب بالحجر الأسود الذي كانوا يعظمونه خصوصاً قبائل الأوس والخزرج، وكان هذا الحجر الأسود يمثل الطور السلبّي من الإلهة الأم. وقد عرفت (مناة) في عصور لاحقة بإلهة الحظ أي (تايبكي البتراء) ويرجّح أن يكون الهيكل الشهير في مدينة البتراء والمعروف بـ(هيكل الخزنة معبداً للإلهة النبطيّة (مناة) حيث كانت حامية هذه المدينة.

وكانت (مناة) "إلهة الموت كما يدل عليه معنى اسمها، المنيّة أو أن لا يكون لاسمها صلة بالمنى، أي الحظوظ والأمانى، وهي إلهة مقدّمة لدى النبط وغالباً ما يقترن بزدي الشرى في نقوش الحجر الضريحية باسم منوتو ويرى ر. ديسو أن كوكب الزهرة له صورتان واحدة في الصباح تسمّى العزى حينذاك، والأخرى في المساء وتُدعى حينئذ بـ(مناة)". (الفاسي 1994: 244) والموت صفة مناة. ونرى شبيهاً غريباً بين مناة العريية ومناتا (Menata) الآراميّة ومنوت (Manot) العبرية. وكل هذه الآلهات ترتبط بطريقة أو بأخرى بالإله (ماني) إله القدر أو إله الموت عند الكنعانيّين. (الحوت 1955: 65)

لكن (مناة) وبرغم تمثيلها للعالم الأسفل قد ترمز إلى القمر، حيث مثلت اللات الشمس والعزى الزهرة بهذا الثالوث. ويشير هذا التثليث الكواكبيّ الأنثويّ إلى نظرة سماويةّ ينبض فيها جوهر الأنوثة، ويظهر تثليث الإلهة الأم في أشكال ثلاثة مناظراً للقمر الذي يمر بأطوار ثلاثة (الهلل، البدر، المختفي). ومعروف أن القمر كان يمثل الإلهة الأم في أطوار بعيدة "ولقد عبرت الأعمال التشكيلية القديمة عن هذه الوجوه الثلاثة لعشتار سيّدة القمر بأساليب رمزيّة مختلفة. ففي سورية رمز الفينيقيّون إلى أطوار عشتار الثلاثة، بثلاثة أعمدة متفاوتة الطول يعلوها الهلال، أو بثلاثة أعمدة، يتخذ واحد منها هيئة صليب يعلو الهلال، وقد يُرسم القمر على شكل دائرة تحتوي على ثلاثة أهلة يرمز كل منها لطور من أطواره كما هو الأمر في بعض النقوش البابليّة". (السواح 1993: 83)

وإنه لما يلفت الانتباه حقاً بأن هذا الثالوث الأنثويّ ظل ثالوثاً مقدساً حتى مجيء الإسلام، وكان العرب يتقرّبون لأصنامهم بالقرابين. وكانت قريش تردد عندما تطوف حول الكعبة:

واللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى

فإنهن الغرائق العلى
وإن شفاعتهن لترتجى

وقد ظهر هذا الثالوث في صورة (الغرائق العلا). وكان هناك من يزعم بأنهن بنات لله وشفيعات إليه. وقال تعالى (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى، تلك إذا قسمة ضيزى. إن هي إلا أسماء سمّيتن لها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان). "إن الثالوث الأنثويّ النبطيّ يمثل أطوار الإلهة الأم عند النبطيّين، ولكن اللات يقيناً في المرحلة الصحراوية مثلت جوهر هذا الثالوث فقفزت إلى أعلى لترمز إلى الحكمة. لكن صورها وأوصافها في الكتابات القديمة تثبت على كونها الزهرة". (الحوت 1955: 69) وكانت اللات تسمّى (رَبّة بَصْرَى) و(رَبّة صلخد).

الثالوث الصحراويّ الذكريّ

(ذو الشرى، هبلو، شيع القوم)

1. ذو الشرى

يظهر لنا الثالوث النبطيّ الذكريّ في المرحلة الصحراويّة وكأنه يعبر عن إله واحد هو (ذو الشرى) الذي يقف على رأس هذا الثالوث ليشكل في ما بعد وعلى امتداد تاريخ الأنباط الإله القوميّ لهم. ويرى البعض أن اسمه اشتق من مناطق جبليّة في الجزيرة العربيّة، ويرى آخرون أنه مشتقّ من سلسلة جبال (شرى) في جنوب البتراء. أو من المكان ذي الألياف المملفوفة. "وكلمة دوشارا نابعة من الكلمة العربيّة (ذو الشرى) والشراه هي الجبال الواقعة قريباً من البتراء وهي ما تزال محتفظة بهذا الاسم حتى اليوم. أما في التوراة فيطلق اسم (سعير) وهي بكلمة (الشراة) نفسها. وتصف التوراة يهوه بأنه أشرق من سعير أي أنه دوشار نفسه. وكان يهوه يقيم في بيت من الحجر ويدعى أحياناً بيت إيل - بيت الله - وكانت هياكله الكبرى تقوم في الأماكن المرتفعة، مثله مثل دوشارا". (هاردنغ 1971: 141)

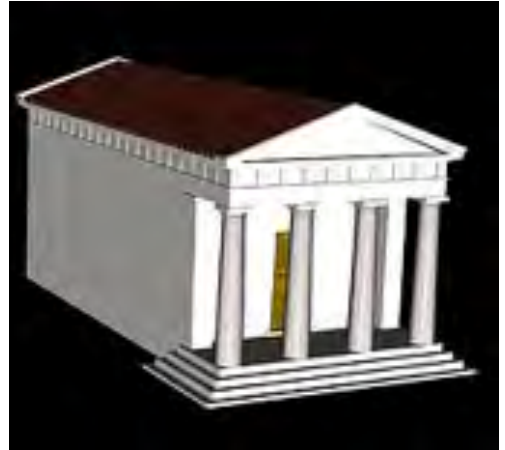
وقد يرد معنى اسم (ذو الشرى) على أنه (الإله المنير) وفي ذلك إشارة للشمس، وفي معجم البلدان نرى أن الشرى موضع عند مكة، أو وادٍ من عرفة على ليلة بين كعب والنعمان. ولأن ذا الشرى - يمثل الوجه الذكريّ لإلهة اللات عند الأنباط فهو إله الشمس وهي إلهة الشمس "أما كون ذي الشرى يُراد به الشمس. فالأمر واضح من قول استرابون الذي يؤكد أن النبطيّين يعبدونها، وكانوا جعلوا عيدها في (25) كانون الأول كما أفادنا القديس أيبفانيوس في كتابه عن الهرطقات. وزاد مكسيموس الصوريّ أن النبطيّين كانوا اتخذوا صنماً لذي الشرى وهو حجر أسود مكعب علوه أربعة أقدام وعرضه قدما". (الحوث 1955: 60).

وكان ذو الشرى يقرب بالحجر أو الصخر المرتفع الشاهق. وكان يجسّد على شكل كتلة صخر أو عمود، أما زوجته اللات فكانت تشير إلى الماء والينابيع، ولذلك تبدو الصورة المذهلة التي تقدمها لنا طبيعة البتراء المتفرّدة أيام المطر، أي تلك الصخور الشاهقة ذات الارتفاع الأسطوريّ والماء ينزل منها، وكأنها عناق سماويّ مقدس بين ذي الشرى واللات. ويطلق عليه في بعض النقوش لقب (الواحد الذي يفصل بين الليل والنهار) و(سيد العالم) في إشارة للشمس. "أهم آلهة الأنباط، وأكثرها تقديساً "دوشرى"، وكان مقرّ عبادته في البتراء، ثم انتشرت في باقي البلاد، وهو يمثل الشمس، كما يعتبر إلهاً للتجارة، ويستدلّ على ذلك من اسمه (سيد الشراء)، وكانو يرمزون له في شكل مسلّة، أو حجر أسود غير منحوت له أربع زوايا". (إسماعيل 1997: 270).

إن النبض المثولوجيّ المهيب لهذه الصورة يعطي البتراء مكانة دينيّة مقدّسة مشتقة من الطبيعة نفسها لا من المعابد أو الهياكل المقامة فيها، ولذلك كانت كل صخرة هي جزء من جسد (ذو الشرى) وكان كل ماء يجري يمثل اللات. فهي كالدّم يمشي في عروق جسد صخريّ ضخم.



معبد ذو الشرى في البتراء وعلى أحد جدرانها كتابة مؤرخة في 267 م.
عبد ذو الشرى ورفيقته اللات، ومنها اشتق محلياً اسم قصر البنت، وهو موجود أيضاً في مدائن صالح، حيث كان النبطيون يطوفون حول البناء باصطحاب الموسيقى والصنع والدفوف والناي.
[/http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page6](http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page6)



إعادة بناء معبد ذو الشرى النبطي الهيلنستي الطابع
[/http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page5](http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page5)

ويبدو أن الإله (ذو الشرى) انتشر انتشاراً واسعاً في المنطقة العربية فقد اتخذ الصفيون إلهاً للسماء ومثله على شكل رجل له لحية طويلة وعلى رأسه قبعة، وعُبد في دومة الجندل، وعبدته قبائل طسم البائدة، وأطلقت عليه أسماء متعدّدة فهو (ذو الشراه، وذ شرا، ودوسر). وهو عند النبطيين إله السلام وأنصابه ورموزه موجهة دائماً باتجاه المشرق حيث الشمس. وكان أهم رمز له هو الصقر الذي نجده منتشراً في آثار البتراء، ومن رموزه الأخرى الثور والأسد والأفعى وكلها رموز تدل على الخصب والقوة.

ولم تكن تمثل (ذو الشرى) تماثيل في المرحلة الصحراوية، بل كانت تدل عليه أنصاب سوداء تقدم لها القرابين، وكان النبطيون يضعون مذابح صغيرة على سطوح بيوتهم ويحرقون لها البخور للتبرّك به.

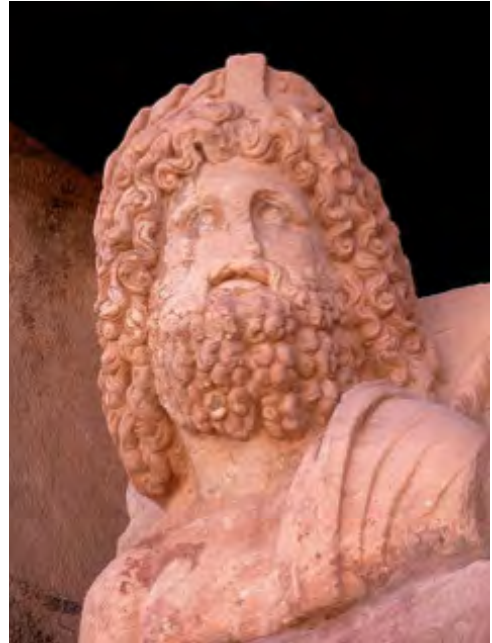
وهناك مظهر أو اسم آخر يظهر فيه الإله ذو الشرى هو (تره) أو (تده) الذي عبد في تيماء تحت اسم ترقى أو ترانا، وكان أحد آلهة ثالوثهم السماوي. وهناك أسماء أخرى له مثل (أشر، رضى) وهما أسماء مصغرة له.

ورغم أن الإغريق ربطوه بالإله ديونسيوس إله الخمر، لكنه لا يشرب الخمر عند الأنباط.
وسُمِّي مع مجيء الرومان للبتراء (ذو الشرى باخوس) بعد أن كان يُسَمَّى باسم نبطي هو (ذو
الشرى أعرى).



ذو الشرى في جنوب سوريا / متحف دمشق الوطني
وديونسيوس في البتراء

[/http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page6](http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page6)



ذو الشرى باخوس (ذو الشرى ديونسيوس)

<http://www.jordanwondertours.com/galleries.html>

2. هبلو:

هو الإله الثاني في الثالوث الذكريّ الصحراويّ.. وهو الإله (هبل) الذي أصله (هبعل) أي (البعل). وهو إله كنعانيّ يمتد إلى التراث البابليّ والسومريّ حيث كان إله الهواء إنليل والإله مردوخ يطلق عليهما (بل، بعل) أي السيد. وكان يعبد أيضاً في جزيرة العرب ويكاد يكون الإله الأكبر عند قريش، وكان مثاله من عقيق أحمر، وعلى صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، صنعت له قريش يداً من ذهب. وتفيد تسميته بمعنى (المسنّ أو المعمر) وقد عرفته ثمود أيضاً بإسمين (إبن هبل، هبل الخصي).

وربما اختلفت صورته في قريش، حسب ما أملتة ظروفها "إلا أن نصبه في جوف الكعبة على جبل أمر لا يخلو من دلالة رمزيّة، فهو ذكر، وهو أب ومن بناته اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، وهو بوجه من الوجوه من رموز الخصوبة يستمدّ معناه الرمزيّ من الماء. والقرائن الأخيرة تقرّبه أكثر من بعل إن لم تجعله يستوي وإياه. ذلك أنّ بعلاً عند الكلدانيّين والآراميين في صورة (ملك جليل جالس على عرش عظيم) وكان عرش الآلهة عند السومريّين الماء، وكذا تصوّر الساميون الإله وقد استوى عليه بعد الخلق". (عجينة 1994: 199)

وهذا يعني أن هذا الإله كان الإله القوميّ لقريش، لكنه هنا حلّ محلاً ثانويّاً أما ذو الشرى فقد اختلف بعد ذلك واندمج فيه نهائياً. أما من أين أتى هذا الإله بعد أن كانت جذوره البعيدة في (بعل)، فهناك من يرى أن الإله هبل أصله مؤابيّ رحل إلى الأنباط واللحيانيّين ومن ثم رحل إلى جزيرة العرب وتبنته قريش. وبذلك يكون مسراه التاريخيّ كما يلي:

1. الإله (بل) في بابل ويشير إلى مردوخ.

2. الإله (بعل) في كنعان ويشير إلى الخصوبة.

3. الإله (هبعل) في مؤاب.

4. الإله (هبلو) عند الأنباط.

5. الإله (هبل) عند اللحيانيّين.

6. الإله (هبل) عند قريش.

وإنه لما يدعو إلى المقاربة بين وجوده في مؤاب والجزيرة هو أن "أساليب عبادة العرب (هبل) تشبه أساليب عبادة المؤابيين (هبعل)، فقد كان المؤابيون ينصبون هذا الصنم على التلال المرتفعة أو سقوف البيوت ويذبحون له الذبائح من الحيوانات والأدوميّين يحرقون له المحرقات ويستخرونه ويفضّلونه على سائر آلهتهم، وكذلك كان يفعل العرب لهبل. وكما أن هبعل أكبر أصنام العرب المؤابيين ومن جرى مجراهم، فهبل أكبر أصنام العرب، وكانوا ينصبونه فوق الكعبة". (الحوت 1955: 78)

3. شيع القوم:

ويسمّى أيضاً (سع هقوم) أي شفيق القوم، ويوصف بأنه يكره شرب الخمر، وهو لذلك واحد من الآلهة القديمة للأنباط، وربما أقدم من ذي الشرى، لأن الأنباط عرفوا في المراحل اللاحقة بأنهم أكبر زراع العنب ومنتجي الخمر.

ولعل الصورة الصحراوية لثالوث الأنباط الذكريّ يعكسها رأي يقدّمه ديودور الصقلي عنهم، حيث يقول "لقد ألوا على أنفسهم ألا يبذروا حباً، ولا يغرسوا شجراً يؤتي ثمرًا، ولا يعاقروا خمرًا، ولا يشيدوا بيتاً ومن فعل ذلك كان عقابه الموت. وهم يلتزمون بهذه المبادئ لأنهم يعتقدون أن من تملك شيئاً استمر ما ملك وعزّ عليه التخلي عنه واضطر من أجل ذلك أن ينصاع لما يفرضه عليه ذو القوة والجبروت". (عباس 1987: 29).

3. المثلولوجيا النبطية الزراعية

(حدد، قيس، أترعتا)

ما أن استقرّ الأنباط وعرفوا الزراعة وأنشأوا المدن واختلطوا بالأقوام المجاورة وتعلّموا منها حتى تسربت عقائد الزراعة وآلهة الخصب بقوة إلى مجمعها الإلهي، وقد عمل هذا التسرب على إعادة صياغة للإلهين الكبيرين (ذو الشرى واللات) عندهم فتشبهوا بعقائد الخصب وروح الزراعة. وظهرت المعابد الباذخة المزوّدة بالمذابح والمباخر، وظهرت القرابين الحيوانية، ثم أصبحت القرابين النباتية هي الأفضل وبذلك احتلّ الكرم مكانة عالية، وكان سفح الخمور في أثناء الطقوس الشعائرية التي ترمز للخصب بمثابة اللازمة الدينية والتعبير العملي عن مثلولوجيا زراعية.

ولعل أهم الآلهة التي دخلت مع العقيدة الزراعية هو الإله بعل في صورته (حدد) وهي صورة آرامية عن أصل كنعاني/ سومري، وهو إله المطر والسحاب والصواعق وكل مظاهر الخصب عند السوريين وقد تأثر النبطيون كثيراً بهذا الإله واستطاع أن يحقن الآلهة الصحراوية بمصل زراعي نشط لظهور هذه الآلهة بصورة تتناسب مع الحياة الجديدة التي عاشها النبطيون.



الإله حدد في صورته النبطية

<http://www.flickr.com/photos/birdse->

[/view/4484557882](http://www.flickr.com/photos/birdse-/view/4484557882)

أما الإله الآخر الذي دخل في هذه المرحلة وأتى من أصل أدوميّ على ما يبدو فهو الإله (قوس) وقد يكون هذا الإله تحت اسم الإله (قيس) أو (قيشح)، كما ورد عند عرب الحجاز. وقد وجد في خربة تنور اسمه منقوشاً على شكل (قس إله حورا). وكانت حوران أهم مناطق عبادته وكذلك ظهر في بصرى تحت اسم (قيصو) أو (قسيو) "ومن المحتمل أن يكون هو قيس أو قوس والاختلاف يكمن في اللهجات ونطق بعض الحروف. ويرى م. فوجيه "أنه إله الأدوميين، أي يرتبط بين كاسيوس وقوس وقصي. ويُعتقد أن دوشرا، إله الجبل، امتداد له". (الفاسي 1994:

(238)

وقد عرفنا ارتباط هذا الإله بالمطر وقوس القزح. والإلهان (حدد) و(قوس) ذوا الطبيعة الزراعيّة الخصيبة التحما بالإله ذي الشرى وأعطياه صفة زراعيّة، رغم أن هناك ثمة من يقول إن الإله ذا الشرى أصلاً ذو طبيعة زراعيّة وفي رأي لثيودور نولدكه (Th. Noldeke) أيده فيه أ. ف. ل. بيستون "أن ذا الشرى لا يعني جبال الشراه أو إله الجبال ذلك أن سجل عدداً كبيراً من مناطق الجزيرة التي يدخل في تركيبها اسم الشرى، ووجد أن معناه كان مرتبطاً بمعنى (الزراعة الكثيفة) فيعتقد بالتالي أن عقيدة ذي الشرى كانت تمثل عقيدة خصوبة، وأنها مرتبطة بمكان خصب زراعيّ كما في كلمة (ايكه). وقد عقد بيستون مقارنة مع موقع مدين الذي يُعدّ منطقة كثيفة الأشجار والتي عرفت فيه عبادته كذلك. ويعتقد أ. كاميري أنه إله قديم جداً. وقد يكون الأدوميّون قد تركوه بعد زوال دولتهم، فعبدته الأنباط". (الفاسي 1994: 230).

ونحن لا نستطيع الاتفاق مع هذه الآراء فقد وجدنا الطبيعة الشمسيّة الصحراويّة أكثر ملاءمة لمنشأ الإله، ولكن هذا لا يمنع من ظهوره في ما بعد بمظهر خصيب في هذه المرحلة أو المرحلة اللاحقة المركبة.

حدث ما يشبه هذا في مجموعة من الآلهة الأنثويّة فقد دخلت الإلهة (اترعتا) وهي (أتر - تا) ربّة الخصب السوريّة أو ربّة (هيرابولس)، وكانت زوجة للإله حدد صاحب العرش المجنّح بالثيران، أما هي فقد كان عرشها مجنّحاً بالأسود. ومن المؤكد أن مقطع (أتر مشتق من اسم عشتار وهي ربّة الخصب البابليّة. ويعمل مثل هذا التحوّل أو التداخل الزراعيّ إلى تغيير صفات اللات الصحراويّة أو إلى إبراز الآلهة العزى التي تمثل الجانب الخصيب في الثالوث الأنثويّ.

المثولوجيا النبطيّة المركبة

انفتح الأفق الروحيّ النبطيّ على عقائد كثيرة أحاطت به، فأخذ الأنباط منها وتفاعلوا معها بمرونة شديدة، فقد أخذوا من الآلهة المصريّة والآراميّة والبارثيّة والكنعانيّة، كما أنّهم تفاعلوا بشكل مدهش مع الآلهة اليونانيّة والرومانيّة وصاغوا من كل هذا الخليط وسطاً مثولوجياً ينفردون به حقاً وينعكس ذلك في تفاصيل آثار عاصمتهم البتراء.

لقد أصبح الإله ذو الشرى في هذه المرحلة (زيوس - حدد) وأصبح (ذو الشرى - باخوس) وأصبح يعبد في حوران تحت اسم (ذو الشرى - أعرى) ويبدو أن العامل الحاسم في هذا التطوّر هو دخول عبادة الإله (ديونيسيوس) اليوناني أو (باخوس) الرومانيّ وأصبحت شجرة الكرم وعناقيدها وأوراقها تمثلها، وهكذا أعيدت صياغة ذي الشرى "وقوبل بالإله اريس وزيوس فارتبط بالتالي بالشمس وغدا إلهاً شمسيّاً واشتهر في الفترة الرومانيّة وعُرف فيها باسم (دوزارس Dusares) الذي هو رومنة اسمه العربيّ وقد قابلوا بالهتيم مثل ديونيسيوس وباخوس ومارس وحتى بجوبتر. ويعتبر إله الشمس لدى الأنباط بدلالة عيده الذي يوافق نهاية السنة الشمسيّة 25 ديسمبر". (الفاسي 1994: 230).

وحقيقة الأمر هو أن الإله (ذو الشرى) الذي أصبح إلهاً زراعيّاً بالإضافة إلى وظيفة الشمس انشطر في هذا المرحلة اليونانيّة الإغريقيّة فجانبه الشمسيّ ارتبط بالإله زيوس (ذو الشرى - زيوس)، أما جانبه الزراعيّ فارتبط بالإله ديونيسيوس (ذو الشرى - ديونيسيوس) أو (ذو الشرى - أعرى).

وينطبق مثل هذا الأمر على الإله (حدد) الذي تمثل جانبه العاصف والمرعد بالإله زيوس وظهر لنا (حدد زيوس)، رغم أن هناك تطابقاً أقوى بين ديونيسيوس وحدد الذي هو بعل السوري، وقد عُثِر على تمثال في خربة التنوّر ميز له أو لزيوس حدد "ويعتقد كذلك أنه

الإله الرئيسي في المنطقة مع الإلهة أترغاتس. ولوحظ على تمثاله طوق يزِين رقبته. ربما كان إحدى إشارات الألوهية أو الملكية، وغالباً ما يرافق الثور حِداداً في تماثله وتصاويره، ويبدو أنه وأترغاتس كانا يمثلان ثنائياً كما في معبدهما بدورا بدورا - يوربوس“. (الفاي 1994: 227) ويتميز هذا التمثال الذي يشبه التماثيل التقليدية لزيوس، ولكنه مصنوع بطريقة شرقية نبطية فهو محاط بثورين يحقان بعرشه ويرمزان للفحولة وعلى نهاية الطوق أسدان يرمزان للقوة وشعره متموج مجعد واللحية مضمفورة في خصلات ثلاث ولشاربيه نهايتان معقوفتان وجبهته منخفضة وحاجباه كثان وأنفه مبسوط فهو إله شرقي صبغ بصبغة هيلينية“. (عباس 1987: 131)

أن دخول ذي الشرى في مثل هذه الأشكال الخصبية المغدقة في ترفها لا تمنع من احتفائه بقوى قديمة شمسية الأصل. لكنها تجعله أكثر تهذيباً وقوة، ولذلك فإن إضافة زيوس لخصبيته أضافت له القوة السماوية فيها بالإضافة إلى قواه الخصبية. ”ومثلما كان هناك توفيق بين يهوه وزيوس، كان هناك توافق أصيل بين يهوه الملقب Sebanoth وإله العواصف والرعد الآرامي حدد. فتصور زيوس ويهوه في إطار عبادة قضيبية على صورة عضو ذكورة مهول في السماء يقذف الخصوبة على الأرض في قمة هزة الجماع مع العناصر تصور عنه بدقة بالغة اسم حدد الذي استمدّه الآراميون من لفظة سومرية تعني الأب القوي“. (مقار 1987: 215).

أن التحولات التي مر بها ذو الشرى من صورة (شيع القوم) الكارهة للخمر الشمسية إلى الصورة البعلية البسيطة (هبلو) إلى الصورة البعلية الواضحة في (حدد) إلى الصورة الجنسية الخمرية في (ديونيسيوس/ باخوس) إلى الصورة السماوية في (زيوس). كل هذه الأشكال تعكس الطبيعة الكونية التي صار إليها هذا الإله.

كذلك مرت اللات بتحوّلات مشابهة فدخول عشتار عليها بصورة (أترعتا) جعلها في مرحلتها المركبة تظهر بأشكال مختلفة جديدة ففي ”معبد التنور تظهر في تسعة أدوار، وتظهر صورتها الأخرى كربة للخيل والجمال وبأنها شفيعة المسافرين وناقلة الإنسان إلى عالم الموت، فهي ربة الحياة النباتية وربة القمح وربة الدلافين وربة الحظ (تابكي) وربة البروج وغير ذلك، وفي تجلياتها المختلفة تعكس معاني ومفهومات دينية مختلفة أيضاً. ففي بعض تماثيلها تبدو الأوراق تغطي كثيراً من أجزاء جسمها ووجهها وعنقها وصدرها وأحياناً يظهر التين والرمان مقترنين بها“. (عباس 1987: 32)

وتظهر لنا الصورة المائية لأترعتا في شكل الإلهة (أترغاتس) التي عبدت في عسقلان على شكل إلهة نصفها سمكة. ومعروف أن هذه الإلهة ذات منشأ رافديني، حيث يدل اسمها المركب (أتر - غات) أو (يد عشتار) التي تدل على القوة أيضاً وهي في الأساطير أم الملكة البابلية الآشورية (سمير أميس) بعد أن حملت من رجل نساج جميل المنظر.



أترغاتس إلهة الأسماك والدلافين وتظهر سمكتان على رأسها
<http://www.matrifocus.com/BEL09/spotlight.htm>

دريكتو (الإلهة السورية) أو أترغاتس وهي
 أم سمير أميس
http://one-evil.org/entities_gods/goddess_Atargatis.htm

وتقودنا مثل هذه الصورة إلى جعل (أترعتا) ربّة للدلافين وهي أسماك كبيرة فقد وجدت نماذج للدولفين في خربة براك وفي البتراء وفي عبده وفي وادي رم، وتعكس صورة إلهة الدلافين هذه ظهور نشاط تجاري واسع للأنباط عن طريق البحار. وتظهر صورتها الأخرى كربة للخيل والجمال وكإلهة شفيعة للمسافرين وناقلة الإنسان إلى عالم الموت. ويبدو أن معبد الإلهة أترغاتس في سوريا أيضاً جمع هذه الصفات فقد كانت "كبيرة إلهات شمال سوريا، مقرها الرئيس "منبج" وكانت تدعى (Hierapolis) شمال شرق حلب، حيث كانت تعبد برفقة زوجها الإله (حدد) وهي تقابل الإلهة الكنعانية عشتار، وقدسها الإغريق واعتبروها مقابلة للإلهة افرديت، كما أنها تقابل الإلهة الأناضولية (سيبيل) وهي إلهة الخصب وتصوّر وعلى رأسها تاج وتحمل سنبلة قمح ورفقة أسود يحمون عرشها. وقد عبدها الأنباط أيضاً إذ عثر على معبد مخصّص لعبادتها في خربة تنور". (الفاصي 1994: 220 - 221)



أترغاتس: من المعبد النبطي في خربة التنور (القرن الأول قبل الميلاد)
 وهي الآن في متحف عمان وتظهر كربة الخصب والثمار يعلوها الصقر الشمسي.

<http://www.sourcememory.net/veleda/?p=250>

أترغاتس مع زوجها حدد وهي ترافق الأسود فيما زوجها يرمز له بالثور المعبد الكبير في هيرابوليس ومعبد أترغاتس في دورا أروبوروس في سوريا

<http://www.matrifocus.com/BEL09/spotlight.htm>

<http://www.matrifocus.com/BEL09/spotlight.htm>



<http://www.sourcememory.net/veleda/?p=250>

أترغاتس في دورا أروبوروس

من مناة إلى تايكي ونايكي:

عرفنا أن مناة أصبحت الإلهة الحارسة للبتراء عاصمة الأنباط، لكنها في هذه المرحلة تتمثل صفات أترغاتس وتحوّل إلى إلهة الحظ (تايكي) البتراء وإلهة النصر (نايكي) البتراء، لقد كانت صفات مناة القدرية التي عرفناها في المرحلة الأولى من الثالوث الأنثويّ النبطيّ تمضي باتجاه تمثيل الحظ والنصر معاً. فهي إلهة الموت والحرب. أي أنها إلهة النصر في حالة كسب الحرب،

ثم أنها أساساً كانت توصف كإلهة للحظ أو اهتبال الفرصة الضائعة. ولأن (تاياكي) صفة للإلهة الحارسة للمدينة فقد كانت مناة كذلك، ثم غاب اسمها خلف هذا اللقب. وقد اجتمعتا تاياكي وناياكي في منحوتة رائعة في البتراء حيث نرى ناياكي وهي تحمل أبراج الفلك الإثني عشر أي أنها تحمل الكون على رأسها.. هي بذلك تحمل الأقدار والمصائر. وهذه المنحوتة وجدت في البتراء، وهي محفوظة في متحف عمان، إلا أن كسرتها العليا التي توضح تاياكي (إلهة الحظ) وهي تتوسط الزودياك موجودة في متحف أميريكي وبذلك تكتمل صورة عناة أو اترغاتس وهي تشير إلى الإلهتين ناياكي وتاياكي بطريقة تدعو إلى الدهشة.



صور نبطية لتاياكي وناياكي (الحظ والنصر) وهي منحوتة هيلنستية الطابع حيث ناياكي وهي تحمل الزودياك (أبراج الفلك) حيث تتوسطه تاياكي إلهة البروج والنصر.
<http://www.matrifocus.com/BEL09/spotlight.htm>

لكن تاياكي تتجلى في منحوتتين أخريين، الأولى تاياكي المجلّحة حيث تظهر لها أجنحة تدل على الجزء الطائر فيها، وهو يعاكس الجزء السمكي الأصل الذي كانت عليه، والأخرى (تاياكي ذات السعفة) حيث تظهر تاياكي حاملة سعفة تدل على الخضرة والبساتين.



تاياكي البتراء في نقش نقدي
 لهادران
<http://www.ancientimports.com/cgi-bin/lotinfo.pl?id=25407>

إن هذه الصور المتعددة المركبة للإلهة الأم النبطية التي تمثلها أترغاتس خير تمثيل تدل دلالة واضحة على أن هذه الإلهة تمثلت واحتوت صفات متعددة فهي إلهة القمح، والدلافين والأسماك والثمار والخصوبة والأبراج والحظ والنصر والسعف والطيور.. إلخ، وانتشرت في كل بلاد الشام.



تمثال تايكي في المعبد الكبير في
البتراء

<http://www.lems.brown.edu/shape/Presentations/Vote99Nov12/Board1Images/Board1.html>

Plate 24. 94-S-8 and 94-S-3. Mask of a woman, West Walkway, 1994.
Photograph by Artemis A.W. Joukowski.



الإلهة أترغاتس على عملة
سورية

وقد عبد الأنباط أيضاً إلهة الكتابة (الكتبي) واسموها (هكتبي) وتعني خادم الكاتب وقد انتقلت لهم من الأقوام المجاورة لهم، وهي ذات صلة بالعزى "وكان لها معبدان أو على الأقل معبد واحد في غرب سيناء بمنطقة الشقافة ملتقى الطرق عند وادي طميلات، وموقع قصر أويط قرب الشقافة" (25).

وعبدت هذه الإلهة عند العرب حتى القرن الثالث الميلادي، وقام بعض الباحثين بربطها مع الإله المصري (تحت) والإغريقي (هرمس) والبابلي (نبو) والروماني (مركوري) وكلهم آلهة مسؤولون عن الكتابة. ويرى الدكتور فوزي زيادين أنها كانت الإلهة التي تحمي القوافل والمتحكمة في مصائر البشر. وهناك جبل صخري في البتراء هو "جبل أو مرتفع الكتبي وهو جبل في الرقيم يواجه المسرح وبه مجموعة من المقابر غير المكتملة وبه أكبر خزان للمياه داخل الرقيم فهل يكون هذا الاسم تحريفاً لـ (الكتبي) وأن يكون في هذا المرتفع معبد أو هيكل لهذه الإلهة" (26). فالكتبي إذن صورة ثالثة للإلهة العزى التي احتوت عناصر صحراوية سامية ويونانية ومصرية ورافدينية وبذلك هضمت مثل أترغاتس التي هي صورتها الأخرى تراث المنطقة كله، ومثله.



النسر والميدوزا لحماية المعابد في مدائن صالح

[/http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page9](http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/page9)



وبذلك تكون المثلوجيا النبطية (في مرحلتها) الأخيرة خير معبر عن مستويات الحضارة التي مرّ بها الأردن والمنطقة، حيث تعكس في طياتها اختلاف ثقافات شرقية وغربية في صورة محلية مليئة بالحيوية والجمال وتبض فيها قوى الطبيعة بأكملها وتصبح مدلولاتها الرمزية أشد غوراً وعمقاً.

جدول تحولات الآلهة النبطية

المرحلة	الآلهة الأنثوية	الآلهة الذكورية
الصحراوية الزراعية	اللات، العزى، مناة أترعتا	ذو الشرى، هبلو، شيع القوم حدد، قوس
	1. العزى تتحوّل إلى ثلاث: 1. العزى إيزيس 2. العزى افروديت 3. العزى الكتبي 2. مناة تتحول إلى إثنيتين:	1. ذو الشرى يتحوّل إلى ثلاثة:
المركبة	1. إلهة الحظ (تاكي) 2. إلهة النصر (نايكي). 3. أترغاتس الإلهة الأم الشاملة للأسماء والثمار	1. ذو الشرى ديونيسوس 2. ذو الشرى زيوس 3. ذو الشرى أعرى 2. حدّد يتحول إلى حدد زيوس

من العزى إلى إيزيس وأفروديت

أما الإلهة العزى التي ارتفع شأنها في المرحلة الزراعيّة فتتحد في هذه المرحلة مع إلهتين وافدتين. الأولى هي إيزيس المصريّة التي تتطابق معها في الصفات (الخصوبة، كوكب الزهرة، الحب، الجمال)، والثانية هي أفروديت اليونانيّة التي تتطابق معها أيضاً في الصفات نفسها السابقة... ولكن اسم العزى يبقى مرتبطاً بهما. وتظهر صورة (العزى - إيزيس) في منحوتة كتب عليها (إلهة حيان بن نبط) وهي منحوتة فريدة من نوعها حيث يبدو وجه الإلهة مستطيلاً بقم مميّز الشفاه وأنف مستقيم وحواجب كثيفة ويزينها إكيل مستقيم مكوّن من أوراق صغيرة. أما (العزى - أفروديت) فتظهر بطريقة أخرى بوجه طويل وتاج مكوّن من ثلاثة أغصان مشجوجة ولها ملامح يونانيّة.



الميدوسا بالنسخة النبطيّة وهي منحوتة بشكل بدائيّ ضمن منشآت مدائن صالح

<http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/>
/page5

الإله ايروس يعلم الإله بان العزف على الفلوت ضمن نقش في أول السيق، بداية البتراء

<http://www.flickr.com/photos/60647640@N06/>
/page5



العزى - الكتبي

التي بلا فم ولا أذنين فهي لا ترى ولا تسمع ولكنها تكتب (كتبي)

<http://www.bibleistrue.com/qna/pqna33.htm>

الطقوس والمعابد

ورث الأنباط ما استعمله الأدوميون عن الكنعانيين من أماكن للعبادة، بالإضافة إلى المعابد التي ذكرناها كانت هناك أنواع أخرى من أماكن العبادة وهي المعليات (High Places) ”وهي عبارة عن مساحة منحوتة في الجبل مكشوفة وأرضيتها واسعة وشكلها شبه بيضاوي يتوسطها المذبح حيث تقدم الأضاحي، والمثال الذي وجدناه على حالته الأصليّة هو معلية الرقيم، ويطلق عليها هناك ”المذبح““. (الفاصي 1994: 256)



معلّيات البتراء

<http://www.biblestrue.com/qna/pqna33.htm>

وترى الباحثة هتون الفاسي أن المعليات وهي أماكن العبادة العالية، خصوصاً المعابد الموجودة على رؤوس الجبال (كجبل أثلب، المناجاة، غنيم، خربة التنور، خربة الضريح، ومعبد بعل سمين ما هي إلا معليات متطورة ونرى أن المعليات هي الشكل الجبلي لهياكل العراء الكنعانية التي تطوّرت عن العبادة الميغاليتية. وكان الطريق من الأرض المستوية إلى المعليات عبارة عن درج طقسيّ تزيّنه تماثيل للأسد (رمز العزى) والهلال (رمز الثور البعلّي) وهناك مشكاوات ومذابح. كانت المعليات ذات طابع طقسيّ مهيب ونعتقد أنها كانت مسرحاً لطقوس مثولوجية خاصة مرتبطة بتقديم الأضاحي في بعض المناسبات. أما الأنصاب فقد استمر ظهورها عند الأنباط كما كانت عند الكنعانيين تسمى (بيت إيل Betyl) وفي النبطية تسمى (نصب) أو (مصبا) فإذا وضعت قرب مذبح سمي المكان كله بالنبطية (مسجداً) والمسجد كما ورد في الآرامية والبنونية عبارة عن محراب ويقترّب من المشكاوات النبطية.

إن الأنصاب النبطية ”عبارة عن حجارة منصوبة يكون ارتفاعها ضعف عرضها ومن أشكالها ما يكون مستطيلاً ومنها ما يكون محدباً وغير ذلك وهي ترمز للآلهة. وعادة ما تكون بدون أية ملامح وجهية عليها. وهذا من خصائص الفن النبطي وهو كناية عن رفضهم لتصوير الآلهة بأشكال آدمية“. (الفاصي 1994: 257) وهذا أمر غير صحيح ونخالف به الباحثة هتون الفاسي لأن تصوير الآلهة تم عند الأنباط من خلال المنحوتات الإلهية الكثيرة التي سبق أن ذكرناها.

قد تكون الأنصاب لأكثر من إله، ثنائية، أو ثلاثية وكانت الطقوس المرتبطة بها تتضمن الدوران حولها وإراقة الدماء أو الحليب ونحر الأضاحي عندها.

أما المسلات (Obelisks) فهي أنصاب أشدّ انتظاماً وربما احتوت على الكتابة. أما المشكاوات (Niches) فهي كوى بيضوية أو مستطيلة في الحائط تشبه المحراب وتوضع فيها تماثيل للآلهة وتلى أمام هذه التماثيل الأدعية.

أما مظاهر العبادة الأخرى عند الأنباط فكانت تتمثل في سياستهم المميّزة للكهنة (أفكل) وهي تسمية ترجع بجذورها إلى البابلية، حيث كان يسمّى الكاهن (أفكلو). وهذه بدورها ترجع إلى السومرية حيث يسمّى (أبكالو) وهناك من درس هذه الكلمة ورأى فيها مصدراً لكلمتي (الأفك) و(الفلك) في اللغة العربية ومعناها يتطابق مع طبيعة الجذر.

وللكاهن أسماء نبطية أخرى مثل (كمر) و(فتورا) التي تعني المتنبئ أو (العراف) أو (قارئ الفأل) وهو الكاهن الخاص بتقديم النواحي التنجيمية وتفسير الأحلام. وهناك الـ (مرزح) وهو كاهن الاحتفالات الدينية المصحوبة بالغناء والموسيقى والطعام. وهناك (المبقر) وهو كاهن الأضحيان الذي كان يبقرها ويقرأ أكبادها وأحشاءها لأغراض تنبؤية. وهناك (أقطيرا) أي الكاهن الخاص بتقديم القرابين كالغسل أو الحيوانات أو حرقها أو حرق ما ينوب عنها من البخور. كذلك فقد كانت كلمة (كهن) و(كهنا) تستعمل للدلالة على الكاهن بصورة عامة. أما عقائد ما بعد الموت فقد كانت تتضح في اهتمامهم بدفن موتاهم في مقابر مهيبية وإيداعهم الأغراض الشخصية كالجلي والأواني والأختام والنقود والطعام وغير ذلك ما يعكس اعتقادهم بعودة الميت إلى الحياة وحاجته لاستخدام هذه الأدوات. وكانوا يسجلون على مقابرهم أسماءهم. والقبر عندهم هو الـ (كفر) والـ (ضريح).

كانت الصلاة تؤدّى وبشكل خاص الأدعية، وكان المصلّي يرفع يديه إلى الأعلى. وهناك نصوص خاصة باللعن تسمّى (أدعية اللعن) تدم فيها من ينش القبور. وهناك نوع من التماثيل والرقى كتبها الأنباط فقد "تم العثور مؤخراً على بردية نبطية تؤرخ بحوالي 100 ق.م. قرب بئر سبع بصحراء النقب، تتناول موضوعاً جديداً ألا وهو التماثيل. وهي عادة مألوفاً لدى الآراميين واليهود والسريان، لكن الكثير من المفردات غير محددة المعنى ومضمونها العام يدور حول عليل يطلب التخلص من سيطرة امرأة عليه ويستعين في ذلك بذكر عدد من الأرواح والملائكة الذين يصوّرون كبنات للآلهة ويدعون (فشرتا)". (الفاصي 1994: 288).

المبحث السادس:

تدمر 300 ق.م. - 272 م



أطلال تدمر (لوحة زيتية)، رسم بانورامي يعود للقرن السابع عشر ربما كان بريشة الفنان الألماني جي هوفستد فان إيسن، أرسلت إلى جيسبرت كوبر في 1693. صورة فوتوغرافية: متحف الأردن بيرسون، أمستردام، ويعتقد أنه أقدم توثيق لتدمر.

[http://brewminate.com/the - first - drawings - of - the - ruins - of - ancient - palmyra - / - who - drew - them](http://brewminate.com/the-first-drawings-of-the-ruins-of-ancient-palmyra-who-drew-them)

تدمر المدينة عاصمة مملكة كبيرة تُعرف بـ(مملكة تدمر) تبعد 215 كيلومتراً شمال مدينة دمشق 70 كيلومتراً عن مدينة السخنة وحوالي 160 كيلومتراً عن مدينة حمص ونهر العاصي. وهي من المدن الجميلة بمبانيها الفخمة وشوارعها وتنظيمها. وهي واحدة من أهم المدن التجارية وأكثرها ازدهاراً. القوافل الواردة إليها والمنطلقة منها كانت لا تتوقف، وكانت مراسلات تجار تدمر ومكاتبهم التجارية، مع بلدان الشرق، باللغة الآرامية وبلهجة تُعرف بـ(اللهجة التدمرية)، وباللغة الرسمية باللاتينية، مع بلدان الغرب كالرومان، ويمر منها طريق الحرير التاريخي من بلاد ماوراء النهر إلى أفريقيا والجزيرة.

”خضغت تدمر صورياً للغرباء، من فرس (539 ق.م. ويونان (333 ق.م.، ومن ثم الرومان (64 ق.م.، وقد حرص هؤلاء الغزاة أن يعطوا أهل المدينة حق المواطنة وتقرير المصير، على أن تكون العلاقة بين الطرفين علاقة التبعية الشكلية أو الصورية. ازدهرت تدمر وعظم شأنها منذ أواسط القرن الثالث الميلادي (250 م عندما ارتقى إلى عرشها أذينة ومن ثم زنبوبا التي سعت إلى التحرر الحقيقي من الرومان، وقد تحقق لها ذلك بين (250 - 273 م عندما أضحت زنبوبا إمبراطورة الشرق كله، إلى أن ينتهي المطاف بتدمير وأهلها بين حوافر خيل الإمبراطور الروماني أورليان عام (273م)، الذي هاجمها ودمرها وقتل أهلها، لتفقد بعدها تدمر أهميتها ودورها الحضاري، وارتحل أهلها عنها، ولم يعد لها دور متميز، وتحولت إلى تجمع بشري بسيط لم يرق إلى مستوى الدولة أو المملكة.“ (أحمد: 2017: 108).



آثار تدمر



رسم لقوس النصر في تدمر للفنان البريطاني روبرت وود عام 1753

https://www.christies.com/lotfinder/lot_details.aspx?intObjectID=5447655&lid=1



منحوتة لإمرأة تدمرية

الهرم الاجتماعي لسكان تدمر ينقسم إلى: النبلاء والكهنة والمواطنين، المواطنون هم أبناء العشائر وكان بعض هذه العشائر أحلاف، أحرار، عبيد، أجنب (وهم من التجار الوافدين). مارس التدمريون مجموعة من المهن أهمها التجارة ثم الزراعة فقد كانت تدمر تقع على واحة كبيرة مزروعة بالكثير من المزروعات وأهمها النخيل، ونظموا الأقينية المتطورة وعرفوا أساليب الري وأقاموا السدود لحجز المياه وجمعها وتنظيم توزيعها. وحفروا آبار الماء للشرب والري وشيدوا الأحواض والخزانات.

ازدهرت مملكة تدمر واشتهرت بفاعليتها في الشرق وخاصة في عهد الملكة زنوبيا القويّة وأصبحت مدينة تدمر من أهم مدن الشرق في زمنها، ونافس نفوذها في المشرق نفوذ روما وسيطرت على المنطقة من حدود آسيا الصغرى في الشمال إلى مصر في الجنوب ومن شمال شرق سوريا إلى غرب سوريا والبحر الأبيض المتوسط، وبدأ اسم ملكتها زنوبيا يُسمَع في كل مكان هناك، ووصفت بأنها أهم ملكات الشرق وأكثرهنّ قوة لذلك أطلق عليها. (ملكات الشرق).

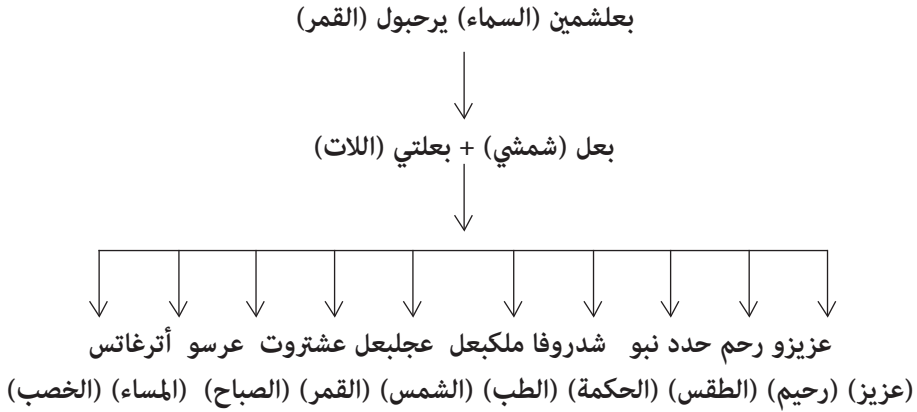


منحوتتان من تدمر يُعتَقَد
أنَّهُما تمثَلان الملكة زنوبيا

ديانة تدمر

آلهة تدمر:

انتشرت في تدمر ديانات عدّة، بعضها كان وافداً مثل (اليهوديّة، الزرادشتيّة، النبطيّة) وهي قليلة، وتميزت ديانتها المحلية، وهي الأكثر شيوعاً، بخصوصية المكان وتعدّدت آلهتهم فوصلت إلى ما يقرب من الثلاثين إلهاً. ويمكننا وضع المخطط الآتي لأهم آلهة تدمر:



بعل شامین (بعل شمیم): وهو إله السماء، جاء ذكره في أوائل القرن الرابع عشر ق.م. وحتى الفترة الهيلنستيّة. وكان يلقب بـ (السماء) و(سيّد السماء الأبديّ)، وعند التدمريّين (سيّد الأبديّة) والذين كانوا يقابلونه مع زيوس حامل الصاعقة، وعبدته الأنباط أيضاً. وكان يعبد في قبرص وسردينيا وقرطاج وصور وإديسا ودورا وفي شمال وادي الرافدين وكان يقابل بزيوس وأحياناً بأنو إله السماء.

بعل: الإله الإبن فهو إبن (إيل) أب الآلهة وهو تجلّيه الأرضي. وينحدر لقب أو اسم بعل من الإله البابليّ مردوخ الذي كان يلقب بـ(بل) أو (بيل) وأصبح تصويت هذا الاسم في بلاد الشام (بعل).

كانت التسمية الشائعة لبعل في سوريا القديمة هو (حدد) الذي نجده في البانثيون السومريّ تحت اسم (أدد)، وفي البانثيون البابليّ والآشوريّ تحت نفس الاسم (حدد) وكان مرتبطاً بالمطر والسحاب والصواعق والبرق وأشكال الخصب.

مرادف بعل في التراث الرافدينيّ هما بل (مردوخ) البابلي، وإنليل السومريّ لأنهما إلهما العاصفة والهواء. أما الربط بين بعل وأدد فلاحق وواضح أنه جاء من وظيفة أدد في البرق والعاصفة والمطر. أما في التراث اليونانيّ فهو يقابل الإله (زوس) الذي هو الإله القوميّ للإغريق، والذي يقابله عند الرومان (جوبتر). ويوصف زوس بأنه إله العاصفة الذي يُمسك بالصاعقة. ويكاد الصراع بين زوس وكرونوس يشبه الصراع بين بعل وإيل. وهكذا انعكست في صورة بعل الآلهة مردوخ، إنليل، أدد من وادي الرافدين وإله العاصفة الحثي (تيشوب) وإله العاصفة الحوري (تاهوندا)، ثم مثل هذا الإله في سوريا لاحقاً الإله السوري (حدد) وقد حصل هذا بعد فترات متباعدة من تطوّر شخصيّة بعل الأصليّة في كنعان وأوغاريت.



بعل: إله تدمر الرئيسي

بعلي (بعلات): الإلهة الأنثى السيدة، ويشير لقبها الأخ بعلتيس إلى ارتباطها باسم الإله بعل الذي يحمل الصفات التهتكية المعروفة ذاتها. وقد تكون بقايا الإلهة بعلات (ba alat) التي ذكرتها أختام جبيل في الألف الثالث قبل الميلاد على أنها (سيدة جبيل). تنجب ديونه من الإله إيل سبع بنات. وتذكر صفاتها هذه وكأنها صورة أخرى من عشتروت، ويعني اسم بعلات معاني عدّة متقاربة هي: العشيقة، السيدة، الزوجة، الملكة. وهي الإلهة الرئيسيّة لمدينة جبيل أو بيبلس شمال بيروت، ويرتبط بها الإله بعل شامان (بعل شمين) إله السماء، وهي شكل من أشكال أشترات إلهة الخصوبة والحب وكوكب الزهرة.

عجل بعل (أغبل): وهو إله القمر الذي يطابق مع الإله يرح. عجلبوول هو إله القمر في مدينة تدمر. يعني اسمه عجل بل ("عجل الإله"). يصوّر عجلبوول بهالة قمرية حول رأسه وأحياناً حول أكتافه، وسبب اقتران العجل بالقمر هو القرنان اللذان يشكلان شكلاً يشبه هلال القمر. يرتبط اسم عجلبوول بإله الشمس يرحيبول وبعلشمين إله السماء في ثالث يصوّر دائماً كأيقونة إلهية كما في الشكل. ويرتبط اسمه بالإلهة السورية عشتروت "كوكب الزهرة" وعرسو "نجمة المساء". وقد استمرت عبادة عجلبوول زمناً طويلاً حتى وقت متأخر من الفترة الهيلينية وامتدّت حتى روما.



الإله ملكي بعل من منحوتة رومانية/ القرن الثاني للميلاد وهو يقود عربة الشمس



<http://nauka.bg/forum/index.php?show-topic=5701>

ملك بعل (ملكبل): وهو إله الشمس الذي يطابق مع الإله شفتش.

”وأعظم آلهتهم شأنًا وأشهرها، الإله (شمشي)، أو الإله (بعل)، ويطلق عليه أيضاً (بل)، وهو يمثل الشمس التي عبدها وشيّدوا لها أعظم الهياكل، والإله (بعل شممين) وهو إله السماء، الذي يحمي الزراعة. ومنها الإله (يرح بعل)، أو (يرحبول)، وهو إله القمر، والإله (عجل بل)، و(الت أي اللات)، والإله (رحم) أو (رحيم)، والإله (عزیزو) أو (عزیزن)، ويعتبر حامى القوافل التجارية، والإله (إشتر أي عشتار) والإله (حدد). وكثيراً ما كانت أشهر هذه الآلهة تعبد مجتمعاً في المعبد، وترسم في صورة جماعية، يتوسطها الإله (بعل)، وعلى يمينه الإله (بعل شممين)، وعلى اليسار الإله (يرحبول). وكان لرجال الدين نفوذ قوي في تدمير، وبعضهم كان يقيم في المعابد الرئيسية. وفي كثير من المناسبات كانت تقام حفلات دينية، يقدم فيها الطعام والبخور. ” (إسماعيل: 1977: 312).



الآلهة التدمرية: من اليسار إلى اليمين: الإله القمرّي عجليبول، الإله الأعظم بعل شامين وإله الشمس ملاكبل. القرن الأول قبل الميلاد بئر وريب، وادي مياه، سوريا، متحف اللوفر.



بعل بالميرا في أقصى اليسار جنباً إلى جنب مع بعلشمين، يرحيبول *Yarhibol* وأجليبول *Aglibol* منحوتة من معبد بعل في تدمر.

شدرافا (ساترافه) Shadrapa

فُسِّر اسم (شدرورفا) بمعنى (شد الشافي)، وهذا يعني أنه أحد آلهة الطب والشفاء. ويبدو أن الإله (شد) أو (شدو) بالأكدية هو أصل هذا الإله. وقد كان مخصصاً في شفاء لسعات الثعابين والعقارب والحشرات. ولذلك فقد كانت المنحوتات (كما يُعتقد) تصوّره إلهاً شاباً مع الثعابين والعقارب. ويعتقد أن له علاقة بالإلهة (سديد).

الإلهة عتار (أتارغايتس، دركيتو):

هذه الإلهة هي امتداد للإلهات العشتاريّات في الشام القديم، لكنها حصراً زوجة الإله بعل حد، وكانت تسمّى الإلهة السورّيّة الأم الكبرى. واسمها الحقيقي هو عته (Atte) أو عتار (At-tar) والتي جعل منها اليونان أتراجتس التي صُحِّفَت أكثر وسميت دركيتو. وكانت مدينة منبج السورّيّة من أشهر مراكز عبادة بعل حد في الفترة الهيلنستيّة. واسمها بالإغريقيّة (هيرابوليس) الذي يعني (المدينة المقدّسة) وقد عبدت عتار فيها بل إنها فاقت البعل في المرحلة الرومانيّة، ويبدو أن جذر الاسم منبج أو (نبج أو نبغ) نسبة لمصدر مياه فيها ارتبط بعبادة الإلهين، وكانت الأسماك التي في بركتها مقدّسة للإلهة ومحرم صيدها (أنظر حداد: 1993: 132).

ويصف لوقيانوس السميساطي تمثال هذه الإلهة في مدينة منبج واقفة على مجموعة أسود وهي "تمسك بإحدى يديها صولجاناً وبالأخرى مغزلاً. وتحمل على رأسها أقراص عسل وبرجاً وعصابة الرأس التي تزين بها أفروديت السماويّة وحدها. وقد غطى سطح التمثال الخارجي بالذهب وبالحجارة الكريمة التي لا تُقدَّر بثمن ومنها الأبيض اللون ومنها مائيّ اللون. ولعدد كبير منها لون الخمر وليست أقل منها تلك التي بلون النار". (السميساطي: 1992: 44). لقد بدأت الإلهة السورّيّة (أتراجتس) إلهة حامية قديمة لإحدى القبائل ثم تحولت تدريجياً إلى إلهة كبرى للطبيعة، ووحدت مع مبدأ الرطوبة والخصوبة وفورنت بالإلهات الكبرى مثل (هيرا، سيبيل، ايزيس، رهيا).

وهناك صور لهذه الإلهة على نقود هيرابوليس وهي تعتمر تاجاً غني التزيين، وتحمل عقداً وتتدلى صفائرها الطويلة ويرافقها القرص الشمسيّ والهلل القمرّي وهي تقدّم ثدييها للعالم، وهناك صور لها وهي ترتدي على الطريقة اليونانيّة جالسة على أسد أو على عرش محاط بالأسود.

وقد عبدت الإلهة اتراجتس على نطاق واسع عند الأنباط ووجدت لها معابد في خربة بارك والبتراء وعبدة ووادة رم (وادي إرم)، ففي معبد التنور "تظهر في تسعة أدوار فهي ربّة الحياة النباتيّة، وربّة القمح، وربّة الدلافين، وربّة الحظ (تايكي)، وربّة البروج وغير ذلك. وفي تجلياتها المختلفة تعكس معاني ومفاهيم دينيّة مختلفة أيضاً. ففي بعض تماثيلها تبدو الأوراق وهي تغطي كثيراً من أجزاء جسمها: وجهها وعنقها وصدرها، وأحياناً يظهر التين والرمان مقترنين بها". (عباس: 1987: 32).

معابد تدمر:

1. معبد بعل:

يُعتبر معبد بعل من أكبر وأشهر المعابد الدّينيّة في الشرق القديم يعود بناؤه للقرن الأول الميلادي واكتماله إلى القرن الثاني الميلادي. والذي ينظر الرسم الذي أعاد به الباحثون تصوير شكل وحجم هذا المعبد (كما هو موضح في الرسم المرفق أسفل هذه الفقرات) يمكنه أن يتصوّر عظمة هذا المعبد وعظمة بنائه، فقد بدأوا ببنائه منذ القرن الأول الميلاديّ وظل يُبنى

ويتوسّع حتى أواخر عهد تدمر، وأحيطت جدرانها بـ375 عموداً طول الواحد منها أكثر من 18 متراً وهو من الضخامة بحيث لا يوازيه أي معبد آخر في الشرق. يتألف المعبد من ساحة رحبية مربعة مغلقة ويتوسطها الحرم وهو مأوى تمثال الإله الرئيسي، يحيط بالساحة رواق محمول على أعمدة ذات تيجان كورنثية، أما الأروقة الثلاثة الأخرى فهي ذات صفين من الأعمدة، في منتصفها حوامل لرفع تماثيل كبار الرجال تخليداً لهم. وفي الحرم نشاهد إلى اليسار بقايا أساس غرفة المائدة والمذبح، وإلى اليمين بقايا البركة المقدسة. يحيط بالحرم رواق أعمدة وتيجان بزخارفها الكورنثية من البرونز المذهب، وتمّ حمل سقف الرواق على جسور ضخمة من الحجر المنحوت نقشت عليها مشاهد دينية وأسطورية. وقد كان "يُعتبر أيضاً هيكلًا لكبار آلهة التدمريين الآخرين مثل (يرحبول)، و(أغليبول)، وهذا المعبد أبرز وأروع ما خلفته تدمر من آثار، كما يعتبر أكبر معبد في الشرق الأدنى القديم، وقد اشترك المعمارون والفنانون التدمريون في تجديده وتوسيعه وترميمه، جيلاً بعد جيل حتى نهاية عهد تدمر. وهذا المعبد مقام على أرض مرتفعة، وأمامه قوس كبير، وهو يتألف من صحن أو باحة مكشوفة مربعة واسعة، تتصل بدرج عريض يؤدي إلى بوابة فخمة، أمامها رواق كبير. وهذه البوابة كانت تغلق بأبواب مخرفة بالبرونز المذهب، وحول صحن المعبد من جهاته الأربع أروقة مزدوجة مقامة على العديد من الأعمدة ذات التيجان الكبيرة، ومثبتة عليها حوامل للتماثيل. وجملة هذه الأعمدة 400، الباقي منها 100 عمود، مقامة في صفوف منتظمة، وتعلو واجهة الأروقة أفاريز نحتت عليها نقوش بديعة، تمثل مشاهد دينية مختلفة، وتحتها بعض المحاريب. ويحيط بالهيكل المركزي الشهير (هيكل بعل شمين)، أو (هيكل الشمس)، من جميع الجهات، رواق محمول على أعمدة مزينة بتيجان (كورنثية من البرونز المذهب، وفوقها أفاريز نقشت عليها مناظر دينية، وتغطي هذه الأروقة سقف من الحجر، مزينة بنقوش تمثل مشاهد دينية، وأشكال نباتية رائعة". (إسماعيل: 1977: 309).



بقايا معبد بعل في تدمر قبل تدميره من قبل الإرهابيين



إعادة رسم حديثة لمعبد بعل في تدمر

<http://nyitarch161.blogspot.com/2016/11/temple-of-bel-palmyra-first-millennia-b.html>

2. معبد بعلمشمين:

وصف التدمريون الإله بعلمشمين بسيد السماء وإله الخصب والنماء والنبع، الرحمن الرحيم، الذي بورك اسمه إلى الأبد، ومعبده في تدمر بناه (مالي بن يرحاي) وهو الذي نظّم الاستقبال لهادريان عام 129م. وهناك نص على العمود الثاني من رواق المعبد يؤرخ بناءه بعام 130م. شُيّد هذا المعبد فوق آخر أقدم منه يعود إلى بداية القرن الأول، ابتداءً العمل فيه عام 17م. وبُنيت فيه غرفة المائدة وبعض الأروقة والمدفن العميق. وهناك كتابة يونانية وُجدت على رقّ عمود رُمّم به الرواق الغربيّ.

في المعبد باحتان تُحيط بهما الأروقة. في رواقها الشماليّ أقدم أعمدة هذا المعبد، مرّمم وعليه كتابة بالتدمرية والآرامية. تؤرخ بناء رواق هذه الباحة بـ149م، أمام المعبد يوجد المذبح وعليه كتابة آرامية ويونانية من عام 115م. تعود إلى المعبد الأقدم وتكرسه لإله السّمَاوَات في عام 32م.

المعبد واسع ولكن لم يبقَ منه إلا الهيكل. وهي قاعة مستطيلة، أمامها رواق فيه ستة أعمدة. في القرن الخامس الميلاديّ تحوّل المعبد كنيسة بيزنطية، وفُتِح باب للكنيسة في الجدار الغربيّ، وأضيف للمدخل الجديد رواق، وُجدت تحته آثار مقبرة قديمة تعود إلى عام 11م.



معبد بعل شمين

مقابر تدمر: بيوت الأبدية

المدافن الملكية والمدافن العادية كانت تزِين بالورود وأماكن للجلوس ويسمونها بيوت الأبدية أو بيوت الأبدية وتُزين بالمنحوتات والتمائيل. ومنذ القرن الثاني صار المدفن أشبه بالبيت المكوّن من طابق واحد والذي يتسع، أحياناً، إلى ثمانين قبراً وكانت جدرانه منحوتة ومرسومة بدقة وبراعة. وكانت على أنواع هي:

1. المدافن البرجية (مدفن عنتنان، مدفن إيلابل، مدفن كيتوت، قبر لامليكو أو (ميليكو).
2. المدافن الأرضية (مدفن الأخوة الثلاثة، مدفن أرطبان، مدفن الأخوين بوررفا وبولحا).
3. المدفن المنزلي (مدفن عيلمي بن زبيدا، هيكل الموتى، مدفن القصر الأبيض، مدفن قصر الحية).
4. القبور الفردية



مدفن برجى (إيلابل)

مدفن أرضي (الأخوة الثلاثة)



المبحث السابع: الغساسنة (220 – 638 م)



خريطة المشرق في القرون الميلادية الأولى

الغساسنة قبيلة وسلاطة حاكمة من قبائل التنوخيّين القاطنة في جنوب سوريا والأردن (مملكة الأنباط سابقاً)، تحالفوا مع الرومان، كانوا في بداية أمرهم يتعبّدون الآلهة المشابهة لما كان يعبده التدمريّون والأنباط. أقاموا على أرض تهامة عند نبع ماء يُسمى (غسان) ولهذا السبب حصلوا على اسم الغساسنة، ولهم أسماء أخرى، مثل أولاد جفنة، نسبة إلى أول ملوكهم جفنة بن عمرو مزيقياء، ويسمّون (آل ثعلبة) نسبةً إلى الجد الأعلى لهذه الأسرة (ثعلبة بن مازن). كانت (بُصرى) عاصمتهم الدينيّة، أما عاصمتهم السياسيّة فهي (جَلْق) لفترة وجيزة ثم (الجابية) في الجولان. كوّنوا لهم دولة قوية بمساعدة الرومان واستطاعوا السيطرة على القبائل العربيّة في كلّ من فلسطين، والأردن، وقد كان حُكْم ملوكهم في البلقاء، وحووران، والغوطة، وقد نظر الغساسنة لأنفسهم على أنهم ملوك البادية في الشام، وليس ملوك الحَضْر فيها؛ وكانت لهم علاقات وثيقة بتدمر، وحووران. وكان الغساسنة ذوي طابع بدويّ في مُختلف جوانب حياتهم، ويبدو ذلك واضحاً حتى في جيشهم الذي لم تكن لديه حصونٌ، أو كتائب، أو حتى مراكز خاصّة به.



آثار من بصرى الشام

كانت لغتهم الآرامية والعربية، وظهر فيهم شعراء كبار مثل لبيد بن ربيعة والنابغة الذبياني وحسان بن ثابت. واستعملوا في الكتابة حروفاً عربية مشتقة من الحروف النبطية. أهم آثارهم في صهاريج الرصافة وقصر الرصافة ودار الضيافة خارج سور الرصافة وكاتدرائية الرصافة والبناء الذي داخل قلعة عمان وقلعة القسطل وقصر برقع، ومن المباني الدينية: كنيسة مادبا، والدير ذو البرج الموجود في قصر الحير الغربي، وكنيسة الرفيد، وكنيسة بريقة، وكنيسة كفر ناسج، وكنيسة كفر شمس، وكنيسة القديس سرجيوس في النتل. وهناك بقايا 300 مدينة وقرية في منطقة حوران، القصور مثل قصر المشتى المتأثر بالفن البيزنطي والساساني.



الحارث ملك الغساسنة: العرب في الفلكلور والقصص العربية

أما ملوك الغساسنة فيمكن إدراجهم كما يلي:

الملك	زمنه (م)
بو شمر جبلة	(نحو 500)
الحارث بن جبلة (الحارث الأكبر أو الحارث الأعرج) الإمبراطور يوستينيانس الأول (527 - 565) أقرّ له بالزعامة على عرب بلاد الروم، ومنحه لقب "البطريق". ومنح يوستينيانس لقب "فيلاركس" أيضاً للحارث، أي رئيس القوم وزعيمه	528 - 569
أبو كرب المنذر ابن الحارث	569 - 582
النعمان ابن المنذر	582 - 583
الحارث الأصغر ابن الحارث الأكبر	؟
الحارث الأعرج ابن الحارث الأصغر	؟
أبو حجر النعمان	583 - 614
عمرو	؟
حجر ابن النعمان	؟
جبلة ابن الأيهم	(نحو 635)



الرصافة: وسَّع الغساسنة هذه المدينة وحصَّنوها لتكون مركزهم على الحدود الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، 30 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرقة اليوم. وقد أضحت الرصافة مركزاً مهماً للحجيج المسيحي في الفترة البيزنطية.

ديانة الغساسنة

كان الغساسنة، وعموم قضاة، يعبدون آلهة متعدِّد منها (الأقيصر) وهو إله رئيسي لبعضهم، و(باجر) و(ذو الخلصة)، و(شمس)، و(اللات) و(ود).

في القرن الرابع الميلادي اعتنقوا المسيحية الأرثوذكسية المشرقية المعروفة في سورية آنذاك باليعقوبية. وهي مخالفة لمذهب الروم الأرثوذكس (الملكاني). ومع ذلك فقد اعترف البيزنطيون بسيادتهم، وأعطوهم ألقاباً رفيعة، وكان للغساسنة دورٌ مهمٌ في حرب الروم مع الساسانيين؛ حيث كانوا دولة حاجزة بين الساسانيين وسوريا.

وبينما تبنت الغساسنة المذهب المنوفيزي اليعقوبي فقد انضمت القبائل الشرقية (اللخميون)، خصوم الغساسنة، إلى المذهب الشرقي النسطوري.

وكانت الجدالات اللاهوتية تستهوي ملك الغساسنة الحارث الأكبر، وبه تحولت المسيحية الشرقية القديمة إلى المنوفيزية. وبينما كان الإمبراطور يوستينيانس الأول يدعم الخلقيدونيين، كان الحارث، بمؤازرة الإمبراطورة تيودورا، يحمي المنوفيزيين الذين كانوا يتعرضون لشتى أنواع الاضطهاد من الروم في سوريا. وحينما ذهب الحارث إلى القسطنطينية سنة 563 لمقابلة الإمبراطور، اغتتم فرصة وجوده في العاصمة لكي يلتبس مطراناً لمنطقته. ونال لـ يعقوب البرادعي الرها كمركز أسقفي، مع سلطة واسعة على سوريا والديار العربية، والذي أصبح العامل الأكبر في نشر المنوفيزية ودعمها والدفاع عنها، حتى سمي المنوفيزيون بـ"اليعاقبة" نسبة إلى يعقوب البرادعي.

خاض الملوك الغساسنة حروباً ضد الملوك المناذرة بدفع من الدولة البيزنطية للتكامل بأعدائهم الساسانيين الذين وقف المناذرة في صفهم، لكن هذه الحروب أضعفت الطرفين المسيحيين المشرقين (الغساسنة والمناذرة). وبعد أن قامت القسطنطينية بنفي المنذر الغساني إلى صقلية "شقّ أولاد المنذر الغساني عصا الطاعة ضد البيزنطيين، لذلك هاجموا بصرى التي كانت أكبر قاعدة بيزنطية عسكرية جنوب سورية، واضطر القيصر طيبأريوس إلى تجهيز حملة بقيادة ماجنوس، وتمكّن الأخير من القبض على النعمان الغساني وأسرته سنة 584 م. بعد هذا التاريخ لم نجد ما يوثق تاريخ ملوك الغساسنة المسيحيين لتتوضّح العلاقة بشكلٍ منطقيّ مع البيزنطيين بسبب تنكيل الأخيرين بملوك العرب المسيحيين، ولذلك تمكّن الساسانيون من احتلال سورية سنة 613 وقضوا على ملوك آل جفنة، ولذلك فرّ بعض ما تبقى من الغساسنة إلى البيزنطيين". (محمود 2009: 239).



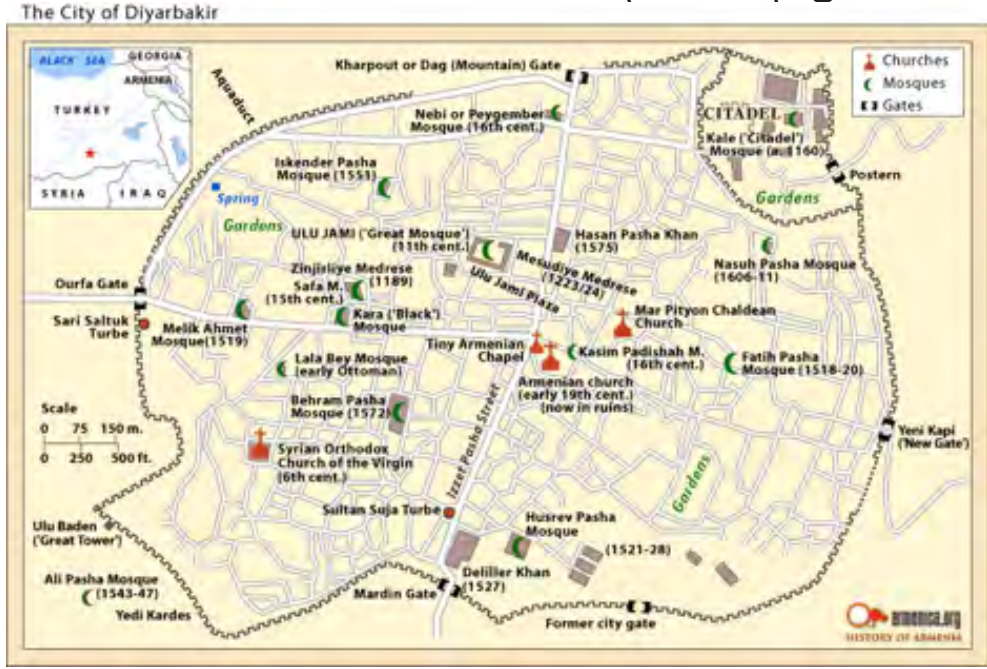
يوستينيان إمبراطور بيزنطة

الفصل الثالث أديان الرافدَيْن المتأخّرة



من آثار مدينة الحيرة

المبحث الأول: آمد (189 ق.م. - 638 م)



تسمى آمد بالسريانية والتركية، وأمد باليونانية، وديار بكر بالعربية حيث اكتسبت اسمها من العرب من بني بكر بن وائل الذين استوطنوها بعد الفتح الإسلامي في عهد معاوية، وهي مدينة قديمة كانت قد ذُكرت لأول مرة باسم "أميد" في النصوص الآشورية مع بداية استيطان الموقع، ثم أصبحت (أميد) عاصمة مملكة (بيت زماني) الآرامية في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ثم خضعت آمد للسيطرة الآشورية، ومن ثم توالى عليها سيطرة الفرس الأخمينيين والسلوقيين والرومان حين أطلق على المدينة اسم (أميدا) في فترة الحكم الروماني والإمبراطوريات البيزنطية اللاحقة، حتى أعطتها المسيحية نكهة روحانية سريانية، فقد كانت مقر بطريك كنيسة المشرق وبعد ذلك مقر بطريركية السريان الأرثوذكس الذي تعاقب عليه بطاركة سريان، دفن بعضهم في كنيسة القديسة ماري حيث توجد عظام القديسين توما ويعقوب السروجي. يحيط آمد القديمة سورعال من البازلت الأسود (يبلغ طوله 5.5 كم)، وهو ثاني أكبر سور في العالم بعد سور الصين العظيم، وأربعة أبواب و82 برجاً بُنيت جميعها في العصور القديمة. شكلت هذه المدينة مفصلاً مهماً بين الديانات القديمة والمسيحية ثم الإسلام، وبذلك يكتنز تراثها المشرقي بأطياف متنوعة وخصبة، عرفت آمد المسيحية منذ القرون الأولى، وينسب التقليد تبشيرها إلى الرسولين توما وتداوس، وظهرت فيها أول كنائس آسيا الصغرى، وفي القرن السادس كانت أسقفية تابعة لكرسي نصيبين المطرابوليطي، بعدئذ لكرسي ميافرقين. وكانت مقر البطاركة المتحدين مع روما في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وأضحت رئاسة أسقفية مستقلة في بداية القرن السابع عشر، واستمرت كذلك حتى الربع الأول من القرن العشرين حيث أُعيدت من جديد لكرسي مطرابوليطي سنة 1965 ومقره في اسطنبول.

كانت مدينة ديار بكر مقرّاً لبعض بطاركة كنيسة المشرق الآشورية، وبالتالي كانت واحدة من أبرز معاقل الآشوريين والسريان، حيث أنجبت المدينة العديد من اللاهوتيين والبطاركة مثل توما والسروجي في بدايتها ثم السريان الأرثوذكس عموماً، وجاء بعدهم في العصر الحديث البطاركة الكاثوليك الذين سكنوا آمد مثل: يوحنا سولاقا (1553 - 1555)، عبد يشوع الرابع مارون (1555 - 1567)، يوسف الأول (1681 - 1691)، يوسف الثاني آل معروف (1696 - 1712)، يوسف الثالث (1713 - 1757). وفي سنة 1729 حصل وكيل الكلدان في العاصمة العثمانية من الباب العالي على نوع من الاتفاقية تكون بموجبها الموصل وحلب للنساطرة وديار بكر وماردين للكلدان.

من أبرز الكنائس في ديار بكر القديمة:

كنيسة قلعة زرزفان:

أول كنيسة للرومان في محافظة ديار بكر، أكتشفت بعد أعمال حفر في قلعة "زرزفان" التي كانت تستخدم كحامية عسكرية في العهد الروماني، وكانت قبراً يعود لشخصية مهمة من فترة تعدد الآلهة في روما، ليتم تحويلها إلى كنيسة بعد اعتناق عدد صغير من الرومان للديانة المسيحية، حيث كان المسيحيون الرومان الأوائل يؤدون عباداتهم في هذا المبنى. حملت جدران المعبد كتابات باللغة الآرامية ورسوماً لصلبان منقوشة على بعض أجزاء المعبد، وعثر على حوض تعميد كبير نسبياً. وقد بقيت هذه الكنيسة المكان الأول للمسيحيين، ولكن بعد ارتفاع أعدادهم، بعد حوالي 150 عاماً، تم إنشاء كنيسة أكبر منها.



أول كنيسة للرومان في محافظة ديار بكر

كنيسة ماريانا (مريم آنا): هي سريانية أرثوذكسية تقع في مدينة ديار بكر في تركيا. وهي تحت اختصاص أبرشية ماردين السريانية، برئاسة المطران مار صليبا أوزمين. هناك العديد من الآثار التاريخية المهمة المحفوظة في الكنيسة، مثل عظام توما. ولدى الكنيسة أيضاً مجموعة كبيرة وهامة جداً من المخطوطات. وقد شيدت الكنيسة على أنقاض معبد وثني يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، في حين أن البناء الحالي يعود إلى الثالث القرن للميلاد. تمّت استعادة الكنيسة مرات عدّة، ولا تزال تستخدم حتى الآن كمكان للعبادة. وهي كنيسة عريقة أعيد ترميمها في السنوات الأخيرة، تضم مكتبة تحتوي على المخطوطات المحفوظة في هذه الكنيسة، ضريح الشاعر السرياني الكبير المعروف مار يعقوب السروجي، والعلامة مار ديونيسيوس يعقوب ابن الصليبي، والبطريك يوحنا ابن عبدون وغيرهم، وتحفظ بجزء من خشبة الصليب الذي اكتشفته القديسة السريانية هيلانة والدة الملك قسطنطين. كذلك تضم أكبر لوحة تمثل مار بهنام بملابس الفارس، مع الصولجان، ولوحات: استشهاد مار يعقوب، مار افرام، مريم العذراء بين أسقفين. وهي الكنيسة الوحيدة المتبقية من القرن الثالث بعد الميلاد ورمت أكثر من مرة، ويعود تاريخ المحراب الموجود فيها إلى العصر البيزنطي وطرز بابها من الطراز الروماني.



كنيسة القديسة مريم (مريانا)



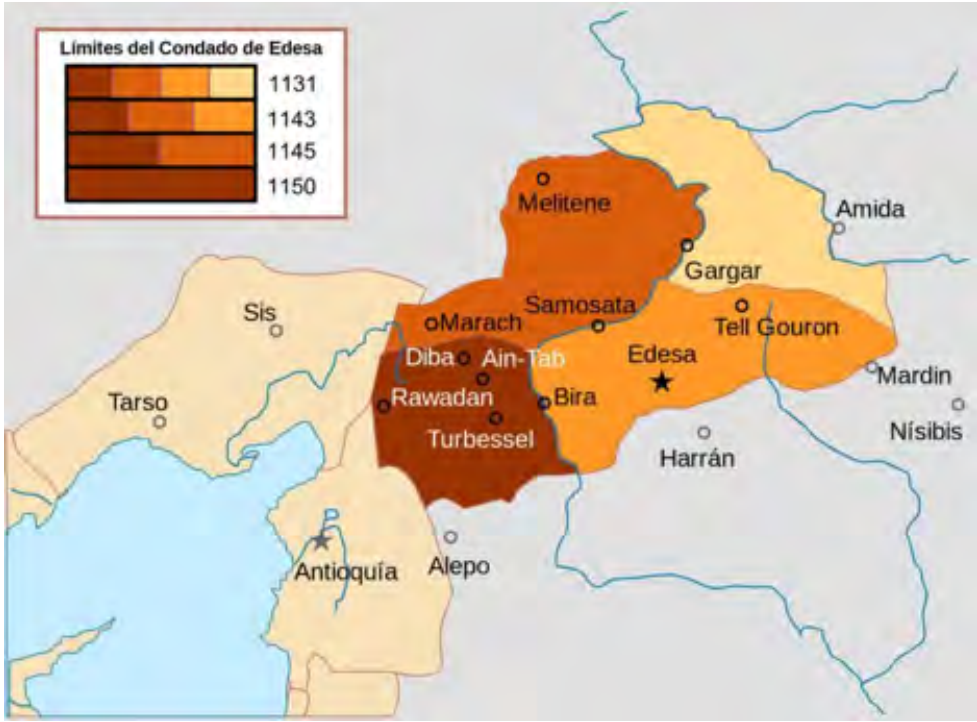
لوحة مار افرام في كنيسة مريانة للسريان الأرثوذكس

كنيسة القديس كيراكوس: كنيسة أرمنيّة رسوليّة كانت واحدة من أهم الكنائس الأرمنيّة في شرق الأناضول ولها سبع مذابح، تُعتبر أكبر كنيسة في الشرق الأوسط على الإطلاق إذ إنها تمتد على مساحة 3200 متر مربع وفيها منازل للكهنة ومصليات ومدارس. فيها العديد من المزايا التي تنفرد بها ككنيسة، منها المذبح، جميع الكنائس لها مذبح واحد إلا هذه الكنيسة لها سبعة. كما أن سقفها مصنوع من التراب الذي جلب من محيط المنطقة وهو ما قام به المهندسون مرة ثانية للحفاظ على شكله الأصلي أثناء عمليّة الترميم.



كنيسة القديس كيراكوس

المبحث الثاني: الرها (132 ق.م. - 244م)



مملكة الرها (أورهاي، أديسا، أسروينا،)

عرفت الرها (أورفا الحالية الواقعة في تركيا) في الحوليات الآشورية باسم (أدما) و(أدموم)، وفي العصر الهيلنستي السلوقي سُميت (أديسا) تيمناً بعاصمة مملكتهم المقدونية اليونانية. وبقيت محتفظة بثقافتها ولغتها الآرامية، وأطلق الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع إبيفانيوس عليها اسماً جديداً هو (أنطاكيا كالبروهي: التي تعني أنطاكية الحسنة المياه. وقبل سقوط الدولة السلوقية بفترة وجيزة، وفي العام 132 ق.م.، أقامت أسرة الأباطرة المحلية مملكة (أوسروينا)، التي استمرت طوال الفترة الواقعة بين 132 ق.م. حتى العام 216 ميلادية، أي 348 سنة. وكانت مدينة الرها عاصمة المملكة تحت حكم السلالة الأبرجية. وبعد احتلال بومبي سوريا سنة 64 ق.م. وتأسست علاقة سياسية جيدة بين الرها وروما حين تعاون الملك أبجر مع الرومان في حملة ضد البارثيين بعد عشر سنوات انتهت بفشل التحالف الروماني الرهاوي، وأصبحت الرها تحت النفوذ البارثي وامتدت حدودها حتى مدينتي أقاميا وزوغما في سوريا.

تحالف الرهاويين مع الحديابيين والحضريين ضد الرومان وحاصروا نصيبين غير أن سبتيميوس الروماني تمكّن من هزيمتهم، وقام كركلا بإلغاء مملكة الرها بشكل نهائي وضمّها إلى ولاية الرها وجعل من عاصمتها مستوطنة رومانية سنة 213 م. وبدأت المملكة بالدخول في الديانة المسيحية من خلال ملكها أبجر التاسع غير أن الملوك احتفظوا بمنصبهم بالرغم من تبعيتهم الكاملة للرومان، وحين اجتاح البارثيون ما بين النهرين تمكّن الرومان من هزيمتهم وإعادة تأسيس

مستعمرة الرها. وانسحب آخر الملوك الأباجرة (أبجر الحادي عشر) إلى مدينة روما حوالي سنة 244 م. وانتهى وجودها السياسي.

دخلت المسيحية (الرها) حوالي منتصف القرن الثاني أي بعد دخولها إلى حدياب بقرن كامل. وهناك من يرى أن الرها تحولت إلى المسيحية عام 200 م. ولتكون بذلك أول مملكة مسيحية في العالم ومنها انطلقت اللغة السريانية التي كانت تسمى في بدايتها لغة الرها وكتبوها بالخط الأسطرجيلي المشتق من الخط التدمري، وبذلك ظهرت لهجة وكتابة السريانية كطيف جديد مسيحي من أطراف اللغة الآرامية.

وربما يكون ملكها أبجر التاسع (الكبير) (177 - 212 م. قد تعرّف أو آمن بالمسيحية أما من أتى بعده فيقينا أنهم كانوا من المسيحيين وهم:

أبجر العاشر (سفيروس بن معين) (212 - 214 م.

أبجر العاشر (سيفيروس ابن أبجر التاسع - رابو -) (214 - 216 م.

معن التاسع بن أبجر العاشر سيفيروس (216 - 242 م.

أبجر الحادي عشر فرحات بن معن (242 - 244 م.



خريطة الكنيسة الشرقية والبيوت (المقاطعات) السريانية في العراق

المرجع: أبونا 1985: 258

الأديان في الرها:

1. الديانات المتعددة الآلهة: عبت الرها مجموعة متفرقة من الآلهة الذكور هم: (بعل) إله الخصب، والإله (نابو) إله الحكمة والمعرفة والكتابة والإله (حدد) إله السماء والبرق والرعد، والإله (مارالهي) (سيد الآلهة) الذي يعرف كذلك باسم بعلمين (سيد السماء) وكذلك إله القمر سين. من الآلهة الأخرى كذلك أيلول المرتبط بشهر (أيلول) و(ناحاي) الذي يظهر في قطعة نقدية ويمكن مناظرته بإله عربي ذو اسم مشابه، ومن الإلهات عبدوا الإلهة (ترعثا) وهي إلهة عشتارية آرامية وكان الكهنة يخصون أنفسهم في طقوس مسارية عنيفة، والإلهة (أترغاتس) التي كان يعبدها الأنباط بشكل خاص.

2. الديانة اليهودية: وهي ديانة محدودة في الرها، وقد قاموا بترجمة العهد القديم إلى اللغة السريانية، وهو ما مهد لظهور الترجمة الرهاوية الخاصة بالأنجيل والمعروفة بـ(فشيظتا).

3. الديانة المسيحية: تذكر المرويات المسيحية المشحونة بالخيال حادثة دخول ملك الرها (أبجر التاسع) في المسيحية، حيث يمرض هذا الملك بالبرص، ويقدم له مستشاروه النصيحة بالإتصال بيسوع المسيح الذي يُشفي المصابين بالبرص من مرضهم، فيقوم بمراسلته لكن يسوع يرسل بدلاً عنه (أدي) أحد رسله الإثنى والسبعين الذي يشفي الملك وينشر المسيحية بمملكته. وما يهمنا هو أن المسيحية انتشرت بسرعة ضمن حدود مملكة الرها فيذكر وجود كنيسة مسيحية هدمت خلال فيضان سنة 201 م. كما يذكر نقش أبريسوس لقاء الراهب الفريجي المتوفى سنة 167 م. بمسيحيين أينما حل بين الرها ونصيبين، وارتبطت المسيحية بالرها منذ نشأتها بخلافات كنسية عدة، فخلال القرن الثاني الميلادي لقيت الأفكار الغنوصية قبولاً واسعاً في الرها ومحيطها السوري - النهري بشكل عام، ولعل برديسان أبرز ممثل لهذه الأفكار في مدينة الرها.

بار ديسان (ابن ديسان) (154 - 222)

ولد في الرها عند نهر ديسان من أبوين نبيلين من أربيل في حدياب، وكان بار ديسان قد تعلم الفلك والتنجيم في منبج (التي تدين بعبادة الكواكب) وتعلم الشعر وفن الرماية. وفي الرها صار مسيحياً ثم شماساً ثم كاهناً وتولى صديقه أبجر التاسع الملوكية في الرها وكان بار ديسان هو الذي هداه إلى المسيحية وتحولت الرها، كلها، نحو المسيحية.

كان بار ديسان غنوصياً وكانت مصادر غنوصيته من المانوية والماندائية ويرى ابن النديم والشهرستاني والمسعودي أن له أتباعاً في خراسان والصين وتركستان تأثروا بفرقة له في البطائح في العراق. ونحن نرجح أن تكون هناك علاقة وثيقة بين بارديسان والماندائية والمانوية والإيزيدية (التي سميت قديماً بالديسانية).

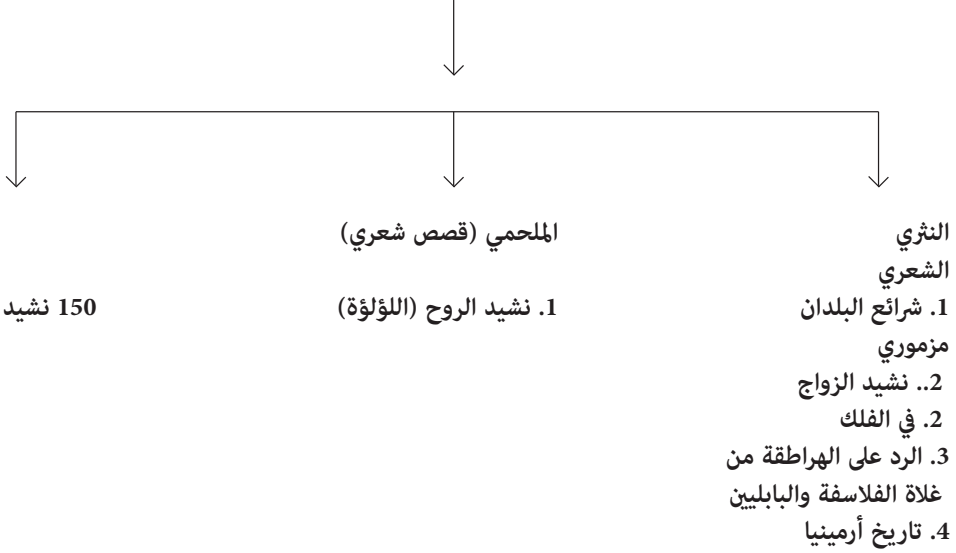
وقف برديسان بوجه الغنوصية المسيحية الإغريقية الأصول والتي مثلها فالنتينوس ومرقيون وغيرهم، ونشر غنوصيته السريانية محاولاً الإفادة من علوم الفلك والتنجيم والعلوم البابلية ومن المندائية. وكان له شعراً عذباً يردده شعب الرها وهو ما أعاض أفرام الذي وجد فيه منافساً وحاربه بكل الوسائل.

كان بار ديسان مسيحياً ذا عقل متنور ومنفتحاً على الأديان والحضارات وقد أعطى للمسيحية الكثير وهي في بداية نشوئها. أما أهم مؤلفاته فهي:

1. شرائع البلدان: عن القضاء والقدر.
2. في الفلك: ذكره جرجس أسقف العرب.
3. مئة وخمسون نشيداً (على طريقة مزامير داود النبي).
4. الرد على الهرطقة من غلاة الفلاسفة والبابليين.

5. تاريخ أرمينيا.
6. أنشودة الروح (ابن الملك).

تراث بار ديسان



والحقيقة أن (أنشودة الروح) التي تنسب لبارديسان هي من أهم مؤلفات الأدب الغنوصي في وادي الرافدين ونجدها حرفياً في الأدب المانوي وتنسب إلى (توما) المانوي وتعتبر مصنفاً غنوصياً أبوكريفاً. وسنضعها هنا أمام القارئ وسنذكر (في فصل الأدب المانوي) شذرات من أنشودة الروح لتوما (توماس)، وقد عرفت هذه الانشودة بـ(اللؤلؤة) أو (أنشودة الروح) (ابن الملك) وهي حكاية رمزية تأويلية أول من وضعها هو بارديسان:

”ابن الملك يقص عن نفسه: لما كنتُ غلاماً، كنت أعيش مترفاً في منزل والدي، وأراد والدي أن أسافر من بلدي في الشرق إلى مصر فحملوني بأنواع الهدايا والملابس المختلفة فضلاً عن الذهب والفضة، وأخذوا مني الحلة الثمينة والمعطف الثمين. وقد عاهدتهم ألا أنسى إذا ذهبت إلى مصر لاستحضار اللؤلؤة من الحية السامة التي توجد في البحر، أن ألبس الحلة والمعطف عند عودتي لأرث مع أخي ملك أبي.

تركتُ بلاد الشرق متحملاً متاعب الطريق صوب مصر، فوصلت إليها وحدي وتوجهت إلى مكان الحية أنتظرها حتى تنام لأستولي على اللؤلؤة، كنت وحيداً غريباً، ولكنني رأيت أحد مواطني من النبلاء فصاحبته وحذرته من المصريين، ثم لبست لباس أهل مصر حتى لا يداخلهم الشك فيما أريده من الاستيلاء على اللؤلؤة، ولكنهم لاحظوا من أشياء كثيرة أنني غريب عنهم، فنصبوا لي الشراك، ولكنني أكلت من أكلهم، ونسيت أصلي الشريف وقابلت ملكهم، ونسيت اللؤلؤة التي جئت من أجلها. وما كدتُ أكل من طعامهم حتى ذهبت في سبات عميق.

وقد شعر والدي بما أصابني فجمع الملوك ورؤساء اللقبائل وأهاب المراتب. وقرروا أن ينقذوني من مصر، وكتبوا إليّ خطاباً موقعاً عليه من الجميع يطلبون إلى فيه أن أستيقظ، وأن أتذكر أنني ابن ملك وأن أتذكر ما يلحقني من العذر في العبودية، وأن أذكر اللؤلؤة التي حضرت من أجلها. وألا أنسى أن ألبس معطفي وحلتي حتى يكتب إسمي في سجل الأبطال وأحكم البلاد

مع أخي. وقد وصلتني الرسالة في شكل نسر فأيقظني صوتها وعرفتها وقبالتها وتذكرت اللؤلؤة التي جئت مصر من أجلها، فذهبت إلى الحية وسحرتها حتى نامت وسرقت اللؤلؤة. وتهيأت للسفر إلى منزل والدي وتوجهت نحو الشرق فوجدت الرسالة التي أيقظتني أمامي في طريقي، وكما أيقظني صوتها أضاء لي تقاطيع جسمها. وقد فرش طريقي بالمغرة (خيوط الذهب) على حرير الصين. وقادنتني بسرعة إلى بلادي. فأرسل إلى والدي الحلة والمعطف فلبستهما وكنت قد نسيت شكلهما، وقابلت والدي مطاطئ الرأس في حلة مرصعة مطرزة عليها صورة الملك شاعراً بأني كبرت بأعمالي وصعدت إلى باب السلام، باب التضرع“. (كامل وآخرون 1948: 88 - 89).

ترد في الكتاب المقدس للمندائيين (كنزاً ربا) إشارة إلى كتاب ديصاي الصغير على لسان دنانوخت الذي هو بمثابة هرمس أو أخنوخ المندائي، ونرى أن المقصود منه هو كتاب بارديسان. وهو ما يشير أيضاً إلى علاقة بين بارديسان والمندائية وعلاقتها معاً بالهرمسية. ومن أعمال توما (توماس) المانوي إضافة إلى أنشودة الروح هناك أنشودة الزواج التي تُنسب أيضاً لبارديسان. وهذا دليل آخر على ترابط هذه المنظومة الغنوصية الواحدة وأثر بار ديسان فيها.

ومن تلاميذ بارديسان هرمونوس وهو ابنه الذي كان شاعراً وقد ساهم مع أخيه في تأسيس الموسيقى الكنسية السريانية. وكان من تلامذته (عويذا) الذي ألف عدداً من الرؤى وكان غنوصياً أيضاً ولم يصلنا من آثاره شيء بسبب حملة رجال الكنيسة عليها. وهكذا يظهر بوضوح أن بارديسان هو مؤسس الأدب السرياني في وادي الرافدين وقد بناه على أسس غنوصية سريانية جمعت بين علوم وآداب وادي الرافدين القديمة من مندائية وبابلية وأشورية ومانوية وبين المسيحية الجديدة الناشئة في وادي الرافدين، وهو الأمر الذي حاول الكثير من المؤرخين التقليديين النيل منه حين حاولوا جعل بارديسان منحرفاً وهرطوقياً. ويجدر بالذكر أن بارديسان قد كتب إنجيلاً خاصاً به مستوحى من الأناجيل السابقة عليه ولكن مار أفرام حين علم بذلك (بعد وفاة بارديسان) استدرج أخت بارديسان وطلب منها أن تسلمه هذا الإنجيل وبعد إطلاعه عليه قرر إتلافه بأن وضع الغرى بين صفحاته فلم تعد تفتح مطلقاً وأعادته إلى أخته. وهكذا ذهب هذا الإنجيل ضحية الضيق الفكري والغيرة المستعرة من قبل مار أفرام على مؤسس الأدب السرياني وواضع أصوله.

فشيظتا: الترجمة البسيطة السريانية للكتاب المقدس

عرفنا أن أصول كتابة العهد القديم كانت في وادي الرافدين وأغلبها باللغة الآرامية وبعضها باللغة العبرية. وقد ضاعت هذه الأصول، ثم وضعت الترجمة السبعونية في عصر بطليموس الثاني باللغة اليونانية عن تلك الأصول، وأصبحت هذه الترجمة هي أساس العهد القديم. وحين ظهرت المسيحية كانت كلمة السيد المسيح بالآرامية وقد كتب إنجيل واحد بالآرامية أما بقية الأناجيل فقد كتبت باليونانية ثم أصبح العهد القديم كله باليونانية، وهكذا صار الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) كله موضوعاً باليونانية.

أول ترجمة من اليونانية إلى السريانية كانت في وادي الرافدين في حدياب في القرن الميلادي الثاني ودعيت هذه الترجمة بالسريانية (فشيظتا) أي (البسيطة) وهو عمل مشترك قام به كثيرون وربما كان لليهود المنتصرين دور كبير في هذه الترجمة. ضمت ترجمة فشيظتا لأسفار العهد القديم أغلب أسفاره باستثناء أسفار أخبار الأيام الأول والثاني وسفري عزرا ونحميا وأهمل سفر إستير في مخطوطات الكنيسة الشرقية أما الأسفار غير القانونية (الأبوكريفا) فموجود بعضها. وضمت أسفار العهد الجديد الأناجيل الأربعة وأعمال الرسل والرسائل الثلاث الجامعة (يعقوب، بطرس الأولى، يوحنا الأولى) رسائل بولس الأربع عشر. وقد أهملت الكنيسة القديمة رسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا ورؤيا يوحنا الرسول.

المبحث الثالث:

الإيزيديّة (حوالي 150 ق.م. - الآن)



الشعار الإيزيديّ الحديث حيث طاووس ملك في وسطه
وهناك ما يشير إلى الـ12 والـ7 والجذور الرافدينيّة
[http://islah-taqadum.com/modules.
php?name=News&file=print&sid=2406](http://islah-taqadum.com/modules.php?name=News&file=print&sid=2406)

التاريخ الإيزيديّ

النظريّات والأفكار والمقترحات التي ظهرت وهي تعالج أصل الإيزيديّين وتاريخهم كثيرة جداً، وقد أطلعنا على أغلبها. لكن لنا رأي مخالف لها في ما يخص أصولهم ونشأتهم وتقسيم مراحل تاريخهم. فقد اكتسى هذا التاريخ ثياب كل مرحلة، لكنه عاش سرياً داخل هذه الثياب، فمن انحداره الرافدينيّ القديم وعقائد خصب دوموزي إلى المرحلة الآشوريّة ثم المرحلة الغنوصيّة، حيث تبلور هذا الدّين في دائرة الغنوص الآشوريّ في شمال وادي الرافدين ثم المرحلة السريانيّة ثم المرحلة العربيّة ثم المرحلة الكرديّة.

يمكننا وضع تاريخ خاص بتطور الديانة الإيزيديّة نجمل فيه كل التغيرات والتبدلات التي طرأت عليها والتي أصبحت جزءاً منها:

1. القديم (611 - 150 ق.م): منظومة عبادة الكواكب الآشوريّة.
2. الوسيط (150 ق.م. - 638 م): المرحلة الغنوصيّة السريانيّة.
3. الحديث (638 - 1917): المرحلة اليزيدية (العربيّة) وبعدها (الكرديّة).
4. المتأخّر (1917 - الآن): المرحلة المعاصرة.

القديم (611 - 150 ق.م.)

كانت الديانة الآشوريّة (الشيبيّه بالديانة البابليّة) الديانة السائدة في الإمبراطوريّة الآشوريّة وبشكل خاص مركز هذه الإمبراطوريّة في آشور ونينوى وما يحيط بهما من مدن. وبعد سقوط الإمبراطوريّة الآشوريّة انفرط عقد ديانتها أيضاً وتجلّى جوهرها الكوكبيّ وتحوّلت المدن التي حول مركزها إلى منظومة من العبادات الكوكبيّة، ففي حرّان ظهرت الديانة الحرانية التي كان عمادها عبادة الكواكب السبعة وعلى رأسها إله القمر سين. وفي حدياب ومركزها أربيل ظهرت عبادة الكواكب السبعة وعلى رأسها إلهة الزهرة عشتار، وفي الحضر ظهرت عبادة الكواكب السبعة وعلى رأسها ثالوث الشمس (مرن، مرتن، برمون)، وفي سنجار ظهرت

عبادة الكواكب السبعة وعلى رأسها الإله الشمس الذي سُمِّي (ديو) و(تاوس)، وكان أهلها من الآشوريين والآراميين الذين سكنوا سنجار بشكل خاص.. ومن المؤكد أن هذه المرحلة شهدت تأثيرات زرادستية بحكم احتلال الميديين ثم الأخمينيين والفريثيين هذه المناطق وظهرت فكرة النور والظلام والخير والشر التي مهدت للأفكار الغنوصية.

الوسيط (150 ق.م. - 638 م)

في هذه المرحلة أخذت الديانة الإيزيدية شكلها ولغتها السريانية عندما ظهرت المسيحية وكان لشخصية (مار أدي) الأثر الكبير عندما بشر في حدياب وانتقل إلى ما حولها. ونظن أن (مار أدي) هو الجذر الأول لما سيُعرف في المرحلة الحديثة من تاريخها بالشيخ (عادي)، لكن التطور النوعي لها أنها تبنت أفكار بار ديسان، ولذلك سُميت بـ(الداسنية من ديسان) (الذي سُمِّي على اسمه جبل ديسان واسم ديسان هو نهر في الرها). وهو الغنوصي المسيحي الذي نشر أفكاره باللغة السريانية، ولا نستبعد أن يكون للمانوية الغنوصية تأثير كبير فيها وربما حملت هي الأخرى الأفكار الثنوية للخير والشر والنور والظلام. ونعتقد أن لـ (أدي) وهو مساعد أو حوار (ماني) أثر كبير في ذلك وهو ما يرسخ من جديد جذراً آخر لاسم (أدي) أو (عدي) أو (عادي). وقد كانت كتبها وتعاليمها وأدبها الروحي باللغة السريانية أيضاً، وهناك كتب وبحوث كثيرة تشير لعلاقتها بالمسيحية والمانوية والغنوصية.

من دلائل أصالتهم السريانية، مثلاً أنهم في سنجار يقدسون دير "مار عدي" (مار أدي) أحد حوار السيد المسيح، ويحفظون فيه بأقدم مكتبة كلدانية مكتوبة على رق الغزال باعتبارها مكتبتهم المقدسة. من ناحية تكوينهم الديني فإن المؤرخين والفقهاء لم يحسموا قضية انتماء اليزيدية للإسلام أم لا، لقد أسيء فهم الفكرة السائدة عنهم بأنهم يعبدون الشيطان: إنهم يهابون "الملوك طاووس" رمز قوة الشر (الشيطان) لا حباً به، ولكن تجنباً لشره. يشبهون معظم الطوائف "الغالية" التي حاولت أن تغطي معتقداتها السامية الأصلية بتلاوين مسيحية وإسلامية، مثلما فعلت العلوية والدرزية والإسماعيلية والشبكية وغيرهم. إن اليزيدية تمثل خلاصة الدين البابلي القديم القائم على تقديس الكواكب السبعة المعروفة، والذي تأثر واضطر لتقبل المعتقدات السامية الجديدة التي انبثقت في المنطقة بعد سقوط بابل: المسيحية ثم المانوية البابلية ثم الإسلام. أي أن اليزيدية هم من بقايا المجمع السامية السريانية التي فرض عليها التاريخ للحفاظ على دينها الأصلي، أن تتقبل بعضاً من معتقدات الأديان الجديدة، بل إن ديناميكية اليزيدية اضطرت كذلك لتقبل ثقافات الأقوام الجديدة التي فرضت نفسها على المنطقة، أي ثقافة العنصر العربي أولاً ثم ثقافة العنصر الكردي الذي هيمن في القرون الأخيرة. (مطر 2000: 238).

الحديث (638 - 1917)

في هذه المرحلة التي دخل فيها الإسلام وادي الرافدين تعرّضت الإيزيدية لما تعرضت له بقية الطوائف الأخرى، وربما عانت هي الكثير من المتاعب، وإذا كانت تلك الطوائف قد بررت وضعها من أنها من أهل الكتاب مثل (اليهودية والمسيحية والمندائية) وادّعت الحرائية من أنها ديانة صابئية لأنها ذكرت في القرآن، وجدت الإيزيدية ضالتها في اقتراب اسمها من اسم الخليفة الأموي (يزيد) فادعت أنها من أتباعه ووجدت في شخصية (عدي بن مسافر مبرراً لحشرها في تاريخها لاقتراب الاسم من (أدي) وهكذا نُسج غلاف إسلامي حولها استطاع أن

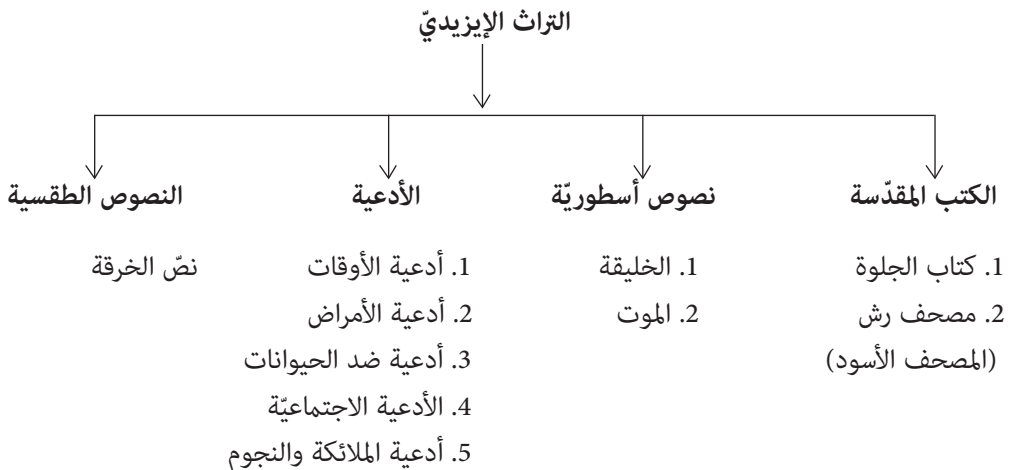
يحميها من السؤال عنها وعن حقيقتها، والحقيقة أن الإيزيديّة عانت الأمرين في عهد الخلافة العثمانيّة وذهب عدد كبير من أهلها ضحايا التطرف العثمانيّ الدينيّ والقوميّ.. وهكذا وجد الإيزيديّون ضالّتهم في الكورد الذين وفدوا إلى مناطقهم حديثاً فتعلموا لغتهم وكتبوا سرّ كتبهم القديمة التي تحولت إلى اللغة الكوردية ونسيت اللغة السريانيّة التي أصبحت قرينة الأديان والطوائف المسيحيّة في شمال العراق وسوريا. وهكذا تحوّلت رموز ديانتهم إلى الكوردية. وانتشروا في أماكن كثيرة من سوريا وتركيا وروسيا وإيران.

المعاصر (1917 - الآن)

بعد سقوط الدولة العثمانيّة كان الإيزيديّون قد أصبحوا طيفاً من أطراف الشعب الكردي، لكن هناك ما يشير إلى ملابس نسائهم السريانيّة وزيّ رجالهم العربيّ، وبرغم ذلك أظهر بعض رجالهم غلواً في انتمائهم العربيّ الأموي وغير ذلك.. وظلت ديانتهم نهياً للتكهنات والأقوال والآراء السريعة، رغم أن هناك بعض الدراسات الغربيّة التي حاولت فك لغزهم. وبعد سقوط النظام الشموليّ في العراق عام 2003 والاحتلال الأميركيّ للعراق وجد الإيزيديّون لهم متنفساً في الحديث عن حقيقة ديانتهم، ولكننا ما زلنا بحاجة ماسة إلى دراسات معمّقة وبحث دائب عن أدبهم وكتبهم ومخطوطاتهم.. وآثارهم الحفريّة التي تكاد تكون معدومة في مناطقهم.

التراث الإيزيديّ

لا يختلف التراث الإيزيديّ عن بقية تراثات الأديان الأخرى إلا في كونه ذا ماضٍ بعيد لم تصلنا أصوله ولغته القديمة من ناحية ومن ناحية أخرى هو تراث شفاهيّ حين تتداوله العامة، أما الخاصة فيتكتمون على التراث المكتوب ولا يسمحون للعامة مطلقاً بتداوله ولهذا لم نستطع الحصول على الكثير من هذا التراث وتصنيفه بشكل دقيق وكما قلنا فهو اليوم مكتوب باللغة الكوردية، لكننا لا نعرف لغة ماضيه على وجه الدقة رغم أننا نرجح أن يكون قد كتب بالسريانيّة. ينقسم التراث الإيزيديّ كما يلي:



الكتب المقدّسة

لا نملك أيّ دليل على قدم الكتابين الإيزيديّين المقدّسين، بل نرى أنهما حديثان ولا يتعدان عن زماننا هذا بأكثر من قرن، فهما موضوعان ولا صحة للدعاء بأنهما قديمان.

كان الإيزيديّون وما زالوا يؤمنون بـ(علم الصدر) أي الحفظ الشفاهي لنصوصهم المقدّسة، ولذلك نرى أن من الطبيعيّ وجود عمليّات نسيان وحذف وابتكار وتحريف لا حدود لها في تلك النصوص ولا بدّ من الاعتراف بأن جميع النصوص الدنيّة الحالية حديثة التدوين ولا تربطها بالماضي القديم للإيزيديّة إلا جذور واهية جداً.

ومع ذلك فنحن لا نمتلك إلا أن نعتبرها نصوص طائفة رافدينيّة ذات أصول نصيّة شفاهية عريقة ونصوص مكتوبة حديثاً باللغة الكوردية.

وينسجم هذا الموقف مع الرؤية العلميّة للأمور لأننا إذا علمنا بحجم التحريف الحاصل بتاريخ النصوص المكتوبة الموروثة عموماً فيمكننا أن نتصور حجمه بتاريخ النصوص الشفاهية الموروثة.

ومع ذلك لا بد من تقليب بعض الحقائق التاريخيّة حول هذين الكتابين:

كتاب الجلوة

يُنسب هذا الكتاب للشيخ حسن بن آدي واسمه الكامل (كتاب الجلوة لأرباب الخلوة) ومعنى الجلوة هنا التجلي والجلاء والوضوح.

”تعني حرفياً (ظهور) وفي الاصطلاح الصوفي تعني (الطبيعة) والكون. لكن الكتاب الإيزيديّ الحامل لهذا الاسم لا يبحث عن الخليقة إذ خصص لعرض آلهتهم، طاووس ملك، في قوته وسؤدده وأوامره ونهيه، وتعاليمه وتحذيراته ووعده ووعيده. ولو قارنته مع القصيدة المنسوبة إلى الشيخ عادي ستجد أنها هي فاتحة كتاب (جلوة) ومع ذلك لم يرد فيها ذكر لعبادة الشمس“. (توفيق وهبي ج4 WWW.lalish.de ترجمة شوكت حسن إسماعيل)

هناك مَنْ يرى أن كتاب (الجلوة) وكتاب (مصحف رش) كتبا بالأبجدية الإيزيديّة وهي أصل الأبجدية الكوردية القديمة.

”هنالك دراسات تؤكد على أن الأبجدية الإيزيديّة هي أساس اللغة الكوردية، يقول الدكتور صديق زاده بوركي: كان للأكراد لغة وأبجدية تسمى بالأبجدية الكوردية الإيزيديّة، وهي الأبجدية التي كتبت بها المنشورات الإيزيديّة القديمة وكتبهم المقدّسة المصحف الأسود والجلوة للأبجدية الإيزيديّة الكوردية جذور تاريخيّة عريقة توثقها مصادر تاريخيّة في كتب المستشرقين. وهي ليست حديثة العهد كاللغة الكوردية الحالية بأبجديتها اللاتينيّة والعربيّة التي لم يكن تاريخها أكثر من مئة وخمسين سنة من ظهورها، (لا أقصد بالأبجدية التي استخدمها البعض من شعراء الكورد في نتاجاتهم 935 - 1010 من أمثال الهمداني والحريري والشيرازي، إذ كانت نتاجاتهم بأبجدية فارسيّة بحتة ولم تكن بالأبجدية الكوردية الجنوبية الحالية الممزوجة بين الأبجديتين العربيّة والفارسيّة وبإضافات حركات هجائيّة حديثة من اجتهاد اللغويين الأكراد). هنالك كثير من الأدلة تشير إلى ان الأبجدية الكوردية الحقيقيّة هي الأبجدية الإيزيديّة القديمة التي جاءت بها المخطوطات والمنشورات (خت ومشور) الأبيار والكتابين المقدّسين المصحف الاسود والجلوة“. (قيدار صبري: موقع (لالش). <http://www.islah-taqadum.com/modules.php?name=News&file=article&sid=2360>)

والحقيقة فإن هذا يتفق مع استنتاجنا بكون الإيزيديّين ظهوروا أولاً في وادي الرافدين في سنجان بعد سقوط آشور واتخذوا من عطارد رئيساً لمجمع كواكبهم (وعطارد هو الطاووس ورمز

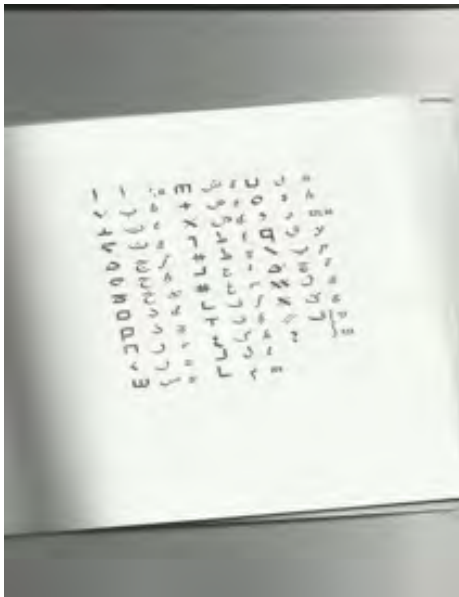
نبو) وتحوّلوا إلى فرقة غنوصيّة سريانيّة اللغة والكتابة مع ظهور (آدي) المانويّ الذي هو أحد حواربي ماني. وهذا يعني أن الأبجديّة الإيزيديّة ذات أصول سريانيّة كتابيّة ولغة ولكنها أخذت شكلها الخاص في القرون اللاحقة. ويؤكد كلامنا هذا أن ابن وحشية في كتابه (شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام) المدوّن عام 865 م. يدوّن الأبجديّة الإيزيديّة الكرديّة التي تشبهه، إلى حد ما، الأبجديّة التي دوّنت بها مخطوطات الجلوة ومصحف رش اللتين عثر عليهما المستشرق الفرنسي.



الأبجديّة السريانيّة الأصليّة للإيزيديّة



حروف اللغة الإيزيديّة



كتاب الجلوة بكتابة إيزيدية شبيهة بالخط السرياني
<http://www.islah-taqadum.com/modules.php?name=News&file=print&sid=2360>

أما الجلوة الحقيقية فيقول عنها شاهد عيان رآها وتصفّحها عند أحد رجال الدين الإيزيديين عام 1999 بسرية تامة وهو السيد أحمد ملا خليل مشختي:

يحتوي كتاب الجلوة الأصليّة على فصول عدّة كتبت باللغة العربيّة وبخط النسخ الحديث، أن الفصل الأول يشمل الخليقة والتكوين وهي قريبة إلى حد ما من الفكر التوراتي، أما الفصل الثاني ففيه النصائح والمواعظ، والفصل الثالث قصة البير هسن ممان مع الشيخ آدي بن مسافر، والفصل الرابع يحتوي على الوارث والموروث، والفصل الخامس يحتوي على إرشادات للشيوخ والثيرة وكيفية الوعظ والإرشاد، والفصل السادس يحتوي على الجمل والرسوم والطلاسم والتعويذات وعلاج بعض الأمراض والآفات والفصل السابع على (الخيرة).. هذا ما أذكره والعهد على ذاكرتي. ولم يمهلني شيخي أكثر من نصف ساعة بعدها دفن كتابه في غياهب الظلام عسى أن يأتي يوم يظهر كالشمس الساطعة ليقول للعالم ها أنا الجلوة الحقيقية. لم أقرأ ضمن ما قرأت كلمة واحدة في الجلوة تنمّ على الكفر والشرك، بل تأكدت من وحدانية الإيزيدية وإيمانهم العميق بالله واليوم الآخر خيره وشره، واحترامهم العميق لشيوخهم، الذين يصفهم الجلوة، ينابيع العلوم).

كنت قد رجوتُ شيخي أن يسمح لي بنقل محتويات صفحة واحدة، وذلك بسبب ما فيها من نصائح جليّة جميلة وليعرف القارئ من خلال تلك الصفحة قيمة كتاب الجلوة وثم ليعلم بقية الشيوخ الآدانية والذين يملكون نسخة من عين الجلوة بأني فعلاً شاهدت الجلوة الحقيقية، فوافق الشيخ مشكوراً وإليكم ما ورد في الفصل الثاني حرفياً دون أي تلاعب بالألفاظ والتعابير. (<http://www.ezidinasinet.net/ar/?p=138>)

ونعتقد أن هذه النسخة مترجمة من اللغة الإيزيدية السريانية مباشرة.

بين يدينا اليوم ثلاث نسخ غير حقيقية من (الجلوة مترجمة إلى العربيّة من الكوردية ولا شك في أنها لا تمثل (الجلوة) الأصليّة التي أشير إليها، لكنها هي أيسر ما توفر لدينا حتى إعداد هذا الكتاب.

1. النسخة الأولى: تحتوي على مقدمة وثلاثة أبواب وكل باب يحتوي على سبعة فصول وكل فصل يحتوي على سبع فقرات. وهي أفضل النسخ رغم أن مترجمها مجهول.
2. النسخة الثانية: تشبه الأولى لكن ترجمتها مختلفة.
3. النسخة الثالثة: نشرها سعيد الديوجي ولا تحتوي على المقدمة.

المقدمة

تتكوّن المقدمة من خمسة فصول يتضح من بدايتها أن الجلوة هي عبارة عن كلام موجّه من الخالق إلى الإيزيديين ونصائحه للمؤمنين به وبديانتته. لكنه يعتبر الملاك طاووس مرسلًا من قبل الله (الذي هو خودا، يزدان) وتشدّد المقدمة على أن كتاب (الجلوة) لا يجوز أن يقرأه أو يطلع عليه من هم من ديانة أخرى وهو ما يفسر عدم ظهور (الجلوة) الحقيقية إلى اليوم. ويوصف الطاووس ملك بأنه موجود قبل كل الخلق.

هذا يعني أن الرسول إلى البشريّة هو (ملاك) وليس (بشرًا) ولذلك فهم يميّزون بين الرسول الملاك وبين النبيّ الإنسان. وهذا ما يجعلها تلتقي مع العقائد الغنوصيّة الأخرى كالمندائيّة. في فصول المقدمة الخمسة يجري التركيز على قدرة الخالق العظيمة وعلى طبيعة العالم وما فيه من أزمان وأدوار وأنبياء، وعلى قدرة الله على التصرفّ بالعالم ونوع أوامره ونواهيّه وعلى تناسخ الأرواح، ثم يتم التطرق إلى الإرشاد بلا كتاب ومعرفته لكنوز الأرض ودفائنّها. وفي الفصل الرابع تذكر العناصر الأربعة والأزمان الأربعة والأركان الأربعة والأديان الأربعة (اليهوديّة

والمسيحية والإسلام والإيزيدية) حيث يرى الكتاب أن الأديان الموحدة الثلاث غيرت كلام الله والإيزيدية تحافظ عليه في كتبها. ويحذر من ذكر اسم الله الذي لا تدرکه العقول وضرورة الحفاظ على سننه وشرائعه وإطاعته وعدم البوح بتعاليمه وكلامه إلى الأديان الأخرى وضرورة حفظ كلامه غيباً أي في الصدور.

الباب الأول

يتكوّن هذا الباب من سبعة فصول تركّز على توحيد الله بلغة قريبة من القرآن حيث ترد عبارات (أنا الله الرحمن الرحيم) و(أنا ربكم فاعبدون) وغيرها وتتحدّث عن خلق الإنسان بلغة قرآنية أيضاً (إنا خلقناكم من نطفة وجعلنا النطفة علقة... إلخ) ويتم تشبيهه دورة الخليقة بدورة الفصول الأربعة.

وفي هذا الفصل إشارات عن الرحمة للمطيع والتوبة للعاصي وتحذير الناس من البطر والقنوط وعدم جدوى البحث في كنه الله لأنه أكبر من كل التصوّرات، وعلى أهميّة الحواس والطعام والدين والدنيا وهدايا الأبناء، ومدح لجم الشهوات وتغليب العقل والحركة والإقدام والعقاب والثواب وأبواب الرحمة. ويؤكد الفصل الأخير على أن (داسن) هي قلب الأرض وأن وادي لالش هو قلب داسن.

الباب الثاني

يتحدّث هذا الباب بفصوله السبعة عما جرى بعد خلق الإنسان حيث يأمر الملائكة بأن تسجد لآدم فتسجد ما عدا الملاك (تادوسا) الذي يتذكر أمر الله حين خلق الملائكة قبل آدم بـ 40 ألف سنة بأن لا يسجدوا لأحد سواه، ولذلك يقوم الله بمكافأة (تادوسا) وجعله رئيساً للملائكة (ملك تادوس) (طاووس ملك) ومعلماً لآدم ويسلمه مفاتيح اللوح المحفوظ الذي فيه الأوامر والنواهي وأسرار السماء والأرض. ويعين ستة من الملائكة ليساعدوا (طاووس ملك) ويحدّد لهم وظائفهم، وكذلك يخلق، عن طريق عكس نور هؤلاء الملائكة السبعة، الأنبياء السبعة الذين يؤمنون الإيزيديّون بهم فهم الوجه الأرضي للملائكة السماويين، ويوضح الجدول الآتي الملائكة السماويين ووظائفهم والأنبياء الأرضيين المقابلين لهم وما ذكر عنهم:

ويسمّي الأنبياء باسم الشيوخ ويصف خلق الجنّ من سحابة سوداء جاعلاً الملك نرائيل حاكماً عليهم ولهم ثلاثة رؤساء هم (خمو، كمو، ...) ويأمر بتقديس النور وعدم الحلف به ويعتبره مصدر الشمس والقمر ويأمر المؤمنین بالصلاة مرتين في اليوم (ربما في الشروق والغروب).

الملاك	وظيفته	النبيّ (الشيخ)	ما ذكر عنه في الباب الثاني
1 طاووس ملك	رئيس الملائكة، معلم آدم عنده اللوح المحفوظ	آدي	رئيس الأنبياء
2 جبرائيل	مساعد طاووس ملك ورسوله	زرادوش	النبيّ الذي ظهر قرب لالش
3 إسرافيل	حاكم النجوم والأفلاك ومقدّر الزمان	شمس الدين	طلع كالشمس
4 شامنائيل	الزمان	أبو بكر	أخذ المسبحة واتكأ على العصا
5 درداثيل	راعي الخضروات والنباتات وفصول السنة	سجادين	ظهر مدة قصيرة في لالش ومات
6 نورائيل	قابض الأرواح حاكم الجن	ناصر الدين	عمر داسن ونشر فيها الديانة
7 ميكائيل	راعي المطر والثلج والسيطرة	فخر الدين	بشّر بظهور شرف الدين في داسن العليا

ثم يأتي الفصل السادس على ذكر الأيام السبعة وما خلق فيها وكما يلي:

السبت: العرش والزمان وهما مزيجان بعقدة ذهبية.

الأحد: الملك والأفلاك ودائرة الزمان مربوطة في حلقة العرش.

الاثنين: الشمس والقمر متقابلان.

الثلاثاء: زحل والأرض وفيهما الحور والبشر الذين في سعادة وشقاء.

الأربعاء: المريخ في سلسلة العرش.

الخميس: ... وخلق الجبال والجالون؟ كإطار لهما.

الجمعة: السيل والجنون وملأهما بالأفراح والآلام.

وفي الفصل السابع يتحدث عن العناصر الأربعة التي تكون في الأشجار والنبات سبب الحياة..

ولذلك الألوان الأربعة (أحمر، أصفر، أبيض، بنفسجي) والتضاريس الأربعة (جبال، صخور

وأحجار، سهول، صحارى) والليل والنهار وما فيهما من نوم وصحو وصحة ومرض وضحك

وبكاء.

الباب الثالث

الفصول السبعة لهذا الباب جاء منها خمسة فقط وركزت على إنزال كتاب الجلوة إلى الداسنين

(أهل داسن) كما يسميهم الكتاب، ويبدو أن هناك ثلاثة كتب جلوة. وهي:

1. جلوة زورا، خاني خور، كونه جيار.

2. جلوة زورا، هابو هوز، كونه ديار.

3. جلوة زورا (بن وقور) جه نه نسا، أهنك نهم دي مي هبته بزار

وأن الخالق بعث من الداسنين ثلاثة أنبياء لجميع (الإيزديين) وهم:

(ورادوس، آدي، شير آقور).

ثم يذكر الفصل الثاني بعض الأنبياء من الأديان الأخرى مثل نوح وإبراهيم وموسى وهارون

ومحمد. وفي موضوع الروح يرى أنها خفيفة ومنها ما يسميه (الروان) وهما ينبعان من ينبوع

واحد والإنسان يرجع إلى قطرة ماء.

والفصلان الرابع والخامس يحفلان بالنصائح والوصايا.

2. مصحف رش (الكتاب الأسود)

يشير اسم (مصحف رش) الكثير من الإشكاليات منها أن كلمة مصحف كلمة إسلامية وتشير إلى

القرآن وهذا يعني أن هذه التسمية ظهرت في العصر الإسلامي ثم أن كلمة (رش) التي تعني

(أسود) هي لتمييز هذا الكتاب عن القرآن ولتشير إلى القوة والعنف والشدة وهي من صفات

القداسة والحرام. فهو الكتاب الحرام أي الكتاب المقدس، لأن كلمة (رش) الكوردية تعني أيضاً

النواهي والمحرمات والأوامر. ولذلك لانفضل ترجمته بالكتاب الأسود بل بالكتاب المقدس.

يكاد يكون كتاب (مصحف رش) كتاب الخليقة الإيزيدية بامتياز فهو يصف قصة الخليقة أو

أسطورتها بشيء من التفصيل، ويمكننا أن نلمح فيه كافة مراحل الخليقة.

1. الثيوغونيا: حيث يصف خلق الملائكة السبعة التي وردت في كتاب الجلوة ويوضح أن

طاووس ملك هو عزرائيل كما يصف أيام الخليقة والملائكة التي خلقت فيها كما يلي:

الأحد	طاووس ملك (عزرائيل)	لا يذكر آدي
الاثنين	دردائيل	الشيخ حسن
الثلاثاء	إسرافيل	الشيخ شمس
الأربعاء	ميكائيل	الشيخ أبو بكر
الخميس	جبرائيل	سجاد الدين
الجمعة	شمناييل	ناصر الدين
السبت	نورائيل	فخر الدين

ويعود في نهاية الكتاب ليصف (الآلهة) الستة الذين يخلقون الكون بطريقة أخرى. وواضح أن الكتاب يحول الملائكة إلى شيوخ ليتفادى الشرك، ونرى أن أصل الملائكة والشيوخ هو آلهة قديمة توارت خلف ضباب كثيف من الخوف ومن وضع أسماء لقادة روحيين للإيزيديين بعضهم موجود وبعضهم وهمي.

2. الكوزمولوجيا: يخلق الكون من درة بيضاء على ظهر طائر اسمه (أنفر) وتبدأ خليقة الملائكة بعد 40000 سنة ثم تخلق السماوات السبع والأرض والشمس والقمر. ويقوم فخر الدين بخلق الإنسان والحيوانات والكواكب والنباتات والعرش.

3. الانثروبوغونيا: يخلق الإنسان بعد أن ينزل الرب إلى أرض القدس ويأمر جبرائيل بجلب تراب من أربع زوايا الدنيا فيجيء له بالعناصر الأربعة فيخلق منها (آدم الأول) ويجعل فيه روحاً ويدخله الفردوس ويجعله يأكل من ثمرة الشجر، لكنه ينصحه بأن لا يأكل من الحنطة فيأكل آدم منها وتتفخ بطنه وينزل الله له طائر فينقره ليصنع له مخرجاً، ويخلق حواء من تحت إبط آدم.

ثم يصف الكتاب ملوك الإيزيديين ويسمّيهم وهم ملوك ساسانيون وأولهم كائن آشوري (نسروخ) ويذكر محرّمات الإيزيديّة في الطعام والكلام وغير ذلك.

نصوص أسطورية

عثرنا على بعض النصوص الأسطورية خارج كتابي الجلوة ومصحف رش تكون مادة مهمة للأساطير الإيزيديّة، ويمكننا تقسيمها، من حيث المبدأ، إلى نوعين من الأساطير وهي:

1. أساطير الخليقة: وتشتمل على النصوص الآتية:

1. المقطوعات الخمس.
2. حديث الخليقة.
3. إلهي غفور.
4. طاووس رئيس الملائكة.
2. أساطير الموت (النهاية): وتشتمل على:

1. ترقيني (التلقين).

أساطير الخليقة

سنختار هذه المقاطع ذات الطبيعة الأسطورية المتعلقة بالخليقة والتي ترجمها الدكتور (خليل جندي) في كتابه (نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيديّة)، وهي خمس مقطوعات وتتحدث الأولى عن عظمة الخالق على لسان طاووس ملك، والثانية عن خلق الأرض والسماء والشمس والقمر، والثالثة عن معرفة الخالق بأسرار الكون والرابعة تؤكد على أن الله (إيزيد) والملاك عزرائيل (طاووس ملك) والشيخ آدي هم شيء واحد وهذا تصريح مهم. وترى أن للخالق ألف

اسم واسم. وفي الخامسة تشبه في افتتاحيتها أسطورة الخليقة البابلية وتتحدث عن كائن كان في خدمة الله قبل تسعين ألف سنة وكيف أنه أرشد إلى (خدر بن خدر) ليشرّب كأساً ويتعلّم علماً عظيماً. وهذه المقطوعات مكتوبة بلغة أسطورية التركيب تشبه أساطير وادي الرافدين القديمة وفي ما يلي ترجمة لمقاطع منها:

1. قول طاووس ملك

يا رب أنت ملك الملك الكريم

وأنت ملك العرش العظيم

يا رب! أنت أزلي قديم.

يا رب! أنت ملك الانس والجن

أنت ملك العرش والكرسي

يا رب! أنت ملك الثور والسمك

يا رب! أنت ملك العالم والقدس

يا رب! اسمك فوق كل الأسماء

لا شبيه باسمك، كم عظيم أنت

... ..

أنت المقدّس العالي الشأن

يليق بك المدح والثناء

يا رب! لا تأكل ولا تنام

أنت صاحب المال والحياء

يا رب مكانك في كل بقعة

يا رب! لا لون لك.

لا حس لك ولا صوت

أنت الغوث وأنت المدد

يا رب لا يدري أحد كيف أنت!

يا رب أنت حاكم جميع العالم

أنت الذي وضعت التوبة على آدم

2. قول الشهور

خلق إلهي هذه الدنيا

أخذ قياسها وقدرها

وخلق عليها ثمانية عشر مخلوقاً

الدرّة مسكن إلهي

هكذا معلوم لديه

وهو الذي خلق الأرض والسما

كان ذلك منذ الأزل

حينما خلق إلهي الليل والنهار

ووضع فيهما الجنة والجهنم

وضع فيهما الشمس والقمر

لتخرج (... من الغافلين

لم يعلموا بأن طاووس ملك قاس
 هذه الدنيا شراً شراً
 3. قول ألف إسم وإسم
 إلهي يملك ألف إسم واسم
 هذه الدنيا لديه ساعة وخطوة
 يعلم إيزيد كم رجفة ماء في البحر
 وكم حجراً في قاع الوديان
 وإيزيد جعل حواء عروساً وآدم عريساً
 4. نبع (ضحكة) الأفاعي
 الشيخ آدي وطاووس ملك وإيزيد شيء واحد
 لا تفرقوا بين معانيهم
 هم الذين يحققون المراد
 هم الذين حققوا المراد
 إلهي خالق ألف اسم واسم
 شاهده المغفلون ولم يعرفوه
 5. قول الإيمان
 ما هو علامة الإيمان؟
 حينما لم يكن هنالك أرض ولا سماء
 لا بحر ولا بنيان
 لا جبال ولا أسس مساكن؟
 كانت توجد هنالك الطريقة
 وكانت توجد أركان المعرفة
 في ذلك اليوم جعل السلطان إيزيد
 العين البيضاء قبلة الرجال
 قبل خلق الأرض والسماء
 قبل خلق البحار والبنيان
 قبل خلق الجبال والأسس
 أيه يا سلطان إيزيد كثيراً ما أمدحك
 وأذكر صفاتك
 أيه يا سلطان إيزيد كثيراً ما أمدحك
 قبل ظهور اللوح والقلم
 قبل ظهور حواء وآدم
 قبل ظهور عيسى بن مريم
 قبل تسعين ألف سنة كنت موجوداً
 عندك يا سلطان إيزيد
 يا سلطان إيزيد قبل تسعين ألف سنة
 كنت هنالك
 لم أخلق من أب ولا من أم

كنت في خدمة المولى
وضعوني أمام كرامة ذلك المولى
وسلموني بيد ذلك الخبير
فصنعوا لنا الأفراح والمسرات
أقاموا لنا الأفراح والمسرات
أرشدوني إلى طريقة الملك الفاخر
خدر بن خدر
خدر بن الخدر
أعطاني كأساً أصيلاً
شربتها بكل عشق
لذا أخذوني إلى علم فاخر. (جندي: 1998: 82 - 85)

2. حديث الخليفة (قول الزبون المكسور)

هذا نص انثروبوغوني يتحدث عن خلق آدم ونزول الروح إليه من العالم الأعلى وهو نص رمزي أيضاً، حيث يرمز للروح بالكأس التي فيها شراب وبالآدوات الموسيقية (الدف والشباب) التي تحرك الروح في الجسد. وربما كان هذا النص طقسياً ويؤدى مع العزف رغم ما فيه من مسحة تكوينية وأسطورية عالية:

بعد أربعين سنة بالعد
لم تهدأ الأرض،
إلى أن نزل عليها لالش.
حال نزول لالش،
أخضرت النباتات على الأرض،
وزينت بها جميع الكون.
حلماً زينت به المعمورة،
اختلطت العناصر الأربعة،
التراب، الماء، الهواء والنار،
عملوا منها قالب النبي آدم.
في السبت وضعوا الأساس،
وانتهوا منه يوم الجمعة
بعد سبعمئة سنة، أتت سبعة أسرار
حول الكأس.
بعد سبعمئة سنة،
أتت سبعة أسرار على القالب،
بقي القالب بدون حراك،
قال للروح: لماذا لم تدخلي القالب؟
قالت الروح: هكذا معلوم عند العشاق،
حتى لم تنزل علي الدف والشباب من العلى
يبقى بين الروح وقالب آدم فاصل كبير.

أتى الدف والشباب وانحدرا،
ومست نور المحبة رأسه،
أتت الروح ودخلت قالب النبي آدم.
شرب النبي آدم من تلك الكأس
وانتعش، ثمّل وتحرك،
صار له لحم، وسال فيه الدم.
شرب النبي آدم من تلك الكأس،
ظهرت له كرمة تلك الكأس،
وعليه عطس النبي آدم ووعى“. (جندي: 1998: 76 - 77).

2. أساطير الموت

ترقيني (التلقين):

النصوص الإسكاتولوجية (نصوص الموت وما بعده) سواء أكانت طقوساً أم أساطير موجودة بهذا القدر أو ذاك في الإيزيدية وهي الأقوال والنصوص الدينية الخاصة بالموت، حيث يتلو (القوالون) وهم رجال دين بعض الأقوال على الجنازة عند الوفاة وعند فتح القبر وحتى يوارى التراب على الميت. وفي ما يلي نص (ترقيني) أو (التلقين) الذي يُتلى على الميت بعد الانتهاء من الدفن:

”حسب رواية شيخ فخر الحق
هذا هو طريق المريرين الصحيح
أنت الدائم، أنت الباقي.
السلام عليكم يا أهل القبور،
ينزل عليكم من الذي من جنتي من النور من النور!
ياذن الله ودعاء الرسل.
من حديث: أنتم، باسم كنتم،
ما كان ما كنتم،
”دنى“ مراجعوه“
ينزل الله عليكم تاجه،
تفضلوا إرفعوا اصواتكم،
إقرأوا علي التلقين والياسين،
أذكروا علي اسم الشيخ آدي والملك شيخ سن
التلقينة من الياسين،
الدهر من الكاف والنون
ليس الشرع قانونياً.
الخرقة من الكاف والنون،
الله ولي جميع أقوام العالم
رسول الله،
فقيري؟ باسم الله،
الأمني؟ من فضائل الأقسام.
كلماتي في كل الخطب،

الخطأ من النسيمة،
الضرر من الغضب،
العفو والرضى،
الرضى من الرحمة.
الشيخ والبير، الخبير والمربي،
الخلان وأخوان الآخرة،
فرض علينا نحن السنة،
حينما يأخذون الطريقة تحت شجرة "زنج التوب"
كل من يتبع فكرة الشريعة
لا يكون له نصيب في الدين
على جسر الصراط!
تالله، بالله الأبدى "الأمني"
حينما يجلس الملك شيخ سن
على حجر "العصرات"
ليشفع عن الشيوخ، البير، الحاضرين
والسامعين، وهؤلاء الغائبين. (*)
منه آت ديني وثورتي!
يوم العيد والعرفات،
ألف رحمة من الله على هذا القبر
وهذا المجلس.

ليلي مناجاتنا وكل السنة،
صاحب الكرامة،

وجيش جبل لالش.

"الله الكامل ونحن المقصرون" (جندي: 1998: 119 - 121)

الأدعية الإيزيدية

نرى أن الأدعية الإيزيدية تراث روحي عريق قائم بذاته، وندعو المختصين لجمعه وتبويبه قبل أن يندثر لأن أغلب هذه الأدعية شفاهية (علم الصدر) بعضها مكتوب، وتتميز بثرائها الروحي والديني والأدبي، ويمكننا، بشكل عام، تصنيف هذه الأدعية إلى الأنواع الآتية:

1. أدعية الأوقات: وهي أدعية تتلى حسب أوقات اليوم فمنها أدعية الفجر، الصبح، الظهر، المساء، الليل (قبل النوم)، وتُقال لاستقبال هذه الأوقات بمساعدة الرب أو الملائكة.
2. أدعية الأمراض: وهي الأدعية التي تتلى للشفاء أو الوقاية من الأمراض مثل أدعية أمراض (ثدي المرأة، السنن، ضربة القمر، أمراض الكبد، الإصابة بالعين، وجع البطن، عسر البول وغيرها).
3. أدعية ضد الحيوانات: وهي أدعية لطرد أو تجنب الحيوانات والحشرات التي تؤذي الإنسان مثل أدعية (العقرب، إغلاق فم الذئب، ترحيل النمل وغيرها).
4. الأدعية الاجتماعية: وهي الأدعية التي تُقال في مواضع أو مناسبات اجتماعية مثل أدعية (البسك (الزلف)، المائدة، عقد النكاح، المهز، شد الحزام، السفر.. إلخ).
5. أدعية الملائكة والنجوم: وهي أدعية مرتبطة بأسماء الملائكة والأولياء والنجوم مثل أدعية

(نجمة الصبح، طاووس ملك، كمال الشيخ عادي وغيرها).
وسنحاول أن نأخذ نموذجاً واحداً من كل نوع أعلاه اعتماداً على ما ترجمه الدكتور (خليل جندي) التي كان مصدر أغلبها من (خيري إلياس بورتو). (جندي: 1998: 134 - 172).

1. دعاء الفجر

مدحنا وثناؤنا للملائكة والرجال
والصالحين وسط القرب
انبلج النور في الغسق الفجر
ركب فرس العبادة
بان نور الفجر،
ليت للشخص الواقف حقاً، مائة مرة!
المفاتيح بيد العشاق والمعشوقين،
نحن نطلب منهم مرادنا،
وهم يطلبون بدورهم مرادهم من الله.
يا رجال الصباح، صباح الجديد
يا ملك الشهيد يا نفس السلطان إيزيد
أحد لأحد ما يريد، أنت الشيخ وأنا المرید.
سلطان إيزيد. أنا تحت إرادتك. منقذنا السلطان إيزيد.
يا رجال الصباح، صباح المشوقين.
أنت صاحب التاج من الأول إلى الآخر
اعط الخير واقلب عنا الشر،
حقاً، الحمد لله يا رب العالمين!
فقير العالي، الشخص الوحيداني
يا رب تقبل دعاءنا من دعاء المؤمن،
الصالحين. الكهنة المخفيين على أبواب
الاولياء اللهم آمين!
الشيخ آدي شيخ الحقيقة،
وصاحب المعرفة. وتأتي منك
الضرب والانفعالات والكرامات
الشيخ آدي شيخ كامل
وضع المعرفة والطريقة،
لذا تحبك الأرض والسماء.
الشيخ آدي شيخ وأكثر
وهو نور عيني،
ولديه أوصاف عديدة.
قبل الشيخ آدي بالملك شيخ سن
شيخاً عليه (له)
وزين له العرش والكرسي،
هلهل الملائكة والأولياء له (سن) في السماء

نظر الشيخ آدي إلى "العظم"
تنور وانهر العظم من الكرامة،
عملاً برحمة وشفقة إلهي!
الشيخ آدي شيخ مقبول
زين العظم الغليظ
تشع الشفقة والمحبة والنور من مجلسه.
الشيخ آدي شيخ الكهف،
يبتدئ أوله بالألف،
في اللوح المحفوظ باسم الله!
كرم الشيخ آدي الشيخ بركات.
بذاك النور،
وعليه طار إلى السموات!

النصوص الطقسية

وهي النصوص المتعلقة ببعض الطقوس مثل النصوص التي تتلى في رأس السنة الإيزيدية (سر صالي) والطقوس اليومية وشرحها وطقوس المناسبات كالولادة والزواج وغير ذلك. ولم نعثر عليها رغم وفرتها في الديانة الإيزيدية وسنقتبس (نص الخرقة) والخرقة عند الإيزيديين لها مكانة مهمة بحكم ارتباط الإيزيدية بالتصوف، وخصوصاً شيوخها الكبار. الخرقة لباس مقدس يصنع من الصوف الخالص ويصبغ باللون الأسود بواسطة أوراق وقشور شجرة تسمى بالكردية (زرکوز) يلبسه الرجال المتزهدون وعشيرة الفقراء في سنجار وتسمى هذه العشيرة أيضاً بـ(الشرقيين)، يلبسون جلهم لباس الخرقة مع تربية اللحية والشوارب ويضعون خيطاً منسوجاً في عنقهم يسمى (المفتول) أو (طوق طاووس ملك وإيزيد) كما يصنعون طاقية على رأسهم وتسمى بـ(كمّة الفقير) أما بقية ملابسهم فيضاء ناصعة". (جندي: 1998: 64).

نص الخرقة:

"آية علامة هو الإيمان
وقت لم تكن هنالك أرض ولا سماء
لا الدنيا ولا الكون
لا مدن ولا أساس
يوم لم يكن هنالك الأمير إبراهيم آدم
ولم تكن هناك خوزستان
كانت العين البيضاء قبل تسعين ألف سنة قبله
وخرقة الشيخ آدي شاهداً

... ..

خلق إلهي الدرّة من ذاته

الدرّة مصباح عامر

المصباح والنور ساتره

حاملاً خلقت الدرّة، فصل منه

الإله "الخرقة!"

سلام الملائكة والرجال عليها دائماً

حاملها خلقت الخرقه من الدرّة
زَيّنوا بها الدنيا من الغرب إلى الشرق
صاح الشيخ آدي إلى الشيخ أبو بكر قائلاً
انهض والبس الخرقه“. (جندي: 1998: 65 - 66).

المبحث الرابع: حدياب (15 - 116 م.)



خريطة تظهر مملكة حدياب
وعاصمتها أربيل كإحدى
الممالك التابعة لأرمينيا

مقدمة تاريخية

حدياب (بالعربية)، أديابين، (بالسريانية)، حدياب (باليونانية)، نورشركن (بالفارسية والأرمنية)، وكانت تسمى (مملكة حدياب) التي امتدت في الأرض الواقعة ما بين نهري الزاب الصغير والزاب الكبير، وحسب المؤرخ الروماني أميانوس مارسيليانوس فإن مملكة حدياب استطاعت ان تضم نينوى (مدينة) وإكباتانا (همدان).

1. بعد سقوط الدولة البابلية الحديثة عام 539 ق.م، أصبحت حدياب ولاية من الولايات الأخمينية الفارسية.

2. أصبحت بعد غزو الإسكندر المقدوني للشرق ثم وفاته ولاية سلوقية.

3. أصبحت ولاية فرثية (15 - 116) وكانت عاصمتها في مدينة (أربائيلو أي الآلهة الأربعة) والتي هي أربيل حالياً. وضمت المملكة أغلب شمال العراق وأجزاء من غرب إيران وشرق سوريا وجنوب شرق تركيا وكانت علاقتها جيدة مع مملكة أورهي (اسورين) المجاورة لها، وعلاقتها متوترة مع مملكة الأرمن الذين كانوا ينشدون للاستقلال من البارثيين والتوسع على حساب الممالك التي حولهم، كانت ديانتها متعددة الآلهة وخلال ذلك حكمها عدد من الملوك هذه المملكة بداية من إيزاتيس وثم ابنه مونوباز الأول. الملك إيزاتيس وابنه مونوباز وزوجته الملكة هيلينا قد اعتنقوا اليهودية، وجعلوا منها الديانة الرسمية لمملكتهم، وقام الحديابيون بتمتين

علاقتهم مع الإمبراطورية البارثية وشاركوا معهم في معارك ضد الرومان والأرمن، خصوصاً في عهد مونوباز الثاني، الذي تعاون مع البارثيين ضد ملك أرمينيا تيغرانيس عام 61، وكذلك ساهم مونوباز الثاني بعقد اتفاقية سلام بين الرومان والبارثيين في عام 63. كما أنه دعم اليهود ضد الرومان خلال الحصار الذي فرض عليهم في عام (60 - 70).

4. أصبحت حدياب ولاية رومانية وأصبح اسمها (آشور) بعد أن احتل الإمبراطور الروماني تراجان المنطقة وأسقط المملكة، وكان آخر ملوكها ميهاراسيس، عام 116 م. بعد حرب مع البارثيين، وأسس فيها ولاية آشور الرومانية. اشتهرت حدياب في القرون المسيحية الأولى بمطرائيتها التي أصبحت مركزاً للمسيحية السريانية الشرقية.

5. أصبحت ولاية حدياب ساسانية جزءاً من ولاية (آشورستان).

كان معظم سكان المملكة من الآشوريين الذين اعتنقوا اليهودية والمسيحية والمناوية والزرادشتية. أديان حدياب:

1. **الديانة الآشورية القديمة:** لا شك في أن الديانة الآشورية بقيت في مناطق الآشوريين القريبة، ومن ضمنها حدياب، وكان أغلب سكان حدياب يدينون بهذه الديانة التي كانت تتعبد الآلهة: آشور وعشتار ونابو ونرجال وشيرو ونانيا وبيبل.

2. **الديانة الزرادشتية:** بعد احتلال الفرس الأخمينيين ظهرت الديانة الزرادشتية بين سكان حدياب بشكل ضئيل واستمرت لعصور مقبلة.

3. **الديانة اليهودية:** رغم أن الديانة اليهودية غير تبشيرية، لكن أمير حدياب (أيزاط) اعتنق الديانة اليهودية، حيث يرى المؤرخ الروماني اليهودي الأصل فلافوس جوزيفوس أن هذا الأمر تمّ بعد التقاء ولي عهد حدياب بأحد تجار ميسان. وبعد توليه السلطة في حدياب جعل الديانة ديناً رسمياً للإمارة. ويبدو أن هذه الديانة لم تقتصر على السلالة الحاكمة بل تعدتها إلى جزء من شعب حدياب، وظلت هذه الديانة تشكل أغلبية في حدياب ما بين 50 إلى 100 سنة.

4. **الديانة المسيحية:** تروي المرويات المسيحية أن (مار أدي) أو تلميذه (أجاب وماري) هم من بشرّوا بها في مدينة أربيل. وفي كتاب (تاريخ أربل) الذي يعود إلى القرن السادس الميلادي يرد ذكر أن آدای نفسه قد رسم الأسقف الأول في حدياب وهو رجل اسمه (بقيذا) سنة 104 م. بعد أن كان زرادشتياً ثم اهتدي بعد أن رأى (مار أدي) القادم من الرها وهو يعمل المعجزات. حققت المسيحية انتشاراً واسعاً في حدياب وارتقت مرتبتها الدينية حتى بلغت مرتبة الأسقفية، حيث حاز بقيذا على كرسيها من سنة 104 إلى سنة 114 م. وبعد فراغ كرسي الأسقفية لست سنوات بسبب الحرب ودخول الرومان إلى حدياب في عهد تراجان سنة 117 م. عين شيشرون أسقفاً سنة 120 م. وبقي في الأسقفية إلى سنة 123 م. حيث قتل على يد المجوس فعدّ أول شهداء المسيحية في حدياب، وبدأت موجة من المتاعب لرجال الدين المسيحيين وللمسيحيين عموماً في حدياب كانت من آثار التنافس السياسي.

منذ القرن الثاني أصبحت أبرشية حدياب أبرز الأبرشيات الآشورية المسيحية ومن أبرز شخصيات هذه المدينة طيطانوس الآشوري مؤلف الدياطسرون (الإنجيل الذي جمع الأناجيل الأربعة في كتاب واحد). والبطريك الجاثليق مار ماري الآشوري توفي عام 1000 م. والشاعر الآشوري كيواركيس وردا أربيلايا (القرن الثاني عشر) الذي ألف القصائد عن البطاركة الآشوريين ووصفهم بالآشوريين أبناء النسل الرفيع.

5. **الديانة المانوية:** التي انتشرت جزئياً بين سكان حدياب وبقيت مقتصرة على بعض أهلها.

ترجمة العهد القديم في حدياب:

بعد دخول اليهودية إلى حدياب كان لا بد أن تكون هناك نسخة مقروءة من أسفار العهد القديم يفهمها الحديابيون وملوكهم اليهود بشكل خاص. وكانت هناك توراة آرامية قد وصلت من فلسطين إلى حدياب تمت ترجمتها إلى لهجة حدياب (الآرامية) وتمت كتابتها بالخط السرياني” ومهما يكن من أمر هذه الترجمة فقد وصلنا، إلى جانب النص الذي تمثله أغلب المخطوطات التي يرجع تاريخ كتابة بعضها إلى القرن السادس، نص آخر يشتمل على سفري التكوين والخروج في مخطوط محفوظ بالمتحف البريطاني يرجع تاريخه إلى سنة 464 م. وهو أقدم مخطوط مؤرخ للكتاب المقدس عرف حتى اليوم، وهو يتفق مع النص العبري بوجه عام. والراجع أن (فرهاذ) و(أفريم) وهما من كتاب القرن الرابع وقد استخدمنا في ما كتبناه عن الكتاب المقدس نصاً مقارباً لهذا النص. هذه الترجمة اليهودية لبعض أسفار العهد القديم هي التي أخذتها الكنيسة المسيحية فأتمتها وهذبت أسلوبها، واتخذت من هذا النص الموسع نموذجاً مثالياً نقلت عنه أكثر مخطوطات العهد القديم وهي المعروفة بالترجمة البسيطة (فشيپتا)“ (كامل وآخرون: 1949: 69).



خريطة توضح مكان حدياب والرها (أوديسا)

[http://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/7/72/](http://upload.wikimedia.org/wikipedia/commons/7/72/Maps_of_the_Armenian_Empire_of_Tigranes.gif)

[Maps_of_the_Armenian_Empire_of_Tigranes.gif](#)

2. ترجمة العهد الجديد في حدياب (دياطسرون):

المسيحيون في حدياب وأشور وعلى جانبي نهر دجلة أنشأوا قبيل نهاية القرن الميلادي الأول حوالي عشرين أبرشية. وهناك من يرى أن هؤلاء المسيحيين كانوا يستخدمون الأناجيل الأربعة مترجمة للسريانية بينما يرى آخرون أن هناك إنجيلاً واحداً ألقه (طيبيان) في حدياب وجمع فيه مضامين الأناجيل الأربعة في نص توفيقى واحد أسماه (دياطسرون).



تيتيان الآشوري (السرياني) أو تيتيانوس

http://st-takla.org/Saints/Coptic-Orthodox-Saints-Biography/Coptic-Saints-Story_655.html

ويعتقد أنه كانت هناك ترجمة سريانية (عن الإغريقية) للأناجيل الأربعة قبل توليف الـ (دياطسرون من قبل طيبيان (تاتيان) ويسمى أيضاً طيبيانوس (110 - 180 م. الذي ولد من عائلة وثنية في حدياب أو كرمليس قرب أربيل وحتى أنهى دراسته للغة الآرامية أرسله أبوه إلى اليونان لدراسة الفلسفة والأديان فوصل بعدها إلى روما، حيث تتلمذ على يدي القس (جستين) عام 150 م. ثم دخل المسيحية على يديه وصار خليفته على مدرسة جستين (التي منها القديس اقليمس الإسكندري) وفي روما بين (150 - 170) قام بوضع الدياطسرون (وهي كلمة إغريقية معناها: على الأربعة)، حيث وُلف بين الأناجيل الأربعة ووضع إنجيلاً جامعاً باللغة السريانية أسماه (دياطسرون مترجماً مضامينه عن الأناجيل الأربعة المكتوبة بالإغريقية، وقد انتشر بين الناس في حدياب وأشور والرها شمال وادي الرافدين، لكن أسقف الرها (ربولا)

رأى في هذا الإنجيل الآراء الفلسفية لطيطيان موضوعة في تأليفه ولذلك قرر حرق كل مخطوطاته التي جمعها في الرها، وقرر (هيبا) ترجمة الأناجيل الأربعة من اليونانية إلى السريانية، لكن ذلك لم يؤثر على شعبية دياطسرون. ومن مؤلفاته:

1 - الخطاب إلى اليونانيين: كتبه على الأرجح في روما. يصف فيه بحثه الشخصي عن الحقيقة واهتدائه إلى المسيحية، داحضاً فيه بالتالي الفلسفة الوثنية، ومظهراً سمو المسيحية عليها. أطروحاته موسوعية، لذا يمتزج اللاهوت بالفلسفة والانتروبولوجيا والكوسمولوجيا والشيطانولوجيا وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام:

أ - يحدد المفهوم المسيحي لله والعلاقة القائمة والكلمة logos وخلق الإنسان.
ب - يدرس تأثير الشيطان والقوى الشريرة على الإنسان وحرته، ويرى في التقشف الصارم والترفع عن الأرضيات، السبيل الوحيد إلى الخلاص. يظهر بوضوح تأثير الرواقية فيه.

ج - يتناول الحضارة اليونانية ويقارنها بالمسيحية.
د - يتناول تاريخ المسيحية وقيمها الأخلاقية، ويرد على بعض الاعتراضات.

http://stbehnamchurch.com/articles/index.php?option=com_content&view=arti- (cle&id=187

2 - دياطسرون أو الإنجيل الموحد: ولعل أعظم مآثر طيطيانوس هو كتابه (دياطسرون) أي الإنجيل الموحد. فيه جمع قصة حياة الرب يسوع: أقواله وأعماله، مأخوذة من الأناجيل الأربعة، مكتوبة بالسريانية. وقد صار هذا الكتاب الوثيقة الأساسية في التعليم والليتورجيا في الكنيسة الشرقية حتى القرن الخامس الميلادي. ويقول الأب لكرانج، أحد ألمع علماء الكتاب المقدس في مطلع القرن العشرين: (ليس في تاريخ نص العهد الجديد، وفي ما يخص الأناجيل نفسها اسم أعظم من اسم طيطيانوس) لأن طيطيانوس هو أول من قام بتركيب حياة المسيح وأقواله بنصوص الأناجيل الأربعة القانونية كاملة، متبعاً سرد متى دامجاً فيه نصوص مرقس ولوقا ويوحنا حسب تسلسل زمني للأحداث. وانتشر الكتاب بسرعة، وصار له نفوذ كبير امتد إلى القرن السادس. وكان يُقرأ في الكنائس خلال المراسم، ويُستعمل في تعليم الموعوظين. يقول تعليم أدي (القرن الخامس): (كان المؤمنون يتوافدون إلى الكنيسة للصلاة ولسماع قراءة العهد القديم، والعهد الجديد بحسب دياطسرون) وقد قام مار أفرام بتفسير نصوصه ومنه استقى افراهاط الحكيم استشهاداته في كتابه (البيّنات)، أما النص الأصلي فمفقود ولا نعلم حتى الآن بأي لغة كتبه أولاً: هل الفه بعد عودته إلى الشرق، بلغته الأم أم باليونانية؟

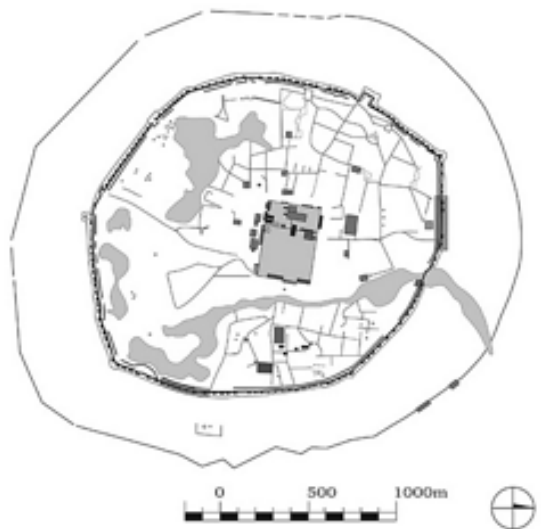
إن الدراسات الحديثة تميل إلى كونه قد كتب انطلاقاً من السريانية. لقد وجدت نتف منه باليونانية في دورا أوروبس (الصالحية بسوريا) تعود إلى سنة 254. وهناك ترجمة عربية ترجع إلى سنة 850، قام بها شخص يدعى عيسى بن علي، وفي القرن الحادي عشر أعاد النظر فيها وأكملها، بحسب الترجمة البسيطة، ابو الفرج ابن الطيّب، وقد تُرجم (دياطسرون) إلى لغات غربية عديدة. http://stbehnamchurch.com/articles/index.php?option=com_con-

tent&view=article&id=187

سُمي دياطسرون أيضاً بالإنجيل المختلط وفي العربية بـ(الرباعي) ”وقد لقي دياطسرون نجاحاً عظيماً فقد تغلب عند السريان على الترجمة السريانية القديمة للأناجيل، وأصبح هو الإنجيل المستعمل في الكنيسة في الطقوس، وبقي مستعملاً رغم قيام تراجم سريانية كاملة أخرى للإنجيل. وتدل الوثائق المانوية باللغة القبطية التي اكتشفت حديثاً في مصر على أن الإنجيل الذي أقتبس منه ماني وتلاميذه هو دياطسرون وكانت اللغة التي يستعملها ماني

هي السريانية“. (كامل وآخرون: 1949: 76).
وسنرى أن ماني سيؤلف بالسريانية ما عرفه بإنجيل ماني (الإنجيل المتوافق حيث يستخدم
الأنجيل الأربعة ودياطسرون طيطيان وبعض الأنجيل الأبوكريفية مثل إنجيل فيليب وكتاب
طفولة الرب.. في صياغة إنجيله الخاص به. وبقي الدياطسرون مستعملاً حتى القرن التاسع،
لكنه اختفى بعد ذلك وظهرت ترجمته العربية لأبي الفرج عبد الله بن الطيب المتوفى سنة
1048.

المبحث الخامس:
الحضر (100 - 230 م)



مملكة الحضر (عربايا، مدينة الشمس مملكة سامية متأخرة ظهرت في الجزيرة الفراتية (السهل الشمالي الغربي من وادي الرافدين) يقع مركزها جنوب غرب مدينة الموصل على مسافة 110 كيلومترات. وتبعد عن مدينة آشور القديمة حوالي 70 كيلومتراً. وهي مستديرة تقريباً لمزيد من التحصين، قطرها حوالي الكيلومتريين يحيط بها خندق عميق ويحيطها سور مدعم بـ163 برجاً، ويتكوّن هذا السور من جدارين عرض كل منهما 3 م. و2.5 م. وبينهما مسافة 12 م. عند البوابة الشماليّة. ووجد خط ترابي يلفّ المدينة من جميع الجهات على بعد نصف كيلومتر خارج السور وربما كان حلقة أحكم بها العدو حصاره للمدينة، وتقع على أطرافها عدد من القلاع. وكانت مميزة بهندسة معمارية تجمع بين العمارة الرومانيّة والفارسيّة، وبفنونها وأسلحتها وصناعاتها، ونقوشها ومنحوتاتها وفسيفساؤها والعملات المعدنية والتماثيل، وصلت في رقيّها أن تشبّهت بروما، حيث وجدت فيها حمامات ذات نظام تسخين متطور وأبراج مراقبة ومحكمة ونقوش منحوتة وفسيفساء وعملات معدنية وتماثيل.

ظهرت المدينة بين القرنين الأول والثالث الميلاديّين وحكمها أربعة ملوك استمر حكمهم 84 عاماً وهم:

1. الملك ولجش (158 - 165 م).
2. الملك سنطروق الأول (165 - 190 م) وهو أخو الملك ولجش. ولقب بـ "ملك العرب" يسمّى في المرويات التاريخيّة العربيّة بالساطرون المشهور بقصة خيانة ابنته له.
3. الملك عبد سميا (190 - 200 م) وهو ابن سنطروق الأول.
4. الملك سنطروق الثاني (200 - 241 م) وهو ابن عبد سميا.



سنطروق الأول وابنه عبد سميا

شعار الحضر هو النسر، وهو يمثّل قوة وهيبة، يحكمها آل نصر الأقوياء. وكان سكان الحضر يعبدون آلهة تشبه آلهة الأنباط منها اللات وشمس "الشمس" ثم دخلتها الديانة المسيحيّة في أواخر عصورها وغدت دولتهم دولة دينيّة تحكم بحكم ديمقراطي، حيث يحق لكل إبداء رأيه. حكمتها ملكات جنب ملوكها ووجدت تماثيلهن وهذا يدل على المساواة بين الرجل والمرأة في مجتمعهم. وكان للحضر ميزة تجارية حيث إن موقعها يعتبر ملتقى القوافل حيث يربط بين الجزيرة العربيّة والخليج العربيّ إلى الشام والبحر الأحمر.

حاول الفرس والرومان غزوها مراراً حيث فشل الإمبراطور الرومانيّ تراجان وكذلك الإمبراطور الرومانيّ سيبتيموس عام 199م بعد أن احتل كلاً من بابل وسلوقية وطيسفون، لكن سكانها دافعوا عنها دفاعاً عنيداً، واستخدموا أقواساً مركبة ترمي سهمين مرة واحدة وقتلوا

بها بعضاً من الحرس الوطني الخاص بالإمبراطور. وهزمت جيش الإمبراطور الفارسي أردشير الأول، لكنها سقطت بيد الفرس عام 241م ودمرت تدميراً شديداً ومنع أهلها من حمل السلاح. وكانت تلك نهايتها.



واجهة معبد من معابد الحضر

الديانة في مدينة الحضر

مزجت بين ديانات كثيرة، فمن إرثها الرافديني أخذت عبادة الكواكب، ودخلت إليها مؤثرات إغريقية رومانية بعد غزو الإسكندر المقدوني للشرق، وتأثرت قليلاً بالديانات الفارسية كالزرادشتية والمزدكية، وكذلك تأثرت بالعبادات السامية المتأخرة كالنبطية والتدمرية وغيرهما. ومن خلال دراستنا المستفيضة لآلهة الحضر وجدنا أن الديانة الحضرية لها وجهان، الأول وجه رسمي يضم الآلهة الرسمية الكبرى، والثاني شعبي يضم الآلهة التي يتداولها الناس وتمثلها آلهة الكواكب، ورغم أن الآلهة الرسمية ترمز للكواكب أيضاً لكنها تتظاهر بصفات غير كوكبية أيضاً. وهي ديانة تفريديّة جعلت من إله الشمس هو الإله الأكبر وحوله تدور الآلهة/ الكواكب الأخرى.

الديانة الرسمية:

تضم سبعة من الآلهة يقودها ثالوث كبير ومهم وهو:

1. الإله مرن (سيدنا): وهو الإله الذي يقابل الشمس في الديانة الشعبية، وإله الشمس هو أكبر الآلهة.
2. الإلهة مرتن (سيدتنا): وهي الإلهة التي تقابل الزهرة في الديانة الشعبية، زوجة مرن وقد صورتها إحدى منحوتات التمثيل الحضري بصورة نصفية على هيئة امرأة ترتدي ثوباً شفافاً ويخرج جسمها من وسط ورقة اللاكانثوس منحوتة بشكل هلال أو كأس وعلى رأسها ما يشبه الإكليل وتظهر الرقبة والكتفان عاريتين، ولأن الإله (مرن) يمثل الشمس فرمما تمثل هي القمر أو الزهرة لذا نجدها وقد صورت وكأنها تخرج من صدفة أو يكون جسمها أو جزء منه محاطاً بقوس يشبه الهلال. ولكنها أقرب لتمثيل كوكب الزهرة.

3. الإله برمرن (إبن سيدنا): وهو الإله الذي يقابل إله المشتري في الديانة الشعبية وكانت له منزلة كبيرة واسمه يتردد في الأدعية والصلوات، وصور، في بعض النقوش، على شكل شاب قوي حول رأسه هالة مشعة وورائه هلال ويخرج جسمه من هلال ثانٍ وفوق جبينه قرنان صغيران.

4. نناي (نني): الإله الذي يقابل الإله القمر في الديانة الشعبية.

5. نبو: إله الحكمة والكتابة.

6. نرجول: إله العالم الأسفل، وتشارك نرجول في مهمة الحراسة الإلهة تايكي وهي إلهة حراسة المدينة والأبراج والأبواب، ونجد غطاء رأسها يشبه البرج، وربما كانت زوجة لنرجول الحارس إذ إنهما يتقاسمان حراسة وحماية الحضر حيث نرجول أيضاً يحرس العالم السفلي، وكان المعبد السابع في الحضر مخصصاً لنرجول وتايكي مما يدل على مسؤوليتهما المشتركة في حماية المدينة. وهي إلهة يونانية لكن الحضر أعطوها الصفات الحضرية وصورّت في تماثيلها وهي ترتدي الزي الحضري.



شكل تخطيطي للوحة عثر عليها في حضر تضم نرجول والكلب والراية الحضرية والإلهة تايكي

7. أترلحس: إله الكراهية والحسد والذي يمثله كوكب زحل كما نظن.

مرن (سيدنا) الشمس مرتن (سيدتنا) الزهرة



برمرن (ابن سيدنا) المشتري



نناي (القمر) نبو (عطارد) نرجول (المريخ) أترلحس (زحل)

الديانة الشعبية:

اهتمت الديانة الشعبية بالكواكب وصبغتها بحياة شعبية حافلة ونسجت حولها القصص والأساطير:

1. شمش (شمشا) (نشرا): وهو إله الشمس وظهر في منحوتات مدينة الحضرة بيهية رجل كهل يبرز من جبينه قرنان وخلف رأسه الهالة المشعة، وظهر وهو يخرج من خلف الجبال، ونُعت بالإله العظيم وصانع الخير وباعث الخيرات وهو إله العدل.



إله الشمس

PHOTO BY E. BONNER



2. لات: إلهة الزهرة، وتلقب أيضاً بـ(سميا) أي النسرة أو الراية، وهناك اسم شعبي هو أشريل الذي يعني فرحة بعل، يدل عليها.

هذه الإلهة تُصوّر دائماً مع إلهتين أصغر منها حجماً (ربما هما العزى ومناة) ورغم أنها تشبه إلهة الأنوثة (اترعتا) وتحمل صفاتها، لكنها كانت في معابد الحضر متميّزة برفقها الأسد. وكانت تصور مع إله آخر (ربما هو هبل) إلا أنه كان أقصر منها قامة وطاعناً في السن، أما هي فموفورة الشباب دائماً.

3. بعلشمين: وهو إله السماء الشاميّ المعروف، إله المشتري، زوجته هي الآلهة اترعتا وهي بمثابة (عشتار)، وتمثيلها في الحضر تصوّرها دائماً مع أسد أو لبوة، ونجدها في أحجام وهيئات مختلفة فأحياناً تأخذ صفة اللات، وأحياناً (عشتار) العراقية حاملة طفلاً، وهي تشارك زوجها (بعلشمين) في معبد فخم ومهم من معابد الحضر ولها العديد من التماثيل أو الألواح. ومن الألواح المهمة لوح الإله (نرجول)، حيث نجد الإلهة (اترعتا) في الزاوية اليمنى وترتدي زيّاً من الأزياء الشائعة في الحضر. وفيها نرى نرجول الإله الحارس، يستعين بها. وتظهر في بعض تماثيلها وهي ترفع بيدها راية وشعار الحضر وهما الدائرة والنسر، مما يدل على اعتبارها آلهة رئيسية لها القوة والسيطرة بتملكها راية وشعار الحضر. وقد وجدت لأترعتا الكثير من التماثيل والألواح.



الإله أترلس من سنجرلي ومن
كركميش

4. نرجول: إله العالم الأسفل، كوكب المريخ

5. شحيرو، عجلبول: إله القمر

6. نبو: إله الحكمة، عطارد

شمس (شمشا) الشمس لات (الزهرة)

بعلشمين، (المشتري)

شحيرو عجلبول (القمر) نبو (عطارد) نرجول (المريخ) أترلحس (زُحل)

الديانة الشعبية		الديانة الرسمية		الكوكب
وظيفته	الإله	وظيفته	الإله	
الشمس والنسر	شمس (شمشا، نشرًا)، يرحبل، ملكبل	كبير الآلهة وشمس الحضر، سيد الدورة السنوية، النسر	مرن	الشمس
سميا النسرة والراية	لات، سميا، أشربل	إلهة الحضر زوجة مرن، أترعتا الحضر	مرتن	الزُهرة
زوجته بعلتي أترلحس تصحيف لأسارلوحى السومريّ	بعلشمين، أترلحس	ابنهما، يرمز له بالشمس والهلال عند اقتران الزهرة والشمس	برمرن	المشتري
مشافي الأمراض	نرجول	العالم الأسفل، الحارس، الكلب، الفارس	نرجول	المريخ
إلهة وإله القمر	شحيرو عجلبول	تمثل بإمرأة امرأة ترتدي ثوباً طويلاً وتقف على قاعدة مكسورة وتمسك بيدها اليسرى عصا تنتهي بكرة وعلى رأسها تاج أسطواني ذو قمة مدببة	نناي	القمر
الحكمة	نبو	الحكمة	نبو	عطارد
الكراهية	نكرح	النحس	أترلحس	زُحل

الإلهة سميّاً أو سميتا: الاسم يعني السماء أو العالي، وكذلك (العَلَم، الراية) بسبب ارتفاعهما، والعلم عند الحضريين مهم في معتقداتهم الدنيّة فهو رمز النصر ولحامل العلم في الجيش مرتبة عسكرية مرموقة يطلق عليه (رب سميا) أي صاحب العلم، قدّس الحضريون الاعلام أو الرايات التي كانوا يسمونها تعرف (سمسيا) وجمعها (ميسستا) ودخلت في تسمية أبنائهم وكان أحد ملوكهم يسمّى (عبد سمسيا) وكان العلم عند الحضريين يمثل عنوان النصر ورمز الصمود وأن سقوط العلم أو وقوعه بيد الاعداء أثناء المعارك والحروب يعد هزيمة وخسارة للفرقة التي تحملها.

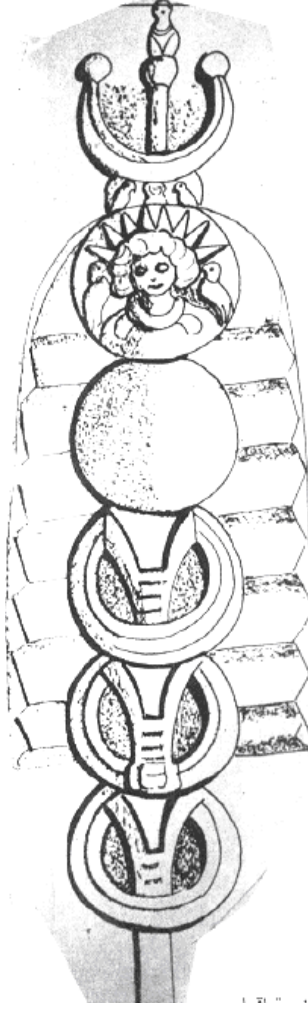
ويتألف العلم بصورة عامة اعتباراً من الأعلى:

1. جزء يشبه الهلال وينتهي ركنه الهلال بدائرة صغيرة أو التواء باتجاه الخارج، كما يبرز من منتصف الشكل الهلالي قضيب مكور من الأعلى يقف عليه نسر فاتح جناحيه، وهناك أعلام تخلو من النسر وذلك لعدم إكمال النحت أو لفقدانها بسبب الكسر، أما أسفل الشكل الهلالي فحقل مستطيل يليه قرص يظهر عليه النصف العلوي لشكل شخص تحيط به الأشعة

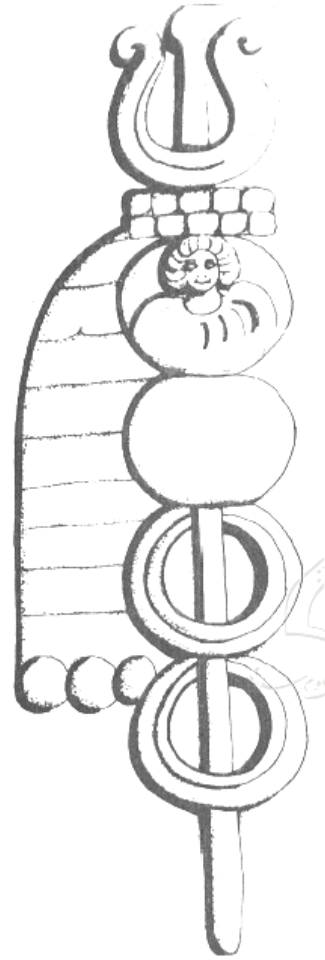
أو بدونها، أما القرص الثاني فهو خالٍ من النقش يليه عدد من الأقراص يبلغ عددها ثلاثة أو أربعة أقراص وتبدو هذه الأقراص متسقة على الوتد ومن ثم يأتي الجزء المكمل للراية الحضرية وهو الشريط أو قطعة القماش الممتدة خلف الراية التي تكون إلى جانب واحد من الراية.



الراية الحضرية بستة أقراص



الراية الحضرية بخمسة أقراص



الراية الحضرية بأربعة أقراص

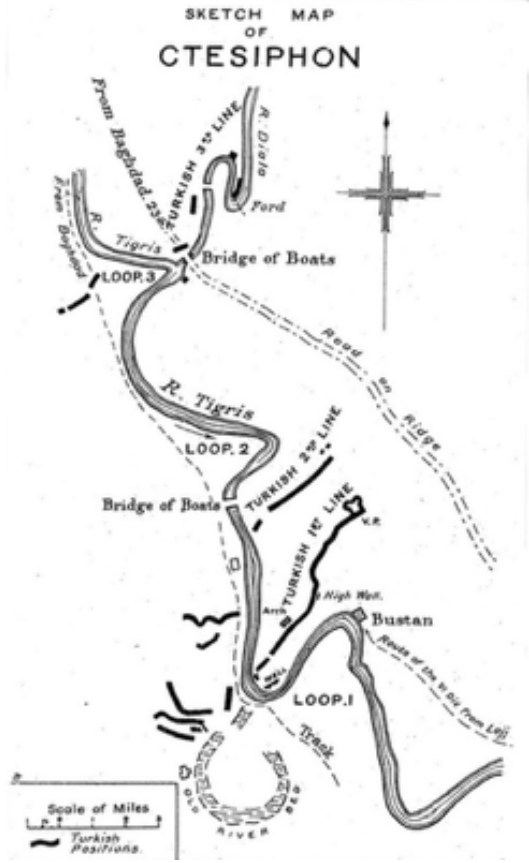


رايتان ونسر من المعبد التاسع

- المؤسسة الدّينيّة: كان رجال الدّين أو الكهنة في الحضرة ينقسمون إلى درجات أو مراتب في الوظيفة والأهميّة وكما يلي:
1. أفكل: وتعني كبير الكهنة. ومن الأشخاص الذين شغلوا هذا المنصب الرفيع (نشر يهيب السيد) جد الملك سنطروق الاول.
 2. بابيتا: أي يد البيت. والبيت هنا يقصد به المعبد الكبير، أي الشخص الأكبر المسؤول عن المعبد وهي من الرتب الكبيرة في الديانة الحضريّة.
 3. كمر و(كمرتا): أي الكاهن.
 4. قشيشا: أي القسيس.
 5. سفرا: وهي رتبة دينيّة مهمة تعني الكاتب وهو المسؤول عن المحافظة عن النصوص الدّينيّة وعن صحتها واستنساخها.

المبحث السادس:

طيسفون (120 ق.م. - 637 م)



لا بد من التفريق بين أربعة أسماء متداخلة في مكان واحد وهي: سلوقية، طيسفون، المدائن، سلمان باك:

1. سلوقية: وتسمى أيضاً بـ(سلوقية التي على دجلة) وبالإغريقية (سلوقيا) والسريانية (ساليق) و(ماحوز)، تسمى آثارياً بـ(تل عمر)، وهي مدينة أسسها السلوقيون في العراق على ضفة نهر دجلة، وأصبحت عاصمة لهم منذ تأسيسها (311 - 240 ق.م. ثم أصبحت أنطاكية في سوريا هي عاصمتهم (240 - 64 ق.م. اتخذ سلوقس الأول (نيكاتور = المنتصر) وهو أحد أكبر قادة جيش الإسكندر المقدوني في بداية الأمر بابل عاصمة له لكنه في عام 311 قبل الميلاد (في رأي أكثر المؤرخين)، بدأ سلوقس بتأسيس مدينة جديدة له على نهر دجلة (حوالي 60 كيلومتراً شمال مدينة بابل التي تقع على نهر الفرات) وكان بناؤها على شكل دائري على الضفة الغربية لنهر دجلة تمر بقرنها قناة ملكا التي كان قد شقها البابليون الكلديون كمجرى مائي يصل دجلة بالفرات في أقصر نقطة بينهما.

ويعتقد أن بناء سلوقية قد استغرق ثلاث سنوات. في موقع كانت على ضفته المقابلة مدينة

يذكر المؤلفون الإغريق أن اسمها كان أوبيس، والتي كانت في موقع مدينة رافدينية قديمة عرفت باسم أكشاك. قد أسميت عاصمة سلوقوس باسمه: سلوقية، ولتحاشي الخلط بينها وبين مدن أخرى أسسها سلوقوس وأسميت باسمه، فقد عُرفت بسلوقية دجلة. وجعلها عاصمة إمبراطوريته والتي شملت الجزء الشرقي من الإمبراطورية المقدونية والتي تمتد من سوريا وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس إلى الهند، وقد أراد من بنائها في هذا المكان أن تكون بديلاً عن بابل التي كانت بمثابة العاصمة الرئيسية لبلاد الرافدين حتى بعد سقوطها بيد الفرس الأخمينيين بل كانت عاصمة للإمبراطورية المقدونية بعد هزيمة الأخمينيين.

كانت المدينة لما يقرب من ثلاثة عقود من الزمن مقراً للثقافة الهيلنستية، وظهر فيها أعلام كبار منهم الكاتب البابلي الهيلنستي (برعوشا) والفيلسوف الرواقي ديوجين السلوقي المعروف أيضاً بديوجين البابلي أو الأبيقوري (240 - 150 ق.م له كتاب (ملاحظات حول التنجيم) تعتمد على تفسير الأحلام ومراقبة النجوم، استقى منه شيشرون بعض المواد في كتابه عن التنجيم، كما ولد فيها تلميذه أبولودور الأثيني وكان فيها حلقة تدريس لفيلسوف آخر ينتمي إلى المدرسة الشككية: أيفرانور، الشكك السلوقي. وولد فيها حوالي سنة 170 م. عالم الفلك سلوقوس السلوقي وهو عالم استثنائي كان يؤمن بأن الأرض تدور حول الشمس، وليس العكس فقد تبنت نظرية ارسطرخوس القائلة بان الشمس مركز الكون (وهي نظرية أهملها الإغريق وتمسكوا بنظرة بطليموس الخاطئة)، وسعى إلى إيجاد البراهين المثبتة لها، وأتى بنظريات علمية صحيحة عن علاقة القمر بعملية المد والجزر، التي كان قد ذكرها بوسيدونيوس.



سلوقية: تل عمر

2. **طيسفون الفرثية:** وتسمى قطيسفون أو قطسيفون (باليونانية) وتيسفون (بالفارسية) و(بالآرامية):

استطاع ملك الفرثيين مثريدات الأول الاستيلاء على سلوقية دجلة عام 141 ق.م. ثم بابل، واتخذ سلوقية عاصمة شتائية له. وفي عام 139 قبل الميلاد، ثم اختار خلفه مثريدات الثاني (حكم من 123 إلى 88 قبل الميلاد) أن يشيد له عاصمة جديدة: طيسفون، في الضفة المقابلة لسلوقية دجلة، وظلت سلوقية دجلة مدينة مزدهرة. وصارت طيسفون عاصمة لهم وللساسانيين من بعدهم حيث تقع بالقرب من سلوقية على الضفة الشرقية لنهر دجلة بما يقارب الـ 35 كم جنوب شرق بغداد.

كنيسة كوشي:

أقام القديس (مار ماري) في طيسفون، والقديس ماري هو أحد تلامذة القديس توما الذي كان من تلامذة يسوع المسيح وكان من أبرز الذين قاموا بنشر الديانة المسيحية في بلاد الرافدين خصوصاً، وطلب من ملك الفرثيين الملك ارطبان الثالث بناء كنيسة، بعد أن تمكن من شفاء شقيقته التي كانت مصابة بمرض عضال، فوافق على ذلك، ولكن البناء لم يكن كنيسة بالمعنى المعروف بل كان أقرب إلى البيت الصغير الذي تقام فيه الصلوات والشعائر. لكن هذا البيت تحول، بمرور الزمن، إلى كنيسة كانت تقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة، ثم تحولت إلى مقر رئيس كنيسة المشرق الذي كان يحمل لقب "الجاتليقا" (كاتولييكوس) قبل ان يصبح "البطيريك" في القرن الخامس، وعرفت باسم (كرسي كوشي).

ويقول مؤرخون إن طيمثاوس الأول الكبير الذي أصبح بطيركاً لكنيسة المشرق قرّر في ذلك العام نقل مقر البطيركية من كوشي إلى بغداد، عاصمة الدولة العباسية في عهد الخليفة المهدي (775 - 785)، لتهمل كوشي ويحل بها الدمار حتى مطلع القرن الماضي مع بداية عمليات التنقيب التي قامت بها بعثات أجنبية.

3. **طيسفون الساسانية:** أسقط الملك الساساني أردشير الأول دولة الفارثيين عام 224 م، وأصبحت طيسفون عاصمة الدولة الساسانية. وظلت إحدى عواصمهم حتى الفتح الإسلامي عام 651 م. الذي أسقط آخر ملوكهم يزدجرد الثالث. وكان من أشهر معالم طيسفون بناء طاق كسرى أو إيوان كسرى الذي كان مقر الحكم الساساني. سُمى الساسانيون المدينة الشرقية باسم (فيه - أردشير)، والعرب أطلقوا عليه (باهوشير).

كانت الطبقة الحاكمة في المدينة هي من الفرس المجوس الذين تحدثوا الفارسية البهلوية وتأثروا بالآرامية. في حين كان بقية السكان منقسمة بين المتحدثين بالآرامية والمندائيين واليهود والمزديكيين وأتباع المانوية إضافة إلى بعض الوثنيين البابليين من أتباع ديانات بابل القديمة مع وجود عربي صغير.

آثار من طيسفون



4. المدائن: (المدائن) تسمية عراقية آرامية تعني (مدن عدة). وهي تقع على نهر دجلة، درت معركة المدائن عام 637 واستطاعت الجيوش العربية بقيادة سعد بن أبي وقاص هزيمة الفرس الساسانيين. وقاموا ببناء مدينة المدائن على أنقاض طيسفون، تضم البلدة الحالية قبر الصحابي سلمان الفارسي ويسمىها الأهالي حاليا سلمان باك وذلك نسبة لقبره، وكذلك مبنى إيوان المدائن (إيوان كسرى أو طاق كسرى) (بالفارسية: إيوان خسرو) هو الأثر الباقي من أحد قصور كسرى أنوشروان يمثل أكبر قاعة لإيوان كسرى مسقوفة بالأجر على شكل عقد دون استخدام دعائم أو تسليح ما.



خريطة آثارية توضيحية للمواقع الدقيقة لأسماء مدينة طيسفون (سلوقيا، فيه - أردشير، طيسفون، المدائن، طاق كسرى)

المدائن وطاق كسرى

كانت الطبقة الحاكمة في المدينة هي من الفرس المجوس الذين تحدثوا الفارسيّة البهلويّة وتأثروا بالآراميّة. في حين كانت بقية السكان موزعة بين المتحدثين بالآراميّة والمندائيين واليهود والمزدكيين وأتباع المانويّة إضافة إلى بعض الوثنيين البابليّين من أتباع ديانات بابل القديمة إضافة إلى وجود عربي صغير.

أقام العرب المسلمون مدينة المدائن على أنقاض مدينتي طيسفون (قطيسفون) وسلوقيا، حيث دفن الصحابي سلمان الفارسيّ في المدائن. وقد استخدم أبو جعفر المنصور بعضاً من حجارة طيسفون والمدائن في بناء بغداد.

تقع قطيسفون في موقع ملاصق لبلدة سلمان باك العراقية على الضفة الشرقيّة لدجلة ومن أشهر أطلال المدينة طاق كسرى الذي كان قصرًا لملوك الساسانيّين.

كما يُعرف محلياً، هو الأثر الباقي من أحد قصور كسرى آنوشروان، يقع جنوب مدينة بغداد في موقع مدينة قطيسفون الواقعة في منطقة المدائن التابعة إدارياً إلى محافظة بغداد، وتُعرف محلياً ولدى العامة بـ(سلمان باك) على اسم الصحابي الشهير سلمان الفارسيّ المدفون هناك.

هذا الأثر يمثل أكبر قاعة لإيوان كسرى مسقوفة بالأجر على شكل عقد دون استخدام دعائم أو تسليح ما، ويسمّى محلياً ولدى العامة بـ(طاق أو طاك كسرى). آثار الإيوان المغطى لا زال محتفظاً بأبهته وكذلك الحائط المشقوق وتقوم دائرة الآثار في العراق بصيانة البناء والعناية به.

المبحث السابع: ميشان (127 - 222 م)



A map of Characene خريطة شراسين (ميشان)

مملكة ميشان: دولة شراكس (شراسين) Charax

مملكة ميسان هي مملكة قديمة في العراق نشأت بدايتها في زمن الاسكندر المقدوني عندما بنى مدينته (الإسكندرية على دجلة) وظهرت في القرن الثاني قبل الميلاد بعد تفكك إمبراطورية الاسكندر المقدوني. كانت عاصمتها خاراكس (في منطقة المحمرة حالياً)، امتدت شمالاً حتى جنوب بابل في وسط العراق وويلام جنوباً. وكانت تشكل ميناءً مهماً على رأس الخليج العربي، حيث سيطرت على الملاحة في الخليج العربي وفي شط العرب وأنهار الكارون ودجلة والفرات. وكانت الأبلّة (12 كم عن البصرة) قبل الميلاد جزءاً من مملكة ميسان (مملكة ملوك البحر) التي كانت عاصمتها خاراكس في منطقة المحمرة حالياً، التي أسسها الملك (إسباوسينو) عام 127 ق.م. الذي لقبه المؤرخ يوسفيوس بالعربي، امتدت شمالاً حتى جنوب بابل في وسط العراق وويلام جنوباً.

عرفت دولة ميسان باسم عاصمتها خاراكس، شراكس، شراسين، شراكين. وسميت بدولة خاراسين أو ساراسين، Characene. Charax

وهو الاسم الذي يدل على الأنباط والعرب أو بشكل أدق على الأنباط الذين صاروا عرباً في ما بعد. وهو على الأرجح أصل مصطلح مايعرف بـ(شاركوين) (شروكين) أي الشرقيون وهو الاسم الذي ما زال يطلق على الساكنين في المناطق الجنوبية في العراق، أي أن أصل تسمية (الشروكين)

جاء من اسم دولة شراكس ذات التسمية الإغريقية. وهناك شبه إجماع على أن مدينة ميسان أو خاراكس القديمة تشمل مدينة المحمّرة الحالية، وهناك جزيرة خليجية على بعد 60 كم من مدينة بو شهر تسمى بـ(جزيرة خارك) الذي لا شك في أنه من بقايا الاسم القديم خاراكس. كان نفوذ ميسان يمتدّ من البصرة الحالية وتخوم الكويت الشماليّة إلى الشريط الساحل الشرقيّ للخليج العربيّ.

تمتدّ جذور مملكة ميسان إلى القرن الرابع قبل الميلاد عندما قدم الاسكندر المقدونيّ إلى العراق واحتلّ بابل ليجعلها عاصمة إمبراطوريّته الكبيرة حيث أسس مدينة (الإسكندرية على دجلة) عند ملتقى نهر الكارون أو جنوب القرنة عند الضفة الشرقيّة لشط العرب. وفي عصر السلوقيين مع أنطيوخس الرابع سميت (أنطاكيا على دجلة) ثم سميت (سباستينو الكرخة) ثم (الكرخة) ثم (استراباد أردشير) عندما استولى عليها اردشير مؤسس السلالة الساسانيّة وقتل آخر ملوكها إنبركاوس الثالث (أبنكاي الثالث)، ثم سُمّيت ميسان وكان الأنباط فيها أصحاب شأن كبير ووطدوا علاقاتها مع البتراء وتدمر. ولم تترك هذا المملكة أثراً مادياً وعمرانيّة واضحة باستثناء بعض العملات النقدية. وكان أغلب سكانها من الأنباط والآراميين والمندائيين والفرس والزط والإغريق.

عملة ميسان عليها صورة إسباوسينو مؤسس مملكة ميسان



عملات نقدية ساسانيّة في ميسان



عملات نقدية ساسانيّة في ميسان فيها صورة ملك ومذبح للنار



المبحث الثامن: الحيرة (200 – 633 م)



خريطة تجمع دولة الحيرة (المناذرة) مع الدول المتاخمة لها

تاريخ الحيرة ومملكة المناذرة

تقع الحيرة ثلاثة أميال جنوب الكوفة قرب ما يُعرف بـ(بحيرة النجف)، وكانت تسمى (الحيرة البيضاء) لكثرة العمران فيها من بيوت وقصور مثل (الخورنق والسدير) وسمّيت أيضاً (الحيرة الروحاء) بسبب طيب مناخها وجمال طبيعتها. كلمة الحيرة أصلها سرياني (حارتا Harta) وتعني (المخيم أو المعسكر) وهذا يشير إلى أنها كانت معسكراً في بداية نشوئها، وقد قامت في حدود أنقضا مملكة (بيت عديني) الآرامية. وسمّيت دولة المناذرة لأن فيها الكثير من ملوكهم باسم (المنذر) ومن أشهرهم النعمان بن المنذر.

ظهر العرب في وادي الرافدين بصورة مبكرة جداً تصل إلى الألف الثالث قبل الميلاد، تحت اسم ما زال مندثراً هو (راب) و(بار) وهم فرع من الأقبام السومرية التي عبدت الشمس ولازمت غرب الفرات، لكنهم ظلوا مندمجين مع الأموريين وغيرهم حتى جاء العصر الحديدي 1200 ق.م. فظهر العرب منتشرين في الصحراء الغربية ومهاجرين كقبائل إلى الشام وشمال جزيرة العرب، ونرى أن أصل العرب الشماليين كان من وادي الرافدين وأصل العرب الجنوبيين كان من اليمن.

ومع سطوع الإمبراطورية الآشورية حاول العرب مع الآراميين التصدي لهما، لكنهم فشلوا وبعد

سقوط الآشوريين والبابليين ظهوراً في البوادي والمدن الرافدينية ومنها الحضر والرها والحيرة والأنبار وميسان.

تأسست دولة الحيرة في القرن الثالث الميلادي على بعد ثلاثة أميال من الكوفة الحالية بجنوب العراق، وسادها نظام ملكي وراثي، وكان الملك (جذيمة الأبرش) أول من عرف عن ملوك الحيرة، كان هو رأس السلطة واتخذ لقب ملك، وكان الحكم بين أفراد الأسرة المالكة بالوراثة، وفي الغالب ينتقل من الأب إلى الإبن الأكبر وأحياناً يؤول الحكم إلى الأخوة، وكان من عادة الملوك الخروج من المدينة إلى الصحراء وأقامت المعسكرات هناك وذلك بهدف الصيد أو التداول في بعض الأمور الحربية والسياسية.

أغلب سكانها من العرب المتحضرين في وادي الرافدين ومن النبط، واشتغل أهلها بمهن متنوعة مثل الزراعة وتربية الماشية بسبب (وفرة مياه نهر الفرات) وبالتجارة وصناعة الخزف والصيني والسجاد والمنسوجات.

كانت الحيرة هي مهد حضارة العرب قبل الإسلام فقد ابتكرت الحرف العربي من الحرف النبطي وسنت سنناً حضارية رفيعة المستوى بسبب تأثرها بالحضارة الفارسية للساسانيين، ومن مظاهر تحضرها: تقدم الطب. تطوّر الخط العربي عن النبطي. تقدم العمارة " قصر الخورنق - والسدير - ودير هند بنت النعمان. وكان بلاط ملوكها مزدحماً بالعلماء والشعراء فقد حضر فيه أغلب من عرفهم من الشعراء قبل الإسلام.

تاريخ مملكة الحيرة (ممكلة المناذرة):

ينقسم تاريخ مملكة الحيرة إلى أربع مراحل يمكننا إيجازها كما يلي:

1. مرحلة التأسيس (200 - 288 م): تبدأ من ظهور الشعوب أو القبائل الأولى التي أسست الحيرة كمدينة جديدة نهضت من أنقاض مملكة بيت عدينيّ الآرامية التي ازدهرت في المرحلة الأخمينية والسلوقية والفرثية. حيث اجتمعت ستة أصناف من القبائل العراقية في الحيرة وهي: **1. اللخميون:** وهم قبائل عربية يقال إن أصولها من اليمن، لكننا نرجح أصولها البابلية فقد ورد اسم (لخمو ولخامو) في أسطورة الخليقة البابلية كإلهة قديمة ظهرت في بداية الخلق. وبنو لخم في الحيرة هم المناذرة من الملوك والرعايا، وكان الملوك المناذرة يُطلقون على أنفسهم (ملوك العرب).

2. تنوخ: وهم قبائل عربية ربما تكون قد قدمت من البحرين وهم من أزد ومن بقايا طسم، وقد شكّلوا بدو الحيرة والأنبار وهم من الفلاحين المستقرّين.

3. عباد: وهم من المسيحيين الذين سكنوا الحيرة وجعلوها دولة مسيحية عندما أصبح أمرؤ القيس بن عمرو بن عدي أول ملوكها المسيحيين، وأصلهم من بابل فهم بابليون وآراميون وكلدانيون.

4. الأحلاف: وهم من القبائل الأخرى التي سكنت الحيرة وليست من اللخميين والتنوخيّين والعباد.

5. النبط: وهم نبط الرافدين من الفلاحين. "وإلى جانب العرب، كانت تعيش في الحيرة جماعة من النبط، ويقصد بهم بقايا سكان العراق الأصليين، من الكلدانيين والبابليين والآراميين، وكانوا يشتغلون بالزراعة، وكان يتكلم بعضهم العربية ولكنة ظاهرة. كما كان يسكن في الحيرة وما حولها من اليهود الذين استقروا بالمنطقة بعد (السبي البابلي)، وهاجر إليها من فلسطين مجموعة أخرى من اليهود، على أثر اضطهاد الرومان لهم، وكان رئيس جاليتهم يعرف باسم (رأس جالوتا) وكانت لهم مدارس خاصة". (إسماعيل: 1977: 355).

6. اللحيانيون والأنباط: الذين فرّوا من جزيرة العرب عندما احتل الأحباش مواطنهم هناك في

حدود (150 - 300 م. فأقام اللحيانيون في موضع (السلمان) الذي أطلقوا اسمه على اسم إلههم (سلمان). وقد كانت لهجة الأنباط المسماة بـ(أل) هي أساس النواة العربية لغويًا في الحيرة ولغة العرب لاحقاً.

كانت الحيرة معسكراً نفى فيه نبوخذنصر المعارضين العرب له وخصوصاً من التجار. إن كل هذا الخليط الإثنولوجي كَوّن مملكة الحيرة في بدايتها وأثناء نموها كمملكة تذكر المصادر أن ملوك الحيرة الأوائل الذين أسسوها هم:

1. مالك بن فهم التنوخي: الذي كان مقره أولاً في الأنبار الذي حارب عمرو بن ظرب ملك تدمر وابنته زنوبيا.

2. عمرو بن فهم التنوخي: وهو أخ مالك.

3. جذيمة الوضاح (الأبرش): وهو ابن مالك التنوخي أصبح ملك الحيرة قبل قدوم اللخمين إليها وله حكاية مع زنوبيا ملكة تدمر، وقد أحببت أخته (رقاش) عدي بن نصر اللخمي وأنجبت منه عمر بن عدي الذي سيصبح أول ملك مؤسس لمملكة الحيرة بالمعنى الحقيقي للكلمة.

4. عمرو بن عدي: أقام كملك في الحيرة وعمّرها وبنائها وجعلها مدينة ودولة تابعة له. ملوك مملكة الحيرة:

التسلسل	الملك أو الحاكم	فترة الحكم
1	عمرو بن عدي	268 - 295
2	امرؤ القيس بن عمرو	295 - 328
3	عمرو بن امرؤ القيس	328 - 363
4	أوس بن قلام	363 - 368
5	امرؤ القيس بن عمرو	368 - 390
6	النعمان بن امرؤ القيس	390 - 418
7	المنذر بن النعمان	418 - 462
8	الأسود بن المنذر	462 - 490
9	المنذر بن المنذر	490 - 497
10	النعمان بن الأسود	497 - 503
11	أبو يعفر بن علقمة	503 - 507
12	امرؤ القيس بن النعمان	507 - 514
13	المنذر بن امرؤ القيس	514 - 554
14	عمرو بن المنذر الثاني (المحرّق)	554 - 569
15	قابوس بن المنذر	569 - 577
16	فيشهرت	577 - 578
17	المنذر بن المنذر	578 - 582
18	النعمان بن المنذر (قابوس)	582 - 609
19	إياس بن قبيصة	609 - 618
20	زاديه	618 - 633

المرحلة الأولى (من إمرئ القيس الأول إلى الثالث) 288 - 514 م.:

تبدأ هذه المرحلة بتبني الدين المسيحي من قبل امرئ القيس الأول (ابن عمرو بن عدي) وبنمو المملكة وازدهارها العظيم، ويسمى امرؤ القيس الأول بـ(المحرِّق) لشدة بطشه، حيث أخضع قبائل أسد ونزار ومذبح ومعد وبلغت فتوحاته إلى أسوار نجران. أما النعمان الأكبر (بن امرئ القيس الثاني) فقد كان بالغ الشهرة ويلقب بالنعمان (الأعور أو السائح). وكانت دولة الحيرة في هذه المرحلة تجد في الفرس عوناً لها على نموها وازدهارها، فقد حاربت البيزنطيين من أجلهم وكانت مملكة عازلة بين الفرس والبيزنطيين.

3. المرحلة الثانية (من المنذر إلى النعمان بن المنذر) 514 - 610 م.:

تحوّلت ثقة الفرس بالحيرة لدرجة أن المنذر بن النعمان الأكبر الذي رمى الأمير الفارسي بهرام جور وجعله ملكاً.. وهذا يعني تقارباً سيحمل حدّين: الأول هو صعود للحيرة، والثاني هو تضحيات منها ضد الروم وتدخلات الفرس فيها. وقد انتهت هذه المرحلة بتدخلات واضحة وكبيرة للفرس في البلاط. (الشطي 1998: 25)

ومهما يكن الأمر فقد بلغ المنذر بن امرئ القيس الحيري براعته الحربية مكانة عظيمة، إذ تمكّن في بعض حروبه مع الروم من أسر قائدين، وهما: (ديمستراتوس Demostratus) و(يوحنا Johannes) م ما جعل القيصر يرسل إليه وفداً كي يطلق سراح القائدين الأسيرين، ويبدو أن سطوة المنذر أمير الحيرة أجبرت قيصر الرومان على تنصيب الحارث بن جبلة الجفني (فيلاركا Phylarch) أي عاملاً على عرب بلاد الشام لحماية الحدود من اعتداءات المنذر وعرب العراق، ويروي المؤرخون الأخبار العديدة حول ما كان يدور ما بين المنذر بن ماء السماء، أمير الحيرة من جانب، وبين الحارث بن جبلة الغساني أمير الشام من جانب آخر من حروب ضارية، وقد استمرّ التوتر حاداً بين المعسكر الشامي والعراقي حتى بعد أن كانت الهدنة قد بدأت بين الدولتين الكبيرتين عام 546 م. ويروي نولدكه عن بروكوبيوس أن القتال لم ينته بين الأميرين العربيين إلى أن أحرز الحارث الغساني نصراً حاسماً سنة 554 م. في معركة وقعت بالقرب من قنسرين، وكانت تابعة لإقليم تدمر، قتل فيها المنذر بن ماء السماء، كما سقط فيها أحد أبناء الحارث بن جبلة الجفني، وأغلب الظن أن المنذر بن ماء السماء، إنما قتل في (يوم حليلة) الشهر. (الشطي 1998: 25)

وكان النعمان بن المنذر آخر الملوك الأقوياء في مملكة الحيرة وكان الخطأ الأكبر الذي ارتكبه هو قتله للشاعر عدي بن زيد العبادي بسبب وشاية كاذبة.

والنعمان الأكبر هو بائي (الخورنق والسدير)، وقد نال النعمان الأكبر من الشهرة ما لم ينله غيره من ملوك الحيرة. كان قوياً صارماً شديداً الوطأة على العرب، بل كان من أشد ملوك العرب نكايه في عدوه، وأبعدهم مغاراً فيهم، فغزا الشام مراراً وسبى وغنم بل دعمه ملك الفرس بكتيبتين شهيرتين: الشهباء، وجنودها من الفرس، ودوسر: وجنودها من تنوخ. فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لا يدين له من العرب، وقد صارت دوسر بنوع خاص مضرب المثل في البطش. وفي عهد النعمان الأكبر بلغت الحيرة درجة عالية في المقدرة الحربية، كما اجتمع له من الأموال، والآتباع والرفيق مال لم يملكه غيره من ملوك الحيرة.

4. المرحلة الثالثة: (الأفول 610 - 633 م

بعد قتل النعمان بن المنذر من قبل كسرى الفرس ثاراً لعدي بن زيد العبادي نصب كسرى (إياس بن قبيصة الطائي) على الحيرة، ثم طلب كسرى من أمير شيبان (هانئ الشيباني) أن يسلم أسلحة النعمان التي استودعها عنده فرفض هانئ ونشبت معركة (ذي قار) بينه وبين كسرى وانتصر عرب العراق على الفرس لأول مرة في التاريخ. ثم حكم الحيرة فارسي اسمه (زادويه) ثم انتزع الحكم المنذر بن النعمان (المغرور) لثمانية أشهر حتى وصل خالد بن الوليد واحتل الحيرة وأخذ منها الجزية في عهد أبي بكر الصديق.

ديانة الحيرة

بدأت الحيرة بالديانة المتعددة الآلهة التي كانت موجودة منذ أقدم الأزمان في وادي الرافدين، وكانت فيها ديانات أخرى مثل الزرادشتية ونسختها الكهنوتية المتأخرة المعروفة بالمجوسية، والمناوية والمزدكية والمندائية واليهودية، وأخيرها سادت فيها الديانة المسيحية. وسنتناول في مبحثنا هذا الديانتين الأقدم والأحدث فيها وهما المتعددة الآلهة والمسيحية.

أولاً: الديانة المتعددة الآلهة

ضيزن السماء



هبل



اللات العزى

آلهة الكواكب: الشمس، القمر (ود)، عطارد، المشتري

آلهة النجوم: عيوف، ثريا، الدبران، الشعري



ضيزن الأرض



آلهة الأرض: ذو كعبات (إله الكعبة الحيرية)، ذات ودع (مكعب)، سبذ ومحرّق (أضاحي)

1. ضيزن السماء: وهو بمثابة الإله الأكبر الذي يقابل الإله (إيل) في الديانات الرافدينية والشامية، وكان يمثل مزدوجاً مع صنم الأرض الذي هو ضيزن الأرض.

وهما صنمان للملك (جذيمة الأبرش)، وهو من ملوك الحيرة الأوائل وكان له أزام يستسقي بها في استشارته للصنمين، وعُرف عن جذيمة تكهنه مما انعكس على شخصيته فقد كان قليل الكلام مع الناس تكبراً باعتباره كاهناً للآلهة.

2. هبل: وهو الإله البعل للأنباط والعرب وهو بمثابة الإله الفاعل والمرتجى الذي مثلت له تماثيل كثيرة.

3. اللات: تسمية اللات تسمية ذات أصول رافدينية، وقد أطلقت على إلهة العالم السفلي (ارشكيكال) وتلفظ بالأكدية (اللاتو) وتعني (الربة)، وفي الوصف الرافديني للإلهة ارشكيكال تظهر فيها كامرأة مجنحة تلبس تاجاً مقرناً وتمسك بيدها رمزي السلطة (العصا والحلقة)، وقد عبد العرب اللات كتمثال أنثوي وشكلها عبارة عن صخرة بيضاء مربعة وموضعها الرئيسي بالطائف، وجعل لها أهل ثقيف بيتاً له حرمة وله سدنة وكسوة وعمال يخدمونه ويحرسونه، وأطلقوا عليه بيت الربة باعتبارها إلهة أنثى، "ولدينا رأي آخر في سبب تسمية اللات لاتاً، خلاصته: أن الناس اشتقوا اللات من اسم (الله) فقالوا (اللات) يعنون مؤنثة". وذكر الطبري أن اللات هي من الله، ألحقت فيه التاء، فأنتت، كما قيل عمرو للذكر وللأنثى عمرة، وكما قيل للذكر عباس ثم قيل للأنثى عباسة". (علي 1993: 230 - 231 ج6).

4. العزى: يعتقد إن اسم العزى هو اسم الإلهة الأم المصرية العذراء (أيزيس) والدة إله الشمس (حورس)، وهناك من يرى أنها وردت في الألواح البابلية في كلمة (إزو - ساري) أي ملكة النار، ولكنها تشير إلى تماثل شخصية الإلهة العراقية (عشتار العذراء وهي تمثل كوكب الزهرة) نجمة الصباح، وعرفت عند العرب قبل الإسلام كإلهة حسناء ومن بنات الله وهي كوكب الزهرة، وعرفت في صفاتها الخصيية (مثل عشتار) كإلهة للخصب ثم أصبحت إلهة للحرب. وفي تراث الحيرة ما ذكر من أن الملك (المنذر ابن ماء السماء) تقدّم للعزى بالقرابين بقربان بشري فقد قدّم لها ابن عدوه (الحارث الغساني) بعدما وقع في يد المناذرة أسيراً. وقد وصفت بأنها عبارة عن حجر أبيض اللون أو أنها شجيرات وكانت عبادة الشجر معروفة في ذلك الوقت وقد تسمى العرب باسم العزى فليل (عبد العزى)، كما ورد أن اللات والعزى إلهتان متقابلتان وجهاً لوجه، وربما كانتا تمثلان كوكب الصباح (العزى) وكوكب المساء (اللات).

5. ذو الكعبات: هو أحد الأصنام التي عُبدت في الحيرة، ووجد بسنداد التابعة للحيرة ويخص (بكر بن وائل)، ولكن عبدتها قبائل عدّة مثل (تغلب) و(أباد)، القبائل التي سكنت شرق جزيرة العرب لذا نجد أن مهمة الأشراف والحماية لهذا الصنم وقعدت على كاهل ملوك المناذرة، كما أن وجود الكعبات للعبادة ليس بغريب عن العرب فقد تأثروا بالكعبة المشرفة في مكة والتي هي مقدّسة عند كل العرب وعلى نسقها أقاموا كعبات أخرى مثل كعبة (ذو الخلفة) في اليمن و(كعبة الطائف) لذا ليس من الغريب أن توجد كعبة بسنداد. هناك مصادر ذكرت أن في الحيرة وجد صنم أطلق عليه (ذات الودع) وكان يشبه الكعبة.

6. سيد: صنم عبده أهل الحيرة وقدّموا له القرابين البشرية.

7. محرق: هو صنم عبده أهل الحيرة وعدد من القبائل الأخرى مثل: قبيلة (بكر بن وائل) وسائر (ربيعة)، وكان مركزه منطقة (السلمان) في العراق، ومن ثم وضعوا له بيتاً في كل قبيلة، باعتبار أن الصنم الذي يوضع في ذلك البيت هو ولد (محرق)، فله في قبيلة ولد واسم خاص به، ففي عنزة أطلقوا عليه (بلج ابن محرق)، وفي عميرة وغفيلة هناك (عمرو ابن المحرق)، أما سدنته فهم (آل الأسود العجليون) وربما أطلق لقب محرق على الملك (أمرؤ القيس) بسبب هذا الصنم خصوصاً أن المناذرة من اسمائهم أيضاً (آل محرق)، وكانت الاضاحي لهذا الصنم تحرق.

8. ود: عبده الحيرة واختصّ بعبادته (بنو كلب بن وبرة) في (دومة الجندل) وشاركهم في تقديس الصنم (تميم) و(طئ) و(الخرزج) و(لخم) و(هذيل) وسدنته من (نبي الفرافصة بن الأحوص بن كلب). (انظر السامرائي 2012: 183).

ثانياً: عبادة الكواكب

عبد المناذرة والعرب، عموماً، الكواكب السبعة (ومنها الشمس والقمر والزهرة وعطارد والمشتري)، وكذلك عبد النجوم الثابتة مثل: الدبران والعيوف والثريا والشعري وعطارد وغيرهم. واختصت كل قبيلة بعبادة كوكب، فعبد اللخميون (الدبران)، لأنه نجم شوّم فخافوا منه لهذا ضرب به المثل في النكد وعبدوا أيضاً كوكب (المشتري) وإن كان هناك شك في هذا الأمر. "ولخم وجذام تعبدان المشتري ولا أدري المصدر الذي استند عليه صاحب تاريخ مختصر الدول، لأنه لم نلاحظ ذلك من خلال تتبعنا للدراسة الشاملة لتلك المملكة، ولعله كان ذلك في إحدى الفترات الزمنية أو بشكل طارئ ومؤقت". (عبد الغني 1993: 472).

ثالثاً: المسيحية

تضاهي الحيرة مدينة الرها في العناية بالتراث المسيحي، فقد ساهمت في إنتاجه وترسيخه وحمته طويلاً، لكن قرب الرها من اليونان والبيزنطيين حفظ الكثير من تراثها، أما الحيرة فقد لقي تراثها المسيحي مصيراً مدمراً بسبب دخول الإسلام لها ومحو ماضيها المسيحي تماماً. يتبين من تاريخ السعري أن المسيحية انتشرت بمنطقة الحيرة في أواخر القرن الرابع الميلادي كما تشهد على ذلك الأديرة الموجودة في فضائها مثل دير مار عبد يشوع الذي بُني في عهد الجاثليق تومرصا. فقد كانت الحيرة وكوفا وعاقولا معاقل للكنائس والأديرة المسيحية حيث ترعرع المذهب النسطوري وأنتج أدبه الروحي. وإذا كانت النسطورية مذهب أغلبية العرب في الحيرة فإن التسامح الديني فيها ضم، بالإضافة لهم، الوثنيين والغنوصيين من عبدة الكواكب (القمر) بصفة خاصة والمناويين والمندائيين واليهود واليعاقبة المسيحيين.

إن دراسة واقع المسيحية العربية بالحيرة قبل الإسلام يقودنا إلى الاستنتاجات التالية:

أولاً: شمول المسيحية أغلب عرب الحيرة (العباد) دون أن تُمحي الوثنية.

ثانياً: مساهمة سراة الحيرة في نشر الديانة المسيحية بمختلف معتقداتها في مدينتهم باعتمادها وبتقديم العون المادي والمعنوي للمبشرين لتكريزها (بناء كنائس، الدعوة للعقيدة).

ثالثاً: تأخر اعتناق ملوك الحيرة الديانة المسيحية (إلى أواخر القرن السادس).

رابعاً: تحوّل الحيرة معقلاً من معاقل النسطورية في العراق قبل الإسلام.

خامساً: رغم أن الغلبة في الحيرة كانت للمذهب النسطوري فإن الأرثوذكس واليعاقبة ساهموا أيضاً في تنصير أهاليها. وازدهرت الأديرة المسيحية في الحيرة ومنها أديرة (مارت مريم، العذارى، ابن براق، بني مرينا، حنا، الجرعة، مزعوق، الأكيراخ، الأسكون، هند الكبرى، هند الصغرى).

أجرى آثاريون حفريات في أطلال الحيرة عام 1931 م. هما (رتلنكر) و(رايس) واكتشفوا آثاراً من بينها بازيليكيتين مسيحيّتين أي مذبحين من الحجر، وقد ثبت من الحريات أن كنائس الحيرة لم تكن مزوّدة بحنيات، وإنما كانت تنتهي بفتحات مربعة الشكل على النحو الشائع في معابد آشور وبابل، وكذلك عثرت البعثة على صلبان من الفضة وقناديل من الزجاج، وكانت الجدران مكسوّة بطبقة جصية فيها زخارف نباتية. وقد عثر هذان الباحثان في أحد دور الحيرة على زخارف مدهونة في الجدران بألوان زاهية والأصباغ يتكرّر فيها عنصر الصليب محاطاً بدائرة، إذ إن سكان الحيرة هم من الأوائل الذين اعتنقوا المسيحية النسطورية، لهذا كان يُطلق عليهم (عباد)، وتعني بالآرامية (المؤمنين) وكانت الحيرة تتحدّث العربية والآرامية والفارسية. (توما

شماني: www.Iraker.dk)

احتضنت الحيرة رفات عدد من الجثائق العظام في تاريخ الكنيسة الشرقية (وهم كبار رجال الدين من النساطرة)، ومنهم: داد يشوع (456)، بابوي (484)، آقاق (496)، حزقيال (581)، إيشوعيان (595)، كوركيس (681)، إبراهيم (850).

كانت الحيرة معقل النسطورية في جنوب العراق منذ أواخر القرن الرابع الميلادي، لكننا لم نستقبل من الأدب النسطوري أو غيره في الحيرة شيئاً بسبب تلف وتدمير المخطوطات التي حفظت فيها.

انعقدت في الحيرة مجامع كنسيّة مثل: مجمع الجاثليق (مار داد يشوع) سنة 424 م. وقد اشترك فيه أسقف الحيرة (شمعون) وقد خرج من الحيرة العديد من رجال الدين النصارى، مثل: (مار إيليا) وهو من عرب الحيرة والقديس (حنا يشوع) وهو من عشيرة الملوك والقديس (ماريو حنا) و(هو يشاع).

انتشرت المسيحيّة بين النساء أكثر من الرجال في قصور المناذرة ومن النساء في بلاط المناذرة في عهد الملك (النعمان ابن المنذر)، مثل زوجته وبناته، وربما يرجع السبب في ذلك إلى مخالطة نساء القصر للنساء المسيحيّات من زوجات الأطباء المسيحيّين أو من خلال عمليّات البيع والشراء بين الأميرات ونساء التجار.

أصبح (المنذر ابن المنذر) مسيحياً عندما أعجب بأخلاق ودين (حنظلة الطائي) الذي جاء لمقابلته. وكان اليوم يوم (بؤس) الملك فعندما عرف أنه ميت لا محال طلب من الملك أن يمهله بعض من الوقت يرجع فيه إلى أهله ليصلح لهم حالهم ويدبّر لهم أمورهم ويعود إليه لينفذ فيه حكمه، وفعلاً عاد الرجل ووفى بعهده، وقد بنى المنذر ديراً أطلق عليها اسم (حنظلة).

المذهب النسطوري:

البطريك (نسطور يوس) (نسطور) Nestorius م (جرمانيقية) توفي عام 450 م، وكان له رأي في طبيعة المسيح، حيث جعل له طبيعتين أو (أقنومين)، (أقنوم الإنسان) و(أقنوم كلمة الله) لا يوجد اتحاد بين الطبيعتين البشريّة والإلهيّة في شخص يسوع المسيح، بل هناك مجرد صلة بين الإنسان والألوهة، وأن السيدة مريم العذراء طبيعتها بشريّة، وأن السيد المسيح بشر من أب غير بشريّ وأن السيد المسيح إنسان فقط حلت عليه كلمة الله أثناء العماد وفارقت عند الصليب، كان (نسطور) قد تأثر في أفكاره بمبادئ (ديو دورس) أسقف طرطوس و(ثيودور المصيبي) تلميذ (ديوردورس). عاش نسطور في أنطاكية وبشر بمذهبه وآرائه هناك مما استوجب غضب رجال الكنيسة عليه واعتبروه ملحداً وانعقد لأجله مجمع (أفسوس)، وناقشوا آراء نسطور وحكموا عليها بالهرطقة وعزل نسطور عن أسقفية القسطنطينيّة.

عانى أصحاب هذا المذهب الكثير من الاضطهاد والظلم وهاجروا لبلاد فارس فسمح لهم كسرى الفرس بالبقاء بينهم وأعطاهم الحرّية الدنيّة وحرّية التبشير لدينهم، وأظهر رغبته في الاستفادة من علم المسيحيّين وتعليمهم الناس القراءة والكتابة وتدرّس كتب الفلسفة والطب. ”ومن هؤلاء النساطرة تعلم عرب العراق وعلى رأسهم أهل الحيرة النسطوريّة، ومن أهل

الحيرة انتقلت إلى جزيرة العرب. ولما كانت السريانية هي اللغة الرسمية لهذه الكنيسة، صارت هذه اللغة بهذه الصفة لغة نصارى العرب، بها يرتلون صلواتهم في الكنيسة وبها يكتبون وإن كانت بعيدة عنهم غير مفهومة لدى الأكثرية منهم“. (علي 1993 ج6: 628)

انتشرت المسيحية على المذهب النسطوري في الحيرة “وذكر يعقوبي أن علياً أهل الحيرة نصارى، فممنهم من قبائل العرب على دين النصرانية من بني تميم آل عدي بن زيد العبادي الشاعر ومن سليم، ومن طيء، وغيرهم“. (قاشا 2005: 15).

ومن الحيرة وجدت المسيحية طريقاً لها للبلاد المجاورة مثل: البحرين وعمان وسواحل الخليج العربي في شرق شبه جزيرة العرب واليمامة والأفلاج ووادي الدواسر، فقد وجد في هجر بالبحرين أسقفين أحدهما (اسحاق) وقد حضر مجمع النساطرة عام 576 م. والآخر يدعى (قوسي) وقد اشترك في مجمع سنة 676م.

اهتم النساطرة بالعلم والتعليم وأنشأوا المدارس “وقد أسس النساطرة مدرسة الرها وأخرى في نصيبين، وهما مدرستان لاهوتيتان ومراكز دراسات وبحث. وقوي نفوذهم وانتشر مذهبهم في العراق في (إمارة الحيرة والقبائل العربية) وفي شبه جزيرة العرب، وبلاد الهند وتركستان والتبت والصين“. (قاشا 2005: 23)

مذهب اليعاقبة:

اليعاقبة (Jacobite) ويطلق عليهم أيضاً (المونوفستيين)، ويقولون بأن للمسيح طبيعة واحدة وأقنوماً واحداً. وهذا هو السبب الذي جعل الناس يطلقون عليهم (أصحاب الطبيعة الواحدة). وينسب هذا المذهب إلى (يعقوب البرادعي) وقد ولد في مدينة (الأجمة) في (نصيبين) شرق إمارة (الرها) وكانت ولادته من عام 500م. وتوفي عام 578م، وكانت أسرته أسرة كهنوتية دينية. حاول إقناع رجال الدين في (القسطنطينية) بمذهبه وذلك من خلال زيارته لها، وبقي هناك 15 سنة يحاول أن يجعل الملكة (ثيودورا) تقنع رجال الكنيسة بمذهبه، ولكن جهوده باءت بالفشل. حاولوا حبسه في القسطنطينية حتى لا تنتشر آراؤه، ولكن هناك من تدخل وتوسط له لدى بيزنطة الروم فأطلقوا سراحه “كذلك توسط له المنذر ابن ماء السماء في الحيرة لدى البيزنطيين أنفسهم، من أجل إطلاق حريته وعدم محاسبته على آرائه“. (الحسين 2004: 362)

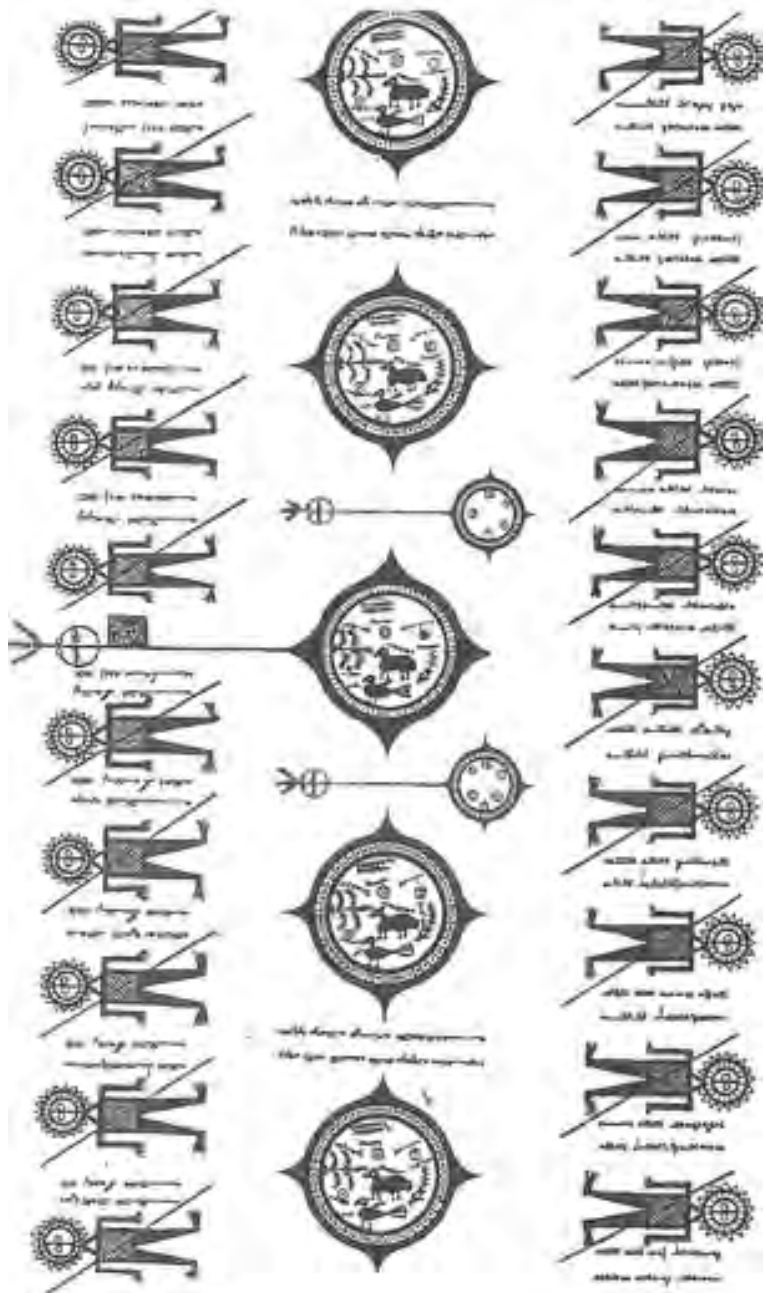
وجاء من بعد (يعقوب البرادعي) آخرون يبشرون بالمذهب نفسه منهم (جرجيس) و(غريغور) و(شمعون الأرشامي) و(مراثا) و(أحودمي)، وفي أيام هذا الراهب كان للعرب أسقفيتان: الأولى عُرفت بأسقفية العرب وكرسيها بالحيرة، والثانية اسمها أسقفية التغليبين.

عارضت كنيسة روما مذهب اليعاقبة الذي اعتبر أحد المذاهب المسيحية في بلاد الشرق، وناصرهم العداء أيضاً أصحاب المذهب النسطوري على الرغم من أنهما مذهبان شرقيان وقد كفر كل فريق منهم الآخر ورماه بالهرطقة، وكان يعبر عن خلافات أخرى غير دينية حيث “كان الصراع موجوداً بين القبائل العربية التي على المذهب النسطوري والقبائل العربية على مذهب الطبيعة الواحدة، وكان ظاهره دينياً وأسبابه الحقيقية سياسية واقتصادية تعود إلى الصراع بين القبائل، خاصة بين غسان التي كانت على مذهب الطبيعة الواحدة ومن والاه من القبائل الأخرى، وبين الحيرة النسطورية ومن والاه“. (قاشا 2005: 28)

انتشر المذهب اليعقوبي قليلاً في عموم وادي الرافدين وفي الحيرة، ولكنه انتشر واسعاً في بلاد الشام وساعد الكنيسة السريانية على نهضتها وقوتها.

الباب الخامس

أديان المشرق الغنوصية



الفصل الأول تاريخ العصر الهيلنستي واتجاهاته الروحية والفلسفية



المبحث الأول: مدخل تاريخي للعصر الهيلنستي

كلما اقترب الغرب من الشرق أو اقترب الشرق من الغرب عادت بنا الذاكرة إلى (العصر الهيلنستي)، وكلما ارتفع هاجس العولمة أو الأممية أو الكوزموبوليتية تذكّرنا ذلك العصر باعتباره أول عصر حاول دمج الشرق بالغرب في بوتقة حضارية واحدة.

ولسنا من القائلين بفشل تلك المحاولة أو بالتركيز على جوانبها السلبية باعتبارها نوعاً من الاستعمار الاستيطاني، رغم صحة ذلك، لكننا ننظر دائماً إلى ثمارها ونتائجها المنظورة وغير المنظورة التي نرى بأنها قدّمت للحضارة البشرية ولعلّ أهم مآثرها أنها كانت، دون قصد مخطط منها، حاضنة الأديان الموحدة الكبرى التي ظهرت، أولاً، في المشرق العربي بشكل خاص.

نرى، كما يرى الفريق الأكبر من المؤرخين، أن العصر الهيلنستي هو العصر الذي يبدأ بعد وفاة الاسكندر المقدوني عام (323 ق.م) وينتهي عام 30 ق.م. عندما سقطت مملكة البطالمة على يد الرومان. ونشدد على اعتبار الفترة التي احتلت روما فيها الشرق الهيلنستي مرحلة امتداد آخر للعصر الهيلنستي من (30 ق.م. - 323م).



طريق غزوات الأسكندر الكبير

http://www.bible-history.com/maps/alexander_campaigns.html

لكننا في الوقت ذاته نرى امتداد التقاليد الهيلنستية بعد احتلال روما للعالم الهيلنستي وظهور صيغة جديدة، لا على الشرق القديم قبل الهيلنستي، بل على الشرق الهيلنستي ذاته، فنحن نميل إلى اعتبار التاريخ الهيلنستي متوقفاً على المستوى الكرونولوجي، لكنه مستمر على المستوى الحضاري وإن بثوب جديد غير غريب عليه.

ومن أجل التوفيق بين التوقف الكرونولوجي والاستمرار الحضاري للعصر الهيلنستي اهتدينا إلى وضع حل وسط معقول لهذه المعضلة يكمن في تقسيمنا للحضارة الهيلنستية إلى مرحلتين هما:

1. العصر الهيلنستي (30 - 323) Hellenistic Age ق.م

2. العصر الرومانستي (30) Age Romanistic (ق.م - 323م)

وقد نحتنا هذا المصطلح (الرومانستي) قياساً على مصطلح (الهيلنستي) لربط بينهما ولنعني به (الرومانستي) هو ذلك العصر الذي سيطرت فيه روما على الشرق الهيلنستي، خصوصاً غرب آسيا وشمال أفريقيا.

ورغم أننا ندرك الحرج في إطلاق مصطلح كهذا على هذه الفترة، لما يثيره من إشكالات، إلا أننا نرى ضرورة ذلك لكي نندلج بمصطلح واحد على احتلال روما للشرق المتوسطي (الآسيوي والأفريقي)، وكي نشير إلى استمرار الهيلنستية بثوب روماني ليس غريباً عليها. فالحضارة الرومانية تأثرت كثيراً بالحضارة الهيلينية ونهلت منها وكانت مصدرها المباشر في الكثير من الجوانب. ولذلك فإنها عندما تتواصل معها في الشرق المتوسطي فإنها لا تشكل قطعاً فاصلاً بين عصرين غريبين بل هي امتداد لها.

العصر الرومانستي إذن هو عصر روما في الشرق ومحاولتها تكوين إمبراطورية رومانية واحدة حول البحر المتوسط تسود فيه تقاليد متشابهة وينصهر فيه الشرق مع الغرب، رغم أنها كانت إمبراطورية مركزية، عاصمتها روما، مختلفة عن الإغريق الذين كُونوا ممالك هيلنستية منفصلة حكموها مباشرة وليس من أثينا أو مقدونيا أو إسبرطة.

الفرق واضح بين الهيلنستية والرومانستية سياسياً وحضارياً، ولكن التشابه بينهما والامتداد بينهما وارد أيضاً بل لعله الغالب في ذلك.

ورغم أن المسيحية ودولتها البيزنطية هي ثمرة من ثمار العصر الهيلنستي - الرومانستي لكننا لا ندخل العصر البيزنطي في المرحلة الرومانستية أو كمرحلة ثالثة رغم لغته وطابعه الهليني الإغريقي، لسبب بسيط وهو الاختلاف الجذري الذي أظهرته المسيحية في الحضارة البيزنطية قياساً إلى التماثل الحاصل في الديانة الوثنية والعقائد السرية والفلسفة الذي بين العصرين الهيلنستي والرومانستي، ثم أن الحضارة البيزنطية هي نتاج المرحلة الهيلنستية والرومانستية ولكن بصفة مسيحية إمبراطورية.

إذا نظرنا إلى التاريخ الروماني لا يمكننا فصله إلى روماني ورومانستي، ولكن أليس غريباً أن يكون العصر الإمبراطوري الروماني مترافقاً مع العصر الرومانستي؟ فما نطلق عليه بالرومانستي هو بدء المرحلة الإمبراطورية الرومانية وهو الجزء الأخير من تاريخها المعروف.

لكننا إذا نظرنا إلى تاريخ الشرق فيمكننا القول إن الشرق المتوسطي مرّ بعد سقوط الإمبراطورية الفارسية الأخمينية والظهور السريع للإمبراطورية المقدونية، مرحلتين متجانستين نسبياً هما المرحلة الهيلنستية والمرحلة الرومانستية. أما المرحلة البيزنطية فيمكن اعتبارها مرحلة ثالثة لكنها لا تتجانس، حضارياً، مع سابقتها بسبب ديانتها وحضارتها المسيحية بشكل خاص.

سنتناول بالتحليل العصر الكلاسيكي بعامة (الإغريقي الروماني) وسننظر، بصفة خاصة، إلى المرحلة الهيلنستية بشقيها الإغريقي والروماني تضامناً مع حقيقة التجانس الذي عاشه الشرق الهيلنستي

في المرحلتين وما أفرزته عقائد الأديان والفكر والفلسفة من ظواهر كان لها الأثر الأكبر في صياغة عقائد المنطقة، خصوصاً عقائد التوحيد التي نرى أن ظهورها في الحضارة الكلاسيكية كان يحمل معنى توحيد العالم في إله أو دين عالمي واحد أيضاً، لقد أرادت الحضارة الكلاسيكية توحيد العالم سياسياً وحضارياً لكن الشرق رد عليها بتوحيد العالم دينياً.. وهكذا سرعان ما تفتتت السياسة والحضارة وانتصر الدين التوحيدي المسيحي وتسلق إلى أوروبا وغزاها بأكملها. بسقوط الفراعنة، وملوك بابل وأشور المؤلهين، الذين ذاب الفرد في سطوتهم، وكذلك سقوط عرش الطاووس في فارس، تحرر الفرد في الشرق من الكبت، وذاق حلاوة الإبداع وحرية التفكير، ولم يعد يخاف لا من الكهنة - حراس العقائد - ولا من جبروت حكامه المؤلهين، فتححر لأول مرة من نزعات السيطرة والاستبداد. (الناصري: 1992: 103 - 104).

ويمكننا وصف العالم الهيلنستي بأنه أول عالم جمع الشرق والغرب في ساحة واحدة فانتشرت مادة الغرب في نسيج الشرق وانتشرت روح الشرق في جسد الغرب "ويمثل هذا العصر من بعض النواحي مرحلتين من مراحل الحضارة، أثمرت في أولاهما العلوم والفلسفة والآداب وغيرها من مظاهر النشاط الفكري، في ظل عالم إغريقي - مقدوني مستقل. أما في المرحلة الثانية فقد نصب معين الإنتاج العقلي وقام الشرق في وجه الغرب. وحين كانت هذه الثورة تهدد العالم الإغريقي المقدوني انقضت روما على هذا العالم واستولت عليه وآلت إليها زعامة الحضارة الإغريقية". (نصحي 1967: 37 - 38).

لقد تضافرت ثلاثة تيارات باطنية في العصر الهيلنستي هي (المسارية أي ديانات الأسرار والهرمسية والغنوصية) في تكوين (التوحيد الباطني) الذي سرعان ما هذب التفريد اليهودي وجعله توحيداً ثم أنتج المسيحية الأولى، لكن المسيحية تحولت من كنيسة غنوصية إلى كنيسة (قومية)، وهكذا انتصر التيار الظاهري في التوحيد (اليهودي والمسيحي) وعمد أقطابه إلى تدمير الغنوصية والانتقام من دعائها بحجة الهرطقة والخروج عن المسيحية القومية. إن العصر الرومانستي والبيئة الرومانستية هما الأساس الذي مهد لظهور الإمبراطورية البيزنطية لأن شرق إمبراطورية روما هذا قد ورث التقاليد الهيلنستية ثم الرومانستية التي جعلت من هذا الجزء من الإمبراطورية رخواً وقابلاً لاكتساب خصوصية دينية وحضارة جديدة خارج الإرث الروماني العتيق.

إن الرومانستية هي الجسر الذي سيربط بين الهيلنستية والبيزنطية ودليلنا على هذا أن لغة الإمبراطورية البيزنطية هي اليونانية وأن إرثها الثقافي هو يوناني. أي أن النسخ اليوناني امتد داخل الشجرة الرومانية من الأرض الهيلنستية إلى الثمار البيزنطية. ولنلاحظ كذلك أن الدين المسيحي، الذي هو روح الإمبراطورية البيزنطية، هو دين خلاصي ذو جذور هيلنستية غنوصية، تمكن أخيراً من تفكيك السجون الوثنية الرومانية والصعود بالجزء الشرقي من الإمبراطورية الرومانية (الرومانستي) إلى مناخ جديد هو المناخ البيزنطي الذي أعاد الاعتبار للهيلينية والهيلنستية واليونانية.

رهما كانت أجزاء الإمبراطورية الرومانية الشمالية والغربية أكثر تجانساً مع روما المركز أما الأجزاء الشرقية والجنوبية منها فقد كان ينبض فيها عرق هيلنستي قوي يُعطينا المسوغ لأن نطلق عليه اسم الرومانستي كي نميزه عن الإمبراطورية الرومانية من جهتها الشمالية والغربية وكي نجعله امتداداً للهيلنستي من ناحية أخرى.

ولننظر إلى المفارقة الأخرى، فقد بدأ التاريخ الهيلنستي في 323 ق.م. وهي سنة وفاة الاسكندر المقدوني وانتهى في 30 ق.م. عندما سقط عرش كيلوباترا آخر الهيلنستيين العظام وبداية

الرومانستية، لكن التاريخ الرومانستي انتهى في 323 م. عندما أعلن قسطنطين مسيحيته وانفصل بالإمبراطورية البيزنطية، وبين 323 ق.م. و323 م. سرُّ غريب سيستمر لحوالي ستة قرون ونصف حدث فيها العجب العجاب.

العصر الهيلنستي

323 - 30 ق.م.

لم تعد الهيلينية وحدها في إطار اليونان وبحر إيجه، فقد دخلت إلى الشرق ولم يعد بالإمكان وصفها بالهيلينية التي تعارفنا عليها ولذلك ظهر اصطلاح جديد سرعان ما دلَّ على مزيج الإغريق والشرق ونعني به مصطلح (العصر الهيلنستي Hellenistic).

الهيلنستية والفكرة التي تعبّر عنها كلمة نحتها الألماني يوهان غ. درويسن Johanne G. Droysen في القرن التاسع عشر، وقد اشتقها من كلمة يونانية تعني: "العيش على طريقة الهلينيين (أي اليونانيين القدماء)". والمقصود بها الثقافة التي نشأت في الشرق التابع للإغريق، والممتد في الأراضي التي فتحها الإسكندر المقدوني من مصر البطالسة إلى الهند. "اشتقها من (Hellenismus) الإغريقية القديمة، وتعني كلمة Hellen أي (الهليني) أو (الإغريقي) نسبةً إلى هيلاس Hellas أي بلاد اليونان أو الأغرقي. أما هيلنستي فممنوعة من الفعل Hellenizo أي (هلينة) أو (هَلين) أو كما هو شائع في اللغات الأوروبية وأخذناها عنهم (أغرقة) أي خلع الطابع الهليني أو الإغريقي على هذا أو ذاك من الأشياء والأحياء، ولذلك يسمي بعض المؤرخين العرب المحدثين العصر الهيلنستي بـ(العصر المتأغرق) ويتحدثون عن الشرق المتأغرق. (برنال 1997: 39).

كان الإسكندر قد أسس مركزية كوزموبوليتية جديدة اختلفت عن المركزيات الإمبراطورية الشرقية القديمة، لأنه جمع هذه المرة الشرق مع الغرب لأول مرة في التاريخ. وقد نقل هذا الهاجس لقواده وورثة إمبراطوريته الذين كوّنوا الممالك الثلاث الكبرى، بل نزع أنه كان أساس التوجه الإمبراطوري المركزي الروماني لقيادة العلم القديم بعد قرون.

حروب خلفاء الإسكندر

وتقسيم الإمبراطورية المقدونية (323 - 281 ق.م)

يعتبر عام 301 بداية عهد جديد فقد انحلت إمبراطورية الاسكندر ولم يعد هناك أمل يُرجى في إحيائها ثانيةً واجتمع القادة المنتصرون ليعيدوا تقسيم الإمبراطورية مرة ثانية فاقسمتها أربع شخصيات عظيمة هي: كاسندورس في مقدونيا، وليسماخوس في تراقيا وآسيا الصغرى، وسلوقس في فرس وبابل وسوريا وبطليموس في مصر.

لكن ديميتريوس (ابن انتيجونس ما زال حياً وقد لعب في هذه المرحلة دوراً كبيراً، فقد احتل مدناً عدّة ثم احتل مقدونيا بعد وفاة كاسندورس لكنه وقع بعد ذلك أسيراً بيد سلوقس ومات وخلفه ابنه انتيجونس الثاني مكانه.

أما بطليموس فقد احتل سوريا للمرة الرابعة فطالبه سلوقس بالانسحاب منها لكنه لم ينسحب.

مقتل سلوقس: طمع لوسيماخوس بعرش مقدونيا لكن سلوقس كان له بالمرصاد فقتله في معركة وتقدم سلوقس نحو مقدونيا وحاول احتلالها. وفي هذه الأثناء قام بطليموس بتعيين ابنه الصغير (بطليموس الثاني) كولي للعهد فقام ابنه الأكبر (بطليموس الصاعقة) باللجوء إلى

سلوقس ليساعده على أبيه وأخيه.

كان سلوقس على حافة نصر كبير لأنه سيدخل مقدونيا وعنده ابن بطليموس وتحت يده آسيا الصغرى وفارس وبابل، لكن بطليموس الصاعقة تنكر فجأةً لسلوقس وقتله، وقبل الجنود بطليموس الصاعقة قائداً ونصبوه ملكاً على مقدونيا.

لم يستتب الأمر لبطليموس الصاعقة فسرعان ما هاجمه البربر الكلت فقتلوه وقتلوا ملوكاً عديدين بعده في محاولة لاحتلال مقدونيا واليونان وآسيا الصغرى لكن (أنتيغونس الثاني) ابن ديمتريوس ظهر فجأةً وعقد تحالفاً مع (أنطيوخس الأول) ابن سلوقس في فارس وسوريا وبابل وهزم البرابرة بنصر حاسم واتجه إلى مقدونيا ونصب نفسه ملكاً عليها عام 277 ق.م. وهكذا انقسمت الإمبراطورية المقدونية انقسامها الكبير الأخير على يد أبناء قوادها من خلفاء الإسكندر إلى ثلاثة اقسام استقرت في كلٍ منها مملكة ورثها أبناء هؤلاء وهم:

1. الأسرة البطلمية في مصر - بطليموس الثاني.
 2. الأسرة السلوقية في آسيا - أنطيوخس الأول.
 3. الأسرة الانتجونية في مقدونيا - انتيجونس الثاني.
- وكان ملوك هذه الممالك الثلاث في مقتبل العمر وفي ظروف متشابهة.

الممالك الهيلنستية

1. المملكة البطلمية (305 - 30 ق.م)

حكمت أسرة البطالمة مصر وما حولها نسبياً (مثل برقة وسوريا وقبرص) لفترة تقل عن ثلاثة قرون. وظهر في الأسرة البطلمية خمسة عشر ملكاً تحت اسم بطليموس (من بطليموس الأول إلى بطليموس الخامس عشر) ولعبت زوجات ونساء البلاط البطلمي دوراً هاماً في الحياة السياسية والاجتماعية للبطالمة.

وفي ما يلي جدول بأسماء الملوك البطالمة وزوجاتهم ومدة حكمهم.

ت	اسم الملك ولقبه	فترة حكمه (ق.م	زوجاته
1.	بطليموس الأول (سوتر = المنقذ)	323 - 305 305 - 285 كملك	1. يوريديكي 2. برنيقي الأولى
2.	بطليموس الثاني (فيلادلفيوس = المحب لأخته)	283 - 246	1. أرسنوي الأولى 2. ارسنوي الثانية
3.	بطليموس الثالث (يورجيتس = الخير)	246 - 221	برنيقي الثانية
4.	بطليموس الرابع (فيلوباتر = المحب لأبيه)	221 - 205	أرسنوي الثالثة
5.	بطليموس الخامس (إيفانس = التجلي)	205 - 180	كيلوباترا الأولى
6.	بطليموس السادس (فيلوماتر = المحب لأمه)	180 - 145	كيلوباترا الثانية
7.	بطليموس السابع (نيوس فيلوباتر = الطفل المحب لأبيه)	145 (لمدة أشهر)	قُتِل وهو طفل
8.	بطليموس الثامن (يورجيتس الثاني فيسكون ويلقب بالطاغية)	145 - 116	1. كيلوباترا الثانية 2. كيلوباتر الثالثة
9.	بطليموس التاسع (سوتر الثاني) ويلقب بـ(لايروس = حمص)	116 - 107 الفترة الأولى 88 - 81 الفترة الثانية	1. كيلوباترا الرابعة 2. كيلوباترا الخامسة 3. برنيقي الثالثة
10.	بطليموس العاشر (الإسكندر الأول)	88 - 80	برنيقي الثالثة
11.	بطليموس الحادي عشر (الإسكندر الثاني)	81 - 80	برنيقي الثالثة
12.	بطليموس الثاني عشر (ديونسيوس الصغير)	80 - 51	كيلوباترا السادسة
13.	بطليموس الثالث عشر (ثيوس فيلوباتر 1)	51 - 47	كيلوباترا السابعة
14.	بطليموس الرابع عشر (ثيوس فيلوباتر 2)	47 - 44	كيلوباترا السابعة
15.	بطليموس الخامس عشر (قيصرون)	44 - 30	قُتِل وهو طفل

2. المملكة السلوقية (305 - 64 ق.م

حكم سلوقس أكبر جزء من الإمبراطورية المقدونية، وكانت مملكته تضم معظم الشرق الآسيوي من الهند حتى مصر ومن آسيا الصغرى حتى جزيرة العرب. ولكن سعة المملكة هذه كانت عامل ضعف إذ سرعان ما تفككت ولم يمض سوى قرن ونصف حتى بدأت بالانهيار والموت البطيء الذي استمر قرناً كاملاً ثم أصبحت لقمة سائغة ابتلعها الرومان. وتكاد العوامل ذاتها، التي سببت نهاية البطالمة، هي التي سببت نهاية السلوقيين. ويمكننا وضع الجدول الآتي للملوك السلوقيين:

التسلسل	اسم الملك	لقبه	مدة حكمه (ق.م)
1	سلوقس الأول	نيكاتور: المنتصر	311 - 305 كحاكم 305 - 281 كملك
2	أنطيوخس الأول	مونوفثاملس	281 - 261
3	أنطيوخس الثاني	جوناتوس	261 - 246
4	سلوقس الثاني	كالنيكوس	246 - 225
5	سلوقس الثالث	كيرانيوس	225 - 223
6	انطيوخس الثالث	ميغاس: الكبير	223 - 187
7	سلوقس الرابع	فيلوباتر: المحب لأبيه	187 - 175
8	انطيوخس الرابع	ابيفانس: المتجلي	175 - 164
9	انطيوخس الخامس	يوباتر	163 - 162
10	دميتريوس الأول	سوتر	162 - 150
11	الاسكندر الأول	بالاس	150 - 145
12	دميتريوس الثاني	نيكاتور	145 - 138
13	انطيوخس السادس	أبيفانس: ديونيسوس الظاهر	145 - 142
14	ديوتوتس	تريفون	140 - 138
15	انطيوخس السابع	سيديتس: الصيدوني	128 - 126
16	دميتريوس الثاني	زايناس	129 - 123
17	كليوباترا الأولى	ثيا	126 - 123
18	أنطيوخس الثامن	جريبوس	125 - 96
19	سلوقس الخامس	فيلوماتر: المحب لإمه	125 - 115
20	انطيوخس التاسع	سزيكينوس	114 - 96
21	دميتريوس الثالث	إيوكاريوس، فيلوباتر	96/97
22	سلوقس السادس	أبيفانس نيكاتور: الظاهر المنتصر	96 - 94
23	انطيوخس العاشر	يوزيبس	94 - 88
24	أنطيوخس الحادي عشر	أبيفانس	95 - 92
25	فليتوس الأول	فيلادلفيوس	95 - 75
26	أنطيوخس الثاني عشر	ديونيسيوس	87 - 82
27	تجرانس الثاني (الأرمني)	ملك أرمني محتل	74 - 69
28	أنطيوخس الثالث عشر	آسياتك: الآسيوي	69 - 64
29	فليبوس الثاني	فيلورمايوس	67 - 65

جدول الملوك السلوقيين أو الأسرة السلوقية

4. برجام (282 - 133 ق.م)

تشكل برجام (برجامون م ملكة أو دولة رابعة صغيرة فهي مدينة هيلنستية متميزة في بلاد آسيا اصغرى استقلت عن المملكة السلوقية عام 262 ق.م. وتكوّن وضع سياسي وحضاريّ خاص بدولة المدينة هذه وسط تلاطم أمواج الممالك الهيلنستية، وقد تأسست في برجام السلالة الأتالية (Attalied Dynasty) (وتضم ستة من الملوك هم:

1. فليتأريوس 282 - 263 ق.م.
2. إيومينس الأول 263 - 241 ق.م.
3. أتالوس الأول 241 - 197 ق.م.
4. إيومينس الثاني 197 - 159 ق.م.
5. أتالوس الثاني 160 - 138 ق.م.
6. أتالوس الثالث 138 - 133 ق.م.

العصر الرومانستي

30 ق.م. - 323 م.

انتهى التاريخ الرسمي للممالك الهيلنستية في 30 ق.م. بعد معركة أكثيوم عندما انتحر انطونيو ثم كيلوباترا ودخل أوكتافيوس إلى مصر وأنهى آخر مملكة هيلنستية باقية. لكن الهيلنستية كروح وكطريقة في الشكل الحضاريّ استمرت تحت الخيمة الرومانية الرسمية، بل لعلّ الرومان أنفسهم ساهموا في إدامة هذه الروح من خلال الصلب اليوناني الذي يعشعشع في شخصية الرومان الحضارية والثقافية والدينية.

ولذلك نسّمى هذه الهيلنستية المتخفية باسم (الرومانستية) تيمناً باسم الهيلنستية والنحت الخاص بهذه التسمية، أي أننا لا نعني بالرومانستية رومنة العالم كله فهذا حصل في مجمل أصقاع الإمبراطورية الرومانية، لكن المناطق الهيلنستية السابقة ظلت تنبض بهذه الهيلنستية في شكل رومانيّ أسميناه (الرومانستية). وقد يغضب منا المؤرخون والمختصون بسبب هذا النحت الجديد لهذه التسمية ولأننا نعرف أسباب الغضب ودوافعه العلمية لذلك نحاول إثبات مصداقية تسميتنا هذه.

كان ضمّ مصر للجمهورية الرومانية بداية ظهور الإمبراطورية الرومانية على يد أوكتافيوس الذي سُمّي بد(أغسطس) غازي مصر ومسقط المملكة البطلمية، كان هذا كله يحمل معاني كثيرة منها أن نشاطاً جديداً سيدبّ في الهيلنستية المتخفية تحت الأدمة الرومانية يشبه لحظة نشوء الهيلنستية أيام الاسكندر وبعد وفاته، وكان هذا الضمّ الإمبراطوريّ المقدونيّ أولاً ثم القيصريّ - الأغسطسيّ ضرورياً لتهيئة مخطط كبير لعناصر الحضارات الغربية والشرقية. إذن، كان ضرورياً ظهور إمبراطورية ليتم الخلط على مهل وفي دعة وتكون هناك هلينة أو رومنة، المهم ظهور خليط جديد.. ربما كان في أدق تسمياته (هيلنستي).

كان لروما في تلك الفترة وظيفة قيادية في تاريخ العالم تحددت خطوطها، ففي الغرب أخذت على عاتقها توطيد دعائم القانون والمدنية بين شعوب الغرب البرابرة على حين اقتصرت رسالتها في الشرق على المحافظة على بنیان المدنية الهيلنستية التي تفوق مدنيّتها، والتي أقامها الاسكندر وخلفاؤه في بلاد الشرق الأوسط. (علام 1980: 17).

- ويمكننا تقسيم الجغرافيا الرومانسية على ضوء ما خلفته الهيلنستية اليونانية. فهناك:
1. مصر الرومانية التي ورثت مصر البطلمية.
 2. الشام الروماني الذي ورث الشام السلوقي.
 3. آسيا الصغرى الرومانية التي ورثت آسيا الصغرى الهيلنستية.
 4. شمال أفريقيا الروماني.

المبحث الثاني:

الاتجاهات الروحية الباطنية في العصر الهيلنستي

كان لا بدّ للاستبداد الدينيّ الشرقيّ أن ينكمش بسبب أجواء الحرّية التي سادت في العصر الهيلنستي وكان لا بدّ للتيارات والتجمّعات الدينيّة السرية والباطنيّة أن تظهر، وقد نشأت في المرحلة الهيلنستيّة مجموعة من التيارات الباطنيّة استطاعت أن تُعيد صياغة الأديان الوثنيّة القديمة والفلسفات الدينيّة شرقيّة الأصل في إطار فلسفيّ هيلنستيّ جديد ظهر كما لو أنه كان جديداً لكنه، في حقيقة الأمر، يمتد بجذوره إلى أعمق ديانات الشرق القديم.

ومن خلال قراءتنا الواسعة لثقافة العصر الهيلنستيّ لاحظنا أن هناك ثلاثة تيارات باطنيّة لعبت دوراً رئيسياً في الانتقال من الشرك وعبادة الآلهة المتعدّدة إلى التوحيد وهذه التيارات هي: المسارية والهرمسيّة والغنوصيّة.

هذه التيارات الدينيّة السرية الباطنيّة كانت تسري تحت القشرة المعلنة للأديان التعدّدية والتفريديّة وكانت قد ابتكرت نوعاً من التوحيد الباطنيّ الذي كان حكراً على جماعات سرية صغيرة كانت تمارس طقوسها وتعاليمها بحذر شديد.

لا بد، أولاً، من عرضها وشرح مبادئها ثم التطرّق إلى دورها في صناعة التوحيد وتحويل الأديان المشركة إلى أديان توحيدية، لا بد من التطرّق إلى الفروق بينها رغم ما يجمعها من عوامل مشتركة فلطالما تداخلت الهرمسيّة والغنوصيّة وأصبحتا شيئاً واحداً لكنهما في حقيقة الأمر يتمتعان باستقلاليّة تضمن لكلّ منهما حقلاً منفصلاً ومشاركتاً بينهما في الوقت نفسه.

الهرمسيّة هي تعاليم هرمس (الإله أو النبيّ أو الحكيم) وهذه التعاليم مدوّنة في مجموعة من النصوص المصريّة القديمة واليونانيّة واللاتينيّة.

أما الغنوصيّة فسلوك وتيار أشمل يعود في أصوله على ديانات وادي الرافدين القديمة وديانات شرقيّة أخرى، وتشكل الهرمسيّة إحدى روافده، وقد أعيدت صياغة الغنوصيّة فلسفيّاً قبل القرون الميلاديّة الأولى كفلسفة هيلنستيّة، وكانت الغنوصيّة رحم التوحيد النهائي في العصر الهيلنستيّ وكانت المسيحيّة هي الوليد النموذجي لها.

أما المسارية أو (ديانات الأسرار) فقد لعبت دوراً مهماً هي الأخرى في تكوين الجانب الطقسيّ للتوحيد، وعملت على تجسيد فكرة القران والذبيحة الإلهيّة.

ومما له دلالة أن مثل هذه الشموليّة "التوحيدية" تمجّد بخاصة الآلهة المثيرة للشفقة بامتياز أمثال ديونيسوس وأوزيرس. وفي ما يتعلق بإيزيس وأوزيرس، فإن تفسيراتهما الأخيرة وإعادة تقييمهما من قبل لاهوتيي الأسرار ومن قبل الفلاسفة الأفلاطونيين الجدد، الذين كانوا معتبرين، خلال قرون من الزمن، كمنيرين للحقيقة ولأعمق عبقرية دينيّة مصريّة. (إلياد: ج2: 2006: 322)

ويمكننا جمع تطوّر التيارات الثلاثة وهي تنحدر من ماضيها البعيد لتكون نسقاً واحداً مؤثراً في العصر الهيلنستيّ كما يلي:

1. في العصر السومريّ كانت طقوس تموز تجمع التيارات الثلاثة في شكلها العفويّ البذري الذي لم يفصح بعد عن هويته الكاملة والاصطلاحية، فقد كان الإله (دوموزي) السومريّ أصل المسارية التي تقضي بنزوله إلى العالم السفليّ وموته الفجائعي في أسطوره الشهيرة مع (إنانا). وكان أصل طقوس المناحات والندب والأسرار. كما أنه كان يعبر عن الشخصيّة الأولى لـ (هرمس)

التي ظهرت في ما بعد عند كل الشعوب القديمة تقريباً من خلال كونه الوجه الآخر للإله (نكشزيدا) صاحب الكادكيوس الأفعواني والذي ظهر ملازماً له في العالم الأسفل وفي السماء. وهذا يشير إلى دورته في هذه المستويات الثلاثة (السماء، الأرض، العالم الأسفل) في دورة تشبه دورة النفس أو الروح في الغنوصية، فضلاً عن كونه إله الخلاص والمنقذ والمنتظر كل عام.

2. أخذت فكرة (دوموزي) بالتناسل بين الشعوب حتى وجدناها في فارس بصيغة إله الضوء والخير الفارسي (أهورامزدا) الذي تحوّر عند الإغريق بصيغة (هرمس) وكانت الزرادشتية التي ضمّته قد تبنت تقسيم العالم إلى نظام ثنائي للخير والشر والنور والظلام ومعالجة موضوع الشر، وكان أفلاطون قد اطلع على الدين الزرادشتي في مصر التي احتلها الفرس قبل الإسكندر المقدوني وتأثر بها ونظن أن فكرته عن الله الواحد وعن الأسمى الواحد وعن الإله الصانع وشرّ المادة ونزول الروح فيها قد أخذها من الزرادشتية.

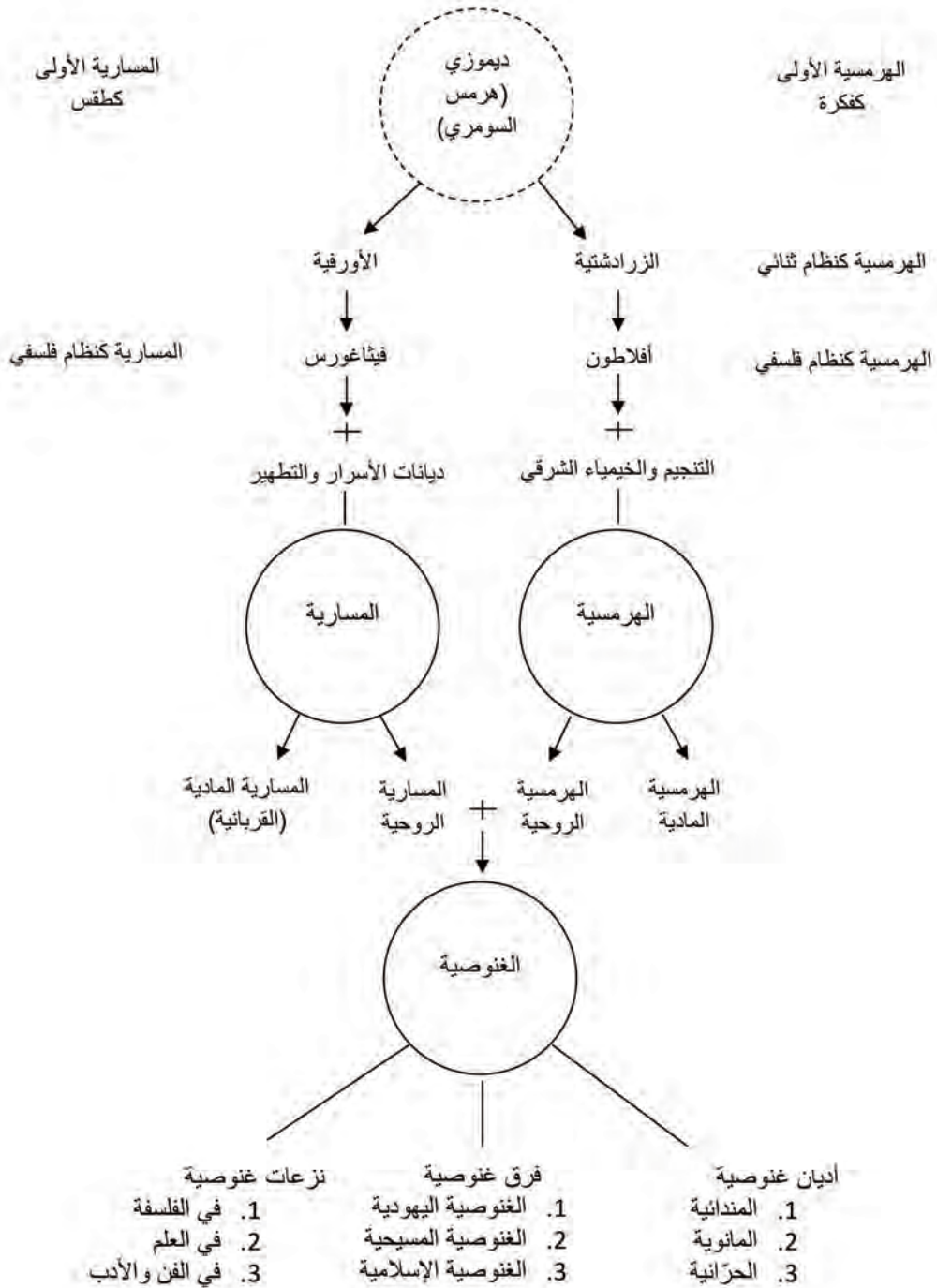
وفي بلاد الإغريق نشأت أولى ديانات الأسرار (المسارية) في البيوزيس ثم نشأت الأورفية، التي تأثر بها فيثاغورس وأنشأ فلسفته المسارية كنظام فلسفي.

3. اختلطت فلسفة أفلاطون عن الله وخلق العالم مع أفكار التنجيم والخيمياء الشرقية فنشأت عن ذلك الهرمسية التي كان أحد أهم نصوصها هو نص (هرمس طوط) المصري، ثم نص المدونة الهرمسية اليوناني (بوامندريس)، وكان هناك اتجاهان رئيسيان في الهرمسية، الأول روحانيّ يؤكد إهمال الجسد لتجنّب الخطيئة، والثاني كان حسيّاً يرى في الجسد مصدر تحقير يجب أن ينهك بالحسية والجنسية.

4. اختلطت فلسفة فيثاغورس مع ديانات الأسرار والتطهير في العصر الهيلنستي ونشأت المسارية كتيار ديني واضح شمل آلهة مساريين عدّة في العالم الهيلنستي، واتخذت المسارية طابعاً جسدياً حسيّاً وطابعاً روحانيّاً.

5. نشأت الغنوصية من التقاء التيار الروحي للهرمسية والمسارية، فضلاً عن فكرة دورة النفس الهرمسية ظهرت فكرة الخلاص القربانية و/أو المبعوث السماوي الذي يفتدي البشرية. وكان للغنوصية التي نرى فيها لمسات أفلاطون وفيثاغورس التأثير الأكبر في ديانات العصر الهيلنستي، ونرى أنها هي التي أعادت صياغة اليهودية وابتكرت المسيحية الأولى وصنعت التوحيد بوضوح، وكانت هناك أديان غنوصية مثل (المندائية والمانوية والحرانية)، وبل وتعدت هذا لتظهر في الفلسفة والعلم والأدب والفنون.

وبذلك تكون الغنوصية هي الرحم الذي ولّد التوحيد ودفع به إلى العالم، لكنه، وكما يخبرنا التاريخ، كان يجب قتل الأم ورحمها الذي ولد التوحيد وسرقة الطفل (التوحيد) والقول بأنه نزل من السماء.



تطوّر المسارية والهرمسيّة والغنوصيّة
أما جغرافيا انتشار الحركات الباطنيّة الثلاث في العالم الهيلنستيّ فيوضحها الجدول الآتي:

جغرافيا الباطنيّة في العصر الهيلنستيّ

الباطنيّة	فارسيّ	وادي الرافدين	الشام	مصر	اليونان	روما
المسارية	المثرائيّة	تموز وعشتار نبو	أدونيس وعشتروت بعل وعناة	إيزيس واوزيريس	ديونسيوس أورفيوس	باخوس إيزيس
الهرمسيّة	الزرادشتيّة	هرمس نبو هرمس البابليّ الكلدانيّ (كلوإذا) الحرّانيّة	أخنوخ	هرمس تحوت	هرمس شفيع المسافرين والبحار	مركوري (عطارد)
الغنوصيّة	الزرادشتيّة المانويّة	الشيثيّة المندائيّة المانويّة الصابثون (سامبسيون) البارديصانيون	أوفانيّة شيثيّة ساتورينوليون هيراقليطيون بوتلميون	باسليديوس فالنتينيون مريقيونيون	الغنوصيّة المسيحيّة	الغنوصيّة المسيحيّة

الفصل الثاني
المسارية (المستيريا) Mysteria
(ديانات الأسرار، الديانات الغامضة)



رمز المسارية

المسارية هي عقائد وديانات الأسرار (Mystery) والغموض (Myster) وكانت، في أغلبها، ديانات خلاص، فضلاً عن كونها كانت تضع أحد الآلهة موضوع الاهتمام وتجعله مخلصاً. وكانت هذه الأديان تعتمد فكرياً على معتقدات دينية تجعل إله معين محور الخلاص، وكان هذا الإله ينحدر في أغلب الديانات المسارية من الآلهة الزراعية والديانات الزراعية القديمة وهو يحمل عادة ذكرى الإلهة الأم التي دحرتها التقاليد الذكورية في الدين. تحمل المسارية الهيلنستية ذكرى ديانات الخصب القديمة وتعمل على إعادة إنتاجها وفق الفكرة الخلاصية التي أصبحت هاجس الهيلنستية كلها. الديانات المسارية كلها من أصل شرقي، وقد تبنّاها الإغريق الهيلنستيون وأعادوا إنتاجها وفق ما يمكن أن نسميه بروح العصر (زتكشت Zeitgeist) التي سادت العصر الهيلنستي الرومانستي والتي تسلّقت إلى بلاد اليونان وروما بمنتهى السرعة والقوة. كل الأديان المسارية خلاصية وزراعية الأصل ومعاد تركيبها وهي ديانات أسرار غامضة لها طقوسها ومعتقداتها وآلهتها الخاصة وتميل، نوعاً ما، نحو التوحيد بحكم تركيزها على إله أو إلهة معينة أو على كليهما كزوجين متّحدين. إن الأسرار الهيلنستية تذكر بتصرفات طقوسية قديمة جداً - موسيقى متوحشة، رقصات هيجانية، أنواع الوشم، امتصاص نباتات للهلوسة - بهدف إجبار قرب الألوهية، لا بل الحصول على التوحّد الروحي في أسرار آتيس، وأن الصيام المفروض على التلامذة يتألف أساساً في الامتناع عن الخبز. لأن الإله هو "السنبلة المحصودة خضراء" وأن الوجبة المسارية الأولى ترد في مجملها لتجربة القيمة القدسية للخبز وللخمر، تجربة قلما تكون مقبولة لدى السكان المدينيين. (إلياد: ج2: 2006: 316).

الطقوس المسارية (المسارة) أو طقوس التلقين: كانت طقوس التلقين تُجرى في احتفالات دينية سرية تقتصر على المؤمنين بهذا الدين ومن رجال الدين بشكل خاص، حين يُزاد تلقين المرشح الديني الجديد الذي يجب أن يتلقى التاريخ السري للأسطورة الأساسية للإله. ويمكننا تصنيفها حسب أصولها القديمة كما يلي مع نبذة بسيطة عنها:

المسارية السومرية: دوموزي وإنانا

المسارية البابلية: تموز وعشتار

كان الإرث السومري حول دوموزي وإنانا هو أساس مثنولوجيا تموز وعشتار في بابل وآشور وقبلهما أكد. لكن هناك تعديلات كثيرة جرت على هذه المثنولوجيا. إن الأساطير البابلية لا تمدّنا بمعلومات كثيرة عن بداية علاقة تموز بعشتار. وتظهر عشتار في الأساطير البابلية وقد استحوذت على صفات الإلهة الأم، ولذلك توصف بالخصب وتبدو وكأنها ترضع العالم من ثديها. إن أحد الاختلافات الجوهرية بين الأساطير السومرية والبابلية حول تموز وعشتار هو حول كيفية وسبب هبوط تموز إلى العالم الأسفل، وهناك ما يشير إلى أن اريشكيغال هي التي تخطف تموز في الأساطير البابلية وبذلك تظهر عشتار مخلصه له، وهو عكس ما ذهب إليه الأساطير السومرية.

حيث وجد البابليون تموز (بشكل مسبق) في العالم الأسفل وفق ما كان متواتراً في العراق القديم (منذ سومر) فقد جعلوا من نزول (عشتار) إليه من أجل إنقاذ زوجها منه، تلك

الرغبة التي ظلت دفينة عندها وكانت تفصح عنها بتهديداتها المتكررة في النصوص البابلية بيعث الموتى كلهم لكي يكون تموز من بينهم فيعود لها. كان يعتقد أن شهر نزول إنانا إلى العالم الأسفل هو شهر آب، إلا أن البابليين جعلوه في تموز، وكان هذا الشهر يوصف عندهم بـ(شهر هزيمة تموز). ويعتقد أن هذا الشهر هو شهر (نزول عشتار إلى العالم الأسفل) وليس شهر (موت تموز). أي أنه شهر نزولها هي وليس هو، لأنه كان موجوداً في نظر البابليين هناك دائماً. وبذلك يؤدي غيابها إلى حلول العقم والذبول التدريجي والجفاف في الطبيعة، وكانت مهمتها تفشل بل إنها تموت هناك لولا تدخل الإله إياها. إذا كان سبب نزولها في الرواية السومرية طمعاً في الاستيلاء على العالم الأسفل، فإن الرواية البابلية تنطلق من نتائج الرواية السومرية حيث يكون سبب النزول هو تخليص تموز من العالم الأسفل. وكان ذلك يدعوها للبس بزرة الحرب والنواميس الخاصة بذلك. إن نزول عشتار إلى هذا العالم كان هو سبب الحرب في العالم، ولكن النواح كان على تموز بسبب استمرار التقليد السومري في ذلك. تقوم عشتار من موتها دون أن تقوم بمهمتها في بعث تموز القاتل هناك لكنها تنجو بحياتها من أجل أن لا يموت الخصب على العالم الأعلى وبذلك تعود إلى هذا العالم، بينما ترك زوجها تموز ميتاً في العالم الأسفل لمحاولة أخرى. ولأن تموز كان إلهاً أو نصف إله أو ملكاً فإنه يُكرّم من قبل آلهة العالم الأسفل ولذلك نراه يلبس عباءته الحمراء ويعزف على نايه اللازوردي. وكانت تقام طقوس المناحة وتعذيب الذات في كل بداية خريف بسبب موت دوموزي، وتعتبر هذه المسارية أصل المساريات الكبرى في العالم حول البكاء والرثاء والندب لموت الإله المخلص الفادي.

المسارية المصرية: أوزيريس وإيزيس

كانت طقوس العيدين الهيلنستيين لأيزيس (المسمى قارب إيزس) في الربيع، ولأوزيريس (المسمى بعيد أوزيريس قبيل بداية نوفمبر) هذه الطقوس تؤكد على الالتحام بالإله، خصوصاً طقوس إيزيس، حيث يقوم المريد بالهبوط إلى العالم الأسفل ليرى الشمس مشعة في ظلام ما تحت الأرض وهو مكان مهيباً سلفاً له للوصول إلى غرفة مضأة بشدة، ثم يبعث المريد بعد امتحانات مسارية ويكون مرتدياً في الصباح 12 ثوباً شعائرياً ترمز للأبراج الإثني عشر ويصل إلى تمثال إيزيس ورأسه محاط بتاج من سعف النخيل، ويكون هذا اليوم هو يوم لإعادة ولادته في حضن الأسرار. وكذلك طقوس التمثيل بأوزيريس والالتحام معه والظهور كإبن له (حورس) يعكس الأمر ذاته.

إن الشعيبة الكبرى للأسرار المصرية في القرون الأولى من العصر المسيحي، وواقعة أن بعض ملامح الأيقونات ومثولوجيا العذراء مريم قد استعيرت من أيزيس، تدل على تعلق ذلك بإبداع ديني رسمي وليس بانبعث مصطنع ومستهلك. ويجب اعتبار آلهة الأسرار كتجليات جديدة لإيزيس وأوزيريس. وما هو أكثر من ذلك، تلك التفسيرات الهيلنستية التي ستتطور من قبل اللاهوتيين الأورفيين الجدد والأفلاطونيين الجدد. إن أوزيريس الممثل بديونيسيوس (الذي هو أيضاً قد قتل وقطع وبعث) أوضحت بإعجاب التيولوجيا الأورفية الجديدة: النشكونية المدركة كتضحية ذاتية للإلوهة، مثل تبعثر الواحد في التعدد، المتبوع بـ "البعث" أي بتجمع المتعدد في الواحد الأولي. إن التطابق المتبادل لكافة الآلهة يصل إلى "وحدانية" من نوع توفيق، أثر لدى أصحاب النزعة

الصوفية التي ترمي للاتحاد بالرب في العصر القديم. (إلياد: ج2: 2006: 321).

المسارية الفريجية: آتيس وسيبيل

كانت سيبيل أو سيبيلي بمثابة الإلهة الأم والإلهة العذراء في الوقت نفسه لأنها تلقب بـ(الإلهة الكبرى) و(الإلهة العذراء) و(سيدتنا)، وقد ظهر في هذا الوقت ما يُسمّى بـ(كتاب تنبؤات سيبيل) الذي كان يضمّ ما يشبه الأبوكريفا أو الأبوكلسيا الوثنية التي بدت وكأنها مقدمات ظهور التنبؤات الخاصة باليهود أولاً ثم المسيحيين.

وهناك مَنْ يرى أن مؤلف تنبؤات سيبيل هي كاهنة بهذا الاسم تسمّت على اسم الإلهة وهي مكتوبة بلغة يونانية وبشعر سداسيّ الوزن بقي منها حوالي 12 كتاباً، كانت متداولة بين القرنين الثاني والخامس الميلاديين وهي كتب تقدّم معلومات مهمة في الغنوصية والمثولوجيا والأدب الرؤيوي (أبوكلسيا) وغيرها.

لكن طقوس سيبيل وآتيس شكلت ما يمكن أن نسّميه بـ(الديانة المسارية) التي تعتمد على طقوس التنشئة والعبور والأسرار، وكانت ديانة شعبية زراعية الجذور تختصر الآلهة بالهة كبرى و/ أو إله واحد. وهناك من يجد أن طقوس الختان هي واحدة من بقايا عبادة سيبيل.

كان قطعُ أعضاء آتيس وجنازته وقيامته هي المظاهر الاحتفالية الثلاثة الكبرى للعبادة؛ إذ كانت تقام بفاصل أيام عدّة في ما بينها، وتقوم بإحياء آلام الإله وانتصاره فصلاً فصلاً. كان تصوّف المؤمنين يجد فيها مادةً تشفي غليلهم وتحمّسهم. ونظراً لاستحالة تقديم حفلة المأتم إلى جسد الإله، فإنهم كانوا يتوجّهون بها إلى شجرة الصنوبر، الشجرة التي ضحى تحتها آتيس برجولته. كانوا يأخذون الخشب المقدّس ويلفونه بشرائط صغيرة ويزيّنونه بالبنفسج. ونظراً لرغبتهم وإرادتهم في الاتحاد بالألوهية، يقوم "الغالوسيون" les galles*، وهم كهنة عبادة سيبيل، بضرب وتشطّيب أنفسهم، وحتى غالباً ما يقومون بقطع بعض أعضائهم. لكن شيئاً فشيئاً حصل مذهب توفيقى. فقد تمّ دمج مذاهب ومعتقدات عدّة. لقد تحوّلت احتفالات أعياد الآلهة المتعلقة بالإله "بعل" في بلاد الشام les Baalaths إلى عيد أمّ الآلهة، نظراً لشعبية "سيبيل" الكبيرة. واتخذت الإلهات المحليات هيئات رحيّة Rhéa "سيبيل"؛ فلبست تاجاً وأحاطت عرشها بأسود. (سمير عنحوري، بلاد الشام ولاية رومانية، موقع معاير http://www.maaber.org/issue_july08/lookout2_a.htm).

المسارية الفينيقية: أدونيس وعشروت (أفروديت)

أدونيس إله فينيقي له جذور سامية عميقة فهو دوموزي السومريّ وتموز البابليّ وأوزيريس المصريّ وهو قريب جداً من جاؤوس القبرصي (أوس) ومن بعل حدد الآراميّ ومن الإله التوسكانيّ (أتونيس) والفريجى (آتيس).

أصبحت أسطوره الإغريقيّة هي الأكثر شهرة فقد قيل إنه ولد من عذراء وإنه صلب أو مات مذبحاً وسال دمه وإنه يرمز للشمس أيضاً وإنه يُبعث في شقائق النعمان الحمراء.

ولد أدونيس من العذراء مورا ابنة الملك سينيراس ملك قبرص الذي كان مخموراً فضاجعها وهي في فراش أمها، وحين علم والدها أراد قتلها فهربت وهي حامل بأدونيس ثم تحوّلت إلى شجرة المرّ التي خرج الطفل منها. وكان أدونيس جميلاً فأحبته أفروديت وخبأته عند برسفوني (ملكة العالم الأسفل) وحين كبر أحبته برسفوني، وتنازعت عليه وحكمت الحورية (كاليوبي) بأن يعيش ثلث السنة الأول مع برسفوني تحت الأرض والثلث الثاني مع أفروديت

فوق الأرض والثالث الثالث كما يشاء هو. لكن برسفوني حرّضت (اريس) إله الحرب لكي يبعث
خنزيراً برياً فيقتل أدونيس وتكون أفروديت له، وخرج الخنزير لأدونيس فقتله أدونيس، لكن
الخنزير جرح أدونيس جرحاً مميتاً فمات وسال دمه وفي كل مكان سال الدم فنبتت زهور
شقائق النعمان، ورفض (هادس) رب العالم الأسفل عودته إلى الحياة. ولكن أفروديت هدّدت
بجذب الحياة فوافق (هادس) على عودته روحاً بلا جسد ليقضي نصف السنة الأول على الأرض
ونصفها الثاني تحت الأرض.

الفصل الثالث:
الهرمسيّة Hermetism



هرمس مثلث العظمة

المبحث الأول: الهرمسيّة في العصر الهيلنستيّ

يعرّف مرسيا إلياد الهرمسيّة بأنها مجموعة المعتقدات والأفكار والتطبيقات المنتقلة في الأدب الهرمسيّ. والمقصودة بذلك مجموعة من النصوص ذات القيمة غير المتساوية المحرّرة بين القرن الثالث قبل المسيح وبعده. ويميز عادة بين صنفين منها: الكتابات العائدة للهرمسيّة الشعبيّة (تنجيم، سحر، علوم خفية، كيمياء.. إلخ) والأدب الهرمسيّ العلمي، وبالدرجة الأولى، منه السبع عشرة أطروحة باللغة اليونانيّة للمدونة الهرمسيّة. ورغم اختلاف القصد والمحتوى والإنشاء، فإنه يوجد بين المجموعتين نصوص فيها وحدة قصد. (إلياد 2006/ج:2: 209)

كانت النصوص الشعبيّة تاريخياً هي الأقدم ويرجع بعضها إلى القرن الثالث ق.م. أما الأدب الهرمسيّ والفلسفة الهرمسيّة فقد تفتحت بصورة خاصة في القرن الثاني بعد المسيح في الأجواء الهيلنستيّة. ويقول مرسيا إلياد إن الأدب الهرمسيّ ممثليه ودبوره وأساطيره يبدو مصرياً خاصة بالنسبة للنصوص القديمة، وقد عزّزت ذلك اكتشافات الكتابات المصريّة في الفيوم عام 1930 في منطقة نجع حمادي.

وقبل التعرّف على هذه النصوص لا بدّ لنا من التعرّف أو البحث في الشخصية التي تُنسب له هذه النصوص وهو هرمس، فَمَن هو هرمس؟



هرمس مثلث العظمة ومدوّنته

<http://www.wisdomlib.org/egypt/scripture/the-emerald-tablet-of-hermes-trismegistus/doc4919.html>

تُنسب الهرمسيّة إلى هرمس (المثلث العظمة) لأنّه كان نبياً وحكيماً وملكاً). وربما كان لكل أمة قديمة هرمسها فهو عند المصريّين الإله (تحوت أو طوط) وهو عند السومريّين (أميدار أنا) وعند الفرس الإله أهورامزدا (هرمز) وعند الإغريق الإله (هرمس) وعند اليهود (أخنوج) وعند المسلمين (إدريس). ويرى فيستوجير أن جذور الغنوصيّة تكمن في فلسفة أفلاطون وأنها ظهرت كتيار فلسفيّ دينيّ داخل الإمبراطوريّة الرومانيّة بعد أفول العقلاية اليونانيّة في أثينا وظهورها كتيار لا عقلاي في الإسكندريّة الهيلنستيّة الرومانيّة بعد مرورها بأفاميا.

نهلت الهرمسيّة الهيلنستيّة من منبعين أساسيين: هما هرمسيّة بابل وحران وفارس وهرمسيّة

الإسكندرية. فأما هرمسيّة بابل وفارس فقد عرفنا كيف انحدرت من سومر إلى بابل وفارس ودور المندائيّين والحرزائيّين في حملها وإيصالها إلى الإغريق السلوقيّين بشكل خاص. وأما هرمسيّة الإسكندريّة فسنستعرض أهم أفكارها.

والأدب الهرمسيّ العلميّ، وبالدرجة الأولى منه، السبع عشرة أطروحة باللغة اليونانيّة للمدونة الهرمسيّة Corpus Hermeticum، ورغم اختلاف القصد والمحتوى والإنشاء، فإنه توجد بين المجموعتين نصوص فيها بعض الوحدة في القصد، وهذا ما يعيد إلى الذاكرة العلاقات بين التاوية الفلسفيّة والتاوية الشعبيّة أو الاستمرارية بين العبارات "الكلاسيكية" و"الشاذة" baroques لليوجا. وحسب التسلسل التاريخيّ فإن النصوص الهرمسيّة الشعبيّة هي الأكثر قدماً وبعضها يرجع حتى القرن الثالث ق.م. أما بالنسبة للهرمسيّة الفلسفيّة، فقد تفتحت بخاصة في القرن الثاني بعد المسيح. وكما كان متوقّعاً فإن هذا الأدب، يعكس قليلاً أو كثيراً التوفيقيّة اليهوديّة - المصريّة (إذن بعض العناصر الإيرانيّة كذلك) وكان يعرف إضافة لذلك تأثير الأفلاطونية، إلا أنه بدءاً من القرن الثاني ق.م. أصبحت الثنائيّة الغنوصيّة هي السائدة. (إلياد: 2006 ج2: 322).

لقد حرّكت النصوص الهرمسيّة الهيلنستيّة الحياة الفكرية والروحيّة في الشرق الهيلنستيّ والتي يرى فيستوجير أنها من تأليفات القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد في دائرة الثقافة الهيلنستيّة نافعاً إرجاعها إلى هرمس المعروف عند اليهود بأخنوج وعند المسلمين بأدريس. ولعل من الأسماء المبكرة التي مهّدت لهذا التراث الهرمسيّ الهيلنستيّ هي نومينيوس الأفامي ويامبليخوس وسيردون السوري والسيبياد زعيم طائفة الكيسيّين أو الخاصيّين، ثم ظهر كبار المؤلفين الهرمسيّين لهذه الأدبيّات والنصوص وهم بولوس ديمقريط (200 ق.م ومايطون المنحول (القرن الأول والثاني ق.م ثم أبولونيوس الذي أسماه العرب، في ما بعد، باسم بلينياس.

André - Jean Festugiere (1898-1982) Festugiere لعلّ فيستوجير الذي حقق النصوص الهرمسيّة وترجمها إلى الفرنسيّة في أربعة مجلدات ثم درس الهرمسيّة في أربعة مجلدات أخرى، وهو أوسع من قام بالبحث في الهرمسيّة وكشف نصوصها. وقد ظهرت دراسته على الشكل الآتي:

1- المجلد الأول 1944: مقدمة حول المناخ الفكري لظهور الهرمسيّة وعلم التنجيم والعلوم السرية.

2- المجلد الثاني 1949: النظريّة الهرمسيّة حول الإله الكونيّ والإله الخالق.

3- المجلد الثالث 1952: النفس وأصلها وطبيعتها ومصيرها.

4- المجلد الرابع 1953: الإله المتعالي والغنوص.

وبطبيعة الحال لا يمكننا تلخيص أو شرح هذه المجلدات الأربعة لكن فيستوجير رأى أن جذور الغنوصيّة تكمن في فلسفة أفلاطون وأنها ظهرت كتيار فلسفيّ دينيّ داخل الإمبراطوريّة الرومانيّة بعد أفول العقلايّة اليونانيّة في أثينا وظهورها كتيار لا عقلايّ في الإسكندرية الهيلنستيّة الرومانيّة بعد مرورها بأفاميا.

نهلت الهرمسيّة الهيلنستيّة من منبعين أساسيين: هما هرمسيّة بابل وفارس وهرمسيّة الإسكندرية. فأما هرمسيّة بابل وفارس فقد عرفناها كيف انحدرت من سومر إلى بابل وفارس ودور المندائيّين في حملها وإيصالها إلى الإغريق السلوقيّين بشكل خاص. وأما هرمسيّة الإسكندرية فسنستعرض أهم أفكارها.

والأدب الهرمسيّ العلميّ، وبالدرجة الأولى منه، السبع عشرة أطروحة باللغة اليونانيّة للمدونة

الهرمسيّة Corpus Hermeticum. ورغم اختلاف القصد والمحتوى والإنشاء، فإنه يوجد بين المجموعتين نصوص فيها بعض الوحدة في القصد. وهذا ما يُعيد إلى الذاكرة العلاقات بين التاوية الفلسفيّة والتاوية الشعبيّة أو الاستمرارية بين العبارات "الكلاسيكية" و"الشاذة" baroques لليوجا. وحسب التسلسل التاريخي فإن النصوص الهرمسيّة الشعبيّة هي الأكثر قدماً وبعضها يرجع حتى القرن الثالث ق.م. أما بالنسبة للهرمسيّة الفلسفيّة، فقد تفتّحت بخاصة في القرن الثاني بعد المسيح. وكما كان متوقّعاً فإن هذا الأدب، يعكس قليلاً أو كثيراً التوفيقية اليهوديّة - المصريّة (إذن بعض العناصر الإيرانية كذلك) وكان يعرف إضافة لذلك تأثير الأفلاطونية، إلا أنه بدءاً من القرن الثاني ق.م. أصبحت الثنائيّة الغنوصيّة هي السائدة. (إلياد: ج2: 2006: 322).

لقد حرّكت النصوص الهرمسيّة الهيلنستيّة الحياة الفكرية والروحيّة في الشرق الهيلنستيّ والتي يرى فيستوجير أنها من تأليفات القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد في دائرة الثقافة الهيلنستيّة نافياً إرجاعها إلى هرمس المعروف عند اليهود بأخنوج وعند المسلمين بإدريس. ولعل من الأسماء المبكرة التي مهّدت لهذا التراث الهرمسيّ الهيلنستيّ هي نومينيوس الأقامي ويامبليخوس وسيردون السوري والسيبياد زعيم طائفة الكيسيين أو الخاصيين، ثم ظهر كبار المؤلفين الهرمسيّين لهذه الأدبيات والنصوص وهم بولوس ديمقريط (200 ق.م ومانيطون المنحول (القرن الأول والثاني ق.م ثم أبولونيوس الذي أسماه العرب، في ما بعد، باسم بلينياس.

المبحث الثاني: لفلسفة الدينيّة للهرمسيّة

1. الثيولوجيا (اللاهوت):

تقدم الهرمسيّة الفلسفيّة الدينيّة نظرية كونية تقولُ إن هناك إلهين في هذا الكون هما:
1. الإله المتعالّي الذي لا يقبل الوصف والمنزه الذي لا تدركه العقولُ والأبصار والموجود فوق النجوم الثابتة متربعاً على قمة الكون، وهو لا يُعرّف إلا بالسلب ولا يشبه أيّ شيء في العالم كما أنه لا يهتم بشؤون الكون (وهو نظرية أرسطية معروفة) وهو لا يعلم أو يتدخّل بهذا الكون لأنه لا يملك علاقةً مع كون مادّي ناقص. ويتبع كل هذا أن التعرّف إلى هذا الإله مستحيل عن طريق التأمل أو الفكر أو الحواس، أي أن المعرفة الفلسفيّة والدينيّة والعلميّة لا توصل إليه ولأن الكون كلّ لا يدلّ ولا يرشد إليه لأن لا علاقة له به.

2. الإله الخالق وهو الإله الذي تولى صنع العالم السماويّ أولاً فوضع فيه الكواكب السبعة وأفلاك البروج وخلق العالم الأرضي الذي جعله تحت سيطرة العالم السماويّ ثم خلق الإنسان على الأرض وفق الكواكب السبعة، ولذلك يُصنّف البشر إلى سبعة أنواع كلّ نوع يتبع كوكباً في السماء. وقد خلق الإله الخالق الإنسان من جسمٍ مادّي شيرير ميت ومن نفس (أو روح) تنحدر من العقل الكلي (الكويني) وهي جزءٌ خيرٌ سماويّ حيّ حيث تعيش النفس صراعاً مع أهواء ورغبات الجسد.

3. الإله الوسيط (هرمس) وهو الذي يتوسط بين الإله المتعالّي والإنسان بتوسط العقل الكلي ليحاول تخليص النفس من الجسد فهو إله الخلاص وموضّح طريق النجاة. ولكن الخلاص لن يكون للجميع بل لقلّة من العارفين الذين أشرقت في نفوسهم معرفةً لأصلها وتصدت إلى السماء بينما تندمج أجسامهم، بعد الموت، مع جسم الكوكب الذي انحدرت منه وحين تصعد النفس تشاهد ملائكة كثيرين مثل ملاك الحياة، المادة، الفرح، الراحة، الخوف، والإله المنزه عن الرغبات والإله الأورفي (أورفيوس) وتشاهد البرزخ الفاصل بين عالمي السماء والأرض. وقد تسقط بعض النفوس غير الطاهرة بزوابع جوية تنزل بها إلى سحيق جهنم لكن النفوس الناجية تخترق السّمآوات السبع (يقودها الإله هرمس) ثم تصل إلى السماء الثامنة (العليا محفوفة بجوقة من الملائكة حراس الأجواء العليا).

وحين نقرأ أسطورة الخليقة الهرمسيّة في (المدوّنة الهرمسيّة) سنجد هذا النظام الإلهيّ كاملاً حيث يمثل الإله المتعالّي (بوامندريس) وهناك الإله الخالق أو الصانع، أما الإله الوسيط (هرمس) فرمّا تشير له الكلمة الإلهيّة المقدّسة (اللوغوس). وقد يتوحّد (يتطابق) الإله الخالق مع الإله الوسيط في شخصيّة واحدة، وبذلك يكون هرمس هو الوسيط الغنوصيّ في ما بعد والمسيح الغنوصيّ الذي يكون رسلاً من الإله المتعالّي إلى العالم المادي أو الأرض لكي ينقذ الإنسان ويفديه.

2. الكوزمولوجيا (علم الكون):

إن علم الكون الهرمسيّ يقضي بوجود عالمين أساسيين هما عالم النور وعالم الظلمة، حيث يحتضن عالم النور عناصر الخير والألوهيّة وهو عالم لا مادي، بل هو عالم أثيري. ويحتضن عالم الظلام عناصر الشر والشيطنانيّة الذي هو عالم مادي حسيّ. ويرى بعض الهرمسيّين أن عالم النور أقدم من عالم الظلام بينما يرى البعض الآخر أنهما أزليان في قدمهما. ويسود عالم النور

والظلام صراع أبديّ خلاصته كيميّة حلول النور في الظلام وكيميّة انتزاع النور من الظلام. وخلال ذلك الصراع نشهد انتصارات متناوبة للعالمين على بعضهما. وتوضح لنا أسطورة الخليقة الهرمسيّة كيميّة خلق الكون وهذين العالمين في المدونة الهرمسيّة، حيث يروي هرمس مشاهداته الإشراقية في إحدى رؤياه أو أحلامه، والحوار الذي جرى بينه وبين الإله المتعالّي (بوامندريس) الذي سُمّي النص باسمه. ويسمى القسم الأول من المدونة بـ(المبدأ) أي (الخليقة الهرمسيّة) وهي المراحل التي تشتمل، كالعادة، على خليقة الكون وخليقة الآلهة وخليقة الإنسان. وما يهمنا هنا هو خليقة الكون أما خليقة الآلهة فقد شرحناها في الفقرة الأولى وخليقة الإنسان سنشرحها في الفقرة الثالثة. ويمكننا أن نلخص خليقة الكون بالمراحل الآتية:

1. خلق عالم النور والكلمة والعناصر الأربعة (البذور الأولى للنور والظلام): حيث يرى هرمس في بداية رؤياه نوراً يغمر كل شيء ثم يبدأ بالصعود إلى أعلى فتظهر الظلمة في الأسفل. ثم يظهر من النور الكلمة الإلهيّة المقدّسة (اللوغوس) بينما تظهر الرطوبة (الماء) من الظلام وبعد ذلك يظهر من عالم النور النار والهواء بينما يظهر من عالم الظلام الماء والتراب (الأرض) ممتزجين متحرّكين بفعل الكلمة المقدّسة.

أما تأويل هذه الأحاديث فهو أن النور هو العقل (الإله المتعالّي: الأب) أما الكلمة فهو ابن العقل، والعقل والكلمة غير منفصلين لأن اتحادهما هو الحياة.

2. خلق كائنات عالمي النور والظلام: تظهر كائنات النور على شكل قوى لا تحصى من المثل وينفصل النور عن النار التي تنزل إلى الأسفل وتشكل عالم السماء. أما الكلمة الإلهيّة (اللوغوس) فتتنزل إلى الأرض (عالم الظلام) وتتوزع إلى نفوسٍ على الكائنات الأرضيّة مقلدة بذلك عالم المثل البهّي.

3. أنجب العقل الأول عقلاً ثانياً صانعاً هو إله النار والنفوس فصنع المدبرات (الكواكب السبع) التي تغلف بدوائرها العالم الحسيّ ويُسَمّى تدبيرها القدر. أما الكلمة الإلهيّة فصعدت من الأرض واتحدت بالعقل الصانع (لأنهما من جوهر واحد)، وبذلك نزلت العناصر إلى أسفل الطبيعة متروكةً لنفسها محرومةً من العقل فبقيت مجرد مادة.

4. أحاط (العقل الصانع المتّحد بالكلمة) المحيط بالدوائر الفلكية والذي يدورها ومن حركة الدوائر الفلكية خلقت حيوانات بدون عقل مكوّنة من العناصر السفلى (الهواء والماء والأرض) فأنتج الهواء ذوات الأجنحة والماء الحيوانات السابقة والأرض الحيوانات البرية.

ثم تأتي مرحلة خلق الإنسان (النفوس) أو السايكولوجيا.

إن أهم مبادئ الكوزمولوجيا الهرمسيّة هو وحدة الكون والتأثير المتبادل بين أجزائه، فالكون عبارة عن دوائر بعضها داخل البعض الآخر وذات مركز واحد هو الأرض، وتشكل كواكب الدوائر السبعة وأفلاك بروجها أهم هذه الدوائر والأرض خاضعة لتأثير هذه الكواكب ومداراتها بل إن الإنسان نفسه يخضع لتأثير الكواكب ومداراتها. أما طريقة التأثير فتكمن في عمليّة (التجاذب والتنافر) فكل شيء في الكون يخضع لهذه القاعدة حيث تسري روح واحدة في الكون وتتناوب على هذا التجاذب والتنافر.

2. السايكولوجيا (النفوس):

كان هناك من يرى (من الهرمسيّين) أن العالم، رغم الفوضى والشر، إلّا أنه محكوم بإرادة خيرة شاملة تحكمه من الداخل بقوة، وكان هناك من يرى أن العالم شريرٌ وأنه بحكم طبيعته

المادية مكمّن الشّرّ والفوضى، لكنهم يرون أن النفس هي الجوهر الخيّر الإلهيّ الساكن في الجسد الماديّ الشرير، وهذا ما يكون طرفي الصراع الدائم بين الجسد والنفس ولذلك ينسبون صنع العالم الشرير إلى الإله الخالق وينزهون الإله المتعالّي عن ذلك.

وقد صور الهرمسيّون اتصال النفس بأصلها الإلهيّ المتمثّل بالإله الخالق عن طريقين:

1- حيث تسعى النفس لتتحدّ بالله (الإله الخالق) حيث extraversion الأول: هو الاتّصال الخارجي فيذوب الإنسان في الله وينشأ عن هذا السعي والاتّصال بالله ما يُعرف بالأيون الذي هو مشكل هذا الاتّصال. وقد اصطلح المتصوّفة (الإسلاميّون بشكل خاص) على هذا الاتّصال بمصطلحي (الفناء) أو (وحدة الشهود).

2- حيث تعي النفس حقيقة أصلها وطبيعتها الإلهيّة بوصفها Introversion الثاني: هو الاتّصال الداخلي فيكون جزءاً من الإله الخالق، حيث يشعر الإنسان بأن الله حالّ فيه وهذا الشعور مهم جداً إذ لولاه لسكن الشيطان في نفسه. ولذلك يشعر الإنسان بأن نفسه هي محراب أو مسكن الله. وقد اصطلح المتصوّفة على هذا النوع من الاتّصال بمصطلح (الحلول) حيث يصل الإنسان في نهايته إلى مرحلة الكشف والإشراق Illumination أي إشراق الله في نفسه.

ويرسم الهرمسيّون طريقاً لاتّصال النفس بالله أثناء الحياة أو بعد الموت يسمّى طريق المعاد حيث تعرج النفس إلى الله. في حين يسمّى حلول النفس في الجسد بطريق المبدأ حيث تنزل النفس من الله إلى الجسد.

ومن أجل هذا، فالإنسان وحده بين الكائنات الأرضيّة هو في آن واحد فان وخالد، مع ذلك بمساعدة المعرفة، يستطيع الإنسان أن "يصبح إلهاً". وهذه الثنائية، التي تبخس العالم والجسد، تشير إلى الهوية بين الإلهيّ والعنصر الروحيّ للإنسان، وتمازجاً كالألوهيّة، تتميز النفس الإنسانيّة (نوس Nous) بالحياة والنور. وبما أن العامل هو "كلية الشّر" فإنه يجب أن يعود "غريباً" للعالم بهدف إكمال "ولادة ألوهيّة". وعلى ذلك، فإن الإنسان المجدد يحوز جسداً خالداً، لأنه "ابن الله، الكل في الكل". (البياد: ج2: 2006: 325).

وهناك من رأى أن النفس لا يمكن لها أن تسعى (في الحياة) إلى الله وتتحدّ به قبل أن تتعرف، وهي في العالم، على أصلها الإلهيّ. ولذلك وضعوا شرط المعرفة قبل العروج.

النفس إذن تبدأ بالتعرف على الجوهر الإلهيّ الكامن فيها عن طريق التطهير والصلاة والصوم والتقشف والزهد والأدعية فتتكشف لها حقيقتها الإلهيّة وبذلك يمكنها العروج إلى الله عبر مراحل تشرّحها المدونة الهرمسيّة.

3. الإستمولوجيا (علم المعرفة: العرفان الهرمسيّ):

يتطلّب الاتّصال بالله أن تعرف النفس أصلها الإلهيّ ويسمى هذا النوع من المعرفة ب(العرفان) أو (الغنوص) وهو نوع خاص من المعرفة فهي معرفة إلهية وليست معرفة علمية أو أدبية، ولذلك فإن تحصيلها يختلف عن تحصيل الفلسفة أو العلم أو الأدب. فالمؤمن يحصل عليها بالكشف الذوقي أو بالإشراق المفاجئ في القلب، أي أنها ليست معرفة عقلية بل شعورية (وربما شعورية) ولكي يحصل المرء على هذا النوع من المعرفة (العرفان) عليه أن يتطهر ويتخلّى عن ملذاته ولا يلبس حاجات جسده كما يجب وأن ينصرف للتأمل في ذات الله.

إن هذا النوع من المعرفة لا يتطابق مع المعرفة التي نألّفها فهي معرفة وجدانية تعتمد على الإشراق والكشف لا على تراكم المعلومات وتحليلها.

ثم أن هذا النوع من المعرفة يقتضي النظر إلى النصوص الدنيّة (بشكل خاص) على أن لها

مستويين الأول (ظاهر) وهو ما يدركه العامة وهو البين الواضح من هذه النصوص، والثاني (باطن) وهو ما يدركه الخاصة والمحمل بالرموز والذي نصل إليه بالتأويل. وتحدث (المدونة الهرمسية) عن المعرفة باعتبارها صنو العقل والخلود بحيث أن الذين يبقون في الجهل يحرمون من الخلود، حيث يخاطب الله هرمس ويقول له: إذا كنت قد انتهت فقل لي لماذا استحق الموت أولئك الذين فارقوا الحياة؟ فيرد هرمس: لأن الأصل الذي منه الجسم البشري هو الظلمة القائمة التي خرجت منها الطبيعة الرطبة، هذه التي منها تكوّن الجسم في العالم الحسي، الجسم الذي يرتوي منه الموت. ثم يسأله الله: لماذا كان من عرف نفسه يعود إلى نفسه كما قال الله؟ فيرد هرمس: لأنه من النور والحياة ربّ كل شيء، الرب الذي أنجب الإنسان، قال: أنت تقول النور والحياة.. ذلك هو الله الأب الذي منه كان الإنسان فإذا تعلمت أن تعرف نفسك بوصفك مصنوعاً من الحياة والنور ومكوّناً من هذين العنصرين، فإنك ستعود إلى الحياة. (الجابري 2010: 266 - 267).

وتؤكد الأبيستمولوجيا الهرمسية على أنه ليس هناك فصل بين العلم والدين، وبذلك تكون الهرمسية قد أعادت الوحدة بينهما (مثلما كان في الحضارات القديمة) وعادت بالأمور إلى ما قبل ظهور الفلسفة الإغريقية عندما انفصلت الفلسفة (بوصفها إنجازاً علمياً) عن الدين. أي أن الهرمسية عادت إلى دائرة الدين بل وإلى دائرة السحر تحديداً. والفلسفة الهرمسية ذات هيكل مثولوجي خفي تستر بالمفاهيم الإفلوطينية وأحياناً الأرسطية فهو خليط فلسفي أسطوري يبدو وكأنه يروي قصة هبوط إله وصعوده، حيث ينشأ عن هبوطه خلق العالم والإنسان والروح وينشأ عن صعوده نهاية الإنسان والعالم وعودة الروح إلى هذا الإله.

طريق المبدأ أو الخليقة:

1. **العقل الأب:** تبدأ حركة العقل الأول من حركة (النور) الذي يناظر العقل الأول حيث يرتفع النور إلى أعلى وتظهر ظلمة داكنة رطبة مرعبة إلى الأسفل كأنها أفعى (وهذا تشبيه أسطوري يذكر بالأفعى الأولى في الأساطير السومرية وهي نمو ونون المصرية والكاؤوس الإغريقية.. إلخ). ينتج عنها ظهور النار، أما من النور فينتج عنها الكلمة التي تحتضن الطبيعة (وتمثل الإله الابن الصادر من الإله الأب الذي هو العقل الأول أو النور) ثم تصعد النار إلى الأعلى ويتبعها الهواء بينما يتكون في الأسفل الأرض والماء.

2. **العقل الإبن:** بما أن العقل الأب ذكر وأنثى في الوقت نفسه فقد أوجد:

أ. **العقل الصانع:** وهو إله النار والنفس الذي صنع المدبرات (الكواكب) السبع التي تغلف بدوائرها العالم الحسي، ويسمى تدبيرها: القدر. ثم اتحدت كلمة الله مع العقل الصانع (لأنها من جوهر واحد) تاركة العناصر تنزل إلى أسفل صوب الناحية الخاصة بالطبيعة والتي تركت وحدها محرومة من العقل فبقيت مجرد مادة. وعندما دارت دوائر الأفلاك ظهرت حيوانات في الطبيعة بدون عقل أي أنها مكوّنة من العناصر التي كانت تتجه إلى أسفل (الهواء والماء والتراب) فأنتج الهواء ذوات الأجنحة وأنتج الماء الحيوانات السابحة وأنتج التراب أو الأرض الحيوانات البرية والأليفة.

ب. **الإنسان السماوي:** أنجب العقل الأب (وهو أخ الإله الصانع) وكان شبيهاً بالأب فأعجب الأب بابنه لأن الله أحب صورته في ابنه وسخر له جميع مخلوقاته.

دخل الإنسان السماوي كرة عالم الخلق فرأى مصنوعات أخيه من الكواكب السبعة فأشركته معها في تدبيرها وربتها فاطّلع على ماهيتها وشاركها في طبيعتها أي اكتسب منها نورها ثم

اخترق مداراتها وإذا به وجهاً لوجه مع الطبيعة. فلما رأت الطبيعة (عالم المادة والكائنات الفانية والمحرومة من العقل) هذا الكائن السماويّ المضيء وقد تحلى بالجمال الخالد ابتسمت له حباً وعشاقاً ورأى هو صورته المنعكسة على الماء فأحبها وأراد أن يسكن هناك. فلما فعل ذلك وسكن الطبيعة المحرومة من العقل واحتضنته الطبيعة فاتحداً لأنهما كانا يحترقان عشقاً أحدهما إلى الآخر. وهكذا حصلت الخطيئة بالحب.

3. الإنسان الأرضي: أنجبت الطبيعة من الإنسان السماويّ سبعة كائنات آدمية، تناظر بعدها طبائع المدبرات السبع، كان كلٌّ منها ذكر وأنثى في آن واحد، وقد ولت وجهها جميعاً نحو السماء.

انفصلت الحيوانات والكائنات الآدمية السبع، التي كانت كلها ذكراً وأنثى في الوقت نفسه، إلى صنفين صنف الذكور وصنف الإناث وأمرها الله بالتزاوج فتزاوجت وتكاثرت بمساعدة العناية الإلهية وبتوسط مجموع الكرات السماوية.

وهكذا تكون الجسد البشريّ الذي هو الظلمة القائمة التي منها خرجت الطبيعة الرطبة، ولكن داخل هذا الجسد هناك نور (ولا تسمّيها النصوص نفس أو عقل). وهذا النور الذي يحمل طبيعة الإنسان السماويّ والعقل الأب محبوسٌ داخل الجسد وعليه أن يعود إلى أصله.

طريق المعاد أو المعراج السماويّ:

1. إذا كان الإنسان متوجهاً نحو الشهوات غارقاً فيها فإنه عندما يموت لا تتحرر روحه إلى الأعلى، فيقوم الشيطان برشقه بسهام من جهنم. وبذلك يستمر هذا الإنسان في توجيه رغباته نحو الشهوات بدون حدود، يقتل في الظلام دون أن يشبعه شيء. وهذا ما يعذبه ويُلهب باستمرار النار التي تحرقه.

أما الإنسان الذي عرف نفسه وابتعد عن الشهوات، فإنه عندما يموت يفسد جسده وتختفي صورته فيتزك للشيطان أنه العادية التي تعطل عن الشعور وتعود قواه الغضبية والشهوانية على الطبيعة المحرومة من العقل، أما هو فيصعد بحواسه الجسمانية إلى السماء ليصادف الكواكب.

2. في عالم الكواكب وهيكلها يتزك الإنسان حواسه في كل كرة كوكبية وكما يلي:

أ. القمر: يتزك فيه قوة النماء والنقصان.

ب. عطارد: يتزك فيه قوة الخبث والاحتيال.

ج. الزهرة: يتزك فيها وهم الرغبة.

د. الشمس: يتزك فيها كبرياء الحكم.

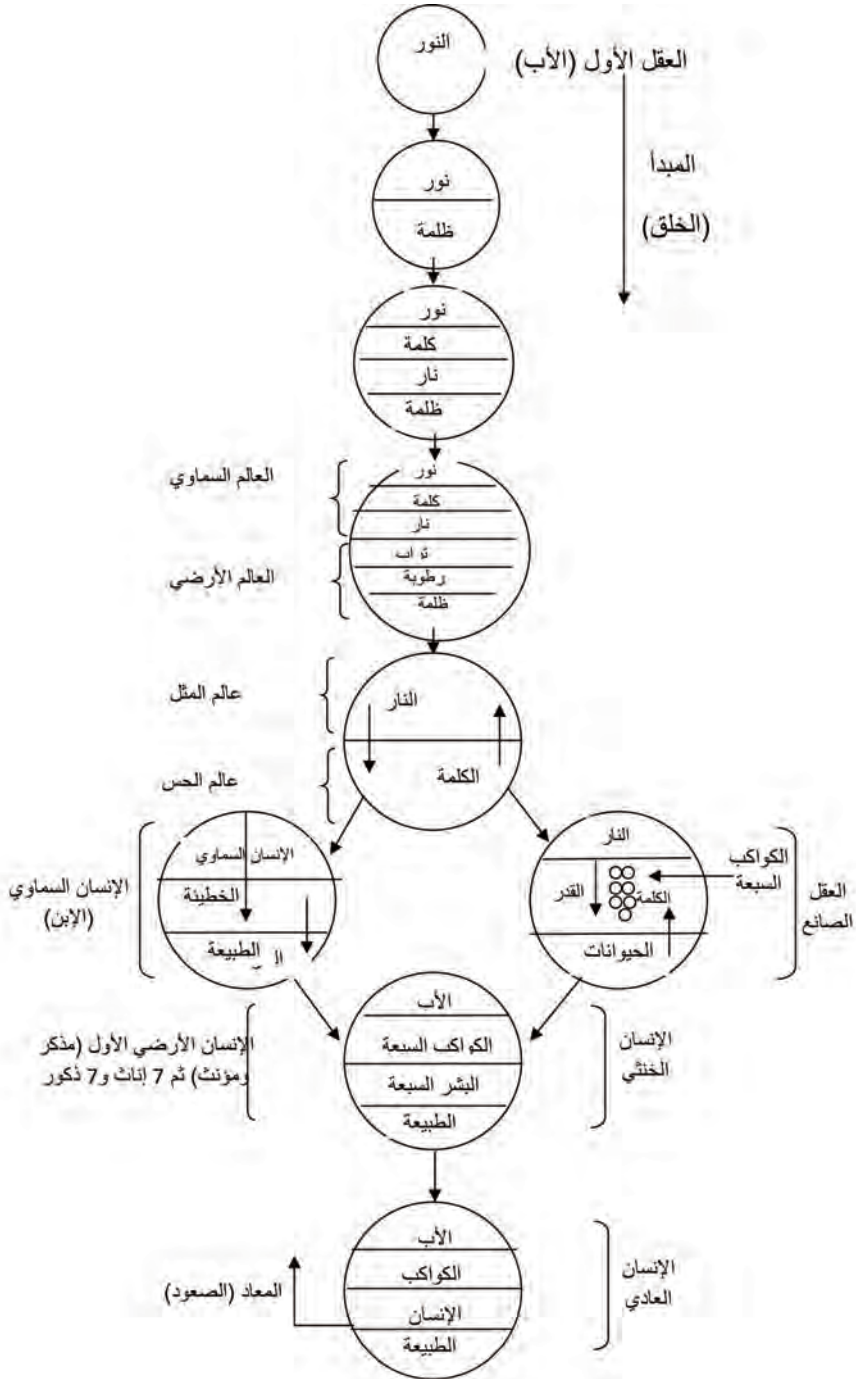
هـ. المريخ: يتزك فيه التهور الكافر والادعاء الكاذب.

و. المشتري: يتزك فيه الشهوات المحرمة التي يولدها الغنى.

ز. زحل: يتزك فيها الكذب الذي يكيد كيداً.

3. يصل السماء الثامنة متحرراً مما خلقت فيه طبائع الكرات الفلكية، لا يملك غير قوته الذاتية فيسبّح للأب مع القوى التي يسمعها تسبّح، ويتوجه مع الحضور ويصعدون، في نظام بديع، نحو الأب مسلمين أمرهم للقوى فيصيرون مثلها ويتحدون بالله، لأن ذلك هو النهاية السعيدة لمن يملكون العرفان، نهاية أن يصيروا هم الله. هذا هو شرح خلاصة النص الهرمسيّ (بوامندريس) الذي كان على ما يبدو أساس الإفلوطينيّة والغنوصيّة معاً.

الهيكل الهرمسيّ (المبدأ والمعاد)



المبحث الثالث: الحرّانيون كنموذج هرمنيّ مشرقّيّ

تاريخ حرّان

تقع مدينة حرّان في أرض الجزيرة العراقية قرب منابع نهر البليخ بين الرها وراس العين وتقع الآن جنوب شرق تركيا. وربما كانت حرّان آخر المدن الوثنيّة في الشرق الأدنى التي استعصت على اكتساح الأديان التوحيدية (المسيحية والإسلام)، فقد ظلت تحفظ بطابعها القديم وديانتها العريقة إلى القرن الرابع عشر الميلاديّ. وهذا أمرٌ عجيب لا يفسره شيء إلا عراقة هذه المدينة ومحيطها القديم.

ينقسم تاريخ حرّان إلى التصنيفات الآتية:

1. العتيق (9000 - 3000) ق.م.: ويمثل عصور ما قبل التاريخ، حيث تنهض في 9000 ق.م. مدينة جوبكلي تبه Gobekli Tepe التي تقع شمال موقع مدينة حرّان. وتنتشر تأثيراتها المذهلة عليها حيث المعابد المبكرة فيها، وقد أظهرت الحفريات الأخيرة فيها وجود أقدم معبد في التاريخ يشبه الستونهنج ويعود للألف العاشر قبل الميلاد. وكانت حرّان ضمن محيط جوبكلي تبه التي تعود إلى العصر الميزوليتيّ.

2. القديم (3000 - 539) ق.م.: أصبحت حرّان إحدى مدن ما بين النهرين وتأثرت بثرائه وتقلت في تاريخها حسب مراحل العراق القديم وكما يلي:

في العصر السومريّ: عثر في حرّان على أختام اسطوانية سومرية الطابع تدل على النفوذ السومريّ، وتذكر التوراة أن إبراهيم هاجر من أور إلى حرّان وربما كان هذا العصر هو بداية اهتمام المدينة بعبادة القمر وعلاقتها الوطيدة بمدينة أور السومرية وهي مدينة الإله القمر. في العصر البابليّ القديم: ظهرت أول تسمية للمدينة وهي (حرانوا Harranu) ومعناه الطريق حيث كانت المدينة محطة للتجارة بين البحر المتوسط وسهول الفرات الأوسط.

في العصر الآشوريّ: ذكر اسم حران لأول مرة في حوليات أدد نيرايي الأول الذي فتح حصن خراني kharani وضمها إلى دولته. وهناك ما يشير إلى أن شلمنصر الثالث قام بتجديد وترميم المعبد المحلي لإله القمر في حران (هول هول) وكان الإله الحراني سين واحداً من آلهته. وكذلك قام العاهل الآشوريّ آشور بانيبال بترميم هذا المعبد وعين أخاه الأصغر (آشور تيل شاما إيرسيتم باليتسو) الكاهن الأعلى للإله سين. وأصبحت (حرّان مدينة الآشوريّين الطامحين لاستعادة عرش آشور بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية فقد تركز فيها آشور أوبالط الثاني بين (611 - 606) ق.م. منادياً لنفسه ملكاً لآشور وسانده الجيش المصريّ لكن نبوخذنصر هزمه.

أصبحت حرّان جزءاً من إمارة بيت نهرين وأخذت طابعاً آرامياً في الألف الأول قبل الميلاد.

في العصر البابليّ الحديث: أصبحت حران مدينة الإله القمر بامتياز وكانت أدد كبي كاهنة المعبد وهي أم نبونائيد الذي حاول تجديد العقيدة البابلية من خلال الإله القمر. وهكذا أعاد بناء معبد القمر (هول هول) في عام 553 - 552 ق.م. ومعها مدينة حرّان بكاملها.

وكان اهتمام نبونائيد بالإله القمر وبحران سبباً من أسباب سقوط الإمبراطورية البابلية الحديثة ودخول كورش إليها مستعمراً ومفتتحةً عصرًا طويلاً من الحكم الفارسيّ لوادى الرافدين كله وذلك في 539 ق.م.

3. الوسيط (639 - 539) ق.م.:

1. في العصر الأحميني: بقيت حران مستعمرة ضمن الإمبراطورية الفارسية وظلت ديانتها القمرية حاضرة وتزايد ميلها إلى عبادة الكواكب السبعة وظهرت لهذه الكواكب معابد كثيرة.
2. في العصر الهيلنستي: عند اجتياح الاسكندر المقدوني آسيا الصغرى والشرقين الأدنى والأقصى، أصبحت حران جزءاً من الإمبراطورية المقدونية (احتلتها عام 336 ق.م. وأخذت الطابع الهيليني الإغريقي والهيلنستي وأصبحت حران نموذجاً للمدن الهيلنستية في ثقافتها وديانتها فقد مزجت بين الديانة الراقدينية الآشورية بشكل خاص والديانة الإغريقية والفلسفة الإغريقية. فكوّنت مزاجاً هيلنستياً غنوصياً فريداً ظل يتردد أثره في التراث الإسلامي من خلال أدب إخوان الصفا والدروز بشكل خاص، وحينما حلت المسيحية في المنطقة ظلت حران صامدة أمامها ولم تتأثر بها إلا لملماً. سميت في عصر الاسكندر (كاران) وفي العصر الهيلنستي (هلينوبوليس) أي مدينة الهيلينيين أو المدينة الوثنية.

3. في العصر الفرثي: كانت حران مكاناً للصراع بين الفرثيين والرومان ورغم ذلك ظل الحرانيون يتعبدون الكواكب بمسحة هيلنستية ولم تؤثر عقائد الفرثيين ولا الرومان في ديانتهم كثيراً.
4. في العصر الساساني: احتل شابور حران عام 241 ق.م. ثم تراجع عنها بعد عام ليحتلها الرومان لكن شابور الثاني في هجومه الكاسح عام 539 دمرها تماماً. وتعين أول أسقف لها في 361 ق.م. وهو (بارسيس) رغم عدم وجود مسيحيين فيها وأصبحت علاقة البيزنطيين جيدة بحرّان وأنطاكية.

4. الحديث (639 - 1303 م: وهي الفترة منذ دخول المسلمين إلى حرّان حتى هجوم هولاكو الكاسح. ففي عام 639 م. احتل القائد الإسلامي (عياض بن غنم) في زمن الخليفة عمر بن الخطاب شمال وادي الرافدين ووصل إلى الرها (أديسا) ونصيبين وحرّان ودخلها دون قتال حيث كانت تابعة للرّها وأغلب سكانها من النبط والإغريق، وقد وقّع عياض بن غنم اتفاقية معهم وفرض الجزية عليهم وهذا يعني أنه اعتبرهم من أهل الذمة والكتاب. وفي ذلك ما يشير إلى أنهم استعملوا لغتهم السريانية كغطاء ديني وادّعوا بأنهم من المسيحيين مثلهم مثل أهل الرها ونصيبين، ولكنهم في الحقيقة ما زالوا متمسكين بديانتهم الكواكبية الغنوصية التي لم يفصحوا عنها.

في العهد الأموي قام الخليفة عمر بن عبد العزيز بنقل مدرسة الطب من الاسكندرية إلى حرّان، وفي عهد مروان الثاني أصبحت حرّان عاصمة الخلافة الأموية بدلاً من دمشق وهذا تطوّر يدلّ على أن حرّان كانت مدينة عامرة تعجّ بالعلماء والأدباء.. وليست هناك إشارات واضحة على دخول أهلها في الإسلام أما الحدث المهم في العهد العباسي فهو ما نقله (أبو إيشع القطيعي) حول وصول المأمون، وهو في طريقه إلى حرب البيزنطيين، إلى حرّان عام 830 واستغرابه من هبتهم (ذات الملابس البيضاء واللحى الطويلة) وسؤاله عن دينهم وصمتهم، وقد قرر المأمون أن عليهم أن يفصحوا عن دينهم أو يكونوا من أهل الكتاب أو يدخلوا الإسلام أو الموت وأمهلهم لحين عودته من الحرب لكنه توفي قبل أن يعود.. ويقال إنهم اختاروا أن يطلقوا على أنفسهم (صابئة) المذكورين في القرآن حتى ينجوا من العقاب ويتجنبوا ترك دينهم وهكذا شاع مصطلح (صابئة حرّان) عنهم. والجدير بالذكر أن مدرسة الطب الحرّانية وصلت إلى ذروة مجدها في العصر العباسي ويمكننا القول إن الفترة العباسية منذ عصر المأمون شهدت ظهور ما يمكن أن نسميه بـ(صابئة بغداد) الذين كانوا أغلبهم من حران أو من (صابئة حران؟) والذين ساهموا أعظم المساهمات في (بيت الحكمة) وفي نقل التراث الإغريقي في العلوم والطب والفلسفة إلى

العربية لإجادتهم السريانية واليونانية ومنهم ثابت بن قرة (835 - 900م.) الذي لم يترك ديانتَه الحرانية وحفيده ثابت بن سنان ابن قرة الطبيب والمؤرخ، وإبراهيم بن هلال الحراني. تبعت حران لسلطة الفاطميين دون أن تتغير عقيدة أهلها الدينية ثم تحولت إلى ساحة قتال بين السلاجقة والأيوبيين والصليبيين، ومرّ بها الصليبيون ثم الخوارزميون، وحكمها زمن قصير النميرون ومنهم قوام بن وثبان (1040 م.).

وفي عام 1260 استسلمت حران للمغول وقام هؤلاء بتدمير أبراج المدينة ومعابدها ومرافقها وخرّبوها تماماً وفرّ أهلها إلى ماردين والموصل ولم تعد المدينة صالحة للسكن لدرجة أن المماليك عندما انتصروا على المغول عام 1303 وأصبحت حران تحت سيطرتهم لم تعد مأهولة بالسكان. 5. المتأخر (1303 - الآن): ظلت حران مهجورة لزمن طويل ثم أصبحت جزءاً من محافظة (أورفا) التركية.

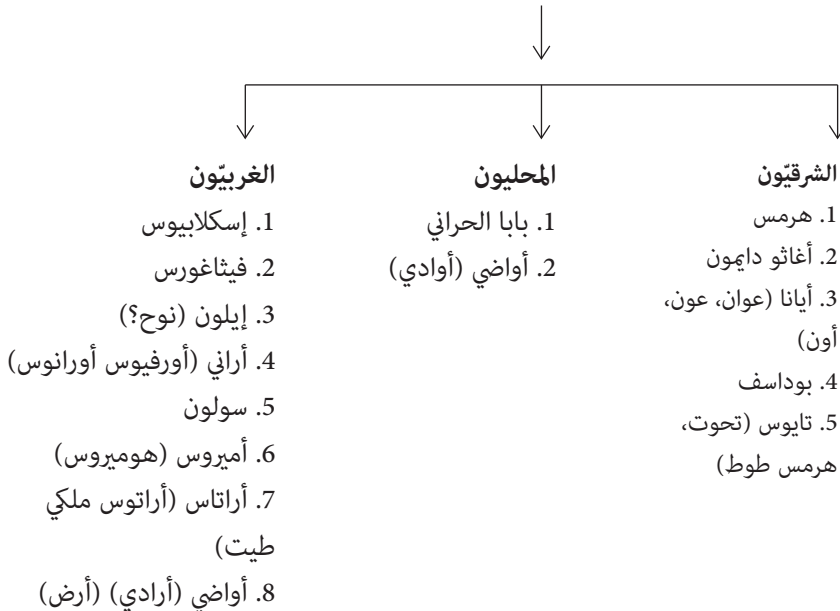
أنبياء حران

بسبب من غياب الرّقم الطينية عن تراث حران الروحيّ وغياب المخطوطات الخاصة بهم فقد تناقلت الأمم والشعوب المجاورة لهم أخبارهم مثل الإغريق والرومان والسريان والعرب، بل وترجم هؤلاء لهم بعض الأعمال الروحية والأدبية هنا وهناك.

ولكن حران في بعض آثارها تذكر أنبياءها الزاخرين وتعتبرهم الآباء الروحيين الكبار لها، ورغم أن بعض أو أغلب هؤلاء الأنبياء لا ينتسبون لها بل هم من أمم أخرى لكن التراث الحراني يعتبرهم أنبياء لحران وشعبها.

وفي الجرود المتوفرة أمامنا لهؤلاء الأنبياء وجدنا أنهم يمكن أن يصنفوا إلى أنبياء شريين ظهرُوا في الشريين الأدنى والأقصى وأنبياء غربيين أغلبهم من الآلهة والفلاسفة والحكماء الإغريق بشكل خاص وهناك أنبياء أو أخبار كبار من حران هم المحليون:

أنبياء حران



الأنبيا الشريقيون: يتداخل الأنبياء الشريقيون لحران مع أنبياء وملوك وآلهة رافدينية ومصرية وهندية مصحفة (مثل بوداسف) وهكذا يكون البحث في هرمس وأعادة ديمون وأيانا وبذاسف وتايوس كأنه بحث في شخصية واحدة لها أسماء عدة عاشت في عصور ما قبل التاريخ. فمن هو هرمس؟

يعتبر هرمس واحداً من أكثر الشخصيات غموضاً في التاريخ وقد تنازعت نسبه أمم كثيرة في روايات ومراجع مختلفة وسنقوم بتلخيص شديد الإيجاز لأصوله المتعددة هذه عند الأمم القديمة:

1. الأصل البابلي: حيث يروى أنه كان بابلياً، ويقرن ببناء بابل بعد الطوفان ويتعزز أصله هذا بارتباطه بعلوم الفلك والتنجيم البابلية وبناء الهياكل أو المعابد الخاصة بالكواكب والنجوم في بابل.

2. الأصل المصري: ويروى أنه كان مصرياً بعد الطوفان وأنه بنى الأهرام ويرتبط بشخصية (امحتب) الحكيم والمهندس المصري الذي هندس بناء الهرم المدرج وكان وزير الملك المصري (الفرعون) زوسر من الأسرة الثالثة في مصر.



أخنوخ صاعداً إلى السماء



تمثال إمحتب

3. الأصل الحراني: حيث يروي الحرانيون أن هرمس هو (بوداسف) الذي بنى هياكل الكواكب في بلادهم.

4. الأصل المندائي: حيث يرد ذكره في كتابهم المقدس (كنزاً ربياً) باسم دنانوخت صاحب الكتب والمعارف الكثيرة الذي صعد إلى السماء ثم عاد إلى الأرض.

5. الأصل العبري: حيث تذكره التوراة على أنه (أخنوخ) الذي صعد إلى السماء، وله سفر باسمه في مخطوطات البحر الميت.

6. الأصل العربي: الذي نادى به المراجع اليمانية حيث رأت في هرمس أخنوخ أو إدريس وهو قحطاني وأباً لـ (صابي) الذي تختلط شخصيته بشخصية إدريس.

7. الأصل الفارسيّ: اسمه عند الفرس (أبجهد) وكان جده (جيومرث) أي آدم في التراث الفارسيّ القديم.

8. الأصل الإغريقيّ: الإله هرمس (رسول الآلهة) وإله اللصوص والمسافرين والتجار وهو ابن الإله زوس من الإلهة مايا وكذلك اختلطت بشخصية باليه (اسكلايوس) إله الطب عند الإغريق. ويرتبط بكوكب عطارد (ميركوري) عند الرومان.



بوذا



هرمس الإغريقيّ

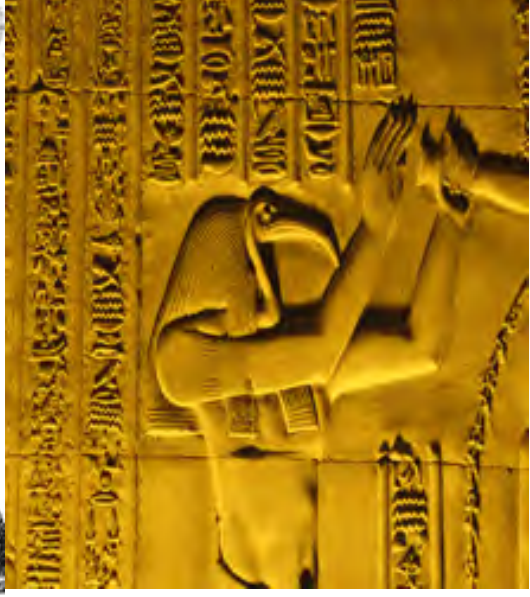
9. الأصل الهندي: بوذا (غوتاما سدهارتا)

والحقيقة أن هناك جدلاً واسعاً حول أصل هرمس وشخصيته المتراوحة بين الألوهية والنبوة والحكمة والملوكية ويعتقد أن تسمية هرمس مثلث العظمة أو المعظم ثلاثاً أو مثلث النعم أو مثلث الرحمة وقد أطلقت عليه لأنه جمع بين (النبوة والحكمة والملوكية) هي ألقاب يجمعها مصطلح (Hermes Trimagestus)، كما ذكره سفر التكوين في التوراة باسم أخنوخ وذكره الإنجيل بالاسم، وذكره القرآن الكريم باسم (إدريس).

وتُجمع المرويات على أنه أول من اخترع الكتابة وأول من كتب الصحف وأول من خاط الثياب ولبسها وفي صفاته ما يدل على اهتمامه بالحكمة والكيمياء والفلك والتنجيم والطب.. إلخ وأنه أول من حصل على الخلود وأول من صعد إلى السماء وغير ذلك كثير.

والحقيقة أننا لا يمكن التوسع، هنا، في البحث عن شخصية هرمس الحقيقية رغم أن الأمر يستحق ذلك، لكننا توصلنا في كتابنا (موسوعة الفلك عبر التاريخ) إلى أن هرمس هو أحد ملوك قبل الطوفان، خلافاً لكل الآراء المطروحة، وقادتنا المقارنات اللغوية والآثارية إلى الإله السومريّ (إنكي) أو (إيا) إله الماء والحكمة والسحر في سومر والذي كان يرمز له بإنسان يلبس ملابس سميكية ظهر في زمن أحد ملوك ما قبل الطوفان وهو الملك (أمينون) وأعطى له معارفه وشرائعه ثم أعطى هذا الملك تلك المعارف والشرائع إلى ملك آخر هو ايفيدوراكوس الذي سبق (أوبار توتو) والذي يُشك بأنه نفسه (زيو سدرا) أي نوح السومريّ.. ولذلك ينحصر بحثنا عن هرمس السومريّ بين (أمينون) و(ايفيدوراكوس) وهما يقابلان الملكين الثالث والسادس من

ملوك سومر قبل الطوفان. ويبدو أن هذه الشخصية انتشرت شرقاً وغرباً ففي مصر ارتبطت باسم الإله (تحوت) وباسم الوزير (امحوتب) وباسم الفرعون خوفو (حيث كان هرمس يسمّى خوفيس الذي يتطابق مع خوفو) وتنسب لهؤلاء بناء الإهرام (لاحظ كلمة هرم لها علاقة بهرمس) وفي بلاد فارس طوبق مع (أبجهد) حفيد آدم الفارسي وكذلك مع (أهورا مزدا) إله النور الذي يقترب من لفظ (هرمز). وفي اليونان ظهر هرمس بمثابة الرسول الملكي.. وهكذا.



صورة متخيلة لهرمس مثلث العظمة
Hermes Trismegistos

الإله تحوت: إله الكتابة والحكمة والقمر

ويتضح من عودتنا للمراجع التي ذكرت هرمس وأهميته أن هذه الشخصية تتمتع بأهمية كبيرة في علوم الأقدمين وتُعزى لها الكثير من المنجزات. لكننا نشك في أن تعاليمه كانت مدونة منه مباشرة، بل كانت شفاهية وتمّ تدوينها في القرون الثلاثة قبل الميلاد في العصر الهيلنستي، في مصر وتحديداً في الاسكندرية وظهرت هذه المدونات كمرجع أساسي لمدونات أخرى باللغة اليونانية ثم اللاتينية ثم السريانية ثم العربية وكلها نصوص موضوعة على لسان هرمس أو إدريس أو اخنوخ ولكنها ليست بالنصوص الأصلية أبداً.. فقد طوى الدهر هرمس ما قبل الطوفان في حدود 3000 ق.م. ولا تتعدى هذه النصوص التي كتبت منذ القرن الثالث قبل الميلاد غير نصوص موضوعة على لسانه ومنسوبة إليه. ولكنها مع ذلك تشير على بعض الأسس التي يمكن اعتمادها كمنطلقات أولى للمبادئ الهرمسية التي كانت أشبه بالعلوم أو التعاليم الخفية ثم أصبحت في العصر الهيلنستي أساس الفلسفة الهيلنستية الإفلاطونية الجديدة وأساس الغنوصية. وهناك ألوس الذي ربما تطابق مع أليوس معلم الحرائين الزرادشتي، كما يقول البيروني.

ملوك ما قبل الطوفان:

تعطينا قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان سواء تلك التي وضعها جاكوبسون (أنظر -Jacob- son 1939) أو تلك التي وضعها فيلر - بلونديل (أنظر روتن: 1980: 42) التي وضعها في القرن الثالث قبل الميلاد المؤرخ البابلي برعوشا (بيرسوس) (أنظر المرجع السابق) وتعطينا هذه القائمة إشارات واضحة تشير إلى أن الملك السومري الأول قبل الطوفان واسمه (ألوم) الذي كان يحكم مدينة أريبدو كان يمارس السحر. وأن الملكين (أوبار توتو) و(زيو سدر) في شروباك كانا يمارسان العرافة.

وقد دارت أخبار متواترة كثيرة في العالم القديم عن (هرمس) الذي كان شخصية غارقة في القديم والتي لَهَا غموض كبير وكان هرمس عالماً وطبيباً وفلكياً..

فمن هو هرمس هذا؟

تقول الانسكلوبيديا الإسلامية إن هرمس هذا "طبقاً لاسمه مثلث العظمة - المثلث بالحكمة والمحبة - ينقسم إلى ثلاث شخصيات: الهرمس الأول يعرف بـ (أخنوخ) (أنوش) و(أدريس) عاش في مصر قبل الطوفان وبنى الإهرامات - أنظر هرمس اسمه أصبح مرتبطاً بها - وحرمات مقدسة أخرى (باري وهي بيوت الحكمة) كتب على جدرانها المنجزات العلمية للرجل الأول ليحفظها من الدمار والفقدان بالطوفان. الثاني (البابلي) عاش بعد الطوفان في أرض بابل وابتدع دراسة العلوم، ولكنه هاجر، طبقاً لإحدى الروايات إلى مصر. الثالث دُون بعد الطوفان في مصر علوماً وحرماً مختلفة تقريباً" (Plessner: 1960: 463)

أما المصادر العربية القديمة فتصفه بما لا يختلف عن الفقرة السابقة إذ يقول ابن النديم في الفهرست "قيل إنه كان أحد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وإنه كان إليه بيت عطارد، وباسمه يُسمّى فإن عطارد باللغة الكلدانية هرمس. وقيل إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب وأنه ملكها. وكان له أولاد عدّة منهم طاطا وصا وأشمن وأثريب وقفت وأنه كان حكيماً زمانه. ولما توفي دفن في البناء الذي يعرف في مدينة مصر بأبي هرمس ويعرفه العامة بالهرمين، فإن أحدهما قبره والأخر قبر زوجته وقيل قبر ابنه الذي خلفه بعد موته". (ابن النديم: ب. ت. 494)

إن هرمس البابلي هذا عاش قبل الطوفان أو بعده بقليل وهذا يعني أنه لم يكن بابلياً بل كان سومرياً لأن جميع المصادر العربية القديمة لم تدرك أو تعرف سومر التي زالت من الوجود حوالي 2006 ق.م. واندثر اسمها تماماً ولم تكشف عنه إلا الحفريات الحديثة وأصبح يطلق على كل ما هو عراقي قديم الاسم المعروف (بابل)، ثم أطلق الإغريق تسمية (ما بين النهرين - ميزوبوتاميا Mesopotamia) وهي تسمية متأخرة.

ولذلك نرى أن هرمس الذي تشير إليه المصادر القديمة قبل الطوفان أنه سومري الأصل ولا يمكن أن يكون بابلياً لأن بابل لم تكن قد وجدت قبل الطوفان وكذلك مصر. أما هرمس الثاني فيمكن أن يكون بابلياً أو مصرياً، وهو في حالة كونه مصرياً يقابل اسم تحوت أو توت (طاط) ويُنسب له بناء الإهرام (وقد اشتق اسم الهرم من هرمس أو العكس). ومن الجدير بالذكر أن تحوت هو إله المعرفة والسحر في مصر القديمة. أما هرمس الثالث فهو يوناني متأخر جداً أخذ عن مصر أو بابل وتسمى به أحد الآلهة الإغريقية وهو الإله الرسول صاحب الأجنحة. فإذا كان الأصل في كل هؤلاء الهرامسة هو ذلك الهرمس السومري قبل الطوفان فمن تراه يكون في تاريخ سومر؟ هل هو عالم أم نبي أم ملك؟

قادتنا المقارنات المعمّقة في التاريخ القديم والقراءات الخاصة التي سنذكر بعضها إلى الوصول

لرأي مفاده أن هرمس هو أحد ملوك سومر قبل الطوفان. وإذا أخذنا برأي برعوشا من "أنه في زمن أمينون ظهر كائن أسطوري خرج من البحر على شكل إنسان وسمكة، وفي زمن ايفيدوراكوس طلع هذا الكائن الأسطوري من البحر واسمه كان (أوانيس كما ورد في الأسطورة - وشرع يعلم ما ينبغي أن يتعلمه الناس، فهو الذي أوحى إلى ايفيدوراكوس بعلم العرافة، ويفيدنا بيروس (برعوشا) بتفاصيل أدق مما تقدمه لنا النصوص البابلية عن وحي العلم المقدس هذا الذي مصدره كائن أسطوري عاش قبل الطوفان". (روثن: 1980: 42).



إنكي: إله الماء والمعرفة بشكل بشري سمي
<http://freepages.history.rootsweb.ancestry.com/~catshaman/262mon/0monu2.htm>

إن هذا الكائن الأسطوري هو الإله (إنكي) أو (إيا) إله الماء والحكمة في سومر والذي كان يرمز إليه بإنسان يلبس ملابس سمكة وأن اسم أوانيس قريب من اسم إيا. ويبدو أنه ظهر في زمن الملك أمينون وأعطى شرايعه في ما بعد إلى ملك آخر هو ايفيدوراكوس الذي سبق ظهور (أوبارتوتو) والذي يشكل بأنه نفس (زيو سدر) أي نوح السومري.. ولذلك ينحصر بحثنا عن هرمس السومري بين (أمينون) و(ايفيدوراكوس). وهما يقابلان الملكين الثالث والسادس من ملوك سومر قبل الطوفان.

وفي المصادر العربية الإسلامية يتحور اسم أمينون إلى آغاميمون ويسميه البعض آغامو ذيمون حيث يقول ابن أبي أصيبعة بأنه كان أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين وتفسيره (السعيد الحظ)، ويقول الأب الكرملي إن معنى (آغاموس ديمون) في اليونانية؛ المبدأ الحسن، وهو الاسم الذي يسمى به اليونان خنوفيس من أشهر آلهة المصريين ويظهر اسم آغامو ذيمون في المصنفات العربية بأشكال شتى منها آغامو ذيمون وآغامو ذيمون وآغامو ذيمون وعاديمون وغارميون وعادميون. (أنظر رزوق: 1982: 97)

وهذا يعني أن اسم عاديمون يقترب من أمينون، وإذا ما رجعنا إلى برعوشا فإننا سنلاحظ أن هرمس الذي تسلّم المعرفة ومنها الفلك هو أمينون. ونرى أن هرمس قد انتقل إرثه إلى جميع جهات الأرض فقد تخفّى باتجاه الشرق تحت اسم (أهورامزدا) وهو إله النور في الديانة الزرداشتية وهو إله شمسي فلكي. ثم واصل رحلته إلى الهند لتنشأ منه الديانة الفيديا (فيدا) تعني الحكمة والمعرفة) وهرمس له هذه الصفات.

وانتشر غرباً باتجاه مصر واختلط هناك باسم الإله تحوت (الحكمة والمعرفة) وظهر لنا (هرمس طوط)، ونرى أن آغامو ذيمون الذي ذكرناه كان اليونان قد اسموا به خنوفيس من أشهر

آلهة المصريين، والذي يلتقي أو يتطابق مع هرمس، وتوضح لنا أسطورة هرمس باني الإهرامات لأن خنوفيس هو اسم قريب من خوفو (الفرعون الذي بنى الهرم الأكبر). وانتشر هرمس شمالاً باتجاه اليونان وظهر في شكل إله المعرفة هرمس الذي كان بمثابة الرسول الإلهي. لقد توضح لنا أن هرمس هو أحد ملوك سومر قبل الطوفان وأنه أقدم شخصية (شبه أسطورية) في تاريخ البشرية اهتمت بالأفلاك وعلوم التنجيم. ومن هنا يأتي اهتمام الحرائين بها لأن ديانتهم ديانة أفلاك وكواكب ونجوم وبذلك يكون هرمس وأشكاله المتعددة الجذر الأنسب والأقدم لهم. ومن المناسب القول إن الحرائين لا يحتفون مطلقاً بآدم وأبنائه قابيل وهابيل وشيت ولا بنوح وأبنائه (سام وحام ويافت) ولا بإبراهيم. وهذا ما يجعلهم مختلفين عن بقية الديانات التوحيدية والغنوصية ومنها المندائية التي لا يصح مطلقاً وضعها أو دمجها مع الحرائية تحت مصطلح فضفاض هو (الصابئة).

الأنبياء الغربيون:

بعد التحري في أسماء هؤلاء الأنبياء الذين ادعى الحرائيون أنهم يؤمنون بهم. اتضح لنا أن هؤلاء يمكن تصنيفهم إلى آلهة ورجال أسطوريين وفلاسفة وأطباء وشعراء.

الآلهة:

حوّل الحرائيون بعض الآلهة الإغريقية إلى أنبياء لهم وهم:

1. إسكلابيوس: وهو إله الطب الإغريقي وتلفظ أيضاً اسكلابيوس أو إسقلاب، وقد عُبد كإله عند الإغريق منذ العصر الكلاسيكي، وقد نبخ على يدي القنطور (خيرون) الذي علّمه فن الطب.



هيجيايا



أسكلابيوس

ولعل حرّان أشهر مدينة طب في العالم القديم منذ نهاية العصور القديمة وبداية العصور الوسيطة حين تحولت مدرسة الطب من الاسكندرية إليها في العصر الأموي ولذلك ارتفع نجم هذا (النبيّ) الحرّاني (الإله الإغريقيّ) وأصبح شعاره رمزاً للمدينة. في الأسطورة تزوّج إسكلابيوس وأنجب خمسة أبناء (3 إناث وولدان):

1. هيغيايا (Hygieia) إلهة الصحة.
2. ياسو (Jaso) إله الشفاء.
3. بناكيا (Panacea) إله العلاج العام.
4. بوداليريوس (Podalirius) الطبيب.
5. مخاؤون (Machaon) الطبيب.



مخاؤون وبودالوريوس

<http://www.humanrecord.com/image/19501/machaon>

- and - podalirius

وقد تطوّر فن الطب على يدي أسكلابيوس لدرجة أنه استطاع أن يعيد الموتى إلى الحياة فقد طلبت إليه أرتميس أن يعيد الحياة إلى الشاب (هيبوليت) الذي قضى نحبه بعد أن هاجمه وحش البحر، ولما رأى زوس أن إسكلابيوس جاوز حدّه البشريّ وتدخل في عالم الموتى أرسل عليه صواعقه وقتله. فغضب أبولو فقتل الصقالبة الذين سخّروا الصواعق لزوس، ففضى زوس أن يقضي أبولو مدة عام في عالم البشر على الأرض وأن يخدم أدميتوس (ملك فيراي) الذي رأى في مقدم أبولو الخير (دون أن يعرف حقيقته) فقام أبولو بتقديم خدمة أخرى له بإطالة عمره فطلب من أحد أن يفترقه فافتدته زوجته (الكسيتس) ففعلت ورمته بنفسها إلى المحرقة، لكن هرقل أنقذها إذ طلب إلى ثاناتوس ملك الموت أن يعيدها إلى زوجها.

وبعد أن قضى أبولو مدة عقوبته عاد إلى جبل الأولمب واستعطف زوس كي يرفع أسكلابيوس إلى مصاف الآلهة فقبل زوس وعند ذلك أقيمت الطقوس والشعائر لإسكلابيوس في إبيداوروس قرب يناييع المياه حيث يتم شفاء المرضى وكذلك في جزيرة كوس وكنيدوس وبرجامون وهذه هي أشهر معابد إسكلابيوس، "وكان المرضى يفدون إلى المحاريب المقدّسة فينامون بالقرب منها بعد تناول حرة مخدّرة وينتظرون أن يزورهم الإله في رؤاهم ليرشدهم إلى طريقة شفائهم الناجعة، وليس ببعيد أن الكهنة كانوا يهيمسون في آذان المرضى المخدّرين فيتوهم هؤلاء أن الإله قد تحدّث إليهم في نومهم". (عكاشة: 1994: 87)

كان الثعبان والكلب والديك رموز الإله أسكلابيوس، الثعبان بسبب سمّه الذي قد يكون دواءً والكلب بسبب المادة التي تشفي الجروح على لسانه حين يلعقها وهي رموز لآلهة الطب في وادي الرافدين والديك لقدرته على الوقاية من السوء وطرد الأرواح الشريرة ومحاربة السحر الأسود. "وقد اقترنت صور الإله بعصا يلتف حولها ثعبان ويرجع ذلك إلى الاعتقاد بأن للثعبان خواص شفائية مثله مثل الكلب الذي يشاهد أحياناً برفقة أسكلابيوس" (علي، عبد اللطيف أحمد: 1971: 87)

وكان أسكلابيوس يلقب بالمنقذ (Soter) وقد دخلت عبادته أثينا عندما انتشر فيها وباء (لعله الطاعون) عام 430 ق.م. أي بعد سنة من قيام الحرب البلوبونيزية وقيل إنه دخل المدينة برفقة ثعبانه المقدس، وهذا معناه أن الأثينيين صنعوا تمثالاً للإله الطب في صورة ثعبان. ورُحِب الأهلالي بمقدم إسكلابيوس، ونظم بعض الشعراء أناشيد في تمجيدِهِ، وقد شيد أول معبد له بالمدينة عام 420 ق.م. (علي، عبد اللطيف أحمد: 1971: 380)

2. أراني: يمكن أن يكون هذا هو كوكب أورانوس وهو الذي سمي باسم الإله أورانوس وهو أحد الكواكب السيارة، وفي المثلوجيا الإغريقيّة هو ابن وزوج الإلهة جيا (الأرض). وكذلك يمكن أن يكون اسم شخصيّة خرافية أسس مدينة (حرّان) وأخذت اسمه وهكذا يمكن أن يكون أخ إبراهيم (حرّان). وعمول كنبى وهناك من طابقه مع (هيرون) الشيخ الحكيم أو (هوروسي) أو أورفيوس المغني الأسطوري الإغريقيّ.

الشخصيات الأسطورية:

1. إيلون: وهو المقابل الإغريقيّ لشخصيّة (نوح) المنقذ من الطوفان رغم استبعادنا لهذا لأنهم لا يقدّسون نوح، ولذلك نرى أنه يمكن أن يكون الإله إيل أو عليون محرفاً، وربما إله الشمس الإغريقيّ (هليموس).
2. أوازي (أرادي) (واليس): ربما كان (عوص) (أوس) الكنعانيّ ويقال إنه منع أكل بعض الخضار في حرّان وربما كان اريدي الذي ذكره ابن النديم في (الفهرست) حيث قال إنه رئيس مذهب (أهل خيفة السماء) دعا إلى مذهبه في طيسفون وما حولها.

الفلاسفة والحكماء والأطباء الشعراء:

فيثاغورس: لعل هذا الفيلسوف، النبيّ هو الأهم بين هؤلاء من ناحية الإغريق فهو يشكل صورة حقيقية لمعتقدات حرّان الهيلنستيّة.



فيثاغورس

<http://www.arwqah.com/vb/showthread.php?t=6737>

الفيثاغورية (نسبة إلى فيثاغورس وأتباعه) أقرب إلى أن تكون ديانة سرّية ذات طابع فلسفي رياضي عميق، ويمكن وضعها مع النحل والمذاهب السرية ولكنها تفوق هذه النحل والمذاهب بنظامها الفلسفي والعلمي الدقيق الذي يجعلها ترقى إلى أن تكون طريقة نظر كاملة في الحياة. الفيثاغورية انعطافاً نوعي في الأديان والفلسفة الإغريقية ولولا القمع الذي ووجهت به الفيثاغورية لأصبح تاريخ الفلسفة الإغريقية مختلفاً، نرى أن الأب الروحي لأفلاطون هو فيثاغورس وليس سقراط، إذ إن سقراط علّم إفلاطون كيفية الجدل لكن فيثاغورس أعطاه المادة المثالية اللازمة لفلسفته. كذلك نرى أن الفيثاغورية هي الجسر الرابط بين هرمسية الشرق والأفلاطونية ولولا هذا الجسر لما ظهر أفلاطون بفلسفته المثالية التي لا شك في أن فيها أصداء من الهرمسية مرّت عبر الأسلاك الفيثاغورية إلى الإغريق.

بعد أن ولد فيثاغورس (572 - 497) ق.م. في اليونان رحل إلى الشرق وزار مصر وبابل واتصل بترائهما ولا شك في أنه نهل من علومهما والديانات التي كانت سائدة فيهما ونرى أنه اكتشف وأطلع في هذين البلدين على العقائد الهرمسية والعرفانية وعلى علوم التنجيم والرياضيات فيهما ويكفينا معرفة نظريته الشهيرة حول استخراج وتر المثلث القائم من معرفة ضلعيه القائمين، وهي النظرية التي ظهرت على ألواح تل حرمل في بغداد من الحضارة البابلية. ولما بلغ فيثاغورس الأربعين عاماً عاد إلى المدن الإغريقية الموجودة في جنوب إيطاليا وتحديدًا في أقرطونا، حيث كانت هناك مدرسة طبية معروفة. وسرعان ما أنشأ فرقة دينية علمية فلسفية تشبه الأورفية وكانت هذه الفرقة ذات طبيعة ارستقراطية مفتوحة للرجال والنساء، ولكنها تعيش على التعفف أو البساطة واتباع تعاليم في الأكل والملبس والطقوس والرياضة البدنية. وكانوا يرون في العلم أهم الطرائق لتهديب الأخلاق والنفوس فقد حوّلوا العلم طقساً شعائرياً ودينيّاً (وهو أمر نادر الحصول). كانت أهم علومهم هي الرياضيات وتأتي بعدها علوم الفلك والتنجيم والموسيقى، ثم الطب والأدب والأساطير.

ويبدو أن الرعاع والمضروبة مصالحهم من الأغنياء عملوا على تقويض هذه الفرقة المتنورة وتمكنوا من ذلك يوم هجموا على المكان الذي كانوا يمارسون فيه تعاليمهم وطقوسهم فأحرقوه، وأحرقوا زعماء الفرقة، ولم ينجُ منهم سوى اثنين بينما كان فيثاغورس بعيداً عن المكان لكنه فرّ من أقرطونا ثم مات بعيداً، ولكن أتباعه واصلوا الأخذ بتعاليمه وأثروا في مدرسة أثينا حتى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد، ثم بعثت الفيثاغورية الجديدة في العصر الهيلنستي في منتصف القرن الأول قبل الميلاد واستمرت بتأثيرها الواضح حتى القرن الرابع الميلادي. ولم يبق من مؤلفات فيثاغورس إلا كتب منحولة منها (الأشعار الذهبية) و(الكتب الثلاثة - المهذب والسياسي والطبيعي).

لقد حافظت الفيثاغورية على أن تكون منظومة هرمسية مكوّنة من (الدين والفلسفة والعلم) وتخلطها ببعضها في نظام واحد ومتجانس. كان مذهبهم المركب هذا يعتمد على الأعداد ونسبها والتي تتبعها دراسة الحركات والأصوات وهو ما قادهم إلى الربط بين الرياضيات والموسيقى وأن العالم يسوده نظام داخلي عميق وتناسب عددي دقيق "ورأوا أن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات، أو أن الموجودات أعداد، وأن العالم عدد ونغم، والأعداد نماذج تحاكيها الموجودات دون أن تكون هذه النماذج مفارقة لصورها إلا في الذهن. والقولان يرجعان إلى واحد مؤداه التوحيد بين عالم الموجودات وعالم الأعداد". (برهيه: 1982: 78)

كان العالم بالنسبة إلى الفيثاغورين أشبه بحيوان كبير حي يستوعب بتنفسه خلافاً لا متناهياً هو عبارة عن هواء في غاية اللطافة ضروري للفصل بين الأشياء ومنعها من أن تتصل فتكون

شيئاً واحداً. أما الأشياء فتتكوّن بالتكاثف والتخلخل، لا يتحول بعضها إلى بعض. ورأوا أن الأشياء لها نظام دوري من التكون والانحلال وهو ما ندعوه بالعود الأبديّ خلال (السنة الكبرى) دون نهاية ولا شكّ في أن هذه الفكرة أخذت من الدورة الكونيّة الكبرى (سار) البابليّة.

وتبعاً لذلك كانت النفس عندهم تخضع لمفهوم الدورة أو العود الأبديّ فهي تتردد بين الأرض والجحيم في حركة أبدية، فالنفس (التي هي علّة توافق الأضداد في الجسد) بعد أن تموت تهبط إلى الجحيم تتطهر هناك بالنار والتعذيب ثم تعود إلى الأرض وتتقمّص جسماً بشرياً أو حيوانياً أو نباتياً وتبقى كذلك بين الأرض والجحيم حتى تتطهر تماماً.

وهكذا فإنهم آمنوا بالخلود والتناسخ، أما إيمانهم بإله واحدة فمشوب بالغموض، ولكنهم يقيناً سعوا إلى تنزيه الآلهة من الكثير من الأساطير والصفات التي لحقت بها من قصص العامة وقد جاء ذلك من طريق التأويل الرمزيّ للأساطير ولقصص الآلهة.

أما العلوم الفيثاغورية فقد نشطت الرياضيات أولاً ثم الفلك الذي أحدثوا فيه إضافات نوعية فهم أول من قال بالكواكب العشرة (وليست السبعة) وقالوا بمركزيّة (النار المركزيّة) في وسط العالم وأن الشمس والأرض والكواكب تدور حولها، وهي نارٌ لا ترى لأنها تقع في مقابل الأرض من الأسفل وقد قام في ما بعد أحد الفيثاغوريين (وهو أرسطرخوس) بجعل هذه النار المركزيّة هي الشمس نفسها وهو أول من قال بمركزيّة الشمس في النظام الكونيّ.

وكانوا يعتبرون صعود النفس إلى الأعلى لا بدافع الالتحاق والالتحام بالإله الواحد بل بدافع تشوق النفس (المنسجمة المتناغمة مع أصوات الكون والنجوم في الأعلى. ودافعوا عن وجود (موسيقا كونية) تجذب النفوس البشريّة وتجعلها تتشوق وتصعد إلى الأعلى من طريق قهر طبيعتها المادية والتخلص من الشهوات، وهو ما نادى به الأورفية. ولكن الفيثاغورية جعلت من موسيقى النجوم والكون سبباً لجذب النفوس والصعود التطهيري إلى الأعلى. وهكذا فإن دورة النفس تكون سفلية تناسخية وعلوية تطهيرية.

لقد كانت الفيثاغورية بؤرة عالية جمعت الأشعة الروحيّة الخاصة للشرق وجعلتها تنفذ إلى العقائد الإغريقيّة الذنيّة والفلسفيّة بنورها حتى يجيء دور إفلاطون الذي سيجمع هذه الأشعة من جديد في بؤرة جديدة ويرمي بها إلى الشرق الهيلنستيّ وهكذا، وهذا ما يجعل من الفيثاغورية "نهضة عظيمة متعدّدة الوجّهات، هي نحلة دينيّة كانت أصدق نظراً في الدين من الأورفية. وهي مذهب فلسفيّ يعد أول محاولة للارتفاع عن المادة التي وقف عندها فلاسفة أيونية، ولفهم العالم والموسيقى والفلك والطب، وعرفت بضع قضايا حسابية وهندسيّة، ووضعت في الهندسة ألفاظاً اصطلاحية. وهي هيئة سياسيّة ترمي إلى إقرار النظام في المدينة على أيدي الفلاسفة". (كرم د. ت: 14)

أومروس: وهو الشاعر الإغريقيّ المعروف بـ(هوميروس مؤلف الإلياذة والأوديسة، وربما وضعه الحرانيون في أنبيائهم لمكانته الكبيرة في التراث الإغريقيّ.

سولون (سولون) (640 - 559 ق.م).

هو أول مصلح اجتماعيّ وسياسيّ كبير. وهو أحد الحكماء السبعة في الإغريق (ومنهم طاليس أول فلاسفة الإغريق). وقد ظهر معه مصلحون آخرون في بلاد اليونان تزامنوا مع وقت ظهوره مثل المشرّع (فيلولوس) الكورنثي الذي وضع دستور طيبة و(ديموناكس) الذي وضع دستور قورينا في (ليبيا). بدأ إصلاحاته بإجراء اسمه (نفض الأعباء) فقد علّق جميع الديون والرهنون التي كان ضمانها المدين أو الأرض "وبهذا تحرّر الفلاحون الذين كانوا قد أصبحوا عبيداً، كما أزيلت أعمدة الرهنون المشؤومة من أراضي أصحابها وزالت معها ديونهم، وأصبح في استطاعة

الذين فضلوا الفرار والنفي على العبودية أن يعودوا إلى أوطانهم، وانتهت الأحوال القديمة الغاشمة إلى غير رجعة إذ تقرر عدم شرعية إقراض المال بضمان شخص المدين. وكذلك حدد صولون مساحة الأرض التي يمكن أن يملكها شخص واحد حتى يوقف اتساع ومو الضياع الضخمة“. (الأثرم: 1996: 133)

تركزت الإصلاحات الدستورية لصولون في مجموعة من الحقول هي السياسيّة والاقتصادية والاجتماعيّة. ففي مجال التشريعات السياسيّة استخدم صولون فكرة تدرج الثروة لتحديد درجة الحقوق والواجبات السياسيّة لكل فرد، أي أنه حدد الطبقة وربطها بالسياسة. أرناس: وهو فلكي وطبيب إغريقيّ.

الأنبياء المحليون:

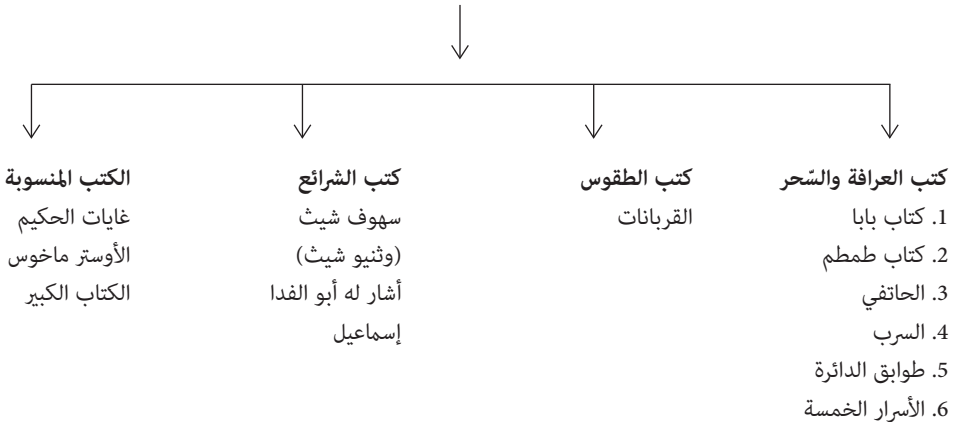
بابا الحرّاني (بابا الصابئي الحرّاني): ربما كان كاهناً كبيراً أو نبياً بسبب تنبؤاته حين أطلق عليه الحرّانيون هذا اللقب (النبّي). ذكره البيروني كـ (رب حرّان) أي كإله الذي ربما كان إلهاً رافدينيّاً باسم (بابا) وهي إلهة سومريّة تدعى بأنها حامية شعب الرؤوس السود من السومريّين، إلهة الطب والزراعة، وهناك آلهة سريانيّة اسمها (بابايا) ربما كانت مصدر التسمية. لكن ديونسيوس برساليبي يذكره على أنه (نبي حرّان) ونقتبس نصّاً من كتابه، وكذلك يقتبس كمال الدين بن العديم نصّاً من كتابه في كتاب (أخبار حلب).

التراث الحرّانيّ

لم يترك الحرّانيون رقماً طينيّة ولا صحائف بردي ولا مخطوطات ورقية تحمل إرثهم الأدبي والدينيّ، لكن هذا التراث تسرب إلى بعض متون المخطوطات السريانيّة والإغريقيّة والعربيّة فحفظته من الضياع.

ويمكننا أن نصنف التراث الحرّانيّ حسب مواضيعه كما يلي:

التراث الحرّانيّ (Haran)



كتاب بابا

عرفنا أن بابا الحراني ربما كان إلهاً أسقط اسمه على كاهن كبير، وربما كان نبياً حرانياً كما يرون هم. لكننا لا نعرف عنه شيئاً سوى كتابه هذا الذي دلتنا على بعض فصوله كتب إغريقية وعربية وعرفنا أنه يشبه كتاب التنبؤات حول ما سيحصل في المستقبل لبعض البلدان والمدن. والنص الذي بين يدينا مقتطف من كتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب) لكamal الدين بن العديم (المتوفى 660 هـ، 1261 م). ويقع في الجزء الأول منه، وهو يخبرنا عما سيحل بحلب والمناطق المجاورة لها، وهذا نصه: "سير إلى ابن تيمية خطيب حران كتاب بابا الصابئ الحراني يشتمل على سبع مقالات ذكر فيها ما يكون في الأزمان، وقيل إنه تكلم بذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثمائة سنة وسبعة وستين سنة".

الجزء الاول ص222 - 223 (SH. REWAYAT2. COM)

قال في المقالة الرابعة: والأسرار الخفية ظهرت لي وانزعجت نفسي، ورعب قلبي أن أتكلم، وتكلمت بغير اختياري لأني أمرت رب الأرباب بذلك حتى أعرف وأبين ماذا يكون في الأزمان، وذلك أنه تنتبه الحبشة الذين هم أفاضل أهل القبلة، ويخرج ملكهم الذي اسمه حسن بقوة عظيمة، ما لا يحويه عدد من كثرته مع دوابهم وسوادهم، وأعوادهم كالحياة، ودوابهم كالسباع تهج، ويكون خروجهم من قبلة المغرب، ويكون عددهم كعدد الرمل والجراد ويكون أشد شراً من الحياة، والشرايين التي على رؤوسهم من الخوص، وهم فارغون من المال والنفقة، ولا في قلوبهم رحمة لوالد ولا ولد، وتجتمع أجنادهم وجيوشهم كالجراد الذي يطير ويعبر البلاد الخربة، ويصل إلى البلاد العامرة، ويملكون بلاد النوبة وبلاد مصر، ويصعدون من هناك إلى دمشق ويفسدونها ويخربونها، ويأتي نهر الأردن وعبر على فلسطين، وينزل على الفرات، وتأمين مدينة الأحبار المسماة ما بوغ - هي حلب، وحينئذ يأتي إليك يا حران، وأنت أيضاً تكونين في الأمن والسلامة، وأهل السماء فيك يسكنون، ويرفع شأن أهل حران إلى المنزلة العليا ويحاربون ويقهرون البر والبحر بعقد قوي، ويطرد واحد مائة وعشرين، ويطرد عشرون لألفين، وكل من لا يقبل منهم ويسمع كلامهم يقتلونه.

وذكر في المقالة السادسة وقال: فصل، إذا ما انتهت مملكة الأهواز يكون قتال عظيم، ويسفك في الأرض دم عظيم، ويكون في المغرب قتال شديد مدة أيام، ومع هذا فالويل لكم يا مدن بهيات، والويل للقرايا والمدن الصغار من شعب نجسه ينجسون الأرض بأعمالهم، وهم الذين لا يعرفون الله ولا يوقرون أهل السماء، سلكوا طريق الشهوات الرذيلة وزاغوا عن الحق، فسخط عليهم أهل السماء، الويل لك يا دمشق البهية يا مدينة حسنة الملك، كيف تخرب أسوارك وتهدم أسواقك إلى الأرض، والويل لك يا بعلبك يا مدينة الشمس، كيف تنتقل قوى الطلسمات التي فيك إلى جبل الباجوك - وهو الجبل الشرقي من حران - ويتبدل بخورك وعطرك وقرايينك، وتصيري إلى الخراب حتى تسمع أصوات الهدم، فيك وأنت يا ما بوغ - وهو حلب - مدينة الأحبار يأتي رجل سلطان ويحل بك، ويعلي أسوارك، ويجدد أسواقك، ويجوز المعين الذي فيك، وبعد قليل يؤخذ منك، فالويل لك، وما تلتقين من القتال والحروب، والويل لك يا سميساط. وقال: فصل، وبالْحَقِيقَةُ أَقُولُ إن الرها تخرب والماء الذي أخذ منها يرجع إلى حران، وتخرّب سميساط، والماء الذي لكوزن يأخذونه إلى القبلة.

وقال في هذه المقالة: وتشال حجارة الرها إلى حران، وبينها بها لحران سور وفصيل، وفي الباب الذي بين الشرق والقبلة يبنى بيت للعبادة، وذلك بأمر من قوة سيدنا الأعمى، وهو أمرني أن أعرفكم بهذه الأشياء، وأقول أن ما بوغ - وهي حلب - تستعير من الأحبار وتكون الأمن

والسلامة على جميع العام.

وقد ذكرنا هذا الفصل فيما تقدم، وأنه انهدم موضع في سور حران في سنة إثننتين وخمسين وستمائة، فاحتيج إلى أن نقل إليه من سور الرها حجارة بني بها ما انهدم من سور حران، أخبرني بذلك خطيب حران، ونقلت ما نقلته من هذا الكتاب على ما فيه من اللحن وركة الألفاظ

بغية الطلب في تاريخ حلب. (ابن العديم 1261: 222 - 223)

مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>

كما يذكر كتاب (الأخلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) لابن شداد جزءاً من النص السابق وكما يلي: "وكانت حلب تُعرف بمدينة الأبحار عند الصابئة. وُجد في كتاب بابا الصابئي الحرّاني في المقالة الرابعة في ذكر خروج الحبشة وفسادهم في البلاد: وينزل على الفرات وتأمين مدينة الأبحار المسماة مابوغ هي حلب. وقال في المقالة السادسة: وأنت ياموغ وهي حلب مدينة الأبحار يأتي رجل سلطان ويحل بك ويُعلي أسوارك ويجدد أسواقك ويحوّز العين التي فيك وبعد قليل يُؤخذ منك، ولما شرع السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في بناية الأسوار والأبرجة بمدينة حلب وعمر البيوقين اللذين أنشأهما شرقي الجامع بحلب أحدهما نقل إليه الحريريّين والآخر نقل إليه النحاسين قال لي بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد بن الخشاب الحلبي وهو من رؤساء حلب وكبرائها وأعيانها: إنني خائف أن يكون هذا الملك الذي يحل بها ويجدد أسوارها ويعمر أسواقها ويُخذ منها. فوقع الأمر كما ذكر في سنة ثمان وخمسين وستمائة الأخلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة". (ابن شداد: موقع الوراق

<http://www.alwarraq.com>

كتاب الأسرار الخمسة

يذكره كتاب الفهرست لابن النديم:

حكاية أخرى في أمرهم وقع إلى جزء قد نقله بعض النقلة من كتبهم ويحتوي على أسرارهم الخمسة فأما أول السر الأول فسقطت منه ورقة وآخر كلمات فيه هذه الكلمات بلفظ الناقل كالخروف في القطيع والعجل في البافر وكحدائث الرجال المعزمين الرعفانيين الأقربائين المرسلين إلى بيت البغداريين ربنا القاهر ونحن نسرّه وأول السر الثاني وهو سر الأبالسة والأوثان فمن كلامهم يقول الكاهن لأحد الغلمان أليس الذي أعطيتني قد أعطيته وما سلمت إلا منه فقد سلمته فيجيب ويقول للكلاب والغربان والنمل فيجيب قائلاً له وما الذي يجب علينا للكلاب والغربان والنمل فيجيب قائلاً يا كمره إنهم إخواننا والرب القاهر ونحن نسرّه. وآخر السر الثاني أيضاً كالخراف في الغنم والعجاجيل في البقر ومثل حدائث الرجال الرعن الافراريين الداخلين في بيت البوغداريين بيت القاهر ونحن نسرّه وأول السر الثالث ويقول أيضاً أنتم بنو البوغداريين أي القول والنظر فيجيب من اتفق ويقول من خلفه نحن ناصتون وآخر السر الثالث وقد يتظهر مثل الخراف والغنم والعجاجيل في قطيع البقر ومثل حدائث الرجال يترددون إلى بيت البوغداريين ربنا القاهر ونحن نسرّه وأول السر الرابع يقول الكاهن من بعد ذلك يا بني البوغداريين كونوا سامعين فيجيب من خلفه من اتفق قائلاً نحن ناصتون فينادي

كونوا ناصتين فيجيبون قائلين نحن سامعون وآخر السر الرابع المتترددين إلى بيت البغداريين ربنا القاهر ونحن نسره وأول السر الخامس يقول الكاهن يا بني البوغداريين كونوا سامعين فيجيبون قائلين نحن راضون فيقول كونوا ناصتين فيجيبون أيضاً قائلين نحن سامعون فيبتدي قائلًا وأي فاني قائل ما أعلم وما أقصر عنه وآخر السر الخامس المتوجهين إلى بيت البوغداريين ربنا القاهر ونحن نسره قال صاحب الكتاب وعدد الأمثال التي تقال من الكاهنة في هذا البيت في هذه السبعة الأيام اثنان وعشرون مثلاً تقال فيهم على سبيل احدثة تنشده وترتل فاما الغلمان الذين يتسمون بالدخول إلى هذا البيت فانهم يقيمون فيه سبعة أيام يأكلون ويشربون ولا تنظر إليهم امرأة في هذه السبعة الأيام ويأخذون الشراب من السبعة الكاسات المصفوفة التي يسمونها يسورا ويمسحون ذلك الشراب على أعينهم ومن قبل أن يقولوا أو يلفظوا بشيء يطعمونهم خبزا وملحا من تلك الأكؤس ومن تلك القرص والفراريح وفي اليوم السابع فانهم يأكلونه عن آخره وقد يكون أيضاً في ذلك البيت قدس من شراب موضوعا في زاوية ويسمونه فاعا ويقولون لرئيسهم فيقرأ مبدع يا كبيرنا فيجيب قائلًا لتملاً الاجانة مسطيرا انتقطا الوتر فهو سر السبعة الغير مقهور قال محمد بن إسحاق الناقل لهذه الأسرار الخمسة كان عطفيا غير فصيح بالعربية أو أراد بنقلها على هذا التقييح والرداءة الصدق عنهم والتحري لألفاظهم فتركها على حالها في بعد الائتلاف وتقطع الكلام وقد كان هارون بن إبراهيم بن حماد بن إسحاق القاضي لما كان يلي بحران واعمالها القضاء وقع اليه كتاب سرياني فيه أمر مذاهبهم وصلواتهم فأحضر رجلا فصيحاً بالسريانية والعربية ونقله له بحضرته من غير زيادة ولا نقصان والكتاب موجود كثير بيد الناس واحتسب هارون بن إبراهيم حمله إلى أبي الحسن علي بن عيسى وفي ذلك الكتاب أمرهم مشروح فلينظر فيه فإنه يغني عن كثير من الكتب المعمولة في معناه. (ابن النديم 1260: 390 - 391)

كتاب الحاتفي

جاء في كتاب الفهرست لابن النديم:

حكاية في الرأس قال الرجل المقدم ذكره انه رأس إنسان صورته عطاردية على ما يعتقدونه في صور الكواكب يؤخذ ذلك الإنسان إذا وجد على الصورة التي يزعمون انها عطاردية بحيلة وغيلة فيفعل به أشياء كثيرة منها يقعد في الزيت والبورق مدة طويلة حتى تسترخي مفاصله وتصير في حال إذا جذب رأسه انجذب من غير ذبح فيما أرى ولذلك يقال فلان في الزيت مثل قديم هذا إذا كان في شدة يفعلون ذلك في كل سنة إذا كان عطارد في شرفه ويزعمون أن نفس ذلك الإنسان تتردد من عطارد إلى هذا الرأس وينطق على لسانه ويخبر بما حدث ويجيب عما يسأل عنه لأنهم يزعمون أن طبيعة الإنسان أليق وأشبه بطبيعة عطارد من سائر الحيوان وأقرب إليه بالنطق والتمييز وغير ذلك مما يعتقدونه فيه فتعظيمهم لهذا الرأس وحيلتهم فيه وما يعملونه قبل أخذه عن الجثة وبعد ذلك وما يتخذونه من جثته أيضاً بعد أخذ الرأس عنها طويل مثبت في كتاب لهم يلقب بالكتاب الحاتفي لهم فيه عجائب من النيرنجات ورقى وعقد وصور وتعليقات من أعضاء حيوان مختلفة الأجناس مثل خنزير وحمار وغراب وغير ذلك وتدخينات وتمائيل حيوانات تنقش على فصوص الخواتيم تصلح بزعمهم لفنون وشاهدت أكثرها منقوشا على فصوص خواتيمهم إلى هذه الغاية وسألتهم عنها فزعموا أنهم يصيبونها في قبور موتاهم القديمة يتبركون بها. (ابن النديم 1260: 386)

كتاب طمطم

وهو كتاب منسوب إلى الهند والنسخ الموجودة بين يدينا من هذا الكتاب منسوخة بتصريف كبير عن كتاب طوطم الهندي الأصل على ما يبدو، وهو كتاب في السحر والعرافة والأوفاق والأبراج والنجوم. فهناك إعادة إنتاج له بصيغة إسلامية بعضها فارسي وبعضها عربي ولذلك لا نملك القدرة على نقل نصوص منه لما يشوبها من هذين التأثيرين الواضحين.

كتب الطقوس

القربانات

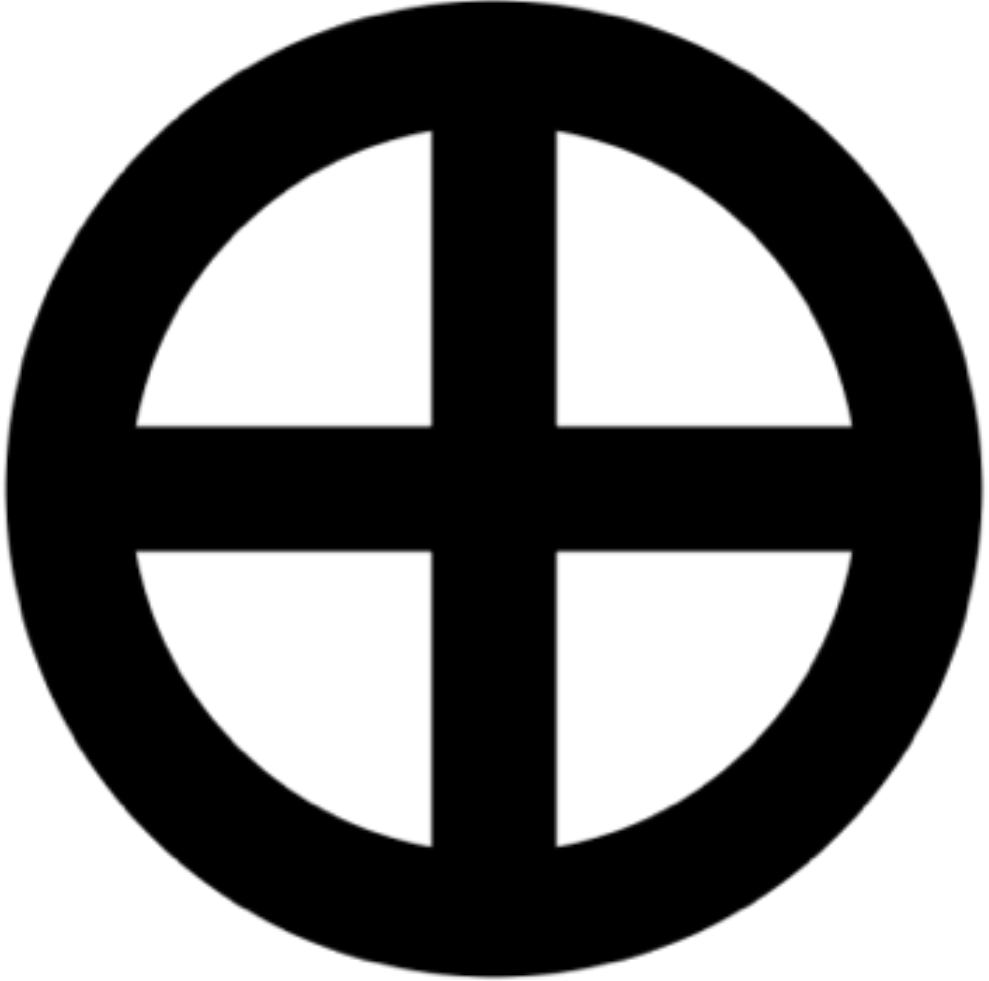
ذكره ابن النديم كما يلي: "نسخة ما قرأته بخط أبي سعيد وهب بن بن اهِيم النصراني من القربانات يوم الأحد للشمس واسمها ايليوس يوم الإثنين للقمر واسمه سين يوم الثلاثاء للمريخ واسمه اريس يوم الأربعاء لعطارد واسمه نابق يوم الخميس للمشتري واسمه بال يوم الجمعة للزهرة واسمها بلثى يوم السبت لزحل واسمه قرنس.

معرفة أعيادهم أول سنتهم نيسان أول يوم من نيسان والثاني والثالث يضرعون لألهتهم بلثى وهي الزهرة يدخلون في هذا اليوم الي بيت الآلهة جماعة جماعة متفرقين ويذبحون الذبائح ويحرقون الحيوان أحياء ويوم السادس منه يذبحون ثورا لألهتهم القمر ويأكلونه آخر النهار ويوم الثامن منه يصومون ويفطر على لحوم الخراف ويعملون في هذا اليوم عيداً للسبعة الآلهة والشياطين والجنّ والارواح ويحرقون سبعة خرفان للسبعة الآلهة وخروفا لرب العميان وخروفا للآلهة الشياطين ويوم الخامس عشر منه يعملون سر الشمال وقربان وتشميس وذبائح واحراقات ويأكلون ويشربون ويوم العشرين منه يخرجون إلى دير كادي وهو دير على باب من أبواب حران يسمى باب فندق الزيت ويذبحون ثلاثة زبرخ والزبرخ فحل البقر واحدا لقرنس الآلهة وهو زحل وواحد لاريس وهو المريخ وهو الإله الأعمى وواحد للقمر وهو سين الإله ويذبحون تسعة خرفان سبعة للسبعة الآلهة وواحد لإله الجنّ وواحد لرب الساعات ويحرقون خرفانا وديكة كثيرة وفي يوم ثمانية وعشرين يخرجون إلى دير لهم في قرية تسمى سبتى على باب من أبواب حران يقال له باب السراب ويذبحون ثورا كبيرا لهرمس الإله ويذبحون تسعة خرفان للسبعة الآلهة وإله الجنّ ولرب الساعات ويأكلون ويشربون ولا يحرقون في هذا اليوم شيئا من الحيوان". (ابن النديم 1260: 386 - 389)

الكتب المنسوبة

وهي لا تقع مباشرة في التراث الحرانيّ الرافيدينيّ الذي نريده، فبعضها منسوب إلى الإغريق مثل (الاستوماخوس) الذي ينسب إلى ارسطو وكتب طلسمية تنسب لأرسطو وهرمس، وبعضها إلى العربيّة مثل كتابي أبي أسحق الصابئي (الدين الصابئي، الكتاب الكبير) وقد تلقي هذه الكتب ضوءاً على الحرانيين وديانته وأدبهم، ولكنها ليست كتباً لهم وتقع كتب أبي إسحاق خارج زمان بحثنا هذا.

الفصل الرابع:
الغنوصية Gnosis



رمز الغنوصية

المبحث الأول: تاريخ الغنوصية

الغنوصية طريقة نظر وفهم خاصة للعالم والمعرفة والدين. والغنوصية كظاهرة تمتد إلى أديان الشرق القديم أما كجهاز معرفي وكفلسفة ورؤيا متكاملة فهي من نتاج العصر الهيلنستي وقد ظهرت قبل المسيحية وأثرت على الأديان السماوية الكبرى (اليهودية والمسيحية والإسلام) وكذلك على الفلسفات والعلوم منذ العصر الهيلنستي ثم العصر الوسيط.

الغنوصية (Gnosticism) أي العرفانية مشتقة من الغنوص Gnose وهي كلمة يونانية الأصل Gnosis معناها المعرفة وقد استعملت أيضاً بمعنى العلم والحكمة وترجم على العربية بصيغة (العرفان). والفرق بين العرفان Gnose والعرفانية Gnosticisme هو أن العرفان حالة خاصة بصفوة معينة من الناس تعني معرفة الأسرار الإلهية، أما العرفانية (الغنوصية) فهي المذاهب الدينية التي ظهرت في القرن الثاني للميلاد تحديداً والتي تدعي أنها مشيدة على نوع من المعرفة فوق المعرفة العقلية وأسمى منها، معرفة باطنية، ليس بأمور الدين وحسب، بل أيضاً بكل ما هو سري وخفي كالسحر والتنجيم والكيمياء.. إلخ (الجابري 2010: 354)

والغنوصية مفهوم ديني يرتكز على أسطورة الخلاص من الخطيئة وذلك من خلال المعرفة Gnosis وكان لها أصولها قبل المسيحية، ولكنها انتشرت في القرن الثاني الميلادي واتخذت صوراً مسيحية ووثنية. المهم في هذه النظرية (من حيث اشتقاقها اللغوي) أن الخلاص فيها يتم عن طريق المعرفة أو الـ Gnosis التي اشتقت منها الغنوصية. وبالتالي فالغنوصي هو ذلك الـ Gnos-tikos أي (العارف أو العالم) و(الغنوصية) هي الـ Gnostike أي تلك الملكة (وهي الاسم المقدر dynamis التي تصفها هذه الصفة) المعرفية، فهذه الملكة المعرفية أو الطاقة المعرفية هي، كما يرى أتباعها، طريق الوصول للخلاص من الخطيئة. (عبد الغني 1999: 231)

الغنوص وأصوله:

ينحدرالغنوص (العرفان من أصول شرقية بعيدة تصل إلى الديانة السومرية التي كان (دوموزي) يشكل أحد أهم رموزها الروحية، وتمثل حالة اختفاء (دوموزي) ونزوله إلى باطن الأرض أو العالم الأسفل (في أسطوره الشهيرة مع إنانا) أول إشارة لنزول إله أو رجل مثاله مثل دوموزي (الذي أصبح تموز عند الأكديين والبابليين) إلى العالم الآخر الباطني العميق والخفي كذلك تمثل أسطورة صعوده إلى العالم السماوي أول إشارة إلى العالم السماوي والرحيل إليه.



دوموزي الإله الراعي في سومر

والعرفان أو الغنوص هو عدم الإيمان بالعالم الظاهر وعدم المشاركة في العالم المنظور والإحساس بالغربة عنه حيث يجد (العارف) نفسه غريباً عن العالم ككل، عن الكون الذي يجد نفسه داخله ومطوقاً به، هو غريب عنه، لأنه يشعر بأنه ليس منه بأنه يختلف عنه جوهرًا وطبيعة، وبالتالي فالوصف (غريب) ينسحب أيضاً على العالم وعلى القوى التي صنعته وتحكمه. (الجابري 2010: 256)

ونرى أن العرفان نشأ من رفض العالم المنظور والتعلق بعالمين غير منظورين أحدهما باطني حيث الأسرار والخفايا، والثاني سماوي حيث الإله الواحد الذي يجب للحاق به والاتحاد معه. كان الإله السومري (دوموزي) إله الحظائر والمراعي ثم تحول إلى إله الخصب عندما تزوج إلهة السماء (إنانا) ثم تحول إلى أحد آلهة العالم الأسفل عندما نزل فيه، وهناك ما يشير على صعوده إلى السماء.

ونرى أن (عبادة دوموزي) كانت أصل العرفان والغنوص كحالة قائمة في الشرق القديم. ومعروف أن عبادة دوموزي انتشرت في الأمم المجاورة بأسماء أخرى (تموز البابلي، أدونيس الفينيقي، أوزيريس المصري، أتيس الفريجي، زيونسيوس الإغريقي.. إلخ). وقد حملت عبادة هؤلاء الآلهة العرفان سرياً معهم في العبادات السرية والخاصة.

ويقيناً أن الكهنة طوّروا مفهوم العرفان على مستوى الطقوس والشعائر التي ظهرت في تلك التراجميات والكوميديات الشعائرية بمناسبة النزول إلى الأعماق أو الصعود إلى الأعلى.

ونرى أن العرفان الذي ظهر في سومر في العقيدة الدوموزية بلغ ذروته وأخذ شكل الديانة والعقيدة العرفانية في عهد آخر ملك بابلي وهو نبونائيد (539 - 556) ق.م. ويسمى أيضاً نبونيد أو نبوناھيت الذي ترك ديانة بابل الرسمية القديمة (ديانة مردوخ) وحاول إرساء ديانة أخرى بديلة عنها كان الإله سين إله القمر أساساً لها بل كان إلهها الوحيد، ونرى أنه كان نبياً موحداً ورث العلوم الدينية عن أمه أدد - كبي كاهنة إله القمر في حرّان.



نبونائيد (آخر ملك بابل)

وقام نبونائيد بصياغة عقيدته الجديدة بعد تأمل طويل في عقائد سومر وبابل القديمة وتوصل إلى أن الخلاص لا يتم إلا بتنقية النفوس والإيمان العميق بالروح الإلهي داخل الإنسان وتتبع مسراه حتى العودة به إلى خالقه الأعلى والابتعاد عن الطقوس الشكلية لجمهرات الآلهة المتعددة. وكانت عقيدة دوموزي (تموز) قد نضجت على يده في صيغة هبوط وصعود للنفس البشرية من أجل الخلاص، وربما اقتبس من عقائد عبادة أوزيريس، المقابل لتموز، فأدخل العقاب والثواب والجنة والنار والحساب في ديانته. وهكذا اكتملت على يديه عقيدة تموز/ البعل/ أوزيريس.. في هيكل قمري ينبض بالأنوثة ويذكر بالديانة الأمومية وجعلها بسيطة خالية من الآلهة المتناسلة حيث الإله الأب (القمر) الذي يرسل ابنه الإله المخلص (تموز) أو (الإبن) لينذر البشر ويقص عليهم قصة الخلق والميعاد أو الهبوط والصعود ويخلص أرواحهم من أجسادهم الفانية.. أي أنه طرح مفهوم خلود الجسد المصري جانباً وأخذ بمفهوم خلود الروح الرافديني ولكن في بناء إسكاتولوجي مصري.

لكن هذا الملك النبي لاقى مقاومة شديدة من قبل كهنة مردوخ والديانة البابلية الرسمية ولكنه وجد صدقاً لعقيدته عند أسرى يهوذا في بابل ونرى أن العقيدة اليهودية تحولت إلى عقيدة يهودية بفعل تلاقحها مع تعاليم نبونائيد العرفانية.. أما نبونائيد نفسه فقد قام بالتبشير بديانته خارج وادي الرافدين فذهب إلى حران (التي كانت معقل الهرمسية) ثم ذهب إلى سوريا الشمالية والجنوبية ووصل إلى شبه جزيرة سيناء في مصر ثم توجه باتجاه جزيرة العرب نحو واحدة تيماء وجعلها عاصمة دينية له وكلف ولده (بلثازار) بحكم بابل نيابة عنه. كانت تيماء قريبة من الحجاز وتلقت دعوته وأصبحت مع بلاد فلسطين مركزاً لنشر دعوته العرفانية.

انتشرت دعوته في جزيرة العرب عند ترحاله إلى مدن يثرب وخيبر ودوان وتخبرنا الآثار عن وجود معابد عدة أنشأها هناك.

وعندما سقطت بابل على يد كورش الفارسي الأخميني (539) ق.م. أسر نبونائيد ورحل إلى بلاد فارس، لكنه استطاع أن يفر من الأسر ويعود إلى جزيرة العرب ليواصل دعوته هناك.

ونرى أن الدعوة العرفانية التي قام بها نبونائيد استمرت بعد وفاته وظهرت في نزعات ومذاهب التوحيد في جزيرة العرب وفي العراق والشام. وستكشف الآثار والبحوث التاريخية عن أهمية هذا الرجل ودعوته ذات يوم.

لقد عبّر العرفان عن نفسه في محاولة الخلاص التي شجعت العقائد والمذاهب الشرقية القديمة السرية منها بشكل خاص عن طريق تلك الطقوس الغامضة التي كان يخضع لها المتعبّدون ويمارسونها.

الغنوصية وأصولها:

العرفانية (الغنوصية) رؤية خاصة للعالم مبنية على أساس معرفي محكم حيث ترى العرفانية أن العرفان الحق لا يتم من خلال العلم الظاهري أو الفلسفة حيث الاستدلال والمعاني المجردة، وإنما من خلال معرفة النفس لذاتها ولأصلها السماوي ولطريق تخلصها من المادة والجسد وطريق عودتها على الله والاتحاد معه لأنها جزءٌ إلهي في الإنسان.

إذن هي معرفة النفس لأصلها وخلقها ومبدئها ومعادها. وهذا النوع من المعرفة خاص جداً لا يعرفه أو لا يحصل عليه إلا أولئك الذين اختارهم الله وهم صفوة من الروحانيين الذي يختلفون عن النفسانيين أصحاب النفوس الفقيرة والجسمانيين أصحاب الشهوات الجسدية. ولا تحصل هذه المعرفة عبر تدرج معرفي وتعلّم متسلسل وإنما تحصل في النفس عن طريق الكشف والإلهام.

ويكون مطلب (العارف) هو توظيف الدين والمعارف الدينية للدفع بالموقف العرفاني إلى أقصى مداه إلى طلب الخلود، إلى الرجوع إلى موطنه الأصلي ويرى بأن هذا (السقوط، الذي أصابه، والذي يتمثل في مغادرته عالم الخلود والارتقاء في هذا العالم المملوء شراً، لا بد أن يكون نتيجة لذنوب، نتيجة لخطيئة ولذلك لا بد من العمل من أجل الخلاص وهكذا يزداد شوقاً وحنيناً إلى العودة إلى حاله الأصلية. إنه يتصوّر (البعث والنشور) على أنه رجوع إلى حال سابقة سامية، حال من الحرية الكاملة، حال ينزع فيها عنه ثيابه وكل ما يشده إلى هذا العالم ليعود إلى الحال التي كان عليها قبل ميلاده، لا قبل تكوّنه الجسماني. إنها النشأة الأخرى Regeneration أو الميلاد الجديد Renaissance إنّه المعاد. (الجابري 2010: 257)

ونرى أن نبونائيد اعتمد في عقيدته العرفانية على الهيكل الهرمسي الذي يمثل القمر أساساً له (وليس الشمس كما الهرمسية اليونانية) وهو ما تركه في أهمية هذا الإله في مصر وكيف شكل تحوت (إله القمر المصري وهو إله المعرفة والحكمة) أساس البرديات الهرمسية قبل العصر الهيلنستي، حتى إذا ما جاء العصر الهيلنستي وطغت الفلسفة الهيلينية الممزوجة بالأديان الشرقية ظهرت المدونات الهرمسية والعرفانية المهجنة بين الهيلينية والمصرية وأهمها على الإطلاق مدونة (هرمس تحوت أو هرمس طوط) التي هي أصل المدونة الهرمسية بوامندريس. العرفانية إذن ذات جذور بعيدة قد يكون أبعدها العرفان السومري، لكن نبونائيد هو الذي صاغ النظرية العرفانية (الهرمسية القمرية أو الهرمسية السينية) ثم ظهرت الفلسفة العرفانية الهيلنستية وبينهما تمّ ظهور دين عرفاني مهم هو (المندائية) الذي قام بربط العرفان النبونائيدي مع العرفان الهيلنستي.

والمندائية ديانة غنوصية (مندا تعني عرفان أو معرفة في اللغة الآرامية) ظهرت في جنوب العراق، وهي ذات جذور قديمة لكن الصياغة الغنوصية لها حصلت بعد نبونائيد.

وفي العصر الهيلنستي كانت الغنوصية قد أخذت شكلها النهائي وجمعت، هي الأخرى، بين أديان الشرق القديمة والفلسفة الهيلينية ونرى أنها (أي الغنوصية الهيلنستية) كانت الرحم الذي ظهرت منه المسيحية خصوصاً في عقائد الخلاص اللاهوتية وأقانيهما الثلاثة. مثلما ظهرت

اليهودية من (الغنوصية النونائيدية) إبان الأسر البابلي لأهل يهوذا.
أما الأصل الهيليني الذي ساهم في صياغة الغنوصية صياغة هيلنستية فنعثر عليه عند إفلاطون
(الذي ترجع فلسفته المثالية إلى أصول هرمنية هو وفيثاغورس).

المبحث الثاني: مكوّنات الغنوصيّة

قالت الغنوصيّة إن العالم والجنس البشريّ ظهرا نتيجة لخطأ فادح ومشؤوم. فالله لم يخلقنا ولم يرد لنا أن نُخلَق.. بل نحن مَنْ صنع إلهاً وضيع، هو ذلك الخالق للكون الذي يعتقد في نفسه خطأ أنه إله، ونحن محكوم علينا بالفناء ولكن الله بالرغم من كونه ليس مسؤولاً عن وجودنا، أخذته الشفقة بالكون وأرسل مسيحه ليُبطل جهل هذا الخالق، وليهبنا المعرفة. فالمسيح هو الصلة بين الإلهيّ وبين ذلك الخطأ التعسّ المسمّى بالإنسان. ودار الغنوصيون حول هذه الفكرة، سيرينش الذي تعلّم في الاسكندرية قال: إن يسوع كان إنساناً، أما المسيح فهو الروح التي غادرته عند الوفاة، باسيليدس - وهو زائر سوري - قال: إنه كانت هناك ثلاث شرائع وهي ما قبل اليهوديّة واليهوديّة والمسيحيّة. وكان لكل حاكم من حكام هذه الشرائع إبن، وهذا الإبن كان يدرك عن الله أكثر مما كان يدركه أبوه. فالأوفيتيون عبدوا الثعابين لأن الأفعى في عدن كانت حقاً رسولاً من الله وهي التي دفعت حواء لتعصى خالق الكون يهوه، وبالتالي إذا رغبتنا في أن نكون طبيين، فعلينا أن نكون خطاة.. (فورستر 2000: 116).

ظهرت الصياغة الهيلنستيّة للفلسفة الغنوصيّة قبل ظهور المسيحيّة وتناولت ثلاث مشكلات أساسيّة سنطرحها هنا بإيجاز:

1. مشكلة الشرّ في العالم: كما قلنا في الفقرة السابقة قام اكسنوقراطيس بتطوير فكرة الإله (الواحد) أو الخير المحض وشرطه إلهيّ الأعلى هو (الواحد) المبرأ من الدنس وهو الخير المحض والذي بعده وهو بمثابة إبنه هو (الإثنين) وهو المشوب بالشرّ الأقل كمالاً ويُنسب له صنع المادة.

قام الفلاسفة الغنوصيون بتطوير هذه الفكرة ووضعوا هيكلًا فلسفيًا فسّروا من خلاله مبدأ التكوين والخلق فلسفيًا وتكوّن تشكيل هذا الهيكل الفلسفيّ الغنوصيّ كما يلي:

1. الهيكل الغنوصيّ الأول:

استقرّ الهيكل الغنوصيّ الأول على أساس وجود ثلاث مراتب فيه، هي:

1. الإله المتعالّي الواحد (العقل الأول): وهو الإله المنزّه الذي لا علاقة له بالعالم (لم يخلق العالم). وهو الخير المحض اللامدرك السكون الرؤوف الرحيم وهو الهاوية وهو ذكر وأنثى معاً.
2. الإله الصانع (العقل الكلي): وهو الذي ولده من ذاته الإله المتعالّي الواحد ليقوم بصنع العالم. وهو إله مشوب بالنقص ويُعتبر مصدر الشرّ ولذلك فهو إله شديد العقاب.
3. المادة الأزليّة: التي هي الشرّ كله وهي من صنع الإله الصانع والإنسان ينغمس فيها حيث الإنسان روح إلهيّة من العقل الأول، لكنها موضوعة في جسد مادي ومحبوسة فيه أي أنها خير داخل سجن من الشر.

إله الخير المحض
الذي لا علاقة له بالعالم
(الأب)



العقل الأول

يلد

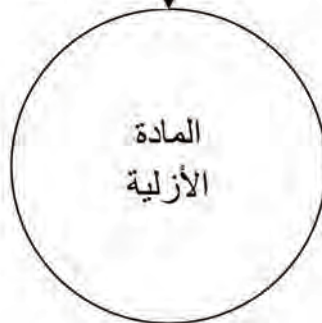
إله الشر القهّار
شديد العقاب (الابن)



العقل الكلي

يصنع

أصل الشر



سُجِنَ فيها العقل الجزئي
(عقل الإنسان)

الهيكل الغنوصي الأول

ويقيناً أن هذا الهيكل الثلاثي يشبه إلى حد كبير ذلك الهيكل الثلاثي المثلثي الذي انتهت له كل أنساب الآلهة الشرقية القديمة المصرية والكنعانية والآرامية التي وصلت على مشارف العصر الهيلنستي بهذا الإيقاع الثلاثي، رغم أن هذا الثلاثي الإلهي الشرقي كان مركباً بصيغة أخرى وهي (الأب والزوجة والإبن) باستثناء الثلاثي الآرامي الذي كان مركباً من (سيميون وسيما وسوما)، حيث سيميون الأب البحري وسيما وسوما أقنومان ذكري وأنثوي ربما مثلاً الجسد والروح..

أما فكرة الإله الأب المتعالي وابنه الشاب الصانع فقد كانت من أكثر الأمور شيوعاً في المثلثية الشرقية.

2. مشكلة الخلاص:

قلنا في فقرات سابقة أن جميع الأديان والعقائد والمذاهب السرية نشأت بسبب مشكلة الخلاص سواء في الحياة أو الموت، ورأينا كيف أن مشكلة الخلاص بعد الموت قد سيطرت على العقائد الإسكاتولوجية المصرية ثم العقائد الشرقية والإغريقية القديمة السرية الطابع. ولا شك في أن الغنوصية كانت قد نشأت أولاً بسبب فكرة الخلاص أيضاً (خلاص دوموزي من العالم الأسفل).. ولكنها مع الصياغة الهيلنستية كانت قد توصلت إلى أفكار جديدة تماماً. ولكي تكتمل فكرة الخلاص الغنوصي لا بد من وضع هيكل تفصيلي للغنوصية في المبدأ والمعاد يكون قادراً على تفسير الخلاص فلسفياً، ولأجل تحقيق هذا استعانت الغنوصية بالهيكل الهرمسي الذي وضعته الهرمسية البابلية، حيث يقول سيرجي هوتن "لقد أخذ العرفانيون من البابليين الأسطورة التنجيمية الكبرى Le grand mythe astrologique الخاصة بهبوط النفس وصعودها: النفس تهبط من السماء العليا عبر الدوائر الفلكية السبع فتتلقى في كل منها استعدادات خاصة، وبعد الموت تتم العملية العكسية فتصعد النفوس تاركة في كل دائرة فلكية ما سبق أن أخذته منها. أما فكرة المخلص الذي يخلص نفسه de sauveur sauve، المنقذ الذي ينقذ أجزاء النورانية المشتتة في المخلوقات الدنيا (الجسم، المحسوسات) وهو بذلك ينقذ نفسه، هذه الفكرة أصلها إيراني". (Hutin 1959: 83).

وكان هذا الأمر يستدعي تعديلاً أو تفصيلاً في الهيكل الغنوصي الأول الذي كان مصدره المباشر إفلاطوني محور. وبالعودة إلى الهيكل الهرمسي نجد أن هناك أربعة مقامات للعقل الأول (الأب) والثانية للعقل "الثاني" (العقل الصانع + الإنسان السماوي) ثم الإنسان (النفس) ثم المادة. وهكذا ظهر الهيكل الغنوصي مختلفاً عن الهيكل القديم والهيكل الهرمسي:

1. العقل الأول (الواحد، الخير، النور) وصفة النور هذه مصدرها هرمسي.
2. الأيونات والأراكنة (الأركونات) وهي أرواح إلهية تصدر عن العقل الأول زوجاً فزوجاً (ذكراً وأنثى)، متضائلة في الألوهية كلما ابتعدت عن المصدر، ويمكن القول إن هذه الأيونات تشكل ما يقابل (العقل الصانع)، وكانت تعتبر بمثابة آلهة الكواكب أو الكواكب نفسها وكان بعضهم يسميها الكلمات والبعض يجمعها في (الكلمة). ويسميتها فيلون الاسكندري بالملائكة أو القوات وغيرهم يسمونها الجن وغيرهم يسمونها الوسطاء (ويروي الغنوصيون عنهم قصصاً غامضة وغريبة).
3. وقد حاول أحد الأيونات (الأركونات) أن يرتفع إلى مستوى العقل الأول (الله) فطرد من العالم المعقول. وعن هذا (الأيون الخاطئ) صدرت أرواح شريرة مثله ثم صدرت المادة أو العالم المحسوس.
4. قام الأيون الخاطئ بحبس النفوس البشرية (الصادرة من الأيونات سالحة، داخل المادة

وهي الأجساد وهكذا خُلِق الإنسان).

5. أصبحت هذه النفوس تتوق للخلاص من سجنها الجسدي وذلك بالتطلع إلى الكواكب ودحر الشهوات الجسدية والتحرر منها وحرب الشياطين والشر ثم الالتحاق بالأيونات ثم بالعقل الأول. وهذا هو طريق الخلاص الغنوصي.
ويُقسم الغنوصيون الناس ثلاث طوائف "متمايزة بالطبيعة لا بالنية والإرادة فحسب: الطائفة الأولى هم الروحيون وهم من أصل إلهي يكفل لهم النجاة، أولئك هم الغنوصيون صفوة البشر، والطائفة الثانية الماديون المركبون من المادة وهي التي تعوقهم عن الصعود فوق العالم السفلي، والطائفة الثالثة الحيوانيون وهم الذين يؤلفون طبقة وسطى قابلة للارتفاع والسقوط، للنجاة والهلاك.. ووسيلة النجاة قهر الجسم واطراح كل ما يتقل النفس ويمنعها من بلوغ المقر الروحاني النوراني الذي هبطت منه". (كرم د. ت.: 244 - 245).

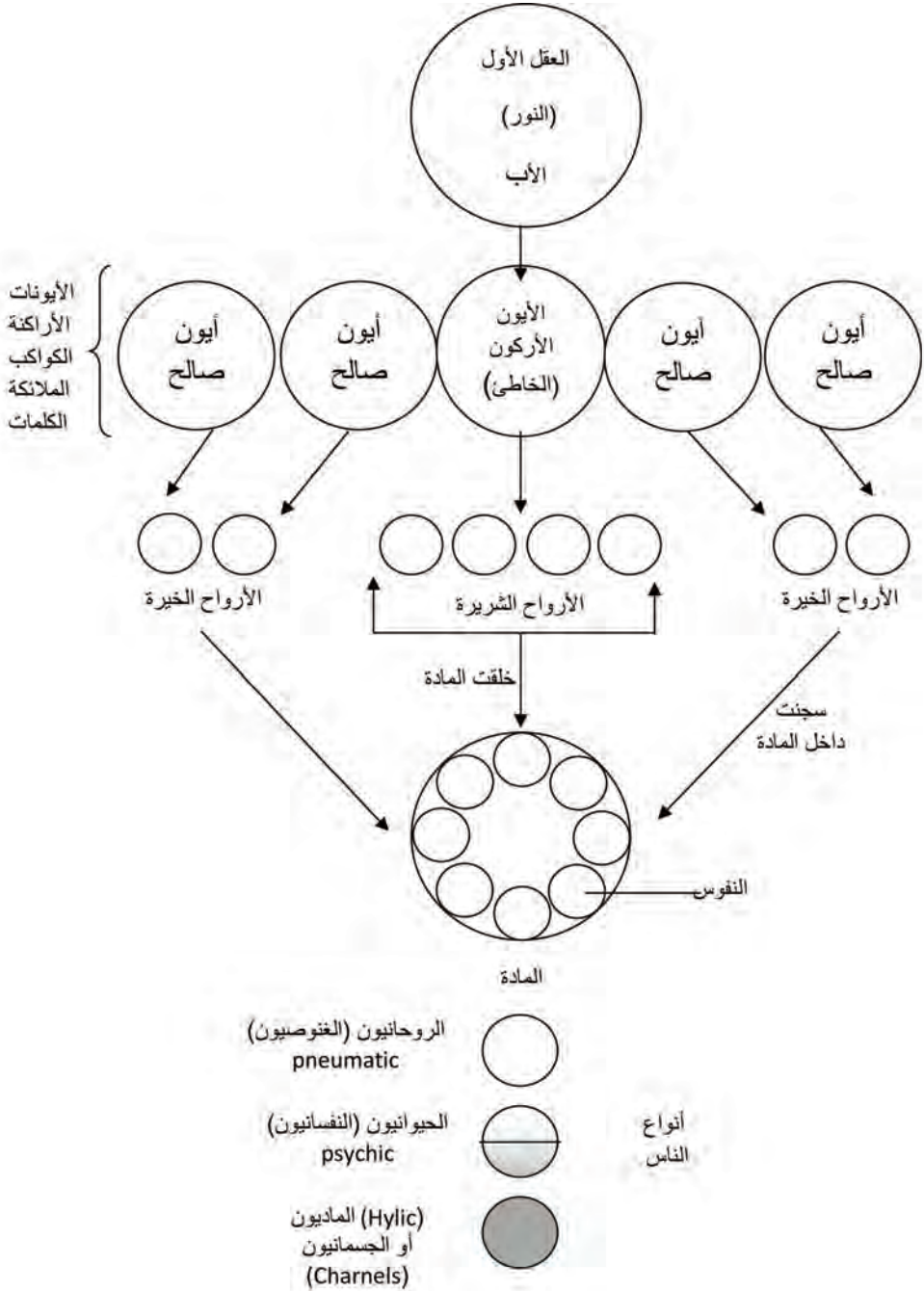
3. الظاهر والباطن:

المبدأ الثالث من مبادئ الغنوصية يترتب على تصنيفها الأخير للناس؛ فعامّة الناس من الماديين والنفسانيين يأخذون المعرفة من العلوم الظاهرة كالفلسفة والعلم التجريبي، أما خاصة الناس من الروحانيين الغنوصيين فيأخذون بالعلم العرفاني الذي هو العلم الباطني.
والعلم الظاهر هو الأخذ بالأشياء والظواهر والنصوص كما هي. ويتم تلقي هذا العلم بالخطوات التعليمية التدريجية. أما العلم الباطن فهو الغوص في أعماق الأشياء والظواهر والنصوص وكشف أسرارها الحقيقية (لا معانيها الظاهرة) ويتم تلقي هذا العلم بالكشف والإشراق المفاجئ في الأبواب والقلوب.. وسرّ هذا الكشف سببه أن النفس أو الروح الغنوصية أو الباطنية الطابع تتلقف بسرعة وبنوعٍ من الومض أسرار المعرفة الإلهية (بشكل خاص)، لأنها مصنوعة من مادة روحية خفيفة مرتبطة بالله أو بالعقل الأول.

وهذه النفوس في تشوّق متبادل مع الله هي تريده وتريد معرفته وهو يريدتها ويريد جذبها ولذلك تختفي الحواجز بينهما، ويمكن تفسير فكرة الوحي على هذا الأساس. فالنفوس الشفافة الإلهية الطابع هي القادرة على تلقي الوحي بدرجة أعلى بكثير من النفوس المادية الظلامية الطابع المكبلة بلذاتها وماديتها.

شفافية النفوس الخاصة هي التي تصلها بالله مباشرة وأحياناً عن طريق الوحي (عند الأنبياء مثلاً). أما أصحاب النفوس المظلمة الهابطة في المادة فلا تتطلع إلى الله، بل تعرفه معرفة العابر وتسحبها دونيتها على المادة والملذات والشر والشيطان والعالم الأسفل.
يرى البعض أن الغنوصية رغم ابتكارها نظاماً روحياً جديداً، لكنها انجرفت في جدل عقيم وتناظر هندسي مرهق في أشكال الأيونات والأرخونات وحركتهما، ويصف مؤرخ الفلسفة أميل برهيه ذلك بالهذيان.

حسبنا أن نقرأ هذا الهداء، الذي يرهن مصير الإنسان بمشاحنة زوجية، ميتافيزيقية، حتى ندرك كم تختلف ذرية الأيونات، تلك الموجودات الأزلية المتولدة عن أزواج من الآلهة، كما تصفها الغنوصية، عن ذرية الأقانيم الأفلوطينية، وكم يبعد هذا الفداء الذي تكون فيه النفس غنيمة تتنازع عليها القوى المصطرعة (تصور شعبي سيعمر طويلاً في الحكايات الخرافية) عن الخلاص الأفلوطيني (هذا إن جاز بعد أن نطلق اسم الخلاص على ما لا يعدو أن يكون معرفة متبصرة بنظام عقلائي). على هذا النحو نرى الغنوصية، التي تمخضت من جهة أولى عن خرافات وحكايا أسطورية تتسع لجميع الصور الدينية التي تسكن عقل الشرقي، ومن جهة ثانية عن عبادات وممارسات تطهيرية ترامت أنصافها وآثارها على امتداد الإمبراطورية الرومانية، نراها لا تعقد إلا صلات غير مباشرة بتاريخ الفلسفة. (براهيه: ج2: 1988: 310)



4.الديانات والطوائف الغنوصية
 الطوائف الغنوصية القديمة (40 طائفة)
 بين (القرن الأول - القرن السادس الميلادي)

الطوائف الغنوصية المتفرقة	الغنوصية المسيحية المبكرة	الغنوصية اليهودية المبكرة	الغنوصية السورية المصرية	الغنوصية الرافدينية - الفارسية
- الأبيليون - الأغابيتيون - أنجليسي - أنتيتاكتي - الأكواربي - الأرخونتيون - الأسكودروتيون - البوبريون - الكوديون ستراتيوتيتون الليفيتسيون الفبيونيتيون - القاينيون - الكاربوكراتيون - سرثيون الآدميون مارسيليون - ماركوسيون - ميساليون - الأوفاتيون الناسيوينس البيراتين - الريسنيالية - السكيونديون - السلوقيون	- الأبيونين - السردونيون - المراقيون - اللوقيانين - الأليكوس - الكولورباسيون - السامونيون - المينانديون - الدوسييون	- المراكبا - البرشيت - هيخالوت - كنيسة الآباء - فيثاغوريو الكرمل - الشافيون - اليوثيليون - الشيشيون - القاينيون	- القوقيون - الباسيليدون - الشيشيون - الفاليسيون - الساتورنيوليون - القوماسيون - الفالنتيون - الهيراقليطيون - البوتلميون	- الشيشيون. - الكسدانيون النبط - المندائيون - المانويون الدهوريون البانسيزيون الأساتي الشنانج - الصابون (السامبسيون) - البارديصانيون - الحرانيون

5. الديانات الغنوصية

رغم أن الغنوصية اثرت في الديانات والمذاهب جميعها الوثنية واليهودية والمسيحية والإسلام، وتدخلت في الفلسفة وصبغتها بلونها وظهرت علوم غنوصية كثيرة إلا أن هناك أربع ديانات غنوصية ظهرت كلها في العراق القديم (وادي الرافدين) وهو ما يعزز افتراضنا الذي وضعناه حول نشوء الهرمسية والغنوصية في العراق القديم.. بل ويعزز افتراضنا حول إعادة هيكلة الغنوصية (العرفانية) على يد نبونائيد الملك والكاهن البابلي الكبير والأخير.

كان العراق القديم بعد سقوط بابل قدراً هائلاً تتخمر فيه عقائد وأديان الغنوص والهرمسيات ولو أن التاريخ قيض للعراق آنذاك مدرسة كبرى مثل الاسكندرية في مصر لكانت عقائد وأديان العراق والشرق (وتحديداً الشرق الأقصى) المدفونة في طيات الزمن قد ظهرت وتفاعلت وكوّنت أعظم تيارات الثقافة والمعرفة. ورغم ذلك ورغم تمزق الهوية الدينية والروحية بل والقومية للعراق القديم لكنه أظهر لنا أربع ديانات غنوصية متميزة ثلاث منها ظهرت قبل المسيحية وواحدة بعدها، وهي (المندائية، الحرانية، الإيزيدية، المانوية).

المبحث الثالث: المندايَّة كنموذجٍ مشرقيٍّ للغنوصيَّة

لم تكن الديانة المندايَّة وليدة العصر الهيلنستي بل هي ذات جذور أبعد من هذا العصر فهي ترتبطُ بوشائج عميقة مع ديانة الأسرار السومريَّة، خصوصاً بعد أن اختفت الديانة السومريَّة، وقد بحثنا في كتابنا (جذور الديانة المندايَّة) عن الأصول السومريَّة للديانة الصابئيَّة المندايَّة. لقد ظهرت بدايات هذه الديانة في شكلها الصابئيِّ من بقايا الديانة السومريَّة وعناصرها المعروفة (الهواء والماء، النور والظلام، عالم ما بعد الموت).. إلخ تلك الديانة الصابئيَّة تعرَّضت لضغط الكثير من العقائد الدينيَّة التي ظهرت في العراق القديم مثل الديانة البابليَّة والأشوريَّة وقبلهما الأكديَّة ونرى أن إعادة صياغة شاملة لها تمت بعد سقوط بابل على يد عناصر كلدانيَّة وأرامية وعلى أساس العرفانيَّة النونائديَّة التي ظهرت منذ منتصف القرن السادس قبل الميلاد. ولأن هذه الصياغة تمت باللغة الآرامية ويأخذى لهجاتها التي هي (المندايَّة) فقد أطلق على هذه الديانة المندايَّة أو الصابئيَّة المندايَّة وربما كانت العقيدة الدينيَّة هي السبب في إطلاق تسمية المندايَّة لأن كلمة (مندا) باللغة الآرامية تعني (العارف)، ولذلك يكون المندايُّون هم العارفون أي العرفانيون على وجه الدقة. وها نحنُ نجد مصطلحاً آرامياً عربياً دقيقاً للغنوصيَّة ظهر قبل ظهور مصطلح الغنوصيَّة اليوناني وهو مصطلح (المندايَّة).

إن المندايَّة هي الغنوصيَّة وهي العرفانيَّة بأدق وأكمل أشكالها وإن من حسن حظِّ الأديان والثقافات البشريَّة أن هذه الطائفة العريقة ما زالت حتى يومنا هذا تمارس عقائدها وطقوسها وتعاليمها في جنوب العراق وفي الأحواز بشكل خاص.

المندايَّة تحتوي، في طياتها، على أقدم عقائد الغنوصيَّة ممثلةً بالنبض السومريِّ فيها وعلى الصياغة الغنوصيَّة النوعية لنونائيد ممثلة بالمندايَّة الآرامية.. ولذلك فهي دين عرفاني خالص يمكن مشاهدته حيّاً اليوم ودراسته عن كتب والخروج منه بنتائج في غاية الأهميَّة عن أصل التوحيد وعن الديانات العراقية القديمة وعن المذاهب الهيلنستيَّة التي خاض بحورها حتى عبر بعدها لجج الأديان الموحدة وصولاً إلى العصر الحديث.

للمندايَّة لاهوت وأساطير وطقوس، كلها، ذات طبيعة غنوصيَّة وكلها نضال ضد الشر وتوجه نحو الخير والنور وكلها توجه نحو خلاص النفس البشريَّة قبل وبعد الموت من عالم الظلام (آلمي دهشوخا) باتجاه الالتحاق بعالم النور (آلمي دنهورا).

المندايَّة والغنوصيَّة

قلنا، في أكثر من مكان، إن المندايَّة هي أصل الغنوصيَّة وهي شكلها النيئ الأول قبل أن تتحوَّل إلى فلسفة وتيارات فكرية غلَّفت العصر الهيلنستيِّ ثم أنبتت بذرة التوحيد الذي أصبح وعاء اليهوديَّة والمسيحيَّة في ما بعد.

بعد سقوط بابل 539 ق.م. استمرَّت الديانة البابليَّة الكلدانيَّة ديانةً لشعوب وادي الرافدين لكنها اختلطت بعقيدتين وفتت رياحهما قبيل سقوط بابل وبُعیده. لقد أتت الديانة اليهودية مع أسرى السبي الأول والثاني لأهل يهوذا وكانت ديانة تفرديَّة وليست توحيدية، عمل في بابل الكاتب عزرا على إعادة صياغتها مع الكثير من الأخبار والكهنة الكبار المسيئين، ثم ولدت

اليهودية في بابل بعد أن كانت ديانة يهوذا واحدة من تويغات الديانة الكنعانية. أما العقيدة الواحدة الثانية فهي الديانة الزرادشتية التي كانت، آنذاك، آخر حلقات الديانات الثنوية الفارسية والتي أصبحت ديانة الغزاة الفرس الأحمينييين لوادي الرافدين والشرق الأدنى. وكانت هذه الديانة تؤمن بعالميّ النور والظلام وبوجود إله وإلهة على رأس كل منهما وبالصرع الدائر بينهما.

كانت الديانة البابلية الكلدانية قد تحوّلت ديانة كوكبية بدت وكأنها تخرج من العالم الأسفل المظلم حتى أن (مردوخ) كان يرمز إلى كوكب (المشتري) وابنه (نبو) إلى (عطار) وابنته (عشتار) إلى (الزهرة).. إلخ وهكذا وصمت الديانة البابلية بكونها إبنة الظلام، أما الديانتان الواقدتان فقد ظهرتتا وكأنهما تمثلان المضاد الأكبر للديانة البابلية. فاليهودية تبنت أدوناي ويهوا ووصف الأول بأنه إله الشمس والثاني بأنه إله العاصفة والطقس والزرادشتية تبنت أهورا مزدا سيد النور والشمس وأناهيت ربّة الخصوبة.

وهكذا بدأت تتقوّض أركان الديانة البابلية من جهة وتتبلور الزرادشتية واليهودية من جهة أخرى. ولكن نبتاً سرياً خصباً كان ينمو تحت كل هذه الانقراض والأديان المعلنة، وهو (المندائية) التي هي الخميرة المعتقة الأصلية لعقائد وادي الرافدين إذ إنها تجمع في نسيجها مادة الديانتين الجديدتين فعالمنا النور والظلام فيها وجذور التوحيد فيها لكنها لا تكشف عن نفسها لأنها إذا أعلنت تعاليمها وأسرارها فستموت: هكذا قرر كهنتها وعرفانيوها الكبار آنذاك.

عندما أتى الإسكندر المقدونيّ برباح الهيلينية إلى وادي الرافدين تخصبت عقائد وادي الرافدين بالثقافة الكلاسيكية الإغريقية، ولكنها لم تفقد خصوصيتها الروحية. فإذا كان قد طُوبق بين (زوس) الأغرقيق و(مردوخ) البابليّ وبين (أفروديت) الإغريقية و(عشتار) البابلية وهكذا بقية الآلهة، فإن بقية الأديان أثارت فضول الإغريق كالزردشتية واليهودية، أما المندائية فقد كان إغواؤها كبيراً وسحرها أخذاً لأنها لم تكن مألوفة أبداً في الثقافة الإغريقية أو محيطها.. وهكذا صعدت من القيعان السرية لها رائحة الدهشة، وتعرفوا لأول مرة على شيء اسمه المندائية الذي ترجموه إلى الغنوصية وكان يعني في الحالين (العرفان) أو (المعرفة الإلهية).. ونقلوا أفكار هذه الديانة إلى فلاسفتهم الذين نظروا إليها كديانة خلاصية وناظروها مع عقائد الخصب السرية والخلصية كالأورفية والإليوبزيسية، لكن المندائية كانت تنفرد بغنوصيتها العميقة فاصبحت الفلسفة الغنوصية، بعد حوالي قرنين، واحدة من أكبر التيارات الفلسفية الهيلنستية وتمت دراستها وإشاعتها في الاسكندرية والرها وحرّان. أما هي (المندائية) فكانت تتناسل ذاتياً في الكرخة وميسان والطيب.

من النقوش السريانية المكتشفة في المناطق المجاورة للرها نتعرف على أن صور وأشكال العبادة البابلية المتأثرة بعقيدة العرفان (الغنوصية) بدأت تتخذ بالتدرج أشكالاً أكثر تجديداً. ومن الأهمية مكان اكتشاف الحركة التوفيقية السريانية - الإغريقية فيها إذ إن التمازج بين المصطلحات الفنية واستعارة بعضها من الإغريقية ممتع ومفيد، فهنا نجد كلمات مستعارة مثل: Bolos أي البرد Hula أي المسألة، وناموسا Namosa أي الشريعة أو القانون ومثل هذه التعابير قد ازدادت أهميتها في الفترة اللاحقة. (نغرين د. ت.: 23)

فوجئ الإغريق أن آلهتهم ضعيفة جداً قياساً إلى آلهة الشرق الغنية المكتنزة ولم تعد محدودية المساحة التي كانت هذه الآلهة تغطيها مغربةً قياساً إلى التوسّع الشامل لهم وتكوينهم إمبرطورية عالمية فكانوا بحاجة لآلهة أكثر تجديداً وأكثر عالمية فوجدوا ضالّتهم في آلهة شرقية عريقة مثل (مردوخ وآمون وأهورا مزدا والإلهة السوروية ديا).

كما أن الشرق تفاعل بجدية مع الفكر الإغريقيّ الفلسفيّ بشكل خاص والعلوم الإغريقيّة المنظمة والواقعية، وبذلك بدأت الأفكار اللاهوتيّة السميكة المحيطة بالفلسفة والعلم في الشرق تتقشّر تدريجياً وتُعاد صياغتها. فالتنجيم البابليّ أصبح يتجه أكثر فأكثر نحو علم الفلك أما شحنته الفلسفيّة والدينيّة فكانت توضع في عالم الظلام المزدي أو المندائي وتزداد من جهة أخرى المفاهيم الفكرية والذهنية للثنويات المتضادة كالخير والشر والمادة والنور والملائكة والشياطين.. إلخ

وهكذا نشأت الحركة التليفقية أو التوفيقية Syncretism التي كانت سمة العصر الهيلنستيّ المهمة فكانت عقائد الشرق والغرب تُقَصُّ وتقطّع وتُمنّج وهي تختلط مع بعضها حتى يُصار إلى ظهور عقائد جديدة كانت في بدايتها واضحة الخلط، لكنها سرعان ما تبلورت عن عقائد نوعيّة مثل الغنوصيّة والأفلوطينيّة والأبيقوريّة والرواقيّة.

وكانت الرواقيّة، بحق، هي سمة العصر الهيلنستيّ الفلسفيّة بما احتوته من تأكيدات على اللوغوس وهي الروح أو الكلمة الخالقة للكون والتي تحل في أدق التفاصيل وبشيء من صفاء النفس يمكن اكتشافه وهو يسري في داخل الإنسان وفي الكون. لكن هذه الرواقيّة كانت تجري كعالم ظاهريّة وكأنها امتدادٌ للمثالية الإغريقيّة المخططة بروح الشرق أما النسخ السري الباطن فكان في الغنوصيّة (التي كانت قد ظهرت بسبب المندائيّة ولكن الأغرقيّ أعادوا تصنيعها فلسفيّاً). وكان أهم ما في الغنوصيّة آنذاك، هو بحثها عن (الخلاص) ومحاولة تشخيصها لطبيعة (المُخلّص) القادم. وصارت الأفكار الخلاصية هي سمة العصر وبدا أن هذا المُخلّص سيكون عالمياً وانشغل الجميع بالبحث عنه أو بصياغته وبعثه بالقوة.

كان اليهود يرون في المسيح الذي بشر به أرميا هو المُخلّص القادم، وكانت الأوساط الرسميّة البابليّة تنظر إلى (نبو) إله الحكمة كمخلص قادم، أما الإيرانيون فقد نظروا إلى الـ (فارقليط) كمخلص قادم والأوساط الشعبيّة في وادي الرافدين ما زالت تحن إلى (تموز) كمخلص أبدي، أما المندائيّون على تخوم الأنهار الجنوبية في وادي الرافدين فكانوا ينظرون إلى عالم النور وإلى رسوله (مندا إد هبي) ليقوم بهذه المهمة ولم ينظروا إلى فرد بشريّ أو نبي ليقوم بها، لقد كانوا الأكثر مثالية بين هؤلاء جميعاً.

ولم يفز بهذه المنافسة سوى (يسوع) الذي هو عيسى بن مريم رغم ظهور أكثر من إثني عشر مدعيّاً كمخلص. وعندما نمت المسيحيّة بعيداً عن اليهوديّة وصار لها أهلها واصطدمت أول ما اصطدمت فكرياً بالغنوصيّة على قاعدة الأفكار الخلاصيّة. فقد شعر الغنوصيون أن المسيحيّة سرقت أفكارهم الخلاصيّة فقام المسيحيّون بالصراع معها من خلال طروحات جوستين (100 - 165م) ثم إيرانوس (132 - 202) ثم هيغسيوس (150 - 180) في فلسطين، ثم كليمانص (150 - 215) في الاسكندرية ثم هيبوليتوس (170 - 236)... وغيرهم. كل هؤلاء شكّلوا الدرع الواقية للمسيحيّة بوجه الغنوصيّة. وكان من الواضح أن الغنوصيّة قد أثرت تأثيرات كبيرة في المسيحيّة وفي طريقة ظهورها الأولى.

وهكذا تضمّخت الغنوصيّة بروائح وشموس عصرها وبدت كما لو أنها مطبوخة، أما المندائيّة فقد ظلت غنوصيّة نيئة تقبع في الأدراج السرية للمياه بعيدة عن الظهور والتداول وضاع حقها في كونها الأم الكبرى للتيارات الغنوصيّة والخلاصيّة والباطنيّة التي ظهرت في المرحلة الهيلنستيّة. تؤكد الغنوصيّة ما يلي:

1. تتم المعرفة على شكل إلهام وكشف وليس عن طريق التعلم والتحليل مثل الفلسفة والعلم، فهي تتم من خلال الرؤية المباشرة للحقيقة.

2. نوع هذه المعرفة هي معرفة إلهية وضعها الله في القلب الطاهر أو يصل إليها المؤمن بالتنزه عن المادة والشر.
3. هناك أسرارٌ خفيةٌ لا يعرفها إلا العرفانيون (الغنوصيون) هي التي تنير لصاحبها طريق الخلاص وتمكنه من التغلب على القوى الشريرة.
4. أهم عمل غنوصي هو تحرير (تخليص) النفس أو الروح الإنسانية من أسر الجسد الدنيوي ويتم ذلك بتذكيرها بأصلها الإلهي. فإذا عرفت ذاتها عرفت خالقها (الله) لأنها جزءٌ منه وبذلك تعرف الروح ما يلي (من أين جاء الإنسان، كيف أصبح إنساناً، أين كانت روحه قبل أن يُخلق، أين وضع بعد خلقه، أين نحنُ ذاهبون، كيف نذهب في الطريق الصحيح، كيف ستنبعث الأرواح.. إلخ).
- هذه الأسئلة تكتشفها الروح وحدها عندما تدرك ذاتها وقد يقوم الوسيط السماوي بإيصال هذه المعرفة لمن يمتلك روحاً طاهرة عارفة.
5. يُسمّى هذا الوسيط السماوي بـ(المخلص) ويعتبر الجسد البشري بمثابة العالم الأسفل فيهبط (المخلص) إليه ليعرّف الروح بأجوبة هذه الأسئلة (العرفان) كي يسهّل لها طريق الصعود إلى العالم السماوي وهو (الخلاص). وقد يكون الخلاص قبل الموت عن طريق النشوة العرفانية، حيث ينكشف النور الإلهي ويلتحم به العارف، أو بعد الموت حيث تصعد الروح (مع المخلص) إلى السماء وتلتحم بالله إلى الأبد.
6. لا يصل كل إنسان إلى الخلاص ويساعده المخلص، بل الذي طبّق الجانب العملي من العرفان والذي يكون بأداء مجموعة من الطقوس والشعائر مثل التعميد أو التسلّح بالأسماء السريّة (حفظ هذه الأسماء) وأداء الصدقات وغيرها.
7. العرفان هو معرفة الباطن أما العلم فهو معرفة الظاهر، ومعرفة الباطن هي معرفة الأسرار التي صار السحر والتنجيم والعرافة والكيمياء أساسها في حين أن الباطن هو الأسرار الإلهية الخفية. أما العلم فهو معرفة الظواهر العيانية وإدراك أسبابها وتنتائجها وهو متاح للجميع.
8. يطغى على الأدبيات العرفانية الأسلوب الأسطوريّ الفلسفيّ، حيث تتحوّل أساطير الخلاص القديمة إلى لغة فلسفية تعم فيها المفاهيم الذهنية مثل وجود الإله المتعالي والمادة وبينهما الإله الصانع أو الوسيط، وأسطورة مصدر الشر التي تُرجع الشرّ إلى الكائن السماويّ الذي ارتكب الخطيئة الأولى التي تضطره للاتحاد مع المادة فتولد الكائنات المكبّلة بالشر (المادة) ويُصار إلى تخليصها من هذا الخطأ وكل هذه الأفكار ضمّتها المندائية في متونها كما سنرى.
9. لا نعتقد أن المدونة الهرمسية Corpus Hermeticum هي مصدر هذه الفلسفة الغنوصية كما يذهب إلى ذلك أغلب الباحثين، بل نعتقد أن المدونة المندائية Corpus Mendean، ونعني بها الـ (كنزاً ربّاً) هي المصدر الأول للفلسفة الغنوصية. أما المدونة الهرمسية التي تُنسب إلى هرمس فهي مدونة إغريقية متأخرة قياساً إلى المدونة المندائية.

المبحث الرابع: المانويّة كنموذجٍ مشرقيٍّ للغنوصيّة



صليب المانويّة (صليب النور والحياة)

سيرة ماني (216 - 276)

ولد النبيّ ماني من أب اسمه (فاتك) وهو اسم يحمل تركيبة سامية لكن الأساطير التاريخيّة تجعل منه أمير فرثي أشكاني سكن في همدان. وهذا أمرٌ خيالي بعيد، فقد سكن فاتك في منطقة طيسفون / سلوقيا الهيلنستيّة الماضي بامتياز، وكان اسم والده ماني هو (مريم) وهو اسم يوحى بانتماء مندائيٍّ مسيحيٍّ يهوديٍّ. ولعل ما يؤكد ذلك هو أن ديانة فاتك هي المندائيّة.

التحق فاتك بالمندائيّين (المغتسلة) في نواحي دست ميسان مع زوجته مريم وعاشا هناك وتنقلا في هذه المنطقة، وولدت مريم ولدها البكر (ماني) في قرية تسمّى (مردينوس من نهر كوئي الأعلى في بلاد بابل الشماليّة وعاش ماني معهما على الدّين المندائيّ الذي كان له أكبر الأثر في تكوين عقائده الروحيّة لاحقاً.

وتذكر سيرة ماني أن الوحي نزل أول مرة على ماني وهو في سن الثانية عشرة أي في عام 228 وكان هذا الوحي من (ملك حدائق النور) وهو تعبير مندائيٍّ عن الله. وقد كان اسم الملاك الذي نقل إليه الوحي هو (توما) ومعنى اسمه (التوأم) أي الأخ، وقد طلب منه توما أن ينفصل عن المندائيّين ويعتزل مدة طويلة.

ويبدو أن هذه العزلة الطويلة كانت ضروريّة للفتى كي يدرس العقائد والأديان التي كانت سائدة في وادي الرافدين فقد درس المندائيّة والغنوصيّة السريانيّة (الديصانية والمرقيونيّة) والديانة البابليّة.

وبعد 28 سنة من العزلة والدراسة نزل إليه الوحي مرة أخرى عام 240 - 241 ليقول له بأن الله اختاره ليكون رسولاً إلى الناس.

كان ماني نبياً بابلياً متأخراً عمل على جمع التراث البابليّ المتأخّر بين المندائيّة والسريانيّة الغنوصيّة والبابلية ليظهر بدين جديد هو



ماني

<http://webspac.ship.edu/cgboer/romanempire.html>

المانويّة. وقد ورد على لسانه هذا الوصف (أنا الرسول الشكور المبعوث من أرض بابل). أصبح (توما) هو القرين السماويّ للرسول أو للنبي ماني، وقد أبلغ ماني عائلته برسالته ونبوّته وحرص والده على تمتين علاقته بأهله المندائيين لينال دعمهم. وبدأ ماني التبشير بديانته في أصقاع بابل ثم رحل إلى الهند في مناطق النفوذ الفارسيّ، وهناك تعرف جيداً على الديانة البوذيّة ونهل منها وعاد إلى وادي الرافدين في بابل وميسان والأحواز حين أصبح شابور ملك الإمبراطوريّة الفارسيّة وقد حضر ماني مراسم تتويجه ومنحه الملك الحماية وضمن له حق التبشير بديانته.



الكهنة المانويّون

[HTTP://WWW.ALAWAN.ORG/%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A-216-276%D9%85.HTML](http://www.alawan.org/%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A-216-276%D9%85.html)

ORG/%D9%85%D8%A7%D9%86%D9%8A - 216 - 276%D9%85. HTML

وفي الوقت الذي أعاد شابور الاعتبار للديانة الزرادشتيّة وظهر الرهبان والمجوس بدأ ماني بالتبشير الواسع لديانته في أصقاع الإمبراطوريّة انطلاقاً من بابل. وقد استطاع ماني أن يضم إلى ديانته أخوي شابور وهما (فيروز ومهرشاه)، لكنه خلق أعداءً له في البلاط الفارسيّ وعلى رأسهم (كارتير) رئيس طائفة الرهبان المجوس. وكادت المانويّة أن تكون الديانة الرسميّة للإمبراطوريّة الساسانيّة لكن (كارتير) وقف بالمرصاد دون حصول ذلك. أرسل (ماني) رسله إلى الدول والبلدان، فوصل دعاته إلى مصر وإلى خراسان التي أصبحت منطلقاً لديانته نحو الشرق الأقصى. ووصل دعاته إلى بيت جرمي شرق دجلة عام 261. ويبدو أن ماني على صلة بالإله مئرا أو بكهننته وقد وجدت عملة معدنية مكتوبة المندائيّة تحمل هذه الإشارة ويبدو أنه حصل على مكانه في (شرسين) و(ميسان). ثم ظهر على أنه رسول يسوع المسيح.



كهنة مانويون (القرن العاشر - الحادي عشر للميلاد من جدارية موجودة الآن في متحف الثقافة الهندية في برلين /دهلم.

.Photo credit: Gryffindor via Wikipedia

<http://judithweingarten.blogspot.nl/2011/07/zenobia-and-manichean-convert-part-ii.html>

وبعد وفاة شابور خلفه ولده هرمز الأول الذي حكم لمدة عام ثم أخوه بهرام الأول ويبدو أن موظفي البلاط وجّهوا له تحذيراً في عدم التبشير في بعض المناطق مثل كوشان، وكان (كرتير) يتأمر على ماني ويشوّه صورته أمام الإمبراطور الجديد، وهكذا استدعاه الملك الفرثي وأعلن قراره في ما يشبه المحاكمة بأن يموت ماني صلباً. وهكذا مات بحضور كاهن مانوي اسمه (عزاي) وانتشر خبر موته في مدينة (بيت لابات) وأمر الملك بغرز مشعل نار في جسده ثم مزّقت جثته وقطع رأسه وعُلّق على بوابة المدينة ودفن ما تبقى من جسده في طيسفون.

الينابيع الغنوصية السبعة لديانة ماني:

1. لا شك في أن أكبر الينابيع الغنوصية لديانة ماني كانت من المندائية التي هي ديانتته وديانة أهله. والمندائية هي الدين النموذجي للغنوصية (العرفانية) التي تكون معرفتها بالله عن طريق القلب والمعرفة الذوقية والعميقة وليس عن طريق الوحي، والتي ترى في عالم النور أول العوالم ثم عالم الظلام والخطيئة ثم عالم الأرض الفانية.
2. أما الينبوع الغنوصي الثاني، فكان في الغنوصية المسيحية السريانية التي مثلها بامتياز بارديسان الذي استقى غنوصيته من علوم الفلك والتنجيم البابلية ومن الإنجيل وأراد أن يجمعهما في إطار واحد.. وقد ساعده حسّه الأدبي على أن يكون كذلك. وقد كانت أسطورة اللؤلؤة (نشيد الروح) أهم الشواهد على تأثر ماني ببارديسان.

3. أما الينبوع الغنوصي الثالث، فكان في الغنوصية المسيحية الأرثوذكسية التي مثلها مرقيون السينوي (120 - 160) وهو ابن أسقف سينوب في إقليم البنطس (على شاطئ البحر الأسود) وكان له أتباع كثيرون وهو على عكس الغنوصيين الفلاسفة الكبار مثل (باسليدس وفالنتينوس) استقى غنوصيته من الكتاب المقدس وليس من الفلسفة.
4. الينبوع الغنوصي الرابع هو الرسول توماس (توما) الذي كانت له (أعمال توماس) التي هي بمثابة أعمال أبوكريفية (غير رسمية) تؤكد على التعميد كوسيلة كبرى للتخلص من الذنوب والشروور وكذلك الدهن بالزيت الذي هو بمثابة زيت شجرة الحياة في الجنة. وكان الرسول توما أحد الرسل الإثني عشر الذين اختارهم الرسول.
5. الينبوع الغنوصي الخامس هو الغنوصية الفارسية المثرائية التي ألهمتها في الكثير من تعاليمه.
6. أما الينبوع الغنوصي السادس فكان الغنوصية البابلية التي كانت ماثلة تحت رماد الدين البابلي بعد نبونايد.
7. الينبوع السابع يأتي من البوذية المهايئية ويتمثل ماني بوذا وسيرته وتعاليمه وقد أفادته زيارته للهند للتعرف عليها عن كثب.
- ”كان لا بد من معرفة الأسباب التي أدت إلى هذه السعة والانتشار للديانة المانوية، على الرغم من أن ماني قد جاء بديانته وأفكاره بين العديد من الديانات السماوية والوضعية الكبيرة والتي حازت على سعة وانتشار كبيرين كـ (اليهودية والمسيحية والزرادشتية والبودية) وكانت لها حضوة كبيرة بين الناس ورموزها ولها منزلة عظيمة بين الملوك والأمراء مع سيطرتها المطلقة على دور العبادة من (خانكاه: دور العبادة المانوية) وأديرة وكنائس، لذا فإن من الأسباب الرئيسة التي لعبت دوراً كبيراً في انتشار الديانة المانوية هي التوافقية كما ذكرنا آنفاً فقد اطلع ماني على معظم الديانات في تلك الحقبة من الزمن ودرس وتعلم عند العديد من رجال الدين من مختلف الديانات وحظر مجالسهم، فاستطاع أن يطلع على نقاط القوة فيها فيأخذ منها ويتعد في الوقت ذاته عن كل ما يسوء الناس وينبذه، ويبدو أنه كان مفكراً عظيماً حين أطر هذه المعتقدات المتنوعة بأفكار عرفانية ووضع لمساته الفكرية فيها، فوضع قواعدها وحدودها العقائدية ونظم معاملاتها الحياتية بالنسبة إلى العوام والخواص من هذه الطائفة، ادعى ماني النبوة ورؤية الوحي كما ذكرنا ذلك سابقاً خلال مدة حكم الملك (شابور) فقد اختار الوقت المناسب لإعلان الدعوة لدينه و”أنه استطاع بعد ذلك أن يحقق كمال المعتقدات الزرادشتية والمسيحية والبودية“ (حسين وحسين: 2015: 563).

التراث المانوي

يشير كتاب Acta Archelal إلى كتاب بابلي، والمعني بهذه التسمية (بابل) بلاد الرافدين السفلى حيث ترعرع ماني فيها، وأوضح أنها شهدت بداياته وذلك بقوله: ”إنني رسول شاكر، قائم من أرض بابل“. وعندما يتكلم ماني عن كونه بابلياً، ويتم وصفه على أنه حامل لكتاب بابلي، فذلك يعني أن لغته كانت لغة آرامية وكذلك كتابتها (وبدقة أكثر كانت آرامية شرقية) ارتبطت عن قرب بالسرانية الرهاوية، وهي اللغة الأدبية التي تطورت في الرها، كما أن الكتابة التي استنبطها ماني واستخدمها - وهي التي تم اعتمادها في مناطق الكنيسة الشرقية حتى تركستان - قد تألفت من نموذج من الحروف المكتوبة المتقاربة في الاستواء مع تلك الحروف التي تطورت في الرها، غير أنها رسمت بشكل أقرب إلى الصيغة القديمة للخط المندهي. ويقدم هذا

برهاناً آخر حول الارتباط التاريخي الوثيق بين المانوية والعقيدة المندعية المعمدانية. والحقيقة الواضحة هي أن ماني لم يستفد من نموذجي الأحرف الآرامية اللذين كانا مستخدمين على النقود المعدنية، وفي مقار الملوك الساسانيين والفرثيين (أو الأمراء في فارس). (نغرين: 1984: 99 - 100).



ورقة من مخطوطة مندائية، بحيرة طورفان القرن العاشر

Paper. MIK III 4614. Via Washington. edu

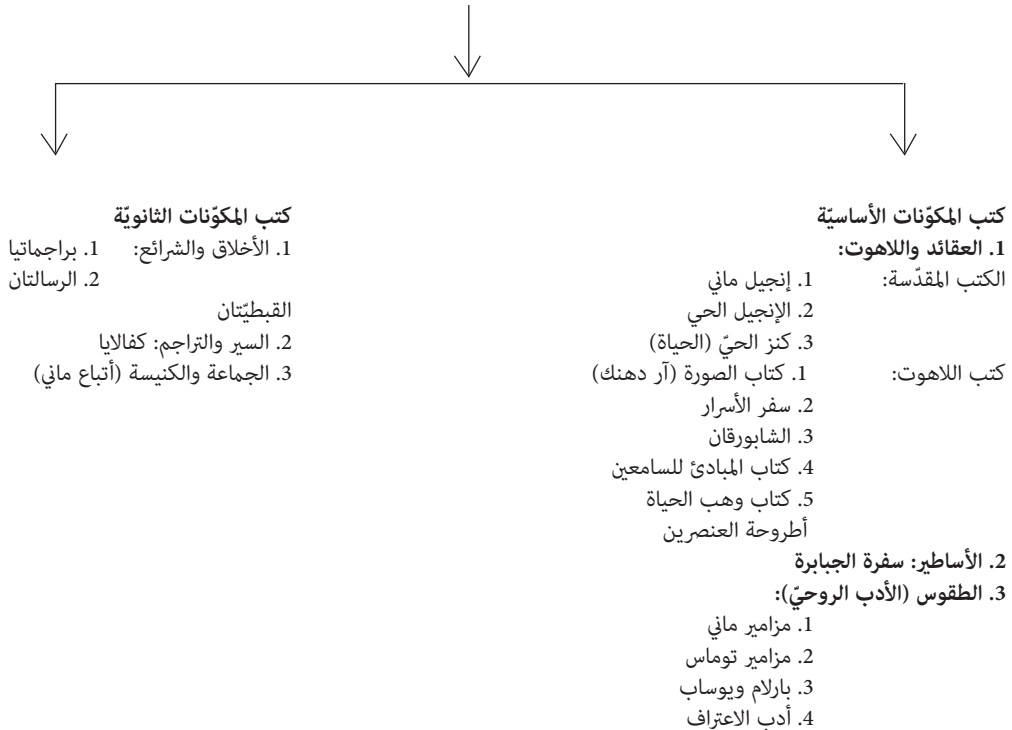
وكذلك، كل التراث المانوي الذي كتبه ماني أو أتباعه في وادي الرافدين كان باللغة السريانية وبالخط السرياني اللذين ظهرا في الرها، بل إن ماني كان يحتذي حذو بارديسان الرهاوي ونستطيع هنا أن نفهم بشكل جيد استحاذه على الكلام الذي قاله ابن ديسان ورغبة ماني بكل وضوح أن يحل محله، وذلك كما يصبح معروفاً تماماً من خلال هذه الكتابات المتداولة، كما أن قطع الشعر المانوي التي احتفظ بها ثيودور يارقونية من الجائز أنه نقلها عن خط ماني نفسه، فهي منطوقة باللهجة الرهاوية، وينطبق الشيء نفسه على البقايا الصغيرة من الأدب المانوي المكتشف في مصر، وذلك على الرغم من عدم وجود أي دليل يبين في هذه الحالة: متى تمت كتابتها، ومن كتبها؟ ومع ذلك فإن الكتابة والمادة هما مانويتان بشكل قاطع ثابت، كما أن الانحرافات الطفيفة عن اللغة الرسمية السريانية الرهاوية لا تؤثر على هذه المسألة، ذلك أن معرفتنا غير تامة حول اللغة الرهاوية الأولى، ومن المستحيل التمسك بفكرة أن الكلام المتداول في هذه القطع متطابق عملياً مع اللغة السريانية الفصحى للرها". (نغرين: 1984: 100 - 101).

ويمكننا أن نفسر عدم لجوء ماني إلى لغتين قريبتين من موطنه هما البابليّة التلمودية أو المندائيّة أو الفارسيّة بأنه اختار اللغة السريانيّة الرهاويّة، لأنها لغة الكنيسة الشريقيّة التي تتمتع بأوسع نطاق في ذلك العصر. وقد كتبت كل كتب ماني باللغة السريانيّة باستثناء كتاب واحد هو (الشابورقان) الذي أهدها للملك شابور الأول وكتبه باللغة الفارسيّة الوسيطة المكتوبة بحروف آرامية أيضاً.

التراث المانويّ

بعد أن توفرت لدينا العديد من مؤلفات ماني وأتباعه المقربين وضعنا خطةً محكمةً لتصنيف هذا التراث على أساس المكونات الأساسيّة والثانويّة للدين المانويّ. المكونات الأساسيّة للدين المانويّ هي (المعتقدات، الأساطير، الطقوس) أما المكونات الثانويّة فهي (الشرائع والأخلاق، السير، الكنيسة أو الجماعة) وعلى هذا الأساس تم تصنيف التراث الأدبي والروحيّ المانويّ من أجل دراسته وكما يلي:

التراث المانويّ





ورقة من مخطوطة مانوية، بحيرة طرفان (معبد خوجو) القرن الميلادي الثامن - التاسع
MIK III 4959. Via Washington. edu .

المانويون شبّهوا الخليقة بأنها تشبه السجن ونحن داخل هذا السجن محاصرون في أجسادنا التي صمّمها الأراكنة (Archons) لنا، وهم يرون أن الأراكنة أو الأرخونات، ومن ضمنهم يهوا أمير الظلام، خلقوا السماء والأرض من جلودهم ولحمهم والجيال من عظامهم وكذلك أجساد البشر ثم طمروا فيها الروح وسجنوها في داخلها. وهكذا وجدت الروح نفسها في سجن الظلام وعليها أن تكافح طويلاً للخروج من هذا السجن.

الباب السادس أديان المشرق التوحيدية



رحلة النبي إبراهيم في المشرق القديم

الفصل الأول اليهودية



موسى يحطم ألواحهُ بعد زيغ أتباعه عن دينه

المبحث الأول: خلاصة تطوّر الديانة اليهوديّة (منذ تاريخها القديم حتى ظهور الديانة المسيحيّة)

تُصنّف الديانة اليهوديّة على أنها ديانة قديمة وليست وسيطة، أي أنها نشأت قبل القرون الميلاديّة الأولى، ولكنها بلا شك لم تكن متطوّرة منذ بداياتها البسيطة الملتبسة بعد العصر الحديديّ، مروراً بتبلورها وتشكّلها الحقيقيّ في وادي الرافدين وصولاً إلى استقرارها النسبيّ بعد جمع التوراة وترجمته اليونانيّة السبعينيّة في مصر البطلمية، وانتهاءً بظهور مصطلح اليهود واليهوديّة في القرن الميلاديّ الأول.

إبراهيم الخليل، بحسب الوصف التوراتيّ، شخصيّة دينيّة وليست شخصيّة تاريخيّة، وكذلك ما تبعها من حكايات أسطوريّة فولكلوريّة، وينطبق هذا على شخصيّة موسى التوراتيّة، فلم يكن في حينها ما يُعرف باليهوديّ أو اليهوديّة. ويستمر الأمر ملتبساً في العصر الحديديّ (1200 ق.م. وما بعده). فالآثار تكشف عن وجود آلهة متعدّدة كثيرة في دولتي المدينة الكنعانيّتين (إسرائيل ويهوذا)، وما زال أمام التوحيد شوط طويل ليظهر صافياً واضحاً.

حين سُبي أهل أورشليم إلى بابل بدأ تحول نوعيّ في ديانة المسيّين وظهرت بدايات تأليف سفر الشريعة على يد عزرا الكاتب، ثم ظهرت، بعد عودة المسيّين، في بابل أيضاً خطواتهم الأولى في تدوين بقية الأسفار الخمسة، ولم يكونوا، يومها، يعرفون باليهود، بل كانوا يسمّون بـ(أهل تورا) أو (التوراتيّين) في إشارة إلى عقيدتهم باسم التوراة (أي القانون، أو الشريعة). وقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى في العصر الهيلنستيّ تمييزاً لعقائدهم وممارساتهم عن العبادات الموجودة في الشرق الأدنى.

ولذلك، وتوخياً للدقة، لا يجوز إطلاق مصطلح اليهوديّة على الدّين الذي سبق إطلاق هذا المصطلح من قبل بولس الرسول أو يوسيفوس الهيلنستيّ الثقافة في القرن الميلاديّ الأول، وقد يبدو من الغرائب القول إن اليهوديّة والمسيحيّة نشأتا في القرن الميلاديّ الأول بالمعنى الاصطلاحيّ لهما!! لكن المسيحيّة كمصطلح شامل لكل المسيحيّين لم يُستخدم إلا بعد قرونٍ طويلة.

الإبراهيميّة الخليجيّة لا تعرف شيئاً عنها على المستوى التاريخيّ، وهناك من يرى أنها انتهت إلى ما يُعرف بالحنفيّة والأحناف الذين ظهروا في جزيرة العرب قبل الإسلام، لكن هذا الرأي من وضع القرون الإسلاميّة الوسيطة، ولم يتم التأكيد من مصداقيّته.

أما موسى والموسويّة فهما في بطون الروايات الدّينيّة وما زال البحث جارياً عن وجودهما التاريخيّ والآثاريّ في العصر البرونزيّ.

الإسرائيليّة واليهوديّة ديانتان كنعانيّتان محلّيتان تشبهان الديانات العمونيّة والمؤابيّة والأدوميّة التي ظهرت شرق نهر الأردن قريباً من المكان المفترض لهما في فلسطين، ولا نعرف عنهما إلاّ تفتاً تشير إلى عبادات متعدّدة الآلهة.

ديانة أهل يهوذا كانت ديانة قربانيّة مركزيّة، وحين حملها المسيّون إلى بابل تحوّلت تدريجيّاً إلى (ديانة التوراة، أو التوراتيّة) حين جمع بطليموس الثاني كتبهم في كتاب واحد اسمه (التوراة) وترجمها لليونانيّة في القرن الثاني قبل الميلاد وحتى عام 70 ميلاديّة حين هدم الرومان الهيكل.

اليهودية (كتسمية اصطلاحية) ظهرت بعد القرن الميلادي الأول وبدأت عقيدتها بالانتظام وطقوسها بالوضوح، رغم أن توحيدها ليهوا بقي مشوباً لأنه ظلّ إلههم القومي فقط وليس إله بقية البشر، فكانها بقيت ديانة قومية وليست ديانة عالمية.

مراحل تطوّر الديانة اليهودية

1. مرحلة التعداد: ديانة كنعانية في بلاد الشام (1200 - 800 ق.م).

2. مرحلة التفريد: الديانة العبرية في السامرة وأورشليم (800 - 539 ق.م).
ناقشنا هاتين المرحلتين في المبحث الخاص بالديانة العبرية.

3. مرحلة التوحيد: ديانة أهل التوراة (539 - 200 ق.م).

أ. من أهل يهوذا إلى أهل تورا:

نشأت الديانة اليهودية، بصيغتها الأولى، في بابل بعد الأسر البابلي ليهوذا وأورشليم، ولم تكن تسمى باليهودية، بل كانت تسمى ديانة أهل السبي أو ديانة أهل يهوذا، وقد كان شعب يهوذا وأورشليم كنعانياً وديانته (اليهودية) ديانة كنعانية بكل ما في هذه الكلمة من دلالة، فهم يتعبّدون أدوناي ويهوا والبعل وإيل وعشيرا وغيرهم من الآلهة الذين لهم زوجات وأزواج وأولاد.

في السبي البابلي وعندما وضع هذا الشعب في مدينة (نيبور) وهي (نفر) الحالية قرب مدينة عفك، وتبعد 25 كم شمال شرق الديوانية في العراق، وسُمح لهم باصطحاب عوائلهم وممتلكاتهم ومواشيهم. تعلّموا هناك الحرف والصناعة والكتابة والحكمة واطّلعوا على التراث الرافديني الديني والأدبي وأخذوا منه، وأصبح بعضهم من الأثرياء، في مجال الزراعة والري والتجارة.

بتأثير وإيحاء من فكرة الإمبراطورية البابلية، التي بدأوا يعيشونها كحقيقة على الأرض، واندمج الأمم والشعوب فيها وبسبب من فقدانهم الأرض الخاصة بهم والعيش كمواطنين عالميين في إمبراطورية كهذه قرروا رفع الإله القومي لهم لمنزلة تفريديّة وتوحيدية وجعله إله العالم ولكنه، في الوقت نفسه، إلههم القومي وهم شعبه المختار.

وبسبب عدم وجود معابد لآلهتهم وإلههم الخاص (يهوا) فقد قرروا جعله في السماء إلى الأبد فهو مكانه السرمدى ومعبده هناك وهو ما حفز ظهور فكرة (الإله السماوي الواحد) بقوة أكبر، خصوصاً أن معبده لم يُعد له وجود ولا تمكن إقامته في أرض بابل وهم أسرى.

وبعد سقوط بابل بيد الفرس الأخمينيين (539 ق.م.) لم يعودوا جميعهم إلى يهوذا وأورشليم وبشكل مباشر، بل استطاع النابھون منهم، مثل عزرا الكاتب، أن يكتب أول أسفار التوراة وهو سفر الشريعة من أجل تنظيم أحوالهم وحياتهم.

في بابل ونفر تحوّل مسيئو يهوذا إلى ما عرف بعدئذ بـ(يهود) وظهر أكبر أنبيائهم وهم حزقيال ودانيال وعزرا وناحوم ونعميا وججي وزكريا وحبقوق وكتبت أسفار التوراة الخمسة الأولى بتأثر بالدين البابلي في مدارسهم ومجالسهم الدينية الكبرى وعلى مدى قرون، وظهر ملوك لهم في بابل مثل يهوياقين، صدقيا، زروبابل وأفرج الملك البابلي أويل مردوخ عن يهوياقين بعد 37 سنة من الأسر في بابل وأكرمه.

وفي بابل كتبوا التلمود (متأثرين بلوح سومري لأقدم تقويم زراعي عثر عليه في نقر ومكوّن من 108 أسطر).

الدين اليهودي دين بابلي أعاد صياغة مواد أولية كنعانية مع سيرة مبالغ فيها لمجموعة من العائلات الكنعانية المنشقة والمعارضة لكل من حاول حكمهم بشكل عام. وقد ظلت هذه

الديانة محكومة بالتعدّد الإلهيّ أولاً ثم بالتفريد الذي جعل من أدوناي أو يهوا إلهاً مركزياً مع غيره من الآلهة.

”يهوديّة ما قبل الهيكل، لم تكن مفاهيمها أو عقائدها الدينيّة قد تبلورت بعد، بل كانت هذه المفاهيم تحتوي على أفكار ثنوية وتعدّدية كثيرة. وقد ساهم انتشار اليهود على هيئة جماعات مشتتة داخل تشكيلات حضاريّة شتّى، في مدن البحر الأبيض المتوسط وبابل، إلى زيادة عدم تجانس اليهوديّة بل إلى تنافرها وتحوّلها إلى عقائد عدّة أو ديانة مُهجّنة. ويظهر هذا في كثير من العقائد اليهوديّة الثنوية (مثل: عزازيل، وميتاترون، وقوة الملائكة والشياطين، وحدود الإله، والنزعة العدميّة في سفر الجامعة، وإنكار البعث في كثير من كتب العهد القديم). وقد عُثِرَ على أحجار في صحراء النقب عليها نقوش تتحدث عن عشيره زوجة إله إسرائيل، وكان يهود إلفنتين يعبدون يهوه وزوجته عنات.“ (المسيري 1999: ج1)

أثرت الديانة الزرادشتيّة التي هيمن أصحابها سياسياً على الشرق الأدنى القديم لحوالي قرنين ونصف وتسربّت منها إلى الديانة اليهوديّة عناصر كثيرة. فقد أصبح يهوا مع زوجته عشيرا أساس التفريد. وهذا يشبه ما هو حاصل في الديانة الزرادشتيّة حيث أهورا مزدا وأناهيث. وانتقلت عناصر كثيرة أخرى من الزرادشتيّة لليهوديّة، وكتبت أسفار جديدة من التوراة والتناخ. بعد سيطرة الاسكندر المقدونيّ على الشرق الأدنى وبدء العصر الهيلنستيّ بعد موته، طرأت تغييرات جديدة على اليهوديّة فقد دخلت العناصر الهيلنستيّة وأعادت صياغة اليهوديّة وجعلت منها ديناً توحيدياً بتأثير مباشر من التيارات الباطنيّة التي انتعشت في هذه الفترة وبالفلسفة الهيلنستيّة وبالتسامح والرعاية لهذه الديانة من قبل الكثير من الملوك الهيلنستيّين، وسنقدّم عرضاً لهذه العناصر.

ب. يهوا من الشرك إلى التفريد إلى التوحيد:

لم يعد جديداً القول إن الإله يهوا إله قديم ظهر قبل اليهود وقبل مقاطعة يهوذا التي عبدته، حيث يظهر كأحد أسماء إنليل الإله السومريّة على شكل حمامة، وهو إله كنعانيّ عبد من قبل بعض القبائل الكنعانيّة، وهو إله منطقة مدين.. الخ. وقد كان ليهوا عند اليهود الأوائل وعند الذين سبقوهم زوجة وأبناءً، وهو محاط بحاشية من الآلهة الأخرى، وهو أمر مألوف في الديانات المتعدّدة الآلهة. وقد عثر على صورة له على ختم كنعانيّ وهو يجلس على عجلةٍ مجنحة ويحمل على كفه الأيسر طائراً وهو ما يشير إلى أنه إله للهواء، ولنلاحظ أن اسم يهوا له علاقة بالهواء باللغتين العبريّة والعربيّة.



يهوا والعجلة والطير على ختم كنعانيّ

منذ الأسر البابليّ أصبح الإله (يهوا) بلا معبد خاص به، ولذلك قرر أسرى يهوذا أن يجعلوا السماء مقراً أبدياً له، وهكذا بدأت فكرة الديانة السماوية. لم يعد (يهوا) ساكناً في هيكل أو معبد، بل هو ساكن في السماء ومن هناك كان ينظر إلى شعبه (الخاص). وهذه الخطوة أفردته وجعلته سماوياً، لكن عادات الشرك والتعدّد ظلت سارية. إن وجود اليهود في نسيج إمبراطوريات متتالية (البابلية، الأخمينية، المقدونية، البطلمية) جعلهم يتاثرون بفكرة الإمبراطور الواحد للعالم ويعززون بها فكرة الإله الواحد للعالم. وهكذا تشذب يهوا شيئاً فشيئاً من الشرك والتفريد باتجاه التوحيد. وكذلك الفلسفة الهيلينية والهيلنستية كانت تتحدث عن إله واحد خالق للعالم وهو ما أثر في كل ديانات المنطقة التي وقعت تحت تأثيرها ومنهم اليهود. عندما أصبح اليهود تحت الحكم الفارسيّ الأخمينيّ بدأت العقائد والأديان الفارسية بالتسرّب إلى الدّين اليهوديّ، وهو ليس مجال بحثنا الآن، لكن الثنوية Dualism التي هي مبدأ أصيل في الأديان الفارسية وخصوصاً في الزرادشتية انعكست بوضوح على اليهودية وأصبحت جزءاً من عقائدها الباطنية التي تتفجرت بقوة في العصر الهيلنستي. والثنوية ترى أن الوجود يتكوّن من بنيتين رئيسيتين هما (الخير والشر) و(النور والظلام) و(الإله والشيطان) وهما لا يلتقيان ولا يتصارعان من وجهة نظر اليهود بل ربما يكملان بعضهما، فهما متوازنان (في الزرادشتية متصارعان وينتصر الخير في النهاية). وقد ظهرت نتائج هذه الفكرة في كتب يهودية مثل القابالا والتلمود حين ظهرت أفكار عن (يهوا وعزازيل) (الإله والشيطان) وانعكست في طقوس أعياد الفصح وغيره. ظهرت في القابالا ثنوية (الإله الخفي) مقابل (التجلي النوراني) وثنوية (الشر) مقابل (الخير) وثنوية (الإله) مقابل (شخيانه) وهي المقابل الأنثويّ للإله يهوا. لعلّ العامل الأهم الذي ساهم في تنقية التوحيد اليهوديّ هو (التوحيد الغنوصيّ) الذي أتت به التيارات الباطنية للشرق في وهلة انتعاشها إبان العصر الهيلنستي وما قبله بقليل. كانت المندائية وهي ديانة غنوصية في جنوب العراق ذات أثر كبير في نشر التوحيد وجعله مذهباً وتوجّهاً أساسياً في أديان المنطقة. واستطاعت المندائية باحتكاكها السلبيّ والإيجابي مع اليهود أن تؤثر في نزعتهم التوحيدية وتجعلها أكثر نقاءً. ورغم أن الجهاز العرفاني للمندائية كثير

الثراء والتركيب، لكنه يوفر نوعاً من الفهم العميق للتوحيد في معناه النفسي والروحي والكوني. أعيدت صياغة الدين اليهودي غنوصياً مع حذف العناصر الغنوصية الأساسية وتبني صيغة التوحيد الشكلانية وأفكار الخير والشر والنور والظلام وغيرها. ظهرت في المنفى البابلي تغيرات نوعية في الحياة الدينية اليهودية. وتغير أهل السبي وظهروا منكسرين ومحرومين ولم يكن هناك معبد في طقوسهم فجعلوا المعبد في السماء وتوجهت أنظارهم إلى الأعالي وهو مازاد في نقاء توحيدهم ورفعهم من دنس الأرض، وظهرت الترميمات الكهنوتية الطقوسية التي أدت إلى اعتناق دين غير أضحوي، غابت فيه الأضاحي الدموية، وبدأت عمليات جمع أهل السبي في المنازل لقراءة النصوص شفاهياً ثم تحريرياً بعد أن كتب عزرا أول سفر لهم، وكرسوا حياتهم للصلاة والتدريس. وظهرت الحاجة لمفهوم الكنيس. وتخلوا عن حلمهم بالهيكل وأصبحت طقوسهم من أجل التقوى قريبة من "التضحية الشفاهية" أي (الصلاة والندم) بدلاً من "التضحية بالدماء" (الأغنام والماعز). كان عزرا الكاتب رجل هذه المرحلة وسمي، لاحقاً، بـ"أب اليهودية"، والحقيقة أنه "أب التوراة" فقد قام بالإصلاحات الدينية وتنقيته الكهنوت والزواج المختلط وأصبح التعامل على ضوء الشريعة التي كتبها والتي تبحث في كل تفاصيل الحياة. وهو الرجل الذي أسس مجمع السنهدرين الذي أكمل كتابة بقية أسفار التوراة، وتحول اسم أهل السبي (أهل يهوذا) إلى أهل التوراة. وفي القرن الثاني قبل الميلاد قام الفريسيون بتدريس القانون المكتوب واعتبروه أنه شريعة موسى.

4. اكتمال وتوحيد الكتاب اليهودي المقدس (التناخ، المقرا) والأسفار الداخلية والخارجية

أ. الترجمة السبعونية للتناخ (العهد القديم) Sephuagint

كان اليهود يشكلون خمس سكان الاسكندرية في حدود 200 ق.م. وكانوا فئة إشكالية لهم وضعهم الخاص ومشاغباتهم ومشاكلهم الدينية والسياسية فضلاً عن عدم اندماجهم الكامل في المجتمع الهيلنستي الذي كان يقوده الإغريق. ورغم أنهم نسوا لغتهم الآرامية والعبرية وأصبحوا يتكلمون لهجة خاصة هجينة يونانية (مكوّنة من اليونانية واليهودية والمصرية). اقترح ديمتيروس الفاليري على بطليموس الثاني أن يترجم كتاب اليهود المقدس من اللغتين الآرامية والعبرية إلى اللغة اليونانية لكي يدمج اليهود في المجتمع الهيلنستي الجديد وستساعد الإغريق على فهم هؤلاء اليهود وتراثهم الروحي. أرسل بطليموس مساعدين له وهما (اريستابوس وأندرياس) إلى أورشليم والتقى هناك الرأس الأكبر لليهود وهو أليغاز وطلباً منه إرسال المخطوطات الدينية مع ممثلين من قبل اليهود فأرسلت لبطليموس الذي كلّف مجموعة من المترجمين الذين ترجموها. والحقيقة أن هذا الحدث هو حدثٌ فاصل في تاريخ الديانة اليهودية، ونحن نعتبره الحدث التأسيسي الثاني لليهودية بعد الحدث التأسيسي الأول الذي هو كتابة عزرا لأسفارهم. تنطوي أهمية الترجمة السبعينية، من وجهة نظرنا، على أن اليهود لم يكونوا قبل ذلك الوقت يمتلكون كتاباً واحداً شاملاً مقدساً لهم، بل كانت مجموعة أسفار (لا نعرف عددها وطبيعتها) وهي مخطوطات جلدية أو ورقية أو معدنية متفرقة ونسخ وخطوط ومضامين مختلفة ومتباينة بعض منها في بابل وبعضها في إيران وبعضها في فلسطين وبعضها في مصر. وقد كان عمل بطليموس الثاني، دون دراية منه، هو توحيد وبناء الكتاب المقدس لليهود في لغة يونانية

هيلنستيّة (مصريّة فلسطينيّة)، وكان أن بقي هذا الكتاب واندثرت الأسفار المتفرقة التي قبله والتي لم تؤلف كتاباً واحداً ذات يوم.

في هذه اللحظة التاريخيّة الهيلنستيّة ولد الكتاب المقدّس لليهود الذي هو التوراة وهي جزء من الكتاب الذي نسمّيه (تناخ) وهي كلمة اختزالية تدل على الأجزاء الثلاثة للكتاب وهي (ت: توراة، ن: نفييم أي الأنبياء الأوائل، أخ: أخرونيم وهم الأنبياء المتأخّرين) أما مصطلح (العهد القديم) فهو تسمية مسيحيّة لكتاب الـ (تناخ). لكن الترجمة السبعينية لم تحتو على جميع أسفار التناخ (العهد القديم) الحالي، فقد ضمت بعض أسفاره الأولى مع بعض الأسفار التاريخيّة، ويحتاج هذا الأمر لتدقيق علمي كي نقف على الإضافات التي تلت على الترجمة والتي جعلت من التناخ كتاباً بالشكل الذي هو عليه الآن.

والحقيقة هي أن الإغريق البطالمة هم الذين صنعوا هذه اللحظة التاريخيّة التأسيسية، وكانت بمثابة عولمة لليهوديّة أو جعلها ديانة عالمية وإخراجها من قمقمها الضيق الذي ولدت فيه، فهي الحادثة التي رفعت الديانة اليهوديّة إلى ديانة عالمية مؤثرة في العالم الذي كان أغلبه هيلنستياً آنذاك.

أما الأسطورة التي تتحدث عن وجود (72) مترجماً أنجزوا عملهم في (72) يوماً في جزيرة فاروس فهو أمر مشكوك فيه تماماً.

ويرى سارتون أن هذه الحكاية أسطوريّة إذ إن المختصين يرون أن اللهجة التي ترجمت بها التوراة أو الأسفار الخمسة مكتوبة بلغة يونانيّة يهوديّة ركيكة جداً وأن تلك اللهجة "أقرب لأن تكون مصريّة منها إلى فلسطينيّة". (النّشأ: 1995: 54).

وهذه اللهجة كانت جزءاً مما يعرف بـ(كوين) وهي الإغريقيّة الكوينية Koine Greek. ولا شك في أن اليهود منذ ذلك التاريخ نظّموا كتابهم المقدّس (المكتوب باللغة العبرية) وفق تسلسل وتكوين الـ (المكتوب باللغة اليونانية) وأضافوا له ما أضافوه، لكن السؤال الهام هو: هل توقف اليهود عن كتابة أسفار جديدة سواء كانت مشتقة من مادة التناخ أو من خارجها؟ والجواب نجده في الكم الهائل من الكتب والأسفار اليهوديّة التي اسميناها خارجية (أي خارج التناخ) وهي (الأبوكريفية، والمنسوبة، ومخطوطات البحر الميت، والضائعة) والتي تشهد على الأثر الهيلنستيّ الباطنيّ البليغ الذي ظهر في اليهوديّة وجعلها تبدو وكأنها ديانة ظهرت في هذا العصر.

ب. ظهور الأسفار اليهوديّة غير القانونية (أبو كريفا Apogrypha):

أبوكريفا كلمة يونانيّة قديمة تعني حرفياً (الأشياء التي أخفيت) أو (المخفيّات) واستعملت اصطلاحياً لتشير إلى: النصوص الدنيّة غير المعترف بها رسمياً من المؤسسة الدنيّة، وقد أخذت هذه الكلمة طابعاً سلبياً عندما أصبحت تشير إلى النصوص المحرّفة والمنبوذة. وأصبحت المسيحيّة، بشكل خاص، تشير بهذا المصطلح إلى النصوص التي لم تقرها المجامع الكنسية الرسميّة. ويمكن أن نسمّيها بـ(غير القانونية) وهناك حول الكتاب المقدّس بجزءيه القديم والحديث (اليهوديّ والمسيحيّ) الكثير من نصوص وكتب وأسفار الأبوكريفا.

أبو كريفا (الكتب الخارجية، الكتب الخفية، الكتب غير القانونية) اليهوديّة كانت كتباً باطنيّة حملت المؤثرات المسارية والهرمسيّة والغنوصيّة التي صنعت يهوديّة العصر الهيلنستيّ. وقد كتب معظم هذه الكتب بين (200 ق.م. - 100م) وبعده بقليل) وتقع هذه الفترة ضمن العصر الهيلنستيّ (الإغريقيّ والرومانيّ). وكان حاخامات اليهود قد أوصوا بعدم إطلاع العامة على كتاب واحد أما البقية فقد استبعدت لأسباب أخرى ربما يتعلق بمستواها أو موضوعها.

5. مرحلة الديانة اليهودية باسمها الصريح:

وأول من أشار إلى عقيدة اليهود باليهودية هو المؤرخ اليهودي المتأغرق يوسيفوس فلافيوس، وذلك بالمقارنة مع "الهيلينية": عقيدة أهل مقاطعة يهودا مقابل عقيدة سكان مقاطعة هيلاس. فالمصطلحان بدأ اسمين جغرافيين قبل أن يشيرا إلى النسقين العقائديين. وقيل التهود في اللغة التي كان يتحدثها موسى بمعنى العودة أو التوبة كما جاء في القرآن (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) [سورة الأعراف: 156] أي تبنا إليك وعدنا.

وهناك من يرى أن أول من أطلق على (أهل التوراة مصطلح (يهود) هو بولس الرسول، من خلال لغته اليونانية، في القرن الميلادي الأول، فكلمة "اليهودية" مشتقة من اليونانية Ioudais-mos، وهو مصطلح استخدم لأول مرة في فترة ما بين العهدين القديم والجديد - intertestamen-tal اليوناني اليهود متحدثاً لتمييز دينهم من الهيلينية. تتكوّن كلمة يهود من جزءين هما:

الجزء الأول: هو المقطع (- يهو) وهو مشتق من الاسم العبري للإله يهوه 'יהוה - يهوه.

ومثل هذا موجود كثيراً في الأسماء مثل (يهوشوع == 'יהושע/ال) (يهوقيم == 'יהויקים).

الجزء الثاني: المقطع ('ה - ده) المشتق من المقطع 'הה - يده) بمعنى شكر - حمد.

وبذلك يكون معنى كلمة يهود: شكر يهوه، حمد يهوه.

بعد تدمير ما أسموه بـ(هيكل سليمان) من قبل الرومان عام 70 م، عاد اليهود لفكرة بناء المعبد (الكنيس) وأكدوا التعليم الأساسي له والوظيفة الثلاثية للكنيس باعتباره "دار الدراسة" (لتعليم التوراة)، "بيت الصلاة" (لعبادة يهوا)، و"بيت التجمع" (لرعاية الحاجات الاجتماعية لهم).

ورغم عودة عند أهل السبي لأورشليم، لكن بلاد النهرين بقيت هي أساس الديانة التي تحولت إلى الديانة اليهودية بفعل الأسفار التوراتية، فقد كانت بابل مركزاً رئيسياً آخر للوجود اليهودي الذي توسّع ليشمل فرثيا، مادي، وعيلام. يقول أحد المؤرخين إن «كل المقاطعات في سهل دجلة والفرات — الممتدة من أرمينيا إلى الخليج العربي [من الناحية الجنوبية]، إلى بحر قزوين من الجهة الشمالية الشرقية، وإلى مادي من الجهة الشرقية — ضمت مجموعات سكانية يهودية». وتقدر دائرة المعارف اليهودية ان عدد هؤلاء اليهود بلغ 800,000 شخص أو أكثر. ويخبرنا المؤرخ اليهودي يوسيفوس الذي عاش في القرن الأول أن عشرات آلاف اليهود الساكنين في بابل كانوا يسافرون إلى أورشليم للاحتفال بالأعياد السنوية". (<https://wol.jw.org/> ar/wol/d/r39/lp - a/2005763#h=19 موقع مكتبة برج المراقبة الالكترونية. انتشار المسيحية بين اليهود في القرن الاول، تاريخ الاقتباس 4/7/2018.

المبحث الثاني المكوّنات الأساسيّة للديانة اليهوديّة

المعتقدات اليهوديّة

أولاً: كتبُ وأسفارُ الديانة اليهوديّة

يضعنا التراث الدينيّ اليهوديّ أمام تصنيفات كثيرة له، تتشابك فيها موضوعاتها ومادتها، ولكي نعرف المناطق التي كانت تضيء لنا موضوع آباء ما قبل الطوفان فقد أخذنا بأغلب ما كتب عنهم ابتداءً من الرواية الرسميّة عنهم في التوراة، ومروراً بالكتب الدّينيّة الرسميّة (القانونيّة) والكتب غير الرسميّة (غير القانونيّة) لكي نضع صورة شاملة لما كتب عنهم ولكي نجمع المادة الشحيحة التي تناولت أغلبهم، وهذا ما نفعنا كثيراً في التقاط الكثير من الأسماء والإشارات التي وجّهت بحثنا وأثرته كثيراً.

كان لا بد من تنوير القارئ بمصادرنا وكان ذلك يستوجب عرضاً بسيطاً ومكثفاً لأصول التراث اليهوديّ لكي نعرف حجم المهمة الشاقة التي كنّا بصددّها. ولذلك اخترنا تصنيف هذا التراث كما يلي:

الكتب اليهوديّة الثانويّة	الكتب اليهوديّة الأساسيّة	الكتاب المقدّس عند اليهود
1. أبوكريفا (الأسفار القانونيّة)	1. الترجوم	التناخ: يتكون من ثلاثة أقسام:
2. سيدبغرافيا (الأسفار المنسوبة)	2. المشنا	1. التوراة: قسم الشريعة (5 أسفار)
3. كتب قمران (مخطوطات البحر الميت)	3. التلمود	2. نفاثيم: قسم الأنبياء
4. الكتب اليهوديّة المفقودة	4. الهلاخا	الأنبياء الأوائل (6 أسفار)
	5. الهجادة	الأنبياء المتأخرون (3 أسفار)
	6. الكابالا	الأنبياء الإثنا عشر (12 سفرًا)
	7. المدراش	3. كتوفيم: قسم الكتب (12 سفرًا)

1. الكتاب المقدّس عند اليهود

التفريق بين مصطلحات العهد القديم والتناخ والمقرّأ والتوراة

لا بد من فك الاشتباك بين مصطلحات متداخلة نستعملها دائماً للإشارة إلى الكتاب العبري المقدّس، من أجل توخي الدقة والحذر في استخدامها وهي كما يلي:

1. **الكتاب المقدّس (بايبل):** العهد القديم والعهد الجديد
2. **العهد القديم:** الجزء الأكبر من الكتاب المقدّس ويحتوي على جميع كتب اليهود بما فيها التوراة (الكتب الخمسة الأولى) وبقية الكتب والأسفار اليهوديّة الرسميّة. وتسمية العهد القديم تسمية مسيحيّة للكتاب المقدّس اليهوديّ الذي يسمونه بـ(تناخ).
3. **التناخ (Tanakh):** هو (ت ن خ): كلمة مركبة من ثلاثة حروف (رؤوس الكلمات) كل منها بداية لاسم مجموعة من الكتب وهي (توراة Torah - نثيّيم Neviem - كتوفيم/ختوفيم Ktouvim) تمثل الكتاب المقدّس اليهوديّ، وهو أكثر أسماء الكتاب المقدّس العبري شيوعاً في الأوساط العلميّة. أي أنها مكونة من ثلاثة أقسام هي:

- أ. التوراة (توراة): قسم الشريعة
 ب. الأنبياء (نفيئيم): قسم الأنبياء
 ج. الكتابات (كتوفيم): قسم الأدبيات.

4. التوراة: الأسفار الخمسة الأولى من التوراة فقط. التوراة بالعبرية تعني الشريعة أو التعليم أو التوجيه (الترئية بالمعنى الحرفي) وخصوصاً في ما يتعلق بالتعليمات والتوجيهات القانونية.
 5. المقرأ: أحياناً يسمى التناخ المقرأ (Miqraa) N7777. وهو الاسم العبري القديم للتناخ أو العهد القديم.

أقسام الكتاب المقدس اليهودي (تناخ)

ينقسم الكتاب المقدس العبري (تناخ) إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: التوراة Torah

«توراة» كلمة من أصل عبري مشتقة من فعل «يوريه» بمعنى «يُعَلِّم» أو «يوجّه»، وربما كانت مشتقة من فعل «باراه» بمعنى «يُجري قرعة». ولم تكن كلمة «توراة» ذات معنى محدد في الأصل، إذ كانت تُستخدم بمعنى «وصايا» أو «شريعة» أو «علم» أو «أوامر» أو «تعاليم»، وبالتالي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية ككل، ثم أصبحت تشير إلى البنتاتوخ أو أسفار موسى الخمسة (مقابل أسفار الأنبياء وكتب الحكمة والأنشيد). ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله، مقابل تفسيرات الحاخامات. ويُشار إلى التوراة أيضاً بأنها القانون أو الشريعة، ويبدو أن هذا قد تم بتأثير الترجمة السبعينية التي ترجمت كلمة «توراة» بالكلمة اليونانية «نوموس» أي «القانون». وقد شاع هذا الاستخدام في الأدبيات الدينية اليهودية حتى أصبحت كلمة «توراة» مرادفة تقريباً لكلمة «شريعة». (المسيري ج5 1999: 111)

وهي الكتب أو الأسفار الأولى الخاصة بالخليفة والعالم القديم والشرائع، وهي كما يلي:
 سفر التكوين (بالعبرية: Bereshit): فيه خلق العالم، وقصة آدم وحواء وأولادهما، ونسلهما من الآباء من شيت إلى نوح ثم الطوفان، ثم تبلبل الألسن، ثم قصة إبراهيم وابنه إسحاق وابنه يعقوب ويعيسو، ثم قصة يوسف.
 سفر الخروج (بالعبرية: Shmot): أي خروج اليهود من مصر، وفيه قصة موسى من ولادته وبعثته، وفرعون وخروج بني إسرائيل من مصر، وصعود موسى الجبل واستلامه الألواح من الله.
 سفر اللاويين (بالعبرية: Waiqraa): وهم الأحبار، وفيه حكم القربان والطهارة ومايجوز أكله، وغير ذلك من الفرائض والحدود.
 سفر العدد (بالعبرية: Bamidbar): في الشرائع، وفي أخبار موسى وبني إسرائيل في التيه وقصة البقرة.
 سفر التثنية (بالعبرية: Dvarim): في إعادة الناموس.

القسم الثاني: أسفار الأنبياء

أسفار الأنبياء هو الكتاب الثاني من كتب التناخ ويحوي الكتاب على قصص وتاريخ الأنبياء

والمملوك الإسرائيليّين، ويتصنّف أسفار الأنبياء إلى ما يلي:

1. الأنبياء الأوائل

- سفر يشوع (بالعبرية: يهوشوع 'Yehoshoua)
سفر القضاة (بالعبرية: شوفطيم Shoftim)
سفر صموئيل الأول (بالعبرية: سموؤيل اليف Shmuel Alef)
سفر صموئيل الثاني (بالعبرية: سموؤيل بيت Shmuel Bet)
سفر المملوك الأول (بالعبرية: ملخيم اليف Melakhim Alef)
سفر المملوك الثاني (بالعبرية: ملخيم بيت Melakhim Bet)

2. الأنبياء المتأخرون

- سفر اشعيا (بالعبرية: يشعيهو Yesha'yahu)
سفر ارميا (بالعبرية: يرميا Yirmiyah)
سفر حزقيال (بالعبرية: يحزقيال Yehezkel)

3. أسفار الأنبياء الإثني عشر

- سفر هوشع (بالعبرية: هوشيع Hoshea)
سفر يوئيل (بالعبرية: يوئيل Yoel)
سفر عاموس (بالعبرية: عاموس Amos)
سفر عوبديا (بالعبرية: عوبديا O'vadya)
سفر يونا (بالعبرية: يونا Yonah)
سفر ميخا (بالعبرية: ميخا Mikha)
سفر ناحوم (بالعبرية: ناحوم Nah'oum)
سفر حبقوق (بالعبرية: حبقوق H'avaqouq)
سفر صفنيا (بالعبرية: صفنيا Sefanya)
سفر حجي (بالعبرية: حجي H'agay)
سفر زكريا (بالعبرية: زكريا Zekharya)
سفر ملاخي (بالعبرية: ملاخي Malakhi)

القسم الثالث: الكتابات

أسفار الحكمة الشعرية

- سفر المزامير (بالعبرية: تهيليم Tehilim)
سفر الأمثال (بالعبرية: مشلي Mishley)
سفر أيوب (بالعبرية: ايوب Eyob)
سفر نشيد الأناشيد (بالعبرية: شير هاشيريم Shir Ha - Shirim)
سفر الجامعة (بالعبرية: قوهيليت Qohelet)
سفر روت (بالعبرية: روت Rut)
سفر ايخا (بالعبرية: ايخا Eykha)
سفر استير (بالعبرية: استير Ester)

سفر دانيال (خليط من اللغتين العبرية والآرامية الغربية، بالعبرية: دانييل Daniel)
سفر عزرا (خليط من اللغتين العبرية والآرامية الغربية، بالعبرية: عزرا E'zra)
سفر أخبار الأيام الأول (بالعبرية: دبري هاياميم الياف Divrey Hayamim Alef)
سفر أخبار الأيام الثاني (بالعبرية: دبري هاياميم بيت Divrey Hayamim Bet)
2. الكتب اليهودية الأساسية

(الترجوم) الترجمات التفسيرية للكتاب المقدس أولاً Targum الترجوم

«ترجوم» كلمة آرامية من الأصل الفارسي «تورجمان» وهي تعني «ترجمة». ويُطَاق هذا المصطلح على الترجمات الآرامية للكتاب المقدس. وقد وُضعت هذه الترجمات في الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس قبل الميلاد. وقد أصبحت مثل هذه الترجمة أمراً مهماً وحيوياً بالنسبة إلى اليهود، نظراً لأن الآرامية حلت محل العبرية بعد التهجير البابلي. فمنذ أيام عزرا، كانت تُضاف ترجمة آرامية بعد قراءة أجزاء من العهد القديم، وقد صار هذا تقليداً ثابتاً. ومن أشهر الترجمات الآرامية للكتاب المقدس: ترجوم أونكيلوس لأسفار موسى الخمسة وحدها، وترجوم يوناثان لبقية أسفار العهد القديم. ويُعتَقَد أن آرامية الترجوم كانت مُتكلفة إلى حد ما. وسعت التراجم الآرامية إلى إضفاء مسحة من ثقافة عصرها على النص فقام المترجمون بإدخال مصطلحات مثل «الجنّ والملائكة» بديلاً عن الإشارة إلى الرب مجسداً. (المسيحي 5 ج 1999: 116).

لكل كتاب مقدس تفاسيره الكثيرة التي تظهر على مرّ الأجيال وتترك تفسيراتها وتأويلاتها في كتب متواترة الصدور، وهناك تفاسير كثيرة للتوراة بدأت بالظهور منذ القرن الثاني قبل الميلاد، حين حلت الآرامية محل العبرية كلغة متداولة. وتسمى هذه التفاسير باسم (تارجوميم) أو (ترجوم) أي (ترجمات) وتوجد تفاسير «تارجوميم» لجميع أسفار التوراة (باستثناء الأسفار المدونة في غالبيتها بالآرامية مصحوبة بالتأويلات والمعاني الباطنية والأساطير أحياناً). الحاخام شلومو بن يتسحاق المعروف بـ«راشي» (1040 - 1105) هو أشهر المفسرين للكتاب المقدس، وقد كان تفسيره يتوخى التوازن بين التفسير الحرفي للنص والمواظع الأخلاقية التقليدية للحاخامين.

ثانياً: المشنا: التوراة الشفاهية

التوراة الشفاهية هي تفسير تحليلي للتوراة المدونة، يعتقد اليهود بأنها منزلة على موسى في جبل سيناء. بعد الغزو الروماني وتدمير الهيكل الثاني (70م). قامت المؤسسة الدينية اليهودية بتحرير المتواترات التفسيرية الشفاهية للتوراة، تتضمن الشرائع ومجموعة واسعة من الشروح والتفاسير تتناول أسفار العهد القديم التي قالها التنايم. وهناك آراء مختلفة حول بداية صياغة المشنا، لكن تم الاتفاق على أن تحريرها وصياغتها النهائية تمت في نهاية فترة التنايم، في بداية القرن الثالث، بواسطة الراي يهودا الناسي وحكماء جيله (في القرن الثاني للميلاد)، والمشنا كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري «شناه» ومعناها بالعربية (يُنْتَبه أو يكرر) ولكن تحت تأثير الفعل الآرامي «تانا» أصبح معناها (يعلم) فيكون معناها النهائي (التعليم عن طريق التكرار)، وكان الحكماء الذين ترد تعاليمهم في المشنا يسمون باسم «تنائيم» وسُمي عصرهم بـ(عصر التنايم) الذي تم خلاله جمع مواد المشنا، منذ تدمير الهيكل الثاني حتى بداية القرن الثالث

للميلاد.

تنقسم المشنا لستة أجزاء (شاس):

- سيدر هزرعيم (البذور) يتناول الشرائع المرتبطة بالأرض.
- سيدر موعيد (المواعيد) يتناول الأجازات والأعياد والصيام.
- سيدر نشيم (النساء) يتناول شؤون الأسرة، الزواج والطلاق وغيرها.
- سيدر نزيكين (الأضرار) يتناول التعامل مع القانون المدني والجنائي.
- سيدر كدوشيم (المقدّسات) يتناول شؤون معبد القدس والقرايين.
- سيدر طهروت (الطهارة) يتناول شؤون الطهارة.

ثالثاً: التلمود

استلزمت التفاسير والشروحات المتراكمة عبر الزمن لنصوص (المشنا) أن يتكون حولها ما يعرف بـ(جمارا) أي الشروحات، وهكذا كوّنت المشنا والجمارا كتاباً جديداً هو (التلمود) الذي هو موسوعة العالم اليهودي وتتضمن الدين، والشريعة، والتأملات الغيبية، والتاريخ، والآداب، والعلوم الطبيعّية؛ والزراعة، وفلاحة البساتين، والصناعة، والمهن، والتجارة؛ والربا، والضرائب، وقوانين الملكية؛ والرق؛ والميراث؛ وأسرار الأعداد؛ والفلك، والتنجيم؛ والقصاص الشعبي، بل إنه ليغطي جوانب الحياة الخاصة لليهودي، إذ يتناول - في جملة ما يتناول - كل دقائق إعداد الطعام وتناوله، والعلاقات الخاصة بين الرجل وزوجته، والطمث والدعوات التي يقولها الإنسان بعد الذهاب إلى دورة المياه. فهو كتاب شامل يرصد الحياة كلها بعيون يهودية ولا يدع للفرد حرية التفكير والتصرف.

بدأ تدوين التلمود مع بداية القرن الميلادي الأول، واستغرق تأليفه ما يقرب من خمسمئة عام.

هناك تلمودان وهما

1. التلمود البابلي: الذي كتب في بابل من قبل كهنة وحاخامات المدارس اليهودية في بلاد الرافدين، وهو الأوسع والأكمل.

2. التلمود الفلسطيني "الأورشليمي": الذي كتب في أورشليم متأخراً وملخصاً للتلمود البابلي. كلاهما مكون من "المشنا" و"الجمارا". المشنا هي ذاتها في الكتابين، ووجه الاختلاف بينهما في الجمارا، وليس في المشنا، الجمارا البابلية هي الأكمل والأشمل من الجمارا الفلسطينية؛ والتلمود البابلي هو الأكثر تداولاً، وهو الكتاب القياسي عند اليهود. وحاخامات الجمارا عرفوا باسم (أمورايم) الذين تتركز إضاحاتهم على المشنا على شكل كلمات ورؤى تسمى التفسير الترجمي (تراجمة).

لغة الجماراتين هي الآرامية (الآرامية الشرقية في حالة التلمود البابلي، والآرامية الغربية في حالة التلمود الفلسطيني) وقد كُتبتا بأسلوب إضاحي بسيط. وإذا كان معظم المشنا تشريعياً قانونياً هالاخياً، فإن الجمارا تجمع بين القانون والمواعظ والقصص (أجاده). وتبلغ أقسام المشنا ستة أقسام، وهي الأقسام الأساسية للتلمود، باعتبار أن الجمارا تعليق على المشنا وشرح لها. ويبلغ عدد صفحات التلمود "مشنا وجمارا" حوالي ستة آلاف صفحة في كل منها 400 كلمة.

"بإلقاء نظرة سريعة على التلمود نجد أنه أقر حق تسلط اليهود على الأرض والبشر بالحرب. وذلك "لنتم لهم السلطة والثراء، وعندها يتهوّد الناس أفواجاً". ونظر إلى الأديان الأخرى نظرة

حاقدة موتورة فقالوا عن المسيحيين "إنهم سافلو الأخلاق ولا يستحقون المحبة والعدل". كما شتموا السيد المسيح ووصفوه بالمنافق والدجال.. وما إلى ذلك من كلام قبيح.. وقال التلمود البابليّ (الأمورائيم والسبورائيم) بالتناسخ وهي فكرة بابليّة هندية، أخذها حاخامات بابل وثبتوها في كتابهم هذا، وليست موجودة في الثنائيم. وذكر التلمود في تعاليمه الحياتية: الفلاحة والزراعة الأعياد والمواسم النساء وما يتعلق بهن من زواج وطلاق وإرث النواهي والعقوبات الذبائح والتقدمات والقرايين ومراسم الهيكل التطهير، وهي ستة أقاليم يقوم عليها التلمود، ومقرونة بطروف الأحقاب السالفة وحياتها البدائيّة، أي أنها غير صالحة للخلود الإنسانيّ. (الشوفي 2003: 54).

لعب التلمود أدواراً نوعية في تاريخ اليهود توازي بل وتتفوق على مافعله التناخ، وسندرج بعض ما فعله:

1. يعتبر التلمود مصدراً من المصادر الأساسيّة للشريعة اليهوديّة.
2. كان التلمود يستخدم أساساً للتربية اليهوديّة؛ فكان الدارسون اليهود يستذكرونه لمدة سبع ساعات يومياً طوال سبع سنوات. وقد نجح التلمود في ضرب العزلة الوجدانية والروحيّة والعقلية على اليهود؛ حتى أن أحد الشعراء الألمان اسماه وطن اليهود المتنقل.
3. التلمود تفسر العهد القديم لليهود وهم في شتاتهم كأقليات تجارية متناثرة في العالم، وليس كشعب مستقر في أرضه.
4. تعبير عن محاولة اليهوديّة الحاخامية التلمودية السيطرة على جماهير اليهود، وعزلهم عن بقية الشعوب، خاصة بعد ظهور المسيحيّة التي اتخذت من العهد القديم كتاباً مقدساً، وأكملته وعدلته بالعهد الجديد.
5. يتناسب مع الانعزالية في المجتمعات الإقطاعية المشجعة للفصل بين الطبقات والجماعات الدنيّة، وهي وقد شابها شكل من أشكال التعالي على الناس في نصوص التلمود.

رابعاً: الهالاخا (الشرع)

كتاب الفقه اليهوديّ عن طريق الأسئلة والأجوبة وهو كتاب الفتاوى، فهو كتاب عمليّ أكثر من التلمود ويستهدف كلاً من المسارين (الأحكام الفقهية والفتاوى) إدخال تحسينات على التلمود وصياغته في شرائع واضحة في مجال السلوك الدينيّ والمدنيّ، تكون مصحوبة برسائل ذات صفة روحيّة وأخلاقية. يتكون من مسارين:

1. الأسئلة والأجوبة: وهي مجموعة الأسئلة والأجوبة الشاملة التي حلّت محلّ القوانين الثابتة والمرجعية وبسّطتها وجعلتها عمليّة أكثر. وهي بالنسبة لليهود "القانون غير المكتوب" (com-mon law). وتعود نشأتها إلى اسئلة وجّهها اشخاص عاديون إلى الحاخامين في فترة التلمود. مع حلول القرن العاشر الميلاديّ، ومع نموّ الطوائف اليهوديّة في أماكن متفرقة من العالم، ازداد عدد الأسئلة والأجوبة حتى بلغ عشرات الآلاف. وظهرت اول مجموعة مُدوّنة من الأسئلة والأجوبة في النصف الأول من القرن الثامن، إلا أن الحاخامين، وهم من ذوي صلاحية البت لم يصدروا مثل هذه المجموعات في شكل كتاب، كما يفعل الكثيرون الآن.

2. الشريعة المكتوبة (مجموعات القوانين): وهي الأصول الفقهية المرجعية التي تشكل أساس الفقه والشريعة اليهوديّة، وأول مجموعة صدرت في هذا المجال كانت (هالاخوت بسوكوت) أي (القوانين) التي وضعها الحاخام يتسحاق، وجاء بعدها كتاب (سفر هالاخوت) ثم كتاب (هارامبام) (مشنيه تورا) للحاخام موسى بن ميمون، ثم وضع الحاخام موشيه مجموعة قوانين

جديدة عنوانها (شولحان عاروخ)، ثم الحاخام كارو الذي وضع كتاب (مفرش).

خامساً: آجاده، هاجاده (التفسيرات القصصية الأسطورية)

Haggadah، Agadah

”لفظ «آجاده» أو «هجاداه» آرامي، ويعني «روى» أو «حكى» أو «قص»، كما يعني أيضاً «أسطورة» أو «حدوتة فلكلورية»، وهو مشتق من أصل عبري غير معروف على وجه الدقة، فيُقَال إنه من فعل «هَجَيْد» بمعنى «قيل» للإشارة إلى القصص الشفوية مقابل القصص المدونة. وإن كان يُقال إنه مشتق من عبارة «هَجَدْتَا لَبْنِيخَا»، أي «تخبر أبناءك» (خروج 13/8). وتستخدم هذه الكلمة للإشارة إلى الفقرات والقطع التلمودية التي تعالج الجوانب الأخلاقية أو القصصية الوعظية أو الأدعية أو الصلوات أو مديح الأرض المقدسة أو التعبير عن الأمل في وصول الماشيخ. كما تشير إلى الأجزاء التي تتناول التاريخ والسير والطب والفلك والتنجيم والسحر والتصوف. (المسيري ج5: 1999: 217).

فهي قصص وأساطير الاولين وتقابل الروايات ولكنها منسوبة للأنبياء، حيث تم صبغ سيرتهم وتاريخهم وحياتهم الحقيقية بصبغة خيالية في أمور ومواقف لم تحدث وتعود مخطوطاتها إلى سنة 200م.

الهاجادا تراث يهودى مكتوب بنفس نمط قصص ألف ليلة وليلية وكلييلة ودمنة، وقصص تاريخية مصبوغة بصبغة أسطورية وروايات وأحداث خرافية ولكنها منسوبة للأنبياء العهد القديم بالكتاب المقدس.

الهاجادا مصطلح يعبر عن مجموعة قصص شعبية وخرافات كثيرة ثرية انتشرت بين عوام اليهود في القرون الأولى بعد الميلاد، ودخلت في بعض تفاسير كتبهم المقدسة، وفي الجمارة من التلمود، وقد تقال كلمة هاجادة بصيغة المفرد أو تقال بصيغة الجمع العبري (هاجادوت).

سادساً: الكبالا (القبالا)

كلمة قابالا مصدرها ”لقابيل“، ”לַקַּבִּיל“ بالعبرية - أي ”تلقي“ ومعناها المعرفة التي تنتقل بطريق التراث، وهو الكتاب الباطني في اليهودية ومجموع التوجهات الباطنية اليهودية في هذا المجال، خاصة تلك التي ظهرت في القرن الثاني عشر، وبعده. وهي تبحث عن الألوهية في كل الأشياء، ولهذا فإن الكتابات القبالية أدت إلى بلورة ”ثيولوجيا باطنية“ يهودية، لها فروعها الثانوية ومصطلحاتها الخاصة بها، وتتقضى أسرارها وتبحث في العلاقة بين ماهية الحياة الإلهية والحياة البشرية. ومن مجالات الدراسة الهامة في القبالا علم الملائكة وعلم الشياطين، أوصاف الله وأسمائه الخفية، وعلم الآخرة (أي يوم القيامة).

القبالا هي ”فلسفة القبول“ ومذهب القائلين إن الإيمان هو قبول التراث، والتوفر على أداء الشعائر تعبير عن هذا القبول بأدائها، والتسليم لله والأمل أن يحظى أداؤها بالقبول لدى الله. ومن ثم فالقباليون أو القبوليون أو القبليون هم السلفيون، وهم نقيض الحرفيين والعقلين، لأنهم يذهبون إلى أن للنصوص روحاً هي التأويلات التي يستخرجها الواصلون، وتأويلاتهم تشكل مذهباً هو نقيض المذهب العقلي، وخاصة في صورته عند الميموني. والقبالة بحكم نشأتها وتاريخها وفلسفتها مذهب باطني، وهي غنوص يهودي لا شك فيه، وطريقة يهودية في التصوف، وذلك لأنها تقوم أولاً على المنهج الباطني، وغايتها معرفة الله، والعلم بها والأخذ بتعاليمها يؤدي إلى خلاص الفرد والجماعة“. (الحفني 1994: 169).

أهم المؤلّفات في القبلا هو الـ زوهار ("تألق")، وهو الكتابات التفسيرية والمواعظ والمناقشات ويعود تاريخ كتابته إلى الحاخام شمعون بار يوحاي وزملائه من فترة المشنا، لكن الباحثين المعاصرين يعتقدون بأنه تم تأليفه في القرن الثالث عشر، وهي الفترة التي عُرف فيها. وهم يعتقدون بأن مؤلف الزوهار هو (موسيه بن سيم طوف ده ليون) الذي عاش في جوادالاخارا، إلى الشمال الشرقي من مدريد.

"كان القباليون يرون أن المعرفة، كل المعرفة (الغنوص أو العرفان)، توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضاً. فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني مُحدّث يُفرضي إلى معرفة غنوصية، أي باطنية، بأسرار الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية. والتوراة حسب هذا التصور هي مخطّط الإله للخلق كله، وتنبغي دراستها. لكن كل كلمة فيها تمثل رمزاً، وكل علامة أو نقطة فيها تحوي سرّاً داخلياً، ومن ثم تصبح النظرة الباطنية الوسيلة الوحيدة لفهم أسرارها. وقد جاء أنه، قبل الخلق، كُتبت التوراة بنار سوداء على نار بيضاء، وأن النص الحقيقي هو المكتوب بالنار البيضاء، وهو ما يعني أن التوراة الحقيقية مختفية على الصفحات البيضاء لا تتركها عيون البشر". (المسيري ج5: 1999: 245).

سابعاً: المדרاش كتب التفسير (مدراش Midrash)

"«مدراش» من الكلمة العبرية «درش»، أي «استطلع» أو «بحث» أو «درس» أو «فحص» أو «محص». والكلمة تُستخدَم للإشارة إلى ما يلي: 1 - منهج في تفسير العهد القديم يحاول التعمق في بعض آياته وكلماته، والتوسع في تخريج النصوص والألفاظ، والتوسع في الإضافات والتعليقات، وصولاً إلى المعاني الخفية التي قد تصل إلى سبعين أحياناً. وهناك قواعد مדרاشية للوصول إلى هذه المعاني. ومثل هذه المعاني الخفية، تُذكر دائماً مقابل الـ «بيشات» أي «التفسير الحرفي». 2 - ثمرة هذا المنهج من الدراسات والشروح، فالتلمود مثلاً يتضمن دراسات مדרاشية عديدة، بمعنى أنها اتبعت المنهج المדרاشي. ولكن هناك كتب لا تتضمن سوى الأحكام والدراسات والتفسيرات المדרاشية المختلفة ويُطلق عليها أيضاً اسم «مدراش». (المسيري ج5: 1999: 210). "يشير مصطلح (مدراش) في المصادر اليهودية إلى الكشف الباطني للأقوال المدونة في العهد القديم إضافة إلى معناها البسيط. ويستمد (مدراش) حيويته من العهد القديم، ويقوم أساسه الذي وضعه (التنائيم) و(الأمورائيم) على وضع الأسس التي تقوم عليها الشرائع المستجدة في الحياة ومدارس تدريس التوراة (بيت همدراش)". (الشامي 2002: 184).

2. الكتب اليهودية الثانوية (غير القانونية)

أولاً: الأسفار اليهودية غير القانونية (أبو كريفا Apogrypha):

أبو كريفا كلمة يونانية قديمة تعني حرفياً (الأشياء التي أخفيت) أو (المخفيات) واستعملت اصطلاحياً لتشير إلى: النصوص الدينية غير المعترف بها رسمياً من المؤسسة الدينية، وقد أخذت هذه الكلمة طابعاً سلبياً عندما أصبحت تشير إلى النصوص المحرفة والمنبوذة. وأصبحت المسيحية، بشكل خاص، تشير بهذا المصطلح إلى النصوص التي لم تقرها المجامع الكنسية الرسمية. ويمكن أن نسّميتها بـ(غير القانونية) وهناك حول الكتاب المقدس جزئيه القديم والحديث (اليهودي والمسيحي) الكثير من نصوص وكتب وأسفار الأبوكريفا.

أبو كريفا (الكتب الخارجية، الكتب الخفية، الكتب غير القانونية) اليهودية كانت كتباً باطنية

حملت المؤثرات المسارية والهرمسيّة والغنوصيّة التي صنعتها يهوديّة العصر الهيلنستيّ. وقد كتب معظم هذه الكتب بين (200 ق.م - 100م وبعده بقليل) وتقع هذه الفترة ضمن العصر الهيلنستيّ (الإغريقيّ والرومانيّ). وكان حاخامات اليهود قد أوصوا بعدم إطلاع العامة على كتاب واحد أما البقية فقد استبعدت لأسباب أخرى ربما يتعلق بمسئولتها أو موضوعها.

تنقسم أبوكريفا التناخ (العهد القديم) التي يعترف اليهود بأنها أبو كريفّا إلى:

1. أسفار تاريخيّة ورؤيويّة: مثل عزرا الثاني (اسبراس الأول) في الترجمة السبعينية.
 2. أسفار قصصيّة أسطوريّة مثل أسفار (باروخ، طوبيت، يهوديت).
 3. أسفار تعليميّة مثل سفر حكمة سليمان.
- لكن هناك كتب أبوكريفا كثيرة أخرى ظهرت لاحقاً مثل رؤيا إبراهيم وغيره.

ثانياً: السيدبيغرافا Pseudepigrapha (الأسفار المنسوبة):

وتعني الأسفار (المنسوبة خطأً لغير مؤلفها) أو (المزيفة النسب) أو (المنحولة)، حيث إن بعض هذه الأسفار منسوبة لرموز دينيّة كبيرة قديمة جداً مثل (باروخ، أخنوخ، عزرا، نوح.. إلخ) وهي لا تضمّ إلى الكتب القانونية للعهد القديم في الترجمة السبعينيّة اليونانيّة أو الفولجتا (الترجمة اللاتينيّة) وهي ليست كتباً خفية (أبوكريفيّة). وعددها أكثر من كتب الأبوكريفا. يسيطر على أغلب الكتب المنسوبة توجّه آخرويّ (إسكاتولوجيّ) وهي موجهة إلى الخاصة لا العامة، وهناك آراء تقول بأن الأسينيين هم الذين كتبوها، على العكس من الكتب الخفيّة (التي يقال إن الفريسيين هم الذين كتبوها). وكانت الكتب المنسوبة ذات طابع طائفيّ وليست مثل الكتب الخفيّة (ابوكريفا) التي فيها حسّ شعبيّ عام وقد تبنت الكنيسة الكاثوليكيّة بعضاً منها في قائمة الأبوكريفا الكاثوليكيّة. أما كتب الأسفار المنسوبة فهي:

1. أسفار إنوخ 1، 2، 3، 4

2. أسفار باروخ 2، 3، 4

3. أسفار عزرا 3، 4، 5، 6... إلخ

ثالثاً: كتب قمران (مخطوطات البحر الميت):

وتسمّى أيضاً مخطوطات (قمران) وهي أكثر من 850 قطعة مخطوطة ما عدا الجذازات؛ بعضها موجود في الكتاب المقدّس وبعضها كان مفقوداً وبعضها غير معروف أساساً، وقد اكتشفها راعٍ فلسطينيّ اسمه محمد الذيب ثم اكتشف غيرها في كهوف صحراويّة قريبة بين عامي (1947 - 1956)، وبلغ عدد الكهوف أحد عشر كهفاً، وجميعها يعود إلى الفترة الزمنية ما بين القرن الثاني قبل الميلاد والقرن الميلاديّ الأول، أي الخاصة بالعهد القديم (التناخ) وفي الفترة الهيلنستيّة تحديداً.

كتبت هذه المخطوطات طائفة يهوديّة اسمها (الأسينيون) وهم فرقة غنوصيّة باطنيّة مبكرة ظهرت في الديانة اليهوديّة وقاومت هيلنة الدّين اليهوديّ وجعله تابعاً للحكام الإغريق وسنشرها في الفقرة المقبلة.

كتبت هذه المخطوطات على ورق البردي بالدرجة الأساسيّة وبعضها كتب على الجلود وصفائح النحاس ووجدت محفوظة ومخبأة في جرار فخاريّة مغلقة.

تنقسم هذه النصوص إلى ما يلي:

30% من نصوص التناخ ما عدا سفر إستر.

- 25% من نصوص خارج التناخ مثل (سفر أخنوخ وشهادة لاوي) وهي من الأبوكريفا.
- 30% من النصوص الخاصة بتفسير العهد القديم.
- 15% بعضها غير مترجم والبعض الآخر ما زال مجهولاً.
- وأغلب النصوص مكتوبٌ بالعبرية وبعضها بالأرامية وقليل منها باليونانية. سنتجاوز النسخ التناخية لأنها مقارنة لما نعرفه من التناخ أو بعضه وما يهمنا هو النصوص الخاص بالأسينيين. وهي ما نسميها هنا بـ(الكتب المخفية) وهي كما يلي:
1. سيرخ هايجاد: وهو ميثاق أو دستور الأسينيين.
 2. مخطوط (حرب أبناء النور وأبناء الظلام): التي تبدأ بمقطع يتنبأ بمجيء حرب ثم تصف أساليب الاستعداد لهذه الحرب من قبل أبناء النور وهم في النص مجموعة من (سبط لاوي ويهوذا وبنيامين) أما أبناء الظلام فهم من الأمم كما جرت عادة تسمية الشعوب غير اليهودية عند اليهود وكانوا يعنون بهم تحديداً (الآشوريين الأدميين، المؤابيين، العمونيين، الإغريق) أما موعد حصول الحرب فيكون بعد عودة أبناء النور من (صحراء الأمم) في دمشق، وبمعاونة ملائكة وجنود من الله. وتتحدث المخطوطة عن انتصار أبناء النور على أبناء الظلام ثم الاستيلاء على العالم كله.
 3. مخطوطة لامك: وهو كتاب أبوكريفي (أبوكريفون) أي غير قانوني يتحدث عن لامك حفيد أخنوخ (هرمس) الذي يشهد تحذيرات أخنوخ حول نهاية العالم، ومعروف أن لامك هو والد نوح، وفي النص قصة الخليقة وذكر الآباء الأوائل وولادة نوح من زواج الإنسان بأنصاف الملائكة.
 4. مزامير التسييح والشكر (هودايوت) وترجم أيضاً باسم (أعمال النعمة) ويبدأ بعبارة متكررة هي (إنني أمجدك أدوناي).
 5. عهد دمشق (الوثيقة الدمشقية) وهو شبيه بمخطوطة (جذاذات من وثيقة صدوقية) التي عثر عليها في القاهرة في معبد عزرا في الفسطاط عام 1890.
 6. مخطوطة الهيكل: وهو مخطوط يتحدث عن بناء الهيكل والطقوس والأعياد.
 7. لعنات الشيطان وجماعته.
 8. لعنات ملكي ريشا.
 9. مقاسات معسبه هتورا.
 10. رؤيا مسائعية.
 11. مراثي.
 12. جذاذات شعرية عن القدس والملك يوناثان.
 13. كلمات الأنوار السماوية.
 14. أغان لحرقة السبت.
 15. صلوات طقوسية، للأعياد، يومية.
 16. تبريكات.
 17. طهارة طقوسية.
 18. انتصارات الحق والصلاح.
 19. المغوية.
 20. تحريض على طلب الحكمة.
 21. عمل طقوس، حكمة.
 22. بارك نفسي.

23. أغنيات الحكيم.

24. تطويبات.

25. أبراج.

26. تساوام.

27. المخطوط النحاسي.

وهناك كتب التفاسير التوراتية التي تبلغ 28 كتاباً أو نصاً.

ومن الملاحظ أن مخطوطات قمران تظهر بصفات روحانيّة وغنوصيّة خاصة من بيئتها الشرقيّة الخاصة وليس من المؤثرات اليونانيّة فهي أبعد ما تكون عن هذه.

ولا بدّ من التذكير أن الكثير من كتب الأبوكريفا والسيدبيغرافيا موجودة ضمن مخطوطات البحر الميت (مخطوطات قمران).

رابعاً: الكتب المفقودة:

وهي كتب ورد ذكرها في أسفار التناخ (العهد القديم) ولم يعثر عليها حتى يومنا هذا مثل: سفر ياشر (أو كتاب العادل): مذكور في يوشع 10: 13 و 2 صموئيل 1: 18. يظهر أنه مجموعة أشعار. هناك عدّة كتب تدّعي أنها هذا الكتاب لكنها مزورة.

ثانياً: المعتقدات الألوهيّة

1. عقائد الربوبية

يهوّه (بالعبرية: יהוה). ويمكن أن يُلفظ (يهوا، ياهو) هو اسم الله المذكور في التوراة وفي التناخ عموماً.



وهو في الأساس إله من العصر البرونزي ظهر في المثلوجيا السومرية والأمورية والشامية ومن آلهة (مدين)، تم توظيفه في الديانة اليهودية. بالرغم من كتابة الاسم في التوراة العبرية إلا أنه يُحرّم على اليهود ذكر لفظ اسمه، ويمكن أن يشار له بالحروف الأربعة المونة له وهي (ي. ه. و. ه)، وكذلك يمكن أن يتم استبدالها بـ(أدوناي) أو (هاشم) بالعبرانية الحديثة، و(شيم) بالعبرية السامرية. ويسمح لرئيس الكهنة بنطقها أثناء قراءته للتوراة في يوم الغفران فقط، وذلك أثناء تواجده في قدس الأقداس.

أصل يهوا:

الأصل السومري: ياهو اسم من أسماء الحمامة السماوية التي هي أحد رموز إنليل، وتدل على الهواء، ويُرجّح أن تكون لها علاقة باسم يهوا خصوصاً أن يهوا العبري يقابل إنليل السومري، وكلّ منهما إله قومي لشعبه.

الأصل الأموري: حيث اسم يهوا هو بمثابة اسم إله الطقس والهواء الأموري، ور، ورم، وكانت القبائل الأمورية في مدين تعبد به باسمه الصريح (يهوا) وهم أهل زوجة موسى في المرويات الدينية اليهودية.

الأصل الآرامي: يرد ذكر اسم الإله يهوه مرادفاً للإله بعل حدد وذو الشرى والإله قوس. الأصل العبري: الاسم مشتق في اللغة العبرانية من فعل يعني «صار». ويعتقد عدد من العلماء ان الاسم يعني «يُصير»، يخلق أو يكون. وهو مؤلف من اربعة حروف عبرانية (יהוה) معروفة بالتزاغراماتون وتُنقل بالعربية إلى ي. ه. و. ه. الا ان اللفظ الدقيق للاسم الإلهي باللغة العبرانية القديمة غير معروف اليوم.

وهناك من يرى اسم «يهوه» اسم عبري معناه «الكائن الذي يكون» ولكنه، أيضاً، مشتق من فعل «هوى» أي سقط، فهو الإله الذي يُسقط البروق، أو أنه مشتق من الفعل «هوى» أي هواء، فهو إله العاصفة.

بينما يعتقد البعض أن الاسم كان يُلفظ «يَهوه»، ففي بعض مخطوطات البحر الميت الذي يتضمن جزءاً من سفر اللاويين باللغة اليونانية ينقل الاسم الإلهي نقلاً صوتياً إلى (إياو). ويقترح الكتبة اليونانيون الأوائل ألفاظاً أخرى هي (إيايه، يابه، وإياووه). ولا تملك أدلة تثبت أن أيّاً منها هو اللفظ الذي استعمل في اللغة العبرانية القديمة.

أصوات اسمه (ياوه، ياهو، ياه، أهيه، يهوه) تذكرنا بأصوات الطبيعة وأصوات الرياح والوحوش.. ويرى شتاء Stade أن معناه هو المسقط الذي يسقط البروق على الأعداء، لأن هوى بمعنى سقط.. بينما يذهب « فلهاوزن » Wellhausen إلى أن الاسم (يهوه من هوى في العربية يعني الهواء، فمعناه يهبّ أي أنه إله العاصفة، وظن (فلهاوزن) أقرب إلى الصحة، حيث أن يهوه في نصوص الكتاب المقدس كان لا يظهر إلا بين العواصف والغيوم والرياح.

الأصل العربي: من الناحية اللغوية هناك دراسات تشير إلى أن الاسم له علاقة بالجذر الثلاثي ه - و - ي والذي يحمل ثلاثة معانٍ هي: الهوى أي الحب، ويهوي بمعنى يسقط ويهوي، والثالث له علاقة بكلمة الهواء. بمعنى الرياح.

ألقاب يهوا:

1. السيد الرب يهوه: وردت في (2 صموئيل 7: 77).

2. ملك الأبدية: وردت في (1 تيموثاوس 1: 17 ؛ كشف 15: 3).

3. هوذا هذا الهنا: وردت في (اشعيا 25: 8، 9).

4. القادر على كل شيء: وردت في سفر الرؤيا (كشف 15: 3) .
5. الآب. بوصفه ينبوع كل حياة: وردت في 27: 11 ؛ يوحنا 5: 21 .
6. المعلم العظيم: وردت في أشعيا 30: 20، عج: أشعيا 48: 17.
7. الصخر: بما أنه لا يتغير، فهو ملجأ آمن. وردت في (تثنية 32: 4).
8. الراعي: وردت في (مزمو 23: 1).

2. الثيولوجيا (الآلهة والشياطين):

الآلهة: الإله المركزي هو (يهوا) وتطوّرت صورته من إله مدينة محلي في حدود القرن الثامن قبل الميلاد إلى إله كوني في القرن الثاني قبل الميلاد، ولكنه يبقى إلهاً خاصاً ببني إسرائيل واليهود ولا تحقق لغيرهم عبادته، وهو لا يستجيب لغيرهم، فقد جاء في سفر أشعيا (61/5): «ويقف الأجنب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما أنتم فتُدعّون كهنة الرب تُسمّون خدام إلهنا. تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدّهم تتأمّرون». كما جاء في سفر ميخا (4/12): «قومي ودوسي يا بنت صهيون لأنّي أجعل قرنك حديداً وأظلافك أجعلها نحاساً فتسحقين شعوباً كثيرين».

أسماء يهوا في التناخ:

تعطينا أسماء يهوا في التناخ فكرة عن علاقتها بأسماء الله في التراث الساميّ الرافدينيّ والشاميّ في صياغة أسماء الله عند العبريين اليهود، وفي ما يلي جدول بهذه الأسماء ومعانيها ومكان ورودها في التناخ:

ت	اسم الله	المعنى	الأسفار والإصحاحات التي ذكر فيها	معنى اسم الله ومغزاه
1	إيلوهيم	الله	تك 1: 1، عد 23: 19، مز 19: 1	قوة الله وقدرته
2	يهوه	الرب	تك 4: 2، خر 6: 2، 3	الاسم الذي يشير إلى الذات الإلهية
3	إيل عليون	الله العلي	تك 14: 17 - 20، عد 24: 16، مز 7: 17، إش 14: 13، 14	هو فوق كل الآلهة، ولا شيء في الحياة أكثر منه قداسة
4	إيل رؤى	الله الذي يرى	تك 16: 14	الله يرى كل الخليقة وكل أحوال الناس
5	إيل شدّاي	الله القدير	تك 17: 1، مز 91: 1	الله كلي القدرة
6	يهوه يرأى	الله يعطى	تك 22: 13، 14	الله ممدنا باحتياجاتنا الحقيقية
7	يهوه نسي	الله رايتي	خر 17: 15	يجب علينا أن نتذكر الله الذي يعيننا
8	أدوناي	رب	تث 6: 4	الله وحده فوق الجميع
9	يهوه إله إسرائيل	الرب إله إسرائيل	قض 5: 3، إش 4: 1، صف 2: 9	هو إله الأمة
10	يهوه شالوم	الرب سلام	قض 6: 24	الله يعطينا السلام
11	يهوه روفى	الرب شافي	خر 15: 26	الرب يترأف ويشفي
12	يهوه مقادش	الرب مقدسكم	لا 20: 8	الرب يقدس القلب
13	قدوس إسرائيل	قدوس إسرائيل	إش 1: 4	الله الكامل أديباً
14	يهوه صباؤوت	رب الجنود	1صم 1: 3، إش 6: 1 - 3، مز 46: 7	الله مخلصنا وحاميّنا
15	إيل عدولام	الله الأبدي	إش 40: 28 - 31	الله أبدي لن يموت أبداً
16	يهوه تسدقينو	الرب برنا	إر 23: 6، 33: 16	الله هو مقياسنا لحياة البر وهو وحده الذي يجعلنا أبراراً
17	يهوه روحي	الرب راعيّ	مز 23: 1	هو راعيّنا الذي يسدّد أعوازنا
18	يهوه شمه	الرب موجود	حز 48: 35	الله معنا دائماً
19	عتيق يّومين	القديم الأيام	دانيال 7: 9	هو السلطان المطلق وسيد كل الأمم

الشياطين: تعني كلمة الشيطان في العبرية أكثر من معنى ومنها: الخصم، المقاوم، الملاك القاتل أو ملاك الموت، واللقب الأخير من اختصاص رئيس الشياطين عزازيل أو عزازل الذي يعني (الله يقوى) ويكتب الاسم أيضاً عزازيل وترجمته (ملاك الموت). ويعتقد أنه مشتق من إله كنعانيّ هو عزيز أو أزيز الذي يعتقد أنه سبب الشمس الحارقة.

يشير إلى الماعز الجبلي ويكتب أيضاً باسمي (عزازل) و(عزازل) وهو يقابل ما نسميه بملاك الموت أو عزرائيل، لكن الأمور ليست بهذه البساطة، فقد وجد اليهود عند نشأتهم في بلاد الرافدين إبان الاحتلال الفارسي لها وتمثلهم للدين الزرادشتي أن العالم خاضع للصراع بين إلهي الخير والشر أو النور والظلام (وهذا مبدأ زرادشتي أساسي) فتصوّر اليهود العالم خاضعاً للصراع بين (يهوا إله الخير والنور) و(عزازيل إله الشر والظلام)، ورأوا أن عزازيل له قدرة مساوية ليهوا وبسببه وقعوا في مصائبهم، ولذلك رأوا أن عبادته وتقديم القرابين له سيقبهم شره. وتصوّره ساكناً في الصحارى والقفار وهو إله الخراب، بل إنهم تصوّروه على أنه زعيم الملائكة الذين هبطوا مع آدم وحواء إلى الأرض وأنه هو وملائكته من تزوّجوا بنات البشر (من نسل شيث) ثم انهزموا أمام جنود الخير فسكنوا الصحارى.

في تراث وادي الرافدين نجد اسم عزازيل كلقب لإله القمر (سين) في بابل وكانوا يصوّرونه على شكل هلال ويقاربون هذا الشكل مع قرني العجل، وقد جرّت هذه الصورة الأمر إلى جعل إله القمر في مرحلة الهلال على شكل عجل له قرنان يشبهان الهلال وجسد عجل بحوافر وذنب. هذه الصورة العجلىة للقمر في لقبه (عزازيل) أخذها اليهود فانتشرت صفة ارتباط العجل أو الماعز بالشیطان.

في التوراة/ سفر اللاويين يُدكر عزازيل حين يأمر الله هارون أن "يلقي هارون على التيسين قرعتين قرعة للرب وقرعة لعزازيل". (سفر اللاويين 16: 8).

أصل فكرة يوم التكفير الإسرائيلي هو تقديم الكبش أو التيس المختار بالقرعة إلى الله كقربان ذنب. وأصل فكرة كبش الفداء فهو تقديم الكبش أو التيس إلى عزازيل.

ولا شك في أن أقدم جذر لاسم عزازيل هو كونه اسماً من أسماء الإله سين. وهناك من يرى أنه يشير إلى الماعز في قوته (عزّ، عزّز) أو إلى (المنحدر أو الأرض الصعبة) وإلى جبل قرب سيناء، وبعضهم فصلوا كلمة عزازل إلى (عز، أزل) أي (كبش يذهب) أو يهرب أي كبش الفداء الذي توضع عليه ذنوب الناس ويرمى من فوق منحدر إلى الصحراء ليهلك على يد شيطان الصحراء عزازيل.



عزازيل هل هو أزيموديوس؟

Azazel and the Scapegoat Collin de Plancy Dictionnaire

Infernal. Paris. 1825

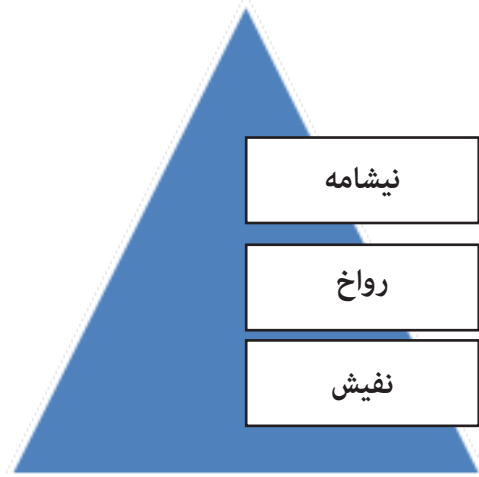
<http://documenta-akermariano.blogspot.nl/2012/03>

3. الروح:

ليس هناك تعريف دقيق لكلمة الروح في التراث اليهودي، يذكر سفر التكوين إن يهوا خلق الإنسان من غبار الأرض ونفخ في أنف الإنسان ليصبح مخلوقاً حياً. ويتناسب هذا مع الطبيعة الهوائية للإله يهوا، ويرى فلاسفة وحكماء اليهود أن الروح هي المسؤولة عن التفكير والرغبة والعاطفة.

يقسّم الكابالا الروح إلى أربعة أقسام هي:

- 1- نفيش (Nefesh): وهي النفس أو الروح السفلى التي ترتبط بغرائز الجسد من الولادة.
- 2- رواخ (Ruach): وهي الروح أو الطبقة الوسطى منها والتي تميّز بين الخير والشر وتنظم الأخلاق الاجتماعية: وهي الطبقة العليا من الروح التي تميّز الإنسان عن بقية الكائنات الحية.
- 3- نيشامه (Neshamah) .



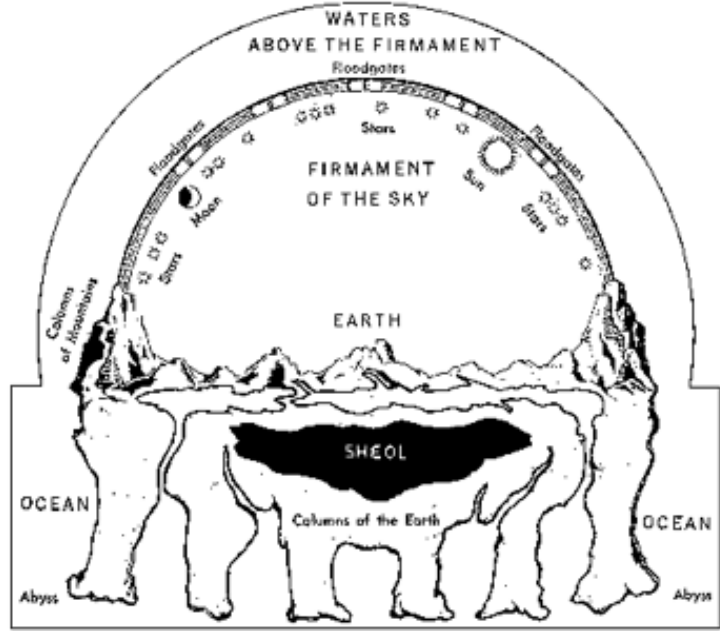
طبقات الروح عند اليهودية في الكابالا

4. العالم الميتافيزيقي

(أهور) يعني الإنسان الذي خلق في آخر يوم، و(كديم) يعني اليوم الأول من الخلق، وتذكرنا كلمة كديم بمثلتها السومرية التي تعني الروح. الأرض هي مركز الكون عند اليهود وهي مستوية ولا تتحرك، والشمس والكواكب أصغر بكثير من الأرض وتتحرك حول الأرض، والأرض مدعومة بأربعة أركان. هناك الجنة أو عدن العليا تقع في السماء ولم يرها أحد من البشر، أما العالم الأسفل فاسمه شبول وتسكنه الشياطين.

هناك فوق السماء ماء وعندها بوابات للفيضان، يمكن للرب أن يفتحها كما يشاء. وتتكوّن السماء من سبع طبقات، ذكر كتاب أنوش المدوّن باللغة السلافونية الكنسية القديمة بجزءيه (The secret of Enoch) و(Second Book of Enoch) وكذلك كتاب أخنون المترجم عن النسخة الحبشية، طبقات السماء عندما صعد إليها أخنوخ ووصفها:

Heavenly Seat of the Divinity



الكون العبري

<https://blogatheologica.wordpress.com/2012/01/19/may-we-seek-and-find-a-positive-relationship-with-god-who-can-transform-our-human-chaos-into-divine-order>

السماء الأولى: مكانٌ تسيطر فيها الملائكة على قوى الطقس والمناخ من رياحٍ وبروقٍ.
السماء الثانية: مكانٌ سجون الملائكة المتمردين والعصاة.
السماء الثالثة: مكان الجنة والنار للبشر.
السماء الرابعة: مكانٌ لحركة الشمس والقمر.

السماء الخامسة: يوجد العمالقة من الملائكة الغريغوريين الذين ييكون مصابهم، وهو النفليم الذين نزل بعض منهم وتناسلوا مع بنات البشر وأورثوا البشريّة الخطيئة، والذين وصفهم أنهم يشبهون البشر، لكن لهم قاماتٌ عظيمةٌ أكبر من العمالقة، ولهم مئتا أمةٍ، وهم من الملائكة الذين رفضوا طاعة الله، وقد حاول أخنوخ أن يقنعهم بالعودة إلى طاعته.

السماء السادسة: مكان الملائكة المسؤولين عن تصريف شؤون الكون والناس.
السماء السابعة: فيها يصف أخنوخ كيف قاده جبريل إليها، حيث قابل الله وجهاً لوجه، ومسحه الملك ميخائيل بالزيت فأصبح شبيهاً بالملائكة، وهنا أمر الله الملاك فرفائيل (Ver-eviel) أن يعلم إدريس 360 كتاباً، فيها كل ما هو معلوم، وبعد ذلك أطلعه الله على أسرار الخلق التي لا تعلمها حتى الملائكة، ثم عاد إلى الأرض لمدة ثلاثين يوماً.

ثالثاً: المعتقدات الدينيّة

يرى اليهود أن النبيّ هو رجل الله الذي يُبعث لليهود حين تضعف فيهم الروح الدينيّة، وهو الوسيط بين الله وشعبه، وتشمل سلطته الأمور الدينيّة والدينيّة لغاية ظهور صموئيل الذي فصل بين السلطتين، وانقسم الأنبياء إلى ثلاثة مجاميع هي:

1. أنبياء مرسلون من الله بالحق. 2. أنبياء كاذبون أو وثنيون. 3. أنبياء أرسلوا من السماء، ولكنه طغى ما في قلبه على الوحي، واختلط ما هو من عند الله مع ما هو من عند ذاته.“ (عبد 2015: 41).

يرى اليهود أن الوحي يكون على أنواع عدّة:

الرؤيا: وتكون بأن يأتيه الوحي عن طريق الله مباشرة، كما هو معروف عن نبوة موسى.

2. الحلم: يكون كلام الله عن طريق الحلم، حيث يحلم النبيّ به.

3. الإيحاء: وهو ما يمليه النبيّ على قومه دون التصريح بمصدره.

4. الملائكة: وهو طريق غير مباشر سواء صرّح به النبيّ أو لم يصرّح.

5. الصوت: أن يسمع النبيّ صوتاً دون رؤية شيء.

6. الإيحاء بالأمثال دون التصريح المباشر.

وقد فصل موسى بن ميمون درجات النبوة والوحي في كتابه (دلالة الحائرين).

الأغيار (جوييم):

Gentiles; Goyyim

الأغيار (من الغير أي الآخر) صيغة جمع وهي المقابل العربي للكلمة العبريّة «جوييم»، فالكلمة العبريّة (جوي) تعني (شعب، قوم) وتشير إلى الأمم غير اليهوديّة، لكن كلمة الأغيار العبريّة حملت معنىً سلبياً مثل (الغوغاء، الدهماء)، لها درجات أعلاها المسيحيون والمسلمون وأوسطها جيريّم أي (الجيران مثل السامريين)، وأدناها (عكوم) تقابلها في العبريّة (عوبدي كوخافيم) أي مزالوت وهم عبدة الكواكب.

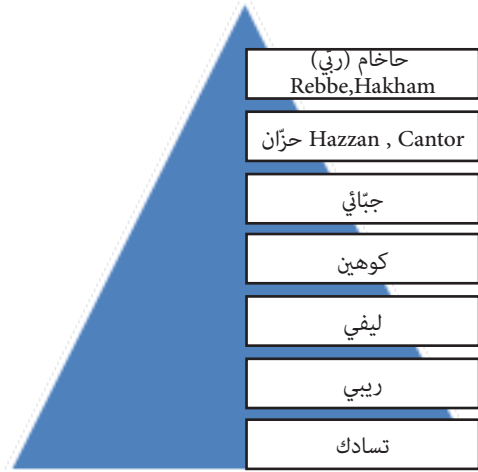
رابعاً: المؤسسة الدينيّة

1. المؤسسة الكهنوتيّة:

لم يكن هناك تراتب محسوب في هرميّة رجال الدّين اليهود، لكن التقاليد الطقسيّة، بمرور الزمن، وضعتهم في درجات ورتب، يمكننا التعرّف إليها من هذا الهرم التراتبي لهم:

1. الحاخام (القائد الدينيّ للجماعة اليهوديّة)

معناها «الرجل الحكيم أو العاقل» وهم الفقهاء اليهود الذين فسّروا كتب المدراس وغيرها من الكتب وجمعت تفسيراتهم في التلمود فهم أساس «اليهوديّة الحاخاميّة» أو «التلموديّة» في مقابل «اليهوديّة التوراتيّة». وهو اصطلاح موجود في كتابات القرائين. وتستخدم كلمة حاخام للإشارة إلى القائد الدينيّ للجماعة اليهوديّة الذي يفسر التوراة فهو بمثابة الفقيه أو المفتي، ولكنه أصبح، إلى جانب ذلك، القائد الدينيّ للجماعة اليهوديّة المشرف على الصلوات في المعبد اليهوديّ، فكان يلعب دور المرتل (حزان). كما كان يقوم بشرح التوراة في المعبد والبيت همدراش (المدرسة الملحقة بالمعبد)، ويصدر الفتاوى، ويشرف على التعليم الدينيّ، ويدفن الموتى ويراقب تنفيذ الأوامر والنواهي ويحضر حفلات الختان ويكتب عقود الزواج.



2. الحزّان (المترنل)

الكلمة مشتقة من الكلمة الآشوريّة «حزانو» أي «الحاكم» أو «المراقب». وهو الذي يقوم بتلاوة التوراة في المعبد وإنشاد القصائد الدينيّة. ورغم أن الحاحام، في العصر الحديث، يقوم، أحياناً، بدور قائد الجوقة، وهذه الوظيفة مقتصرة على الذكور..

3. جبّائي: وهم طبقة خاصة من رجال الدين.

4. الكوهين: وهي مرتبة شرف خاصة في الكنيس اليهودي، وهم حسب اعتقادهم من نسل هارون النبي، ويقومون بأعمال طقسية كثيرة مثل الختان.

5. ليفي: وهم كوهين اللاويين أو المنحدرين منهم.

6. ربيي: الكاهن التقليدي العام.

7. تسادك (صادق): خادم الكنيس.

وهناك الضاحي الذي يقوم بذبح الأضحية، وهناك الختّان وهو المتخصّص بختان اليهود، وهناك الماشغياش المختصّ بالطعام اليهوديّ الشرعيّ.

2. المعابد والمباني الدينيّة:

المعبد اليهوديّ يسمّى: بيت هكنيست، هاتيفلاه، هامدراش، وهو بيت الاجتماع والصلاة والدراسة، وكان يُسمّى (شول). ومع هدم الهيكل في أورشليم، أصبح المعبد المركز القوميّ والاجتماعيّ ليهود فلسطين والجماعات اليهوديّة المنتشرة في العالم، والمكان الذي يتدرسون فيه تراثهم الدينيّ. ولذا، فإن انتهاء اليهوديّة الصدوقيّة والعبادة القربانيّة المرتبطة بالهيكل لم يتسبّب في انتهاء اليهوديّة ككل، خصوصاً أن الفريسيّين كانوا قد توصلوا إلى صياغة لليهوديّة تستند إلى التوراة، وتجعل المعبد اليهوديّ، وليس الهيكل، مركزها.

الأساطير والمثولوجيا اليهوديّة

أولاً: الرموز الدينيّة

”يؤكد كارل جوانغ على الأهميّة النفسية للرمز في الديانات وبأن أحد الأسباب لاستخدام الرموز من قبل البشر، هو أن هناك أشياء لا تُعدّ ولا تُحصى خارج نطاق التفاهم بين البشر، ونحن

لذلك نستخدم باستمرار مصطلحات رمزية لتمثيل المفاهيم التي لا نستطيع تحديدها أو عيها، فالدين والرمز ذو علاقة تفاعلية، كما يذكر جورج هيربارت ميد بأن العقل يستعمل الرموز لمراقبة الوسط الذي يجدد معه حساباته بشكل مستمر. لذلك فثمة فعل وحركة مستديمان عبر التمثلات الرمزية، ولكن دعونا في البداية نتعرف على مفهوم الدين؟“ (العلي: 2011: 35). ”إن الرمزية تقوم بوظيفة إعادة بناء التصورات لتتجاوز المعنى الظاهري للموضوع إلى المعنى الباطني ودلالات المعنى الرمزي“، فيوضح غوته بأن ”الرمزية تحوّل الظاهرة إلى فكرة والتي تتحوّل بدورها إلى صورة، بشكل تبقى معه الفكرة ناشطة دائماً داخل الصورة ومنيعة وحيّة إلى ما لا نهاية، وحتى إذا فسرت الفكرة بكل اللغات فهي مع ذلك تبقى متعدّرة البيان. إن الارتباط بين الدين ومعتقداته والرموز التي تنتجها ذات أهمية علمية كبيرة للباحث، حيث إنها كما يقول كارل. ج. جونج Carl G. Jung ”تمكّننا من تحديد وتفسير الرموز حسب السياق الذي يمنحه المنظور التاريخي، فضلاً عن المعنى النفسي“. (العلي: 2011: 27 - 28).

1. النجمة السداسية الزوايا: (نجمة داود، درع داود أو ماجين ديفد، خاتم سليمان)، لأن الملك داود كان يضعها على درعه كنجمة حظ له، وتلوّن اليوم بالأزرق الذي هو لون السماء. وتاريخ ظهور النجمة السداسية قديم جداً، فقد وجدت في التراث السومريّ باعتبارها تمثل النظام السداسي الستيني رياضياً، وكانت شعاراً للإله القمر ن نار، ثم استخدمها الهندوس كرمز للكون وظهرت في آثارهم، واستخدمت كرمز للعلوم الخفية التي كانت تشمل السحر والشعوذة، وفي القرون الوسطى ظهرت النجمة السداسية في عمارة المساجد الإسلامية، واستخدمها العثمانيون في الأعمال الفنية وفي الملابس والسيوف والرايات باعتبارها أحد رموز النبي سليمان من وجهة النظر الإسلامية. كما استعملها المسلمون في إمارة قرمان كعلم لهم. واستخدمها اليهود، عرضياً، في القرن الثاني عشر للميلاد، واستخدمت من قبل المنتورين (الإليومناقي) في العصر الحديث ومن قبل قادة أوروبيين كثيرين مثل نابليون وغيره، وفي 1879، اقترح تيودور هرتسل في أول مؤتمر صهيوني في سويسرا أن تكون النجمة السداسية رمزاً للحركة الصهيونية. وتم استعمال هذا الرمز من قبل لجنة طلاب (أخوة صهيون) عام 1881. وفي 1984، وبعد إعلان دولة إسرائيل بستة أشهر، جرى اعتماد النجمة السداسية على العلم الإسرائيلي، رغم معارضة بعض اليهود الذين كانوا يفضّلون اعتماد الشمعدان اليهودي المسبّع (مينوراه) كشعار للدولة.

2. مينوراه أي (المنورة): وهو الشمعدان السباعي، وهو الشمعدان ذو السبع شمعات، تكون فيه الشمعة الوسطى أكبر من الأخريات. إذ إن الرقم سبعة من الأرقام المقدسة في العهد القديم: سبع سماوات، سبع بقرات عجاف، سبع سنابل الخ.. وربما كان أصله من رمز الإله أدد أو حدد، الذي يقابل يهوا كإله للطقس عند السومريين والآراميين، حيث عدد أشعة البرق ستة وحين ترسم كشمعدان تصبح الشمعة الوسطية السابعة بمثابة الشمعة الرئيسية للحفاظ على توازن العدد السداسي، وهناك من يرى أنه مشتق من قمة النخلة التي لها سبع سعفات في العادة.



مينوراه أي (المنورة)، الشمعدان السباعي



النجمة السداسية الزوايا

- 3 - كباه أي (قبة): وهي قبة صغيرة تغطي وسط الرأس، ترسم عليها عادة نجمة داود، وتكون غالباً باللون الأسود، وتعرف أيضاً باسم (يارمولكة).
- 4 - جاي: أو الرقم 18 باللفظ العبري، وهو من الأرقام المفضلة عند اليهود، يستعمل شكله في صنع الحلي.



تشاي 18 chai



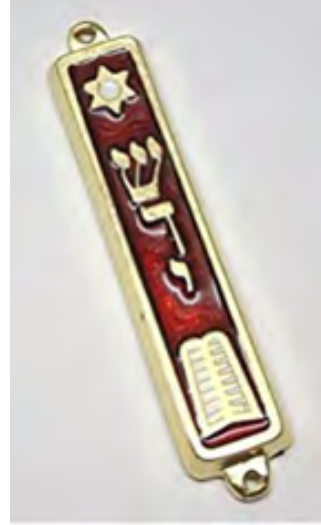
كباه kippah

5. ميزوزة: هي عبارة عن كيس صغير مزركش يُصنع من قماش بسيط، يعلّق بقرب الباب الرئيسي من الداخل، ويمثل تقليداً قديماً للدلالة على شدة الإيمان.
6. هامسا (خمسة): وهي على شكل كف اليد، وتدلل على الأسفار الخمسة الأولى والمسمّاة التوراة، وهو رمز مصري قديم صار اسمه بالمصريّة الشعبيّة (خمسة وخميسة)، وكان قدماء المصريون يستخدمونه لمعرفة فصول السنة وشهورها، لكشف الطالع ومعرفة البرج الذي ينتمي

له الشخص، وما زال الفلاحون المصريون يستخدمونها لهذين الغرضين. واستخدمه المسلمون باسم (كف فاطمة) والمسيحيون باسم (كف مريم)، وكان هذا الشكل يُعلّق على واجهات أو مداخل البيوت كمضادّ للسحر والحسد.



هامسا



ميزوزه Mezuzah

7. البوق (شوفار): هو قرن كبش، يُنفخ فيه في صلاة الصباح أثناء الشهر الذي يسبق عيد رأس السنة العبرية، وفي يوم العيد، وفي يوم الغفران، وفي أيام المحن والحروب ولتخويف الأعداء والاستنفار. يُحتفظ به في المعبد اليهودي.

8. تميمة الصلاة (تفيلين): تفيلين كلمة آرامية تعني ربط، والتفيلين صندوقان صغيران يحتويان على مقتطفات من التوراة، وهي من الجلد الأسود، ويثبتان على الذراع الأيسر مقابل القلب (تفيلاه الذراع) وعلى الجبهة (تفيلاه الرأس)، بشرائط من الجلد، للشخص أثناء الصلوات الصباحية كل يوم في ما عدا أيام السبت والأعياد.

ويحتوي كل من الصندوقين على فقرات من التوراة من بينها الشماع أو شهادة التوحيد عند اليهود ويكون ارتداء التفيلين عادة بعد ارتداء الطاليت فتوضع تفيلاه الذراع أولاً ثم تفيلاه الرأس وتتلى الصلوات أثناء وضعهما، وقد اعتمد الفقه اليهودي في فرضه هذين التفيلين على فهم حربي ظاهري للآية التي تقول "واربطهما علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك" سفر التثنية.



تفيلاه



البوق (شوفار)

9. الطيلسان (الجمع طيالسة وهي كلمة عبرية معرّبة): وهو الوشاح الذي يوضع على الكتفين ويُسدل على النصف الأعلى من الجسد.
10. القبعة الطويلة ذات الجداول: وهي لليهود الأرثوذكس (الأصوليين).



القبعة السوداء



الطيالسان tassels

ثانياً: مثولوجيا البدايات (الخليقة)

ترد قصة الخلق اليهودية في سفر التكوين (في الإصحاحين الأول والثاني) وتدور حول خلق السَّمَاوَات والأرض.

1. خلق العالم والنباتات والحيوانات:

في سفر التكوين يتحدّث العهد القديم عن الخليقة وكيفيّة خلق الله للعالم والإنسان في ستة أيام ثم استراحة الله في اليوم السابع. وقد خصص كلّ يوم لخلقٍ معين رغم تداخل بعضها وعلى الوجه الآتي:

اليوم الأول: خلق المياه والنور والظلمة والسَّمَاوَات والأرض.

اليوم الثاني: خلق الجلّد ليفصل بين المياه.

اليوم الثالث: خلق اليابسة والنباتات.

اليوم الرابع: خلق الشمس والقمر والنجوم.

اليوم الخامس: خلق الحيوانات.

اليوم السادس: خلق الإنسان.

اليوم السابع: استراحة الله.

الفصل 1 (خلق الكون والعالم)

- 1 فِي الْبَدءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ.
- 2 وَكَانَتِ الْأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْعَمْرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرْفُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.
- 3 وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ نُورٌ» فَكَانَ نُورٌ.
- 4 وَرَأَى اللهُ النُّورَ أَنَّهُ حَسَنٌ. وَفَصَلَ اللهُ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ.
- 5 وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا وَالظُّلْمَةَ دَعَاهَا لَيْلًا. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا وَاحِدًا.
- 6 وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جِلْدٌ فِي وَسْطِ الْمِيَاهِ. وَلِيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مِيَاهِ وَمِيَاهِ».
- 7 فَعَمَلَ اللهُ الْجِلْدَ وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتِ الْجِلْدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجِلْدِ. وَكَانَ كَذَلِكَ.
- 8 وَدَعَا اللهُ الْجِلْدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا.
- 9 وَقَالَ اللهُ: «لِيَجْتَمِعَ الْمِيَاهُ تَحْتِ السَّمَاءِ إِلَى مَكَانٍ وَاحِدٍ وَلِتُظْهِرَ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذَلِكَ.
- 10 وَدَعَا اللهُ الْيَابِسَةَ أَرْضًا وَمُجْتَمِعَ الْمِيَاهِ دَعَاهُ بِحَارًا. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ.

بعد الكون خلق الله النباتات وفضل بين الليل والنهار ووضع النور في السماء من خلال القمر والشمس:

الفصل 1 (خلق النباتات والشمس والقمر وتنظيم الوقت)

- 11 وَقَالَ اللهُ: «لِتَنْبِتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزَرُ بِزُرًا وَشَجَرًا ذَا ثَمَرٍ يَعْمَلُ ثَمَرًا كَجِنْسِهِ بِزُرُهُ فِيهِ عَلَى الْأَرْضِ». وَكَانَ كَذَلِكَ.
- 12 فَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ عُشْبًا وَبَقْلًا يُبْزَرُ بِزُرًا كَجِنْسِهِ وَشَجَرًا يَعْمَلُ ثَمَرًا بِزُرُهُ فِيهِ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ.
- 13 وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَالِثًا.
- 14 وَقَالَ اللهُ: «لِتَكُنْ أَنْوَارٌ فِي جِلْدِ السَّمَاءِ لِتَفْصَلَ بَيْنَ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَتَكُونَ لآيَاتٍ وَأَوْقَاتٍ وَأَيَّامٍ وَسِنِينَ.
- 15 وَتَكُونَ أَنْوَارًا فِي جِلْدِ السَّمَاءِ لِتُبَيِّنَ عَلَى الْأَرْضِ». وَكَانَ كَذَلِكَ.
- 16 فَعَمَلَ اللهُ النُّورَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ: النُّورَ الْأَكْبَرَ لِحُكْمِ النَّهَارِ وَالنُّورَ الْأَصْغَرَ لِحُكْمِ اللَّيْلِ وَالنُّجُومِ.
- 17 وَجَعَلَهَا اللهُ فِي جِلْدِ السَّمَاءِ لِتُبَيِّنَ عَلَى الْأَرْضِ
- 18 وَلِتَحْكُمَ عَلَى النَّهَارِ وَاللَّيْلِ وَلِتَفْصَلَ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ. وَرَأَى اللهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ.
- 19 وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا رَابِعًا.

الفصل 1 (خلق الكائنات الحية)

- 20 وَقَالَ اللَّهُ: «لِتَفِضِ الْمِيَاهُ زَحَافَاتٍ ذَاتَ نَفْسٍ حَيَّةٍ وَلِيَطِيرَ طَيْرٌ فَوْقَ الْأَرْضِ عَلَى وَجْهِ جِلْدِ السَّمَاءِ».
- 21 فَخَلَقَ اللَّهُ التَّنَائِينَ الْعِظَامَ وَكُلَّ نَفْسٍ حَيَّةٍ تَدْبُ الْبُحْرِ فَاصْتَبَا بِهَا الْمِيَاهُ كَأَجْناسِهَا وَكُلَّ طَائِرٍ ذِي جَنَاحٍ كَجِنْسِهِ. وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ.
- 22 وَبَارَكَهَا اللَّهُ قَائِلًا: «أُجْرِي وَأُكْثِرِي وَأَمْلِي الْمِيَاهَ فِي الْبِحَارِ. وَلِيَكْثُرِ الطَّيْرُ عَلَى الْأَرْضِ».
- 23 وَكَانَ مَسَاءً وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا خَامِسًا.
- 24 وَقَالَ اللَّهُ: «لِتُخْرِجِ الْأَرْضَ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَوَحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْناسِهَا».
- وَكَانَ كَذَلِكَ.
- 25 فَعَمِلَ اللَّهُ وَحُوشَ الْأَرْضِ كَأَجْناسِهَا وَبَهَائِمَ كَأَجْناسِهَا وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الْأَرْضِ كَأَجْناسِهَا. وَرَأَى اللَّهُ ذَلِكَ أَنَّهُ حَسَنٌ.

2. خلق الملائكة:

كلمة "ملائح، ملاك" تعني "رسول". وللملائكة أجساد لطيفة من النار أو الهواء، والملائكة ذات قدرة فائقة فهي أكثر قوة وسرعة ونشاطاً من البشر، وهم أكثر قدرة على المعرفة والحكمة، خلقهم الله قبل خلقه الإنسان في اليوم الأول (حيث خلق الله النور والملائكة من نور). وقد سقط بعضهم بخطيئة التكبر وأصبحوا شياطين، وكان رئيسهم عزازيل أو "لوسيفر" زهرة بنت الصبح، الذي يعادل إبليس.

الملائكة في المسيحية ثلاث فئات:

1. السرافيم - الشاروبيم - العروش.
2. القوات - السلاطين - السیادات.
3. الرياسات - رؤساء الملائكة.

الملائكة العظام في المسيحية سبعة يرأسهم الملاك ميخائيل: ميخائيل وغبريال ورافائيل (ذكروا في الكتاب المقدس) وسوربيل وصدائيل وسراتيال وأنانيال (أشار إليهم التقليد الكنسي في الكتب الطقسية).

الملائكة العظام في الإسلام أربعة هم: جبرائيل (المرسل من الله)، إسرافيل (نافخ الصور)، عزرائيل (الموت)، ميكائيل (المطر). أما في اليهودية فالملائكة العظام أربعة (ثلاثة منهم هم ميكائيل، رفايل، وجبرائيل أخذهم اليهود من بابل) وهم:

1. ميكايل (ميخائيل): معنى اسمه (من مثل الله؟)، وهو رئيس الملائكة ويوصف بالقائد المياداني لجيش الله، وهو الملاك الموكل بالاهتمام بالشعب اليهودي.
2. جبرائيل: معنى اسمه (رجل الإله، أو المرسل من قبل إيل، لتحكم أيها الإله إيل)، جبرائيل يظهر في كتاب دانيال وكتاب حزقيال. في كتاب دانيال هو المسؤول عن تفسير رؤى دانيال. وفي كتاب حزقيال، هو الذي أرسل لتدمير أورشليم. في الكابالا، يتم تحديد جبرائيل مع سيفيروت من يسود. ويصوّر بأنه يعمل بالتنسيق مع مايكل كجزء من محكمة الله. وفقاً للأساطير اليهودية، هناك في جنة عدن شجرة الحياة أو "شجرة الأرواح" أزهارها تنتج الأرواح الجديدة،

وتوضع في خزانتها، حيث يصل إلى الخزانة جبرائيل ويأخذ الروح الأولى التي تأتي في يده. ثم لايلا، ملاك الاقتران، ويراغبان الجنين حين يولد.



الملاك جبرائيل: رسول الله إلى الرسل والأنبياء، من أيقونسطاس كنيسة القديسة تقلا في أنطاكية
[/http://www.theologicstudies.org/ar/product/42](http://www.theologicstudies.org/ar/product/42)
رئيس - الملائكة - جبرائيل

رئيس الملائكة ميخائيل دير سانت كاترين
https://ar.wikipedia.org/wiki/رئيس_الملائكة_ميخائيل

3. أوريثيل **Auriel**: معنى اسمه (أله ضوئي أو نوري)، هو واحد من الملائكة ما بعد السبي وكان يخلط أحياناً مع أسماء أخرى مثل (أوريال، نوريل، أوريان، جيريميل، فريتيل، سارييل، سوريل، بورويل، فانويل، يعقوب، أزايل ورفائيل).

4. رافائيل: معنى اسمه (الله يشفي)، هو أحد الملائكة المقدسين في اليهودية والمسيحية وفي الإسلام يعرف باسم (إسرافيل) والذي يُعتبر واحداً من الملائكة الأربعة الرئيسيين. وكان الإله إنكي أو إيا يوصف بأنه (الإله الشافي). ورافائيل يلزم عزازيل في الصحراء ويُسمى (دوديل) وفقاً ل (كتاب أخنوخ).



الملاك رافائيل

http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-014-Various-Authors/001-Al-Mala2ka/The-Angels_38-Arch-angel-Raphael.html



الملاك أوريثيل

<https://nl.pinterest.com/pin/421649583843641737>

3. خلق آدم والجنة:

خلق يهوا آدم بعد الأيام السبعة الأولى للخلق فبعد استراحته في اليوم السابع من الخلق قام، في اليوم الثامن على أكثر تقدير، بخلق جسد آدم من تراب الأرض، أما روحه فقد جاءت عن طريق نفخة من أنف الإله (يهوا: أي الهواء) تسميه التوراة (نسمة الحياة). بعدها يصنع (يهوا) الجنة ويغرسها في عدن شرقاً (أي شرق عدن) ويضع آدم في هذه الجنة، فهي ليست في السماء بل على الأرض، وفي هذه الجنة ينبت (يهوا) الأشجار الجميلة التي تؤكل ثمارها ومنها شجرتان الأولى هي (شجرة الحياة) الموجودة في وسط الجنة والثانية هي (شجرة معرفة الخير والشر).

وفي عدن نهرٌ يخرجُ منها ليسقي الجنة حيث ينقسم فيها إلى أربعة روافد وهي:

1. فيشون: الذي يحيط بأرض الحويلة حيث يوجد الذهب الجيد والحجارة الكريمة (المقل، الجزع).

2. جيحون: الذي يحيط بجميع أرض كوش.

3. حدّاقل: الذي يجري شرق آشور، وهو نهر دجلة.

4. الفرات

كان (يهوا) قد خلق الإنسان في اليوم السادس بعد أن خلق البهائم والدبابات ووحوش الأرض. فقد خلقه على صورته ذكراً وأنثى وسلطهم على الأسماك والطيور والبهائم وعلى كل الأرض والدبابات التي تدبّ عليها.

وباركهم الله وقال لهم إثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وتسلطوا عليها وعلى مخلوقاتها وأعطاهم البذور والأشجار والطيور والحيوانات والدبابات والعشب الأخضر.

ترد هذه القصة في اليوم السادس للخلق، لكننا بعد اليوم السابع نرى عودة جديدة لخلق آدم بنوع من التفصيل. وكأنه كان قد خلق على الأرض أو بقعة منها أولاً ثم نقل إلى جنة شرق عدن.

بدت قصة اليوم السابع وكأنه يعني الإنسان بشكل عام أو البشرية أما في اليوم الثامن فبدأ وكأنه يخلق آدم حصراً.

4. خلق ال (إمرأة):

يوصي يهوا آدم بأن لا يأكل من (شجرة المعرفة) أي (شجرة معرفة الخير والشر) لأنه إذا أكل منها فإنه سيموت، ثم يفكر (يهوا) بخلق نظير له ليؤنسه بعد أن وضع نظيراً من كل حيوانات الأرض. ولذلك يجعل آدم ينام ويأخذ أحد أضلاعه ويضع مكانها لحماً، ويبني أو يخلق الإله من هذا الضلع امرأة ويحضرها إلى آدم.

حين يراها آدم يلاحظ أنها جزءٌ منه ولا يسميها حواء في البداية بل يسميها (امرأة) لأنها أخذت من (إمرء) وهذه ملاحظة في غاية الأهمية سنناقشها الآن. وترى الأسطورة أن الرجل يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته لهذا السبب ليكونا جسداً واحداً أي كي يعيد له الضلع الذي فُقد منه. وكان آدم وامرأته عريانين دون أن يشعرا بالخجل من ذلك.

كل هذا ولم يذكر بعد اسم آخر لهذه ال (امرأة). وهذا يتطابق مع ما نراه على الصعيد المثلولوجي، فقد توصلنا إلى استنتاج مهم في دراستنا عن الأموريين يقول بأن الرجل الأول كان يسمى عند الأموريين باسم (إمرء) حيث يتناسب مع اسم إلههم القومي (أمورو) واسم المرأة الأولى عند الأموريين (مرة) أو (إمرأة) وهو تأنيث سامي الصيغة لاسم (أمورو). وهذا يعكس أمرين من وجهة نظرنا:

1. حين يذكر سفر التكوين التوراتي أن الاسم الأول للمرأة هو (إمرأة) وليس حواء قياساً على اسم الرجل (إمرء) وليس آدم فهذا يعني أن أصل الأسطورة التوراتية هو أموري بحسب استنتاجنا السابق.

2. ربما يكون أصل العبريين واليهود عموماً هو الأموري، وهذا ما نراه لأن الأصل الكنعاني لهم يأتي من الأصل الأموري الذي هو أسبق بكثير.

حواء أم البشر اسمها بالعبرية والعربية، وتسمى في اللغة الانجليزية (Eve). في العبرية الكلاسيكية (حواء Hawwah) وفي العبرية الحديثة (شفاه أو شفاه Chavah).

يمكننا رصد فكرة المرأة الأولى في أصولها الإلهية عند الشعوب الرافدينية ابتداءً من السومريين. وسنجد وشائج العلاقة الواضحة التي تصل بين إلهات الحياة وحواء.

5. خطيئة الأكل من شجرة المعرفة:

يسمى سفر التكوين (الحية) أكثر الحيوانات البرية حيلةً وترد هنا بصفة الأنثى فهي ليست ثعباناً بل حية أنثى، ومعروف أن اسم الحية له علاقة بـ(الحياة)، ويوضح الحوار بين الحية والمرأة بأن الحية تنبه المرأة إلى أن (يهوا منعهما من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر لأنه يخشى أن تنفتح عيونهما ويصبحان مثل الإله (يهوا) يعرفان الخير والشر.. وهذا يقربهما من

أن يكونا من الآلهة لأن هذه الصفة هي صفة إلهية. تعجب المرأة بمنظر الشجرة وتأخذ من ثمرها وتأكل وتعطي رجلها آدم فيأكل تنفتح عيونهما وأول شيء يعرفانه بأنهما عريانان فيعملا على تصحيح ذلك بأن يخيطا أوراق التين ويصنعا منها مآزر لستر عورتيهما. أضانا العلاقة الخاصة بين الحيّة والمرأة في حديثنا عن الأسطورة السومرية المؤسسة لخليقة الإنسان.

أما طبيعة شجرة المعرفة فستكون مختلفة من شعب لآخر سواء في منطقة الشرق الأدنى أو في العالم كله وسناقشه تفصيلاً لاحقاً.

السؤال الأساسي الذي يمكن أن نسأله هو هل كان آدم وحواء أعميين قبل أكل ثمرة الشجرة أم أن هذا التعبير مجازي يدل على أنهما أصبحا عارفين بعريهما بعد أكل الثمرة؟

6. القسم الرابع: العقاب:

يظهر الإله (يهوا) في علاقة مع (هبوب ريح النهار) لكنه يمثل الهواء ولذلك يصاحب ظهوره هبوب ريح النهار وهو ما يجعله يحدث ضجةً عند مروره في الجنة فيتخفى آدم وامراته خوفاً منه فينادي الإله آدم ويسأله فيكتشف أنه وامراته قد أكلا من ثمرة شجرة المعرفة فيقرر معاقبة الثلاثة: الحيّة والمرأة وآدم لأنهم خرخوا وصيته وشاركوا بأكل الثمرة:

عقاب الحيّة:

1. حلت اللعنة عليها دون جميع بهائم ووحوش البرية.
2. أن تسعى على بطنها (وهذا يعني أنها كانت ذات أرجل أو أطراف سابقاً)
3. أن تأكل التراب كل أيام حياتها (فهل كانت تأكل الأثمار؟).
4. أن تكون هناك عداوة بينها وبين المرأة وبين نسلهما، حيث الإنسان يسحق رأسها والأفعى تسحق عقبه أي تعض قدمه.

عقاب حواء:

1. زيادة أتعاب الحمل وتكون الولادة موجعة.
2. تعاني من الشوق للرجل وهو يتسلط عليها بالاختيار.

عقاب آدم:

1. الأرض ملعونة بسبب خطيئته.
2. يأكل طعامه من الأرض (وليس من الجنة) كل أيام حياته أي بجهد هه هو.
3. تنبت الأرض له شوكةً وحسكاً ويأكل عشب الحقل والبرية.
4. بالتعب والعرق يأكل الخبز.
5. يعود لأصله أي إلى تراب الأرض لأنه جاء منه. وهذا يعني أن الموت قد أصبح العقاب الأخير لآدم مما يوحي بأنه كان يمكن أن يكون خالداً لو أنه لم يخرق وصية الرب له.

أما العقاب الجماعي لهم: الطرد من الجنة.

بعد أن استعمل نص خليقة التوراة اسم (إمرأة) لزوجة آدم استعمل هنا، لأول مرة، اسم (حواء) حيث يطلق آدم اسم (حواء) على امرأته لأنها أم كل حي (هكذا يقول النص) ولا نعرف كيف هي أم كل حي لأنها لم تلد شيئاً حياً لحد الآن، وسنجد في الأسطورة السومرية الجواب الحقيقي على هذا الغموض فضلاً عن علاقة خفية مواربة بين اسم حواء واسمي (حية) و(يهوا) حيث حواء هو اشتقاق خاص (حي، حية). وحيث يهوا الذي يشير إلى (هواء) وباستبدال طبيعي يحصل في اللغات السامية يكون هواء هو حواء، وهذا ما يشير أيضاً إلى إمكانية أن تكون حواء كما آدم من أصول إلهية أو أنهما إلهان سابقان، وهو ما كشفته الأسطورة الكنعانية عنهما التي سبقت الأسطورة العبرية.

ثم يقوم الرب الإله بصنع قمصان جلدية لآدم وامرأته، ويشير هذا إلى الستر الأوسع لجسديهما العاريين بعد أن سترا عورتهم فقط.

ولأن (يهوا) أدرك أن الإنسان أصبح قادراً على معرفة الخير والشر وهي خطوة حاسمة قد تليها الخطوة الأكبر التي هي إمكانية حصوله على الحياة الأبدية أو الخلود إذا حصل على ثمار (شجرة الحياة) التي في وسط الجنة والتي لا نعرف ما تكون بالضبط!!

لهذه الأسباب ولكي ينفذ مفردات عقابه الثلاثي لهم ويقرر طرد آدم وحواء من جنة عدن إلى الأرض التي حولها والتي أخذ طين آدم منها، وهكذا يقيمان شرق جنة عدن الكروبيم، والكروبيم هم ملائكة يقيمون عند أبواب الجنة ولهم أجنحة. وهم يمسون سيفاً نارياً متقلباً شرق الجنة لحراسة الطريق التي تؤدي إلى (شجرة الحياة).

مفرد الاسم هو (كروب) المشتق من كلمة (كاريبو) التي تعني، في اللغة الأكديّة الشفيح، وتكون في التراث الرافديني على شكل نصف أسد ونصف نسر أو بكائن بشريّ مجنح. أما في العهد القديم فهم بأشكال بشريّة مجنحة. وهي، بشكل عام، قريبة الشبه من الفينيق. ويبدو أن إبليس الذي تجسد على شكل أفعى كان من الكروبيين.

ثالثاً: مثولوجيا النهايات (إسكاتولوجيا)

نهاية الأيام: يحمل إشارة إلى المسيح القادم (ماشيح)، وقيام الموتى وعالم الآخرة.

يوم الرب: مصطلح قوميّ حصري بحدوث خلاص اليهود على يد بعض الأنبياء مثل عاموس.

يوم الحساب (يوم الدين): ترجمة لمصطلح (يوم هدين) وهو مصطلح عبري يشير لحساب الله لكل البشر في آخر الأيام، وأصبح المصطلح يشمل الموتى الذين سيبعثون يوم الحساب. وهذا اليوم سيكون قبل يوم القيامة أو البعث، فهو واقعة تاريخية وسيكون في هذه الدنيا، ويحاسب فيه الأحياء في الدنيا أولاً. ويرى اليهود أن رأس السنة اليهودية هو موعد يوم الحساب.

في يوم الحساب سيظهر اليهود من آثامهم، ثم تعود البقية الصالحة منهم إلى أرض الميعاد ليحيوا حياة سعيدة هنيئة كما جاء في سفر هوشع (14:2). وربما كان نشوء دولة إسرائيل محاولة علمانية لتجسيد عودة اليهود لأرض الميعاد والعيش في الفردوس الأرضي.

يوم الغفران: نفاذ أحكام الله على البشر والتي اتخذها في يوم الحساب، وجعلها نهائية.

نهاية الزمان (وتسمى أيضاً أوقات النهاية، نهاية الوقت، نهاية الأيام، الأيام الأخيرة والأيام الأخيرة أو نهاية الزمان أو آخر الزمان) هو الفترة الزمنية الموضحة في الإيمان بالآخرة.

”فالذي يرتبط بالماضي تارة يكون جل اهتمام فكرته هو المدينة الفاضلة (utopia) فهو يوتوبي (Utopianism)، وتارة يكون في صدد إقامة حكومة الملوك القدماء (Ancient Kingdom) أو

العصر الذهبي (Golden age) وزمن الأساطير. أما الذي ينظر للمستقبل، فإما أن يكون الموعود لديه هو الوصول لنهاية العالم، أو التبشير بقدم شخص أو طرء تغييرات في مرحلة زمنية محددة كالقرن مثلاً (millenarianism من الألفية، فهو ألفي - إذا صح التعبير - وعلى صعيد آخر يمكن أن يكون الموعود لدى الأفراد شخصاً بعينه أو وجوداً غير شخصي. وقد تمنح الديانات التي تؤمن بفكرة الموعود صبغة ربانية لموعودها، أو تعتبره مجرد شخص مميّز عن البشر مع كونه منهم“. (طاهري: 2006: 303).

يذكر التلمود ما سيحصل عند مجيء الماشيح أو المسيح اليهودي المنتظر كما يلي: "ستطرح الأرض فطيراً، وملابس من الصوف، وقمماً حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود، وكلّ الأمم تخدم ذلك المخلص وتخضع له، وفي ذلك الوقت يكون لكلّ يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه، ولكن لا يأتي المخلص إلا بعد انقضاء حكم الأشرار؛ أي الخارجين عن دين بني إسرائيل. ويستمرّ ضرب الذلّ والمسكنة على بني إسرائيل حتى ينتهي حكم الأجانب. وقبل أن يحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم، ويبقى اليهود سبع سنوات متوالية يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر، ويعيش اليهود في حرب طاحنة مع باقي الشعوب منتظرين ذلك اليوم، وسيأتي المخلص الحقيقي ويحصل النصر المنتظر، ويقبل المخلص حينئذ هدايا كلّ الشعوب، ويرفض هدايا المسيحيين، وتكون الأمة اليهودية إذاك في غاية الثروة، لأنها تكون قد تحصّلت على جميع أموال العالم، وأن هذه الكنوز ستملأ سرايات واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقلّ من ثلاثمائة حمار، وترى الناس كلهم حينئذ يدخلون في دين اليهود أفواجا، ويقبلون كلهم ما عدا المسيحيين، فإنهم يهلكون لأنهم من نسل الشيطان، ويتحقّق منتظر الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون تلك الأمة هي المتسلّطة على باقي الأمم عند مجيئه". (رولنخ 1899: 48 - 50).

المخلص الماشيح، وفقاً للتوراة، هو مخلص اليهود وباني مملكة الإله يهوا على الأرض، وهو الذي يحكم العالم بشريعة دينية يهودية، حيث يقول سفر أشعيا: "وَيَكُونُ فِي آخِرِ الْأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتاً فِي رَأْسِ الْجِبَالِ وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ الثَّلَالِ وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الْأُمَمِ، وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ وَيَقُولُونَ: هَلَمْ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ إِلَى بَيْتِ إِلَهٍ يَعْقُوبَ فَيَعْلَمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ، لِأَنَّهُ مِنْ صِهْيُونَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ، فَيَقْضِي بَيْنَ الْأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكِّكاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ، لَا تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سِيفاً وَلَا يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدَ". (سفر أشعيا: 2/2 - 4).

يصور اليوم الآخر سفر ملاخي كما يلي: "فَهُوَذَا يَأْتِي الْيَوْمُ الْمُتَمَقِّدُ كَالْتَّنُّورِ، وَكُلُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشّاً، وَيَحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الْآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلَا يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلَا فَرْعاً. وَلَكُمُ أَيُّهَا الْمُتَقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبَرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنَحَتِهَا، فَتَخْرُجُونَ وَتَنْشَاوَنَ كَعُجُولِ الصَّيْرَةِ وَتَدُوسُونَ الْأَشْرَارَ لِأَنَّهُمْ يَكُونُونَ رَمَاداً تَحْتَ بُطُونِ أَقْدَامِكُمْ يَوْمَ أَفْعَلْ هَذَا، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ". (ملاخي 4: 1 - 4).

هذه هي الصورة النمطية ليوم القيامة اليهودي، حيث تتحول الأرض إلى تنور ينجو منه بنو إسرائيل، أما الأمم الأخرى فتحترق كالكش في هذا التنور، وتصبح تحت أقدام بني إسرائيل. ثم يأتي يوم الحساب، فينجو بنو إسرائيل على جبل صهيون.

"فَأِنَّهُ قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ عَلَى كُلِّ الْأُمَّمِ. كَمَا فَعَلْتَ يُفْعَلُ بِكَ. عَمَلُكَ يَرْتَدُّ عَلَى رَأْسِكَ. لِأَنَّهُ كَمَا شَرَبْتُمْ عَلَى جَبَلِ قُدْسِي، يَشْرَبُ جَمِيعُ الْأُمَّمِ دَائِماً، يَشْرَبُونَ وَيَجْرَعُونَ وَيَكُونُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا. وَأَمَّا جَبَلُ صِهْيُونَ فَتَكُونُ عَلَيْهِ نَجَاهٌ، وَيَكُونُ مُقَدَّساً، وَيَرِثُ بَيْتُ يَعْقُوبَ مَوَارِيثَهُمْ".

(عوبديا 15 - 17).

ويمر بنو إسرائيل في أزمة كبيرة، لكن الملاك ميخائيل يقوم بمساعدتهم ويخلصهم، وينبعث الموتى الراقدون تحت التراب، ثم يأتي دور الثواب والعقاب:

”وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُومُ مِيخَائِيلُ الرَّئِيسُ الْعَظِيمُ الْفَائِمُ لِنَبِيِّ شَعْبِكَ، وَيَكُونُ زَمَانٌ ضَيْقٍ لَمْ يَكُنْ مُنْذُ كَانَتْ أُمَّةٌ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَنْجَى شَعْبُكَ، كُلُّ مَنْ يُوجَدُ مَكْتُوبًا فِي السَّفَرِ. وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هَؤُلَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَهَؤُلَاءِ إِلَى الْعَارِ لِلْأَزْدَرَاءِ الْأَبَدِيِّ. وَالْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ الْجِلْدِ، وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ“. (دانيال 12: 1 - 3).

معركة هرمجدون عند اليهود:

الرواية الأصلية للرؤيا الأبوكالبسية في الأديان الإبراهيمية الثلاثة كانت هي الرواية المسيحية التي ظهرت في سفر يوحنا اللاهوتي (رؤيا يوحنا) وكانت ترسم بطريقة أقل شراسة ارتفاع الجماعة المسيحية المؤمنة (الكنيسة) من الأرض للسماء والسكن في أورشليم السماوية قرب الله، بعد أن تقاوم أنواع التحديات الظلامية والشيطانية التي تقف بوجهها قبل يوم الحساب. وقعت الأديان الإبراهيمية الثلاثة في مشكلة حقيقية عندما انزلت نحو وصف المعركة الفاصلة التي تقع قبل يوم الحساب، ورغم أن الرواية الأصلية المسيحية كانت هي الأكثر اعتدالاً، ولكن ما تلا ذلك جعل لكل دين روايته الخاصة التي تنحاز لأهل ذلك الدين. وسنصف هذه الرؤية الأبوكالبسية المرعبة في الأديان الثلاثة ونحدّد نقاط تشابهها واختلافها ونقاط تهاافتها، أيضاً، لأنها ترسم نهاية مرّوعة للجنس البشري على الأرض.

اليهود والمسيحيون يسمّونها، اليوم، معركة (هرمجدون)، لكنهم يختلفون في طريقة روايتها، أما المسلمون فيسمّونها بأسماء مختلفة.

وتذكر هرمجدون في العهد القديم كموقعة حربية قديمة في العهد القديم بين جدعون ومديان، وفيها كسر الفلسطينيين شاول وفيها قتل الفرعون (نخو) الملك يوشيا، وهكذا هي رمز للحروب والخراب والدمار.

”هَرْمَجْدُون (Armageddon) كلمة عبرية مكوّنة من مقطعين: «هر أو هار» ومعناه الجبل، و«مجدون» وهو اسم وادٍ في فلسطين، يقع في مرج ابن عامر على بعد خمسة وخمسين ميلاً شمال تل أبيب، وعشرين ميلاً جنوب شرق حيفا، وخمسة عشر ميلاً من شاطئ البحر المتوسط“. (السقا 2002: 7).

المصدر المسيحي الأصلي (رؤيا يوحنا) يذكر هرمجدون ذكراً عابراً، لكن اليهود بنوا أسطورة الرؤيا الأبوكالبسية المرعبة من التحويرات التي أجرتها على هذا السفر المسيحي المذكور في العهد الجديد، رغم أنها لا تقرّ، ضمناً، بالعهد الجديد ولا برسالة السيد المسيح، لأن لها مسيحها الخاص الذي يُعرف بـ(ماشيح) والذي سيظهر في آخر الزمان ويطيح المسيح الدجال!!

التصنيع السياسي اليهودي لأسطورة نهاية العالم ولمعركة هرمجدون

يعتقد اليهود المتزمتون (الحريديين) أن معركة دامية وفاصلة ستحدث بين الأخيار والأغيار (اليهود وغير اليهود أي الغوييم) في سهل مجدو (هرمجدون). وعندما سيضعف اليهود ويتقهقرون، سيهبط من السماء المسيح المنتظر (ماشيح) لينقذ ما تبقى منهم في تلك المعركة وبالبلغ عددهم 144 ألف يهودي عندما سيعمّ السلام الحقيقي في الشرق الأوسط بين اليهود

و"الغوييم".

لا يمكن لإسرائيل أن تتخلى عن أسطورتها في تأسيس "إسرائيل الكبرى" لأنها، لو فعلت ذلك، فسوف تضطر للتعايش مع الأغيار (غير اليهود) وهو ما يتعارض مع هذه الأسطورة وأسطورة (شعب الله المختار) ومع أسطورة الماشيح الذي ينتظرونه ليهزم كل أعدائهم ويحكم العالم من أورشليم ومع أساطيرها الأخرى.

يرى أصحاب اليهودية السياسية ومنهم (هال ليندسي) مؤلف كتاب (العالم الجديد المقبل) أن الشرق سيتحشد بواقع 200 مليون عسكري ومعهم من يوافقونهم الرأي من الغرب بوجه أوروبا الغربية، وسيقود المسيح الجموع المؤمنة ضدهم ويضربون من دُنسوا أورشليم ثم يضرب تلك الجيوش المحتشدة في هرمجدون، حيث يرتفع الدم عالياً حول محيط أورشليم بما يقرب من 200 ميل!! فأى مصير أسود ترسمه اليهودية السياسية للعالم؟ وهل كل هذا الموت المخيف للبشرية من أجل أن يسود السلام والعدل الذي يعدنا به هذا الدموي بعد انتصار المسيح أو الماشيح؟ عالم غارق بالدم وسلام غارق بالدم!!

وهكذا يرسم هؤلاء الصهاينة وأرباب الأديان السياسية ومنهم هال ليندسي وجيري فولويل وبات روبرتسون أبشع صورة للأديان الإبراهيمية التي جعلت من التوحيد والسلام والرحمة عناوين لها، لكن هناك من يعمل على إفساد هذه العناوين ليل نهار.

تكمّن خطورة التصنيع السياسي لفكرة نهاية التاريخ ومعركة هرمجدون إلى الخوض في النصوص المقدسة وتأويلها سياسياً وجعلها تنطق بلغة معاصرة لتشكّل أسطورة سياسية جديدة تعمل "إلى ثقافة صنعت سياسات وصاغت مواقف؛ إذ لما توقفت هجرة اليهود نحو فلسطين للأسباب التي نعرفها احتال اليهود على إخوانهم بحيلة طريفة هي: أننا نعيش اليوم في عصر معركة هَرَمَجْدُون، ويجب عليكم ألا تخافوا من الهجرة، فإننا سننتصر وسنقيم مملكة الرب، وإذا أقمناها سوف يراها المسيح المنتظر ويأتي ليقودنا جميعاً إلى حرب الأمم، وفتح بلادهم، والمُلك عليها". (هلال 2004: 20).

أين تقع جنة عدن؟

توصف عدن العبرية على أنها (حديقة الله). أصل كلمة (عدن من كلمة سومرية (إيدن eden) تعني (عادي، سهل، صريح، سهوب) أما مرادفها الأكدي فهي (إيدو) أي السهل، ومرادفها الآرامي هو (مثمرة وسليمة)، ومرادفها العبري هو (متعة) (خلود). ونرى أن آدم ترادف أدن، فكلاهما يتضمن (آد) أي السهل، وفي حالة آدم الرجل المنحدر من (م) الأم إلى السهل أما في حالة أدن فهو السهل المنحدر من السماء (ن) أي السهل السماوي أو جنة الله.

تصورها أساطير النهرين على أنها حديقة الهية فيها شجرة الحياة التي يقوم بحراستها رجل بدائي، أو ثعبان، أو إله ثانوي. وفي التوراة هي مكان آدم وحواء العارين ببراءة. المكان المرجح لها هو في أريدو، لكن التوراة تذكر أربعة أنهار فيها هي (سيحون، جيحون، الفرات، دجلة) ويبدو أن نهري سيحون وجيحون قد اندثرا وهو ما أظهرته صور الأقمار الصناعية لمناطق دلتا جنوب العراق ويبدو أن هذه الأنهار الأربعة كانت تصب في الخليج العربي منفردة وهذا هو المقصود بأنها في أريدو لأن أريدو كانت تقع على البحر أي الخليج. الباطنية اليهودية الممثلة بال (التلمود والكابالا) ترى أن هناك نوعين من عدن كمكان روحي وهما:

1. جان عدن السفلى lower Gan Eden: وهي عدن الأرضية وهي أرض الخصوبة ووفرة النباتات المزدهرة، ويرجح أنها عدن إلى جرت فيها أحداث خلق الإنسان والخطيئة.

2. جان عدن العليا higher Gan Eden: وهي عدن السماوية، وتسمى (حديقة العدل) والتي نشأت منذ بداية العالم وستظهر في نهايته، وهي في السماء فيها عرش الله، وسيمشي الصالحون فيها مع الله الذي سيقودهم للرقص، وسكانها من اليهود وغير اليهود يلبسون ملابس الحياة الخفيفة والأبدية ويأكلون من شجرة الحياة.

بالمقابل فإن هناك ما يعارض جان (جنة) عدن العليا وهو ما يعرف باللغة العربية بـ(جيهينوم Gehinnom) أي جهنم والشيلول sheol وهو مكان لتطهير الأرواح والأسماء عن طريق النار وتكون في أقصى مكان بعدها عن السماء.

الربانيون يفرقون بين جان (جنة) و(عدن) ويرون أن آدم سكن الجنة أما عدن فلم تشاهدها عين بعد.

يمكننا القول إن اليهودية لا تؤمن بوجود جنة مادية ما بعد القيامة، تحتوي ما احتوته جنة عدن، فقد أغلقت هذه الأخيرة أبوابها بعد طرد آدم وحواء فهم يؤمنون بملكوت الله أو مملكة الله السماوية التي تسكنها الآن أرواح الملائكة، أما بعد القيامة فسيدخلها القديسون والأبرار والصالحون من بني البشر الذين لا أجساد لهم بل أرواح نورانية تسبح لله.

جهنم اليهودية:

جهنم أو (جى هنوم) كلمة عبرية تطلق على واد يسمى (وادي هنوم)، يقع شرق أورشليم وخارج أسوار المدينة القديمة، وكان هذا الوادي مكاناً للنفايات والجثث من الموتى والمجرمين بشكل خاص، ومحرقة للأطفال الذين يُقدّمون كقرابين بشرية للإله (مولك)، ولذلك كان يطلق عليه قديماً اسم وادي الموت. وكان ذا رائحة نتنة ويضجّ بالحرائق والدخان، ولذلك استعاروا التسمية منه للتعبير عن جهنم الكبرى التي تقابل الجنة.

الطقوس والشعائر اليهودية

الأعياد اليهودية

انضح لنا، بعد فحص ودراسة، أن الأعياد اليهودية هي أعياد زراعية بالدرجة الأساس وليست أعياداً دينية، يمثل الجدول الآتي توصيفاً بسيطاً للتقويم اليهودي ولالأعياد اليهودية وفتراتها:

ت	الأحوال الزراعية	الشهور اليهودية	ما يقابلها من الشهور الحالية	الأعياد
1	حصاد الشعير	نيسان	مارس - أبريل	14 الفصح
2				16 الباكورة
		زيو	أبريل - مايو	
3	رعاية الكروم	سيوان	مايو - يونيو	عيد الخمسين (بعد سبعة أسابيع من نهاية الفصح)
4				
		تموز	يونيو - يوليو	
5	ثمار الصيف	آب	يوليو - أغسطس	
6				أهول
7	الحرث	تسري	سبتمبر - أكتوبر	1 عيد رأس السنة
				10 يوم الكفارة
				15 - 21 عيد المظال
8	زراعة الحبوب	مول	أكتوبر - نوفمبر	
9		كسلو	نوفمبر - ديسمبر	25 عيد التجديد
10		طبيت	ديسمبر - يناير	
11		شباط	يناير - فبراير	
12		آذار	فبراير - مارس	

تنقسم الأعياد اليهودية إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى	المجموعة الثانية
عيد الفصح: 14 نيسان	عيد رأس السنة (أول الشهر السابع): 1 تسري
عيد الفطير 7 أيام: 15 - 21 نيسان	يوم الكفارة: 10 تسري
عيد الباكورة: 16 نيسان	عيد المظال: 15 - 21 والعيد 22 تسري
عيد الخمسين (عيد الأسابيع، البنطقستي): 6 سيوان (بعد 7 أسابيع من الفصح أي اليوم الخمسون منه)	

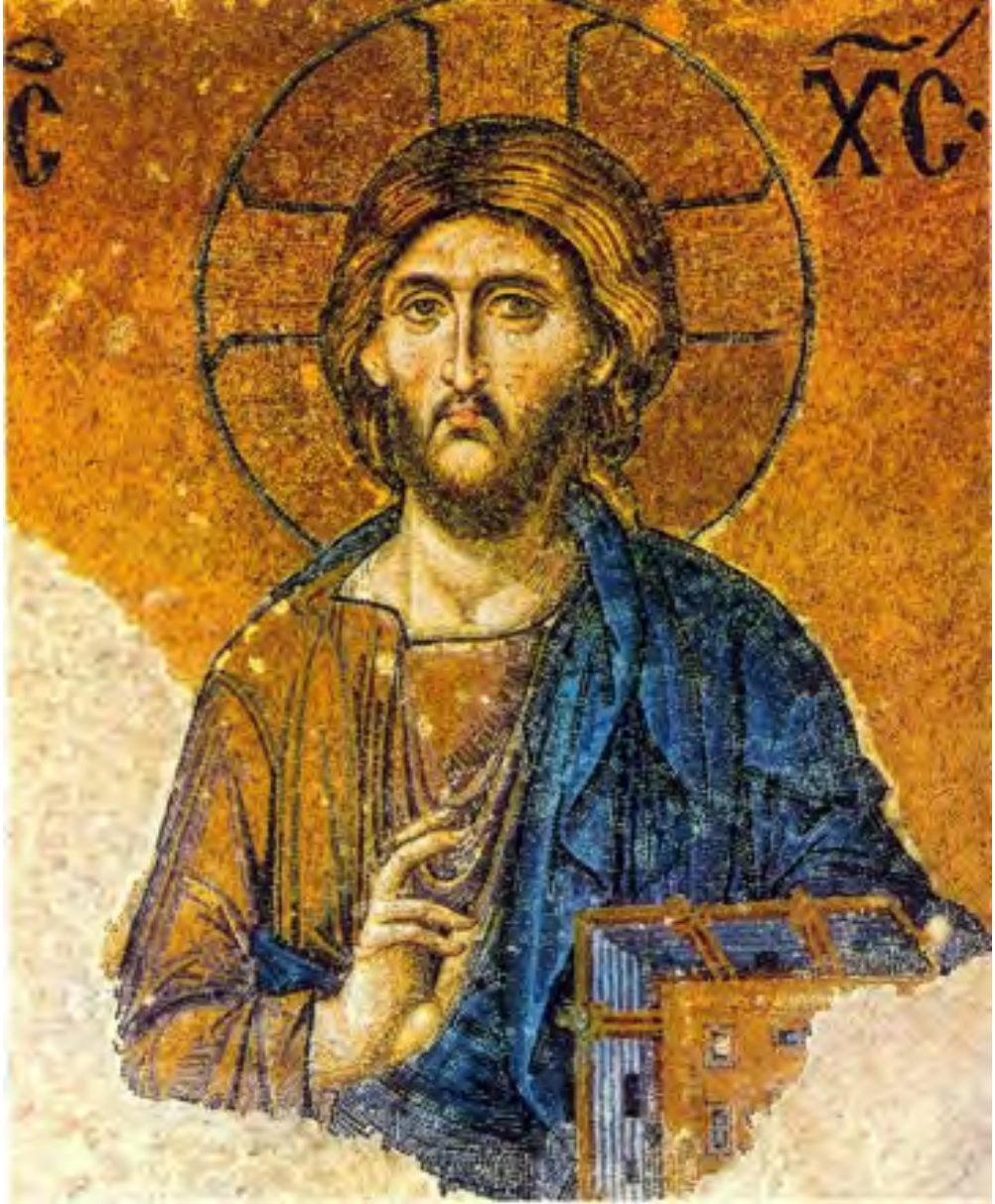
عدد الأعياد الرئيسية 7 أعياد ورقم 7 هو رقم كامل لأن الله خلق العالم بستة أيام واستراح في اليوم السابع.

كان شهر (تسري) هو أول شهور السنة. وأول يوم في هذا الشهر هو عيد رأس السنة. وبعد أن تأسس عيد الفصح في شهر نيسان. أصبح شهر نيسان، شهر عيد الفصح هو أول شهور السنة. وصار هناك لليهود تقويمان:

الأول هو التقويم أو السنة المدنية وأول شهورها تسري/ مول.. إلخ، وتستخدم السنة المدنية في الأمور السياسية والمدنية والزراعية

الثاني هو التقويم أو السنة الدينية وأول شهورها نيسان/ زيو/ سيوان.. إلخ، وتستخدم للأمور الدينية كانوا يستخدمون فيه السنة الدينية.

الفصل الثاني المسيحية



واحدة من أقدم لوحات الفسيفساء الأرثوذكسية ليسوع المسيح. وهو يحمل كتاباً في يده اليسرى ويشير بيده اليمنى إلى الثالوث: الأب والإبن والروح القدس.

المبحث الأول خلاصة تطوّر الديانة المسيحية

المسيحية أكبر ديانة في العالم من حيث عدد معتنقيها فقد بلغوا ما يقرب من 2,5 مليار، أي ما يقارب من ثلث البشر على وجه الأرض، وإذا عرفنا أن عدد دول العالم هو 197 دولة، فإن أغلبية سكان 126 دولة هم من المسيحيين. وتصنّف مذاهب المسيحية إلى ثلاثة مذاهب كبرى هي الكاثوليكية، والأرثوذكسية (الشرقية والمشرقية)، والبروتستانتية.

تعتبر المسيحية ديانة إبراهيمية، توحيدية، متمحورة في تعاليمها حول الكتاب المقدس، وبشكل خاص العهد الجديد، ويسوع الذي هو في العقيدة متمم النبؤات المنتظر، وابن الله المتجسد، الذي قدّم في العهد الجديد ذروة التعاليم الروحية والاجتماعية والأخلاقية، وأيد أقواله بمعجزاته، وكان مخلص العالم بموته وقيامته، والوسيط الوحيد بين الله والبشر؛ وينتظر معظم المسيحيين مجيئه الثاني، الذي يختم بقيامته الموتى، حيث يثيب الله الأبرار والصالحين بملكوت أبدي سعيد هو ملكوت السماء.

لم تُعرف المسيحية بهذا الاسم الجامع الشامل منذ أيام يسوع الناصري، فقد وردت كلمة مسيحي أو مسيحيين ثلاث مرات في العهد الجديد، لكن مصطلح المسيحية كديانة أطلقه أحد معتنقيها وهو (إغناطيوس الأنطاكي) على المؤمنين في أنطاكية فقط. ثم كتب بليني (الحاكم الروماني للمنطقة التي أرسل إليها الرسول بطرس رسالته الأولى) للإمبراطور تراجان عن أناس قدموا أمامه بتهمة أنهم مسيحيون، ومنذ ذلك الوقت أصبح المؤمنون بالمسيح يشتهرون بهذا الاسم، وبدأ التمييز بينهم وبين اليهود، لأن المسيحيين كانوا من (الأمم) بالإضافة إلى اليهود، الذين آمنوا بكلمة المسيح، ومصطلح الأمم يعني الشعوب غير اليهودية كما يصنفها اليهود، فحيث كُرس الإنجيل للأمم كما لليهود، وظهر أن المسيحية شيء آخر غير اليهودية، وأنها ديانة جديدة.

ومع ذلك لم يكن المصطلح عاماً شاملاً لكل الذين دخلوا في هذا الدين الجديد، وكثيراً ما أشار المسيحيون إلى أنفسهم باسم الكنيسة أو الجماعة أي جماعة المؤمنين. وتطلق كلمة كنيسة على جميع المؤمنين بالمسيح في كل العالم، كما على أي جماعة محلية منهم. ولهذا كثيراً ما يستخدم العهد الجديد كلمة كنيسة (بالمفرد) للدلالة على الكثير من الجماعات المسيحية معاً. كانت أسماء هذه الجماعات مختلفة، فهناك الناصريون، وهناك النصارى، وهناك النساطرة، وهناك اليعاقبة، وهناك الملكانيون، وهناك الأقباط، وهناك الأريوسيون... الخ. ولم يُستعمل مصطلح (المسيحية) بالمعنى الشامل الذي يجمع هؤلاء وغيرهم إلا في قرون لاحقة بعيدة.

المسيحية المشرقية

المسيحية هي الديانة الأكبر عدداً من البشر في العالم كله، وتاريخها حافل ولا حدود له. وفي تناولنا للمسيحية في المشرق لا بدّ أن نركز على مكانها هذا كي لا نشبت مجال بحثنا.

ينقسم تاريخ المسيحية، عموماً، إلى تاريخ المسيحية الشرقية وتاريخ المسيحية الغربية. تاريخ المسيحية الشرقية هو الأقدم حيث تنتشر المسيحية على بقعة جغرافية واسعة تمتد من اليونان وروسيا والبلقان وأوروبا الشرقية ثم آسيا الصغرى والشرق الأوسط وشمال أفريقيا وجنوب الهند.

وفي خضم الأحداث الكبرى التي شهدتها العالم منذ القرن الميلادي الأول وحتى يومنا هذا يمكننا

تصنيف المسيحية الشرقية إلى ثلاثة أنواع من الكنائس. وهي:

1. الكنائس المشرقية التي بدأت نشأتها في القرن الميلادي الأول في بلاد الشام وانتشرت في معظم أنحاء آسيا ووصلت ذروتها بين القرنين التاسع والرابع عشر منتشرة في أوسع جغرافيا دينية آنذاك بين مصر غرباً وحتى البحر الأصفر شرقاً، وضمت لها الناطقين بالسريانية بالإضافة إلى شعوب أخرى كالفرس والترك والمغول والهنود والصينيين. وسيكون بحثنا منحصرًا في هذه الكنائس التي ضمت في منطقة المشرق مجموعة من الكنائس المختلفة التابعة لمجموعات دينية مختلفة هي (السريان، اليعاقبة، النساطرة، الأقباط، الآشوريون).

2. الكنائس الأرثوذكسية الشرقية: وهي الكنائس التي انفصلت عن الكنيسة الغربية (الرومانية الكاثوليكية) وأصبحت تُعرف أيضاً باسم الكنائس الرومية الأرثوذكسية حيث القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية أو (الإمبراطورية البيزنطية)، وانتشرت في روسيا وبلاد البلقان واليونان والشرق الأدنى، ويُسمى أتباع هذه الكنيسة في البلدان العربية باسم (كنيسة الروم الأرثوذكس).
3. الكنائس الكاثوليكية الشرقية وهي الكنائس الشرقية المرتبطة مع مركز الكاثوليكية والباب في روما، وهي تتميز عن الكنائس الغربية أو اللاتينية في الكثير من التقاليد والمعتقدات والطقوس الخاصة بها، وتتكون من ستة تقاليد هي (المارونية، البيزنطية، الأنطاكية، الكلدانية، الإسكندرية، الأرمنية) وكانت، من الناحية التاريخية، منتشرة في أوروبا الشرقية وآسيا الصغرى والشرق الأوسط وشمال أفريقيا والهند، وهي تنتشر في جميع أنحاء العالم الآن.

تاريخ المسيحية المشرقية

أولاً: مرحلة التأسيس (27 - 100 م).

1. السيد المسيح: الدعوة والصلب والقيامة:

اسمه يسوع وهو اسم مشتق من اللغة الآرامية إلى اللغة العبرية ويكون نطقه (يشوع) أي (يهو شوع) ومعناه (الإله يهوا يخلص)، ولقبه (المسيح) والأصل القريب لهذا اللقب عبري هو (ماشيح) أي (الممسوح بالزيت أو الطيب المقدس). أما الأصل الحقيقي القديم لهذا اللقب فهو سومري بابلي لصف من الكهنة الذين يسمون (شماشو) وهم الذين يمسحون بالزيت أو الطيب المقدس كنوع من التعميد أو التطويب.

ترجم هذا اللقب إلى الإغريقية وأصبح (خريستوس) ثم إلى اللاتينية وأصبح (كريستوس Gh-ristos) ثم إلى اللغات الأوروبية وأصبح (كريست Christ) والذي أصبح مصدر اسمه المسيحية في اللغات الأوروبية (Christianity). وهو أيضاً مصدرها، من الأصل السامي، في العربية أي (المسيحية). أما مصطلح (Messianic أو Messianism) أي المسيحية أيضاً فمشتق مباشرة من الأصل السامي والذي يعني بصورة دقيقة (الخلاص).

كان يسوع الناصري (من الناصرة معلماً في الجليل، تعمّد على يد يوحنا المعمدان، وناذى بتعاليم جديدة تهدف إلى مساواة البشر، واستحق أن يكون المسيح الذي انتظره اليهود، كما في نبؤات العهد القديم، أسس الجماعة المسيحية (الكنسية) ومات على الصليب تكفيراً عن خطايا البشر وأصبح رمزاً لتحرير البشرية والبشارة (الإنجيل)، قام من بين الأموات ورفّع إلى السماء بعد أن وعد المؤمنين به بأنه سيعود في آخر الزمان.

كان عهده وما بعده بمثابة العهد الجديد للبشرية بعد العهود السابقة. وكان هو بمثابة روح الله وقدرته في داخل الإنسان، لأنه كلمة الله التي أفصحت عن نفسها في جسد مريم.

جاء صلبه في حدود (30 - 33 م.) بعد اعتقاله ومحاكمته لأنه ادّعى بأنه (ملك اليهود)، كما تصوّر الرومان، وهو ما جعلهم يخشون من زعامته السياسيّة لليهود في بلاد فلسطين، حكم عليه من بيلاطس البنطي الوالي الرومانيّ وهيرودوس انطيپاس الحاكم الرومانيّ للجليل وشرق الأردن، بعد اعتقاله بطلب من اليهود ورؤسائهم الدينيين الذين خافوا على مراكزهم وكانوا يصرخون (اصلبه اصلبه، دمه علينا وعلى اولادنا). ولم يدافع المسيح عن نفسه لسخريّته من التهمة، وكان الحكم عليه أن يُعاقب بالجلد ثم يحمل صليبه ثم يُصلب عليه.

”لأن المسيح يقع في القلب في النصوص المقدّسة العبريّة، فهي تعبّر أيضاً عن النظام الإلهيّ، لكن هذا النصّ التحتي لن يتّضح إلا في حالة تأويل الكتاب المقدّس بصورة صحيحة. فالنصوص المقدّسة، مثل الكون ذاته، عبارة عن بنية تركيبية (Thextus)، أو نسيج مكوّن من عدد لا نهائيّ من الكيانات المترابطة التي نسجت معاً لتؤلف كلاً غير قابل للانحلال، ويساعد تأمل البنيّة الرمزيّة للنصوص المقدّسة على فهم الناس أن يسوع هو الذي يُمسك بكل شيء معاً، ويبين ذلك التأمل الدلالة الأكثر عمقاً للنظام الكلي، وتقع على عاتق المفسّر مهمة بيان هذا، عن طريق التآليف بين كافة مفاتيح النص، تماماً مثل القطع المتداخلة لأحجية مصوّرة هائلة. ويقارن إربانوس بين النصوص المقدّسة والفسيفساء المؤلفة مما لا يُحصى من الأحجار الصغيرة التي تشكل صورة ملك وسيم، بمجرد وضعها معاً بشكل صحيح. (أرمسترونج: 2010: 81).

2. الحواريون والرسل والمجموعات الأولى:

الحواريّون (Disciples) هم تلاميذ وأتباع السيد المسيح الأوائل، اختارهم ليكرزوا وبيشّروا بالدين الجديد في العالم. وهم (أندراوس، سمعان، بطرس، فيلبس، يعقوب بن زبدي، يوحنا بن زبدي، برثولماوس، متىّ العشار، توما، سمعان القانوني، يهوذا الإسخريوطي).

وكل هؤلاء التلاميذ استشهدوا بسبب إيمانهم بالمسيح وهناك رواية تتحدّث عن أن يوحنا بن زبدي مات موتاً طبيعياً وهو شيخ. ومعروف أن يهوذا الإسخريوطي هو الذي أسلم السيد المسيح إلى الجنود الرومان وحلّ محله (متياس الرسول).

أما الرسل فعددهم (70)، والرسول، في العهد الجديد، اسمه أبوستولس (Apostolos) ومصدرها فعل معناه (يرسل) فهو رسول أو مبعوث، وكانوا يختلفون عن التلاميذ (الحواريّين) ينادون بالغفران وخدمة الإنجيل وبناء الجماعة (الكنيسة) وبجانب الكرازة كان عليهم أن يقوموا ببعض الشؤون الإداريّة، وكانوا يقيمون في أورشليم وواجههم أن يشّروا بالمسيحيّة في العالم. وسنذكر هنا بعضهم.

(مارا مرقس، برنابا، لوقا، متياس، بسطس، كليوباس، إسطفانوس، فيلبس، برخوس... إلخ)

أما بولس الرسول أو بولس الطرسوسي أو القديس بولس، فهو أحد قادة الجيل المسيحيّ الأول ويسمّيه المسيحيّون (رسول الأمم)، لأنه أبرز من بشّر بالدين المسيحيّ في آسيا الصغرى وأوروبا، ولد في طرسوس في كيليكية في آسيا الصغرى وترعرع في عائلة يهوديّة كمواطن رومانيّ وانتقل إلى أورشليم وأصبح فريسيّاً متشدّداً وحارب المسيحيّة باعتبارها فرقة يهوديّة ضالة، وتبعهم حتى دمشق ليأسرهم ويعود بهم إلى أورشليم، ولكنه حلم في الطريق بيسوع وهو يكلمه، فاعتنق المسيحيّة وأصبح اسمه بولس بعد أن كان شاؤول، وعاد إلى دمشق وحاول اليهود اغتياله فاختفى ثلاث سنوات ثم عاد إلى أورشليم والتقى بطرس ويعقوب البار، ثم بدأ برحلاته التبشيرية في سوريا وكيليكية ثم في أوروبا وأسس الكنائس هناك. وفي روما أصدر نيرون حكم الإعدام عليه بتهم حريق روما.

”أصرّ بولس على تخليّ المتحوّلين الأغيار عن الديانات الوثنية كافة وعبادتهم لإله إسرائيل وحده، غير أنه لم يعتقد في ضرورة تحوّلهم إلى اليهوديّة، لأن يسوع قد جعلهم بالفعل (أبناء الله) دون الختان والتوراة. ينبغي أن يحيوا كما لو كانت المملكة قد وصلت بالفعل: برعاية الفقراء والتصرّف بإحسان وعفة واعتدال وتواضع. إن حقيقة قيام المسيحين الأغيار بالتنبؤ بالمعجزات، وبالتحدّث بالسنة غريبة في غمار حالة النشوة الروحيّة، وهي كلها علامات الزمن المسيحاني، تثبت أن روح الله تعيش فيهم، وأن المملكة ستحلّ في المستقبل القريب للغاية.“ (أرمسترونج: 2010: 49).

ويعدّ بولس أهم شخصيّة مسيحيّة بعد يسوع فقد هيمنت شخصيته على العصر الرسوليّ للمسيحيّة وصاغت رسائله الطابع الروحانيّ المفصّل للمسيحيّة، ويُعتقد أن نصف كتاب (العهد الجديد) هو من كتابة بولس ومن تأثر بفكره مباشرة، خصوصاً الرسائل المختلفة للشعوب والأمم.

أما الشخصيّة المؤثرة الأخرى فهو يعقوب البار (يعقوب أخ الرب). وهو أول أساقفة أو بطاركة أورشليم وهو كاتب (رسالة يعقوب) أحد أسفار العهد الجديد، وكان يهودياً لكنه تمسّك بإيمانه بيسوع المسيح بقوة، وكان شديد الزهد والتقشف ولذلك لُقّب بـ(البار)، وبسبب هذا قتل حوالي 62 م. وتأسست، على ضوء تعاليمه، الفرقة الأبينية أو ما تُعرف بـ(كنيسة الفقراء) والتي هي أساس طائفة النصاري، كما يُسمّيها العرب والمسلمون، الذين يرون في المسيح بأنه الماشيح اليهوديّ وتصرّ على أتباع الشريعة اليهوديّة وبأحد الأنجيل اليهوديّة - المسيحيّة، التي يعتبرها المسيحيّون أناجيل منحلّة، وهي (إنجيل الأبيونيين، إنجيل العبرانيّين، إنجيل النصاريّين.. إلخ). وكانوا يبجلّون يعقوب البار ويرفضون بولس وتعاليمه، ويعتقد أن أغلب المنتمين لهذه الفرقة اليهوديّة المسيحيّة بأنهم من الأسينيين. ومن المعروف أن هذه الفرقة هاجرت إلى جزيرة العرب ونشرت تعاليمها هناك، ولذلك سُمّيت المسيحيّة في جزيرة العرب بـ(النصرانية) والتي كانت تجمع بين اليهوديّة والمسيحيّة، ومن أشهر أسمائها (ورقة بن نوفل) وهو ابن عم خديجة بنت خويلد زوجة النبيّ محمد.

3. العصر الرسوليّ (30 - 100 م.):

يعتبر هذا العصر أساس العصر المسيحيّ الثاني، حيث نشط الحواريّون والرسول في تأسيس الديانة المسيحيّة عبر:

1. كتابة الأسفار الإنجيليّة وكتب الآباء الرسل.
 2. تأسيس كنائس الكرسي الرسوليّ.
 3. التبشير في المدن المحيطة بحوض البحر المتوسط انطلاقاً من أورشليم إلى إنطاكية (أفسس، كورنث، تسالونيكي، قبرص، كريت، روما).
 4. بناء وترسيخ الطقوس المسيحيّة الجديدة داخل وخارج اليهوديّة، خصوصاً ما فعله بولس الرسول ورفضه للختان، منذ عام 50 م.
 5. يُعتبر القديس أغناطيوس أول من سمّى نفسه بـ(المسيحيّ) باللغة اللاتينيّة أي (كريستوس) في عام 100م، كما ظهر ذلك في كتابه.
 6. حارب اليهود المسيحيّة من خلال مجمع ينة اليهوديّ 85 م.، وإدانتهم لما أسموه بالهرطقة بين عامي 70 - 135 م.، ومُنح آباء المسيحيّة من الصلاة في الكنيس اليهوديّ.
- غادر المسيحيّون أورشليم بعد أن دُمّر الرومان الهيكل عام 70 م. وانتقلوا إلى قيصرية، حيث

أنشأوا فيها مركز البطاركة (70 - 100 م.). وتوفى بولس الرسول عام 100 وانتهى بوفاته العصر الرسولي، وكان عدد الكنائس قد وصل إلى 40 كنيسة في أماكن مختلفة من آسيا الوسطى مثل كنائس آسيا السبع. ولا شك في أن القرن الأول للميلاد كان قرن نشوء المسيحية الشرقية والمشرقية بشكل خاص.

لعل الحدث الأهم كان دخول المسيحية إلى الرها التي كان ملكها أبجر الخامس قد راسل يسوع، كما تروي المرويات المسيحية، لكي يزور مملكته ويشفيه غير أن المسيح قام بإرسال أحد تلاميذه الاثنين والسبعين فأشفاه وانتشرت المسيحية هناك. وأصبح للمسيحية وجود ملموس في كل من حدياب والرها بنهاية القرن الأول، وعُيّن مار أداي أسقفاً على الرها بحلول عام 100 ورُسم بقيذا نفسه أسقفاً على حدياب سنة 104. وهكذا انتشرت المسيحية بين الآراميين وغيرهم وتسميتهم، حيث "أثر من كان في سوريا من الآراميين أن يُسموا أنفسهم "سريان"، فالسريان إذًا هم فريق من الآراميين اعتنقوا المسيحية، وليس هذا فحسب بل إن السريان ابتكروا أبجدية ذات صور مختلفة كانوا يكتبون بها، ويؤلفون كتبهم المقدسة وهي الأبجدية السريانية المعروفة الآن. وكانت الرها ونصيبين من أهم مراكز الثقافة السريانية، وكان بين علماء هاتين المدينتين تنافس كبير. وفي القرن الخامس الميلادي انفصل عن الكنيسة الرسمية الملكانية أحد القساوسة المسمى "نسطور" وتبعه عدد كبير من رجال الدين، وبعد أن انفصلوا عن الكنيسة الرسمية التي كانت مذهب الدولة الرومانية الشرقية أسسوا لهم مذهباً جديداً هو الذي يُسمى مذهب النساطرة ويسمى أتباعه النسطوريين. ويقوم هذا المذهب على أن للسيد المسيح طبيعتين متميزتين سائرتين جنباً لجنب، الأولى: الطبيعة اللاهوتية (الإلهية)، والثانية: الطبيعة الناسوتية (الإنسانية). فالسيد المسيح في نظرهم جمع في شخصيته بين اللاهوت والناسوت (أي أنه ذو طبيعة مزدوجة)". (عبد القادر 1981: 119).

ثانياً: المسيحية المبكرة (100 - 325 م.)

تبدأ هذه المرحلة بعد وفاة بولس الرسول وتنتهي بانعقاد مجمع نيقية الذي هو أول مجمع مسكوني من المجامع المسكونية السبعة. القرن الميلادي الثاني (100 - 200 م.):

كانت المسيحية الغربية تنمو من خلال جماعات صغيرة ضمن الإمبراطورية الرومانية، وكان الرومان يرفضون عدم اعترافهم وعبادتهم للأباطرة الرومان، ورفضهم للطقوس الرسمية الرومانية وقد جرى تعذيبهم وتقديمهم للأسود في حفلات التعذيب في الكولوسيوم بروما وكانوا صلبين جداً متمسكين بدينهم وبعيدين عن العلوم الدنيوية. أما المسيحية المشرقية فقد استمرت في هذا القرن بالنمو والتطور فقد ظهرت كنائسها (السريانية والقبطية والأرمنية).

الكنائس السريانية تميّزت بلغتها وثقافتها السريانية. والسريانية هي الآرامية للمسيحيين الأوائل وهي اللغة الأم لطوائف الآشوريين والسريان والكلدان المنتشرة في العراق وسوريا بشكل خاص. وكان السيد المسيح قد تكلم بالآرامية التي هي اللغة الأم للسريانية. وقد أصبحت هذه اللغة هي اللغة الطقسية لتلك الطوائف ولغيرها من الطوائف المسيحية العربية والفارسية والأرمنية والتركية والمنغولية والهندية. وقد نشأت السريانية في مدينة الرها (أورفه الموجودة حالياً في تركيا).

القرن الميلادي الثالث (200 - 300 م.):

نمت ثقافة العصر في التجمعات المسيحية في روما ودافع عنها الكثيرون، وبدأوا بالاندماج مع المجتمع الروماني وظهرت المدارس المسيحية والمخطوطات المسيحية، ورغم ذلك زاد اضطهادهم وظهر ما عرف بـ(الاضطهادات العشرة الكبرى).

استمرت الكنائس المشرقية بالنمو وانتشرت المسيحية في المشرق الراقديني والشامي والمصري بوتيرة متصاعدة.

”عاشت الكنيسة الشرقية قرنهما الأول في المنطقة الفارسية تحت ظل تسعة ملوك فرثيين من السلالة الارشاقية. ولا تتوفر لدينا معلومات ثابتة عن علاقة الملوك الفرثيين بالديانة المسيحية إنما أخذت المسيحية في عهد هذه السلالة تنتشر في شتى أنحاء ما بين النهرين، حتى بلغت البلاد البابلية الجنوبية نفسها. وفي عام 226 م. أطاح أردشير الأول بالحكم الارشاقى وأسس السلالة الساسانية التي ستحكم البلاد أكثر من أربعة قرون. وقد فوجئ الساسانيون بانتشار المسيحيين في شتى أرجاء بلادهم وبتغلغلهم في مختلف ميادين الحياة. واضطروا إلى اتخاذ موقف تجاه هذه الديانة الجديدة التي تهدد معتقداتهم الوثنية وما فيها من الخرافات الكثيرة.“ (أبونا 1985: 25).

الربع الأول من القرن الميلادي الرابع (300 - 325 م.):

قام الإمبراطور غاليريوس فاليريوس ماكسمينوس (305 - 311 م.) بإصدار منشور غاليريوس التسامحي. ثم جاءت خطوات الإمبراطور قسطنطين التي تتوجت بإصدار مرسوم ميلانو عام 312 الذي اعترف بالمسيحية ديناً من أديان الإمبراطورية الرومانية والتي كانت رغم أقليتها عدداً، لكن قوتها المعنوية كبيرة جداً.

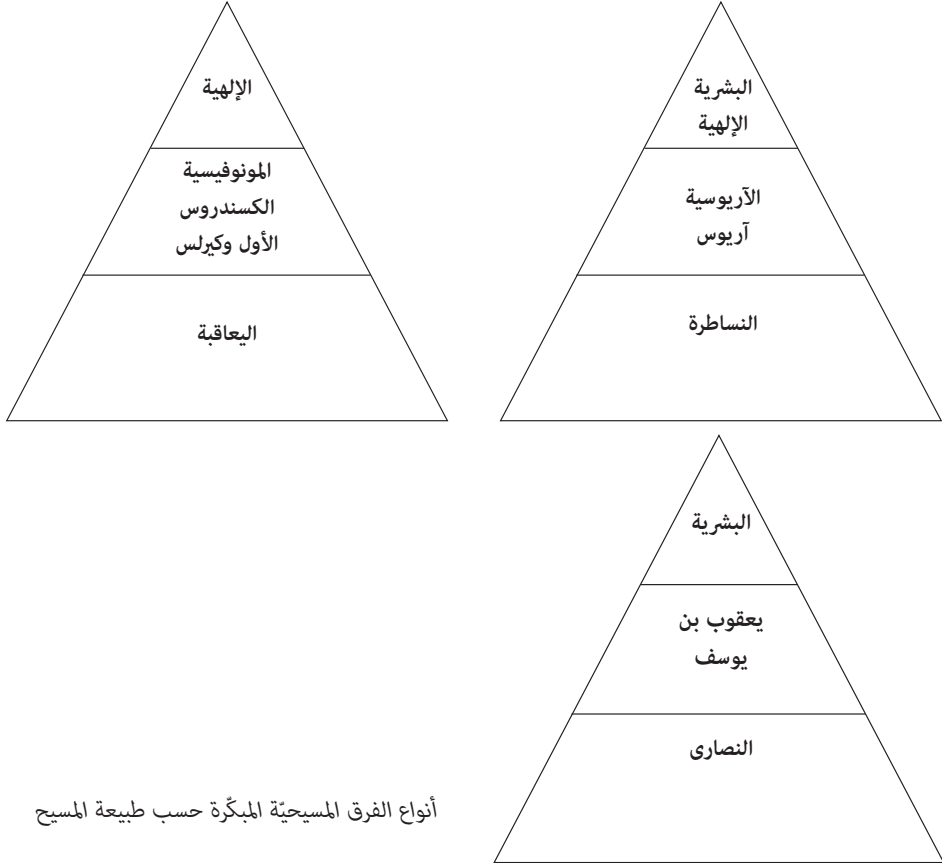
”عاش المسيحيون، حتى نهاية القرن الثالث، جماعات يرأسها أساقفة وتربطها بعض العلاقات بإنطاكية. أما ارتباطهم ببعضهم فلم يكن على صعيد الرئاسة الكنسية، مهما قيل عن الدور الذي لعبته كنيسة المداين بصفته الكرسي الذي أسسه مار ماري. فإن العلاقات كانت على صعيد المحبة المسيحية ووحدة العقيدة. وكانت كل من هذه الجماعات المسيحية تتمتع باستقلال يكاد يكون كاملاً بالنسبة إلى غيرها، وحتى بالنسبة إلى كرسي سابق نفسه. ولكن سرعان ما أخذ نفوذ أسقف المداين في الازدياد، حتى اعتبر نفسه المسؤول الأول والأعلى لأخوته أساقفة المشرق، وتبني لقب ”الجاثليق“ وهو اسم كان يُطلق مديناً على جابي الضرائب في المناطق الرومانية (ويعني ”العام“ أو ”الشامل“). (أبونا 1985: 33 - 34).

ثالثاً: المجامع والانشقاقات (325 - 451 م)

ظهرت في هذه الفترة أكبر الانشقاقات في العالم المسيحي الشرقي والغربي وكانت مترافقة مع المجامع المسكونية السبعة وغيرها. فقد كان العالم المسيحي موحداً، في إطاره الديني العام، لغاية 449 م. حين انعقد المجمع المسكوني الرابع في أفسس وحضرته الكنائس الشرقية (السيانية، الأرمنية، القبطية)، وكان مخصصاً لمناقشة فكرة الطبيعة الوحيدة (مونوفيسس) والتي تسميها الكنائس الشرقية الطبيعة الواحدة (ميافيسس) والتي شاعت بينها على اعتبار أن السيد المسيح له طبيعة بشرية أولاً، وكان أوطغاي الذي رأى أن السيد المسيح ذو طبيعة بشرية، لكنها ذابت في الطبيعة الإلهية اللامتناهية.

”قامت فرقة من بين السريان أيضاً خالفت كلاً من الملكانيين والنسطوريين، مؤسسها يعقوب

الرهاوي الذي أطلق عليه لقب السروجي أو البرادعي، ويقوم مذهبه على أن السيد المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيتة واحدة هي مزيج من اللاهوت والناسوت. وقد شاع المذهب النسطوري في الشرق أي في الشام والعراق وبلاد فارس. أما المذهب يعقوبي فقد انتشر في الغرب وبخاصة في مصر. وقد انتقل منها إلى الحبشة، ويُطلق على اليعاقبة باللغة الأجنبية The Monophysite (أصحاب القول بالطبيعة الواحدة)“. (عبد القادر 1981: 119). ولو تأملنا نشوء الفرق المسيحية المبكرة لوجدناها تتلخص في هذا الشكل المختصر:



أنواع الفرق المسيحية المبكرة حسب طبيعة المسيح

وحين عُقد مجمع خلقيدونية (وهو المجمع المسكوني الرابع بالنسبة لكنيسة قسطنطينية وروما) عام 451 م، رفض فكرة الطبيعة الواحدة وتبنى بل وأصرَّ على فكرة الطبيعتين (الإلهية والبشرية) للسيد المسيح. وكان هذا سبباً لظهور ما عُرف بالكنيسة الشرقية وانفصالها عن الكنيسة الغربية.

كان هذا أول انشقاق عالمي صريح بين دفتي الكنيسة المسيحية. المجمع السابقة مهَّدت لهذا الانشقاق حين تعاملت بقسوة مع كل الاجتهادات الثيولوجية للمسيحيين الشرقيين، بصفة خاصة، ومنها أفكار آريوس والتروبيك ونسطوريوس في المجمع الأول والثاني والثالث على التوالي. وهكذا تكون هذه المجمع قد أحدثت شرخاً في العالم المسيحي استمر بالتداعي حتى يومنا هذا.

في الجدول المبسّط الآتي عرضٌ بسيطٌ لهذه المجمع والمدن التي انعقدت فيها وسنوات انعقادها واسم الإمبراطور الراعي لها وأسباب انعقادها ونتائجها:

المجاميع المسكونية

المجمع	المدينة	السنة م.	الإمبراطور الراعي	الأسباب	النتائج
الأول	نيقية	325	قسطنطين الأول	فكرة أريوس: حول طبيعة يسوع هل هي إلهية أم بشرية؟	رفض الفكرة والإقرار بأن طبيعة المسيح إلهية.
الثاني	القسطنطينية الأولى	381	ثيودوسيوس الكبير	فكرة التروبيك: رفض مساواة الإبن والآب في الجوهر وإنكار ألوهية الروح القدس.	رفضها وإقرار ألوهية الإبن والروح القدس، كلمة الله صارت إنساناً في آخر الأزمنة من أجل خلاص البشرية.
الثالث	أفسس	431	ثيودوسيوس الثاني	فكرة نسطوريوس: رفض أن يسمي مريم (الدة الله) وأنها ولدت الطبيعة الناسوتية للمسيح	رفضها، ظهرت طائفة النساطرة في العراق والشام
الرابع	أفسس الثاني	449	ثيودوسيوس الثاني	آخر مجمع تعترف به الكنائس الشرقية (السريرية والأرمنية والقبطية).	تفضل الكنائس الشرقية تسميتها بالطبيعة الواحدة (ميافيسس)، وهي سواء كانت واحدة أو وحيدة فهي ضد الطبيعتين التي سينادي بها مجمع خلقيدونية.
خلقيدونية		451	بوليخاريا ومركيانوس	بدعة أوطاخي: تأييد الطبيعة الوحيدة (مونوفيسس) وهي البشرية والتي ذابت في الطبيعة الإلهية.	رفض الطبيعة الواحدة وتبني الطبيعتين الإلهية والبشرية للمسيح. انشقاق المسيحية إلى كنائس شرقية وكنيستين بيزنطية ورومانية.
الخامس	القسطنطينية الثاني	553	يوستينيانوس	الكنيستين البيزنطية والرومانية تعترفان به كمجمع رابع، وكانت المشكلة هي الطبيعة الواحدة أو الوحيدة للمسيح.	عدم تحريم الفصول الثلاثة. رفض بدعة أوريجينس
السادس	القسطنطينية الثالث	680	قسطنطين الثاني (حفيد هرقل)	تحريم الكتب أو الفصول الثلاثة. بدعة أوريجينس حول وجود النفوس وسقوطها قبل خلق الأجساد. بدعة الشك بوجود أو عدم وجود واحدة أم إثنين من: الطبيعة، المشيئة، الفعل، للسيد المسيح	كان ليسوع مشيئتان وطبيعتان وعلان طبيعتان من دون انقسام ولا قول ولا انفصال.
السابع	نيقية	787	الإمبراطورة إيريني وصية قسطنطين السادس	الرأي بشأن إقرار الأيقونات بعد تحريمها في 725 م.	إقرار الأيقونات كذكرى لتقاليد الكنيسة والآباء.

”بدأت الكنائس ابتداءً من القرن السادس، تمتلئ بالصور والتعابير الأيقونية المسيحية التي تعبر عن التجربة الدينية، بدأ الناس يتوافدون ليجدوا الكنيسة مجّمع ومستودع الأسرار المقدّسة، ومصدر الإلهام الإلهي الروحي ومنبعه، وصورة حيّة للكتاب المقدّس في صورته التصويرية التي تحاكي التجربة الدينية المسيحية، مما أكسبها مع مرور الوقت الهيبة والقوة والثروة في مواجهة السلطة الزمنية، فكما يقول جون هينليس ”كانت الكنائس مليئة بالصور، التي كانت تعتبر بمثابة الكتاب المقدّس لعامة الشعب الأمي“. (العلي: 2011: 193).

رابعاً: الكنيسة الشرقية (451 - 632 م.)

رغم الانشقاق الذي حصل بعد مجمع خلقيدونية عام 451 م. لكن الفصل النهائي بين عائلة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس البيزنطية والرومانية لم يحصل إلا في عام 518 م. عندما عُزل بطريرك أنطاكية ساويريوس، لكونه من أصحاب الطبيعة الواحدة وحصل مثل هذا الأمر في الإسكندرية.

كان أصحاب الطبيعة الواحدة (ميافيزيين) ينتشرون ويتكاثرون في مصر والحبشة وأرمينيا ثم في سوريا والعراق والهند، لكنهم عانوا من اضطهاد الإمبراطورية البيزنطية. ومع احتلال الإمبراطورية الساسانية بلاد سوريا والعراق، ثم مع احتدام الصراع الفارسي البيزنطي ووقوع المسيحيين الشرقيين ضحية لهذه الصراعات كان لظهور الإسلام واحتلاله بلدان المشرق أمراً جديداً فرض واقعاً جديداً في كل أنحاء المشرق وشمال أفريقيا، فقد بدأت غزوات الاحتلال من سنة 632 م. في عهد الخلفاء الراشدين.

”وبذلك كانت الديانة المسيحية الرومانية الشرقية في القرن السادس ميلادي، ثلاثة مذاهب هي: 1. المذهب الملكاني أي الرسمي، وكان مقر أتباعه القسطنطينية. 2. المذهب النسطوري. 3. المذهب يعقوبي. ويطلق على هذه المذاهب الثلاثة المذهب (الأرثوذكسي). أما أصحاب الكنيسة الرومانية الغربية التي مقرها روما، فأطلق عليهم الكنيسة الكاثوليكية. وقد كان للنساطرة والبعاقبة من السريان آثار بارزة في نقل الثقافة الإغريقية إلى البلاد الشرقية قبل الإسلام وبعده وخاصة في عهد الدولة العباسية أيام الخليفة المأمون. وظلت اللغة السريانية لغة الثقافة إلى أن جاء الإسلام، فحلت محلها اللغة العربية، كما حلت الأبجدية العربية محل الأبجدية السريانية في الانتشار“. (عبد القادر 1981: 120).

خامساً: الكنيسة المشرقية (632 - 1258 م.)

عانى المسيحيون المشرقيون في العراق وسوريا ومصر من المد الإسلامي الكاسح الذي اجتاح هذه البلدان. وكان أقلّ عنفاً في الفترة الأموية ولم يكن للمسيحيين دور سياسي، بل كان لهم بعض الأدوار الإدارية والاقتصادية. وتحوّلوا إلى رعايا تحت الحكم الإسلامي وأهل ذمة. في العصر العباسي ظهر الاضطهاد الفقهي للمسيحيين بعد ظهور كتاب أبي يوسف الذي كُتب بطلب من هارون الرشيد، وظهر ما يُعرف بالشروط العمرية (تُنسب إلى عمر بن الخطاب أو إلى عمر بن عبد العزيز) والتي تقضي بإلزامهم لبس ثياب معينة وعدم ركوب الخيل وركوب الحمير والمرور في الشارع بطريقة معينة وأحياناً وسمهم بحديد حام، خصوصاً أولئك الذين على تخوم الدولة العباسية مع الدولة البيزنطية. واختفى الاضطهاد أيام الخليفة المأمون، ثم ازداد أيام المتوكل بوضع صور شياطين على منازلهم وملاحقتهم، رغم أن أسراً مسيحية عالمة كآسرتي بختيشوع وحنين بن إسحاق كانتا تعملان في البلاط العباسي. وكانت تجبى منهم ضرائب

الجزية والخراج.

ثار المسيحيون بثورة تعرف بـ(المنيطرة) ولكنها فشلت، ولم تكن الدولة البيزنطية حلم إنقاذ لهم، لأن المسيحيين المشرقيين كانوا على طوائف مختلفة منهم الملكانيون والسرمان والأرثوذكس والمونوفيسس والموارنة السريان، والآشوريون النساطرة واليعاقبة. فالملكانيون هم الأقرب للبيزنطيين والنساطرة واليعاقبة أعداء للبيزنطيين، وبينهما الموارنة الذين اقتربوا من البيزنطيين أولاً ثم عادوهم بعد ترك الكرسي وهكذا.

تصدى الفقيه المسلم الأوزاعي لاضطهاد المسيحيين وعاد بعض المسيحيين الذين طردوا بعد ثورتهم إلى مناطق سكناهم. وفي معركة عمورية وضع العباسيون أهلها من المسيحيين في كنيسة وأحرقوهم.

في الدولة الفاطمية كانت الأمور عادية في البداية حتى جاء الحاكم بأمر الله الذي كان الأقسى على المسيحيين فهدم كنيسة القيامة ثم أعاد بناءها، وألزم المسيحيين بتعليق الصلبان في أجسادهم بطريقة مذلة بحيث كان الصليب يمتد أحياناً من الرأس إلى القدم وهناك أمور أخرى للإذلال والتمييز الديني، وهو ما جعلهم يعلنون إسلامهم للخلاص من هذا الجور. حصل ذلك في القرن العاشر للميلاد وهو أكبر تغيير في هوية المشرق في التاريخ الوسيط. كان الحاكم بأمر الله شخصاً مضطرباً من الناحية العقلية، وقد تعسف مع المسلمين بطريقة أكثر فجاجة وقسوة.

شارك المسيحيون بثورة ملاح فقير اسمه (علاقة) في مدينة صور المسيحية في عهد الفاطميين سنة 997، لكن الفاطميين قمعوها وسلخوا جلد علاقة.

كان مركز كنيسة المشرق في بغداد إبان العصر العباسي، وكان من نتائج الاضطهاد العباسي للمسيحيين هجرة بعضهم إلى سواحل البحر الأسود الجنوبية وبشكل خاص مدينة سينوبي، حيث استقبلهم الإمبراطور البيزنطي ثيوفيلوس الذي حكم بين (829 - 842).

وكان أهم نشاط نوعي قام به المسيحيون السريان اللغة، وأغلبهم من اليعاقبة والنساطرة، هو في مساهمتهم الكبيرة في بيت الحكمة حيث ترجموا الكثير من المخطوطات اليونانية إلى السريانية ثم إلى العربية، ثم نبغوا في علوم الطب والرياضيات والفيزياء.

وصلت كنيسة المشرق النسطورية إلى أوج رقيها وانتشارها في معظم أرجاء آسيا بين القرنين التاسع والرابع عشر ممتدة من البحر الأصفر شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً. وكان الملايين من المسيحيين ينضمون لها ومن مختلف الشعوب والقوميات مثل العرب والآشوريين والكلدان والسريان والفرس والترک والنبط والمغول والهنود والصينيين.

كان المسيحيون يحتفلون بأعيادهم المسيحية مثل عيد الميلاد وعيد الشعانين، وقد بُنيت مع بناء بغداد كاتدرائيتان مسيحتيتان.

لكن فترات الاضطهاد أجبرتهم على دخول الإسلام أو الرحيل والهجرة باتجاه الجبال والوديان وقد شمل هذا الاضطهاد أدياناً أخرى كاليهود والمندائيين.

سادساً: كنيسة المشرق (1258 - 1453 م.)

عندما احتل هولاكو بغداد عام 1258 وسقطت بيد جيشه المغولي، أمر في بداية احتلاله بعدم التعرض للمسيحيين وبناء كاتدرائية في بغداد. جاء ذلك بسبب زوجته المسيحية المنتمة لكنيسة المشرق الآشورية التي كان اسمها (دقز خاتون)، وكان هناك مغول مسيحيون ولذلك اتسعت كنيسة المشرق في القرن الثالث عشر، لكن الأمور انقلبت عليهم في عهد الأليخانين أثناء عهد

(أولجاتيو) وتوالت الضربات مع تيمورلنك ثم انتهت كنيسة المشرق في آسيا الوسطى. من جانب آخر انفصلت الكنيسة البيزنطية عن الكنيسة الرومانية عام 1054 بعد وفاة البابا ليون التاسع، وتفاقت الأزمة بين الكنائس المسيحية الشرقية والغربية مع بدايات الحملات الصليبية، خصوصاً الحملة الرابعة حيث احتل الصليبيون مدينة القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية وأسسوا الإمبراطورية اللاتينية سنة 1204 والتي لم تعمر طويلاً حيث قام الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن باليولوج بالقضاء عليها. وفي عام 1453 سقطت الإمبراطورية البيزنطية على يد محمد الفاتح العثماني ودخل القسطنطينية، وتحول أهلها إلى الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، وقام العثمانيون بالسماح للمسيحيين واليهود في القسطنطينية بممارسة طقوسهم باعتبارهم أهل ذمة وعليهم دفع الجزية لقاء إعفائهم من الخدمة العسكرية.

سابعاً: كنيسة المشرق (1453 - 1917)

توزع المسيحيون، بعد سقوط الإمبراطورية البيزنطية 1453، في الدولة العثمانية على كنائسهم المعروفة وهي (الروم، الأرمن، الأقباط، البلغار، الصرب، السريان) وكانوا يمارسون شعائرهم ويشاركون في أمور السياسة والتجارة.

أصبح المسيحيون، وخاصة من اليونان والأرمن، في مقدمة المسيحيين الذين حصلوا على نفوذ واسع في الإمبراطورية العثمانية منذ القرن السابع عشر وسيطر اليونانيون منهم على بطريركية أنطاكية والقدس. وانتعش وضع الطائفة الأرمنية الأرثوذكسية بشكل لافت. وأصبح ثقل الكنيسة الأرثوذكسية الروسية كبيراً على التخوم العثمانية.

منذ القرن السابع عشر ظهرت البعثات الكاثوليكية في الدولة العثمانية ونشأ عن ذلك ظهور الكنائس الكاثوليكية الشرقية، وأصبحت الكنيسة المارونية أقدمها ثم تبعها ظهور الكنيسة الكلدانية وغيرها.

وقام المسيحيون بدور رائد في نشر النهضة العربية وتحفيزها في القرن التاسع عشر من خلال جمعياتهم الأدبية والسياسية.

وقامت الدولة العثمانية بقتل وتدمير المسيحيين الأرمن خلال الحرب العالمية الأولى وبعدها من خلال مجازرهم المعروفة، حيث تراوحت أعداد الضحايا بين (1 - 1,5 مليون مسيحي)، ثم قامت بقتل وتهجير المسيحيين الآشوريين السريان والكلدان بمساعدة عصابات كردية حيث تراوحت أعداد الضحايا بين ربع مليون إلى نصف مليون مسيحي، وكذلك ضد مسيحيي اليونان ضد الأقلية اليونانية النبطية في (بنطس) بحوالي نصف مليون مسيحي.

ثامناً: كنيسة المشرق (1917 - الآن)

1. مساهمة المسيحيين المشاركة في بناء البلدان والدول العربية:

كان للمسيحيين المشاركة الدور الكبير والفاعل في بناء الدول العربية الحديثة في المشرق ونال لبنان استقلاله عام 1943 بجهود مسيحية كبيرة، وكذلك ساهم المسيحيون السوريون في بناء دولة سوريا وتفعيل الأحزاب والحركات السياسية العربية والإقليمية والوطنية.

وساهم المسيحيون العراقيون في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، وظهرت الكنائس المشرقية في وضع أفضل بكثير في ظل دول الاستقلال التي ضمنت لهم حريتهم وحضورهم.

2. اغتصاب فلسطين وتدمير المسيحيين وكنائسهم فيها:

بعد عام 1948 واغتصاب فلسطين وتأسيس (إسرائيل) قامت العصابات الصهيونية بتدمير القرى

والكنائس المسيحية، فقد هجرت أهالي القرى ودمرت وأغلقت كنائس اللد وبيسان وطبريا، أما مسيحيو القدس الغربية الذين شكّلوا غالبية سكان القدس الغربية فقد هجر أغلبهم، وما زالت السلطات الإسرائيلية تضع المسيحيين كمواطنين من الدرجة الثانية في كيانها.

3. نشاط الحوار بين المذاهب والكنائس المسيحية:

قامت الحركة المسكونية عام 1948 بتأسيس مجلس الكنائس العالمي وضمّ الكنائس الأرثوذكسية والبروتستانتية في العالم، وكانت الكنيسة الكاثوليكية فيه بصفة مراقب. وبدأت المشكلات المسيحية القديمة بالتحلل والذوبان في هذه المرحلة بعد الحوارات والمؤتمرات المتواصلة بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية.

4. عنف المنظمات الإرهابية الإسلامية وهجرة مسيحيي المشرق:

كان لظهور التنظيمات الإرهابية الإسلامية مثل القاعدة وداعش وغيرهما من المنظمات الجهادية السلفية والأخوانية الأثر الكبير في تصدّع العلاقة بين المسيحيين والمسلمين وظهور نزعات الهجرة المسيحية من المشرق إلى مختلف أرجاء العالم. وهي ظاهرة جديدة أخذت أبعاداً ضارة ومدمرة للخريطة الدينية والسكانية في بلدان المشرق، رغم كونها في الطريق إلى الانحسار الآن، لكنها أضرت بالمسيحيين والطوائف الدينية.

المبحث الثاني المكوّنات الأساسيّة للديانة المسيحيّة

أولاً: المعتقدات المسيحيّة

1. الأَقنوم:

الأَقنوم تعريب للكلمة السريانيّة ”قنوما - Qnoma“، وجمعها ”أقانيم“. وهي تفيد المعاني (شخص، ذات، عين، حقيقة، جوهر، أصل، ماهيّة، طبيعة مفردة، كائن حيّ قائم بذاته أي أنه يستمدّ أعماله من ذاته وليس من آخر). وهناك أَقنوم ثلاثيّ يتكوّن من ثلاثة أقانيم متّحدة بعضها في الجوهر وهي (الأب والإبن والروح القدس).
هايبوستاسس Hypostasis الأَقنوم بالإنجليزية وهي مكوّنة من مقطعين: هابيو تعني تحت، وستاسيس تعني قائم أو واقف، أي أنها تعني (تحت القائم) ولاهوتياً معناها (ما يقوم عليه الجوهر أو ما يقوم فيه الجوهر أو الطبيعة).
وتتكوّن جملة البسملة المسيحيّة من النصّ الآتي: باسم الأب والإبن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

حيث الأب هو الله من حيث الجوهر، وهو الأصل من حيث الأَقنوم، والإبن هو الله من حيث الجوهر، وهو المولود من حيث الأَقنوم، والروح القدس هو الله من حيث الجوهر، وهو المنبثق من حيث الأَقنوم.

2. الروح:

الروح في المسيحيّة هي الكينونة الخالدة للإنسان وهي المعرّضة للحساب من قبل الله بعد الوفاة، ويرى أوليس أوغسطينس أنها مادة خالصة، وهناك من يرى أنها موجودة في الإنسان قبل ولادته، أي وهو جنينٌ في بطن أمّه، وهناك آخرون يرون أنها تأتي لاحقاً كهبة من الخالق وكمزيج من روحيّ الوالدين.
أما بعد الموت فيرون أن الروح تذهب في نوع من السبات لحين ظهور يوم الحساب، فتقوم، حينها، وتنال جزاءها من العقاب أو الثواب، حسب ما فعلته وهي في الحياة الدنيا.

ثانياً: المؤسسة الدنيّة

أ. المؤسسة الإلهيّة (الكنيسة):

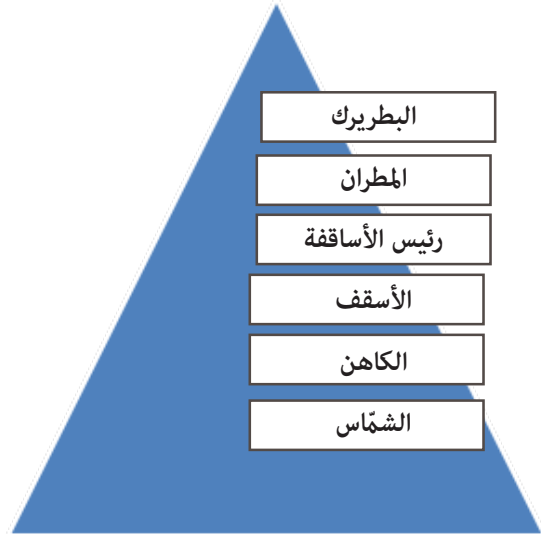
الكنيسة ليست هي المبني الذي تُعقد فيه الصلوات والمواظب والاجتماعات وليست هي المنظمة الدنيّة “إلى أي كنيسة تنتمي؟“، بل جماعة المؤمنین المرتبطة برابط الإيمان بيسوع ورسالته السماويّة، فهي رباط الجماعة قبل أن تكون بناية أو طقساً. والكلمة هي ترجمة للكلمة اليونانيّة “أكليسيا“ التي تعني (اجتماعاً) أو (جماعة). وهي في المسيحيّة نوع من اجتماع الشعب في المسيح، أي أنها تعني (الاجتماع الروحيّ) أو (الجماعة الروحيّة). وكانت الجماعة المؤمنة أو الكنسيّة تسمّى بأسماء عدّة منها: الأخوة، المسيحيّون، القديسون، التلاميذ، المؤمنون.

كانت هناك مرادفات كثيرة للكنيسة في العهد الجديد منها: كنيسة الله، كنيسة المسيح، بيت الله، هيكل الله، جسد المسيح، عروس المسيح، قطيع الله.. إلخ.

ب. المؤسسة الكهنوتية:

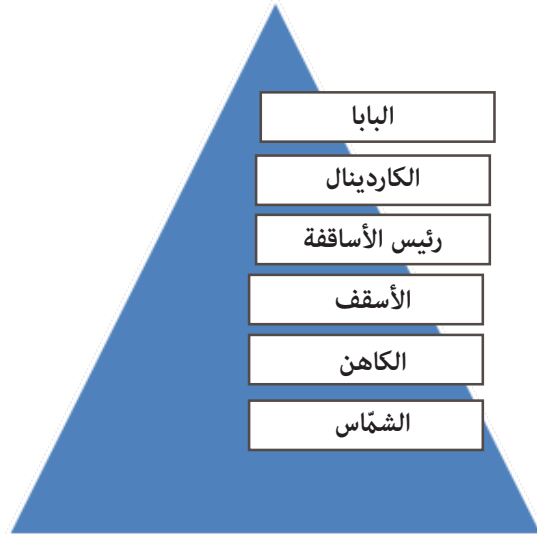
هم رجال الدين المسيحي الذين وصلوا الكفاح من أجل تثبيت الدين المسيحي ونشره، وهم أيضاً من اختلفوا في مفاهيمه وسببوا له انشقاقات كثيرة عبر التاريخ. هناك نظام هرمي شبه ثابت في كل الطوائف والمذاهب المسيحية، رغم بعض الاختلافات المعروفة وسنتناول الأنظمة الهرمية الكهنوتية لأكثر ثلاثة مذاهب مسيحية معروفة، وهي:

1. المؤسسة الكهنوتية الأرثوذكسية:



2. المؤسسة الكهنوتية الكاثوليكية:

- التسلسل الهرمي لرجال الدين الكاثوليك يظهر (من الأعلى إلى الأسفل) كما يلي:
1. البابا: رأس الكنيسة الكاثوليكية، ومجموعة الكاردينالات بمثابة المستشارين للبابا.
 2. الكاردينال: يعينه البابا.
 3. رئيس الأساقفة: أسقف أبرشية رئيسية.
 4. الأسقف: معلم عقيدة الكنيسة، كاهن العبادة المقدسة، ووزير حكومة الكنيسة.
 5. الكاهن: رجل الدين التقليدي العام والذي يمكنه إدارة معظم الأسرار المقدسة. وهو الذي يقوم بالإعمال العادية البسيطة وغير النوعية للكنيسة.
 6. الشماس: طالب الكهنوت أو مساعد الكاهن.



الأسرار المقدّسة:

- هناك سبعة من الأسرار المقدّسة التي يمكن للمرء أن يستقبلها في الكنيسة الكاثوليكية وهي:
1. المعمودية: خالية من الخطيئة الأصليّة، ابدأ رحلة مدى الحياة، انضمّ إلى الكنيسة.
 2. المصالحة: الكفارة.
 3. القربان المقدّس: تلقي جسد ودم المسيح.
 4. التأكيد: قبول مسؤولية كونك عضواً بالغاً في الكنيسة.
 5. الزواج: علامة عامة على العهد بين رجل وامرأة واحدة.
 6. الأوامر المقدّسة: إعطاء السلطة لأداء الأسرار المقدّسة.
 7. مسحة المرضى: الشفاء لمرض جسديّ أو عقليّ.

3. المؤسسة الكهنوتية البروتستانتية:

لا يوجد في الكنيسة البروتستانتية بابوية أو بطريركية بل تقسم إلى مجامع عليا وقساوسة.

الأساطير والمثولوجيا المسيحية

أولاً: الرموز الدينية

الرموز المسيحية تستثمر الأشياء أو الطقوس عبر المعنى الباطني لها للتعبير عن الأفكار المسيحية. وقد اقترضت المسيحية هذه الرموز من المخزون الكبير المشترك للرموز في معظم فترات التاريخ وفي جميع مناطق العالم. الرمزية الدينية مقترنة بالطقوس تناشد كلاً من العقل والعواطف لدى أي من أتباع دين معين. اختيار الأعمال المناسبة والأشياء الرمزية لا يكفي لتجنب ظهور تقليد جديد من التقاليد الأخرى التابعة لدين آخر أو ثقافة وفكر مختلف، خصوصاً لو كانت هناك محاولة متعمدة لاختراع طقوس جديدة تماماً.

1. الصليب: وهو الآلة الخشبية التي صُلب عليها المسيح بعد جلده وتوجيهه بتاج من الشوك (سخرية منه على أنه ملك اليهود). واستناداً إلى ما ورد في العهد الجديد 27 مرة في حين ورد فعل الصليب 46 مرة ولذلك تحوّل الصليب إلى الرمز المسيحي الأول، أما الأشكال الأساسية للصليب فهو الصليب اللاتيني (†)، والصليب اليوناني (⊕)، وهناك الأشكال المتنوعة الكثيرة الأخرى للصليب في مختلف التقاليد الثقافية المسيحية.

2. اللبرومة (تشي رهو): (chi rho) (XP)

الإمبراطور قسطنطين أول من قام بإدخالها تحت شعار "بهذه العلامة تنتصر"، واستخدمت على نطاق واسع في المسيحية القديمة، ويتم تشكيل تشي رهو عن طريق إضافة أول حرفين من الكلمة اليونانية،

(vexillum (Labarum .

"علامة تشي رو (Chi - Rho) كتعبير وشهادة عن الإيمان، وكانت تلك العلامات من الصعب على خارج المسيحية معرفتها في بدايات الدعوة المسيحية واضطهادها، فحرف X وحرف p هما الحرفان الأولان لاسم المسيح في اليونانية، ويقال بأن قسطنطين قام بنقش تلك العلامة على دروع قواته أثناء صراعه مع ماكسينتيوس (مكسيمس)، فكان نصر قسطنطين تمثيلاً لنصر أعجوبي للمسيحية على الوثنية، بينما يفند آخرون بأن قسطنطين من أسس شعار (تشي رو)؛ لأنه جرى العثور على نقش لهذا الشعار في قبر في بومبي الإيطالية يعود تاريخه إلى قرنين ونصف قبل ذلك". (العلي: 2011: 181).



اللبرومة



الصليب

3. السمكة: لو جمعنا أول حرف من كلمات العبارة اليونانية (بيسوس خريستوس ثيو يوس سوتير) وتعني: (يسوع المسيح ابن الله المخلص) سنصل إلى لفظة "يختس" (اختيس) التي تعني (سمكة). التي يُشار فيها سرّياً إلى اسم (المسيح). ثم أصبح رمز السمكة يتعدّد بتأويلاته المسيحية فأصبح يرمز للمسيح الذي توزّعه الكنيسة في المناولة، وإلى المسيحيين الجدد، وإلى المؤمن المسيحي، بشكل عام. وربط رمز السمكة بالمسيح وهو يختار صيادين لينشروا رسالته ويصطادوا الناس، وأنه كثر الخبز والسمك، وأنه يشوع بن نون لأن لفظة "نون" في العبرية تعني "سمكة" فيسوع هو "ابن السمكة" لاصطياده الناس وأولهم الرسل صيادي الناس ولتكثيره السمك مع الخبز. وقد شبّه آباء الكنيسة المعمّدين الجدد بأسماء يولدون بالإيمان في مياه جرن المعمودية.

4. الكائنات الحيّة الأربعة: ترمز للأناجيل الأربعة، وللكنائس التي تحمل عرش الله أو الأربعة، وردت في سفري الرؤيا وحزقيال كحيوانات غير متجسّدة. فالأول له وجه إنسان (تجسّد المسيح بشكل بشري) والثاني وجه أسد (يرمز لقيامة المسيح) والثالث وجه ثور (يرمز للذبيحة والصليب) والرابع له وجه نسر (يرمز للصعود والشمس).



رمز الكائنات الحيّة الأربعة



رمز السمكة

5. الحمامة مع غصن الزيتون: رمز السلام والحيّة الأبدية وخلود الروح، رمز إلى الروح القدس الذي حلّ على يسوع بشكل حمامة في نهر الأردن، استخدمت في النقوش الأثرية والأواني المقدّسة الكنسيّة، ونجدها على جبة الكاهن وثياب الإكليروس رمزاً لمسحة الروح القدس والتكريس للخدمة وحضور المواهب الروحيّة.

6. البجعة: استخدم المسيحيون الأوائل البجعة كرمز للمسيح بناء على حكاية تقول: إن صغار البجع ماتت جوعاً أو بسبب الثعابين التي لدغتها وسّمّتها، وبعد ثلاثة أيام وصلت البجعة الأم وأرادت أن تعيدهم للحياة فمزقت صدرها بمنقارها حزناً عليهم، وانسكبت دماؤها على صغارها فأعادتهم للحياة، ويكون رمزية الدم الذي وهب الحياة للموتى شبيهاً بالدم الذي

قدمه المسيح على الصليب، ولهذا كان البجع أحد الرموز التي استخدمت للتعبير عن سر التناول "الإفخارستيا" منذ القرن الأول للمسيحية، فهو يرمز للسيد المسيح الذي أسس بعشائه الأخير سر الإفخارستيا، ومنحنا دمه على الصليب لنخلص بدمه ونحيا معه الحياة الأبدية.



رمز البجعة التي شقت صدرها



رمز الحمامة وغصن الزيتون

7. ألفا وأوميغا (الألف والياء): الألف والياء مصطلح ورد في سفر الرؤيا من العهد الجديد كناية عن الله. وهو من الرموز المسيحية المقدسة في الإشارة إلى يسوع استناداً إلى ما ورد في رؤيا يوحنا 8/2.

(أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية. مَنْ يعطش فسأعطيه من ينبوع ماء الحياة مجاناً) 6: 21.



ألفا وأوميغا: الألف والياء

8. المسبحة الوردية: أحد الرموز الواسعة الانتشار، تُعطى للراهب الأرثوذكسي عند رسامته وقص شعر رأسه، وترمز كسيف روحي يحارب به الشيطان الذي لا يعرف كيف يحل العقد المتصالبة فيها، وترمز للصلاة بدون انقطاع.

9. المبخرة: تشير إلى السيدة العذراء التي قبلت الرب في جسدها وحتمته من الدنس ولم تحترق من حرارة لاهوته. وبسلاسل المبخرة الثلاث يُشار إلى الأقانيم الثلاثة المتساوية في الجوهر والقدرة والجودة. وبالحلقة التي تجتمع بها السلاسل، إلى الطبيعة الإلهية الواحدة بثلاثة أقانيم.



المبخرة المسيحية



المسحة الوردية

10. مونوغرام المسيح

Monogramma Christi

المونوغرام هو حرف واحد أو مجموعة من الحروف التي تشكّل اختصاراً لاسم ما، والذي يُستخدم تقليدياً كرمز ديني داخل الكنيسة المسيحية. وهو يتألف من الأحرف اليونانية المتراكبة rho (P) و chi (X) مونوغرام المسيح يتكوّن من Chi - Rho ، استخدمه قسطنطين الأول في عام 312.

ستاوروغرام:

staurogram

اختصار للكلمة اليونانية (الصليب) بحرفين ورسمها على شكل صليب، وقد شرح أفرام السوري في القرن الرابع هذين الحرفين الموحّدين اللذين يشيران إلى الصليب، وانتشر هذا الرمز في أوروبا الغربية في القرنين الخامس والسادس.

وهناك حروف أخرى كما في الشكلين الآتيين:

(IH Monogram iota (I) and eta (H)

IX Monogram



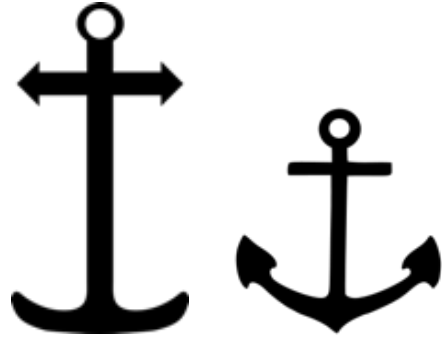
مونوغرام:

I.. H و X.. I

مونوغرام

P.. X

11. **المرساة:** ترمز إلى أمان أعضاء الكنيسة ورجائهم بعود الحياة الأبدية ثم صارت تجسّد الصليب، علامة الخلاص، وتعبّر عن وصول النفس إلى الأمان، أي إلى اللقاء بيسوع المسيح. ويشبهها صليب الملاحه أو صليب القدّاس كليمنت.



صليب الملاحه: صليب
القدّيس كليمنت

المرساة

12. **رمز نبات البرسيم:** هو العسلوج النضر من البرسيم (النفل)، تستخدم في إيرلندا كرمز للتالوث المسيحيّ، ويقال إن القدّيس باتريك جعلها ترمز للتالوث المسيحيّ، يأتي اسمها (شمروخ) من (سمير) وهو "البرسيم الصغير" أو "البرسيم الشاب" باللغة الإيرلندية.

13. **السفينة:** ترمز لسفينة الخلاص، الحياة، دينونة الله ووعده بالخلاص، وترمز، أيضاً إلى المعمودية التي تمثل طقس العبور إلى حياة الإيمان.



سفينة الخلاص



رمز نبات النفل (البرسيم)

A shamrock icon

14. **شموع المذبح:** توضع على المذبح المسيحيّ شمعتان، وأحياناً أربع أو ستّ. والشمعة المشتعلة عند قراءة الرسائل في أثناء القدّاس، ترمز إلى يوحنا المعمدان الذي دلّ على المسيح وعمده؛ أمّا الشمعتان اللتان ترافقان قراءة الإنجيل فترمزان إلى الشريعة وإلى الأنبياء، وعلى هديهما ينبغي أن يقرأ الإنجيل. وفي الكنائس الشرقية ترمز الواحدة إلى الفرح والإثنتان إلى الملاكين اللذين أعلننا قيامة الربّ من بين الأموات. أما في الكنيسة اللاتينية فترمز الواحدة

الفصيحة إلى الحضور الحي للمسيح في الكنيسة، وجسده السرّي.
 15. الإقليد (المفتاح): رمز القدرة، ورمز السيادة والسيطرة، ومالكة يعني أنه هو السيّد
 وصاحب الدار. ويده سلطة الربط والحلّ "فتح المسيح بصليبه باب الفردوس". (متّى 16: 19).



الإقليد (المفتاح)



شموع المذبح

ثانياً: مثولوجيا البدايات (الخلقة)

لم تعد هناك أساطير مفصلة وغريبة في قصة الخلق المسيحية. فالله هو الخالق، والمسيح هو الذي تجسّد كابن لله ليحمل عن البشر خطاياهم.

1. ثيوغونيا: الله في المسيحية واحد أزلي لم يخلقه أحد، ففي إنجيل يوحنا 1: 3 في البدء كانت الكلمة وكانت الكلمة هو الله. به كان كل شيء. وفي رسالة بولس إلى أهل كورنثوس 1: 16، 17. كل شيء خلق به، وهو قبل كل شيء. ولأن الله قد خلق كل شيء، فهو موجود قبل الأشياء التي خلقها.

أما يسوع فهو ابن الله وكلمته فهو جزء منه تجسّد في شكل بشريّ. يجب كارل بارت على التجسيد فيقول: "إن عملية التجسد أو الميلاد العذراوي حقيقة واقعية حدثت فعلاً في عالمنا وفي أرضنا بالطريقة التي يصفها لنا الإنجيليون. ويرفض بشدة قول القائلين بأن النصوص الخاصة بالميلاد العذراوي ما هي إلا أساطير خلفتها لنا الديانات البوذية والمصرية واليونانية وديانات أخرى. ويعتقد بارت بأن الفصول الكتابية التي تتكلم عن الميلاد العذراوي تختلف كل الاختلاف عن هذه الأساطير القديمة، لأن مصدرها واتجاهها يختلفان اختلافاً تاماً عن هذه الأساطير. أما بخصوص إمكانية تحليل وقبول هذه العقيدة علمياً، فيقول: إن عقيدة الميلاد العذراوي مثلها مثل الوحي، وهذه كلها حقائق روحية وليست حقائق عقلية منطقية وعلمية في إمكاننا أن نشرحها شرحاً علمياً ومنطقياً وعن طريق هذه الشرح العقلي والمنطقي والعلمي يمكننا أن نفهمها ونقبلها بأذهاننا، بل هذه حقائق روحية تقبلها بالإيمان فقط". (الخضري: 1994: 189).

2. كوزموغونيا (خلق الكون)

الله خلق كل شيء وبدأ بخلق الكون حيث تقول نبوءة أشعيا 42: 5 خلق الله السّمَاوَاتِ

وبسط الأرض. وهبَّ الشعب الذي عليها نسمة، والسائرين فيها روحاً.
رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس 6:13 الله هو الذي يحيي كل شيء.

3. أنثروبوغونيا (خلق الإنسان)

الله خلق الإنسان ومنحه نسمة الحياة، والغرض من خلق الإنسان هو أن يدرك الله ويعبده، ففي سفر المزامير 86: 8 10 ينبغي على جميع الأمم أن تسجد أمام الله وأن تمجد اسمه، لأنه خلقهم. هو وحده الله وليس في الآلهة نظيره في العظمة، لأنهم لا يستطيعون القيام بأعمال مثل أعماله (هما في ذلك الخلق).

ثالثاً: مثولوجيا النهايات (إسكاتولوجيا)

1. ثيوغونيا الموت

شكّلت قضية موت الرب أساس مثولوجيا النهايات في المسيحية، ففي (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 11: 26) نقرأ: فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هَذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هَذِهِ الْكَأْسَ، تُخَبِّرُونَ مَمُوتَ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ. وقد كانت فكرة موت الله بصيغة يسوع واحدة من أكبر أسس الإيمان المسيحي، حيث تتجسد فكرة الفداء والخلص معاً. ويبدو أن أساس الفكرة آت من الشرك الذي وضعته التوراة للإنسان وخلقته، فقد شابت فكرة خلقه وخطيئته حالة نتج عنها ازدياد خطايا البشر وأثامهم، وكان لا بد من قيام الخالق بالتجسد في شكل آدمي ليحمل عن البشرية وزر أخطائهم، أي أن يكون الله فدية وذبيحة لكي تتخلص البشرية من إثمها.

2. موت الكون والإنسان (المنتهى):

نقرأ في الإصحاح الرابع والعشرين من (إنجيل متى): ”ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل. فتقدم تلاميذه لكي يروه أبنية الهيكل. فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه، الحق أقول لكم إنه لا يترك حجر على حجر لا يُنقض. وفيما هو جالس على جبل الزيتون تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء هذا الدهر. فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لا يضلكم أحد فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا. لأنه لا بد أن تكون هذه كلها. ولكن ليس المنتهى بعد. لأنه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل في أماكن ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع. حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمي. وحينئذ يعثر كثيرون فيسلمون بعضهم بعضاً ويُبغضون بعضهم بعضاً. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين. ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين. ولكن الذي يصير إلى المنتهى فهذا يخلص. فيركز ببشارة الملكوت هذه (الإنجيل) في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتي المنتهى.

يكون ظهور المدعين بأنهم يسوع أو ما عُرف بـ(المسيح الدجال)، ثم الحروب والمجاعات والأوبئة والزلازل، ثم ظهور الدجالين من جديد، ثم يظهر المسيح ويعود ليبشر في الأرض، وحينها سيكون المنتهى أو النهاية، حيث يأتي يوم الدينونة والحساب.

3. أبوكاليسا المنتهى والدينونة

الأبوكاليسا المسيحية تمثل تصوراً ورؤية لصراع المؤمنين من المسيحيين مع قوى الظلام القادمة في المستقبل، وسيتوافق ذلك مع مجموعة من الظواهر حيث تظلم الشمس ويعتم القمر وتسقط النجوم وتنفخ الملائكة في بوق عظيم، ويجتمع المسيحيون من كل جهات الأرض، بينما

تنوح شعوب الأرض الأخرى، حيث نقرأ في إنجيل متى: ”وَلَوْ قُتِبَ بَعْدَ ضَيْقِ تِلْكَ الْإَيَّامِ تُظَلِّمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُفُوتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعَّرُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ابْنِ الْإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ، وَيَبْصُرُونَ ابْنَ الْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بِنُوقِ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الْأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا“ (متى 29: 24 - 31).

أما الدينونة فهي يَوْمُ الدِّينِ، يَوْمُ الْحِسَابِ. وهناك مَنْ يرى أن المؤمنين لا يدانون والبعض الآخر يقول إن الكل سيُدان ويحاسب أمام المسيح.

”كانت هذه القصص وقصص كثيرة أخرى شعبية معروفة ومنتشرة بين الشعب اليهودي عن المسيا، ولقد قدمت هذه الروايات شخص المسيا منقذاً من الظلم والاستعمار وكالمحرر والمخلص وكالمعلم والمرشد الذي يعلم شعبه ويرشده إلى الحق الإلهي. ألم تقل المرأة السامرية للمسيح: وقالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يُقال له المسيح يأتي، فمتى جاء ذلك يُخبرنا بكل شيء“ (يو 4: 5، تث 18: 18). لقد احتلت هذه القصص والروايات المسيانية مكانة مرموقة في الثقافة وفي التعاليم اللاهوتية اليهودية في ذلك العصر، ولهذا السبب فإن كثيرين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر ظهور المسيا القريب والمفاجئ، المسيا الذي سيحرر شعبه من النير الروماني القاسي والظالم. ولهذا السبب أيضاً كانت القوات الرومانية تضرب بلا رحمة وبلا شفقة كل ادعاء مسياني، إذ كانت تعلم جيداً أن كل حركة مسيانية سياسية خطر على سياستها ووجودها، ولذلك فقد كان الصراع بين الرومان وبين قوات التحرير الوطنية صراعاً مستعراً وعنيفاً، ووصل هذا الصراع أشده في السنوات السابقة واللاحقة لميلاد المسيح“ (الخضري: 1994: 133 - 134).

”تتمخض فكرة الموعود في المسيحية ضمن ثلاثة أمط: النمط الأول هو الموعود اليهودي نفسه الذي يلعب فيه عيسى الناصري دور المسيح المنجي فيضع حداً لانتظار اليهود له؛ النمط الثاني: هو البشري بعودة عيسى بعنوانه ”قاضي العالم وحكمه“ في آخر الزمان؛ أما النمط الثالث: أو بعبارة أخرى الصورة الثالثة، فهي تتحدث عن شخصية وعد بها عيسى المسيح نفسه، فتحمل ”العزاء“ و”روح الصدق“ مانحة المسيح النورانية ومؤيدة له بالشهادة. وليست هذه عند المسيحيين سوى روح القدس التي يعتقدون بأنها ظهرت بعيد عصر المسيح بقليل وسيطرت على الكنيسة بكل أبعادها. تأسيساً على ذلك تشمل المسيحية ثلاثة أشكال للاعتقاد بالمنجي الموعود“ (طاهري: 2006: 306).

يؤمن المسيحيون باليوم الآخر أو ”يوم الدين“ وهو عودة السيد المسيح أو نزوله من السماء، لكن هذه العودة هي جزء من رؤيا شاملة قدّمتها المسيحية في واحد من أهم أسفار العهد الجديد وهو (رؤيا يوحنا) الذي يُعرف بيوحنا اللاهوتي.

هذا السفر هو المدونة الأبوكاليسية (الرؤيوية) الأولى في الأديان الإبراهيمية، فقد أعادت اليهودية إنتاجه بطريقتها وقدّمت نصاً آخر فيه الكثير من المتشابهات والقليل من المختلفات، رغم أن الدين اليهودي يتحفظ على العهد الجديد كله وعلى المسيحية كلها باعتبارها ديانة مأولة لفكرة الماشيح عندهم، ولكنه تأويل خاطئ تسرع في الاعتقاد بيسوع الذي يرون أنه لا يمثل الماشيح. ومع ذلك فقد تبنا رؤيا يوحنا اللاهوتي وكيفوها حسب معتقداتهم، كما ذكرنا في المبحث السابق.

”أصبح مفهوم (المسيح) تلك الشخصية المحببة إلى النفوس وذلك الملك الذي لا بد من مجيئه للنهوض بواقع اليهود. ومميزاته عندهم هي: ملك مبعوث، متدين عادل، رسول آخر الزمان، من نسل داوود، وإذا فسّرنا ما ورد في سفر الظهور عند قوله ”لن تبتعد العصا عن يهودا ولا

الحكم عن شيلو وعلى الأمم إطاعته“ بشري ظهور المسيح، كما ذهب إليه بعض المفسرين. إذن، فبالإمكان أن نضيف إلى الصفات المتقدمة صفة ”الحاكم المطلق للعالم“. وقد اكتسب هذا المفهوم أبعاداً أوسع إبان الاحتلال الروماني، فادعى كثيرون توقيه فيهم. وعيسى عند اليهود، هو واحد من تلك المصاديق. أما في القرن الأول قبل ميلاد المسيح فيؤكد يوسيفوس المؤرخ أن قيادة الصراع مع الرومان كانت بعهدة ”يهود الجليلي (The Judas Gelilean)، وتبعه يتوداس (The udas) واستمر ذلك حتى بعد عصر المسيح“. (طاهري: 2006: 305).

وكذلك قام المسلمون بالاعتماد على هذه الرؤيا وتكييفها لعقائدهم في ما يُعرف بـ(أشراط الساعة) وظهور العلامات الصغرى والوسطى والكبرى ثم خوض المعركة الكبرى، والتي سنذكرها في المبحث المقبل.

الحقيقة أن الرؤى الإبراهيمية الثلاث لنهاية العالم (بنصوصها الأساسية والثانوية) تتسم بأحداث دموية رهيبية، وتبدو كما لو أنها مصنوعة للحرب بين هذه الأديان الثلاثة بالدرجة الأساس، وهو ما يساهم في توسيع الفجوة بينها، فضلاً عن الاستثمار السياسي لها والتحريض المفتعل لأحداثها نحو كارثة عسكرية وسياسية كبرى تمثل الوجه الدموي للحضارة الغربية، بشكل خاص، والشواهد على ذلك كثيرة جداً في هذا المجال.

”ولكي يكون الأمر واضحاً في أذهاننا يجب أن نُميّز بين يسوع المسيا الحقيقي والمسيا الذي كان ينتظره اليهود، فإن المسيا الذي كان ينتظره اليهود هو مسيا سياسي ديني يخلص الشعب من الاستعمار الروماني ويصبح قائداً سياسياً على رأس دولة ثيوقراطية مستقلة. الأمر الذي رفضه يسوع رفضاً باتاً في كل حياته وتصرفاته (يو:6:15)، ومن هنا يظهر بأن يسوع لم يشارك معاصريه في مفهومهم للمسيا، فإن هؤلاء كانوا ينتظرون مسيا يحطم أعداء شعب الله ويسحقهم سحقاً، كما أنه لم يشارك معاصريه أيضاً في تخيلاتهم المسيانية بخصوص سلطان شعب الله على الأمم وإتساع ملك داود.. إلخ، وهنا نرى الفرق الشاسع بين مفهوم الشعب اليهودي وإنتظاراته الخاصة بالمسيا، وبين مفهوم المسيح يسوع نفسه عن المسيا، أي عن نفسه. ولا يليق بنا أن نسأل فيما إذا كان يسوع الناصري يعرف، أم لا بأنه المسيا، وذلك لأن العهد الجديد يقدم لنا شهادات وشواهد عديدة تثبت حقيقة هذا الأمر“. (الخضري: 1994: 286).

الأبوكاليبسا المسيحية: رؤيا يوحنا (سفر يوحنا اللاهوتي)

يمثل سفر رؤيا يوحنا آخر أسفار العهد الجديد، منسوب إلى يوحنا بن زبدي أحد رسل المسيح الإثني عشر. دوّن هذا السفر على الأغلب بعد دمار مدينة القدس (أورشليم) بيد الرومان بين عامي 70 - 95 م. قام بكتابته خلال فترة نفيه في جزيرة يوناية تدعى بطموس القريبة من سواحل آسيا الصغرى، وهناك من يرى أنه كتبه بعد عودته إلى أفسس في اليونان.

اسم هذا السفر هو إعلان Revelation مشتق من اللاتينية، وهناك اسم آخر بديل له وهو رؤيا Apocalypse مشتق من اليونانية وكلاهما تعنيان ”كشف النقاب“، ويُدعى في الكتب الكنسية القديمة ”سفر الجليان“ أي سفر إجلاء الأمر الغامض وكشف المقاصد المستورة.



يوحنا اللاهوتي يدون رؤياه في جزيرة بطموس

يتكوّن السفر من 22 إصحاحاً يمكن أن نقسمها إلى سبع رؤى، عبارة عن مراحل صراع الجماعة المسيحية المؤمنة (الكنيسة مع قوى الظلام وتنتهي بصعودهم إلى أورشليم السماوية:

1. الرؤيا الأولى: - الكنيسة على الأرض (من البداية لغاية الإصحاح الرابع):

الافتتاحية، وشرح التكليف الإلهي ليوحنا بأن يدوّن ما يراه عن مسار الأيام الآتية ونهاية العالم، المسيح المجيد وسط الملائكة، رسائل إلى الكنائس السبع التي في آسيا (افسس، سميرنا، برغامس، ثياتيرا، سارديس، فيلادلفيا، لاودكيا) لإرشاد الكنيسة حاضراً وتحذيرها وتشجيعها مستقبلاً.

2 - الرؤيا الثانية: الأختام السبعة (لغاية الإصحاح الثامن):

تظهر الأختام السبعة والتي تتضمّن الأوامر الإلهية، ويبدأ فك الخمسة الأولى، فتظهر الفرس البيضاء ثم الحمراء ثم السوداء ثم الخضراء ثم صيحات النفوس الأمانة من تحت المذبح ثم الزلزلة الأخيرة التي تنهي الصراع لصالح الكنيسة ونجدها في مجد عظيم في السماء، في ثياب النقاوة، ومع سعف النخل ومع عيد الأبدية الذي لا ينتهي. وتؤكد الرؤيا بين الختمين السادس والسابع سلامة المؤمنين المسيحيين الذين يوصفون بـ(شعب الله) وهو يشهدون أهوال العالم تلك.

3 - الرؤيا الثالثة: الأبواق السبعة (لغاية الإصحاح الثاني عشر):

رؤيا الملائكة السبعة الذين يحملون الأبواق السبعة، حيث يتبع كل صيحة بوق رؤيا خراب يحلّ بالعالم المحتشد بالشر وهي صورة أخرى من صور الصراع بين الكنيسة وقوى الشر في العالم، أثناء رحلتها من الأرض للسماء؛ سواء من اليهودية والوثنية ثم الهرطقات السياسية والمادية. في رؤيا الأبواق والختم السابع سكوت في السماء، وملاك يبخر وسبعة أبواق، تصف رحله الكنيسة من الأرض إلى السماء.

4 - الرؤيا الرابعة: المرأة والتنين والوحشان (لغاية الإصحاح الخامس عشر):
صراع الكنيسة والعالم حيث تمثل الكنيسة امرأة متسرلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل به اثنا عشر كوكبًا. ثم يتبع ذلك رؤى الوحشين اللذين يجعلهما الشيطان أداة له في الخراب، ثم تأتي خطى نصر المسيح وكنيسته.

5 - الرؤيا الخامسة: الجامات السبعة (لغاية الإصحاح السابع عشر):
الملائكة السبعة معهم الجامات السبع أي الضربات السبع الأخيرة فيها غضب الله، ثم نرى الغالبين المنتصرين على الوحش وهم يرثون ألعانهم على القيثارات، يخرج الملائكة لصب جاماتهم، فيصبونها جامًا جامًا حتى السابع الذي يشير إلى الدينونة الأخيرة. والجامات هي أوانٍ مسطحة وواسعة منها ينسكب غضب الله دفعة واحدة وبلا رحمة، وهي من ذهب بسبب علوها وألوهيتها. وينشدون كتأكيد نصرهم، ونلمح اقتراب الأيام الأخيرة بما فيها من ضيقات وآلام. ويأتي ذكر موقع هرمجدون.

6. الرؤيا السادسة: سقوط بابل والملك الألفي (لغاية الإصحاح الحادي والعشرين):
صراع الكنيسة مع بابل التي تمثل القوى الشريرة التي تواجه الكنيسة لأنها وقفت بوجه أهل يهوذا وسبتهم إلى أرضها سبعين سنة، ثم انتصار المسيح عليها في عشاء عرس الخروف ونهاية الشيطان بعد أن خرج من سجنه، ويكون الختام بالدينونة الأخيرة.

7 - الرؤيا السابعة: الكنيسة في السماء (إلى نهاية الإصحاح الثاني والعشرين):
نهاية الصراع ونهاية الأختام والأبواق والجامات والصراع بين المرأة والتنين والوحش والنبي الكذاب، ونهاية بابل، وطرح الشيطان إلى عذاب أبدي، وظهور صورة أورشليم السماوية التي تصبو إليها الكنيسة في السماء، وهكذا يُحال من نجوا إلى السماء وعالم النقاء والصفاء "هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهم يكونون له شعباً والله نفسه يكون إلهًا لهم".

ونورد نص الإصحاح السادس عشر من رؤيا يوحنا والذي يمثل ذروة الرؤيا في أحداث نهاية العالم وتذكر فيه هرمجدون:

رؤيا يوحنا (آخر أسفار العهد الجديد) الإصحاح ١٦

- 1 وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِّنَ الْهَيْكَلِ قَائِلًا لِلسَّبْعَةِ الْمَلَائِكَةِ: «امضُوا وَاسْكُبُوا جَامَاتِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ».
- 2 فَمَضَى الْأَوَّلُ وَسَكَبَ جَامَهُ عَلَى الْأَرْضِ، فَحَدَّثَتْ دَمَامِلُ خَبِيثَةٌ وَرَدِيَّةٌ عَلَى النَّاسِ الَّذِينَ بِهِمْ سَمَةُ الْوَحْشِ وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لِصُورَتِهِ.
- 3 ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَكُ الثَّانِي جَامَهُ عَلَى الْبَحْرِ، فَصَارَ دَمًا كَدَمِ مَيِّتٍ. وَكُلُّ نَفْسٍ حَيَّةٍ مَاتَتْ فِي الْبَحْرِ.
- 4 ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَكُ الثَّلَاثُ جَامَهُ عَلَى الْإِنهَارِ وَعَلَى يَنَابِعِ الْمِيَاهِ، فَصَارَتْ دَمًا.
- 5 وَسَمِعْتُ مَلَكَ الْمِيَاهِ يَقُولُ: «عَادِلٌ أَنْتَ أَيُّهَا الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَكُونُ، لِأَنَّكَ حَكَمْتَ هكَذَا.
- 6 لِأَنَّهُمْ سَفَكُوا دَمَ قَدِيسِينَ وَأَنْبِيَاءَ، فَأَعْطَيْتَهُمْ دَمًا لِيَشْرَبُوا. لِأَنَّهُمْ مُسْتَحَقُونَ!»
- 7 وَسَمِعْتُ آخَرَ مِنَ الْمَدْبُوحِ قَائِلًا: «نَعَمْ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ! حَقٌّ وَعَادِلَةٌ هِيَ أَحْكَامُكَ».
- 8 ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَكُ الرَّابِعُ جَامَهُ عَلَى الشَّمْسِ، فَأَعْطَيْتُ أَنْ تُحْرِقَ النَّاسَ بِنَارٍ،
- 9 فَأَحْتَرَقَ النَّاسُ احْتِرَاقًا عَظِيمًا، وَجَدَّفُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى هَذِهِ الصَّرَبَاتِ، وَلَمْ يَتُوبُوا لِيُعْطَوْهُ مَجْدًا.
- 10 ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَكُ الْخَامِسُ جَامَهُ عَلَى عَرْشِ الْوَحْشِ، فَصَارَتْ مَمْلَكَتُهُ مُظْلِمَةً. وَكَانُوا يَعْضُونَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مِنَ الْوَجَعِ.
- 11 وَجَدَّفُوا عَلَى إِلَهِ السَّمَاءِ مِنْ أَوْجَاعِهِمْ وَمِنْ فُرُوجِهِمْ، وَلَمْ يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ.
- 12 ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَكُ السَّادِسُ جَامَهُ عَلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ الْفُرَاتِ، فَتَشَفَّ مَأْوُهُ لِكَيْ يُعَدَّ طَرِيقَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ.
- 13 وَرَأَيْتُ مِنْ قِمِّ التَّنِّينِ، وَمِنْ قِمِّ الْوَحْشِ، وَمِنْ قِمِّ النَّبِيِّ الْكَذَّابِ، ثَلَاثَةَ أَرْوَاحٍ نَجَسَةٍ شَبَهَ صَفَادَعٍ،
- 14 فَإِنَّهُمْ أَرْوَاحُ شَيَاطِينٍ صَانِعَةٌ آيَاتٍ، تَخْرُجُ عَلَى مُلُوكِ الْعَالَمِ وَكُلِّ الْمَسْكُونَةِ، لِتَجْمَعَهُمْ لِقِتَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ، يَوْمَ اللَّهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.
- 15 «هَا أَنَا آتٍ كَلِصًّا! طُوبَى لِمَنْ يَسْهَرُ وَيَحْفَظُ ثِيَابَهُ لِيَلَّا يَمْشِيَ عُرْيَانًا فَيَرَوْا عُرْيَتَهُ».
- 16 فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ «هَرَمَجْدُون».
- 17 ثُمَّ سَكَبَ الْمَلَكُ السَّابِعُ جَامَهُ عَلَى الْهَوَاءِ، فَخَرَجَ صَوْتُ عَظِيمٍ مِّنْ هَيْكَلِ السَّمَاءِ مِنَ الْعَرْشِ قَائِلًا: «قَدْ تَمَّ!»
- 18 فَحَدَّثَتْ أَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَبُرُوقٌ. وَحَدَّثَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ، لَمْ يَحْدُثْ مِثْلَهَا مُنْذُ صَارَ النَّاسُ عَلَى الْأَرْضِ، زَلْزَلَةٌ مِمْقَدَارِهَا عَظِيمَةٌ هكَذَا.
- 19 وَصَارَتْ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ، وَمُنْذُ الْأَمْسِ سَقَطَتْ، وَبَابِلُ الْعَظِيمَةُ دُكِرَتْ أَمَامَ اللَّهِ لِيُعْطِيَهَا كَأْسَ خَمْرٍ سَخِطَ غَضَبِهِ.
- 20 وَكُلُّ جَزِيرَةٍ هَرَبَتْ، وَجِبَالٌ لَمْ تُوَجَدْ.
- 21 وَبَرَدٌ عَظِيمٌ، تَحْوُ ثَقِيلٌ وَزَنْزَةٌ، نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى النَّاسِ. فَجَدَّفَ النَّاسُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ضَرَبَةِ الْبَرَدِ، لِأَنَّ ضَرَبَتَهُ عَظِيمَةٌ جِدًّا.

المؤمنون يتحولون ملائكة

يرى المسيحيون أن الإنسان سيموت بجسده الفاني، ولكن روحه النورانية سترتفع وتحوّل ملاكاً، ولن تأكل أو تشرب أو تزوّج، مكانها السماء وليس الجنة أو البساتين. الجنة ترميز معنوي، عند المسيحيين، تعني الخلاص من الشقاء في الأرض. فالحياة الأبدية؛ بشقيها النار الأبدية والجنة الأبدية، موجودة في السماء بطريقة رمزية، مثلما هناك جنة ونار على الأرض، ويرون أن المسيح حين يعود فسيبقى لألف سنة يقضي بالعدل ويرعى المخلصين. إن تعبير «ملكوت السموات» يُقصد به المكان الذي أعدّه الله للمؤمنين منذ تأسيس العالم، حيث يتحولون ملائكة ويبقون بقربه يسبحون.

لا بدّ من التنويه أن القديس سيفير بياتوس دي ليبانا Beatus De Saint - Sever كتب مخطوطة بعنوان (تعليقات على سفر الرؤيا ليوحنا وعلى كتاب دانيال) الذي كتبه في أستورياس (إسبانيا)، خلال الربع الأخير من القرن الثامن. ويحظى هذا العمل بأهمية تاريخية في التفسير الغربي الخاص بيوحنا الرسول، وتحتوي على ما يقارب المئة صورة بالألوان الفاقعة، والنمنمة "الحديثة" المدهشة.



بابل المحاطة بالشياطين (يُرمز لهم بالثعابين)
من مخطوطة القديس سيفير بياتوس



الطير الذي يرمز للمسيح يقتل الثعبان
الذي يرمز للشيطان
من مخطوطة القديس سيفير بياتوس

<http://waarnemingvandewerkelijkheid.blogspot.com/2010/11/beatus-apocalypse.html>

التصنيع السياسي المسيحي لأسطورة نهاية العالم ومعركة هرمجدون

يُعتبر التصنيع السياسي المعاصر للأساطير شكلاً مهماً من أشكال الدين السياسي، وتكاد أسطورة نهاية العالم تشكل محوراً هاماً في السياسة العالمية بشقيها المعلن والخفي، وتكاد نلمح في ما يُعرف بالحركات المسيحية الصهيونية، وهي شكل من أشكال المسيحية السياسية، اهتماماً واسعاً بهذه الأسطورة.

المسيحية بشكل عام والمسيحية المشرقية بشكل خاص ترفض الاستخدام السياسي لرؤيا نهاية العالم وما عُرف بمعركة هرمجدون، وتجده منافياً لتعاليم المسيحية وأسسها الروحية الداعية للسلام والمحبة على المسيحية الصهيونية وغيرها التي تغرق في العنصرية والتمييز العرقي والديني.

التصنيع السياسي لنهاية العالم يستخدم معركة هرمجدون بطريقة دموية ويُسعمل في مرجعيتها الحرائق، فهناك من يرى أن "معركة هَرْمَجْدُون من المنظور المسيحي هي مجزرة بشرية هائلة أو حرب نووية يُباد فيها معظم البشرية، ستقع بين قوى الشر من جانب ممثلة في الشيطان وجنوده، يعاونه - في زعمهم - المسلمون وبعض الروس، وبعض المنشقين عن الكنيسة، وبعض اليهود أيضاً، وبين قوى الخير من جانب آخر ممثلة في المسيح وقواته من الملائكة التي سترافقه في عودته، يعاونهم قوى الخير من البشر ومنها الشعب الأميركي، وسوف تُباد في هذه المعركة غالبية البشر، وعقب نهاية المعركة بانتصار المسيح يقبض هذا الأخير على الشيطان، ويأسره، ويسجنه، وأثناء المعركة سوف يُرفع الأبرار من النصارى المؤمنين بهذه العقيدة إلى السماء لمراقبة أحداثها من خلال السحاب، ثم يعودون سالمين إلى الأرض ليعيشوا مع المسيح لمدة ألف سنة في "الفردوس الأرضي". (إسماعيل 2000: 97).

يعتمد المصنّعون السياسيون على الأسس الآتية:

1. الأساس اللاهوتي: ما ذُكر في رؤيا يوحنا حول المسيح الذي يبعث ثانية ومعه جنوده: «ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضٌ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ. وَعَيْنَاهُ كَلَهَيْبِ نَارٍ، وَعَلَى رَأْسِهِ تِيَّجَانٌ كَثِيرَةٌ، وَلَهُ اسْمٌ مَكْتُوبٌ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُهُ إِلَّا هُوَ. وَهُوَ مُتَسَرِّبِلٌ بِثَوْبٍ مَعْمُوسٍ بَدَمٍ، وَيُدْعَى اسْمُهُ كَلِمَةَ اللَّهِ. وَالْأَجْنَادُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ كَانُوا يَتَّبِعُونَهُ عَلَى خَيْلٍ بَيْضٍ، لِابْسِينٍ بَرًّا أَبْيَضٌ وَتَقِيًّا. وَمَنْ قَمِهَ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاصٍ لِيَّ يَضْرِبُ بِهِ الْأُمَّمَ. وَهُوَ سَيْرَعَاهُمْ بَعْصًا مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ حَمْرٍ سَخَطٍ وَغَضَبِ اللَّهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَلَهُ عَلَى نَوْبِهِ وَعَلَى فَخْذِهِ اسْمٌ مَكْتُوبٌ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الْأَرْبَابِ». (رؤيا يوحنا: 16/11 - 19).

2. الجمع المسيحي المؤمن: يتكوّن من السيد المسيح وكنيسته المسيحية الشاملة المكوّنة من المؤمنين المسيحيين.

3. الجمع المضاد للمسيح والمسيحيين المؤمنين: الأعداء هم من رأهم يوحنا في منامه، كما ورد في رؤياه، وهم:

أ. ملوك المشرق: التحالف الشرقي الذي سيكون بقيادة الصين.

ب. ملك الشمال الآشوري: ربما كانوا ملوك أو زعماء تركيا، سوريا، روسيا، العراق، أو بعض الدول العربية الأخرى.

ج. ملك الجنوب: الدول الإسلامية.

د. ياجوج وماجوج: ومنهم من ذهب إلى أنهم دولة روسيا، ومنهم من رجّح أن «جوج» هو ملك روسيا و«ماجوج» هو ملك تركيا أو الصين أو إيران، ومنهم من ذكر أنهم مسلمو

الجمهوريات الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفياتي.
ويرى هؤلاء أن هناك ثلاث إشارات ستسبق نشوب معركة هرمجدون ونهاية العالم. وهي:

1. قيام دولة إسرائيل والذي حصل في 1948.
 2. احتلال مدينة القدس والذي حصل 1967.
 3. هدم المسجد الأقصى وإعادة بناء هيكل سليمان على أنقاضه.
- ويرون أن على الغرب مساعدة اليهود في تحقيق هذه الخطوات، لكي يوفروا للتاريخ القادم أرضية لظهور المسيح ثانية في اورشليم وبدء صراعه من الشياطين والأعداء، وهم الشعوب المضادة لليهود والمسيحيين، وهو ما سيمهد لمعركة هرمجدون الفاصلة.
- يميل المسيحيون الصهاينة إلى معرفة الجدول الزمني لقناعاتهم. فهم يرون أن أحداث 1948 و1967 إشارات مهمة حيث تجسّد الاقتراب من نهاية الوقت العصيب (أنظر مرقس 13 وسفر الرؤيا 12 - 19)، الذي يسبق العودة القادمة للمسيح، حيث ستحارب إسرائيل واليهود معارك طويلة وستبلغ ذروتها في معركة هرمجدون. وبعد عودته سيبدأ حكم المسيح الألفي، وينتهي بهزيمة للشيطان وأعوانه وسيكون العرب والمسلمون ضمن هؤلاء الأعداء، وما عليهم كي ينجوا إلاً اعتناق المسيحية، أو أنهم سيلاقون مصيراً دامياً.
- وهكذا تحوّل الأسطورة السياسية نصوصاً مقدّسة إلى واقع دمويّ للمشروع الصهيوني العنصري. وهناك اليوم من يحاول حرق المسجد الأقصى أو تقويض أسسه من حركات مسيحية ويهودية سياسية منها المسيحية الصهيونية ومن مسيحيي هرمجدون وتوراتيي هرمجدون وغيرهم.

الطقوس والشعائر المسيحية

أولاً: الطقوس اليومية

1. الاغتسال والوضوء والصلاة:

النظافة والاعتسال في المسيحية جزء مما يُعرّف بـ (الطهارة المسيحية) ولها أشكال عدّة: جسدية، وروحية، وعقلية، وأدبية. فالشكل الجسديّ هو نظافة الجسد والمظهر الخارجي، أما الشكل الروحيّ فيركّز على الابتعاد عن الخطيئة وأن يكون القلب طاهراً وعفيفاً. والشكل العقليّ هو عدم التفكير الخاطئ والمريب بالناس وترك الأفكار الشهوانية تنمو في العقل. أما الوضوء كطقس فيعني غسل جزء من الجسم أو كلّه بمرافقة كلام مقدّس ويتجلّى الوضوء في طقس المعمودية وغسل الأرجل وغسل اليدين خلال القداس الإلهي.

الصلاة هي لقاء المؤمن مع الله، وتصنّف الصلاة، حسب عدد المصلّين، إلى: الصلاة الفردية التي يصلّيها الإنسان وحده أينما كان، والصلاة الجماعية التي يصلّيها مع جماعة كنيسته. كما في صلوات القداس، والاجتماعات، والأفراح، والجنائزات، والرسامة.. إلخ.

2. الصوم:

الصيام يعني إقامة صلة تركيز مع الله عن طريق الامتناع عن بعض أنواع الطعام والشراب، وليس المقصود بالصيام معاقبة الجسد، أو المقصود به نوعاً من الحمية وتخفيف الوزن، والصوم ثلاثة أنواع هي:

1. الصوم الكبير: يحدث قبل عيد القيامة، الغرض منه هو إعداد المؤمن من خلال الصلاة، والتوبة من الذنوب، والصدقة وممارسة أعمال الرحمة. يبدأ، حسب الطقس الشرقيّ، يوم الإثنين. وتستمرّ فترة الصوم المسيحية إلى حوالي ستة أسابيع قبل عيد القيامة. وتقام طقوس الصوم الكبير من قبل أغلب الكنائس المسيحية، ومنها الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية والمشرقية.

تختلف طبيعته بين الامتناع عن الطعام ساعات محدّدة أو الامتناع عن ألوان محدّدة من الطعام، ففي الكنيسة الرومانيّة الكاثوليكيّة وغيرها من الكنائس المسيحيّة الغربيّة يكون الانقطاع عن اللحوم ومنتجات الحليب والأجبان يومي الأربعاء والجمعة، أما الكنائس الأرثوذكسيّة الشرقيّة فيكون انقطاعاً عن اللحوم لمدة أربعين يوماً.

2. الصوم الصغير: يحدث قبل عيد الميلاد، ويسمّى صوم الميلاد وهو إحدى فترات الصيام في الديانة المسيحيّة تجهزاً لعيد الميلاد.

وهو يختلف مدّة وطريقةً بين الكنائس المسيحيّة لم يبدأ الاحتفال به كعيد مستقلّ، إلا في القرن الرابع،

فانتشر في الغرب كصوم يستمرّ أربعين يوماً يسبق عيد الميلاد. يكون الصوم فيها فقط أيام الإثنين والأربعاء والجمعة من كل أسبوع، أما في الكنيسة القبطيّة فقد استقرّ كما هو الآن في القرن الحادي عشر حين أدخله البابا خرستوذولس، وشهدت الفترة اللاحقة تغييرات خفيفة فيه. وهو صوم يخصّ مناسبة معينة دون أخرى، وحسب الطوائف والكنائس.

3. صوم المناسبات:

ثانياً: طقوس المناسبات

1. طقوس الأسرار السبعة: السرّ في المسيحيّة يعني، حسب العهد القديم، مجموعة من المفاهيم منها التدبير الإلهي، الأمر النبوي، أسرار الملكوت، الإيمان، الإنجيل.. الخ، وقد وضعت المسيحيّة مجموعة من الطقوس التي أسمتها (طقوس الأسرار السبعة) لمجموعة من المناسبات القصد منها نوال النعمة الظاهرة لنعمة إلهية باطنة أو طقسٍ قديم، وهي:

ت	السر	الطقس	النعمة الظاهرة	النعمة الباطنة	المرجع الإنجيلي
1	المعمودية	التعميد بالماء	الانتماء للجماعة	الولادة الثانية	(أعمال الرسل 16: 22)
2	مسح زيت الميرون	المسح بزيت عطريّ	التطهير والعناية	تذكّر المسيح والرسول	(رسالة يوحنا الأولى 20: 2، 27)
3	القربان المقدّس (الشكر)	تناول الخبز والبيّذ	الشكر على الطعام	المشاركة في جسد ودم المسيح	(يوحنا 51: 6)، (كورنثوس الأولى 24: 11) (سفر إشعياء 62: 3)
4	التوبة (الاعتراف)	وضع الصليب على الرأس والبوح	التخلص من الخطايا	التكفير عن خطايا الإنسان	(يوحنا 20: 23)
5	مسحة المرضى	القنديل (الزيت والفتيل)	التخلص من المرض	الشفاء الروحيّ	(لوقا 24: 10؛ مر 13: 6؛ يع 14: 5)
6	الزواج	الإكليل المقدّس	إكليل العفة	الرباط المقدّس	(نشيد الأناشيد 11: 3)
7	الكهنوت	خدمة الكنيسة	يد الكهنوت	العمل المقدّس	(سفر الأعمال 6: 6؛ رسالة غلاطية 9: 2؛ رسالة تيموثاوس الأولى 14: 4؛ رسالة تيموثاوس الثانية 6: 1؛ رسالة العبرانيين 2: 6؛ تث 9: 34)

وستتناول أحد أهم طقوس الأسرار وهو الزواج:

مفهوم الزواج في الدين المسيحي هو سرّ مقدس، وهو رباط روحي بين الرجل والمرأة "لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً". (تكوين 2: 24).

والمفروض أن يدوم هذا الرباط المقدس حتى الموت لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان (متى 6: 19)، والأسرة، حسب الكتاب المقدس، هي نواة المجتمع المسيحي.

الكاهن عند الأرثوذكس يتزوج اما الراهب فلا يتزوج وعند الكاثوليك لا يتزوج الكاهن، وللإنسان الحق بالزواج دون إكراه، وترفض معظم الكنائس المسيحية زواج مثلي الجنس، وتعدّد الزوجات، والمساكنة، والطلاق لأن من سمات عقد الزواج الديمومة، وفي حالة استحالة الحياة الزوجية، يجوز إعلان بطلانه، بعد عرض القضية أمام محكمة كنسية. ولا يجوز زواج أبناء العم وأبناء الخال إلا في حالات استثنائية، بعد أخذ إذن خاص من الكنيسة.

تبدأ طقوس الزواج حين يدخل العروسان إلى الكنيسة، فيبدأ الحضور بتزييل مارشال العرس وصلاة البزخ، ويبدأ الكاهن بتلاوة ديباجة الارتباط ثم يبارك خاتمي الزواج بمسح الصليب عليهما صلاة على الأكاليل ويبدأ الكاهن بضر الأكاليل ويردّد ترتيلة مناسبة.

ثالثاً: الطقوس الدورية

1. عيد الميلاد (الكرسمس): ذكرى يوم ميلاد المسيح يوم 25 ديسمبر من كل عام، ويكون على شكل تبادل الهدايا ووضع شجرة الميلاد، وطرافة شخصية بابا نويل الأسطورية وعشاء الميلاد والاجتماعات العائلية.

2. عيد رأس السنة: التي تصادف ليلة الـ 31 ديسمبر من كل عام احتفالاً بانتهاء عام وبدء عام جديد، وقد أصبح احتفالاً عالمياً في هذا العصر بسبب تكريس التقويم الميلاديّ كتقويم عالمي، رغم أن لكل شعب من شعوب العالم عيد رأس سنة خاصاً به.

3. عيد المعمودية: في السادس من كانون الثاني يناير لذكرى معمودية يسوع في نهر الأردن على يد يوحنا المعمدان، فحسب المعتقدات المسيحية انفتحت السماوات في هذا اليوم وانطلق صوت يقول هذا هو ابني الحبيب فله اسمعوا. ومن أبرز مظاهر العيد في المجتمعات الدول ذات الطابع الأرثوذكسي مثل روسيا وبلغاريا واليونان واسطنبول أن يُلقى صليب في البحر ويقوم شاب بالغوص لاسترجاعه والغطس في برك المياه المتجمدة. ومن مظاهر الاحتفالات في إسبانيا وأمريكا اللاتينية خاصة في كل من المكسيك والأرجنتين تقديم الهدايا من قبل المجوس الثلاثة ويرافق تقديم المجوس الثلاثة الهدايا مواكب واحتفالات ضخمة ترافقه موسيقى عيد الميلاد والزينة والأضواء والمفرقات. وتقوم لا بيفانا وهي مماثلة لأسطورة سانتا كلوز أو بابا نويل في الثقافة الإيطالية بتقديم الهدايا للأطفال في ليلة 6 يناير من كل عام.

4. عيد الكرنفال: يبدأ في العطلة التي تسبق الصيام الكبير، في المسيحية، وتبدأ الاحتفالات في الثالث من سيبتواغيسياما، وهو الأحد الأخير الذي يسبق أربعاء الرماد، لكنه في بعض الأماكن يبدأ قبل ذلك التاريخ بإثني عشر ليلة، ويستمر حتى الليلة التي تسبق الصوم الكبير، وتعتبر الكرنفالات تقليداً كاثوليكياً، ثم دخلت على الاحتفالات الأرثوذكسية، لكن الكنائس البروتستانتية، وخصوصاً المتشددة منها، كانت ترفض القيام بهذه الاستعراضات. فقدت بعد فترة الكرنفالات هذا المعنى الديني، واتخذت شكلاً علمانياً لتنتشر في أرجاء العالم الغربي.

5. أسبوع الآلام: وهو يقع في آخر أسبوع للصيام الأربعيني، ويبدأ هذا الأسبوع بيوم الأحد، أحد الشعانين وينتهي بيوم السبت في ليلة سبت النور، وأهم يوم في أيام الأسبوع المقدس هو

يوم جمعة الآلام أو الجمعة العظيمة وهو يوم الجمعة التي تسبق عيد القيامة. وهي ذكرى صلب يسوع المسيح. تُقام صلوات خاصة في هذا اليوم وقراءات من الإنجيل للأحداث التي تسبق الصلب وهو يوم مقدس للمسيحيين. غالبية الكنائس المسيحية ترى أن صلب المسيح وموته وشم قيامة المسيح في اليوم الثالث هي تحدُّ للموت وانتصار روحي عليه.

6. عيد الفصح (القيامة، باسكا): يكون بين أواخر مارس وأواخر أبريل (أوائل أبريل إلى أوائل مايو عند المسيحيين الشرقيين). ويتم الاحتفال بقيامة المسيح من بين الأموات وهذا ما يؤمن به أتباعه بعد أن مات المسيح على الصليب في سنة 27 - 33 بعد الميلاد. في الكنيسة الكاثوليكية يكون الاحتفال بعيد القيامة لمدة ثمانية أيام ويسمى باليوم الثامن بعد احتفال الكنيسة ويشير عيد القيامة إلى فصل في التقويم الكنسي ويدوم لمدة خمسين يوماً حيث يبدأ من أحد القيامة إلى عيد حلول الروح القدس.

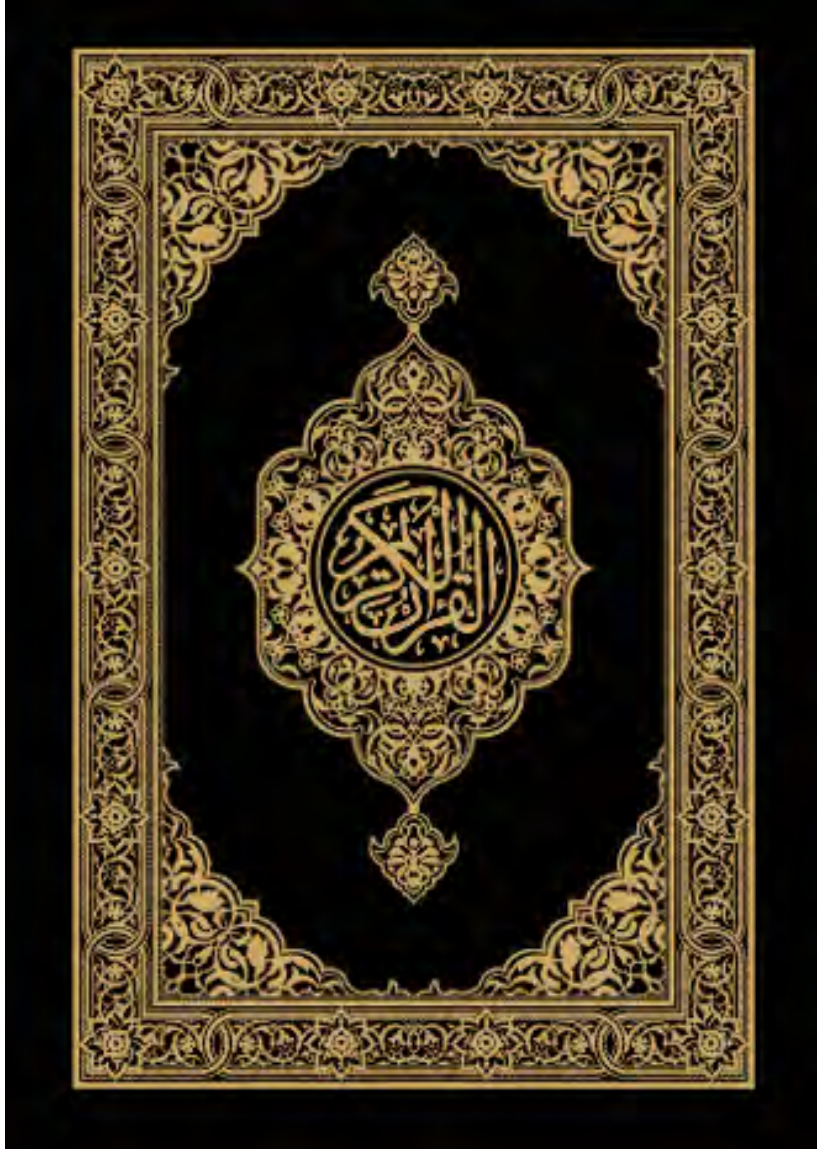
7. عيد العنصرة (عيد الخمسين، عيد الكنيسة): يُحتفل به بعد عيد الفصح بخمسين يوماً. بمناسبة حلول الروح القدس على تلاميذ المسيح بعد صعود يسوع بعشرة أيام، كما جاء في رواية سفر أعمال الرسل 2: 1-31. وكان اليهود يحتفلون به بنزول وحي ناموس موسى، وقد أدخله المسيحيون ضمن الأعياد المسيحية لإحياء ذكرى نزول الروح القدس على تلاميذ يسوع الإثني عشر حسب المعتقدات المسيحية، يسمى الكتاب الذي يحتوي على النصوص الطقسية الخاصة بهذه الفترة كتاب الخمسين.

8. عيد ميلاد مريم: هي العذراء، والدة الإله، والدة المسيح سلطانة السماء والأرض، أم النور، الممتلئة نعمة، غير معروف، يُقام عيد ميلادها لدى أغلب الطوائف المسيحية في 8 سبتمبر. وقد اختلف الباحثون في تقدير المكان الذي ولدت فيه بين الناصرة أو الجليل أو القدس. وكذلك اختلفوا في يوم الوفاة، ولكن الكنائس المسيحية تقيم تذكراً لوفاتها يوم 15 أغسطس.

تُذكر مريم بقوة في القداس الإلهي وفي الصلوات اليومية، وتمثل رسوم شخصيتها وتمثيلها وإيقوناتها في الكنائس وفي البيوت أهم ملمح من ملامح الاهتمام بها، وكذلك تذكاراتها الكنسية في شكل طقوس لما عُرف بالأعياد المريمية، وهناك ما عُرف ب(ظهورات مريم العذراء) التي هي مشاهدات ظهورها في المناسبات والحالات الخاصة أو إشارات ظهورها من خلال الكواكب وحركة الشمس والقمر وهي أمور تخضع لرقابة الكنيسة وإشرافها، رغم المبالغات الشعبية التي تكتنفها.

9. عيد الهالوين: يختلط بعيد جميع القديسين، ويُقام في ليلة 31 أكتوبر تشرين الأول من كل عام عشية عيد جميع القديسين. وهو عيد خليط من فولكلوريات الشر والخوف والخُدع حيث التنكر في زي الهالوين، والتزيين، ونحت القرع ووضع فوانيس جاك، ومشاعل الإضاءة، وزيارة المعالم السياحية المسكونة، وقراءة القصص المخيفة ومشاهدة أفلام الرعب. ويُجرى هذا العيد في أجزاء كثيرة من العالم.

الفصل الثالث
الإسلام



المبحث الأول خلاصة تطوّر الديانة الإسلاميّة

الإسلام ثالث ديانة إبراهيمية، وهو ثاني الديانات في العالم من حيث عدد المعتنقين بعد المسيحية. والمعنى العام لكلمة الإسلام هو الاستسلام لله، أي تسليم كامل من الإنسان لله في كل شؤون الحياة. يؤمن المسلمون أن الإسلام آخر الرسالات السماوية وأنه ناسخ لما قبله من الديانات؛ كما يؤمن المسلمون بأن محمداً رسول مرسل من عند الله، وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ وأن الله أرسله إلى الثقلين (الجنّ والإنس).

في عام 1977 أصدرت باتريشا كرون ومايكل كوك كتاباً بعنوان (الهاجرية) كمنهج للخروج من نطاق التاريخ الإسلاميّ المدوّن من قبل المسلمين، والاعتماد بشكلٍ أساسيٍّ على المصادر المكتوبة غير الإسلاميّة. ومع مطلع التسعينيات من القرن العشرين ظهرت مجموعة جديدة من المؤرخين العالميين الذين يطلق عليهم (معيدو النظر) ومنهم (جوديث كورن، يهودا نيقو، جيرالد هوتنك، موشي شارون، وجون وانزبرو)، والذين رأوا أن من الضروري اعتماد الآثار فقط لمعرفة تاريخ الإسلام المبكر ونشؤته، وأنه لا بد من إهمال الروايات الإسلاميّة التي ظهرت منذ العصر العباسي عن تاريخ الإسلام. وبرغم أن المنهج الأركيولوجي في معالجة الأديان الإبراهيمية هو الذي يجب أن يسود، لكن تطرفاً لافتاً، في معالجة تاريخ الإسلام المبكر، كان قد اتّضح وكان من المبالغة التنكر لكل الروايات الإسلاميّة المبكرة عن تاريخ الإسلام المبكر بدلاً من تحييدها ونقدها، لأنها، في كل حالٍ من الأحوال، تعتبر وثائق أركيولوجية أيضاً.

ولذلك بدأت تخبو هذه المحاولة لـ(معيدي النظر) رغم أهميتها الكبيرة في طرح أسئلة ومقاربات وشكوك جديدة حول هذه الفترة البعيدة من تاريخ الإسلام. ونرى أن الزمن ما زال مبكراً لوضع تاريخ (حقيقي) للإسلام سواء في بداياته أو استمراره ليومنا هذا. التاريخ الروحيّ للديانة الإسلاميّة يتواشج بقوة مع التاريخ السياسيّ لها، ولا يمكن فرزه بسهولة، لذلك لا بد من ذكر المراحل العامة لتاريخ الإسلام كديانة فقط حسب العصور المعروفة له، وكان لا بد من تتبع أوضاع الديانتين (المسيحيّة واليهوديّة) وأهلهم في ظل هيمنة الإسلام والمسلمين على المشرق، لكي تكتمل صورة الأديان الإبراهيمية الثلاثة، وكما يلي:

1. حياة محمد ودعوته للإسلام حتى وفاته (570 - 632 م.)

وُلد النبيّ والرسول (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) في مكة في شهر ربيع الأول من عام الفيل، وهو ما يوافق سنة 570 أو 571 ميلادياً و52 ق هـ. ولد يتيماً الأب وماتت والدته في سنّ مبكرة فتولى تربيته جده عبد المطلب، ثم من بعده عمه أبي طالب حيث ترعرع، وكان في تلك الفترة يعمل بالرعي ثم بالتجارة. تزوّج في سنّ الخامسة والعشرين من خديجة بنت خويلد وأنجب منها كل أولاده باستثناء إبراهيم.

الإسلام:

1. مرحلة الدعوة السريّة: نزل الوحي على الرسول وهو في سن الأربعين، وبدأ بالدعوة للإسلام بطريقة حذرة وسريّة لبعض أهل مكة للإيمان بالله وترك عبادة تعدّد الآلهة والتي كان من مظاهرها عبادة تماثيل هذه الآلهة (الأصنام)، وما يتصل بها من أساطير وطقوس وعقائد وعبادات دينيّة، فاقترنت دعوته على مَنْ كانت تربطه به علاقة وثيقة مثل زوجته خديجة

وابن عمه علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، وأبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم من الصحابة يلتقون به سرّاً، ويمارسون الطقوس في شعاب مكة البعيدة حتى لا يراهم أحد من قريش. ثم اختار لهم دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان فيها يلتقي بهم فيرشدهم ويُعلمهم أمور دينهم، وأصبح عددهم، في هذه المرحلة، قرابة الأربعين، مُعظمهم من الفقراء والعيبد والضعفاء.

2. **مرحلة الدعوة الجهرية:** بعد ثلاث سنواتٍ من بعثة النبي، عمد إلى جبل الصفا حتى وقف عليه، ثم جعل ينادي بدعوة أهل مكة للإسلام، ثم بعد ذلك بدأ النبي بدعوة أهله وقرابته، وبدأ تعذيب المؤمنين، فأمر بعضهم بالهجرة إلى الحبشة.

3. **الهجرة إلى الحبشة:** كانت الهجرة إلى الحبشة في عام 615 م.، حين خرج عثمان بن عفان ومعه زوجته ثم أبو حاطب بن عمرو ثم جعفر بن أبي طالب فكانوا قرابة 80 رجلاً. وهناك التقوا بنجاشي الحبشة الذي كان مسيحياً فاحتضنهم وبقوا زمناً هناك.

4. **الهجرة إلى المدينة:** وصلت الأخبار للمسلمين الذين في الحبشة أن قريشاً قد آمنت بالإسلام فقدم ملكة منهم جماعة فوجدوا الاضطهاد مستمراً فمكثوا بمكة إلى أن هاجروا إلى المدينة.

وكان الرسول وأبو بكر قد هاجرا للمدينة وهناك تأسست دولة الإسلام الأولى القائمة على العدل والتكافل بين المهاجرين والأنصار. وقامت قريش بمقاطعة المسلمين ثلاث سنوات.

5. **الغزوات والقتال** خرج النبي محمد في أول غزوة يغزوها بنفسه وهي غزوة الأبواء أو غزوة ودّان، وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، تلتها غزوة بواط، وغزوة العشيرة وغزوة بدر الكبرى وأحد والخندق وخيبر ومؤتة.. وغيرها.

6. **فتح مكة:** الذي جاء بعد صلح الحديبية، والذي فتح الطريق للإسلام بالانتشار في جزيرة العرب، وأصبح هو الذين الأكبر فيها.

7. **حجة الوداع والوفاة:** أدى الرسول حجة الوداع في مكة، ومرض ثم توفي عن عمر 63 عاماً. وحصلت بعده الخلافات في السقيفة حول خلافته، وبسبب من عدم ترشيح علي بن أبي طالب لخلافة الرسول نشأ خلاف كبير بين المسلمين ما زالت آثاره إلى هذا اليوم واضحة في الفجوة التي بين السنة والشيعة.

المسيحية:

كانت المسيحية في الجزيرة العربية منتشرة في ثلاث جهاتها وكما يلي:

1. **جنوب الجزيرة (اليمن):** انتشرت المسيحية فيها منذ القرن الرابع، عن طريق التجارة، عبر خطوط انطلقت من سوريا ومصر والعراق والحبشة، وجاء بعضها عن طريق الصحراء العربية أو البحر الأحمر. ولذلك كانت أصولها قبطية ويونانية وسريانية. وكان لليهود حضور قوي في اليمن منع انتشار المسيحية في بدايتها لكن الأقباش المسيحيين ساعدوا على انتشارها.

2. **شرق الجزيرة (الخليج العربي):** انتشرت المسيحية النسطورية فقد بشر الراهب النسطوري عبد يشوع، قادماً من ميثان، بالمسيحية في البحرين في أواخر القرن الرابع، وظهرت أسقفيات في البحرين وعمان تبعت للكنيسة الأم في العراق.

3. **وسط الجزيرة (نجد، اليمامة، الحجاز):** دخلته المسيحية قبل القرن السادس، وانتشرت العمارة الدنيّة المسيحية فيها، وكان لبني المرار الكنديين سيطرة على نجد واليمامة. أما في كندة فكانت المسيحية معروفة فقد عثر على نقش دير هند الكبرى الذي بنته هند بنت الحارث الكندية

أم عمرو بن هند، وانتشرت في بطون من قبائل طيء وغطفان وحنيفة وغيرهم. وفي اليمامة قدمت المسيحية من الشمال عبر نجد، وكذلك من بني كلب في تبوك ويثرب.

عندما ظهر الإسلام كانت هناك مؤثرات يهودية ومسيحية كثيرة أثرت في تكوينه ونشأته، لكن القرآن قرر أن المسيحيين قد حرفوا وزوروا رسالة المسيح والإنجيل. وبدا الأمر كما لو أن هناك كتاباً من الله نزل على المسيح الإنسان اسمه الإنجيل، ومثل هذا التصور انسحب على اليهود وموسى. وكان كل ذلك بتأثير من طبيعة الإسلام نفسه على الناس بطريقة ظهوره، ولم يكن من الممكن تصور سيرة الرسل والأنبياء بغير هذه الصورة. وهنا هو الالتباس الحقيقي الذي ما زال إلى يومنا هذا قائماً، متناسين أن تاريخ الأديان شديد التنوع والاختلاف في كل شيء.

هكذا وصم المسلمون المسيحية بالتحريف ووصم المسيحيين بالشرك لأنهم جعلوا من المسيح ابناً لله، ولم يتعمقوا في الطبيعة الثيولوجية والفلسفية للموضوع.

بل ازدادوا غلواً في الأمر ورأوا أن الإنجيل بل والتوراة موجودان ضمناً في القرآن، وأن المسيحيين واليهود يجب أن يصبحوا مسلمين لكي يتعرفوا إلى دينهم.

ولكنهم وضعوا تخريجاً وسطاً في هذا الأمر حين جعلوهما من (أصحاب الكتاب) أي أن لهما كتاباً مقدساً ولكي يترتب على هذا عدم قتلهم أو طردهم بل عليهم دفع الجزية كثمن لحمايتهم وعدم مشاركتهم بحروب المسلمين.

انشغل الرسول أولاً بالمشركين ثم انشغل باليهود ثم بالمسيحيين وجعل البعض من مسيحيي (دومة الجندل وكلب ونفر قليل من غسان وبراء وبعض التغالبة ونجران وبني ناجية وكنده وحمير) يدخلون الإسلام، وظل أغلب المسيحيين في شمال الجزيرة على دينهم.

ولم تكن المعاملة بالرفق والحوار، دائماً، مع المسيحيين، فقد غزا المسلمون دومة الجندل أربع مرات، كانت الأولى في العام الخامس الهجري قادها الرسول ووجدها خالية من سكانها، وبعد عامين أرسل عبد الرحمن بن عوف إليها محذراً إياهم من قطعهم لطريق التجارة وداعياً لهم لدخول الإسلام فأسلم حاكمها وتزوج بن عوف من ابنته. وفي عام 630 م. أرسل الرسول خالد بن الوليد إليها مع مئات من الفرسان ليحلب حاكمها اللاحق وليسلم بين يدي الرسول وليكتب ميثاق سلام مع أهل الجندل، وبعد ثلاث سنوات توجه لهم خالد بن الوليد ودارت معركة معهم وأجبروا على الإسلام والاستسلام.

انقسم المسيحيون في بلاد الرافدين والشام إلى نساطرة آشوريين في بلاد الرافدين، وسريان أو يعاقبة وملكيين أو روم في بلاد الشام، ونصاري في جزيرة العرب، ويُسبَرُ المؤرخون إلى أن المذهب اللاخلدوني المونوفيزيقي (اليقوي) انتشر بين القبائل العربية مثل إياد وربيعة وقُضاعة. أما القائلون بالمذهب الخلدوني (الملكيون) فقد انتشروا في المدن المتأثرة بالثقافة الهلينية، مثل ميشان وأنطاكية وسلوقية واللاذقية وبعلبك وبيروت وقيصريّة وبيت المقدس.

وكان هناك نفور بين مسيحيي المشرق وبيزنطة وروما المسيحيين، وبين مسيحيي العراق والساسانيين الفرس، الذين سفكوا دماء المسيحيين، من نساطرة وبعقوبيين، في حين نعم اليهود بعلاقة قوية مع الفرس وتضامنوا معهم لاقتحام بيت المقدس بعد ثلاثة شهور من الحصار، حيث قتل وسبي عشرات الآلاف من المسيحيين بمن فيهم بطريك المدينة زكريّا، كما أحرق الكثير من الكنائس بما فيها كنيسة القيامة، وتم الاستيلاء على عدد من الآثار المقدسة بما فيها صليب الصلبوت والحربة المقدسة والإسفنجة المقدسة، ونقلت كلها إلى المدائن عاصمة فارس.

وقد ساهم اليهود في مذابح المسيحيين، وقتلوا الكثير منهم، ولذلك سادت بين مسيحيي المشرق علاقة سلبية جداً مع اليهود والفرس والروم البيزنطيين، وهذا هو الذي جعلهم يرحبون بالمسلمين حين قدموا في غزوات متتالية لوادي الرافدين والشام.

اليهودية:

حينما ظهر الإسلام كانت هناك جذور يهودية ومسيحية تغذيه، وكانت هناك قواسم مشتركة عديدة بين الديانات الإبراهيمية الثلاث، خصوصاً اليهودية فقد جاء القرآن مليئاً بالحديث عن بني إسرائيل وأنبياهم وكانت هناك مشتركات فقهية وشعرائية. فضلاً عن النظرة التوحيدية لله.

كان اليهود منتشرين في كل جزيرة العرب مثل يثرب و"فدك" وهو حصن قريب من خيبر، و"تيماء" وهي قرية، و"دومة الجندل" و"خيبر" وهي مدينة ذات حصون ومزارع، وفي وادي القرى، واد كبير بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة لهذا سُمي «وادي القُرى» وكان سكانه من قبيلة بني عذرة يهود الديانة، حاربوا المسلمين في غزوة الأحزاب ثم صالحوهم ودفعوا الجزية لهم.

بعد هجرة الرسول إلى المدينة المنورة (622 م.) كان اليهود يشكلون جزءاً أساسياً من مجتمعها وعددهم آلاف عدّة، وكانوا يسيطرون على اقتصادها بالتجارة، فعقد معهم معاهدة سلام ونصرةً لكليهما، وكان يهود المدينة يتكوّنون من ثلاث قبائل هي (بنو قينقاع، بنو النضير، بنو قريظة). وقد حصلت خلافات اجتماعية وسياسية أدت إلى طردهم من المدينة. فبعد غزوة بدر تم إجلاء قبيلة بني قينقاع عن المدينة في (624 م.) وبعدها بعام تم إجلاء بني النضير بعد غزوة أحد، وفي عام (627 م.) حصلت غزوة الخندق وأجليت قبيلة بني قريظة، وبعدها بعام تم الاستيلاء على حصن خيبر وعقد اتفاق مشروط مع اليهود.

كان الحميريّون يهود اليمن وهم قبائل سبئية تقطن في مقاطعة ذو ريدان (إب - تعز - ريمة - ذمار) وعاصمتهم ظفار التي ظهرت فيها كتابات باللغة العبرية يُسجلون فيها شكرهم لإسرائيل، وقد ذكر في نقوش المسند انتشار قبيلة إسرائيل في اليمن.

وكان من أشهر ملوك حمير الملك (يوسف أسأر يثأر) الملقب بـ"ملك كل الشعوب" الذي ربما كان يهودياً والذي استطاع توحيد كبرى قبائل اليمن همدان ومذحج وكندة ضد الغزاة الأعباش.

سكن اليهود في عمّان والإمارات والأحساء، وقد أسلم معظمهم خلال فترات زمنية مختلفة، كان يهود (أولاد سارة) يسكنون في صحار وساحل الشمالية وخورفكان.

2. الخلفاء الراشدون وعصر انتشار الإسلام عن طريق الفتوحات (632 - 661 م.)

هم الزعماء الذين تعاقبوا على إمارة المسلمين، دينياً ودينيّاً، بعد وفاة الرسول لثلاثين سنة (11 هـ - 41 هـ)، وهم الأربعة (أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب). كانت المدينة المنورة عاصمتهم ثم أصبحت الكوفة في خلافة علي بن أبي طالب، وشهدت فترتهم انتشاراً واسعاً للإسلام خارج حدود شبه الجزيرة العربية.

كانت الدولة الراشدية دولة دينية صارمة ومغلقة على نفسها وتعتمد على "الشورى" في اختيار الخليفة، ورغم ذلك فقد شهدت اضطرابات داخلية قُتل على أثرها آخر ثلاثة من الخلفاء الراشدين.

انتشر الإسلام بسرعة في المشرق وشمال أفريقيا وأعماق آسيا بحد السيف والتزهيّب والرغيب،

ودخلت شعوب كثيرة في الإسلام كانت لها حضارات وثقافات واسعة، لكنها اندرجت في الإطار الديني العام للدين الجديد.

أما على المستوى الداخلي، في المجال العربي، فقد ظهرت مشكلات وفتن وصراعات كبيرة كان أولها ارتداد بعض العرب عن الإسلام، وامتناعهم عن أداء الزكاة لمركز الخلافة، لكن أبا بكر الصديق كان حازماً وقاسياً تجاه هؤلاء فحاربهم وقتلهم تحت عنوان (حروب الردة) فقتل أغلبهم. ثم حدثت فتنة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان التي كانت بسبب أنه استأثر بالسلطة وقام بتقريب وتعيين أقاربه وأبناء عمومته وهو ما نسميه اليوم فساداً في الحكم. وقد انتهى هذا الأمر بقتل عثمان وانقسام المسلمين على أنفسهم، ثم أعقبت ذلك فتى أخرى أكبر وأشد فتكاً وسببها النزاع على الحكم والخلافة وقعت في عهد الخليفة علي بن أبي طالب، منها وقعة الجمل وصفين والنهروان.

تبدو الصورة متناقضة بين انتشار الإسلام، وبين الفتن والمشاكل الداخلية التي بدأ يعاني منها الإسلام في داخله، ولكن ما يجمع بين هاتين الصورتين هو العنف وحب الاستئثار بالحكم. وهذا ما يجعلنا نقول إن الجمع بين الدين والسياسة كان أخطر ما عاناه الإسلام منذ بدايته وحتى يومنا هذا، وهو ما لم تخل منه الديانات الإبراهيمية، ولكنها تفاوتت فيه.

المسيحية:

كانت هذه المرحلة هي بداية ضمور وانكماش المسيحية بين العرب في الجزيرة العربية، وقد حصل هذا بالتدريج ابتداءً من هذه الفترة وكما يلي:

في خلافة أبي بكر الصديق: كان احتلال الحيرة المسيحية له الأثر الكبير في تقلص المسيحية في الجزيرة وجنوب وادي الرافدين، وهناك ما يشير إلى مذبحه مروعة قام بها خالد بن الوليد في منطقة عين تمر وقتل بها الآلاف من المسيحيين.

في خلافة عمر بن الخطاب: تم إجماع مسيحيي نجران وتوطينهم في جنوب العراق، وهاجرت جماعات إياد وغسان من المسيحيين العرب من الشام والعراق إلى بلاد الروم، وأجبر مسيحيو الشام والعراق على الدخول في الإسلام.

في خلافة عثمان بن عفان: زالت المسيحية من عُمان.

في خلافة علي بن أبي طالب: تم القضاء على تمرد مسيحيي بني ناجية قرب ساحل فارس، وأسلمتهم.

أدى انتشار الإسلام إلى نهاية التبشير المسيحي بين العرب، واستمرت المسيحية بين العرب على التوريث، وهو ما أدى إلى تقلصها وانكماشها.

اليهودية:

كان يهود المشرق قد حققوا حضوراً نوعياً في التاريخ، وحين تقدّم المسلمون لغزو المشرق، لم يجدوا صعوبة في التعامل معهم، فعندما استولوا على بيت المقدس وانتزعه من البيزنطيين عام 638 م. أقاموا سياسة متسامحة مع اليهود، وسمحوا لهم بالإقامة الدائمة في القدس، لأول مرة، منذ القرن الثاني للميلاد. وبعدها بعام حين استولوا على المدائن وبابل في العراق ساعدتهم اليهود في ذلك على أمل حصولهم على سياسة أكثر تسامحاً.

قام اليهود بدفع ضريبة الخراج (عن الأرض المزروعة) والجزية (عن حماية الشخص وأمنه) للخلفاء المسلمين من خلال ممثلين لهم. وبالنسبة لليهود المنفيين من الرابانيين، كانوا قد

تعاملوا بهرونة وإيجابية مع المسلمين القادمين من جزيرة العرب ولذلك استطاعت اليهودية الربانية تكييف وجودها في العالم الإسلامي حيث أعطوا شرعية للمسلمين بحكمهم للسكان من غير المسلمين في المناطق المفتوحة. جرى إفراغ أو أسلمة اليهود والمسيحيين، من جزيرة العرب، وخصوصاً الحجاز، لكنهم بقوا في اليمن وفي شرق الجزيرة لزمان أطول.

3. الدولة الأموية (661 - 750 م.)

تحولت الدولة الإسلامية إلى دولة ملكية وراثية في العصر الأموي، ابتعدت عن الشورى الراشدية وانتهجت خطها الملكي الوراثي علانية وبوضوح كامل، فهي دولة مدنية بمرجعية دينية إسلامية أو بإطار إسلامي عام تتقدم فيه الدنيا على الدين، ولها عاصمة مدنية هي دمشق المتعددة الطوائف والمذاهب والعرقيات، تأثرت بالتنظيمات السريانية والبيزنطية التي كانت قائمة إدارياً وسياسياً وعسكرياً. نهجت منهج العنف مع معارضيها في الإسلام، فقد بدأت أول عهدا باغتصاب الخلافة واستعمال الحيل والمكائد في الحكم، حاربت الخليفة الرابع قبل نشوئها على يد معاوية بن أبي سفيان واحتالت عليه في الحروب وكان من نتائج ما فعلته اغتياله، ثم اغتالت الحسين ثم الحسن ولدي علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وحفيديه، واستعملت شتى صنوف الدهاء والمكر والقوة لتثبيت ملكها غير الشرعي. وكان من نتائج هذه الأمور تداعي الجانب الروحاني في الإسلام وتنامي الجانب السياسي الميكافلي المدمر. فأصبح الدين وسيلة للحكم وليس العكس، وكانت الفتوحات في عصرهم للمزيد من استعباد الشعوب والبحث عن الثروات ومصادر المال والضرائب والخراج والجزية. تمزق الإسلام في زمنهم وتعرض لأكبر الأزمات في جوهره، وكان من نتائج ذلك نشوء الفتن والاضطرابات والفرق والطوائف الدينية والسياسية.

”وتبلور مصطلح أهل السنة والجماعة في نظر بعض الباحثين حيث يرى الدكتور محمد إبراهيم الفيومي أن ”مصطلح (الجماعة) أصل ذلك اجتماع الناس على أبي بكر عبد الله (ت. 13 هـ) بعد النبي (ص.)، ثم على عمر (ت. 23 هـ). ثم على عثمان (ت. 35 هـ)، ثم على علي... فقبل لهم: أهل الجماعة، وكان هذا الاسم قد بان لهم بعد خروج علي (رض) وأصحاب الجمل وأهل الشام، حتى قتل علي (رض)، فلما قتل وكثرت الفتن بخروج الحسن، ثم بخروج الحسين، ثم بعد ذلك أيام الزبير (إبن الزبير عبد الله، ت. 73 هـ) والخوارج... كان السواد الأعظم وعمامة الناس مجتمعين على بني أمية أيام معاوية، وبعده على ولده، ثم بعد ذلك على بني مروان... فادعى جمهور التابعين هذا الاسم، وقالوا: نحن أهل الجماعة.. فمن خالفنا فقد شق العصا، وخالف الأمة، وترك السنة، ونحن أهل السنة“. (الفيومي 1998: 9 - 10).

ظهر الخوارج كحركة سياسية وفكرية متحررة عن شروط الاتفاق على الخلافة وكما لو انها ذات نزعة جمهورية. وتبلور التشيع بعد مقتل علي وابنه الحسين وأصبح تياراً شعبياً واسعاً. وبقدر ما تبدو الأسباب السياسية ظاهرة على سطح الأحداث، لكن نشوء هذه التيارات كان دينياً وكانت هذه التيارات وغيرها تمثل صراعاً بين حقيقة الإسلام الروحية وما جرى عليها من انتهاك والمساومة لأغراض سياسية.

”في الواقع ذهب السنة بعيداً في استحسان التطور الفعلي للإسلام حتى أنهم أضفوا الشرعية على الكثير من الأمور التي تتناقض مع ما جاء به النبي. والمعروف عن فقهاءهم - كما يبين

جولدتسيهر وماكدونالد - "على أنهم بشر تابعون للحكومة". من جانب آخر كانت حياة الشيعة حياة ثورية والخلفاء بالنسبة لهم ليسوا سوى طغاة غاصبين. وقد أمعن الشيعة إلى حدّ التطرف في التفسيرات المنطقية والغيبية للدين الإسلامي، ولذا فإنهم أتوا بالعديد من العقائد الفكرية غير العمليّة في ما يتعلق بقضية الخلافة". (الوردي: 2013: 65).

" يرى السّنة أن كل خليفة هو الخليفة الشرعي للرسول مهما كان فاسقاً أو ظالماً، إن كل خليفة أجمع المسلمون على التسليم له فهو خليفة رسول الله مهما كان فاسقاً أو ظالماً، وبخلاف ذلك لكانوا قد ثاروا على مثل هؤلاء الخلفاء. يقول الرسول، حسب رأي أهل السنة، "لا تجتمع أمتي على ضلالة". لذلك فإن كل شيء حدث فعلاً في تاريخ الإسلام - سياسياً أو دينياً - هو شيء صحيح حسب رأي هؤلاء. أي إنهم لم يحاولوا أن يغيروا التاريخ عن مساره الأصلي. أما الشيعة المثاليون فقد بذلوا جهوداً كبيرة فكرياً وجسدياً لحرف مسار التاريخ باتجاه مثلهم التي يؤمنون بها. وبالطبع فإنهم أخفقوا، لذا فإنهم ينتظرون الآن بصبر كبير وأمل مشرق ظهور المنقذ إمامهم {المهدي} ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن مُلئت ظلماً وجوراً". (الوردي: 2013: 74).

بدأت المعتزلة كفرقة مستقلة من جذور التيارات القدرية والجهمية التي كان لها دور كبير في كثير من الحركات التي خرجت على الدولة الأموية، ثم تبلورت حركتها مع غيلان الدمشقي والجعد بن درهم وواصل بن عطاء، وقد كان لهؤلاء الدعاة أثر على الشعراء والحالمين بالتغيير وليس على عقول العوام، لكنها تبلورت في الدولة العباسية وأصبحت حركة فكرية كبيرة.

لا يمكننا وصف (الشعبة والخوارج) على أنها من الأحزاب الدنيّة، بل هي تيارات فكرية ودينيّة وسياسيّة معاً لأنها نشأت حول الإمام والزعيم الروحي، وهي تختلف عن الفرق الدنيّة الخالصة التي تنظر في الدين وطبيعته قبل نظرها في واقعه على الأرض. وهي بحسب الترتيب الزمني: القدرية والجهمية والمشبهة والمعتزلة والأشاعرة.

ويرى محمد كاظم القزويني أن المسلمين "متفقون على أن مصدر التشريع الإسلامي هو القران الكريم والسنة النبويّة، ثم اختلفت الآراء حول الطرق التي تنتهي إلى هذين المصدرين والمرجعين. فهناك الكثيرون الذين أخذوا العقائد والأحكام من أناس لا يوثق بهم ولا يُعتمد عليهم وإنما أخذوا منهم ما أخذوا بدافع الهوى لا بدافع طلب الحق والحقيقة. ومن هنا تكوّنت المذاهب العديدة أو تفرّقت الطرق الكثيرة، بسبب اختلاف الأقوال التي ظنّ الناس أنها السبيل التي تنتهي إلى القران العظيم والسنة النبويّة.. فالاختلاف في العقائد الإسلاميّة، والمسائل الفقهيّة أيضاً سببه اختلاف الطرق التي اخذ الناس منها هذه الأحكام، وهكذا تكونت المذاهب الإسلاميّة". (القزويني ج2 1415هـ: 317 - 318).

المسيحيّة:

أحاط معاوية نفسه بالمسيحيين المقربين له فزوجته (ميسون بنت بحدل الكلبية) كانت مسيحيّة، وطبيبه وشاعره ووزير ماليته كانوا مسيحيين. أصبحت المسيحيّة في بلاد الشام والرافدين جزءاً فاعلاً من حياة الناس والحكم، وتحوّلت القبائل المسيحيّة جماعات مدينيّة واحتفظ المسيحيون بكنائسهم ورمموها وبنوا الجديدة منها، وكانوا في مفاصل الحكم فمنهم الوزراء وكتبة الدواوين وأطباء البلاط ومجموعة كبيرة من الشعراء والأدباء.

كانت قرى وأرياف بلاد الشام في ختام العصر الأموي مسيحيةً سريانيةً أو عربيةً، واختلط الشعور الديني بالشعور القبلي عند بعض المسيحيين العرب في هذه الحقبة، كما عند قبيلة تغلب.

ازدهرت الكنيسة في العاقبة والنسطورية، وكانت للتغلبة أبرشيّتان في العهد الأموي استمرتتا لغاية الربع الثاني من القرن العاشر الميلاديّ. وقد توحدت أبرشيّة التغلبة الجنوبيّة مع أبرشيّة نجران في مطلع القرن العاشر الميلاديّ. ولكن من الملاحظ أن كل أساقفة التغلبة كانوا من غير العرب، فقد كان أغلبهم من السريان.

أما في منطقة نجران الكوفة فقد تقلص عددهم حتى وصلوا في نهاية العهد الأمويّ إلى 4000 مسيحيّ، ثم انقرضوا مع نهاية القرن العاشر الميلاديّ، وكانت أبرشيّة نجران الكوفة تتبع لها مجموعتان من المسيحيين العرب هما:

1. مجموعة خارج الكوفة.

2. مجموعة داخل الكوفة وهي صغيرة.

أما المسيحية اليعقوبية فكانت منتشرة بين التغلبة والتنوحيين وسليح والنجرانيين من بني الحارث بن كعب وطبيء وكلب في كل من العراق والشام والجزيرة الفراتية. عمل المسيحيون في مهن متخصصة كأطباء ومهندسين وإداريين ومستشارين في البلاط، وكانت اللغتان اليونانية والقبطية هما لغتا الإدارة لبضعة قرون، في المشرق، قبل أن تستكمل اللغة العربية قدرتها لتصبح أداة نوعيّة في مجالات الحكم والتخاطب الدبلوماسي. ولم تخلُ فترات الحكم الإسلاميّ هذه من حركات متفرقة ومناهضة مثل الاضطرابات القبطية في بداية القرن التاسع وغيرها.

اليهودية:

حافظ اليهود على مكاسبهم بالعيش في فلسطين، والقدس بشكل خاص، بحريّة ومارسوا طقوسهم وشعائرهم كما يريدون، وفي زمن الخليفة الأمويّ عمر بن عبد العزيز تغيّرت الأمور بفرض قوانين التمييز ضد الأقليات الدينية فاستبعد اليهود وغيرهم من الوظائف الحكوميّة، وأرغموا على اتخاذ لباس خاص.

ثار اليهود ضد الأمويين بسبب مظالم خاصة بهم، وربما بسبب رؤية خلاصيّة، كانت تبدو متعاطفة مع الآراء المعارضة لهم وحاولت إطاحة آخر الخلفاء الأمويين. في المقابل ساعد اليهود المتسترون بالمسيحية طارق بن زياد على غزو إسبانيا، وعادوا، بعدها، من شمال أفريقيا لإسبانيا. ورخبت الدولة الأموية في إسبانيا بعاصمتها قرطبة باليهود وسمحت لهم بدخول جميع المهن، وصار استقرارهم في إسبانيا عاملاً جذباً لليهود من البلدان الأخرى.

4. الدولة العباسية (750 - 1258 م.)

الإسلام:

جاء التطور النوعي للمعتقدات الإسلامية ومكونات الدين الرئيسيّة والثانويّة من المرحلة العباسية التي يعتبرها المؤرخون العصر الذهبي للإسلام. وكانت بغداد عاصمة هذا التحول النوعي بحكم ثرائها التراثي الحضاري الذي كانت تنضح منه منجزات وادي الرافدين والمشرق عموماً بشكل مباشر وغير مباشر. وانتشار الإسلام بين الشعوب غير المسلمة وفهم هذه الأخيرة

للإسلام بطريقتها الخاصة المتأثرة بفلسفاتها ومعتقداتها القديمة واجتهادات الجديدة لصناع الحضارة أثراً إيجابياً على الدّين الإسلاميّ وزادا ثراءه وخصبه وتنوّعه. فالدين حينما يخوض في حركة اجتماعية واسعة يتغيّر ويتبدّل ويتطوّر طبقاً لحاجات المجتمع والعصر. فقد نشأت المذاهب الفقهيّة والطائفيّة والفكريّة والسياسيّة، وكذلك نشأ التصوّف في أرقى بداية له وهو يتفاعل خصباً مع الإرث الصوفيّ البشريّ.

تبلورت المذاهب الفقهيّة لأهل السنة والجماعة بأربع مدارس كبرى هي الشافعيّة والمالكيّة والحنفيّة والحنبليّة، وغالباً ما كان الخلفاء يُحيطون أنفسهم بقضاة من المذاهب الأربعة، كذلك الحال في الجامعات الكبرى المعنيّة بالشريعة كالجامعة المستنصرية. وتميّز العهد العباسيّ أيضاً بالاهتمام بجمع الحديث على يد البخاريّ ومسلم والترمذيّ وأحمد وغيرهم، ونشأت مدارس عدّة تختصّ بعلوم الحديث أشهرها (مدرسة المدينة المنورة) و(مدرسة أهل الرأي في العراق). ونشأ علم الكلام الذي هو بمثابة اللاهوت الإسلاميّ (ثيولوجي)، وكانت أهمّ سجالاته حول أزليّة القرآن أو خلقه، إذ قالت المعتزلة والإباضيّة بخلق القرآن ودعمهم الخليفة المأمون، في حين قالت الأشاعرة والسنة بأزليّة القرآن. وربما جاء هذا الجدل شبيهاً بجدل المسيحيّين حول خلق المسيح أو أزليّته.

”ويكاد يكون ما حدث مع الانقلاب المتوكلّيّ هو العكس تماماً. فاستتباع السلطة الدنيّة للسلطة السياسيّة في عهد المأمون والمعتصم والواثق أطلق شرارة إصلاح دينيّ قاده المعتزلة الذين قالوا بوجوب توافق العقل والنقل واستبعاد كل ما يتعارض من النص مع العقل، أو في أدنى الأحوال، إعادة تأويله. أما تسليم سلطة الدّين لأهل الحديث في ظل الانقلاب المتوكلّيّ فقد وأد تلك المحاولة الإصلاحية وقطع الطريق أمام كل احتمال لتجددها، ولا سيما منذ أن استأنف الخليفة القادر بالله - بعد الفاصل بويهّي - المشروع التسنيّنيّ الذي دشّنه المتوكل. ذلك أن السلطة الدنيّة عند أنصار السنّة، الذين هم أهل الحديث، هي - كما سنرى في مثال أحمد بن حنبل - سلطة نقلية خالصة. سلطة ”سنّيّة“ بتعبير أدقّ، وبالتالي سلفية متشدّدة لا ترى في الجديد - أي جديد - إلا ”بدعة“، ولا تعترف بأي استقلاليّة ذاتية للعقل، وتجعله في تبعيّة مطلقة للنقل، ولا تسمح له بأن يسرّح - هذا إذا سمحت - إلا بقدر ما يسرّحه النقل، على حد تعبير الشاطبيّ“. (طرابيشي 2010: 493).

ورغم سيادة المذهب السنّيّ في عصور الدولة العباسيّة، لكن بعض العقائد والمذاهب تخلّلت حكم الخلفاء العباسيّين. فالأمّون والمعتصم والواثق جعلوا الاعتزال عقيدة الدولة، أما المتوكل فقد جعل الشافعيّة مذهباً رسمياً، أما المستعصم بالله وخلفاء الدولة البويهية فقد مالوا إلى التشيّع، وخلفاء الدولة السلجوقيّة مالوا نحو التسنن.

أخذ المذهب الشيعي، في العصر العباسي، شكله المعروف، وظهر أئمة الشيعة في هذا العصر، ولكنهم كانوا محطّ قتل من قبل السلطة العباسيّة وحرّم الإمام السادس جعفر الصادق تدخل الشيعة في شؤون الدولة، لكن العنف استمرّ ضدّهم، واختفى الإمام الثاني عشر محمد المهدي، في عصر المتوكل، في ظروف غامضة، ونشأت فكرة عودته في آخر الزمان ليحكم بين الناس بالعدل، وهي واحدة من أكبر وأهمّ المعتقدات الشيعيّة. ونشأت تيارات شيعيّة مختلف كالزيدية والإسماعيلية وغيرها.

المسيحيّة:

كان هذا العصر زمن ازدهار المسيحيّة المشرقيّة وكان أغلبهم من اليعاقبة والنساطرة في العراق

والشام، والأقباط في مصر، وكان الخلفاء يحتفلون بالأعياد المسيحية كعيد الميلاد وأحد الشعانين حتى في قصر الخليفة، وبُنيَت في بغداد كاتدرائيتان مع تشييد المدينة. وقد نقل بعض المراجع، من ذلك العصر، أن في الرها وجوارها كان هناك ثلاثمائة دير. وكان أبو جعفر المنصور يلقب بـ«أبي النصرى»، ولم يجبر العباسيون الأوائل القبائل المسيحية العربية كتغلب وتمر وطيء وبني شيبان وقبيلة إياد على الدخول في الإسلام، لكن الأمور ساءت منذ القرن العاشر وحصل اضطهادٌ للمسيحيين وأجبر بعضهم على الدخول في الإسلام.

حفل بيت الحكمة بالمتجملين والعلماء من المسيحيين والصابئة واليهود، وازدهرت مدارس مدن «الرها ونصيبين وجنديسابور وإنطاكية والإسكندرية» المسيحية والتي ضمت فلاسفة وأطبّاء وعلماء ومشرّعين ومؤرّخين وفلكيين.

ظلت الحيرة والأنبار مركزين مهمين للمسيحية النسطورية واستمر تعيين أساقفة على أهل الحيرة والأنبار حتى أواخر القرن العاشر. وكان النفوذ العربيّ يعقوبيّ أوسع من النسطوريّ، لكن المسيحية العربية النسطورية عمّرت لمدة أطول فقد تميّزوا بدور فعّال في نشاط كنيستهم، بعكس اليعاقبة العرب الذين لا نجد ذكراً لنشاط لهم في كنيستهم.

تحدّث الفقه السني عن المسيحية العربية بطريقة مختلفة، فالمالكية، بعكس الشافعية والحنابلة والحنفية، لم يهتموا كثيراً بأمرهم، أما الشافعية والحنابلة فعاملوهم معاملة خاصة، وذلك بالاكْتفاء بأخذ العشر منهم في تجارتهم، وعوملوا كالمجوس في مجال المناكحة وأكل ذبائحهم، حيث حرّمتها الشافعية المتشددة وحقروهم وأخرجوهم من كونهم أهل كتاب!! بل وأجبرتهم على ارتداء أزياء معينة، ومنعتهم من ممارسة شعائرهم بحرية.

وهكذا تأزمت الأمور ابتداءً من خلافة المتوكل السلفية المقيتة التي بدأ معها انحدار الحضارة الإسلامية كلّها، وحين استمرّ تداعي الحضارة ظهرت ملامح العنف ضد المسيحيين واضحة فخرّبت الكنائس وهدمت وحُضر على المسيحيين ركوب الخيل ومزاولة بعض الأنشطة التجارية والاقتصادية أو الإقامة في بيوت عامرة، وانعكس هذا على تعامل الناس معهم وعزلهم، بل وممارسة العنف ضدّهم فكان البدو يقتحمون الكنائس والأديرة لسلبها فهاجر المسيحيون من المدن نحو الجبال، وقام الموارنة بالنزوح من وادي العاصي باتجاه جبال لبنان وغيرها، ومع حلول القرن الرابع الهجريّ ظهر ما يشير إلى شبه زوال تام للمسيحية العربية في المشرق بسبب انعدام التبشير ودخول المسيحيين في الإسلام طوعاً أو كرهاً في أحيان قليلة، وتشتت بعض القبائل المسيحية وخروجهم من مدنهم المسيحية العريقة. وكان لضعف الرهينة وتلاشيها منذ القرن الثامن الميلاديّ الأثر الكبير في اندثار المسيحية المشرقية، لأنها قامت عليها في بداية نشوئها. وحينما دخل هولوكو بغداد وجد عدداً قليلاً من المسيحيين فأمر برعايتهم وبناء كاتدرائية في بغداد وربما كان ذلك بتأثير من زوجته المسيحية.

اليهودية:

كان اليهود كالمسيحيين فازدهرت مدارسهم وحياتهم الدينية وكتبوا المدراس كاملاً في بغداد، ارتقى بعضهم مناصب مرموقة في الدولة، وأصبح حاخام بغداد رأساً للطائفة اليهودية في العالم بسبب التسامح والرعاية، وبنى الخليفة المعتضد لليهود مدرسة تلمودية في بغداد. في عام 765 ظهر عنان بن داود في العراق، على رأس جماعة يهودية، عرفت في ما بعد بالقرائين، وكانت تعارض نظام الحاخامية والاعتماد على التلمود. يُعتقد بأن القرائين بعامة كانوا متأثرين بالبيئة الإسلامية.

عانى اليهود من الضرائب والقيود الشديدة خلال حكم هارون الرشيد، وذلك بعد فترة من التسامح النسبي في الشرق.

وفي عام 853 أصبح نطروناي غاؤون فقيه مدرسة سورا في العراق أول زعيم يهودي يكتب الرسائل الدنيئة القانونية باللغة العربية. بعد أن كانت تُكتب بالعبرية أو بالأرامية اليهودية.

المندائية:

كان المندائيون من أهل الكتاب، فقيهاً، وانتشروا في الأحواز وجنوب العراق، خصوصاً في واسط وميسان، وتذكر بعض المصادر وجود أربعمئة مشكنه (مندي) لهم في ميسان أوائل العصر العباسي.

كان أهل حران يزاولون عبادة الكواكب والأفلاك، وبقوا على ديانتهم حتى مرّ المأمون بهم في طريقه إلى القسطنطينية عام 830 فطلب منهم التحول إلى الإسلام أو إحدى الديانات التي يعترف الإسلام بها، فدخل الحرانيون بالصابئة، لكنهم ظلوا وثنيين في اعتقادهم.

5. الدولة الأندلسية (912-1492 م).

الإسلام:

كان أغلب سُكَّان الأندلس من المسلمين، واعتنق الإسلام أهل البلاد الأصليين من القُوط وبقية أغلبهم على المسيحية، وكان بعضهم يدين باليهودية، والقليل منهم بقي على الديانات المتعددة القديمة وكانوا يسمّون تسمية خاطئة عامة وهي (المجوس).

المذهب الأوزاعي هو أوّل مذهب فقهي عرفته بلاد الأندلس (وضعه الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، الذي كان من المجاهدين الذين رابطوا في مدينة بيروت لصد الغارات البحرية للروم البيزنطيين). وقد ظهر هذا المذهب زمن الولاة، عندما كانت الأندلس ما تزال ولاية أموية تتبع السلطة المركزية في دمشق. وفي عهد الإمارة، عظم التأثير الحجازي في الأندلس وشاع المذهب المالكي، وأصبح القضاء وأهل الفتيا على المذهب المالكي. وخلال عصر المرابطين طغى طابع المذهب المالكي.

”بديهي أن ابن حزم إذ يرفض القياس، وهو بالتعريف اجتهاد للعقل على ضوء نص، فأحرى به أن يرفض الرأي، وهو اجتهاد للعقل على غير ضوء نص ذي صلة مباشرة بالنازلة المطلوب الإفتاء بحكمها. وبالفعل، إن حكم المجتهد برأيه ليس في نظر ابن حزم بأقل من حكم المفترى على الله، بل الكافر المحض. وعدا عن أن الاجتهاد بالرأي ”باطل في الديانة“، لأنه بمثابة استحداث ”شرع في الدين ليس من الدين“، فإنه ”باطل في اللغة“ وإيقاع للفظ ”على غير معناه“ لأن الاجتهاد لغة هو ”استفراغ الوسع في طلب حكم النازلة في القرآن والسنة“ (الإحكام، ج7، ص 419)، أو هو أيضاً طلب الحق في مظانه، ومضان الحق اثنان لا ثالث لهما: ”القرآن والسنة“ (ج5، ص 79). ومتى حضر القرآن أو السنة بطل الرأي، إذ كما يقول ابن حزم على لسان عمر بن عبد العزيز: ”إنه لا رأي لأحد مع سنة سنّها رسول الله“. (طرايشي 2010: 329).

المسيحية:

كفلت لهم الدولة الحريّة الدنيئة لقاء الجزية السنوية. وكانت لهم حقوق وامتيازات منها الحفاظ على ممتلكاتهم الدنيئة كالكنائس والأديرة وغيرها، وعلى ممتلكاتهم الخاصة مثل الأموال والعقارات المختلفة كالمساكن، والمحال التجارية، والأراضي الزراعية. وبناء كنائس جديدة،

وعدم تدخلها في الأمور التنظيمية الداخلية للكنيسة. وتحزرت الكنيسة الأندلسية من تبعيتها لكنيسة روما، فأصبح بإمكانهم نقد الكنيسة وتصرفات رجال الدين، ونتج عن ذلك ظهور مجموعة من المذاهب الدينية المسيحية.

اليهودية:

ازدهرت العبرية وأدبها ونصوصها الدينية، واهتم اليهود بدراسة العلوم كعلم الفلك والتنجيم والهندسة والبصريات والبلاغة وفن الخط وفقه اللغة وعلم العروض والطب والفلسفة. وساهموا في نشر العلوم العربية عبر ترجمة المؤلفات العلمية من العربية إلى العبرية. حصلوا على حريتهم في العمل التجاري والمالي وكانت لهم خبرة في العمل المالي والتجارة، وحصل اليهود على مناصب عالية ووظائف سامية في الدولة، كالدبلوماسية وتسيير الإدارة والاقتصاد والمال وجمع الضرائب، وحصل بعضهم على وظائف مهمة مثلًا الطبيب حسداي بن شيرط. لكنهم تعرضوا خلال حكم المرابطين إلى الاضطهاد، وأجبروا على اعتناق الإسلام أو الموت، وفروا إلى طليطلة، التي استرجعها المسيحيون. وقاموا هناك بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية.

6. الدولة الفاطمية (909 - 1171 م).

الإسلام:

الإسلام هو دين الدولة الفاطمية الرسمي، ومذهبها هو المذهب الشيعي الإسماعيلي. وكانت مذهب أهل السنة والجماعة: الحنيفة، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، منتشرة بين العامة، ورغم أن الفاطميين صرحوا بأنهم لا يجبرون الناس على الدخول في مذهبهم، لكن دعواتهم انتشروا بين الناس وحاولوا تغيير مذهبهم فاستجابت لهم بعض قبائل كنانة في الفسطاط وجنوبها، وكان الخلفاء يمنحون الدعاة النعم والأموال. درجات الدعاة عند الإسماعيلية سبع، هي: «الباب» أو الإمام، وهي أعلى درجات الدعاة، و«الحجة» أو «داعي الدعاة» ويكون بجانب الإمام و«داعي البلاغ» وله رتبة الاحتجاج، و«الداعي المطلق» وله رتبة تعريف التأويل بالباطن، و«الداعي المحدود» وله التعريف بالعبادات الظاهرة، و«الداعي المأذون» وله أخذ العهد والميثاق، و«الداعي المكالب» أو «المكاسر»، وهو الذي يستميل الناس إلى المذهب الإسماعيلي. (أنظر الكرمانى 1983: 138).

المسيحية واليهودية:

أطلقت للمسيحيين واليهود الحرية الدينية والمذهبية، وأصبح منهم الوزراء ورفع شأنهم، وبعضهم الآخر اضطرر اضطراراً شديداً. فقد اشتهر الخليفة المنصور ومن بعده المعز لدين الله بتسامحه الكبير مع أقباط مصر فقد جعل عيسى بن نسطورس وزيراً له، وتزوج من امرأة مسيحية ملكانية، وهذا عكس ما فعله الحاكم بأمر الله في شؤون الخلافة، فقسا عليهم في المعاملة، فألزم أهل الذمة لبس الغيار، وبوضع زناير ملونة معظمها أسود، حول أوساطهم، ولبس العمائم السود على رؤوسهم، وتلفيعات سوداء، وذلك لتمييزهم على المسلمين. وفي وقت لاحق منعهم من الاحتفال بأعيادهم، وأمر بهدم بعض كنائس القاهرة، كما صدر سجل بهدم كنيسة القيامة في بيت المقدس.

ظهرت خلال العصر الفاطمي طوائف وجماعات دينية جديدة انشقت عن الإسماعيلية، مثل

الطائفة الدرزيّة، فقد أرسلّ الحاكم بأمر الله إلى الشّام داعيةً اسمه «مُحمّد بن إسماعيل الدّرزي» لينشر الدعوة الفاطميّة الإسماعلية هناك، فأقام في وادي التيم من البقاع، حيثُ كثر أتباعه، ودعا لنفسه، فقتلوه وتبرأوا منه، لكنهم عادوا لدعوته ونشأ الموحدون الدرزي في وادي التيم، ومنه انتشروا في صفا وجبل لبنان وحروران والكرمل. وكان من أبرز الدعاة حمزة بن عليّ الزوزني، فيلسوف الدعوة الدرزية ومؤسسها الثقافي والروحيّ.

”وقد انتهى العصر الفاطميّ بكارثة أصابت الجميع، فقد تم إحراق مدينة الفسطاط سنة 1168 م. بواسطة شاور وزير آخر الخلفاء الفاطميّين العاضد (1160 - 1171م)، وذلك لكي ينقذ المدينة من الوقوع بأيدي عموري ملك بيت المقدس الصليبيّ، والذي كان يخطط لاستخدام الفسطاط كقاعدة ينطلق منها للسيطرة على مصر كلها. وقد اضطر شاور إلى صب عشرين ألف برميل من النفط ليشعل المدينة لهيباً. كما أن رجاله استخدموا عشرة آلاف شعلة لإضرام النار في الفسطاط. وقد ظلت الحرائق تلتهم المدينة العظيمة لمدة أربعة وخمسين يوماً في بعض الروايات، وهرب سكانها لا يلوون على شيء. وتقول بعض المصادر القبطيّة أن جل سكان الفسطاط كانوا من القبط، الذين تشرّدوا بعد إحراق مدينتهم في مختلف الكفور والنجوع. وهكذا جلب الصليبيّون على الأقباط المصائب واحدة بعد الأخرى.“ (عطية 2005: 115 - 116).

7. الدولة الأيوبيّة في مصر (1174 - 1252 م.)

الإسلام:

حين استطاع صلاح الدّين الأيوبيّ السيطرة على الحكم في مصر قام بتغيير المذهب الإسماعيليّ للدولة الفاطميّة إلى المذهب السنّيّ بطريقة قسريّة سببت انقراض نسل من تبقى من الفاطميّين، ثم أنشأ عدداً من المدارس السنّيّة، وانتشر التصوف ومنازل الصوفيّة (الخوانق). وولى صلاح الدّين عليهم شيخاً يدبّر أمورهم عرف بشيخ الشيوخ، ورتب لهم الطعام والمال والاستحمام، وقام بتشجيع بناء الزوايا والربط اللتين اجتذبتا حولهما الأتباع والمريدين، وقام المتصوفة وبخاصة من المغرب العربيّ بالقدوم لمصر وازداد عدد العاطلين عن العمل.

ضمّن الأيوبيّون للدرزيّين مكانتهم كأمرء حرب على جبل لبنان لمقاومتهم الغزو الفرنسيّ ومقاتلتهم في مدن الساحل معه تحت قيادة أميرهم جمال الدّين التنوخيّ، وكان لهم حضور فاعل في معركة حطين، فجعلهم صلاح الدّين في خدمة وإدارة شؤون مقام النبيّ شعيب المجاور لسهل حطين الذي جرت عليه المعركة. وأصبح التنوخيّ حاكماً على مدينة بيروت وجبل لبنان.

المسيحيّة:

كانت معاملة الجماعات اليهوديّة والمسيحيّة، في الدولة الأيوبية، تمضي بحزم وطبقاً لسابقة قانونيّة. فقد أُجبروا على ارتداء ثيابٍ مميّزة وعلامات خاصة للإشارة إلى المسيحيّ، وأصبحت أعمال معينة شائعة بين اليهود والمسيحيّين مثل الدباغة (التي كان المسلمون يتجنّسون منها) وتناقضت أعداد اليهود والمسيحيّين في وظائف الدولة والمراتب العليا. وعاشوا في أحياء خاصة متواضعة في المدن، ومنعوا من ركوب الخيول، وكان ردّ فعل هؤلاء، وخصوصاً المسيحيّين منهم، التواصل مع بعض الصليبيّين، وهو ما جعل العلاقة تزداد توتراً.

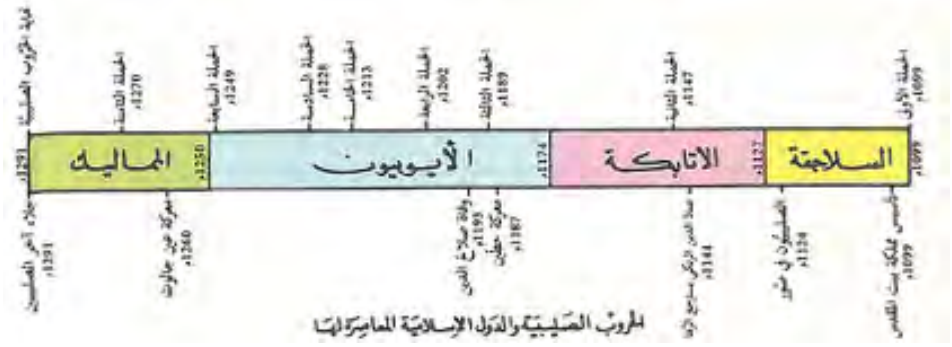
لا شك في أن الحروب الصليبيّة ساهمت بمزيد من التنافر بين المسيحيّين والمسلمين، بشكل عام، وكان الاسم الدقيق للمسيحيّين الصليبيّين هو (الفرنج، الفرنجة). وكان أذى المشرق من هذه الحروب كثيراً فقد أخذ مسيحيّو المشرق بجريرة الفرنج ونالهم الكثير من الحيف، بل إن الفرنج عرضوا أنفسهم والمسيحيّة بشكل عام لضروب كثيرة من الأذى وسوء الفهم. وقد نظروا

لمسيحيي المشرق بأنهم هراطقة لأنهم يؤمنون بالطبيعة الواحدة للمسيح، بينما يؤمن الفرنج بالطبيعتين للمسيح، وبالمقابل نظر المسلمون لمسيحيي المشرق كمتواطئين مع الصليبيين ضدهم فزادوا عليهم الضرائب دون جيرانهم المسلمين.

وفي المشرق، اشتد الصراع بين الملكانيين والأقباط، وكانت أحوال الأقباط أفضل، بشكل عام، حتى أن الحكام والأمراء ائتمنوهم على خزائهم وأموالهم، وحين انتهت الحروب الصليبية، أخذ المسيحيون دورهم من جديد في إدارة الدولة الأيوبية فمنهم الكاتب والمهندس والوزير، ومن أبرزهم كان: الشيخ الرئيس صفي أبي المعالي كاتب صلاح الدين، والشيخ أبو سعيد بن أبي اليمن بن النحال وزير العدل، والشيخ الأسعد أبو الفرج صليب بن ميخائيل، صاحب ديوان الملك الصالح، والطبيب علم الدين أبو النصر جرجس، وأبو الفرج بن ميخائيل، رئيس ديوان الملك العادل، وابن المصوف أمين أموال الحكومة في أيام صلاح الدين وغيرهم.

أقيم أول مطران قبطي في القدس سنة 1236م، وذلك مع ازدياد الأقباط في القدس وازدياد ممتلكاتهم من كنائس وأديرة، وأعطاه السلطان الرعاية من فلسطين حتى نواحي الفرات، وقبل هذا كانت مصالح الأقباط ترعاها الكنيسة السريانية في القدس.

تركوا، في هذا العصر، كتابين أثريين لعمّار المصري هما "كتاب البرهان" و"كتاب المسائل والأجوبة". وبرز العديد منهم مثل يوحنا بن زكريا بن سباع، بطرس السدمنتي، الإنبا بولس البولشي، المكين سمعان بن كليل والشيخ أسعد أبو الفرج والشيخ السديد أبو الفضائل، أبناء العسال الذي شغل ثلاثة من أبناء هذه الأسرة مناصب كبرى في الدولة الأيوبية، وكانوا جميعا أهل علم ويُجيدون اللغتين القبطية والعربية، إلى جانب اللغة اليونانية. ومَن قام بتشييد قلعة صلاح الدين على تلال المقطم مهندسون معماريون من المسيحيين العرب هما أبو منصور وأبو مشكور.



اليهودية:

سُمح لعدد قليل من اليهود بدخول القدس، وتناقصت أعدادهم في الشام خوفاً من المذابح والقتل. ولكنهم، بشكل عام، عوملوا معاملة حسنة ومارسوا أثناء الحكم الصليبي مهنة الصباغة وصناعة الزجاج وامتلك اليهود سفناً بخارية وبقيت القدس المدينة الوحيدة المحرمة على اليهود حتى عام 1178م. عندما دخل صلاح الدين المدينة سُمح لهم بدخولها، وواصل الأيوبيون بعده السياسة نفسها مع اليهود، وبقوا في القدس حتى تم تحرير المدينة المقدسة على يد الخوارزميين والصلاح نجم الدين أيوب عام 1244م، حيث تم إغقاؤهم من الضرائب. كان لليهود دور في مواجهة الحروب الصليبية، لأن الصليبيين اعتبروهم أعداء لهم ولم يفرقوا بين المسلمين والمسيحيين واليهود العرب.

8. الدولة المملوكية في مصر (1250 - 1517 م).

ساد الإسلام السنّي بين أهالي الدولة المملوكية، وكانت المدارس الدنيّة تتبنّى وتدرّس المذاهب الأربعة كلّها: الحنفيّة والمالكيّة والشافعيّة والحنبليّة، مذهب رسميّة للدولة، ومن أبرز ما قام به المماليك لتثبيت مذاهب أهل السنّة هو إعادة افتتاح الجامع الأزهر وترميمه وتجديده 1266، بعد أن ظلّ مقفلاً لحوالي مئة سنة زمن الأيوبيين باعتباره مؤسسة بناها الفاطميون لنشر المذهب الإسماعيليّ. كذلك بذل المماليك جهوداً مُماثلة في الشّام، فقد أمر الظاهر بيبرس بتجديد الجامع الأموي الكبير.

ضعف التشيّع وتوارى الشيعة في مصر والشام وأخفوا طقوسهم وعباداتهم الخاصة بهم، وشاع التصوّف والطرق الصوفيّة السنّية في مختلف أنحاء البلاد (مصر والشام) خلال العصر المملوكيّ مثل الشاذليّة، والرفاعيّة والبدويّة (الأحمديّة) والسطوحية والعدويّة، وفي مصر انتشرت الطريقة الدسوقيّة. وخضع ملوكهم وسلطينهم للمجازيب.

اختلف النُصيريّون مع الدُرُوز، فتركوا وادي النّيّم وسكنوا في عكّار ثمّ امتدوا شمالاً حتّى اللاذقيّة، واستوطنوا الجبال المُشرّفة عليها «جبال النُصيريّة». وأقامت بقايا الشيعة الإسماعيليّة في بعض القلاع الكائنة على أطراف جبل لُبنان الشماليّ ثمّ انتقلوا منها واتجهوا شرقاً والتحقوا بإخوانهم في بلدة سلمية قُرب حمص، وهي الموطن الرئيس للإسماعيليّة في الشّام منذ أيّام السلاجقة. كانت للدروز في هذا العصر مقاطعات هي المتن والغرب وبيروت والشوف. وقام المماليك بتثبيت أمراء الدُرُوز في إقطاعاتهم هذه لوقوفهم إلى جانب السلطنة ونُصرتها.

المسيحية:

استوعبت دولة المماليك الكثير من الطوائف المسيحية، مثل الأقباط والروم والسريان والموارنة

والنساطرة، وكذلك طوائف مسيحية واردة من الخارج مثل الكرجيون والأحباش والأرمن واللاتين، وكان لكل جالية منها فُصلٌ يدير مصالحها. كان العهد المملوكي، بشكل عام، عهداً سيئاً بالنسبة للمسيحيين المشرقيين، وخصوصاً خلال عهد المماليك البحرية، بسبب الحُرُوب الصليبية بالمقام الأول، واهتزت الثقة بين الطرفين. ورغم بعض الملامح الإيجابية لكن الدولة كانت تنظر إليهم بشك، عمل الأقباط في دواوين الدولة بكثرة خلال سلطنة قُطز. وفي عهد الظاهر بيبرس أُقيل جميع الأقباط الذين كانوا يعملون في ديوان الحرب وأُحلَّ مُسلمون محلهم، وفي عهد قلاوون فقد عُدل عن التزُّد في الضرائب على الأقباط وعادت المُساواة بينهم وبين المُسلمين وأعيدوا إلى وظائفهم، لكن بعد مُرور فترة عاد هذا السُلطان إلى التشديد عليهم.

كان الأقباط طيلة الحروب الصليبية في موقفٍ محيرٍ ومربكٍ لهم "لقد كانت فترة العدوان الصليبيّ محنة حقيقية للأقباط، ولم يملك هؤلاء إلا موقف الحياد في بادئ الأمر. وانكفأوا على شؤونهم الخاصة، والتحوط ضد ما قد يلحقه بهم مزاج أحد الحكام أو الجمع بين ما يطلب منهم من أموال للخزانة العامة للدولة. وعندما هدأت الأمور دبَّت الروح فيهم من جديد، وقاموا بدورهم الوطني خيراً قياماً في مختلف المجالات. ويتضح هذا الوقت جلياً في العصر الأيوبي، فبعد أن زالت غمة الصليبيين عن البلاد أُعيدت للأقباط مناصبهم وثوراتهم، كما أنهم برزوا في مجال الكتابة الأدبية، وشاركوا في الدفاع عن تراب الوطن ضد المعتدي الصليبي في صف واحد مع إخوانهم المسلمين". (عطية 2005: 118).

وفي الشَّام، شدَّد المماليكُ الخناق على الموارد بسبب الحروب الصليبية وعلاقة الموارد بالكنيسة الكاثوليكية.

اليهودية:

ازدادت أعداد اليهود في مصر والشَّام بعد سُقوط الأندلس وتعرُّض أهلها من المُسلمين واليهود إلى اضطهاد محاكم التفتيش الكاثوليكية، فهربوا وزاد نفوذهم في الدولة المملوكية ووصل بعض رجالهم إلى مركز السُّلطة في مصر وكانوا يشتغلون في التجارة. وصارت لليهود سيطرة كبيرة على النشاط المصرفي والأعمال المالية. وفي مصر احتفظوا بمكانتهم وديانتهم كما يريدون، لكنهم انقسموا إلى ثلاث فرق: الرُّبائيون والقراؤون والسَّامريون. وسكنوا داخل أحياء خاصة بهم مثل حارة اليهود التي اشتهرت بهم في بيت المقدس، وكذلك في دمشق وحلب وطرابلس وحماة.

9. الدولة العثمانية (1299 - 1923 م.)

الإسلام:

كان الإسلام هو الدِّين الرسمي في الدولة العثمانية، وانقسمت الدولة ثم الإمبراطورية العثمانية إلى ولايات، وكان أغلب السكان في معظم البلقان والولايات الآسيوية والأفريقية يعتقدون الإسلام السني، أما الشيعة فكانوا أقلية موجودة في بعض مناطق العراق والشَّام، وهناك الدرُوز والعلويون في الشَّام والأناضول، وانتشرت الفرق الصوفية بين الأتراك وسلاطينهم مثل (البكداشية والمارتيدية والباطنية والمولوية)، وكانت هذه الفرق تحاول التقريب بين الأديان الإبراهيمية الثلاثة وتجمعها في روح واحدة مثل حركة الشيخ "بدر الدين"، وهي تتصدَّر أهم الحركات الدينية والاجتماعية على مدار التاريخ العثماني، لكون الداعي لها قال ببعض الأفكار التي تناقض المعتقدات الإسلامية، ومنها إنكار الجنة والنار ويوم القيامة والملائكة والشياطين، وقصّر

الشهادة على قسمها الأول، أي "لا إله إلا الله" وحذف نصفها الثاني، أي "محمد رسول الله"، ودعا إلى الزهد المطلق والمهدي المنتظر. وقد تمكنت هذه الدعوة من جذب الكثير من المسيحيين وقليل من اليهود وعدد من المسلمين، وقد استطاع العثمانيون إيقاف هذه الدعوة وتحويلها، لكن أتباعها استمروا، وأصبحوا يُعرفون باسم "الغلايين". (أنظر طقوش 2013: 80 - 83).

"ولكن ما ربحه الوجود العربي الإسلامي على صعيد الاستمرارية التاريخية رغم الفاصل الطويل الذي مثلته الخلافة العثمانية - خسره على صعيد الانقطاع الحضارية. فلئن يكن التشريع الإسلامي، الذي عزا إلى نفسه من خلال السنة المنسوبة إلى النبي مصدراً إلهياً قد صان ذلك الوجود وحفظه، فإنه بالمقابل قد شلَّه عن التطور بقدر ما جمده في وضعيته ثابتة ومكررة لنفسها وعابرة لشروط الزمان والمكان. فتشريع كهذا ما كان له إلا أن يكون حاكماً على التاريخ بدلاً من أن يكون - كما في مثال التشريع الوضعي - محكوماً به. والخروج من حكم التاريخ هو بمثابة خروج من التاريخ نفسه. وربما تكون تلك هي كبرى مفارقات إسلام التاريخ: فنسبته نفسه، على منوال إسلام الرسالة، إلى مصدر إلهي قد قضى عليه أن يكون إسلاماً لا تاريخياً. وهذه اللاتاريخية كانت ولا تزال هي النسخ المغدّي للممانعة العربية، على صعيد العقليات والبنى الاجتماعية على الأقل، لأمر الحداثة". (طرايشي 2010: 105 - 106).

المسيحية:

كانت المسيحية الأرثوذكسية أكبر الأديان غير الإسلامية في الدولة العثمانية، موزعة على كنائس عدّة مثل كنيسة الروم الأرثوذكس، والأرمن، والأقباط، والبلغار، والصرب، والسيران. اتبعت أقلية من المسيحيين في الدولة العثمانية المذهب الكاثوليكي، وكانت معظم الكنائس الكاثوليكية تنتمي إلى الفرع الكاثوليكي الشرقي مثل (الكنيسة المارونية والكنيسة الآشورية والروم الكاثوليك وغيرها). وكان جميع المسيحيين وقياداتهم الدينيّة على علاقة طيبة مع السلاطين العثمانيين، ومع صعود الحركات القومية في أوروبا والعالم خاف العثمانيون على التعدّد القومي في دولتهم من أن يفككها، وتبنوا سلوكاً متشدداً وهمجياً في مطاردة وقتل المسيحيين بشكل خاص. وساءت هذه العلاقة قبيل مجازر الأرمن والآشوريين وأثناءها وبعدها.

"أما عن أحوال الأقباط تحت الحكم العثماني، فقد تمّ استخدامهم في الوظائف الإدارية وفي جمع الضرائب، وكانت أحوالهم أقلّ سوءاً من أحوالهم زمن أواخر السلاطين المماليك. ولكن أعداد الأقباط، مثلهم في هذا مثل إخوانهم المسلمين، كانت آخذة في النقصان بسبب الأوبئة والفقر. كما أن القاهرة فقدت زهوتها القديمة وأصبحت مدينة ثانوية. والحق أن مصادرنا عن أحوال مصر في تلك الفترة هزيلة للغاية. وفي سنة 1769 م. قام مملوك يُدعى علي بك الكبير بطرد الوالي العثماني وأعلن استقلاله بمصر عن الدولة العثمانية. وتمكن علي بك الكبير من ضمّ بلاد الشام والحجاز إلى أملاكه، ولكن العثمانيين دبّروا له مؤامرة مع نائبه (محمد أبو الذهب) وتمّ اغتياله سنة 1773 م.". (عطية 2005: 122).

اليهودية:

تفرّق اليهود في أرجاء الدولة العثمانية، وقد وفدت جموع من اليهود السفارديين إليها وسكنوا الآستانة وسالونيك وبعض مدن الشام ومصر، وكان رئيس الطوائف اليهودية يُعرف باسم "حاخام باشي" أو "باشا الحاخامات". لكن اليهود العثمانيين لعبوا دوراً في إسقاط الدولة العثمانية حين تعاونوا مع اليهود الأوروبيين وتبنوا الحركات الماسونية والصهيونية، ومنهم يهود الدومّة. وهي

طائفة من اليهود من أتباع (سباتاي زيفي) الذي ادّعى أنه الماشيح عام 1648، فقبض عليه السلطان محمد الرابع فأسلم، وتبعه كمسلمين قسم من اليهود الذين عرفوا لاحقاً بالسبتيين أو الدوامة (أي الذين رجعوا إلى الحق، أو المهتدون)، لكنهم احتفظوا بديانتهم سرّاً.

المبحث الثاني المكوّنات الأساسيّة للديانة الإسلاميّة

أولاً: المعتقدات الألوهيّة

1. الكتاب المقدّس:

القرآن هو الكتاب المقدّس للمسلمين، وهو بالنسبة لهم كلام الله الذي يجب الإيمان به والاعتقاد به، وهو يجمع أغلب مكوّنات الدّين الرئيسيّة، ومعتقداته بشكل خاص.

2. عقائد الربوبية:

القرآن هو السبيل لمعرفة المقدّس الذي هو الله، والقدااسة هي جوهر الخطاب الدينيّ. وفي الأديان التوحيدية تفيض القدااسة من مركزها المقدّس الذي هو الله، وتشمل النبيّ وآل بيته وأصحابه والتابعين له في بعض الأحيان.

الله مطلق التوحيد في الإسلام، فهو إله مفارق بينه وبين عباده فاصل لا يجوز تقريبه أو اختراقه، ولكنه يشمل عباده ويشمل الكون برحمته ويحرسهم بعينه التي لا تنام. الله هو خالق كلّ شيء في الوجود وهو الذي يكفل رعاية كلّ شيء، أما بالنسبة للإنسان فهو يحمله مسؤولياته تجاهه لأنه منحه ما لم يمنح الكائنات الأخرى من صفات ومكوّنات، فضلاً عن كونه قد أرسل له الرسل والأنبياء ومعهم الصحف والكتب المقدّسة لكي يُبصروه بما له وما عليه.

3. الثيولوجيا (الله والملائكة والجنّ والشياطين):

لا وجود إلا لإله واحد هو الله، والذي تأتمر بأمره مجموعة من الملائكة، التي هي كائنات من نور، وهناك الجنّ والشياطين.

أولاً الملائكة: مادة أجسادهم من نور ولهم أجنحة، ليسوا بالذكور ولا بالإناث، لا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون، وليس لهم عدد، وبعضهم يموت في نفخ الصور، ولكنهم خالدون بصفة عامة.

الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، فمن أنكرهم ولم يؤمن بهم فقد كفر بما نزل في القرآن الذي يمجدهم. ويقول عنهم "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا". (سورة النساء: 36).

أهم واجباتهم تبليغ الوحي للأنبياء والرسل، تنفيذ الواجبات الإلهية، حمل العرش الإلهي، انتزاع الأرواح من البشر لحظة الموت والارتفاع بها إلى الله، النفخ في الصور يوم القيامة.

أما أهم الملائكة في الإسلام فهم:

1. الملائكة الأربعة الكبار وهم الملائكة العظام الذين يحيطون بالعرش ويلبّون أوامر الله مباشرة. وهم:

أ. جبرائيل: يُسمّى الروح أحياناً وهو ملاك الوحي، وكان ينزل في ليالي رمضان ليدارس النبيّ محمد القرآن. وهو من علّمه الصلاة، ومن حارب معه في غزوة بدر وغزوة الخندق.

ب. ميكائيل: هو الملاك الموكل بالمطر وبالزرع.

ج. إسرئيل: هو الملاك الموكل بنفخ الصور يوم القيامة.

د. عزرائيل: وهو الموكل بقبض أرواح البشر لحظة الموت.

والجدير بالذكر أن هؤلاء الملائكة من تراث الدّين اليهودي، وهم موجودون بأسماء تكاد تكون متطابقة.

2. الملائكة المزدوجة: وهم الملائكة الذين يترافق ذكرهم مع بعضهم مثل:
 أ. مالك خازن النار، ورضوان خازن الجنة.
 ب. هاروت وماروت: ملاكان تساءلا عن عصيان الله فعاقبهما الله.
 ج. مُنكر ونكير: ملاكان يقومان بسؤال الإنسان في قبره عن دينه وإلهه ونبيه.
 د. رقيب وعتيد: وصفان ملاكَيْن يسجلان حسنات وسيئات الإنسان، وهما عند الكتفين من كل إنسان.

3. الملائكة الرؤساء السبعة الموجودون في السَّمَاوَات السبع.

4. الملائكة الثمانية الذين يحملون العرش الإلهي.

ثانياً. الجنّ: كائنات من النار لكنها تطيع الخالق وتأمّر بأمره، وزعيمهم يُسمّى العفريت.

ثالثاً. الشياطين: كائنات من النار، لكنها متمردة على الله، وزعيمهم إبليس.

رابعاً. القرين: هو الجنّ الشرير الذي يوسوس في النفس.

4. الروح:

لم يُخبرنا القرآن عن المعنى الحقيقي للروح في الإسلام، ولكن هناك ما يشير لوجود عدد من الاصطلاحات الدينيّة المتقاربة في التراث الإسلام حول هذا الموضوع:

1. الروح من أمر الله، يصدر عنها الخير.

2. العقل وهو جهاز مسخّر للروح وللنفس، حيث يتم في العقل مدركات وهو أقرب شيء للروح.

3. القلب: مفتاح العقل. قال تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها) والقلب يحمل إحساساً مرهفاً يعمل أسرع من العقل.

4. النفس: مرتبطة بالجسد وبالماديات.

5. الجوف: التجويف الذي في الصدر يضم القلب والعمليات الخفية في كيان الإنسان.

5. العالم الميتافيزيقي

الكون الإسلامي يتكوّن من الأرضين السبع والسموات السبع والكواكب السبعة.

أ. الأرضون السبع:

قال ابن كثير نقلاً عن أحاديث متواترة للرسول: أول ما خلق الله القلم قال: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب القدر. فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم قيام الساعة. ثم خلق «النون»، وهو الحوت العملاق الذي يسبح في المياه والمياه هي التي تقف على الرياح، ورفع بخار الماء، ففتقت منه السماء، وبسطت الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون فمادت الأرض، فأثبتت بالجبال، فإنها لتفخر على الأرض، النون (الحوت العظيم) الذي يستقرّ على الماء، والماء يستقرّ فوق الرياح.

ويرى البعض أن هناك ثوراً كانت الأرض تقف على قرنيه، وأن الثور يقف على ظهر الحوت، وقد حدّد كتاب مشارق أنوار اليقين للحافظ اسم الثور هو «أرياكيل»، وبين مفصل إبهامه وراحته أربعون سمّة، وله أربعون ألف قائمة وسبعمئة قرن، وليس هذا الأمر غريباً إذا تدكّرنا أن الهنود والترك تصوّروا أن الأرض محمولة على ظهر سلحفاة.

ب. السماوات السبع:

في قصّة المعراج التي وصلتنا عن أحاديث الرسول في كتب التراث، ومنها ما وصل عن أبي سعيد الخدري عن المعراج الموصوف في كتاب السيرة النبويّة لإبن هشام، حيث تذكر القصة عروج الرسول مع جبريل إلى السَّمَاوَات بالترتيب ووصفها عن ابن عباس:

السماء	أسمائها عن وهب بن منبه	أوصافها عن ابن عباس	مادتها عن الربيع بن أنسي
الأولى	ديناح	زمردة خضراء	موحّ مكفوف
الثانية	ديقا	فضة بيضاء	صخرة
الثالثة	رقيع	ياقوتة حمراء	حديد
الرابعة	فيلون	درة بيضاء	نحاس
الخامسة	طفطاف	ذهب أحمر	فضة
السادسة	سمساق	ياقوتة صفراء	ذهب
السابعة	إسحاقائل	نور	- - -

ثانياً: المؤسسة الدنيّة

1. المؤسسة الدنيّة ورجال الدين:

لا توجد طبقات ومراتب كهنوتية في الإسلام، ولكن هناك ما نسميه بالألقاب الدنيّة، وهي الأكثر حضوراً من المراتب والطبقات، وربما كانت الألقاب تعويضاً عن المراتب، وهي قد فعلت هذا لدرجة أنها أصبحت بمثابة المراتب، وربما كانت أكثر من ذلك.

القرن الرابع الهجريّة الأولى لم تشهد ظهور الألقاب إلا نادراً، فنحن نجد أوصافاً وألقاباً من نوع: الشيخ، العالم، المحدث، الفاضل، الثقة، جليل القدر، القاضي، رفيع المنزلة، الشريف، شيخ الأصحاب، وجه الأصحاب، الرئيس الأقدم، المقدم، نقيب العلماء، قاضي القضاة، .. الخ.

”وفي النصف الأخير من العصر العباسي الثاني، بدأت تظهر ألقاب كانت محدودة للغاية ومقتصرة على أشخاص محددين جداً، فظهر لقب (حجة الإسلام) الذي ربما اختصّ بأبي حامد الغزالي (505 هـ)، واستمرّ مختصاً به لقرون في الوسط السنّي، ويبدو أنه لم يُستخدم هذا اللقب قبل الغزالي إطلاقاً، كما لقب (إمام الحرمين) الذي اختصّ بالجويني، ولقب (المحقق) الذي اشتهر بين الإماميّة لنجم الدين الحلّي، لكن على أية حال ظلّ هذا الوضع محدوداً للغاية، ولا يصل إلى مستوى الألقاب التي ظهرت في ما بعد أبداً ولا إلى نسبة شيوعها“. (حب الله، موقع حب الله، الألقاب العلمائيّة: جولة في تاريخها، وتطورها، والمواقف المختلفة منها، تاريخ النشر 2 / 0 2 / 2015).

ظاهرة الألقاب في الوسط السنّي:

لم يقتصر أمر هذه الألقاب على الشيعة، بل شهد أهل السنّة والجماعة شيئاً من هذا القبيل. فمنذ العبور من عصر الغزالي بدأنا نجد ألقاباً كثيرة مثل: 1. برهان الملّة والدين، 2. شيخ الإسلام، 3. تاج الإسلام، 4. شمس الدين، 5. الجهيد، 6. مفتي الديار، 7. رشيد الدين، 8. عز الدين، 9. الإمام، 10. سيف الدين، وغير ذلك كثير، وقد تعاطم هذا الأمر في العصر العثماني بشكل كبير جداً، وكان من الألقاب الكبيرة التي أُطلقت لقب: الإمام الأعظم، والذي استخدم في حقّ أبي حنيفة النعمان. ومن اللافت أنّ العثمانيين يُطلقون على رئيس الوزراء لقب الصدر الأعظم، علماً أنّ الإماميّة تستخدم لقب الشيخ الأعظم وتريد به في الغالب الشيخ مرتضى الأنصاري (1281 هـ) الذي توفي في العصر القاجاري.

ظاهرة الألقاب في الوسط الشيعي:

عرّف العصر الصفويّ المناصب والألقاب مثل: 1 الصدر، وصدر الصدور. 2 ملا باشي، 3 مجتهد

الزمان. 4 أفضل علماء عصره. 5 خاتم المجتهدين. 6 فريد عصره. 7 وحيد قرنه. 8 رئيس العلماء. 9 علامة العلماء. 10 دليل الإسلام. 11 حجة الله. 12 معتمد الإسلام. 13 ثقة الإسلام وغير ذلك. وإلى جانب هذه الألقاب ظهرت توصيفات قريبة من هذا النوع من التعابير من نوع: 14 المقدس، وهو اللقب الذي أطلق على المحقق الأردبيلي. 15 سلطان العلماء. 16 المولى أو الملا، وقد أطلق هذا اللقب على المحقق النراقي، وصدر الدين الشيرازي (والذي أطلق عليه أيضاً لقب صدر المتألهين) والفيض الكاشاني وغيرهم. 17 خليفة الخلفاء، عن (حب الله، موقع الشيخ حب الله: الألقاب العلمائيّة (آية الله العظمى..): جولة في تاريخها، وتطورها، والمواقف المختلفة منها، تاريخ النشر 2/ 2 /2015).

واستمرّ الوضع على هذه الحال بتطور محدودٍ ومنتامٍ، حتى نهايات العصر القاجاري في الربع الأول من القرن العشرين، فخلال العقود الأخيرة من العصر القاجاري ظهرت فجأة سلسلة التوصيفات التي لم تكن مسبوقة بهذه الطريقة من قبل، حيث استخدم ولأوّل مرّة بعد الحلي وبحر العلوم لقب (آية الله) ليصبح لقباً شائعاً وعماماً في تلك الفترة، ولمزيد من التمييز ظهر لقب آية الله في الوري، وآية الله في الأنام، وآية الله الأعظم، وآية الله المعظم. وإلى جانب هذه الألقاب ظهرت الألقاب الأخرى مثل: حجة الإسلام والمسلمين، وشمس الواعظين، وإمام الملة والدين...

لكنّ المؤشرات تُظهر أنّ هذه الألقاب تراجعت قليلاً، لتعود وتظهر بقوة مع مرجعية كل من السيد البروجردي في إيران، والسيد محسن الحكيم في العراق، وذلك في أواسط القرن العشرين، حيث أطلق، وربما لأول مرّة كما يقول العلامة محمد مهدي شمس الدين، لقب (آية الله العظمى) و(آية الله الكبرى).

واليوم وخلال العقود القليلة الأخيرة نجد الكثير من الألقاب حاضرة أو شائعة مثل: 1 فضيلة الإسلام. 2 حجة الإسلام، 3 حجة الإسلام والمسلمين. 4 آية الله. 5 آية الله العظمى. 6 زعيم الحوزة العلميّة. 7 العلامة. 8 السماحة. 9 الفاضل أو الفضلاء. 10 المفتي. 11 المجتهد الأكبر. 12 المرجع. 13 المرجع الديني. 14 المرجع الديني الأعلى. 15 نائب الإمام. 16 الإمام. 17 أستاذ الفقهاء والمجتهدين. 18 أستاذ الكل في الكل. 19 القبلة والكعبة (وصفان يستخدمان في باكستان). 20 الآخوند، وربما يكون أصلها من كلمة (آقا خواند). 21 الأوحّد، وهو لقب عُرف به الشيخ الأحسائي. 22 الوحيد، وهو اللقب الذي عُرف به الشيخ البهبهاني. 23 المجدّد، وهو لقب أطلق على كثيرين مثل المجدّد الشيرازي، والشيخ محمّد رضا المظفر. 24 مرجع المسلمين. 25 الحجة. 26 الفقيه الأورع. 27 السيد الولي. 28 السيد القائد. 29 وليّ أمر المسلمين. 30 الأستاذ الأعظم والعلامة الأفخم. 31 العَلَم والأعلام. 32 سيّد الطائفة. 33 قدوة الفقهاء وقدوة المجتهدين. 34 آية الله في الأرضين. 35 العالم الربّاني والفقيه الصمدي. 36 خاتم الفقهاء والأصوليين.. ومن يُراجع يجد الكثير من مثل هذه الألقاب التي تتفاوت في حجم شيوعها في العصر الحاضر، وفي إطلاقها على أصحابها شفاهاً أو على أغلفة الكتب أو تداولاً، ولم يبتعد العرفاء عن هذه التوصيفات، فاستخدموا في إطارهم ألقاباً كثيرة مثل صدر المتألهين، وقطب دائرة الإيمان، وجامع المعقول والمنقول، والعارف الكامل، والسالك الواصل، والحكيم المتألّه، الحكيم الإلهي، وخاتم الأولياء وغير ذلك الكثير. (حب الله، موقع الشيخ حب الله: الألقاب العلمائيّة (آية الله العظمى..): جولة في تاريخها، وتطورها، والمواقف المختلفة منها، تاريخ النشر 2/ 2 /2015).

الأساطير والمثولوجيا الإسلامية

أولاً: الرموز الإسلامية

1. رموز الكلمات المقدّسة: وهي رموز حروفية تخطّ بها كلماتها بعناية، ومنها رمز لفظ الجلالة (الله) الذي هو أعظم الرموز الإسلامية، ورمز (الله أكبر) الذي يشير إلى الجهاد والحروب الإسلامية، حيث كان يُرفع فيها هذا الشعار أو الرمز، والرمز الطغرائيّ (بسم الله الرحمن الرحيم) وهو بسملة سور القرآن الكريم والذي يشير إلى التبرّك والتفاؤل والبداية الحسنة لكل مقام وخطاب، ورمز الشهادتين (لا إله إلا لله محمد رسول الله) الذي كان يُكتب على راية المسلمين الأوائل.

الله
الله أكبر

الإمام محمد رسول الله

بسم الله الرحمن الرحيم

2. الهلال: وهو رمز قديم ظهر في وادي الرافدين بوضوح وكان يشير لإله القمر (نانا، سين)، وفي الإسلام ارتبط بظهوره على المساجد فوق المآذن والقباب، وبرمزيتته للدلالة على شهر رمضان وعلى التقويم الهجريّ الذي هو تقويم قمريّ. أما ظهوره كرمز للإمبراطورية العثمانية مع النجمة الخماسية التي تمثل كوكب الزهرة فقط ظهر في علمها بلون أبيض على خلفية حمراء عام 1844، وجاء هذا بتأثير من رمز معروف كان شائع الاستخدام في مدينة بيزنطة خلال القرن الأول قبل الميلاد للهلال وبداخله النجمة الثمانية، ثم استخدمته الدولة التركية الحديثة، واستخدمت دول عربية وإسلامية كثيرة رمز الهلال مع أو بدون النجمة بشكل واسع، وفي الخمسينيات والستينيات بدأ استخدامه كرمز للإسلام والمسلمين، أي أنه ليس رمزاً قديماً للإسلام وللمسلمين.



رمز الهلال والنجمة البيزنطيّ



رمز الهلال والنجمة العثمانيّ

3. كَفّ فاطمة: وهو رمز موروث عن المسيحيّة واليهوديّة، وقبل ذلك كان إرثاً مصرياً قديماً لمعرفة مواسم الفصول الزراعيّة وللعرافة الفلكية، ويُسمّى الآن شعبيّاً في مصر (خمسة وخميسة)، ويستعمل كأداة للزينة، وحين ترسم العين في الكف يُستعمل كمضاد للحسد. ويبدو أن اشتقاقه الإسلاميّ تمّ مباشرة عن طريق المسيحيّة التي كانت تسمّيه (كف مريم) فأصبح في الإسلام (كفّ فاطمة). أما اليهوديّة فكانت تشير به لأسفار التوراة الخمسة.

4. ربع الحزب: مصطلح له علاقة بتقسيم القرآن إلى ثلاثين جزءاً، وكل جزء يتم تقسيمه إلى حزبين وكل حزب ينقسم إلى أربعة أجزاء يسمّى الواحد منها (ربع حزب) وتتم الإشارة إلى ربع الحزب في القرآن بالعلامة. أي أن ربع الحزب هو $1/240$ من القرآن حسب تصنيف محسوب. أما التحزيب الموجود اليوم في المصاحف فيقوم على أساس عدد الحروف وقد يكون أقل من هذا العدد. ويفصل بين ربع حزب وآخر بعلامة ربع الحزب وهي عبارة عن مربعين متداخلين ليكوّنا ما يشبه النجمة الثمانية الرؤوس، وتتوسّطها دائرة.



ربع الحزب



كفّ فاطمة

5. السيف: يرمز السيف لقوة الإسلام وللفتوحات الإسلامية، ويأخذ أشكالاً متعددة ومختلفة، وقد عرف العرب السيوف المستقيمة ذوات الحدين القاطعين، منها السيوف اليمانية، ومع بزوغ فجر القرن الثالث عشر الميلادي انتشرت في البلدان الإسلامية السيوف المنحنية ذوات الحد الواحد، وقد ينسب السيف إلى بلد الصنع مثل "سيف هندي" أو "مهند"، و"يمان"، والذي صنع في المشارف بريف العراق يقال له "مشرقي" وغيرها كثير. لكن شعار السيف اشتهر في بداية الإسلام مرسوماً على راية جيش الإمام علي بن أبي طالب، ولعل من أشهر سيوف المسلمين سيف الإمام علي الذي يُسمى بسيف (ذو الفقار) المفلوق النهاية.



سيف (ذو الفقار) رمز الإمام علي بن أبي طالب

ثانياً: مثلوجيا البدايات (الخليقة)

الثيوغونيا:

الرواية الرسمية (القرآنية) للخليقة الإسلامية لا تختلف كثيراً عن الروايتين اليهودية والمسيحية، (وكان عرشه على الماء ليلبؤكم أيكم أحسن عملاً هود/7)، ومن الأحاديث النبوية إضافات مبتسرة فقد ذكر عن أبي رزين قال: "قلت يا رسول الله أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق خلقه؟ قال: (كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء). رواه الترمذي (3109) وابن ماجه (182) وأحمد (15755).

الكوزموغونيا:

تمت عملية الخلق بفتح الاتصال الذي كان بين السماء والأرض، أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما (أي أن الأرض والسماء كانتا واحداً من ثم فصل الله بينهما).

(ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب). [ق: 38]

(وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام). (هود: 7). 7

وقوله سبحانه: أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما (الأنبياء: 3). سبحانه (فقداهن سبع سماوات في يومين [فصلت: 12]. وقوله سبحانه: والسماء بينناها بأيدي وإننا لموسعون (الذاريات: 47). وقوله سبحانه: قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين* وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين* ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين. (فصلت: 9 - 10 - 11).

وفي حديث للرسول قال: كان الله قبل كل شيء، وكان عرشه على الماء، وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض. لم يكن شيء قبله.

وقال أيضاً: خلق الله عز وجل التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق

الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعة الجمعة في ما بين العصر إلى الليل.

أما قصص الأنبياء فتذكر روايات غريبة وعجيبة عن خلق الكون والأرض وراويها الأساس هو ابن عباس الذي يُلقب بـ (حبر الأمة).

الأثر وبوغونيا:

خَلَقَ الْإِنْسَانَ ذَكَرْتَهُ بَعْضُ الْأَحَادِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ) رواه البخاري (6227) ومسلم (2841). (وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ). (الأعراف 11).

ثالثاً: مثولوجيا النهايات (إسكاتولوجيا)

يسمى المسلمون نهاية العالم أسماء عديدة منها (يوم القيامة، الساعة، اليوم الآخر، يوم البعث، يوم الدين، يوم الحسرة، الدار الآخرة.. الخ) وهو زمن فاصل بين عالم الدنيا وعالم الآخرة، ويختلف تصوّر المسلمين لهذا اليوم عنه في اليهودية والمسيحية، لكنه يشبهه من نواحٍ أخرى. يُسمّى يوم القيامة بهذا الاسم لأنه يعني قيامة الأموات من موتهم وتحضيرهم للحساب، وهو نهاية العالم والحياة الدنيا، الموت يسبق القيامة أي أن كل حياة البشر والمخلوقات تنتهي، ثم يُبعث ويقوم البشر من موتهم ويُبعثون من قبورهم ثم يبدأ الحساب الإلهي لهم، فالمؤمنون الأختيار يُجازون بالجنة والكفار والمشركون الأشرار بالنار.

يؤمن المسلمون أن يوم القيامة له علامات تظهر قبل حصوله، وتُسمى هذه العلامات بـ (أشراط الساعة) أو (علامات يوم القيامة) وتُقسّم إلى علامات تظهر بالتتابع وهي: صغرى، وسطى، كبرى. وهناك علامات أساسية عامة تحدّث عنها القرآن.

أولاً: العلامات الأساسية في القرآن الكريم وهي:

1. النفخ بالصور: حيث يقوم الملاك إسرئيل بالنفخ بالصور وإعلان عن بداية القيامة "وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ". (الأنعام 73: 6).
2. اجتماع الشمس والقمر: حيث يُخسف القمر ويجتمع بالشمس "يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَإِذَا بَرِقَ الْبَصُرُ. وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ". (القيامة 75: 6 - 10).

ثانياً: علامات الساعة:

- وردت في الكتب الدينية مجموعة كبيرة من علامات الساعة يمكن أن تُصنّف إلى ثلاثة أصناف. وهي:
1. العلامات الصغرى: وهي العلامات التي ظهرت في الماضي وعددها حوالي 90 علامة، مثل بعثة ووفاء النبي محمد، وانشقاق القمر، وخروج النار العظيمة في المدينة، انتهاء حكم الصحابة، انشقاق القمر، كثرة الصواعق عند اقتراب الساعة، كثرة موت الفجأة.. الخ.
 2. العلامات الوسطى: وهي العلامات التي ما زالت تظهر وتزداد وعددها يقترب من 40 علامة

ومنها: ظهور المسخ، مطر لا تكن منه بيوت المدر، نزول المطر من السماء ولا تنبت الأرض شيئاً، كلام الشجر نصرة للمسلمين، كلام الحجر نصرة للمسلمين، قتال المسلمين لليهود، يحسر الفرات عن جبل من ذهب، عودة جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً، ظهور فتنة الأحلاس، أن تلد الأمة ربته، وتطاول الحفاة العراة في البنيان، وخروج ثلاثين دجالاً يدعون النبوة... الخ.

3. العلامات الكبرى: وهي سبع علامات متفق عليها تقريباً هي:

1. ظهور المهدي.
 2. ظهور الدابة المتكلمة بلغة البشر.
 3. طلوع الشمس من المغرب مع الدخان.
 4. ظهور الأعرور الدجال على أنه المسيح المنتظر.
 5. ظهور السيد المسيح بن مريم وهزيمته للأعرور الدجال.
 6. ظهور ياجوج وماجوج.
 7. ظهور الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين، وبقاء الفاسدين.
- واعتماداً على حديث نبوي يرى البعض أنها عشر علامات تكون الساعة بعدها مباشرة "قال حذيفة رضي الله عنه: "أطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذكرون؟ قالوا نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر:

- 1- الدخان.
- 2- الدجال.
- 3- الدابة.
- 4- طلوع الشمس من مغربها.
- 5- نزول عيسى بن مريم عليه السلام.
- 6- ياجوج وماجوج.
- 7- خسف بالمشرق.
- 8- خسف بالمغرب.
- 9- خسف بجزيرة العرب.
- 10- نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم". (رواه مسلم، من حديث حذيفة بن أسيد).

ثالثاً: الساعة:

نفخ الصور من قبل إسرئيل، فيموت الناس كلهم ويتصاعد صوت البوق فتتصادم الكواكب وتنشق السماء وتهيج البحار وتزلزل الأرض، ثم يكون الانفجار العظيم وينتهي العالم.

رابعاً: موت البشر:

يموت البشر وكل الكائنات الحيّة.

خامساً: يوم القيامة:

لم يختلف المسلمون كثيراً في روحانيّة وجسمانيّة المعاد، فأهل السنة والجماعة يرون أن المعاد روحانيّ وجسمانيّ، والكثير من علماء المذهب الشيعي الأثنى عشري: أن المعاد جسمانيّ وروحانيّ، واختلف رأي الفلاسفة والمتكلمة والعلماء حول كونه روحانيّاً أو جسمانيّاً أو الإثنين معاً. ويتضمن يوم القيامة (البعث والنشور) والبعث شرعيّاً هو إحياء الله للموتق وإخراجهم من

قبورهم أحياء للحساب والجزاء، والنشور هو انتشار الناس من قبورهم إلى الموقف للحساب والجزاء.

مراحل يوم القيامة وهي عشر مراحل:

1. قيام الساعة، 2. البعث من القبور، 3. الحشر، 4. العرض والسؤال، 5. أخذ كتب الأعمال، 6. الحساب، 7. الميزان، 8. الصراط، 9. الحوض، 10. الجنة والنار.

التصنيع السياسي الإسلامي لإسطورة نهاية العالم ولمعركة هرمجدون:

ساهم الإسلام السياسي باستثمار أسطورة نهاية العالم وجعلها تحاكي وتترتب بالأسطورتين السياسييتين لليهودية والمسيحية، فنحتوا هذه الأسطورة لكي توافق أحداثها الموضوعية في كتب وشروح الأحاديث النبوية وغيرها، ولعل أشهر هذه الأحداث التي أريد منها التمهيد لقيام الساعة وظهور المهدي هو ما عُرف باقتحام الحرم المكي عام 1979 من قبل جهيمان العتيبي وهو مواطن سعودي اقتحم الحرم المكي هو ونفر من جماعته إبان عهد الملك خالد بن عبد العزيز، طالبين البيعة لمحمد بن عبد الله القحطاني صهر جهيمان بزعم أنه المهدي المنتظر، وقاموا باحتجاز عددٍ من المصلين كرهائن، حتى قامت القوات السعودية بتحريرهم وقتل المهدي المزعوم وعددٍ من المهاجمين، ثم أسر جهيمان وأعدم مع من تبقى من جماعته. كما قامت داعش بإصدار كتيب لها بعنوان (دابق موعدا) واستثمرت فيه أصول ورموز آخر الزمان والأحاديث الموضوعية عن نزول الروم في منطقة (الأعماق) وهي منطقة تتبع أنطاكية جنوب تركيا، أو في (دابق) التابعة لحلب في شمال سوريا، حيث يخرج لهم جيش من المدينة (والمقصود بها دمشق حسب تفسير ابن كثير). قامت داعش، من خلال هذه الأسطورة السياسية، بتحشيد عشرات الآلاف من المتطرفين ليتحوّلوا إلى وقودٍ للحرب الفاشلة التي شنّوها على سوريا ولتنكسر خرافتهم هذه.

الطقوس والشعائر الإسلامية

أولاً: الطقوس الأساسية

الأركان الخمسة للإسلام:

- أركان الإسلام مصطلح إسلامي، يُطلق على الأسس الخمسة التي يُبنى عليها دين الإسلام، ويدلّ عليها حديث نبويّ. ويقع أغلبها في ما يُعرف بالطقوس والشعائر وهي:
1. الشهادتان: أي النطق بالشهادتين الأساسيتين في الإسلام وهما (أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن محمداً رسول الله)، وهو إعلان عن التوحيد بالله والإيمان برسالة الإسلام التي جاء بها النبي محمد رسولاً من الله.
 2. الصلاة: وهي الطقس الأساسي في الإسلام والذي يشكّل العمود الفقريّ له، وصلوات الإسلام خمسة في اليوم الواحد وهي: الفجر، الظهر، العصر، المغرب، العشاء. ولها أوقاتها المحددة ويسبقها جميعاً وضوء محدد التفاصيل كطقس تهديديّ لها.
 3. الصوم: صوم شهر رمضان، ويكون الصوم انقطاعاً عن الطعام والشراب من الفجر حتى الغروب أي نهاراً كاملاً، والمفروض أنه صوم عن كل الفواحش والمندسات.
 4. الزكاة: ما ينفقه المتصدّق من المال المؤدّي، أي: الذي يُخرجه المزكي وينفقه على غيره من المسلمين.

5. الحج: حج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، أي للقادرين عليه.

ثانياً: الطقوس الدورية

تنقسم الأعياد الإسلامية إلى أعياد أساسية وهي أعياد طقسية تشمل العيدين الكبير والصغير (الأضحى والفطر) ويُجمع المسلمون عليهما بمختلف فرقهم وطوائفهم، وأعياد ثانوية (رأس السنة الهجرية، الإسراء والمعراج، مولد النبي) وهي أعياد تاريخية تخص مناسبات تاريخية يختلف المسلمون عليها، وهي كما يلي:

1. عيد الفطر: العيد الذي يأتي مباشرة بعد صيام شهر رمضان، ويكون في أول يوم من أيام شهر شوال. وهو أول يوم يفطر فيه المسلمون بعد صيام شهر كامل ولذلك سُمي بعيد الفطر. أول عيد فطر احتفل فيه المسلمون في الإسلام كان في السنة الثانية للهجرة. ومدته الشرعية يوم واحد ولكن الأعراف الاجتماعية جعلت من أيام هذا العيد ثلاثة أيام.

2. عيد الأضحى: وهو العيد الذي يوافق يوم 10 ذو الحجة بعد انتهاء وقفة يوم عرفة، الموقف الذي يقف فيه الحجاج المسلمون لتأدية مناسك الحج، وينتهي يوم 13 ذو الحجة. وله أسماء مختلفة منها: يوم النحر، والعيد الكبير، وعيد الحجاج، وغيرها. وسبب تسميته بالأضحى مرتبط بالتضحية بذبح أحد الأنعام، لأن هذا العيد هو بمثابة استعادة ذكرى قصة إبراهيم عندما رأى رؤية أمره فيها الله بالتضحية بابنه إسماعيل، وبعد استعداده وابنه لتنفيذ الرؤيا، أمره الله بعدها بذبح أضحية بدلاً عن ابنه، لذلك يقوم المسلمون بالتقرب إلى الله في هذا اليوم بالتضحية بأحد الأنعام (خروف، أو بقرة، أو جمل) وتوزيع لحم الأضحية على الأقارب والفقراء وأهل بيتهم، ومن هنا جاءت تسمية عيد الأضحى.

3. عيد رأس السنة الهجرية: هو اليوم الأول من شهر محرم، وهو بداية التقويم الإسلامي. وسبب العيد هو هجرة الرسول محمد من مكة إلى المدينة بعد أن اضطهده قريش. وكانت محاولة ناجحة ابتداء بها تاريخ إسلامي نوعي، ففي المدينة تأسست دولة الرسول التي أصبحت نواة للدولة الإسلامية في ما بعد.

4. الإسراء والمعراج: تباينت الآراء في تاريخ حادثة الإسراء والمعراج. فقال النووي وابن حزم إنها كانت قبل الهجرة بسنة واحدة، أما القاضي فرأى أنها حدثت قبل الهجرة النبوية بخمس سنوات، كما تباينوا في تحديد شهر هذه الحادثة المباركة؛ فرأى ابن الأثير والنووي أنها وقعت شهر ربيع الأول ذكرى هذه الحادثة، وقال النووي إنها كانت ليلة السابع والعشرين، وقيل إنها كانت في شهر رجب، أو شهر رمضان، أو شهر شوال. وبشكل عام يحتفل المسلمون بذكرى الإسراء والمعراج في يوم 27 من رجب لحادثة مقدسة حصلت حوالي عام 620 ميلادي. أما تسلسل حوادثها فكان إسراء الذهاب من مكة إلى المدينة وكان المعراج صعوداً من المدينة إلى السماء ثم نزولاً إلى بيت المقدس ثم إسراء العودة إلى المدينة ثم إلى مكة.

5. عيد المولد النبوي: هو يوم مولد الرسول محمد في 12 ربيع الأول، حيث يحتفل به المسلمون في كل عام بولادة نبيهم. حيث تبدأ الاحتفالات الشعبية من بداية شهر ربيع الأول إلى نهايته، بإقامة مجالس تتخللها أناشيد وقصائد مدح النبي، وتتضمن سيرته وصفاته وسننه، ويُقدّم فيها الطعام والحلوى، مثل حلاوة المولد.

الفهارس

فهرس المراجع
فهرس الأعمال الفكرية والإبداعية للمؤلف

فهرس المراجع المراجع العربية

الكتب المقدسة (حسب التسلسل الأبجديّ لأسمائها):

1. العهد الجديد: رؤيا يوحنا: 11 / 16 - 19.

2. العهد القديم:

التكوين 6: 10، التكوين 10: 13، 14، التكوين 9: 25 - 27، التكوين 3: 31 و7: 35، التكوين 32، 22 - 32، سفر اللاويين 16: 8، سفر التثنية 24: 32، سفر التثنية 33 - 2، عاموس: 604: 5، المزامير 3: 76، سفر أيوب 7: 5، سفر أشعيا: 2/2 - 4، عوبديا 15 - 17، ملاخي 4: 1 - 4، دانيال 12: 1 - 3،

3. القرآن الكريم:

سورة النساء: 36، الأنعام 73: 6، القيامة 75: 6 - 10

1. الأحمد، سامي سعيد: العراق القديم. كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد (1978).
2. الأحمد، د. سامي سعيد: المعتقدات الدينيّة في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1988).
3. الطبعة الثانية المرکز الأكاديمي للأبحاث، بيروت (2013).
3. أحمد، علي صقر: الموروث الثقافي واللغوي في تدمر القديمة، مجلة جامعة البعث، المجلد 39، العدد 4، دمشق (2017).
4. الأمين، محمود: أكيثو أو أعياد رأس السنة البابليّة وعقيدة الخلود والبعث بعد الموت، مجلة كلية الآداب ج. 5، جامعة بغداد، بغداد (1962).
5. إدواردتسون، ماري: الديانة البابليّة، ترجمة عدنان حسن، عن موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، ط. 2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق (2007).
6. الأثرم، محمد رجب: دراسات تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1996.
7. أبونا، ألبير: تاريخ الكنيسة الشرقية، ج. 1 من انتشار المسيحيّة حتى مجيء الإسلام، ط. 2، د. م.، بغداد (1985).
8. أذارد، د. وجماعته: قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة، مكتبة سومر حلب - السليمانية (1987)، الطبعة الثانية دار الشرق العربي، حلب (2000).
9. أرمان، أدولف 1995: ديانة مصر القديمة، ترجمة د. عبد المنعم أبو بكر، د. محمد أنور شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة.
10. أرمسترونج، كارين: تاريخ الكتاب المقدس، ترجمة د. محمد الصفار، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة (2010).
11. إسماعيل، بهيجة خليل: الكتابة - الفصل السابع من كتاب حضارة العراق ج. 1، بغداد (1975).
12. إسماعيل، حلمي محروس: الشرق العربي القديم وحضاراته بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربيّة القديمة، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة (1997).
13. إسماعيل، محمد الحسيني: البعد الدينيّ في الصراع العربيّ الإسرائيليّ، مكتبة وهبة، القاهرة، (2000).

14. إلياد، مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينيّة ج. 1. ترجمة عبد الهادي عباس دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق (1986).
15. إلياد، مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينيّة، ج. 1، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق، دمشق (1986 - 1987). الطبعة الثانية (2006).
16. إلياد مرسيا: أسطورة العود الأبديّ، ترجمة نهاد خياطة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق (1987).
17. إلياد مرسيا: المقدّس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس المحامي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (1988).
18. أوفيد: مسخ الكائنات (ميتامورفوس)، ترجمة ثروت عكاشة، ط. 1، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، القاهرة (1971).
19. أونكر، إيكارد: أدبا أريدو، "مجلة سومر" العدد 9 دائرة الآثار العامة، بغداد (1953).
20. باردنر، جفري: المعتقدات الدينيّة لدى الشعوب، ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام/مراجعة د. عبد الغفار مكاوي، سلسلة عالم المعرفة 173، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (1993).
21. بارو، اندري: سومر فنونها وحضارتها، ترجمة وتعليق د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد (1977، 1979).
22. باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج. 1، دار البيان، بغداد، دار الثقافة، بيروت (1973)، الطبعة الثانية. وطبعة جديدة لشركة دار الوراق للنشر المحدودة، لندن (2009).
23. باقر، طه: ملحمة جلجامش، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد (1980).
24. بدج، والس: الديانة الفرعونيّة. ترجمة وتقديم يوسف سامي اليوسف / منشورات دار منارات: عمّان (1985).
25. براون، سينثيا ستوكس: تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى الزمن الحاضر، ترجمة وتقديم أيمن توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة (2010).
26. برنال، مارتن: أثينة السوداء (الجدور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكيّة) الجزء الأول: تليفق بلاد الأغرّيق (1785 - 1985) تحرير ومراجعة وتقديم د. أحمد عثمان، ترجمة مجموعة من المترجمين، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة (1997).
27. براهيه، أميل: تاريخ الفلسفة اليونانيّة ج. 1، ترجمة جورج طرايشيّ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (1982).
28. براهيه: أميل: تاريخ الفلسفة ج. 2 الفلسفة الهيلنستيّة والرومانيّة، ط. 2، ترجمة جورج طرايشيّ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (1988).
29. بنت بطوطة، د. ت.: فينيقية، ترجمة عن الفرنسية الأستاذ ف. ك.، مطبعة حليبي في دمنهور (1365 هـ).
30. بوتيرو، جان: بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة، ترجمة الأب البير أبونا، مراجعة د. وليد الجادر، دائرة الشؤون والثقافة العامة، بغداد (1990).
31. تاتون، رينيه، 1988: تاريخ العلوم العام (العلم القديم والوسيط)، ترجمة د. علي مقلد. ط. 1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (1988).
32. تشيرني: ياروسلاف: الديانة المصريّة القديمة، دار الشروق، القاهرة (1996).

33. توينبي، ارنولد: تاريخ البشرية ج. 1، ترجمة د. نقولا زيادة. الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، (1981).
34. توكاريف، سيرغي أ.: الأديان في تاريخ الشعوب، ترجمة د. أحمد م. فاضل، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (1988).
35. الجابري، محمد عابد: بنية العقل العربي، ط. 10، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (2010).
36. الجربي، فيصل علي أسعد: الفينيقيون في ليبيا من 1106 ق.م. حتى القرن الثاني الميلادي، ط. 1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي (1996).
37. جمبوتاس، ماريان: الديانة الباليوليتية في أوروبا القديمة، ترجمة عدنان حسن، عن موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، ط. 2، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق (2007).
38. جمعة، د. بديع محمد: أسطورة فينوس وأدونيس (دراسات في الأدب المقارن 2)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (1981).
39. جندي، خليل: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية، منشورات رابون، أبسالا (1998).
40. جوردون، سيروس: الأساطير الكنعانية، عن كتاب أساطير العالم القديم، د. صموئيل نوح كرم، ترجمة د. أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة د. عبد المنعم أبو بكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1974).
41. جيرار، رينيه: العنف المقدس، ترجمة جهاد هوش، عبد الهادي عباس، دار الحصاد، دمشق (1992).
42. حاتم، د. عماد: أساطير اليونان، الدار العربية للكتاب، طرابلس (1988).
43. حسين، آياد محمد وعامر محمد حسين: الفكر العقائدي للديانة المانوية، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية والعلوم السياسية، المجلد 33، العدد 1، آذار (2015).
44. الحفني، عبد المنعم: موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، القاهرة (1994).
45. حمّود، محمود: الديانة السوروية القديمة خلال عصري البرونز الحديث والحديد (1600 - 333 ق.م)، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق (2014).
46. الحوت، محمد سليم: في طريق المثلوجيا عند العرب. مطبعة دار الكتب. بيروت 1955.
47. حداد، د. حسني ود. سليم مجاعص: بعل هداد. دراسة في التاريخ الديني السوري، دار أمواج، دمشق. 1993.
48. حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت؛ ط. 2، دائرة الشؤون الثقافية العامة بغداد، 1986، ص. 32.
49. الحوراني، يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، دار النهار للنشر، بيروت (1978).
50. الحوراني، ميسون: الطقوس والمعتقدات في العصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى القديم (حوالي 8500 - 4500 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك: إربد (1998).
51. الخادم، سعد: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية، الألف كتاب الأول (488)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د.ت).
52. خان، عبد المعيد: الأساطير والخرافات عند العرب، دار الحداثة، ط. 3، بيروت 1981.
53. الخضري، حنا جرجيس: تاريخ الفكر المسيحي، المجلد الأول (يسوع المسيح عبر الأجيال)، دار الثقافة العربية، القاهرة (1994).
54. الخشاب، أحمد: الاجتماع الديني مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة القاهرة

- الحديثة، القاهرة (د. ت) الطبعة الثانية، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة (1966).
55. الخوري، لطفي: معجم الأساطير، ج. 2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1990).
56. دالبر، رولان: طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية، ترجمة د. حافظ الجمالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (1983).
57. الدبّاع، د. تقي: تطوّر بنيات البشريّات، مجلة بين النهرين، السنة العاشرة، العددان 37 - 38، مطرانية الموصل، الموصل (1982).
58. الدبّاع، د تقي الدّين والجادر، د وليد: عصور قبل التاريخ، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، (1983).
59. دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج. 1، ط. 1، مطبعة عيسى الباي الحلبي وشركاه، الجزائر (1964).
60. دويون - سومر، أ.: الآراميون، تعريب ناظم الجندي، مراجعة وتقديم د. توفيق سليمان. منشورات دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع. طرسوس.
61. فرانسوا دوما: حضارة مصر الفرعونية، ترجمة ماهر جويجاتي، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، موسوعة مصر القديمة، القاهرة (1998).
62. أبو دية، عبد السميع علي أحمد: دراسة في فن النحت بعمّون ما بين 900 - 600 ق.م، رسالة ماجستير بإشراف د. محمد خير ياسين وأ. د. عدنان الحديد. كلية الآداب، قسم الآثار، الجامعة الأردنية، عمّان (1978).
63. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، مكتبة النوري. دمشق (1998).
64. رايلي، كافين، الغرب والعالم تاريخ الحضارة من خلال موضوعات، الجزء 1، سلسلة عالم المعرفة، رقم 90، الكويت (1985).
65. رشيد، فوزي: وأد البنات ونظام تعدّد الأزواج في عصور ما قبل التاريخ، مجلة سومر، المؤسسة العامة للآثار والتراث ج. 1، 2، مجلد 36، بغداد (1980).
66. رشيد، فوزي: مَنْ هم السومريّون؟ مجلة آفاق عربية، العدد 12 السنة 8، دار آفاق عربية، بغداد (1981).
67. رزوق، رزوق فرج: حقائق الاستشهاد، وزارة الإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد (1982).
68. روثن، مارغريت: علوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت (1980).
69. روهلنغ، شارل لوران: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة يوسف نصر الله، مطبعة المعارف، القاهرة (1899).
70. ريجفوك، درايسلاف: الديانة البابليونية، ترجمة عدنان حسن، عن موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، ط. 2، دار علاء الدّين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق (2007).
71. زهدي، بشير: تاكي وتمثيلها في المتحف الوطني بدمشق ق.م. مجلة الحوليات الأثرية السورية، مجلد 16، دمشق (1966).
72. زيل، أ. هـ. فان: المؤابيون، تعريب وإعداد: د. خير ياسين، نشر الجامعة الأردنية سلسلة تاريخ الأردن، عمّان (1990).
73. ساغز، هاري: عظمة بابل، ترجمة خالغ أسعد عيسو وأحمد غسان سبانو، دار رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (2008).
74. السايح، إبراهيم: مدائن صالح من مملكة الأنباط إلى مدينة الفقراء، دار البستاني للنشر

- والتوزيع، القاهرة (2000).
75. السامرائي، شيماء، العلاقة بين مملكة الحيرة وقبائل نجد وشرق شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، الدار العربية للموسوعات، ط. 1، بيروت (2012).
76. سبنسر، أ.ج.: الموق وعالمهم في مصر القديمة، ترجمة أحمد صليحة، الألف كتاب الثاني 39، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1987).
77. السعدي، قيس مغشغش: معجم المفردات المندائية في العمارة العراقية. دار درابشا. المانيا (2008).
78. السقا، أحمد حجازي: معركة هَرَمَجَدُون حقيقة أم خيال، مكتبة جزيرة الورد، المنصورة (2002).
79. السواح، فراس: لغز عشتار، سومر للدراسات والنشر - قبرص. نيقوسيا، دار غربال، دمشق ط. 2 (1986)، طبعة دار علاء الدين للنشر، دمشق (1993).
80. السواح، فراس: دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)، منشورات دار علاء الدين، دمشق (1994).
81. السواح، فراس: مغامرة العقل الأولى، ط. 11، دار علاء الدين للنشر (1996).
82. السواح، فراس: تاريخ أورشليم والبحث عن مملكة اليهود، دار علاء الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (2003).
83. سونبرون، سيرج: الكهان في مصر القديمة، ترجمة زينب الكردي وأحمد البدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1975)، ترجمة عيسى طنوس، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (1994).
84. السمساطي، لوقيانوس: الآلهة السوروية. إعداد باريو مونييه ترجمة موسى ديب الخوري. أجدية 7. الأجدية للنشر. دمشق (1992).
85. الشامي، رشاد: موسوعة المصطلحات الدينية اليهودية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة (2002).
86. شكري، محمد أنور: العمارة في مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1986).
87. الشطي، عبد الفتاح عبد المحسن: شعراء إمارة الحيرة في العصر الجاهلي، دار قباء، القاهرة (1998).
88. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير - سومر وآكاد وأشور - الكتاب الأول، تقديم وإشراف أدونيس، دار الساقى، بيروت (1996).
89. شمار، جورج بوييه: المسؤولية الجزائرية في الآداب الآشورية، ترجمة سليم الصويلي، الدار العربية للموسوعات، بيروت (1981).
90. الشوفي، نزيه: التليفق الصهيوني واغتيال التاريخ ج. 2، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (2003).
91. الشوك علي: من روائع الشعر السومري، منشورات الجمل ألمانيا (1992).
92. شيفمان، أ. ش.: ثقافة أوغاريت (في القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد) ترجمة د. حسان ميخائيل أسحق، الأجدية للنشر، دمشق (1988).
93. صالح، عبدالعزيز: الأسرة في المجتمع المصري القديم، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المكتبة الثقافية 44، القاهرة (1961).
94. أبو طالب، محمود: آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة، منشورات وزارة الثقافة

- والشباب، ط. 1، عمّان (1978).
95. طاهري، صادق: نظرية المهدوية في الديانات، مقارنة علمية، القسم الأول، ترجمة محمد عبد الرزاق، مجلة المناهج، العدد 42، (2006).
96. طرابيشي، جورج: من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث النشأة المستأنفة، دار الساقى، بيروت (2010).
97. الطعان، عبد الرضا، الفكر السياسي في العراق القديم، ج. 2، دار الرشيد للنشر، بغداد (1981).
98. طقوش، محمد سهيل: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط. 3، دار النفائس، بيروت (2013).
99. طوقان، فواز: ترجمة نقش الملك ميشع ضمن دراسة عن اللغة المؤابية، حولىة دائرة الآثار الأردنية، رقم (15) 1970، ص. 19 - 51، عمّان (1970).
100. عبيد، فكري جواد: أثر الفلسفة في تطوير مفهوم النبوة عند اليهود، فلسفة ابن ميمون أمودجاً، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 38 (2015).
101. عبد القادر، حامد: الأمم السامية: مصادر تاريخها وحضارتها، مراجعة وتعليق دكتور عوني عبد الرؤوف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة (1981).
102. العبادي، محمود: عمان في ماضيها وحاضرها، منشورات أمانة عمان، عمان (1971).
103. عباس، إحسان: تاريخ دولة الأنباط، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان (1987).
104. عبد الحكيم، شوقي: موسوعة الفولكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت (1982).
105. عبد الغني، عارف، تاريخ الحيرة في الجاهلية والإسلام، دار كنان، د م، دمشق (1993).
106. عبد الغني، محمد السيد محمد: بعض ملامح الفكر اليوناني القديم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية (1999).
107. عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية وولادتها. دار الفارابي، بيروت (1994).
108. عبد الحليم، نبيلة محمد: معالم التاريخ الحضاري والسياسي في مصر الفرعونية، منشأة المعارف، الإسكندرية (1988).
109. عزب، خالد وأيمن منصور: الأهرامات المصرية (أسطورة البناء والواقع)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة (2000).
110. عصفور، محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (1981).
111. أبو عساف، علي: الآراميون تاريخاً ولغةً وفناً، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع، طرسوس (1988).
112. عكاشة، د. ثروت: الفن العراقي (سومر وبابل وآشور)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (د. ت.).
113. عكاشة، ثروت: الإغريق بين الأسطورة والإبداع، ط. 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1994).
114. علام، نعمت إسماعيل: فنون الشرق الأوسط في الفترات الهيلنستية المسيحية الساسانية، ط. 2، دار المعارف بمصر، القاهرة (1980).

115. علي، جواد: تاريخ العرب قبل الإسلام. ج. 3. مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد (1953). ط. 2 جامعة بغداد (1993)، طبعة دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، بيروت (1980).
116. علي، فاضل عبد الواحد: الطوفان، جامعة بغداد، بغداد (1975).
117. علي، عبد اللطيف أحمد: التاريخ اليوناني (العصر الهلنستي)، ج. 1 - 2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (1971).
118. العلي، بلال موسى: قصة الرمز الديني - دراسة حول الرموز الدينية ودلالاتها في الشرق الأدنى القديم والمسيحية والإسلام وما قبله، ردمك ISBN9789948164326، د. د. (2011).
119. عطية، عزيز سوريل: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (2005).
120. عليوي، نائل حنون: المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة، ج. 1، دمشق، (2006).
121. عويس، سيد: الخلود في التراث الثقافي المصري، دار المعارف في مصر، القاهرة (1966).
122. غارودي، روجيه: فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة قصي أناسي، ميشيل واكيم. طلاس للدراسات والترجمة والنشر (1988).
123. غريمال، بيار: المثلوجيا اليونانية، ترجمة هنري زغيب، ط. 1، منشورات عويدات. بيروت - باريس (1982).
124. الفاسي، هتون أجواد: الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية، الرياض (1994).
125. فالنكشتاين أ.: ترتيبة أريدو، مجلة سومر، الجزء الثاني، المجلد السابع، مديرية الآثار العامة، بغداد (1951).
126. فرجيل: الأليادة، ترجمة عنبرة سلام الخالدي، ط. 2، دار العلم للملايين، بيروت (1978).
127. فريحة، أنيس: ملاحم وأساطير من أوغاريت (رأس شمرا)، دار النهار للنشر، بيروت (1980).
128. فريزر، جيمس: أدونيس وقوز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (1979).
129. الفيومي، محمد إبراهيم: الفرق الإسلامية وحق الأمة السياسي، دار الشروق، القاهرة وبيروت، (1998).
130. فرويد، سيجموند: الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الطليعة، بيروت (1983).
131. فريزر، سير جيمس: قوز أو أدونيس، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (1982).
132. فريشاور، بول: الجنس في العالم القديم، ترجمة فائق دحدوح، دار الكندي للترجمة والنشر، دمشق (1988).
133. فورستر، أ. م: الإسكندرية تاريخ ودليل، ترجمة حسين بيومين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (2000).
134. قاشا، سهيل، صفحات من تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، 2005م.
135. الفزويني، محمد كاظم، موسوعة الإمام الصادق، مؤسسة نشر علوم الإمام الصادق، ط. 1، ج. 2، قم، إيران (1415 هـ).

136. القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، دار سينا للنشر ط. 2، القاهرة (1993).
137. كامل، مراد وآخرون: تاريخ الأدب السرياني من نشأته إلى العصر الحاضر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (1948).
138. كرم يوسف: تاريخ الفلسفة اليونانية، طبعة جديدة، دار القلم بيروت (د. ت.).
139. الكرمانى، أحمد بن حميد الدين بن عبد الله: راحة العقل، تحقيق مصطفى غالب، ط. 2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (1983).
140. كريم، صموئيل نوح: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مراجعة د. أحمد فخري، المثنى، الخانجي بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، القاهرة (د. ت.) و (1957).
141. كريم، صموئيل نوح: الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، نشر جمعية المترجمين العراقيين، بغداد (1971).
142. كريم، صموئيل نوح: طقوس الجنس المقدسة عند السومريين، ترجمة نهاد خياطة، دار الغربال، دمشق (1986).
143. ابن الكلبي، أبو المنذور هشام بن محمد بن السائب: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصريّة، القاهرة 1960.
144. كوب، كاتي وهارولد جولد وايت: إبداعات النار (تاريخ الكيمياء المثير من السيميائية إلى العصر الذري)، ترجمة دكتور فتح الله الشيخ ومراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة العدد 266، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (2001).
145. كورهان، أرليت لوروا: إنسان نياندرتال في كهف شانيدر. ترجمة جميل حمودي، مجلة سومر، الهيئة العامة للآثار، المجلد 25، بغداد (1969).
146. كوفان، جاك: الوحدة الحضارية في بلاد الشام بين الألفين التاسع والسابع قبل الميلاد، ترجمة، قاسم طوير (1984).
147. كوفان، جاك: ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، ترجمة د. سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة، دمشق (1988).
148. كونتينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي وبرهان التكريتي، دار الرشيد للنشر، بغداد (1979).
149. كنعان، جورجى: محمد واليهودية، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت (1999).
150. لابات، رينيه: المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين - مختارات من النصوص البابلية - ترجمة الأب ألبير أبونا والدكتور وليد الجادر، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد (1988).
151. لونوار، فريدريك: المصنف الوجيز في تاريخ الأديان، ترجمة محمد الحداد، مراجعة حافظ قويعه، دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس (2012).
152. لويد، سيتون: آثار بلاد الرافدين، ترجمة الدكتور سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد للنشر، بغداد (1980).
153. ليبس، يوليوس: أصل الأشياء - بدايات الثقافة الإنسانية، ترجمة الدكتور سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة، دمشق (1988).
154. ماسيرو، غاستون: تاريخ المشرق، ترجمة أحمد زكي، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة (2014).
155. محمود، ليث شاكر: المسيحية العربية وعلاقتها بالإمبراطورية البيزنطية قبل الإسلام.

- (Ilkcağlardan İslamiyetin Dogusuna Kadar Orta Dogu. Elazig , 29 - 31 Mayıs. (2009
156. محيسن، سلطان: الصيادون الأوائل، دار الأبيديّة، دمشق (1991).
157. مجموعة مؤلفين: المتولوجيا ونشوء العبادات القديمة، ترجمة د. حسان إسحاق، الأبيديّة للنشر، دمشق (1993).
158. مجموعة مؤلفين: الأسطورة والرمز، (المقدمة: برنيس سلوت)، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، وزارة الإعلام، بغداد (1973).
159. المسيري، عبد الوهاب: الموسوعة اليهوديّة (موسوعة اليهود واليهوديّة والصهيونيّة)، ج. 5، دار الشروق، القاهرة (1999).
160. مطر، سليم: الذات الجريحة، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت (2000).
161. مقار، شفيق: قراءة سياسيّة للتوراة، منشورات رياض الريس للكتب والنشر، بيروت (1987).
162. مهران، محمد بيومي: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، الحضارة المصريّة، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية (1984).
163. الموسوعة المصريّة (مجموعة مؤلفين، عبد المنعم أبو بكر): تاريخ مصر القديمة وآثارها، المجلد الأول، ج. 1، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة (د. ت.).
164. مكخفرن، باتريك: الأرجوان السوريّ (لون الآلهة والملوك) ترجمة، مريم أحمد سلامة، مجلة آثار العرب، مصلحة الآثار في طرابلس، العدد الخامس، سبتمبر (1999).
165. ميدان، مادلين هورس: تاريخ قرطاج، ترجمة إبراهيم بالش، ط. 1، منشورات عويدات، بيروت، باريس (1981).
166. موسكاتي، سبينيون: الحضارات الساميّة القديمة، ترجمه د. السيد يعقوب بكر. دار الكاتب العربيّ للطباعة والنشر، القاهرة (د. ت.).
167. ميديكو، هي.، ديل: اللألئ (من النصوص الكنعانيّة)، بقلم كبير كهنة أوغاريت إيلي ميليكو. ترجمة وتعليق مفيد عرنوق، ط. 1، منشورات مجلة فكر، بيروت (1980).
168. هارندنج، لانكستر: آثار الأردن، ترجمة سليمان موسى، ط. 2، وزارة السياحة والآثار في الأردن، عمّان (1971).
169. الهاشمي، رضا جواد، حضارة العراق، ج. 2، بغداد (1975).
170. هلال، رضا: المسيح اليهوديّ ونهاية العام: المسيحيّة السياسيّة والأصولية الأمريكيّة، ط. 3، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، (2004).
171. هورنونج، اريك: وادي الملوك (العالم الآخر لدى القدماء المصريّين)، ترجمة محمد العزب موسى، القاهرة (1990).
172. هوك س. هـ.: "ديانة بابل وآشور"، ترجمة نهاد خياطة العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (1978).
173. الوردی، محمود فارس: المدافن في العراق القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، الموصل (2006).
174. الوردی، علي: دراسة في سوسولوجيا الإسلام، ترجمة رافد الأسدي، مراجعة ماجد شبر، مكتبة الفجر الجديد، الوراق للنشر المحدودة، لندن (2013).
175. وولي، ل وهاوكس: أضواء على العصر الحجريّ الحديث، ثلاثة فصول مترجمة من كتاب (ما قبل التاريخ وبداية المدنيّة)، ترجمة يسر الجوهري، دار المعارف، القاهرة (1967).

176. الناضوري، رشيد: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت (1976).
177. ناي، مالوري: الدين.. الأسس، ترجمة هند عبد الستار، مراجعة جبور سمعان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت (2003).
178. ابن النديم 1260: الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت (1977).
179. نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، ج. 2، رضا جواد الهاشمي، دار الجيل، بيروت (1985).
180. النشار، مصطفى: مدرسة الإسكندرية الفلسفية بين التراث الشرقي والفلسفة اليونانية، دار المعارف، القاهرة (1995).
181. النعيمي، راجحة خضر عباس: الأعياد في حضارة بلاد وادي الرافدين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم الآثار، بغداد (1976).
182. النعيمي، راجحة خضر: أعياد رأس السنة البابلية، مجلة سومر، ج. 1، ج. 2، الدائرة والآثار المجلد 47، بغداد (1990).
183. نغرين، جيو وايد، ماني والمناوية، ترجمة د. سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، دمشق (د. ت.).
184. نور الدين، عبد الحلیم: موسوعة مصر الحديثة، مجلد 10 - الآثار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1996).
185. ياسين، خير نمر: الأدوميون، الجامعة الأردنية، عمان (1994).
186. اليسوعي: تسريح الأبصار في عجائب الأمصار، بيروت (1982).
187. يونغ، كارل غوستاف: الإنسان ورموزه، ترجمة سمير علي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1984) وترجمة عبد الكريم ناصيف، دار منارات للنشر، عمان (1987).
188. يونغ، كارل غوستاف: جدلية الأنا واللاوعي، ترجمة نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق (1997).

1. Amiet , Pierre: **Archaeological Discontinuity and Ethic Duality in Elam**, Antiquity, Vol. LIII. (1979).
2. Bienkowski, piotr: **The Art of Jordan**. Alan Suttun Publishing Ltd, (1991).

3. Budge, sir Wallis: **Egyption Magic**. London (1981).
4. Campbell, Joseph: **The masks of god: primitiv mythology**. Viking Press, New York (1959).
5. Campbell, Joseph: **The masks of god: primitive mythology**. Printed in England by The Pitman Press Ltd. , Bath and first published by Martin Secker & Warburg Ltd. 7 John Street, London (1960).
6. Childe, V. Gordon, **New Light on the most Ancient –East**, (London (1952).
7. Grosman. Leore, Natalie D. Munro, and Anna Belfer - Cohen: A 12,000 - year - old Shaman burial from the southern Levant (Israel) **PNAS** November 18, 2008. 105 (46) 17665 - 17669; <https://doi.org/10.1073/pnas.0806030105>, Edited by Ofer 8. Bar – Yosef, Harvard University, Cambridge, MA, and approved September 29, (2008).
8. Hutin (Serge). **Les Gnostiques** (Collection «Que sais - je »). Paris, Presses Universitaires de France, (1959).
9. Kramer S. N, **The Sumerians**, Chicago (1963/1964).
10. Langdon S. H: **Encyclopadia of Religion and Ethics (ERE)**. NEW YORK (1958).
11. Larousse: **Encyclopedia of Mythology, Prometheus press**, New York, (1995)
12. Oakley, K: **Fire as a Paleolithic tool and weapan proceeding of the prehistoric society, No. 21** (1955).
13. OFER BAR - YOSEF: The Natufian Culture in the Levant, Threshold to the Origins of Agriculture, **Evolutionary Anthropology** (07 December 1998).
14. Plessner, Hermes: **Encyclopaedia of islam**. vol. 3 New. (1960).
15. Reiner E: **The eteological myth of the seven sag**, es orientalia no 5. 30 (1961).
16. Roach, Karen J. **The Elamite Cylinder Seal Corpus, c. 3500 - 1000 B. C. Ph. D. Dissertation in Archaeology, The University of Sydney, Department of Archaeology**. Sydney: The University of Sydney (2008).
17. Safar, Fuad, Mustafa M. A, Seton Lioyd: **ERDU**, state organization of intiquitcs and Heritage, Baghdad (1981).
18. Van Dijk J. J. A: **La Sagesse sumero Accadienn**. ed Leiden E. J. Brill (1953).
19. Walker, Barbara. G: **“The Women’s Encyclopedia of myths and secrets”** Harper. 29 Sanfrancisco: 1983 p. 1095.
20. Wooly C. Leonard: **Excavation at Ur. London** (1963).
21. Wooly C. Leonard: **Ur of the chaldess**, New York (1965).

المراجع الشبكية (الإنترنت)
تمّ الاطلاع عليها في أيلول 2018

- [http://www.ascsf.org/sy/article - moussa - 1. htm](http://www.ascsf.org/sy/article-moussa-1.htm) أولفبيه أوراناش
- [http://www.abou - alhool. com/arabic1/details. php?id=27524#. WbaLwW82t1s](http://www.abou-alhool.com/arabic1/details.php?id=27524#.WbaLwW82t1s)
- جزيرة - [http://daharchives. alhayat. com/issue_archive/Hayat%20INT/1999/10/17](http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat%20INT/1999/10/17.html)
html - الفرعونية. مصر - جنوب - وحاضرة - الحدود - مدينة - الأثرية - الفنتين
- [http://st - takla. org/pub_Bible - Interpretations/Holy - Bible - Tafsir - 01 - Old - Testament/Father - Antonious - Fekry/01 - Sefr - El - Takween/Tafseer - Sefr - El - Takween - 01 - Chapter - 32. html](http://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-01-Old-Testament/Father-Antonious-Fekry/01-Sefr-El-Takween/Tafseer-Sefr-El-Takween-01-Chapter-32.html)
- [http://stbehnamchurch. com/articles/index. php?option=com_content&view=arti-
\(cle&id=187](http://stbehnamchurch.com/articles/index.php?option=com_content&view=article&id=187)
- موقع معابر
- http://www.maaber.org/issue_july08/lookout2_a.htm
- <http://www.ezidinasi.net/ar/?p=138>
- قيدار صبري: موقع (لالش) [http://www. islah - taqadum. com/modules. php?name=News&file=article&sid=2360](http://www.islah-taqadum.com/modules.php?name=News&file=article&sid=2360)
- (توفيق وهبي ج4 WWW.lalish.de ترجمة شوكت حسن إسماعيل)
بغية الطلب في تاريخ حلب (ابن العديم: 1261: 222 - 223)
مصدر الكتاب: موقع الوراق <http://www.alwarraq.com>
(ابن شداد: موقع الوراق)
<http://www.alwarraq.com>
- المراقبة [https://wol. jw. org/ar/wol/d/r39/lp - a/2005763#h=19](https://wol.jw.org/ar/wol/d/r39/lp-a/2005763#h=19) موقع مكتبة برج المراقبة
الالكترونية. انتشار المسيحية بين اليهود في القرن الأول، تاريخ الاقتباس 4/9/2018.
حب الله، حيدر: الألقاب العلمائيّة (آية الله العظمى..): جولة في تاريخها، وتطورها، والمواقف
المختلفة منها، تاريخ 2015 - 02 - 02، تاريخ الاقتباس 7/9/2018 [http://hobbollah. com/](http://hobbollah.com/)
- 1) question
SH. REWAYAT2. COM

فهرس الأعمال الفكرية والإبداعية للمؤلف القسم الأول: الأعمال الفكرية (47 كتاباً)

أولاً: علم وتاريخ الحضارات

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	موسوعة الفلك عبر التاريخ	أسامة	عمّان	ط1 (2001) ط2 (2003)
2	تاريخ القدس القديم	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت	ط1 (2005) ط2 (2017)
3	كنوز ليبيا القديمة	زهران	عمّان	2008
4	سحر البدايات (التكوين في ريعان فجره)	النايا غراب	دمشق القاهرة	ط1 (2010) ط2 (2017)
5	الأنباط (التاريخ، المثلوجيا، الفنون)	النايا فضاءات	دمشق عمّان	ط1 (2012) ط2 (2016)
6	تاريخ الخليقة	نون الرافدين، تكوين	رأس الخيمة بيروت، الكويت	2014 2018
7	حضارات ما قبل التاريخ	نون الرافدين، تكوين	رأس الخيمة بيروت، الكويت	2015 2018
8	الحضارة السومرية	نون	رأس الخيمة	2015
9	الحضارة المصرية	نون	رأس الخيمة	2015
10	عراق ما قبل التاريخ	الرافدين	بيروت	2017
11	الحضارات السامية المبكرة	الرافدين، تكوين	بيروت، الكويت	2018

ثانياً: علم وتاريخ الأساطير

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	سفر سومر	عشتار	بغداد	1990
2	مثلوجيا الأردن القديم	وزارة السياحة والآثار	عمّان	1997
3	بخور الآلهة	الأهلية	عمّان	1998
4	إنجيل سومر	الأهلية	عمّان	1998
5	إنجيل بابل	الأهلية	عمّان	1998
6	الآلهة الكنعانية	الأهلية	عمّان	1999
7	مثلوجيا الخلود	الأهلية	عمّان	2002
8	المثلوجيا المندائية	نينوى الرافدين، تكوين	دمشق بيروت، الكويت	2010 2018
9	العود الأبدي	الدار العربية للموسوعات	بيروت	2011
10	آلهة شام	نون	رأس الخيمة	2014
11	المندالا المثلوجية	نون	رأس الخيمة	2014
12	المثلوجيا السومرية	الرافدين، تكوين	بيروت، الكويت	2018

ثالثاً: علم وتاريخ الأديان

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	جذور الديانة المندائية	المنصور	بغداد	1997
2	أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ	الشروق	عمّان	1997
3	الدين السومريّ	الشروق	عمّان	1997
4	متون سومر	الأهلية	عمّان	1998
5	الدين المصريّ	الشروق	عمّان	1999
6	المعتقدات الآرامية	الشروق	عمّان	2001
7	المعتقدات الكنعانية	الشروق	عمّان	2001
8	المعتقدات الأمورية	الشروق	عمّان	2002
9	المعتقدات الإغريقية	الشروق	عمّان	2004
10	المعتقدات الرومانية	الشروق	عمّان	2006
11	أصول الناصورية المندائية في أريدو وسومر	فضاءات	عمّان	2014
12	كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدّد والتوحيد	المركز الثقافيّ العربيّ ومؤمنون بلا حدود	بيروت - الدار البيضاء	2014
13	علم الأديان	نينوى	بيروت	2016
14	السّحر والدين في عصور ما قبل التاريخ	نينوى	دمشق	2017
15	الديانة السومرية	المركز الثقافيّ للكتاب	دمشق	2017
16	أنبياء سومريّون (كيف تحول عشرة ملوك سومريّين إلى عشرة أنبياء توراتيين؟)		بيروت - الرباط	2018

رابعاً: الاستشراق

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	على مائدة أنتسبيرغر	مؤسسة شرق غرب - ديوان المسار للنشر	بيروت	2011

خامساً: علم وتاريخ الأدب والفن

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	حكايات سومرية	وزارة الثقافة والإعلام	بغداد	1995
2	أدب الكالاء.. أدب النار	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت بغداد	2002 ط1 (2004)
3	العقل الشعري	الشؤون الثقافية النيابا	دمشق	ط2 (2010)
4	كتاب إنكي: الأدب في وادي الرافدين ج 1 وج 2	المركز الثقافيّ العربيّ ومؤمنون بلا حدود	بيروت - الدار البيضاء	2013
5	الأدب السومريّ	بيسان	بيروت	2017
6	الفن الإغريقيّ	الرافدين	بيروت	2016
7	فنون ما قبل التاريخ	رؤية	القاهرة	2017

القسم الثاني: الأعمال الإبداعية (32 كتاباً)
أولاً: الشعر

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	يقظة دلمون	الشؤون الثقافية	بغداد	1980
2	أناشيد إسرائيل	الشؤون الثقافية	بغداد	1984
3	خزائيل 1 و 2	الشؤون الثقافية	بغداد	1989
4	عكازة رامبو	الأمد	بغداد	1993
5	فيزياء مضادة	المنصور	بغداد	1997
6	حياة ودرج	المنصور	بغداد	ط 1 (2006)
7	فلم طويل جداً	أدب فن	القاهرة	ط 2 (2008)
8	أحزان السنة العراقية	بابل	زيورخ - بغداد	2009
9	ربما! من يدري؟	الغاؤون	بيروت	2010
10	شوغات	ميزوبوتاميا	بغداد	2012
11	كاماسوترا	ميزوبوتاميا	بغداد	2013
12	تحولات إيروس	فضاءات	عمّان	2014
13	الأعمال الشعرية ج 1	فضاءات	عمّان	2014
14	الأعمال الشعرية ج 2	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت	2001
15	الأعمال الشعرية ج 3	المؤسسة العربية	بيروت	2005
16	الأعمال الشعرية ج 4 (خزائيل 12 كتاباً)	المؤسسة العربية	بيروت	2008
17	الأعمال الشعرية ج 5 (كتاب الإيروس)	المؤسسة العربية	بيروت	2012
18	الأعمال الشعرية ج 6	المؤسسة العربية	بيروت	2013
19	الأعمال الشعرية ج 7 (2000 قصيدة)	المؤسسة العربية	بيروت	2014
20	حينما ماء القلب	المؤسسة العربية	بيروت	2015
21	ورد لوجهك كي يبوح	عدنان	بغداد	2015
22	تقلّب الجمر وتتهيج	فضاءات	عمّان	2016
23	قصائد الصورة	فضاءات	عمّان	2016
24	أطلس شرقي	فضاءات	عمّان	2018

ثانياً: المسرح

ت	اسم الكتاب	دار النشر	مدينة النشر	سنة النشر
1	الأعمال المسرحية ج 1	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت	2010
2	الأعمال المسرحية ج 2	المؤسسة العربية	بيروت	2013
3	هاملت بلا هاملت وسيدرا (مسرحيتان)	الشروق	عمّان	2001
4	هامنت (5 مسرحيات)	فضاءات	عمّان	2013
5	موسيقى صفراء (8 مسرحيات)	فضاءات	عمّان	2016
6	المسرح المفتوح (مقدمة و4 مسرحيات)	غيداء	عمّان	2017
7	مسرح الصورة (مقدمة و5 مسرحيات)	غراب	القاهرة	2018
8	جحيم شكسبير (5 مسرحيات مختارة)	فضاءات	عمّان	2018

القسم الثالث: الأعمال المترجمة (7 كتب)

NO	Book Name	Translator	Publish House	Publish City Year &
1	العقل الشعري (اللغة الكردية)	عبد المطلب عبد الله	سردم	السليمانية 2007
2	إنجيل بابل (اللغة الفارسية) بعنوان كتاب مقدس بابل	الدكتور إحسان مقدّس	نيويورك (اللوتس)	1385 2008 طهران
3	Sorrows of the Iraqi Year (Selected Poems)	Bashar Abdullah	Moment Digibooks Limited	London 2013
4	Hamnet	Thakaa Muttib Hussein	Moment Digibooks Limited	London 2013
5	On the Thresholds of Temples (Selected Poems)	Soheil Najm	Moment Digibooks Limited Moment Digibooks Limited	London 2014 London 2014
6	Maybe. who knows!	Jawad Wadi	Academie Internationale	Curta de Arges
7	Pasarea Celor Patru Zari The Bird of Four Directions	George Grigore	Orient - Occident	Romania) 2014)

نبذة عن المؤلف: الدكتور خزعل الماجدي

أكاديمي و باحث في علوم وتاريخ الأديان والحضارات والأساطير، كاتب مسرحي وشاعر .حاصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ القديم من معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا عام 1996. درس المسرح في كلية الفنون الجميلة في بغداد ، ودرس الفلسفة في جامعة بغداد ، عمل في الاذاعة والتلفزيون والمجلات والصحف العراقية واتحاد الادباء والكتاب ودائرة السينما والمسرح بين الاعوام "1973-1998" ثم عمل استاذا جامعياً في جامعة درنة في ليبيا "1998-2003" وفي هولندا حاضر في جامعة لايدن وعمل في عدد من الجامعات المفتوحة في أوروبا ، يقيم حالياً في هولندا . أصدر 91 كتاباً .

في حقل تاريخ الحضارات و الاديان والمثولوجيا صدر له "49 كتاباً" ، منها (علم الأديان ، حضارات ما قبل التاريخ ، الحضارة السومرية ، الحضارة المصرية ، الحضارة الهندية ، مثولوجيا الأردن القديم ، متون سومر ، المعتقدات الكنعانية ، المعتقدات الآمورية ، المعتقدات الآرامية ، آلهة شام ، المندالا المثولوجية ، مثولوجيا الخلود ، بخور الآلهة ، إنجيل سومر ، إنجيل بابل .. وغيرها) .

في حقل الشعر صدر له "26 مجموعة شعرية " منشورة في 7 مجلدات ، منها (يقظة دلمون ، أناشيد اسرافيل ، خزائل ، أحزان السنة العراقية ، ورد لوجهك كي ييوح ، تقلب الجمر وتتهيج ، حية ودرج ، عكازة رامبو ، 2000 قصيدة .. وغيرها) .وله كتاب نظري شامل عن الشعر بعنوان (العقل الشعري) .

في حقل المسرح صدر له 9 كتب منها "35 مسرحية منشورة في مجلدين" نشرا في المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت في (2010 و2012) وعرض منها في مسارح الوطن العربي والعالم 22 مسرحية منها (عزلة في الكرستال ، هاملت بلا هاملت ، سيدرا ، حفلة الماس ، موسيقى صفراء .. وغيرها)، وله كتب في المسرح منها (المسرح المفتوح ، مسرح الصورة وغيرها) .

له دراسات وبحوث في الحقول الفكرية والإبداعية المذكورة أعلاه والمنشورة في مجلات علمية محكمة وعامة ، شارك بها في مؤتمرات عربية ودولية ، و حصل على شهادات تدريبية وتكريبية في حقول التاريخ والحضارة والثقافة والاعلام والفنون. له أكثر من ستين محاضرة فكرية وثقافية في أوروبا وكندا ومشيجان والعالم العربي في السنوات العشر الأخيرة ، بعضها مسجل ومتاح في قناته الخاصة في اليوتيوب .

عضو اتحاد الادباء والكتاب في العراق واتحاد الكتاب العرب واتحاد المسرحيين العراقيين ونقابة الصحفيين العراقيين واتحاد المؤرخين العرب وعضو أكاديمية شرق غرب الرومانية ، وكان يشغل منصب مدير المركز العراقي لحوار الحضارات والاديان في بغداد ما بين 2004-2006.